

الوسيط

في تفسير القرآن المبين

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواهبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض
الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الفني الجمل

الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقضاه

الأستاذ الدكتور عبد الحفي الفرماري

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الثالث

المحتوى

سورة الرعد - سورة الزمر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى

١٩٩٤-٥١٤١٥ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٠٠/٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون

أخبرنا: أبو سعد أحمد بن محمد بن عمرو الخفاف، أنا: أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحب مضي، وكل سحب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله (١).

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّتَجَوِّزَاتٍ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَمِخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: ابن عباس أنا الله أعلم وأرى (٢)، وقال في رواية عطاء: أنا الله الملك الرحمن (٣). ﴿تلك آيات الكتاب﴾ يجوز أن يكون ﴿تلك﴾ إشارة إلى ما مضى من ذكر الأخبار والقصص التي أنزلت ويجوز أن يكون تلك بمعنى هذه، ويراد بالكتاب القرآن، وقوله: ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ قال الفراء: الذي رفع بالاستئناف، وخبره الحق (٤) ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس يريد أهل مكة (٥) قال الزجاج (٦): لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق، فقال ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد﴾ وهي الأساطين، جمع عماد ﴿ترونها﴾ كذلك مرفوعة بلا عمد قال «مقاتل» (٧) هي قائمات بغير عمد وقال «الضحك» (٨): يعني ليس من دونها دعامة، ولا فوقها علاقة وهو قول قتادة (٩) وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم أقبل على خلق العرش [بالاستيلاء والاقترار، ونفوذ السلطان وأصل

(١) حديث واهي وتقدم الكلام عليه.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) (انظر معاني القرآن، للفراء ٥٧/٢).

(٥) البغوي ٥/٣ وروى الطبري عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة أنهم قالوا «لها عمد ولكن لا ترى» انظر تفسير الطبري ١٦ - ٢٢٣

وما بعدها وابن كثير ٣٥١/٤.

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٦/٣.

(٧) الرازي ١٨٦/١٨.

(٨) البغوي ٥/٣.

الاستواء، التدبير كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال قائم بالتدبير، والمعنى: ثم استوى على العرش بالتدبير للأجسام التي خلقها، وثم تدل على حدوث التدبير^(١) ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلكهما لما يراد منهما ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا ﴿يدبر الأمر﴾ يصرفه بحكمته ﴿يفصل الآيات﴾ يبين الآيات التي تدل على قدرته على البعث ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ قال ابن عباس لكي توقنوا بالبعث وتتعلموا أنه لا إله غيري^(٢) ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ قال الفراء بسطها طولاً وعرضاً^(٣) ﴿وجعل فيها رواسي﴾ جبلاً ثوابت قال «ابن عباس» أوتدها بالجبال^(٤) ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ لونين حلواً وحامضاً ﴿يغشي الليل النهار﴾ ذكرناه في سورة الأعراف. ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ أعلم [الله]^(٥) أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن تفكر في قدرة الله، ثم زاد، فقال: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي متدانية متقاربة ﴿وجنات من أعنابٍ ووزع ونخيل﴾ يعني: بساتين فيها نخيل وكروم، ومن قرأ^(٦): ﴿وزرع ونخيل﴾ [بالضم]^(٧) حملها على قوله ﴿وفي الأرض﴾ ولم يحملها على الجنات وقوله ﴿صنوان وغير صنوان﴾ من صفة النخيل قال أبو عبيدة الصنوان جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع، فيصير نخيلاً ثم يحملن^(٨)، وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير، قال ابن عباس صنوان ما كان من نخلتين، أو ثلاث أو أكثر، أصلهن واحد، وغير صنوان: يريد المتفرق الذي لا يجمعه أصل واحد^(٩).

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمر بن مطر، أنا أبو خليفة أنا الوليد والحوضي ومحمد بن كثير قالوا: ناشبة أنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول في هذه الآية: الصنوان النخلة يكون حولها النخلات، وغير صنوان، النخل المتفرق^(١٠) وروى القواس^(١١) عن حفص (صنوان) بضم الصاد^(١٢) جعله مثل

(١) سقط في أ، ب. (٢) بنحوه عند الطبري ٣٢٧/١٦.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٥٨/٢ البغوي ٦/٣.

(٤) وحكى البغوي عن ابن عباس أنه قال: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض.

(٥) سقط في أ، ب.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع. وحجتهم ذكرها العباس فقال: سألت أبا عمرو: كيف لا تقرأ (وزرع) بالجر؟ قال الجنات لا تكون من زرع. فذهب أبو عمرو إلى أن الزرع وما بعده مردود على قوله قطع كأنه قال: في الأرض قطع متجاورات وفيها جنات وفيها زرع ونخيل. وقرأ الباقون بالجر كلها. حملوا الزرع والنخيل على الأعناب كأنه قال: جنات من أعناب وغير ذلك من زرع ونخيل. وحجتهم في ذلك أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة: قوله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) فكما سميت الأرض ذات النخل والزرع جنة كذلك يكون في قراءة من قرأ: (وجنات من أعناب ووزع ونخيل) أن يكون الزرع والنخيل محمولين على الأعناب. انظر حجة القراءات ص (٣٦٩) وانظر النشر (٢٩٧/٢) إتحاف فضلاء البشر (١٦٠/٢).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) انظر مجاز القرآن ٣٢٢/١.

(٩) الطبري ٣٣٦/١٦ (٢٠٠٩٥) ابن كثير ٣٥٣/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٦٦/٣ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم الدر المنثور ٤٣/٤.

(١٠) الطبري ٣٣٥/١٦ (٢٠٠٨٧) (٢٠٠٨٩) ابن كثير ٣٥٢/٤ الدر المنثور ٤٣/٤.

(١١) أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمر بن صبح بن عون أبو الحسن النبال المكي المعروف بالقواس إمام مكة في القراءة غاية النهاية (١٢٣/١).

(١٢) وهذا من القراءات الشاذة انظر المحتسب لابن جني (٣٥٠/١).

ذوب وذوبان وربما تعاقب فعلان وفعالان على البناء الواحد، نحو حش وحشَّان^(١) وحشَّان وقوله: ﴿تسقى بماءٍ واحدٍ﴾ أي تسقى هذه الأشياء الذي ذكرها من القطع المتجاورات والجنات والنخيل المختلفة، ومن قرأ «يسقى» بالياء^(٢) كان التقدير يسقى ما قصصناه وما ذكرناه قال ابن عباس يريد البئر واحدة والشرب واحد، والجنس واحد^(٣) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ يعني اختلاف الطعم الحلو والحامض، يخبر بعجائبه وقدرته في خلقه قال ابن الأنباري^(٤): يعني: أن القطع المتجاورة تنبت نباتاً مختلفاً منه الحلو والحامض وشربها واحد، ومكانها مجتمع، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله والأكل الثمر الذي يؤكل وقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ قال ابن عباس: يريد أهل الإيمان، وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا لله نداً^(٥).

﴿وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۖ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۖ﴾

قوله ﴿وإن تعجب﴾ أي: من عبادتهم ما لا يملك نفعاً ولا ضراً، بعدما رأوا من قدرة الله تعالى في خلقه الأشياء التي ذكرها ﴿فعبج قولهم﴾ الآية قال الزجاج إن هذا موضع عجب أيضاً، أنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من خلق السماوات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة^(٦) ثم أخبر أن هؤلاء الذين أنكروا البعث بعد الموت كافرون فقال: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ الأغلال جمل الغل. وهو طوق يقيد به اليد إلى العنق، يقال منه: غل الرجل، فهو مغلول، قوله ﴿ويستعجلونك﴾

(١) الحش والحش جماعة النخل انظر لسان العرب (٢/٨٨٥).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر: (يسقى بماء واحد). أي يسقى المذكور بماء واحد. وحجتها قوله: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره﴾ على معنى من ثمر المذكور. وقرأ الباقر: تسقى بالياء أي تسقى هذه الأشياء بماء واحد. قالوا: ولا يكون التذكير، لأنك إن حملته على الزرع فقد تركت غيره، وإن حملته على الجنات مع حملته على الزرع فقد ذكرت المؤنث. وحجتها قوله تعالى بعدها: ﴿ونفضل بعضها على بعض﴾ فقال بعضها، فكما حمل هذا على التأنيث كذلك يحمل (تسقى) انظر الحجة لابن زنجلة (٣٦٩، ٣٧٠) وانظر النشر ٢/٢٩٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٠ البغوي ٦/٣.

(٣) بنحوه انظر تفسير الطبري ١٦/٣٣٣.

(٤) انظر فتح القدير ٣/٦٥.

(٥) وهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع، في أشكالها وألوانها، وطعمها وروائحها وأوراقها وأزهارها. فهذا في غاية الحلاوة، وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضب، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم اللآلئ على الفاعل المختار، الذي بقدرته فافتت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد، ولهذا قال تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

انظر ابن كثير (٤/٣٥٣ - ٣٥٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٨.

بالسيئة قبل الحسنة ﴿ يعني مشركي مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بذلك فالمراد بالسيئة ههنا العقوبة المهلكة، والحسنة هي العاقبة والرخاء والله تعالى صرف عمن بعث إليهم محمداً ﷺ عقوبة الاصطلام^(١)، وأخر تعذيب مكذبيه إلى يوم القيامة، فذلك التأخير هو الحسنة، وهؤلاء الكفار استعجلوا العذاب قبل إحسان الله معهم بالإنظار، وقوله: ﴿وقد خلت من قبلهم المثالات﴾ يقال للعقوبة مثلة ومثلة قال ابن الأنباري^(٢): المثلة العقوبة لتي تبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم مثل فلان بفلان إذا شان خلقه بقطع أنفه وأذنه، أو سمل عينه، أو بقر بطنه قال ابن عباس، وفتادة: المثالات العقوبات، وما مثل الله بالمكذبين قبلهم^(٣) قال الأزهرى: يقول: يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعاجلهم به، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمم الخالية فلم يعتبروا بها^(٤) وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر خوفاً أن ينزل بهم مثل الذي نزل بمن كفر قبلهم، قوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وصدقوا^(٥) ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ للمصرين على الشرك، وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال: لو يعلم الناس قدر رحمة الله ومغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، وبأس الله ونكال الله ونقمة الله، ما رقأ لهم دمع ولا قرأت أعينهم بشيء.

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا: محمد بن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتكلم كل أحد^(٦)». قوله: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ قال ابن عباس: يريد مثل الناقة والعصا وما جاء به النبيون^(٧) وقال الزجاج: طلبوا غير الآيات التي أتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى^(٨)، فقال الله: ﴿إنما أنت منذرٌ تنذرهم بالنار، وليس إليك من الآيات شيء﴾ ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يريدون ويتحكمون وهذا قول ابن عباس ومجاهد وفتادة^(٩) وقال سعيد بن جبير، وعطية والضحاك: الهادي هو الله عز وجل^(١٠)، والمعنى: أنت منذر تنذر، والله هادي كل قوم يهدي من شاء قوله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ يعلم ما في بطن كل حامل من علقة أو مضغة أو زائد أو ناقص، على اختلاف في

(١) وهو الاستئصال انظر لسان العرب ٤/٢٤٨٩.

(٢) الرازي ١٩/١٠ فتح القدير ٣/٦٧ وانظر التهذيب للأزهري ١٥/٩٥ البغوي ٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٦/٣٥١ (٢٠١٣١) عن فتادة زاد المسير ٤/٣٠٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٧٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن فتادة الدر المنثور ٤/٤٤.

(٤) انظر التهذيب ١٥/٩٩.

(٥) بنحوه عن الطبري ١٦/٣٥٢ (٢٠١٣٧) زاد المسير ٤/٣١٦.

(٦) ذكره الحافظ في تخريجه على الكشاف ٢/٥١٤ وقال أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي عن رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان ضعيف وقد تقدم وذكره الحافظ ابن كثير نقلاً عن ابن أبي حاتم ٤/٣٥٥.

(٧) الرازي ١٩/١١ ابن كثير ٤/٣٥٥ فتح القدير ٣/٦٨.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٤٠.

(٩) أخرجه الطبري عن مجاهد ١٦/٣٥٥ (٢٠١٤٨) (٢٠١٥٠) (٢٠١٥١) (٢٠١٥٣) (٢٠١٥٤) وزاد المسير ٤/٣٠٧ الرازي ١٢/١٩ البغوي ٣/٨ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٧١ وعزاه لابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وانظر الدر المنثور ٤/٤٥.

(١٠) الطبري ١٦/٣٥٤ (٢٠١٤٢) (٢٠١٤٣) (٢٠١٤٤) البغوي ٣/٨ والرازي ١٩/١٢ الدر المنثور ٤/٤٥.

جميع أحواله، وقال عطاء عن ابن عباس يريد ذكر أم أنثى، واحد أم اثنين أم أكثر^(١) وقوله: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ الغيض النقصان، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وغيض الماء﴾ قال أكثر المفسرين: يعلم الوقت الذي تنقبضه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر^(٢) ﴿وما تزداد﴾ على ذلك، قال «الضحاك»^(٣) الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ قال ابن عباس: علم كل شيء فقدره تقديراً مما يكون قبل أن يكون، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٤).

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٢﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ علم ما غاب عن جميع خلقه، وما شهد خلقه وعلموه ﴿الكبير﴾ بمعنى العظيم ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، وهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إليه، وقوله ﴿المتعال﴾ قال الحسن: المتعالي عما يقول المشركون^(٥) وقوله ﴿سواء منكم من أسر القول﴾ أي أخفاه وكنمه ﴿ومن جهر به﴾ أعلنه وأظهره، قال مجاهد: السر والجهر عنده سواء^(٦) وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ الظاهر، يقال سربت الإبل تسرب سروباً، أي: مضت في الأرض ظاهرة حيث شئت، قال «الزجاج»^(٧): معنى الآية الجاهر بنطقه، والمضمر في نفسه، والظاهر في الطرقات، والمستخفي في الظلمات علم الله فيهم جميعاً سواء، قوله: ﴿له معقبات﴾ المعقبات: المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه، ويكون بدلاً منه وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين^(٨)، قال شمر: هي الكائنات يأتي بعضها بعد ذهاب بعض^(٩)، قال «الزجاج»: المعقبات الملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض^(١٠)، قال الفراء: المعقبات ذكر أن

(١) انظر تفسير البغوي (٨/٣) الرازي (١٣/١٩).

(٢) الطبري ٣٥٨/١٦ البغوي (٨/٣) الرازي (١٣/١٩).

(٣) الطبري ٣٦٣/١٦ (٢٠١٨٥) (٢٠١٨٦) (٢٠١٨٧) (٢٠١٨٨) وزاد المسير ٣٠٨/٤ انظر البغوي ٨/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي ٨/٣ زاد المسير ٣٠٨/٤ الرازي ١٤/١٩.

(٥) انظر زاد المسير ٣٠٩/٤.

(٦) البغوي ٩/٣ زاد المسير ٣٠٩/٤ لفظ (سواء) يطلب اثنين سواء زيد وعمرو ثم فيه وجهان: الأول: أن سواء مصدر والمعنى: ذو

سواء كما تقول: عدل زيد وعمرو. أي ذوا عدل. الثاني: أن يكون سواء بمعنى مستو، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى الإضمار، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقول مستو زيد وعمرو لأن أسماء الفاعلين إذا كانت نكرات لا يبدأ بها. ولقائل أن يقول: بل هذا الوجه أولى لأن حمل الكلام عليه يعني عن التزام الإضمار الذي هو خلاف الأصل. وقال الأزهري: تقول العرب سربت الإبل سروباً، أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شئت، فإذا عرفت ذلك فمعنى الآية سواء كان الإنسان مستخفياً في الظلمات أو كان ظاهراً في الطرقات، فعلم الله تعالى محيط بالكل. وقال مجاهد: سواء من يقدم على القبائح في ظلمات الليالي، ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي انظر الرازي (١٥/١٩) واخرج مثله ابن جرير عن قتادة ٣٦٨/١٦.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤١/٣ الرازي ١٥/١٩.

(٨) الطبري ٣٦٩/١٦ البغوي ٩/٣ الرازي ١٦/١٨ ابن كثير ٣٥٩/٤ فتح القدير ٧١/٣.

(٩) انظر التهذيب للأزهري ٢٧٢/١.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

جمع ملائكة معقبة، ثم جمعت معقبة معقبات، والذي يدل على التذكير قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: المعقبات الملائكة الحفظة^(٢) يدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا أبو داود سليمان بن سلام، نا يحيى بن يحيى قال قتادة: قرأت على مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: «تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(٣) ومعنى الآية: لله ملائكة حفظة تتعاقب في النزول إلى الأرض من بين يدي الإنسان ومن خلفهم وقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ذكر الفراء^(٤) في هذا قولين أحدهما: انه على التقديم والتأخير، وتقديره: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. والثاني: ان هذا على إضمار أن ذلك الحفظ من أمر الله أي: مما أمر الله به، ونحو هذا قال الزجاج قال: المعنى حفظهم إياه من أمر الله، أي: مما أمرهم الله به، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله^(٥) وقال ابن الأنباري^(٦): وفي هذا قول آخر، وهو: أن ﴿من﴾ بمعنى الباء، والتأويل: يحفظونه بأمر الله، وهذا قول مجاهد، وعطاء والحسن وقتادة، قالوا: يحفظونه بأمر الله^(٧) وقال السدي: يحفظونه من أمر الله إلى أمر الله، مما لم يقدر الله إلى ما قدر الله^(٨)، وقال كعب: لولا أن الله وكل بهم ملائكة يذبون عنكم، لتخطفتكم الجن^(٩) أخبرنا: أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد البكائي^(١٠) عن ليث عن مجاهد قال: ما من مسلم ينام إلا وكل الله به وكلاء من الملائكة يحفظونه من الجن والهوام، فإذا أرادوه بشيء، قالوا: وراءك ورائك، إلا شيئاً قد قضى له أن يصيبه^(١١).

أخبرني: محمد بن عبد العزيز المروزي، أنا محمد بن الحسين الحدادي، أخبرهم أنا: محمد بن يزيد أنا

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٢/٢.

(٢) الطبري ٣٧١/١٦ (٢٠٢١٢) (٢٠٢١٣) (٢٠٢١٤) وانظر تفسير ابن كثير ٣٥٩/٤ البغوي ٩/٣ والدر المنثور ٤٧/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣/٢ في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٥) ومسلم ٤٣٩/١ في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٢/٢١٠) ومالك في الموطأ (١٧٠) وأحمد في المسند ٤٨٦/٢ وأبو عوانة ٣٨٧/١ وانظر تفسير زاد المسير ٣١١/٤ والقرطبي ٢١١/٣ ٢٩٣/٩ ٢٠٧/١٠ وابن كثير ٩٩/٥.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٦٠/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٦) الرازي ١٧/١٨ فتح القدير ٦٩/٣ البغوي ٩/٣.

(٧) الطبري ٣٧٦/١٦ (٢٠٢٣٩) ابن كثير ٣٦١/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٧١/٣ وعزاه لابن جرير الدر المنثور ٤٧/٤ البغوي ٩/٣.

(٨) الطبري ٣٧٥/١٦.

(٩) أخرجه الطبري ٣٧٨/١٦ (٢٠٢٤٦) زاد المسير ٣١٢/٤ وابن كثير ٣٦١/٤ البغوي ٩/٣.

(١٠) زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي الكوفي صاحب ابن إسحاق. حدث عن منصور، وعبد الملك بن عمير، والكيارأوعنه أحمد، والفلاس، والحسن بن عرفة، وخلق. قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق وقال ابن معين: لا بأس به في المغازي، وأما في غيرها فلا. وقال ابن المدني: ضعيف، كتبت عنه وتركته وقال أبو حاتم: لا يحتج به وقال أبو زرعة: صدوق. وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بآخر وقال النسائي: ضعيف وقال مرة: ليس بالقوي. وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه قال عبد الله بن إدريس: ما أحد أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي لأنه أملى عليه إملاء مرتين وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن هو من أثبتهم في المغازي. انظر ميزان الاعتدال (٩١/٢).

(١١) أخرجه الطبري ٣٧٧/١٦ (٢٠٢٤٥) زاد المسير ٣١٢/٤ البغوي ٩/٣.

إسحاق بن إبراهيم أنا النصر بن شميل نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن أبي جندب^(١)، قال كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين فأقبل علي رضي الله عنه، متوكئاً على عنزة له، بعدما اختلط الظلام، فقال سعيد: يا أمير المؤمنين قال: نعم، قال: أما تخاف أن يغتالك أحد؟ قال: إنه ليس من أحد إلا ومعته من الله حفظة من أن يتردى في بئر، أو يخر من جبل، أو يصيبه حجر، أو تصيبه دابة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأْتَنَفْسَهُمْ﴾ أي لا يسلب قوماً نعمة، حتى يعملوا معصية قال ابن عباس: يريد العذر فيما بينه وبين خلقه، ويعني بهذا أهل مكة^(٣) ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفٍ عَذَابًا﴾ فلا مرد له ﴿قال عطاء: يريد: لا اراد لعذابي ولا ناقض لحكمي﴾^(٤) ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغَهُ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفًا للمسافر، وطمعاً للمقيم^(٥) قال الزجاج الخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر والطمع للحاضر لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب^(٦) ﴿وينشئ﴾ يخلق ﴿السحاب الثقال﴾ بالماء ﴿ويسبغ الرعد بحمده﴾ قال ابن عباس سألت اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ فقال: الرعد ملك من ملائكة الله عز وجل، موكل بالسحاب، معه مخاريق، يسوق بها السحاب حيث يشاء الله قالوا: فما الصوت الذي يسمع؟ قال: «زجره بالسحاب إذا زجر، حتى ينتهي إلى حيث ما أمر»^(٧) وقال مجاهد: الرعد صوت ملك يسبح^(٨)، وكان عبد الله بن الزبير جالساً يحدث أصحابه، فسمع صوت الرعد، فترك الحديث وقال: سبحان من سبحت له، وقال: إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد^(٩)، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى يقول: لو أن عبادي أطاعوني، لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس

(١) عمرو بن أبي جندب يقال إنه أبو عطية الوادعي والصحيح أنه غيره التقريب ٦٧/٢ التهذيب ١٣/٨.

(٢) الطبري ٣٨٧/١٦ (٢٠٢٤٧) زاد المسير ٣١٢/٤.

(٣) زاد المسير ٣١٢/٤.

(٤) انظر تفسير الطبري ٣٨٦/١٦.

(٥) الطبري ٣٨٧/١٦ (٢٠٢٥٢) والبغوي ١٠/٣ ابن كثير ٣٦٢/٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٧٦/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير

وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٣.

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ٢٧٤/٥ في كتاب التفسير سورة الرعد باب (١٤) (٣١١٧) وقال حسن غريب وأحمد في المسند

٢٧٤/١.

(٨) البغوي ١١/٣ الرازي ٢١/١٨.

(٩) أخرجه الطبري ٣٨٩/١٦ عن علي (٢٠٢٦١) وعن ابن عباس (٢٠٢٦٢) وعن الأسود بن يزيد (٢٠٢٦٣) والبخاري في الأدب

المفرد رقم (٧٢٢) وعن طائوس عند الطبري (٢٠٢٦٤) وانظر الدر المنثور ٥١/٤ وأخرجه مالك في الموطأ ٢٩٢/٢ في كتاب

الكلام باب القول إذا سمعت الرعد.

بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد (١) وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾ يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته، قال ابن عباس إنهم خائفون من الله وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره (٢) لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء، وقوله: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ قال المفسرون: نزلت في أربد (٣) وعامر بن الطفيل، أتيا النبي ﷺ يخاصمناه، ويريدان الفتك به، فقال النبي ﷺ، «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأرسل الله عز وجل صاعقة على أربد في يوم صائف صاح فأحرقته، وولى عامر هارباً (٤) وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ قال «ابن عباس» يكذبون بعظمة الله (٥) ﴿وهو شديد المحال﴾ قال «مجاهد والسدي» المحال القوة (٦) أي: شديد القوة وقال الزجاج: يقال: ماحلته محالاً إذا قاوته حتى يتبين أيكما أشد، والمحل في اللغة الشدة (٧) قوله: ﴿له دعوة الحق﴾ المراد بدعوة الحق هنا كلمة التوحيد والإخلاص والمعنى: لله من خلقه الدعوة الحق، وأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو الحسن السراج نا محمد بن عبد الله الحضرمي نا محمد بن عبد الله بن نصير نا يحيى بن اليمان، عن سفيان عن سلمة بن كهيل (٨) عن عباية بن ربيعي، عن علي: له دعوة الحق

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٩/٢ وأخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ٣٤٩/٢ وتعقبه الذهبي بقوله صدقة واه فأخرجه البغوي في التفسير ٣٦٤/٤.

(٢) البغوي ١١/٣.

(٣) أربد بن شريح بن بجير، من ذبيان شاعر، من الأشراف الشجعان في الجاهلية، وأحد فرسانها المشهورين. انظر الاعلام (٢٨٦/١).

(٤) أخرجه الطبري ٣٩٢/١٦ (٢٠٢٧٢) وذكره الهيثمي في المجمع ٤١/٧ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وقال وفي إسنادها عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف والبغوي في التفسير ١١/٣.

(٥) يعني هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوهاً: أحدها: أن يكون المراد الرد على الكافر الذي قال: أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد. وثانيها: أن يكون المراد الرد على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر والنشر. وثالثها: أن يكون المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات. ورابعها: أن يكون المراد الرد عليهم في استنزاع عذاب الاستئصال. وفي هذه الواو قولان: الأول أنها للمحال، والمعنى: فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله، وذلك أن أربد لما جادل في الله أحرقته الصاعقة. والثاني: أنها واو الاستئناس كأنه تعالى لما تمم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك (وهم يجادلون في الله) انظر الرازي (٢٢/١٩، ٢٣).

(٦) البغوي ١١/٢ وأخرجه الطبري عن قتادة وابن زيد ٣٩٦/١٦ (٢٠٢٧٥) (٢٠٢٧٩).

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٣.

(٨) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي التنعي أبو يحيى الكوفي قال يحيى بن سلمة بن كهيل: ولد أبي سنة سبع وأربعين ومات يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومائة وكذا قال غير واحد وقال ابن سعد وغيره مات سنة (٢٢) وقال محمد بن عبد الله الحضرمي وهارون بن حاتم مات سنة (١٢٣) قال ابن المدينة في العلل لم يلق سلمة أحداً من الصحابة إلا جندياً وأبا جحيفة وقال الوليد ابن حرب عن سلمة: سمعت جندياً ولم أسمع أحداً غيره، يقول: قال النبي ﷺ. وذكره ابن حبان في الثقات وقال الأجرى قلت لأبي داود أيما أحب إليك حبيب بن أبي ثابت أو سلمة. فقال سلمة، قال أبو داود: كان سلمة يتشيع وقال عبيد بن جناد عن عطاء الخفاف: أتى سلمة بن كهيل زيد بن علي بن الحسين لما خرج منها عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة فأبى، فقال له: فتأذن لي أن أخرج من البلد فقال لما؟ قال: لا آمن أن يحدث لك حدث فلا آمن على نفسي قال فأذن له فخرج إلى اليمامة. وقال النسائي هو أثبت من الشيباني.

قال: لا إله إلا الله. وهذا قول ابن عباس وقتادة^(١)، وقال الحسن: الله الحق، فمن دعاه دعا الحق^(٢) وقوله: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني الأصنام يدعونها المشركون من دون الله ﴿لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ قال الزجاج «إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه إلى الماء يدعو الماء إلى فيه والماء لا يستجيب^(٣)» أعلم الله أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فمه ﴿وما هو ببالغ﴾ وما الماء ببالغ فاه بدعوته إياه قال الكلبي: كما دأب يده إلى الماء من مكان بعيد فلا يبلغه ولا يبلغ الماء فاه^(٤) وقال عطاء: كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر، يمد يده إلى البئر، فلا يبلغ قعر البئر، والماء لا يرتفع إلى يده^(٥) قوله: ﴿ما دعاء الكافرين﴾ قال «ابن عباس»: يريد عبادة الكافرين الأصنام^(٦) ﴿إلا في ضلال﴾ بطلان وزوال قوله: ﴿والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً﴾ يعني الملائكة، والمؤمنين ﴿وكرهاً﴾ يعني: من أكره على السجود من الكافرين والمنافقين هذا قول المفسرين^(٧) وقال أهل المعاني: سجود الكاره تذلل وانقياده لما يريد الله منه، من عاقبة ومرض وغنى وفقير وحياة وموت، فالكافر في حكم الساجد لله من هذا الوجه^(٨) ومعنى السجود في اللغة التذلل والخضوع، وهذا كقوله: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ وقوله: ﴿وظلالهم بالغدو﴾ والآصال قال المفسرون^(٩): كل شخص مؤمن أو كافر فإن ظله يسجد لله تعالى قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره^(١٠) وقال أهل المعاني^(١١): سجود الظلال تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر.

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

قوله: ﴿قل من رب السموات والأرض قل الله﴾ السؤال والجواب، جاء من جهة واحدة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق السموات والأرض والمخلوقات كلها، قفوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾^(١٢) فإذا أجاب النبي ﷺ بقوله:

(١) الطبري ٣٨٩/١٦، (٢٠٢٨٠)، (٢٠٢٨١)، (٢٠٢٨٤) عن ابن عباس وعن قتادة (٢٠٢٨٣) عن ابن زيد (٢٠٢٨٥) والبيهقي عن ابن عباس ١٢/٣ والرزي ٢٣/١٩ وابن كثير ٣٦٧/٤.

(٢) الرزي ٢٣/١٩ زاد المسير ٣١٧/٤.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٣.

(٤) الطبري ٤٠٢/١٦ عن ابن عباس (٢٠٢٩٤).

(٥) البغوي ١٢/٣ وانظر فتح القدير ٧٧/٣.

(٦) الطبري ٤٠٣/١٦ البغوي ١٢/١١.

(٧) الرزي ٢٥/١٩ فتح القدير ٧٣/٢.

(٨) الطبري ٤٠٣/١٦ الرزي ٢٥٠٢٤/١٩ البغوي ١٢/٣.

(٩) سورة الزخرف (٨٧).

الله، لم ينكروا ويصبروا كأنهم قالوا ذلك، ثم ألزمهم الحجة، فقال: ﴿قل أفأتخذتم من دونه أولياء﴾ قال ابن عباس: توليتم غير رب السماء والأرض أصناماً^(١) لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام، وللذي يعبد الله، فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ يعني: الشرك والإيمان، وقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه﴾ قال ابن الأنباري^(٢): معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر على هذا، حتى يشتبه الأمر، بل إذا فكروا بعقولهم، وجدوا الله هو المنفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون خلقاً يشابه بخلق الله، وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ قال الزجاج: قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء^(٣) والمعنى: أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً، ألا ترى أنه هو شيء وهو غير مخلوق؟ قوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد قرآنًا وهو مثل ضربه الله تعالى^(٤) ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أودية جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين، يجتمع إليه ماء المطر فيسيل، والقدر والقدر مبلغ الشيء والمعنى: بقدرها من الماء، فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع كثر، قال ابن الأنباري^(٥): شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر وشبه الأودية بالقلوب، إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين وقوله ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ طافياً عالياً فوق الماء^(٦) قال ابن عباس^(٧) هو الشك والكفر، ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ يعني: ما يذاب من الجواهر فيدخل النار ويوقد عليها ﴿ابتغاء حلية﴾ يعني الذهب والفضة ﴿أو متاع﴾ يعني: الحديد والصفير والنحاس والرصاص تتخذ منها الأواني، والأشياء التي ينتفع بها، وقوله: ﴿زبد مثله﴾ أي: زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ﴿كذلك﴾ كما ذكر من هذه الأشياء ﴿يضرب الله﴾ مثل ﴿الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ والجفاء: ما جافاه الوادي أي رمى به، قال الفراء: الجفاء الرمي، يقال: جفا الوادي غثاء جفاء إذا رماه والجفاء بمنزلة الغثاء وهذان مثالان ضربهما الله للحق والباطل، يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه فإن الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق، وأهله كالزبد الذي يعلو الماء فيلقيه الماء ويضمحل وكخبث هذه الجواهر يقذفه الكبير، وهذا مثل الباطل وأما الماء الذي ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من الجواهر يبقى خالصاً لا شوب فيه وهو مثل الحق^(٨) قال الزجاج^(٩): فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء المستنفع به من نبات الأرض وحياة كل شيء وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر،

(١) انظر تفسير البغوي ١٣/٣.

(٢) زاد المسير ٣٢٠/٤ فتح القدير ٧٤/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٣، فتح القدير ٧٤/٣.

(٤) الطبري ٤١٠/١٦ (٢٠٣١١)، ابن كثير ٣٦٩/٤ البغوي ١٣/٣.

(٥) انظر البحر المحيط ٣٨٠/٥ وفتح القدير ٧٥/٣.

(٦) قال الفراء: يقال أزيد الوادي إزباداً، والزبد الاسم وقوله رابياً قال الزجاج: طافياً عالياً فوق الماء. وقال غيره: زائداً بسبب

انتفاخه، يقال: ربا يربو إذا زاد. والمراد من هذا تشبيه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء. فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الوادي وتدفعه

الرياح. فكذلك يذهب الكفر ويضمحل.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٣/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٦٢/٢ الرازي ٣٠/١٩.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٥/٣.

لأنها كلها تبقى منتفعا بها، ومثل الكافر وكفره، كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما يخرجها الناس من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به، قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيدهِ وشريعته ﴿الحسنَى﴾ الجنة ﴿والَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ إلى قوله ﴿لافتدوا به﴾ أي لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، وقوله ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ قال «المفسرون» هو ألا يقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة^(١).

أخبرنا: نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين، أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد الصوفي أنا محمد بن أيوب، أنا موسى بن إسماعيل، نا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي^(٢)، قال: قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد، أتدري ما سوء الحساب؟ قال قلت: لا. قال هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء^(٣).

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذِرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ وَالَّذِينَ يُوَفُّونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۚ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۚ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۚ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۚ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۚ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ۚ﴾

قوله: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل^(٤) يعني: أن أبا جهل أعمى القلب، لا يهتدي إلى طريق الرشد ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ويتذكر ما رغب فيه من الجنة ﴿أولو الألباب﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار^(٥) ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ قال: يريد الذين عاهدهم عليه في صلب آدم ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني: الأرحام، وقال «ابن عباس» يعني الإيمان بجميع الرسل^(٦) وهو أن يصل بينهم بالإيمان بالجميع، كما أخبر عن المؤمنين في قولهم: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾

(١) الطبري ٤١٧/١٦ البغوي ١٤/٣ الرازي ٣١/٢٠ وانظر الدر المنثور ٥٦/٤.

(٢) فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري من سبحة البصرة، وقيل من سبحة الكوفة وقال الجوزجاني عن أحمد: يروي عن مرة منكرات وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ليس بذلك وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال البخاري في حديثه: منكرات وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وروى عنه الناس؛ وقال النسائي: ليس بثقة وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح ضعيف الحديث جداً. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث وكان حائكاً. وقال ابن عدي: كان يعد من صالح أهل البصرة وليس هو كثير الحديث. وقال ابن سعد: مات بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، بقية كلام ابن سعد وكان ضعيفاً منكر الحديث، وقال العجلي: بصري لا بأس به رجل صالح. انظر تهذيب التهذيب (٨/٢٦٢).

(٣) الطبري ٤١٧/١٦ (٢٠٣٢٨) (٢٠٣٣٤) والبغوي ١٤/٣ وانظر الدر المنثور ٥٦/٤.

(٤) البغوي ١٤/٣ البحر المحيط ٣٨٤/٥

(٥) والعبرة بعموم اللفظ فالمراد أنه لا ينتفع بهذه الأمثلة إلا أرباب الألباب الذين يطلبون من كل صورة معناها، ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون بظاهر كل حديث إلى سره ولبابه. انظر الرازي (١٩/٣٢).

(٦) البغوي ١٤/٣ الرازي ٣٤/١٨ والاكثرون على أنه أراد به صلة الرحم والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحويج وبذل المعروف.

﴿والذين صبروا﴾ أي: على دينهم، وما أمروا به من الطاعة ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلب تعظيم الله، وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل^(١)، كما روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تمحها»^(٢) وقال ابن كيسان^(٣): هو أنهم كلما أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة معرة الذنب ﴿وأولئك لهم عقبى الدار﴾ قال ابن عباس: يريد عقابهم الجنة^(٤)، أي: تصير الجنة لهم آخر أمرهم ثم بين ذلك فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ءابائهم﴾ قال ابن عباس: ومن صدق بما صدقوا به^(٥) وقال مجاهد^(٦): ومن آمن منهم وذلك أن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾^(٧) ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحفة والهدايا^(٨) ويقولون: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي: سلمكم الله من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا على طاعته ﴿فنعم عقبى الدار﴾ ما أنتم فيه من الكرامة أي: نعم عقبى الدار التي عملتم فيها ما أعقبكم هذه الكرامة، قوله ﴿والذين ينقضون عهد الله﴾ مفسر إلى آخر الآية فيما سبق^(٩). ﴿الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يضيق ويقتصر، كقوله: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾^(١٠) ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: «يريد مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا، فطغوا وكذبوا الرسول^(١١)» ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إلا متاع﴾ أي: قليل ذاهب، كالشيء الذي يتمتع به ثم يفنى.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۚ ۲۸ ۚ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَتَابٍ ۚ ۲۹ ۚ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتَلَوُنَّ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ۚ ۳۰ ۚ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۚ ۳۱ ۚ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسِلَ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۚ ۳۲ ۚ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ

(١) الطبري ٤٢٢/١٦ عن ابن زيد (٢٠٣٣٧) وأخرجه البغوي عن ابن عباس ١٦/٣ وانظر تفسير ابن كثير ٣٧٢/٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٦٩/٥ وسعيد بن منصور في السنن ٦٤/٣ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢١٧، ٥٢١٨ والبغوي في التفسير ١٦/٣ ذكره الهيثمي في المجمع ٨١/١٠ وعزاه لأحمد وقال رجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه ولم يسم أحداً

منهم وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤٠٦/١ وفي الدر المنثور ٣٥٤/٣ وابن الشجري ٢٥/١ وابن كثير ٢٨٩/٤.

(٣) البغوي ١٦/٣.

(٨) انظر فتح القدير ٧٩/٣.

(٤) البغوي ١٦/٣ وانظر الطبري ٤٢٢/١٦.

(٩) انظر تفسير سورة البقرة رقم (٧٢).

(٥) الرازي ٣٦/١٩.

(١٠) سورة الطلاق (٧).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٤٢٤/١٦ (٢٠٣٤١) وانظر فتح القدير ٨٠/٢.

(١١) انظر البغوي ١٧/١٣.

(٧) سورة الطور (٢١).

شُرَكَاءَ قُلُوبِهِمْ أَمْ تَتَّبِعُونَ مَا لَا يُعَلِّمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهْرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ
وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ
وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعُودُ الْمَتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ
وَزُلْفَاهَا تِلْكَ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ نزلت في أهل مكة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات
﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ قال ابن عباس: «يريد عن دينه»^(١) يعني كما أضلكم بعدما أنزل من الآيات
وحرملك الاستدلال بها ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ رجع إلى الحق وإنما يرجع إلى الحق من يشاء الله فكأنه
قال: ويهدي إليه من يشاء، كما قال في آيات: ﴿ويهدي من يشاء﴾^(٢) قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من قوله:
﴿من أناب﴾ المعنى: يهدي إليه الذين آمنوا ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ إذا سمعوا ذكر الله أحبوه، واستأنسوا به،
وقال الزجاج: أي إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكين^(٣) بخلاف من وصف بقوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾^(٤) وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يعني: قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير
مطمئن القلب ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ أكثر المفسرين على أن طوبى اسم شجرة في الجنة وهو
قول أبي هريرة ومغيث بن سمي^(٥) وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل وابن عباس في رواية الكلبي وعطاء^(٦) وروي
ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن حيان نا محمد بن حمزة بن عمار نا
جعفر بن عنبسة^(٧) حدثني أبي عنبسة بن عمرو^(٨) عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني^(٩) عن جوير عن الضحاك عن
ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله في كتابه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ فقال: «أما
طوبى، فشجرة في الجنة، ليست دار من دور الجنة إلا وفيها غصن من أغصانها، لو أن طائراً طار في غصن من
أغصانها لقتله الهرم قبل أن يبلغ فرعه، ولو أن رجلاً عمر أعمار الأولين ركب حقة^(١٠) أو جذعة^(١١)، ثم طاف بساقها،

(١) انظر البغوي ١٧/٣.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٣.

(٣) سورة يونس (٢٥) سورة النحل (٩٣) سورة فاطر (٨).

(٤) سورة الزمر (٤٥).

(٥) مغيث بن سمي الأوزاعي أبو أيوب الشامي. روى عن عمر بن الخطاب وأبي مسعود وأبي هريرة وابن الزبير وكعب الأحمار وغيرهم، وقال يعقوب بن سفيان: شامي ثقة، وقال الأجرى عن أبي داود: ثقة، وقال الوليد عن أبي بكر بن سعيد عن مغيث بن سمي: لقيت زهاء ألف من الصحابة وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب (٢٥٥/١٠).

(٦) انظر تفسير الطبري ٤٣٦/١٦ البغوي وابن كثير ٣٧٦/٤ الرازي ٤٠/١٩ فتح القدير ٨٢/٢.

(٧) جعفر بن عنبسة بن عمرو الكوفي وثقة الطوسي انظر لسان الميزان ١٢٠/٢.

(٨) عنبسة بن أبي عمرو. تابعي مجهول انظر ميزان الاعتدال (٣٠٢/٣).

(٩) إسماعيل بن زياد ويقال ابن أبي زياد السكوني قاضي الموصل. روى عن ابن جريج وشعبة والثوري وثور بن يزيد وغيرهم، قال الخطيب: أنا البرقاني قال سألت الدارقطني عن إسماعيل بن أبي زياد، فقال هو السكوني متروك يضع الحديث، التهذيب (٢٨٩/١).

(١٠) والحقة من الإبل هي التي دخلت في السنة الرابعة النهائية في غريب الحديث (٤١٥/١).

(١١) وهي التي استكملت أربع سنين ودخلت في السنة الخامسة النهائية (٢٥١/١).

لقتله الهرم قبل أن يبلغ الموضع الذي ابتداء منه، ليس منها ورقة إلا تظل أمة من الأمم، وليس منها ورقة إلا عليها ملك يذكر الله ويسبحه، وليس منها ورقة لو جمع الشمس والقمر إلا طمست ضوءهما، منها كسوة أهل الجنة وحليهم ورقها حلل، وأغصانها حلى، ووحلها المسك والعنبر، وترابها الورس^(١) والزعفران وحصباؤها الدر والياقوت، وهي مجلس أهل الجنة ومتحدثهم^(٢).

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز في كتابه أنا محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يزيد أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: «طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل برحالها وأزمتها، وعما شاء من الكسوة»^(٣).

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: طوبى اسم الجنة بالحبشة^(٤) هو قول مجاهد في رواية شبل قال: «طوبى اسم الجنة»^(٥) وقال أبو عبيدة والزجاج وأهل اللغة: «طوبى فُعَلَى من الطيب» قال ابن الأنباري: «تأويلها: الحال المستطابة»^(٦) لهم. وقوله: ﴿كذلك أرسلناك﴾ أي: أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿في أمةٍ قد خلت من قبلها أمم﴾ قال ابن عباس: «في قرون قد مضت من قبلها قرون» ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ يعني القرآن. ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ كان في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فلما سمعه يذكر الرحمن ولي مدبراً إلى المشركين وقال لهم: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو إلهاً آخر يقال له الرحمن، فأنزل الله هذه الآية^(٧).

وقوله: ﴿قل هو ربي﴾ أي: قل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو إلهي وسيدي ﴿لا إله إلا هو﴾ قوله: ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآية، قالت قريش للنبي ﷺ: إن كنت كما تقول: فادع الله يسير عنا هذه الجبال، فإن أرضنا ضيقة، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً، حتى نفرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا، ويخبرونا أنك نبي، فأنزل الله: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ أي: جعلت تسير ﴿أو قطعت به الأرض﴾ أي: شققت، فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أو كلم به الموتى﴾ أي: أحيوا حتى كلموا، وجواب لو محذوف قال الفراء^(٨): «تقديره: لكان هذا القرآن والمعنى: لو أن قرآناً فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن» وقال الزجاج: «جوابه لما آمنوا»^(٩) وهو قول ابن عباس، قال: يريد لو قضيت ألا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ولا على الأرض إلا تحرقت ولا على الموتى إلا أحيوا

(١) نبت أصفر يصبغ به النهاية في غريب الحديث ١٧٣/٥.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٣٨٠/٤ وقال هذا سياق غريب وأثر عجيب وأرى أنه لا يصح البتة. وإن كان لبعض سياقه شواهد صحيحه.

(٣) في إسناده محمد بن يزيد وضاع وقد تقدم الكلام عليه وذكره الطبري في التفسير ٤٣٨/١٦ (٢٠٣٨٤) (٢٠٣٨٦) وذكره السيوطي في الدر ٥٩/٤ وذكره ابن كثير في التفسير نقلاً عن ابن جرير ٣٧٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري ٤٣٦/١٦ (٢٠٣٧٥) وانظر الدر المنثور ٥٩/٤.

(٥) الطبري ٤٣٧/١٦ (٢٠٣٧٩).

(٦) انظر التهذيب ٩٣/١٤ وانظر تفسير الرازي ٤٠/١٩ فتح القدير ٨١/٣.

(٧) البغوي ١٩/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٥٧/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٨/٣.

وتكلموا، ما آمنوا لما سبق عليهم في علمي، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ إلى قوله ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾^(١) ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ يقول: دع ذاك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره، فالأمر لله جميعاً، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وإذا لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال وما اقترحوا من الآيات، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿أفلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ قال ابن عباس: «أفلم يعلم^(٢)» وقال الكلبي: «يئس يعلم في لغة النخع^(٣)» وهذا قول مجاهد والحسن وقتادة^(٤) وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة﴾ أي: بما صنعوا من كفرهم، وأعمالهم الخبيثة داهية تقرعهم، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والحرب والجذب، وقال مجاهد وأبو سعيد الخدري: هي السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إليهم^(٥) ﴿أو تحل﴾ تنزل أنت يا محمد قريباً من دارهم ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ يعني فتح مكة، وعده الله أن يفتحها له ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ثم عزى رسول الله ﷺ فقال: ﴿ولقد استهزئ برسلكم من قبلك فأملت للذين كفروا﴾ أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة، ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ قال ابن عباس: «يريد كيف رأيت ما صنعت بهم، كذلك أصنع بمشركي^(٦) قومك» قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ قال ابن عباس^(٧): «كذلك أمتنع يريد نفسه تبارك وتعالى» ومعنى القيام ها هنا التولي لأمر خلقه، والتدبير للأرزاق والأجال، وإحصاء الأعمال للجزاء، كقوله: ﴿قائماً بالقسط^(٨)﴾ أي: والياً لذلك، والمعنى ها هنا: أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت، وتلخيصه: أفمن هو مجاز كل نفس بما كسبت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تتفعل ولا تضر؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ قال الفراء:

(١) سورة الأنعام (١١١).

(٢) الطبري ٤٥٠/١٦، ٤٥٢ الرازي ٤٣/١٩.

(٣) قال أبو جعفر: فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقوله ذلك بيت سحيم بن وثيل الرياحي:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تئأسوا أني ابن فارس زهدم

ويروى «بيسروني» فمن رواه (بيسروني) فإنه أراد: يقتسمونني من الميسر كما يقسم الجذور ومن رواه: (يأسروني) فإنه أراد الأسر. وقال عن بقوله: ألم تئأسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضاً في ذلك:

ألم يئأس الأقبام أني أنا آبنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائياً

وفسروا قوله (ألم يئأس) ألم يعلم ويتبين؟ وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع يقال لهم: (دهبيل) تقول: (ألم تئأس كذا) بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وأنهم يقولون: يشت كذا علمت. وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول (يشت) ويقول هو في المعنى وإن لم يكن مسموعاً (يشت) بمعنى علمت يتوجه إلى ذلك، إذ انه قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، فقال: «أفلم يئأسوا علماً» يقول يؤيسهم العلم فكان فيه «العلم» مضمرأ، كما يقال: «قد يشت منك أن تفلح علماً» كأنه قيل «علمته علماً» قال: وقول الشاعر:

حتى إذا يش الرماة أرسلوا غصفاً دواجن قافلاً أعصامها

معناه: حتى إذا يشوا من كل شيء مما يمكن، إلا الذي ظهر لهم، أرسلوك فهو في معنى: حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يأساً. انظر الطبري (٤٥٠/١٦).

(٤) الطبري ٤٥١/١٦ وانظر البغوي ٢٠/٣. وانظر الدر المنثور ٦٣/٤.

(٥) وانظر السيوطي في الدر ٦٣/٤ وانظر تفسير البغوي ٢٠/٣، وذكره الشوكاني في الفتح ٨٦/٣ وعزه للفريابي وعزه للطيالسي وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وذكر مثله أيضاً عن ابن عباس وعزه للطيالسي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) الطبري ٤٦٠/١٦.

(٧) بنحوه عند البغوي ٢١/٣ وانظر تفسير الرازي ٤٥/١٩.

(٨) سورة آل عمران ١٨.

«كأنه في المعنى قال: أضمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركاتهم الذين اتخذوهم^(١)» ﴿قل سموهم﴾ بما يستحقون من الصفات، وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله، كما يوصف الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والمعنى يعود إلى أن الصنم لو كان إلهاً لتصور منه أن يخلق ويرزق، ولحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق قوله: ﴿أم تثبتونه بما لا يعلم في الأرض﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، وتأويل الآية: فإن سموهم بصفات الله، قل: أنتثبتونه بما لا يعلم في الأرض، أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه؟ على معنى: أنه ليس، ولو كان لعلم ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم يقولون مجازاً من القول، وباطلاً لا حقيقة له، أي: إنه كلام ظاهر، وليس له في الحقيقة باطن ومعنى، فهو كلام باللسان ﴿بل﴾ دع ذكر ما كنا فيه ﴿زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال ابن عباس: «زين الشيطان لهم الكفر»^(٢)، وذلك أن مكرهم بالرسول ﷺ كفر منهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ قال ابن عباس: «وصدهم الله عن سبيل الهدى»^(٣) وضم الصاد قراءة أهل الكوفة، ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى: أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان ﴿ومن يضل الله فما له من هادٍ﴾ يهديه إلى الخير والإيمان ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ يعني الأسقام والقتل والأسر، هي لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمن كفارة ﴿وللعذاب الآخرة أشق﴾ أشد وأغلظ ﴿وما لهم من الله﴾ من عذاب الله ﴿من واقٍ﴾ مانع يمنعهم قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي: صفتها، قال ابن قتيبة^(٤): «المثل: الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير المعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا، أي: صورته ووصفه» أراد الله بقوله: ﴿مثل الجنة﴾ أي صورته وصفته، ثم ذكرها، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ قال الحسن: «يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وظلها﴾ لأنه لا يزول، ولا تتسخه الشمس»^(٥) ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها، وعاقبة الكافرين المصير إلى النار قوله:

وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ آدَعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۚ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أُمَّةً مِمَّنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۚ

﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ قال المفسرون: «إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن، مع كثرة ذكره في التوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾^(٦) ففرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب، وكفر المشركون بالرحمن، وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة ﴿من ينكر بعضه﴾ يعني ذكر الرحمن، وهذا

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٤/٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ٤٦٦/١٦ البغوي ٢١/٣.

(٣) الطبري ٤٦٦/١٦ البغوي ٢١/٣.

(٤) انظر حجة القراءات (٣٧٣ - ٣٧٤) وانظر النشر ٢٨٩/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٦٢/٢ وانظر تفسير الطبري ٤٦٧/١٦.

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن (٢٣٥).

(٦) انظر الرازي ٤٧/١٩ زاد المسير ٣٣٤/٤ وانظر تفسير ابن كثير ٣٨٥/٤.

(٧) سورة الإسراء (١١٠) وانظر تفسير الرازي ٤٨/١٩ وفتح القدير ٨٧/٣.

كقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ [إلى آخره] ^(١) قوله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء الذين تقدموا، أنزلنا إليك القرآن ﴿حكماً عربياً﴾ قال ابن عباس: يريد ما حكم من الفرائض ^(٢) في القرآن ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بوحدانية الله تعالى وذلك أن المشركين دعوه إلى ملة آبائهم، فتوعده الله على اتباع أهواءهم بقوله:

﴿ما لك من الله من ولي ولا واقٍ﴾ أي ما لك من عذاب الله مانع يمنعك قوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩ وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝٤٠

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ قال الكلبي: «عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى للرجل همة إلا النساء، والنكاح ولو كان نبياً، لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية ^(٣) يقول: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ وجعلناهم بشراً لهم أزواج فنكحوهن وأولاد أنسلوهم، وذلك قوله: ﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾.

أخبرنا أبو منصور الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير أنا محمد بن أيوب نا أبو الوليد الطيالسي نا حسين بن رافع العبدي عن الحسن بن سعد بن هشام ^(٤) قال: دخلت على عائشة فقلت لها: إني أريد أن أتبتل، قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ^(٥)﴾ فلا تتبتل.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ هذا جواب للذين تحكموا عليه في طلب الآيات والمعنى: أن حال محمد كحال الرسل الذين تقدموا في أنهم كانوا لا يأتون بآية إلا بإذن ربهم، لا على تحكم العباد بأهوائهم ﴿لكل أجل كتاب﴾ لكل أجل قدره الله، ولكل أمر قضاه كتاب أثبت فيه، فلا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب وكذلك كل أمر قوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ذهب قوم إلى أن هذا عام في كل شيء، كما يقتضيه ظاهر اللفظ، وقالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، وهو مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل وقتادة والضحاك وابن جريج قالوا: «أم الكتاب عند الله يمحو الله ما يشاء منه ويثبت» ^(٦) ونحو هذا روي «أبو الدرداء» عن النبي ﷺ قال: إن الله سبحانه في ثلاث ساعات ييقن من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر

(١) سقط في ب، ج.

(٢) زاد المسير ٤/٣٣٦.

(٣) أسباب النزول للمصنف رحمه الله ص (٢٧٩). وانظر الدر المنثور (٤/٦٥).

(٤) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس. روى عن أبيه وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأنس رضي الله عنهم وعنه حميد بن هلال وزرارة بن أبي أوفى وحמיד بن عبد الرحمن الحميري، والحسن البصري. قال النسائي: ثقة وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله. وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله تعالى، وذكره ابن حبان في الثقات، قال قتل بأرض مكران غازياً. انظر التهذيب (٣/٤٨٣).

(٥) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/٨٩ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: إني أريد الخ.

(٦) أخرجه الطبري ١٦/٤٧٩ وما بعدها زاد المسير ٤/٣٣٧ البحر المحيط ٥/٣٩٨ البغوي ٣/٢٣.

فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء^(١)» ومعنى أم الكتاب: أصل الكتاب الذي أثبت فيه الكائنات والحدائث .
وروى عكرمة عن ابن عباس قال: «هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب، يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء» وهذه رواية «عمران بن حصين» عن النبي ﷺ وقال قوم: إن الله تعالى يمحو ما يشاء، ويثبت إلا الشقاوة والسعادة، والموت والحياة والرزق والأجل.

ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه أنا أبو القاسم البغوي نا داود بن عمرو نا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار أنه سمع أبا الطفيل يقول: قال حذيفة بن أسيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا مضت على النظفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله عز وجل، ويكتب الملك فيقول: أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها» رواه مسلم^(٢) عن ابن نصير عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وقال سعيد بن جبيرة وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه^(٣) وهذا القول اختيار أبي علي الفارسي قال: هذا والله أعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات، فأما ما كان من غير ذلك فلا يمحي ولا يبدل وقال الكلبي والضحاك: «إن الذي يمحوه الله ويثبته ما تصعد به الحفظة مكتوباً على بني آدم فيأمر الله أن يثبت ما فيه ثواب وعقاب، ويمحي عنه ما لا ثواب فيه ولا عقاب^(٤)».

وقوله: ﴿وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب أي نعدهم، وأنت حي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أي: فليس عليك إلا أن تبلغ، كفروا هم أو آمنوا ﴿وعلينا الحساب﴾ وعلينا أن نجازيهم، قوله:

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكَفَرِ لِمَنْ عُقِبَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض مكة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتح على المسلمين منها يريد ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك قال الضحاك: «أو لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ما حوله من

(١) أخرجه الطبري ٤٨٩/١٦ (٢٠٥٠٣) وفيه زيادة بن محمد الأنصاري منكر الحديث وذكره الهيثمي في المجمع ٤١٢/١ وأعله بما سبق وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٣٩.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٤٨٠/١٦ (٢٠٤٧٤)(٢٠٤٧٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/٣٤٩ وقال غريب صحيح.

(٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٣٧ في كتاب القدر باب كيفية الخلق ٣/٢٠٣٧ وأخرجه أحمد في المسند ٦/٤.

(٤) البغوي ٣/٢٢ وينحوه عند الطبري من طريق الضحاك ٤٨٤/١٦ (٢٠٤٨٦) وأخرجه من طريق قتادة ٤٨٥/١٦ - ٤٨٦ (٢٠٤٩٠) زاد المسير ٤/٣٣٧.

(٥) وينحوه عند الطبري ٤٨٧/١٦ زاد المسير ٤/٣٣٧ والبغوي ٣/٢٣.

القرى^(١)» وقال مقاتل الأرض مكة ونقصها من أطرافها غلبة المؤمنين عليها^(٢) وهذا قول الحسن وقال الزجاج: «أعلم الله أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر، يقول: ولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، فكيف لا يعتبرون^(٣)؟» «والله يحكم لا معقب لحكمه» قال ابن عباس: «لا ناقض لحكمه^(٤)» وقال الفراء: «لا راد لحكمه^(٥)» والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه، ولا يستدرك أحد على حكم الله «وهو سريع الحساب» أي المجازاة بالخير والشر، قوله: «وقد مكر الذين من قبلهم» يعني الكفار الأمم الخالية، مكروا بأبيائهم «فلله المكر جميعاً» يعني أن مكر الماكرين مخلوق له، فلا يضر إلا بإرادته وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأمان له من مكروهم كأن قيل: قد فعل من قبلهم من الكفار مثل فعلهم فلا ضرر عليك من مكروهم «يعلم ما تكسب كل نفس» يريد أن جميع الاكتساب معلوم له، فلا يقع ضرر إلا بإذنه «وسيعلم الكفار» قال «ابن عباس»: «يريد أبا جهل^(٦)» «وقال الزجاج»: «الكافرها هنا اسم الجنس، كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس^(٧)، ومن قرأ^(٨) الكفار أراد جميع الكفار» «لمن عقبى الدار» لمن الجنة آخر الأمر «ويقول الذين كفروا» يعني مشركي مكة «لست مرسلًا» إلينا بالنبوة «قل» لهم «كفى بالله» كفى الله والباء أدخلت للتأكيد «شهاداً» شهاداً «بيني وبينكم» أي: بما أظهر من الآيات وأبان من الأدلة على نبوتي «ومن عنده علم الكتاب» قال الحسن ومجاهد: «هو الله عز وجل^(٩)» واختاره الزجاج فقال: «لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره^(١٠)» وقال عكرمة وقتادة: «يعني علماء أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري^(١١)» قال ابن الأنباري: جعل قول هؤلاء وشهادتهم قاطعة لقول الخصوم، لأنهم العالمون بالكتب القديمة فليل: كفى بهؤلاء شهوداً عليكم، وهم شاهدون لمحمد ﷺ بالنبوة والصدق^(١٢) والله أعلم^(١٣)

- (١) الطبري ٤٩٤/١٦ (٢٠٥١٨) انظر زاد المسير ٣٤٠/٤ البغوي ٢٤/٣. وأخرجه الطبري عن ابن عباس ٤٩٣/١٦ (٢٠٥١٤) وانظر فتح القدير ٩١/٣.
- (٢) أخرجه الطبري ٤٩٤/١٦ (٢٠٥١٧)، وانظر زاد المسير ٣٤٠/٤، وانظر تفسير البغوي ٢٤/٣.
- (٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥١/٣.
- (٤) انظر تفسير الطبري ٤٩٨/١٦ وانظر تفسير الرازي ٥٤/١٩، البغوي ٢٤/٣.
- (٥) انظر معاني القرآن للفراء ٦٦/٢ الرازي ٥٤/١٩ البغوي ٢٤/٣ فتح القدير ٩٠/٣.
- (٦) الرازي ٥٥/١٩ فتح القدير ٩١/٣.
- (٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥١/٣ انظر تفسير الرازي ٥٤/١٩ فتح القدير ٩١/٣.
- (٨) انظر حجة القراءات (٣٧٥) وانظر النشر ٢٩٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٦٣/٢.
- (٩) أخرجه الطبري ٥٠٤/١٦ (٢٠٥٤٦) (٢٠٥٤٧)، (٢٠٥٤٨)، (٢٠٥٤٩) الرازي ٥٦/١٩ زاد المسير ٣٤٢/٤ فتح القدير ٩١/٣، البغوي ٢٥/٣.
- (١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥٢/٣ الرازي ٥٦/١٩ فتح القدير ٩١/٣.
- (١١) أخرجه الطبري في التفسير ٥٠٣/١٦ (٢٠٥٤٣) (٢٠٥٤٤) الرازي (٥٦ - ٥٥/١٩) البغوي ٢٥/٣ وفتح القدير ٩١/٣.
- (١٢) انظر زاد المسير ٣٤١/٤.
- (١٣) سقط في أ، ب.

سورة إبراهيم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المقرئ الحيري بها أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم المدني نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام، وبعدد من لم يعبدها^(١).

الرَّكَتَبِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لِبَلَاءٍ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۚ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۚ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس^(٢) في رواية أبي صالح أنا الله أرى، وقال في رواية عطاء: أنا الله الرحمن^(٣) ﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ قال ابن عباس: «من الشرك إلى الإيمان»^(٤) ﴿بإذن ربهم﴾ قال الزجاج: بما أذن الله لك في تعليمهم، ودعائهم إلى الإيمان، ثم بين ما ذلك النور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو دين الإسلام الذي من سلكه أده إلى الجنة ﴿الله الذي﴾

(١) حديث واه تقدم الكلام عليه مراراً فاتبه حفظنا الله وإياك.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) البغوي ٢٥/٣ الطبري ٥١١/١٦.

من رفعه^(١)، قطعه مما قبله، وابتدأ به، وخبره الذي ومن خفضه جعله بدلاً من الحميد، وتفسير الآية ظاهر، قوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي: يؤثرونها، ويختارونها قال ابن عباس: «ما تجعل لهم من الدنيا، يأخذونه تهاوناً بأمر الآخرة واستبعاداً لها^(٢)» كقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن دين الله تعالى وطاعته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ ذكرنا تفسيره ﴿أولئك في ضلالٍ بعيدٍ﴾ قال الكلبي: في خطأ بعيد عن الحق^(٣)، قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ بلغتهم ليفهموا عنه، ويعقلوا وهو قوله: ﴿ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قال ابن عباس: «جعل المشيئة إليه وحده، لا شريك له^(٤)»، قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بالبراهين التي دلت على صحة نبوته مثل العصا واليد وغيرهما ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله^(٥)﴾ [الأيام]^(٦) يعبر بها عن النعم والنقم، لأنها كلها تقع فيها قال ابن السكيت: «العرب تقول: الأيام في معنى الوقائع يقال: فلان عالم بأيام العرب أي: بوقائعها^(٧)» قال ابن عباس: «يريد بنعم الله» وهو قول مجاهد وقتادة^(٨) وأبي بن كعب رواه عن النبي ﷺ في هذه الآية.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر نا محمد بن الحسن بن أحمد السراج نا محمد بن عبد الله الحضري نا عبد الحميد بن صالح نا محمد بن أبان^(٩) عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ قال: أيامه نعمه^(١٠) وقال مقاتل: «بوقائع الله في الأمم السالفة^(١١)» قال الزجاج: أي: ذكرهم بنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود^(١٢) والمعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات﴾ لدلالات على قدرة الله تعالى ﴿لكل صبار﴾ على طاعة الله وعن معاصيه ﴿شكور﴾ لأنعم الله، وما بعدها مفسر في سورة البقرة إلى قوله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ وهذا عطف على قوله: ﴿إذ أنجاكم﴾ كأنه قال: اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم، وإذ تأذن ربكم، وهو إخبار عما قال

(١) انظر حجة القراءات ٣٧٦، وانظر النشر ٢/٢٩٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٦ الرازي ١٩/٦٠ فتح القدير ٣/٩٣.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٣٤٥.

(٣) انظر الطبري ١٦/٥١٥.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٩/٦٣.

(٥) قال الواحدي: أيام جمع يوم، واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس إلى غروبها وكانت الأيام في الأصل أيام فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت إحداهما في الأخرى وغلبت الياء انظر الرازي ١٩/٦٦.

(٦) سقط في ب.

(٧) انظر التهذيب ١٥/٦٤٦ الرازي ١٩/٦٦ البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ فتح القدير ٣/٩٤.

(٨) أخرجه الطبري ١٦/٥٢٠ عن مجاهد (٢٠٥٦٨) (٢٠٥٦٩) (٢٠٥٧٠) (٢٠٥٧١) (٢٠٥٧٢) (٢٠٥٧٣) وعن سعيد بن جبير (٢٠٥٧٥) وقتادة (٢٠٥٧٦) (٢٠٥٧٧) وأخرجه الطبري في التفسير ٣/٢٦، وابن كثير ٤/٣٩٧.

(٩) محمد بن أبان بن عمران بن زياد بن ناصح كان فقيهاً، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ مات سنة ٣٨ وقال غيره: مات سنة ست أو سبع وثلاثين، وقال الأزدي ليس بذاك وقال مسلمة في الصلة: محمد بن أبان الواسطي أبا الحسن ثقة انظر التهذيب ٣/٩.

(١٠) إسناده ضعيف لضعف محمد بن أبان الجعفي، وأخرجه الطبري في التفسير (١٦/٥٢٢) (٢٠٥٧٩)، وذكره السيوطي في الدر ٤/٥٧٠، وزاد نسبته للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب ومن غير طريق المصنف الإمام مسلم في صحيحه (٤/١٨٥٠) في كتاب الفضائل باب (٤٦) (١٧٢/٢٣٨٠).

(١١) البغوي ٣/٢٦ زاد المسير ٤/٣٤٦ وانظر فتح القدير ٣/٩٤.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٥ فتح القدير ٣/٩٤.

موسى لقومه، ومعنى : تأذن : أعلم قال الفراء تأذن وآذن بمعنى واحد^(١)، وذكرنا هذا في سورة الأعراف وقوله : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ أي : مما يجب الشكر عليه، وهو النعمة، قال ابن عباس : «لئن وحدتموني، وأطعتموني لأزيدنكم طاعتي التي تقود إلى جنتي^(٢)» وقال قتادة في هذه الآية «حق على الله أن يعطي من سأله، ويزيد من شكره، والله منعم بحب الشاكرين فاشكروا الله على نعمه^(٣)» ومعنى شكر النعمة؛ الاعتراف بحق المنعم، والاعتراف بحق الله تعالى، هو التوحيد والطاعة ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم حقي، وحق نعمتي ﴿إن عذابي لشديد﴾ تهديد على كفران النعمة ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني﴾ عن خلقه لا يزيده طاعتكم ملكاً، ولا ينقص كفركم ملكوت الله شيئاً ﴿حميد﴾ في أفعاله، لأنه إما متفضل بفعله، أو عادل، ثم أخبرهم عن القرون الماضية، وعمما قالت لهم الرسل، وما ردوا عليهم فقال :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَكَ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ إلى قوله ﴿والذين من بعدهم﴾ أي : من بعد هؤلاء الذين ذكرهم ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ لا يحصي عددهم إلا الله، قال ابن عباس : «لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم^(٤)» قال ابن الأنباري : «إن الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفت آثارهم فليس يعرفهم أحد

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٦٩/٢ البغوي ٢٧/٣ فتح القدير ٩٦/٣.

(٢) انظر زاد المسير ٣٤٧/٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدرر ٧١/٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) بنحوه عند البغوي ٢٧/٣ وانظر تفسير الطبري ٥٢٩/١٦ وانظر تفسير الرازي ٧٠/١٩ وانظر فتح القدير ٩٧/٣.

إلا الله^(١) ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم﴾ قال ابن مسعود: عضوا عليها غيظاً^(٢) والمعنى: انهم نقل عليهم مكان الرسل، فعضوا على أصابعهم من شدة الغيظ وقال الكلبي: «وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا^(٣)» وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ﴿أي: على زعمكم بالإرسال لا أنهم أقرؤا أنهم أرسلوا﴾ قالت لهم ﴿رسلهم أفي الله شك﴾، وهذا استفهام إنكار، أي: لا شك في الله، والمعنى: في توحيد الله، ثم ذكر ما يدل على وحدانيته فقال: ﴿فاطر السموات والأرض يدعوكم﴾ بالرسل والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة: «من زائدة^(٤)» ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ لا يعاجلكم بالعذاب بل يؤخركم ويمتعمكم في الدنيا إلى الأجل المسمى لكم، وهو الموت ﴿قالوا﴾ للرسل ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما أنتم إلا مخلوقون مثلنا، ليس لكم علينا فضل ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا﴾ على ما تقولون ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة ظاهرة ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ اعترفوا لهم بأنهم آدميون مخلوقون مثلهم ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ يعنون بالنبوة والرسالة ﴿وما كان لنا أن تأتكم سلطان إلا بإذن الله﴾ ليس لنا أن نأتيكم ببرهان وحجة ومعجزة إلا أن يشاء الله ذلك، أي: ليس لنا ذلك من قبل أنفسنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ أي: أي شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوض إليه أمورنا يعني أن العبد وإن لم يتوكل، لم يدرك بجهد شياً لم يقضه الله ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ عرفنا طريق التوكل ﴿ولنصبرن على ما آذيتونا على الله فليتوكل المتوكلون﴾ وإنما قص هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ﷺ ليقنتدي بمن قبله من النبيين، ويعلم أنهم أودوا في سبيل الله، فصبروا وتوكلوا.

أخبرنا: محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزي أنا بشر بن أحمد بن بشر نا داود نا بن الحسن نا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي نا عاصم بن عبد الله نا إسماعيل بن جميع عن نعيم بن حكيم^(٥) عن أبي مريم الثقفي^(٦) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء، فاقراً عليه ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، [وتقول]^(٧):) فإن كنتم آمنتم بالله، فكفوا شركم، وأذاكم عنا، ثم ترش الماء حول فراشك، فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها^(٨).

(١) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٨/٤.

(٢) الطبري ٥٣١/١٦ (٢٠٥٩٤) ٢٧/٣ الرازي ٧٠/١٩ فتح القدير ٩٩/٣ ذكره السيوطي في الدر ٧٢/٤ وعزه لعبد الرزاق والفريابي وأبي عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٣) البغوي ٢٧/٣ الرازي ٧٠/١٩ وانظر تفسير ابن كثير ٤٠٠/٤. بنحوه ذكره السيوطي في الدر ٧٢/٤ عن ابن عباس وعزه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) والأولى له أن يعبر بكلمة صلة، حيث أجمع العلماء سلفاً وخلفاً بأنه لا زائد في القرآن ولكن هذا من تغيير النحاة فلا يجب أن يستخدم في مثل هذه المواطن وانظر مجاز القرآن ٣٣٦/١ وانظر تفسير البغوي ٢٧/٣.

(٥) نعيم بن حكيم المدائني أخو عبد الملك قال عبد الخالق بن منصور عن ابن معين ثقة وكذا قال العجلي، وقال ابن خراش صدوق لا بأس به، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال ابن سعد: لم يكن بذلك وذكره ابن حبان في الثقات. قال الأجري عن أبي داود: مات سنة ثمان وأربعين ومائة. ونقل الساجي عن ابن معين تضعيفه وقال الأزدي أحاديثه منكير. انظر التهذيب (٤٥٨/١٠).

(٦) أبو مريم الثقفي المدائني ويقال: كوفي عن علي وعمار. وعنه نعيم بن حكيم وأخوه عبد الملك بن حكيم. الميزان (٤/٥٧٣).

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) عزاه السيوطي في الجامع الكبير للمستغفري في الدعوات وهو لا يصح.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ أي: ولا نساكنكم على مخالفتكم ديننا ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ ذكرنا معناه في قصة شعيب في سورة الأعراف ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾، يعني الذين كفروا بالرسول ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾: لنعطينكم سكنها بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ الإسكان ﴿لمن خاف مقامي﴾.

قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي^(١) وقال الكلبي: مقامه بين يدي رب العالمين^(٢)، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، كما تقول: ندمت على ضربك ﴿وخاف وعيد﴾. قال ابن عباس خاف مما أوعدت من العذاب^(٣) يعني: أن العقوبة بالنصر تكون لمن خاف الله، ﴿واستفتحو﴾ يعني: الرسل، استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يتسوا من إيمانهم، ﴿وخاب كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيدي﴾ قال قتادة: العنيد المعرض عن طاعة الله^(٤) وقال مجاهد^(٥): هو المجانب للحق، وقال الزجاج: الذي يعدل عن القصد^(٦)، والمعنى: فاز الرسل بالنصرة، وخاب كل من كفر ﴿من ورائه جهنم﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يريد أمامه جهنم، فهي بين يديه^(٧) يعني: أنه يردها ويدخلها، ووراء، يكون لخلف وقدام، ومنه قوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ أي: أمامهم ﴿ويسقي من ماءٍ صديدي﴾ الصديد: ماء الجرح المختلط بالدم والقيح، قال المفسرون: يريد صديد القيح، والدم الذي يخرج من فروج الزناة^(٨).

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، [محمد بن عبدان] نا محمد بن عبد الله بن نعيم أنا الحسن بن حليم المروزي^(٩) أنا أبو الموجه^(١٠) أنا عبدان^(١١)، نا عبد الله بن المبارك، أنا صفوان بن عمرو^(١٢) عن عبد الله بن بصير، عن أبي أمامة

(١) البغوي ٢٨/٣ وانظر زاد المسير ٣٥٠/٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٤٢/١٦.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢٨/٣.

(٤) البغوي ٢٩/٣. ذكره السيوطي في الدر ٧٣/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. الجبار المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته، ومنه قوله تعالى: ﴿ولم يكن جباراً عصبياً﴾ مريم (١٤). قال أبو عبيد عن الأخر: يقال فيه جبرية وجبروة وجبروت وجبورة، وحكى الزجاج: الجبرية والجبر بكسر الجيم والباء والتجبار والجبرياء. قال الواحدي: فهي ثمان لغات في مصدر الجبار. انظر الرازي (٨٠/١٩).

(٥) البغوي ٢٩/٣ وأخرجه الطبري في التفسير ٥٤٣/١٦ (٢٠٦١٢)، (٢٠٦١٣) (٢٠٦١٤).

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥٦/٣.

(٧) البغوي ٢٩/٣ الطبري ٥٤٧/١٦ ابن كثير ٤٠١/٤ زاد المسير ٣٥١/٤ فتح القدير ١٠٠/٣.

(٨) البغوي ٢٩/٣ الطبري ٥٤٨/١٦ ابن كثير ٤٠١/٤ فتح القدير ١٠٠/٣ زاد المسير ٣٥٢/٤.

(٩) المثبت في المخطوط حكيم، والصواب ما أثبتناه فهو الحسن بن حليم المروزي روى عن أبي الموجه توفي آخر المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة انظر الإكمال ٤٩٢/٢.

(١٠) الحافظ الثقة محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري المروزي اللغوي. سمع سعيد بن منصور وسعيد بن سليمان وعلي بن الجعد وصدقة بن الفضل وعبدان بن عثمان وطبقتهم بخراسان والعراق والحجاز. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين بمرو. انظر تذكرة الحفاظ (٦١٥-٦١٦).

(١١) هو عبد الله بن عثمان بن جبلة - بن أبي رواد، واسمه ميمون، وقيل أيمن الأزدي والعتكي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ الملقب عبدان. قال أحمد بن عبيدة: تصدق عبدان في حياته بألف ألف درهم، وكتب كتب ابن المبارك بقلم واحد، وقال ابن حبان في الثقات: قال أحمد بن حنبل ما بقي الرحلة إلا إلى عبدان بخراسان، مات سنة عشرين وقد قيل سنة اثنتين وعشرين، وقال البخاري وغيره: مات سنة إحدى وعشرين ومائتين. قال الحاكم كان إمام أهل الحديث ببلده. انظر التهذيب (٣١٣/٥ - ٣١٤).

(١٢) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي أبو عمر. قال العجلي ودحيم وأبو حاتم والنسائي: ثقة، زاد أبو حاتم لا بأس به، وقال ابن =

عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قال: يقرب إليه، فيتكرهه فإذا أدنى منه هوى وجهه، ووقع فروة رأسه، فإذا شرب، قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره^(١)، يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ ويقول الله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾ قوله: ﴿يتجرعه﴾ التجرع: تناول الشراب جرعة جرعة، قال ابن عباس: يريد بالكره^(٢)، ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يقال: ساغ الشراب في الحلق سوغاً وأسأغه الله، قال المفسرون: «يتحساه ويشربه بالجرع، لا بمرّة واحدة، لمرارته، ولا يسيغه إلا بعد إبطاء، لكرهته لذلك الشراب^(٣)»، وقوله: ﴿ويأتيه الموت﴾ أي: هم الموت، وألمه، وكربه، ﴿من كل مكان﴾ قال ابن عباس: من كل شعرة في جسده^(٤)، وقال الثوري: من كل عرق في جسده^(٥) ﴿وما هو بميت﴾ موتاً تنقطع معه الحياة ﴿ومن ورائه﴾ ومن بعد هذا العذاب، وقال الكلبي ومن بعد هذا الصديد^(٦) ﴿عذاب غليظ﴾ متصل الآلام، وقال إبراهيم التيمي: يعني^(٧) الخلود في النار^(٨).

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ ۝١٨

قوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ قال الفراء: تقدير الآية: مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف، اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه^(٩) وقوله: ﴿كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أراد عاصف الريح فحذف الريح، لأنها ذكرت في أول الكلام، ويقال: عصفت الريح عصفواً، إذا اشتد هبوبها، ومعنى الآية: أن كل ما تقرب به الذين كفروا إلى الله، فمحبط غير منتفع به، لأنهم أشركوا فيها غير الله، كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به، وذلك قوله: ﴿لا يقدرُونَ مما كسبوا﴾ أي في الدنيا، ﴿على شيء﴾

= سعد: كان ثقة مأموناً، وقال أبو زرعة الدمشقي قلت لدحيم من أثبت بحمص؟ قال صفوان. وسمى جماعة، وقال أبو حاتم: سمعت دحيماً يقول صفوان أكبر من جرير وقدمه وقال ابن خراش كان ابن المبارك وغيره يوثقه. انظر التهذيب (٤/٤٢٩).

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٥٤٩ (٢٠٦٣١) (٢٠٦٣٢) والترمذي في السنن ٤/٦٠٨ في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٣ والحاكم في المستدرک ٢/٣٥١ في التفسير سورة الرعد وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البغوي في التفسير ٣/٢٩. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر: ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ، واخته قد سمعت من النبي ﷺ وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب. انظر الترمذي ٤/٦٠٨.

(٢) فتح القدير ٣/١٠٢ زاد المسير ٤/٣٣٥.

(٣) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١.

(٤) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وأخرجه الطبراني في التفسير ١٦/٥٥١ (٢٠٦٣٥) عن إبراهيم التيمي وانظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٥) انظر البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠٢ وذكره السيوطي عن عكرمة ٤/٤٠٥.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥.

(٧) في ب (بعد).

(٨) البغوي ٣/٢٩ فتح القدير ٣/١٠١-١٠٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٢ فتح القدير ٣/١٠١ الرازي ١٩/٨٣.

في الآخرة، قال ابن عباس: لا يجدون ثواب ما عملوا^(١) ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يعني: ضلال أعمالهم وذهابها، كذهاب الرماد في عصف الرياح قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۚ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهَدَيْتَنَا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِيصٍ ۚ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقْبَضَى الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض﴾ معنى ألم تر ههنا التنبيه على خلق السموات والأرض، وقرأ حمزة والكسائي^(٢) (خالق السموات) على فاعل، كقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ ومعنى قوله ﴿بالحق﴾ كقوله: ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ وقد تقدم، وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ قال ابن عباس: يريد أميتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع^(٣)، وهذا خطاب لأهل مكة ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ قال ابن عباس: لا يعز على الله شيء يريده^(٤)، وقال الكلبي: ليس يعز على الله شيء أن يميئتم، ويأتي بغيركم^(٥)، قوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ خرجوا من قبورهم للبعث، قال الزجاج: جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع^(٦)، ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ والأكابر هم الذين استكبروا عن عبادة الله ﴿إنا كنا﴾ في الدنيا ﴿لكم تبعاً﴾ جمع تابع، مثل خادم، وخدم ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله﴾ فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله؟ ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ لو أرشدنا الله لأرشدناكم، يريدون أنهم إنما دعوه إلى الضلال لأن الله تعالى أضلهم، ولم يهدهم، فدعوا أتباعهم إلى ما كانوا عليه من الضلال، ولو هداهم الله، لدعوه إلى الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ قال زيد بن أسلم: جزعوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة، فلم ينفعهم أحدهما فقالوا هذا^(٧)، وقوله: ﴿ما لنا من محيص﴾ أي: معدل عن العذاب، قوله: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ أي: فرغ منه، وقضى الله بين العباد، قال المفسرون: إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في

(١) انظر تفسير البغوي ٣٠/٣.

(٢) انظر حجة القراءات (٣٧٦، ٣٧٧) وانظر النشر ٢/٢٩٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧.

(٣) البغوي ٣٠/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣٠/٣ زاد المسير ٤/٣٥٥.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٣٥٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٥٨.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/١٥٥ وعزه لابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٤/٣٥٦.

النار، اجتمع أهل النار على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: كون هذا اليوم، فصدقكم وعده ﴿وَوَعَدْتَكُمْ﴾ أنه لا جنة ولا نار، ولا بعث، ولا حساب ﴿فَأَخَلَفْتُمْ﴾ الوعد^(١) ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما أظهرت لكم حجة أحتج بها عليكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع، أي: لكن دعوتكم ﴿فَاسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ فصدقتموني وقبلتم مقاتلي ﴿فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتكم، وصدقتموني من غير برهان ﴿مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِي﴾ بمغيثين لي، أي: لا أنجيكم مما أنتم فيه، ولا تنجونني مما أنا فيه، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيباً على منبر من نار، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ﴾ الآية^(٢) والقراءة الصحيحة^(٣) فتح الياء في مصرخي، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حركت إلى الفتح لا غير، نحو هداي وعصاي، وقرأ حمزة بكسر الياء، قال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة^(٤)، لا وجه لها إلا وجه ضعيف، وهو ما أجازته الفراء من الكسر على أصل التقاء الساكنين، وأنشد:

قُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ يَا تَافِي؟ قَالَتْ لَنَا: مَا أَنْتَ بِالْمُرْضِيِّ^(٥)

وزعم قطرب: أن هذه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، نحو: هل لك يا تافي؟ وكان الأصل مصرخي، ثم حذفت الياء الزائدة، وأقرت الكسرة على ما كانت عليه^(٦) وقوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلِ﴾ أي: كفرت بإشراككم إياي مع الله في الطاعة والمعنى: جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يريد المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة يونس، قوله:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ^(٧) تَوَاتَى أَكْلُهَا كُلٌّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(٨) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ^(٩) يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ^(١٠) وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ^(١١)

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ بين الله شهماً، ثم فسر ذلك المثل، فقال: ﴿كلمة طيبة﴾ قال ابن عباس: يريد لا إله إلا الله، وهو قول الجميع^(١٢) ﴿كشجرة طيبة﴾ قالوا: يريد النخلة، والمعنى: كشجرة طيبة الثمرة، ﴿أصلها﴾ أي:

(١) البغوي ٣١/٣ وزاد المسير ٤/٣٥٧ الطبري ١٦/٥٦٠ وما بعدها فتح القدير ٣/١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٦/٥٦٣ (٢٠٦٤٦) وابن الجوزي في الزاد ٤/٣٥٧ والبغوي في التفسير ٣/٣١ وابن كثير ٤/٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) وتعبيره بالصحيحة خطأ لأن القراءات الأخرى صحيحة من القراءات العشر المتواترة وانظر النشر ٢/٢٩٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٦٧/٢.

(٤) وهذا خطأ لا يقبل من الزجاج ولا من غيره كما قرنا ذلك كثيراً.

(٥) البيت للأغلب بن عمرو العجلي. انظر فتح القدير (٣/١٠٤). وانظر الرازي (١٩/٩٠) وانظر بقية تخريجه من تحقيقنا على البحر المحيط.

(٦) انظر البحر المحيط ٥/٤٢٠.

(٧) الطبري ١٦/٥٦٧ البغوي ٣/٣٢ وزاد المسير ٤/٣٥٨ ابن كثير ٤/٤١٠، فتح القدير ٣/١٠٧.

أصل هذه الشجرة ﴿ثابت﴾ في الثرى ﴿وفرعها﴾ أعلاها عال ﴿في السماء تؤتي﴾ تعطي هذه الشجرة ﴿أكلها﴾ ثمرها وما يؤكل منها ﴿كل حين﴾ قال ابن عباس: يريد ستة أشهر وهو قول سعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، قالوا: ما بين صرامها إلى حملها ستة أشهر^(١)، وقال مجاهد، وابن زيد، وعكرمة: كل سنة^(٢)، شبه الله تعالى الإيمان بالنخلة؛ لثبات الإيمان في قلب المؤمن، كثبات النخلة في منبتها، وشبه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة، وشبه ما اكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان، بما ينال من ثمر النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة^(٣) ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ يعني: الشرك بالله ﴿كشجرة خبيثة﴾ قال ابن عباس: يريد الثوم^(٤)، وقال الضحاك عنه: هي الكشوث^(٥) وقال أنس بن مالك: هي الحنظل^(٦) فكما أنها أخبت الأشجار، فكذلك الشرك أخبت الكلمات ﴿اجتثت﴾ انتزعت واقتلعت ﴿من فوق الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد ليس لها أصل تام، فهي فوق الأرض، لم تضرب فيها بعرق^(٧)، وهو قوله: ﴿ما لها من قرار﴾ من أصل في الأرض، وكما أنها أخبت الأشجار، كذلك الشرك بالله أخبت الكلمات، ليس له حجة، ولا ثبات ولا شيء، قوله ﴿يبث الله الذين ءامنوا﴾ الذين صدقوا محمداً ﴿بالقول الثابت﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿في الحياة الدنيا﴾ يشتهم بها على الحق ﴿وفي الآخرة﴾ يعني في القبر، قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال، وثبته إياه بها على الحق، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي نا محمد بن يعقوب نا يحيى بن أبي طالب نا وهب بن جرير نا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: ذكر رسول الله ﷺ المؤمن والكافر، فقال: إن المؤمن إذا سئل في قبره، قال: ربي الله، فذلك قوله ﴿يبث الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾^(٨).

أخبرنا محمد بن موسى بن شاذان^(٩) أنا محمد بن عبد الله الصفار^(١٠) نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني

(١) أخرجه الطبري ٥٧٧/١٦ (٢٠٧١٥) البغوي ٣٣/٣. انظر زاد المسير ٣٥٩/٤.

(٢) أخرجه البغوي عن عكرمة ٣٢/٣. وأخرجه الطبري ٥٨١/١٦ عن شعبة قال سألت حماداً والحكم ٢٠٧٢٧ وعن مجاهد ٢٠٧٢٨ وعن ابن زيد ٢٠٧٢٩ وعن ابن عباس ٢٠٧٣٠، ٢٠٧٣٢.

(٣) والمعنى: أن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، وذلك لأن المعاني العقلية المحض لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب. انظر الرازي ٩٥/١٩.

(٤) البغوي ٣٣/٤، زاد المسير ٣٦١/٤.

(٥) البغوي ٣٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٥٨٣/١٦ (٢٠٧٢٧)، (٢٠٧٣٨) (٢٠٧٤٠)، البغوي ٣٣/٣ زاد المسير ٣٦١/٤.

(٧) ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦١/٤.

(٨) أخرجه البخاري ٢٢٩/٨ في كتاب التفسير سورة إبراهيم باب «يبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت» (٤٦٩٩) وأخرجه مسلم ٢٢٠١/٤ في كتاب الجنة باب عرض مقعد المقيت ٢٨٧١/٧٣.

(٩) محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي كان والده أبو عمرو مثيرياً، وكان يتفق على الأصم فكان لا يحدث حتى يحضر محمد هذا وإن غاب عن سماع جزء أعاده له فأكثر عنه جداً. مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربع مئة عن نيف وتسعين سنة السير (٣٥٠/١٧).

(١٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار الزاهد. جمع وصنف في الزهريات، وقدم نيسابور بعد الثلاث مئة فسكنها. وسمع المسند الكبير من عبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتب عن إسماعيل القاضي تصانيفه. وصحب الأولياء والعباد وارتحل إلى الحسن بن سفيان فحمل المسند وكتب أبي بكر بن أبي شيبة عنه. قال الحاكم: هو محدث عصره كان مجاب الدعوة =

أي، أنا أبو عامر، نا عباد بن راشد^(١) عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال: أيها الناس إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن، فتنفرك عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت، فهذا منزلك ويفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه. فيقال له: اسكن، ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلت، فيقال: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا لك لو آمنت، فأما إذ كفرت، فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار ثم يقمعه بالمطراق قمعة، يسمعا خلق الله كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة، إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(٢) وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ يعني: لا يلحق الله المشركين والكافرين، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري قال الفراء: يضلهم عن هذه الكلمة^(٣) ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من تثبيت المؤمن وتلقيه الصواب، وإضلال الكافر، قال الفراء: أي لا تكون له قدرة، ولا يسأل عما يفعل^(٤) قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارِ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۗ﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً﴾ قال جماعة المفسرين: هم مشركو مكة كفار قريش، أنعم الله عليهم بالنبي ﷺ، فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر به^(٥)، وذلك قوله: ﴿وأحلوا قومهم﴾ يعني الذين اتبعوهم ﴿دار البوار﴾ أي: الهلاك يعني: جهنم، ألا ترى أنه فسرها فقال: ﴿جهنم يصلونها﴾ يقاسون حرها ﴿وبس القرار﴾ بس المقر هي .

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك الجنيبي، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن مرة عن علي رضي الله عنه أنه خطب الناس، فسأله رجل عن الذين بدلوا نعمت الله كفراً، قال: هم الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فأهلكهم الله يوم بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين^(٦)، وقوله ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ قال ابن عباس:

= لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا نيفاً وأربعين سنة. توفي الشيخ في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. وله ثمان وتسعون سنة. انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٤٣٧ - ٤٣٨).

(١) عباد بن راشد البزاز عن الحسن وقتادة وعنه وكيع ومسلم وعفان، تركه القطان وضعفه أبو داود وقواه أحمد... انظر الكاشف (٦٠/٢)

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٤٧/٣ وعزاه لأحمد والبزار وقال رجاله رجال الصحيح .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٧٧/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٧٧/٢ .

(٥) البغوي ٣٥/٣ انظر فتح القدير ١١١/٣ . انظر الدر المنثور ٨٤/٤ .

(٦) حكاه البغوي في التفسير عن عمر رضي الله عنه ٣٥/٣ وذكره الشوكاني في الفتح ١١٠/٣ وعزاه للبخاري في التاريخ وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب .

من الحجارة والخشب وغير ذلك ﴿ليضلوا﴾ الناس عن دين الله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء^(١)، والمعنى أنهم لم ينتفعوا بما اتخذوا من الأنداد، ولم يتخذوها إلا ليزيغوا عن الطريق المستقيم، وهذه لام العاقبة ثم أوعدهم، فقال: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس في هذه الآية: لو صار الكافر مريضاً سقيماً لا ينام ليلاً ولا نهاراً، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب، لكان هذا كله نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من شدة العذاب، ولو كان المؤمن في الدنيا في أنعم عيشه، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة^(٢)، قوله:

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾

﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلوة﴾ معناه: قل لهم أقيموا الصلاة، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر، وجعل كالجواب للأمر، وهذه الآية أمر للمؤمنين بعبادة الله من الصلاة والإنفاق في وجوه البر قبل يوم القيامة، وهو قوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ قال أبو عبيدة: البيع ها هنا الفداء، والخلال: المخالاة^(٣)، قال مقاتل: ذلك يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالاة ولا قرابة، إنما هي أعمال يثاب بها قوم ويعاقب عليها آخرون^(٤)، والخلال: فعال من المخالاة، وهو مصدر الخليل، هذا قول جميع أهل اللغة^(٥)، وقال أبو علي الفارسي: ويجوز أن يكون جمع خلة، مثل برمة وبرام، وعلبة وعلاب^(٦)، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿٣٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٦﴾

﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أي: ذللها لكم بالركوب والإجراء إلى حيث تريدون ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾ لتنتفعوا بهما، وتستضيئوا بضوئهما ﴿دائبين﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران، ومعنى الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ﴿وسخر لكم الليل﴾؛ لتسكنوا فيه؛ راحة لأبدانكم ﴿والنهار﴾ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ مفعول الإيتاء محذوف بتقدير من كل ما سألتموه مستولاً أو شيئاً، ويجوز أن يكون من زيادة، والمعنى وآتاكم كل ما سألتموه، وقال ابن الأنباري^(٧): تقدير الآية: وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه، لأننا لم نسأله شمساً ولا قمرأ، ولا كثيراً من نعمة التي ابتدأنا بها، وكان قتادة يقرأ ﴿من كل ما سألتموه﴾ قال: لم تسألوه كل الذي آتاكم^(٨) ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أي: إنعامه، والنعمة ههنا

(١) انظر ابن زنجلة ص (٣٧٨) وانظر النشر ٢/٢٩٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٩.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٣٦٣.

(٣) انظر مجاز القرآن ١/٣٤١ فتح القدير ٣/١٠٩.

(٤) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٦) انظر فتح القدير ٣/١٠٩.

(٧) فتح القدير ٣/١١٠ زاد المسير ٤/٣٦٥.

(٨) انظر فتح القدير ٣/١١٠ زاد المسير ٤/٣٦٥.

اسم أقيم مقام المصدر؛ ولذلك لم يجمع ﴿لا تحصوها﴾ أي: لا تأتوا على جميعها بالعدد لكثرتها، قال الكلبي: لا تحفظوها^(١)، وقال أبو العالية: لا تطيقون عدّها^(٢) ﴿إن الإنسان﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل^(٣) ﴿لظلم﴾ لنفسه ﴿كفار﴾ بنعمة ربه قال الزجاج: الإنسان اسم الجنس، يقصد به الكافر خاصة كما قال: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾^(٤) ومعنى ظلم: شاكراً غير من أنعم عليه ﴿كفار﴾ جحود لنعم الله قوله:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ
كثيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الشَّمْرِاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۚ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ دَلِيلٌ ۚ رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ۚ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ۚ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ ۚ

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة وقوله: ﴿واجنبي وبني أن نعبد الأصنام﴾ يقال: جنبته كذا، واجنبتة وجنبتة، أي: باعدته عنه، وجعلته ناحية منه، والمعنى: ثبتني على اجتناب عبادتها، لأنه غير عابد لها، وهذه الدعوة مخصوصة بأبنائه من صلبه، فقد كان من نسله من عبد الصنم، وكان إبراهيم التيمي يقص ويقول: من يأمن البلاء بعد إبراهيم خليل الرحمن؟ ويقرأ هذه الآية ﴿رب إنهم أضلن كثيراً من الناس﴾ أي: ضلوا بسببها، لأن الأصنام لا تفعل شيئاً، ولكن لما ضلوا بسببها صارت كأنها أضلتهم ﴿فمن تبعني﴾ على ديني بالتوحيد ﴿فإنه مني﴾ أي من المتدينين بديني ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ قال السدي: معناه من عصاني، ثم تاب فإنك غفور رحيم^(٥)، وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم^(٦)، قال ابن الأنباري: ويحتمل أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك، كما استغفر لأبيه^(٧)، قوله: ﴿ربنا إنني أسكنت من ذريتي﴾ قال ابن الأنباري: من دخلت للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي^(٨)، وعند الفراء: دخلت من للتبويض^(٩)، أي: أسكنت بعض ذريتي، وذلك أنه أنزل إسماعيل وأمه بمكة، وإسماعيل بعض ذرية إبراهيم، يدل على هذا قول ابن عباس في هذه الآية يريد إسماعيل^(١٠) ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ قال: يريد واد من مكة، ومكة كلها واد^(١١).

(١) زاد المسير ٣٦٥/٤.

(٢) البغوي ٣٦/٣ زاد المسير ٣٦٥/٤.

(٧) فتح القدير ١١٢/٣ زاد المسير ٣٦٥/٤.

(٨) فتح القدير ١٢/٣ زاد المسير ٣٦٦/٤.

(٣) انظر زاد المسير ٣٦٥/٤.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٨٧/٢. فتح القدير ١١٢/٣.

(٤) سورة العصر ٢.

(١٠) انظر البغوي ٣٧/٣ فتح القدير ١١٢/٣. وانظر الدر المنثور ٨٦/٤.

(٥) البغوي ٣٧/٣ زاد المسير ٣٦٥/٤ الرازي ١٠٦/١٩.

(١١) انظر البغوي ٣٧/٣ وفتح القدير ١١٢/٣. انظر الدر ٨٧/٤.

(٦) البغوي ٣٧/٣ زاد المسير ٣٦٥/٤.

أخبرنا: أبو حسان محمد بن أحمد بن جعفر أنا هارون بن محمد بن هارون ^(١) أنا إسحاق بن أحمد الخزاعي أنا أبو الوليد الأزرقى ^(٢) حدثني جدي ^(٣) ناسع بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج أخبرني محمد بن إسحاق أنا ابن أبي نجیح عن مجاهد: أن إبراهيم خرج من الشام، وخرج معه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وإسماعيل طفل يرضع، وحملوا على البراق ومعه جبريل، حتى قدم مكة، وكانت هي إذ ذاك عضاه من سلم وسمر، وبها ناس يقال لهم العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال إبراهيم لجبريل عليهما السلام أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم﴾ ^(٤) الآية. والمعنى: عند بيتك المحرم الذي يحدث في هذا الوادي، لأن إسكان الخليل إسماعيل مكة كان قبل بنائهما البيت ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ قال ابن عباس: ليعبدوك ^(٥) ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ يريدهم وتسرع إليهم، قال عطاء ^(٦): نحن إليهم، وقال قتادة ^(٧): تنزع إليهم، وقال مجاهد: لو قال أفئدة الناس، لأزدحمت عليه فارس والروم، والترك والهند ^(٨)، وقال سعيد بن جبير: لو قال أفئدة الناس، لحجت اليهود والنصارى، والمجوس، ولكنه قال أفئدة من الناس، فهم المسلمون ^(٩) قال عكرمة: هو أنهم يحجون إلى مكة ^(١٠) ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ هذا كقوله في سورة البقرة ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ ﴿لعلهم يشكرون﴾ قال ابن عباس: كي يوحدوك ويعظموك ^(١١)، قوله: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ قال ابن عباس: ولد إسماعيل لإبراهيم، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة ^(١٢) ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ قال الزجاج: أي: اجعل من ذريتي من يقيم الصلاة ^(١٣) ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ قال ابن عباس يريد عبادتي ^(١٤) ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ قال ابن الأنباري: استغفر

(١) هارون بن محمد بن هارون الضبي أبو جعفر والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون. أنفق أمواله في بر العلماء والإفضال عليهم، وفي صلوات الأشراف من الطالبين والعباسيين وغيرهم واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مبرزاً في العلم باللغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام. وكانت داره مجتمعاً لأهل العلم في كل فن، إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. انظر تاريخ بغداد (٣٣/١٤).

(٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى صاحب كتاب أخبار مكة، وقد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الإحسان. انظر الأنساب (١٢٢/١).

(٣) انظر الأنساب (١٢٢/١).

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/٣٧.

(٥) اللام في ليعبدهم متعلقة بأسكنت: أي أسكنتهم ليعبدهم الصلاة فيه. متوجهين إليه متبركين به، وخصها دون سائر العبادات لمزيد فضلها. ولعل تكرير النداء لإظهار العناية الكاملة بهذه العبادة. انظر فتح القدير (١١٢/٣).

(٦) البغوي ٣/٣٨، وانظر فتح القدير ٣/١١٤.

(٧) ذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٤، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣/٣٨، الرازي ١٩/١٠٨.

(٩) البغوي ٢/١٣٨ والرازي ١٩/١٠٨ وذكره الشوكاني في الفتح عن ابن عباس وعزاه لابن المنذر ٣/١١٤.

(١٠) وانظر فتح القدير ٣/١١٤، وذكره السيوطي في الدر ٤/٨٧ وعزاه لابن أبي شيبه وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحكم قال سألت عكرمة وطاوساً وعطاء بن أبي رباح...

(١١) وذلك يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات انظر الرازي (١٠٨/١٩ - ١٠٩).

(١٢) البغوي ٣/٣٨ انظر زاد المسير ٤/٣٦٨ فتح القدير ٣/١١٣.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٦٥ فتح القدير ٣/١١٣.

(١٤) البغوي ٣/٣٩ فتح القدير ٣/١١٣.

لأبويه وهما حيان طمعاً في أن يهديا إلى الإسلام، ويسعدا بالدين ^(١) وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء ﴿وللمؤمنين﴾ قال ابن عباس: يريد من لفيك مؤمناً مصداقاً فتجاوز عنه ^(٢) ﴿يوم يقوم الحساب﴾ يظهر الجزاء على الأعمال قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أبو علي الحسين بن حبش الدينوري، أخبرنا: عبد الله بن وهب الدينوري أنا محمد بن آدم المصيصي ^(٣)، نا أبو المليلح الرقي ^(٤) حدثنا: ميمون بن مهران، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ قال: وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم ^(٥) وقوله: ﴿إنما يؤخرهم﴾ أي يؤخر جزاءهم ولا يأخذهم بظلمهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة، تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء، لعجائب ما يرون؛ ولشدة الحيرة والدهشة لا يغمضون ^(٦).

مَهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً ۝٤٣

﴿مهطعين﴾ قال سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة مسرعين ^(٧) وقال الضحاك والكلبي والعمري عن ابن عباس: مديمي النظر من غير أن يطفوا ^(٨)، ومعنى الإهطاع: الإسراع مع إدامة النظر، وقوله ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ يقال: أقتع رأسه إذا رفعه، قال المفسرون: رافعي رؤوسهم ^(٩)، قال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد ^(١٠) ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة، وقوله: ﴿وأفندتهم هواء﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد: خرجت القلوب من مواضعها، فصارت في الحناجر ^(١١)، وقال قتادة: انتزعت، حتى صارت في حناجرهم ^(١٢) فعلى هذا أريد بالأفئدة مواضع القلوب وأنها خلت عن القلوب، فصارت هواء، وقال آخرون: معنى الآية: أن قلوبهم خلت عن العقول، لما رأوا من الفزع، فهي خالية عن العقل، للدهشة والحيرة ^(١٣) ثم عاد إلى خطاب النبي ﷺ، وأمره بالإندار.

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ

(١) انظر زاد المسير ٤/٣٦٩.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/٣٩.

(٣) محمد بن آدم بن سليمان الجهني صدوق مات سنة خمس ومائتين. انظر التقريب ٢/١٤٣، التهذيب ٩/٣٤ - ٣٥.

(٤) بفتح الراء هذه النسبة إلى الرقة وهي بلدة على طرف الفرات مشهورة من الجزيرة. انظر الأنساب (٣/٨٤).

(٥) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساويء الأخلاق عن ميمون بن مهران.

(٦) الطبري ١٣/٢٣٦ وانظر فتح القدير ٣/١١٧.

(٧) البغوي ٣/٣٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١١٧ وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٨) البغوي ٣/٣٩ ذكره الشوكاني ٣/١١٧ في الفتح وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٩) البغوي ٣/٣٩ زاد المسير ٤/٣٦٩ فتح القدير ٣/١١٥ الرازي ١٩/١١٢.

(١٠) البغوي ٣/٣٩.

(١١) البغوي ٣/٣٩.

(١٢) البغوي ٣/٣٩.

(١٣) البغوي ٣/٣٩.

الرُّسُلَ أَوْلَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۚ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۚ

فقال: ﴿وأندر الناس﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة^(١) ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ استمهله مدة يسيرة، لكي يجيوا الدعوة، ويتبعوا الرسل، وهو قوله: ﴿نحب دعوتك وتتبع الرسل﴾ فيقال لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ حلفتهم في الدنيا أنكم لا تبعثون ولا تنتقلون من الدنيا إلى الآخرة ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ يعني الأمم الكافرة قبلهم، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية يقول: كان ينبغي أن يرتجعوا ويرتدعوا عن الكفر، اعتباراً بمساكنهم بعد ما تبين ﴿لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن^(٢).

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا تَخَسَبَنَ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۚ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ جُوهَهُمُ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ

قوله: ﴿وقد مكروا مكْرَهُمْ﴾ يعني مكْرَهُم بالنبي ﷺ حين هموا بقتله ونفيه ﴿وعند الله مكْرَهُمْ﴾ أي: جزاء مكْرَهُم ﴿وإن كان مكْرَهُمْ﴾ وما كان مكْرَهُم ﴿لتزول منه الجبال﴾ يعني: أمر النبي ﷺ وما أتى به من دين الإسلام، وضرب الجبال مثلاً له على معنى أن ثبوته كثبوت الجبال، قال الحسن: إن كان مكْرَهُم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال^(٣)، وقرأ الكسائي: (لتزول)، بفتح اللام الأولى وضم الثانية^(٤) وإن على هذه القراءة لا يكون نفيًا، بل يكون بمعنى قد، والمعنى قد كادت الجبال تزول من مكْرَهُم، وهذه مبالغة في وصف مكْرَهُم بالعظم على مذهب العرب في المبالغة، قال الزجاج: وإن كان مكْرَهُم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإن الله تعالى ينصر دينه^(٥)، يدل على هذا قوله ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ قال ابن عباس: يريد النصر والفتح وإظهار الدين^(٦) ﴿إن الله عزيز﴾ منيع ﴿ذو انتقام﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم، قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأرض هي تلك الأرض وإنما تبدل أكامها، وجبالها وأشجارها^(٧)، ونحو هذا، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: يبدل الله الأرض غير الأرض، فيسطها، ويمدها مد الأديم العكاظي ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾^(٨) وأما تبديل السماوات فقال ابن الأنباري: باختلاف هيئتها كما ذكر الله

(١) انظر زاد المسير ٣٧١/٤.

(٢) الرازي ١١٣/١٩ زاد المسير ٣٧٢/٤. (٣) البغوي ٤٠/٣ زاد المسير ٣٧٤/٤ الرازي ١١٤/١٩.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٣٠٠/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧١/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٣. (٦) البغوي ٤١/٣ زاد المسير ٣٧٥/٤.

(٧) البغوي ٤١/٣ انظر زاد المسير ٣٧٥/٤. ذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ وعزاه للبيهقي في البعث.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٢٥٢/١٣. وذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ وعزاه للبيهقي في البعث عن ابن عباس.

أنها تكون مرة كالمهل، ومرة كالدهان قال ابن مسعود^(١): تبدل بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، وهذا قول الكلبي، وعطاء عن ابن عباس، وأكثر المفسرين^(٢) ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ كقوله: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ وترى المجرمين ﴿قال ابن عباس: يريد الذين أجرموا، زعموا أن الله ولدأ وشريكاً^(٣) يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿مقرنين﴾ يقال: قرنت الشيء بالشيء إذا وصلته به، وجاء ههنا على التشديد؛ لكثرة أولئك القوم قوله: ﴿في الأصفاد﴾ جمع الصفد، وهو القيد، قال عطاء: يريد سلاسل الحديد والأغلال^(٤)، وقال الكلبي: كل كافر مع شيطان في غل^(٥)، وقال ابن زيد^(٦): قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿سرايلهم﴾ جمع سربال، وهو القميص، وقال الزجاج^(٧): هو كل ما لبس من قطران، وهو هناء الإبل، وهو شيء يتحلب من شجر وجعلت سرايلهم من قطران، لأنه أبلغ في اشتعال النار في جلودهم ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي: تعلوها ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا يعني: الكفار ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿بلاغ للناس﴾ أي: أنزل؛ ليبلغوا ﴿ولينذروا به﴾ قال ابن عباس^(٨): ولتنذر قومك يا محمد ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ أي: بما فيه من الحجج التي تدل على وحدانيته ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ ولتعتز أهل العقول والبصائر.

(١) الطبري ٢٥٤/١٣ البغوي ٤١/٣ ابن كثير ٤٣٩/٤، زاد المسير ٣٧٦/٤. وذكره السيوطي في الدر ٩١/٤ عن أنس وعزاه لابن

جرير وابن مردويه وعن علي عزاه في المصدر نفسه لابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وعزاه

أيضاً لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) زاد المسير ٣٧٦/٤.

(٤) البغوي ٤٢/٣. وذكره السيوطي مثله عن سعيد بن جبير وعزاه لابن أبي حاتم ومثله أيضاً عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) البغوي ٤٢/٣.

(٦) البغوي ٤٢/٣.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٠/٣.

(٨) بنحوه انظر فتح القدير ١١٩/٣.

سورة الحجر

مكيّة وآياتها تسع وتسعون

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني، نا أبو عمرو محمد بن الحيري. نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول ﷺ: (من قرأ سورة الحجر، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين)^(١).

الرَّتِّكَ ءَايَتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانِ مُبِينٍ ۚ رَبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۚ ذَرَّهُمْ
يَٰ كُفُلًا أُولِيْ عَقُولٍ ۖ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُمْ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۚ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَٰبٌ مَّعْلُومٌ ۚ مَا
تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ۚ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال أبو الضحى عن ابن عباس: أنا الله أرى^(٢) وقال عكرمة عنه: ﴿الر﴾ وحم، وق حروف الرحمن مقطعة^(٣) ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب﴾ يعني القرآن، ثم ذكره فقال: ﴿وقراءان مبین﴾ فجمع بين الوصفين لموصوف واحد، قوله: ﴿ربما يود الذين كفروا﴾ وقرىء بالتخفيف^(٤) لما فيه من التضعيف والحروف المضاعفة قد تخفف نحو: إن وأن ولكن، وقد خفف كل واحد من هذه الحروف، قال الزجاج: العرب تقول: رب رجل جاءني ويخففون فيقولون: رب رجل^(٥)، قال المفسرون: نزلت الآية في تمني الكفار الإسلام عند خروج من يخرج من النار من أهل الإسلام^(٦) وهذا تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف (١/٤٦٠) وعزاه لابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي بن كعب وابن مردويه من وجه آخر عن أبي بن كعب وقال في موضع آخر: رواه الثعلبي من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب. انظر الكشاف ٢/٥٩٢ وقد تقدم.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١/١٠٩ والبغوي في تفسيره ١/٤٣، ٢/٤٣.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره عن سعيد بن جبیر ١/٤٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٢٢ عن عامر وعزاه لابن أبي شيبة في تفسيره وعن ابن حميد وابن المنذر.

(٤) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء الموحدة والباقون بتشديدها. قال الكسائي: هما لغتان والأصل التشديد لأنك لو صغرت رب لقلت: ربي فرددت إلى أصله فإن قيل فما موضع ما من ربما قيل فيه وجهان أحدهما أن تكون ما نائبة عن اسم منكور في موضع جر بمعنى شيء وذلك كقول الشاعر:

ربما تكره النفوس من الأم ر له فرجة كحل العقال

الثاني: أنها كافة لأن رب وإن لا يليهما إلا الأسماء فإذا وليتهما الأفعال وصلوها ب (ما) كقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. انظر النشر (٢/٣٠١) حجة القراءات (٣٨٠ - ٣٨١) إتحاف فضلاء البشر (٢/١٧٣) القرطبي ١/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/١٧١.

(٦) انظر الدر المنثور ٤/٩٢ تفسير ابن كثير ٤/٤٤٣ تفسير الرازي ١٩/١٢٢ تفسير البغوي ٣/٤٣ تفسير أبي السعود ٥/٦٤.

محمد بن جعفر بن مطر نا: محمود بن محمد الواسطي، نا أبو الشعثاء نا خالد بن نافع، عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر الله من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾^(١).

أخبرنا: أبو بكر التميمي، نا أبو الشيخ الحافظ، نا: أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري نا عبدة، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما يزال الله يشفع ويدخل الجنة، ويرحم، حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾^(٢) قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ يقول دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك خلاقهم، وهذا كقوله: ﴿ذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾^(٣) ﴿ويلههم الأمل﴾ يشغلهم ما يأملون في دنياهم عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، يقال ألهاه الشيء، أي شغله وأنساه^(٤) ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد وتهديد، أي: فسوف يعلمون إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ قال ابن عباس: يريد من أهل القرية^(٥) ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ أجل يتتهون إليه، يعني أن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً لا يهلكهم حتى يبلغوه، ﴿ما تسبق من أمة﴾ من زائدة، كقولك ما جاءني من ﴿أجلها﴾ ما ضرب لها من الوقت ﴿وما يستأخرون﴾ لا يتأخرون عنه، وهذا كقوله: ﴿لكل أمة أجل﴾^(٦) قوله:

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾
مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٤٢/٢ كتاب التفسير وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه ووافقه الذهبي والطبري في تفسيره ٣/١٤ وابن كثير في تفسيره ٤٤٣/٤ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٨/٧ وعزاه للطبراني وقال وفيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود متروك قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره. وبقية رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال (٦٤٤/١). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٣٧٣/٦ من حديث جابر وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٥٧٩/٤.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ١٢٢/١٩ والسيوطي في الدر المنثور ٩٢/٤ وعزاه لسعيد بن منصور وهناد بن السري في الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وانظر البحر المحيط ٤٤٥/٥. وذكره أبو السعود في التفسير ٦٤/٥ وقال: الحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم، وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت، بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم، وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة، وإنما جيء بصيغة التقليل جرياً على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارساً وعنده مقاني جمعة من الكتاب وقصده التمادي في تكثير فرسانه ولكن يريد إظهار براءته من التزديد وإبراز أنه ممن يقلل لعلو الهمة. . .

(٣) سورة المعارج ٤٢.

(٤) لسان العرب ٤٠٩٠/٥ الصحاح ٢٤٨٧/٦. ترتيب القاموس ١٧٩/٤.

(٥) انظر تنوير المقباس ٦٠/٣ زاد المسير ٣٨٢/٤ والبغوي في تفسيره ٤٤/٣ بلا نسبة.

(٦) سورة الأعراف ٣٤.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۚ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ كَذَلِكَ نَسَلُكَهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۚ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۚ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۚ

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾^(١) أي القرآن قال عطاء: عن ابن عباس: هذا استهزاء منهم، لو أيقنوا أنه أنزل عليه الذكر ما قالوا: ﴿إنك لمجنون﴾ ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾ قال الفراء: لولا، ولوما: لغتان معناهما هلا^(٢) قال ابن عباس: أفلا جئتنا بالملائكة حتى نصدقك^(٣)؟ قال الله تعالى جواباً لهم: ﴿ما نزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي إذا نزل الملائكة وجب العذاب من غير تأخير ولا إنظار قال ابن عباس: إذا نزلت الملائكة، لم ينظروا، ولم يمهلوا^(٤) وهو قوله: ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ قوله: ﴿إنا نحن﴾ هذا من كلام الملوك، الواحد منهم إذا فعل شيئاً، قال: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة الملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء قال: نحن فعلنا، فخطبت العرب بما يعقل من كلامها، وقوله: ﴿نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً، حفظه الله من ذلك^(٥) ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ أي رسلاً فحذفت المفعول الدلالة الإرسال عليه ﴿في شيع الأولين﴾ قال الحسن والكلبي: في فرق الأولين^(٦) وقال عطاء عن ابن عباس: في الأمم الأولين^(٧) قال الفراء: الشيعة الأمة لمتابعة بعضهم بعضها فيما يجتمعون عليه من أمر^(٨) ﴿وما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ يعني كما استهزأ به قومك، وهذا تعزية للنبي ﷺ، ودلالة أن كل واحد من الرسل كان مبتلى بقومه ﴿كذلك نسلكه﴾ قال الزجاج كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤوا، نسلك الضلال في قلوب المجرمين^(٩)، والسلك: إدخال الشيء في الشيء^(١٠) قال ابن عباس والحسن: نسلك الشرك في قلوب المكذبين^(١١) ثم أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون، فقال: ﴿لا يؤمنون به﴾ بالرسول وبالقرآن، ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسول في القرون الماضية وهذا تهديد لكفار مكة ثم أخبر أنهم إذا وردت عليهم الآية بالمعجزة قالوا سحر، فقال: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ يقال: ظل كذا

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٤ وذكر البغوي في تفسيره هذا المعنى بلا نسبة ٤٤/٣ والقرطبي في تفسير ٥/١٠ وأبو

السعود في تفسيره ٦٦/٥. والزمخشري في الكشاف ٥٧١/٢ والشوكاني في فتح القدير ١٢٢/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٨٤/٢ تفسير الرازي ٢٢٦/١٩ وذكره الشوكاني في التفسير عن النحاس ١٢٢/٦.

(٣) تنوير المقياس ٦٠/٣.

(٤) تنوير المقياس ٦٠/٣ وانظر معنى هذا في تفسير البغوي ٤٤/٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر زاد المسير ٣٨٤/٤.

(٦) ذكره الألوسي في روح المعاني عن الحسن والكلبي ١٧/١٤ والقرطبي في تفسيره ٦/١٠ عن الحسن.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والرازي في تفسيره ١٢٨/١٩ بلا نسبة والبغوي

في تفسيره ٤٤/٣ بلا نسبة.

(٨) زاد المسير ٣٨٠/٤ فتح القدير ١٢٢/٣ تفسير الرازي ١٢٨/١٩.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٧٤/٣ فتح القدير للشوكاني ١٢٣/٣.

(١٠) انظر الصحاح ١٥٩١/٤ لسان العرب ٢٠٧٣/٣ ترتيب القاموس ٦٠٠/٢.

(١١) تنوير المقياس ٦١/٣ تفسير القرطبي ٧/١٠.

إذا فعله بالنهار والعروج الصعود^(١)، يقال عرج يعرج عروجاً، يقول: لو كشف لهؤلاء عن أبصارهم، حتى يعاينوا باباً في السماء مفتوحاً تصعد فيه الملائكة لصرفوا ذلك إلى أنهم سحروا وهو قوله: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قال مجاهد: سدت بالسحر فيخايل لأبصارنا غير ما نرى^(٢) وأصله من السكر وهو سد الشق^(٣) لثلا ينفجر الماء فكأن الأبصار منعت من النظر كما يمنع الماء من الجري، والتشديد لذكر الأبصار ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ سحرنا محمد، فنحن نرى ما لا حقيقة له.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِّلنَّظِيرِينَ ۚ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۗ ۝١٧ إِلَّا مَن أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَّسْتُمْ لِمُرْزِقَيْنِ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝٢٣ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمُ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِبِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٥

﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ قال ابن عباس: يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما^(٤) ﴿ورازباتها﴾ بالشمس والقمر والنجوم ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ للمعتبرين بها، والمستدلين على توحيد صانعها ﴿وحفظناها﴾ من كل شيطان رجيم ﴿معيش﴾ معنى الرجم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل للعن والطرود والإبعاد رجم، لأن الرمي بالحجارة^(٥) يوجب هذه المعاني، والرجيم: الملعون المطرود المبعد وقال أبو عبيدة: الرجيم المرجوم بالنجوم^(٦) بيانه قوله: ﴿رجوماً للشياطين﴾^(٧) قال ابن عباس^(٨): كانت الشياطين لا تحجب عن السموات، وكانوا يدخلونها، ويتحرون أخبارها، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد رسول الله ﷺ، منعوا من السموات كلها، فما منهم من [أحد]^(٩) يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب فذلك قوله ﴿إلا من استرق السمع﴾ وذلك أن المارد من الشياطين يعلو لاستراق السمع، فيرمى بالشهاب، وهو قوله: ﴿فاتبعه﴾ أي لحقه ﴿شهاب مبین﴾ شعلة نار ظاهرة

(١) انظر الصحاح ٣٢٨/١ لسان العرب ٤/٢٨٧٠ ترتيب القاموس ٣/١٨٤.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/١٠ وابن كثير ٤/٤٤٦. والشوكاني في فتح القدير ٣/١٢٣ بلا نسبة والألوسي في روح المعاني

٢٠/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر تفسير ابن الجوزي ٤/٣٨٦.

(٣) انظر لسان العرب ٣/٢٠٤٨ فتح القدير ٣/١٢٣.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٨/١٠ زاد المسير لابن الجوزي ٤/٩٤ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٤٦ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ٣/١٢٥ بلا نسبة.

(٥) انظر الصحاح ٥/١٩٢٨ لسان العرب ٣/١٦٠١ ترتيب القاموس ٢/٣١٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٤٨.

(٧) سورة الملك آية ٥.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٣/٤٥ والقرطبي في تفسيره ١٠/٨/٩ وأبو السعود في تفسيره ٥/٧١ والرازي في تفسيره ١٩/١٣٤ وابن

الجوزي في تفسيره ٤/٣٨٩.

(٩) سقط في ب.

لأهل الأرض ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم فيجوز أن يكون ذلك كما نرى، ثم يصير ناراً إذا أدرك الشيطان، ويجوز أنهم يرمون بشعلة نار من الهواء، ولكن لبعده عنا، يخيل إلينا أنه نجم^(١) ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ وهي الجبال الثابتة ﴿وأثبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الثمار مما يكال أو يوزن^(٢) وقال الكلبي: وأثبتنا في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس والحديد، والرصاص والكحل والزرنيخ وكل شيء يوزن وزناً^(٣) ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ من الثمار والحبوب ﴿ومن لستم له برازقين﴾ يعني العبيد والدواب والأنعام يرزقهم الله ولا ترزقونهم، وقال الكلبي يعني الوحش والطيور^(٤) ﴿وإن من شيء﴾ أي من المطر في قول عامة المفسرين^(٥)، وذلك أنه سبب الرزق والمعاش ولما ذكر أنه يعطيهم المعاش، بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده أي في أمره وحكمه وتدبيره ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم، لا ينقصه ولا يزيده، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر، قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ قال ابن عباس والمفسرون: يعني للشجر والسحاب^(٦) قال ابن مسعود: يبعث الله الرياح، لتلقح السحاب فتحمل الماء وتمججه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة^(٧)، ولواقح ههنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة فحذفت الميم، وردت إلى الأصل الثلاثي، كما يقال: أبقل النبات، فهو باقل، يجعلونه بدلاً من مقبل، وقال ابن الأنباري الريح اللاقح التي تحمل الماء والسحاب^(٨) وهذا قول الفراء وابن قتيبة واختيار الأزهري قالوا: جعل الله الريح هي التي تلقح بمروها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح^(٩) وقال رجل كنت جالساً عند ابن مسعود فهاجت ريح فقال رجل: اللهم العننا، فقال عبد الله لا مه فإنها ندور مبشرات ولواقح ولكن سل الله من خيرها وتعوذ به من شرها، وقوله: ﴿فأسقيناكموه﴾ يقال: سقيته حتى روي وأسقيته نهراً، جعلته شرباً له، ومعنى ﴿فأسقيناكموه﴾ جعلناه سقياً لكم ﴿وما أنتم له﴾ لذلك الماء المنزل من السماء ﴿بخازنين﴾ بحافظين يقول: ليست خزائنه بأيديكم ﴿وإننا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ إذا مات جميع

(١) قال القرطبي: اختلف في الشهاب هل يقتل أم لا. فقال ابن عباس: الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل. وقال الحسن وطائفة: يقتل فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان: أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم. فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، وبذلك انقطعت الكهانة. والثاني أنهم يقتلون بعد إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق، ذكره الماوردي. قلت: والقول الأول أصح. انظر القرطبي (١٠/٩ - ١٠).

(٢) زاد المسير ٣٩١/٤ الخازن مع البغوي ٦١/٤.

(٣) زاد المسير ٣٩١/٤ وذكره الشوكاني في فتح القدير ١٢٦/٣ بلا نسبة وانظر الخازن مع البغوي ٦١/٤. وذكره في بحر العلوم للسمرقندي بلا نسبة في تفسير الآية.

(٤) زاد المسير ٣٩١/٤ وذكره في روح المعاني ٢٩/١٤ عن بعضهم والشوكاني في الفتح ١٢٦/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٣٩١/٤ فتح القدير ١٢٦/٣. وذكر هذا المعنى في البحر لأبي حيان ونسبه لابن جريج ٤٥١/٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٤ ابن كثير ٤٤٨/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٣/٤ والرازي في تفسيره ١٣٩/١٩ والألوسي في روح المعاني بلا نسبة ٣١/١٤ وأبو السعود ٧٢/٥ وذكره السيوطي في الدر ٩٦/٣، وزاد نسبه لأبي عبيد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/١٤ وابن كثير ٤٤٨/٤ والرازي في تفسيره ١٣٩/١٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٣/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٩٦/٤ وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وقوله اللقحة؛ هي الناقة الحلوب غزيرة اللبن انظر لسان العرب ٤٠٥٧/٥ الصحاح ٤٠١/١. ترتيب القاموس ١٥٩/٤.

(٨) انظر البيان لابن الأنباري ٦٧/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٨٧/٢ الغريب لابن قتيبة ٢٣٦ تهذيب اللغة ٥٥/٤ فتح القدير ١٢٧/٣.

الخلائق لم يبق حياً سواه كقوله ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾^(١) الآية ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ استقدم أي تقدم، وضده استأخر أي تأخر أخبرنا أبو منصور نصر بن بكر الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير، أنا محمد بن أيوب، أنا سعيد بن منصور، نا نوح بن قيس^(٢) نا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف النبي ﷺ امرأة حسناء في آخر النساء وكان بعضهم يتقدم في الصف الأول لثلا يراها، وكان بعضهم يكون في آخر الصف، فإذا ركع، قال هكذا ونظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه^(٣)، عن علي بن حماد، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي^(٤)، عن حفص بن عمر، عن نوح بن قيس وقال الربيع: حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فزدحم الناس عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٥) واختار الفراء هذا القول، وقال معنى: ﴿ولقد علمنا﴾ أي وإننا نعلم جميعهم، فنجزهم على نياتهم^(٦) وقال الحسن وعطاء: يعني المتقدمين في طاعة الله، والمتأخرين عنها^(٧) وقال قتادة ومجاهد: يعني من مضى من الأمم السالفة، ومن بقي وهم أمة محمد ﷺ، يدل على هذا قوله: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾^(٨) يجمعهم للحساب ﴿إنه حكيم عليم﴾ وقوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۚ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۚ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۚ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۚ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أجمعُونَ ۚ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۚ قَالَ

(١) سورة مريم آية ٤٠.

(٢) قيس بن رباح الأزدي الحداني ويقال: الطائي أبو روح البصري وقال أبو داود ثقة بلغني عن يحيى أنه ضعفه وقال مرة: يتشيع وقال النسائي: ليس به بأس قال نصر بن علي وابن حبان مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة. وقال ابن شاهين في الثقات قال ابن معين: هو شيخ صالح الحديث وقال العجلي: بصري ثقة التهذيب (١٠/٤٨٥ - ٤٨٦).

(٣) كتاب التفسير وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وأخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ كتاب تفسير القرآن باب (سورة الحجر) (١٣١٢٢) والنسائي في السنن الكبرى ٣٧٤/٦ كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ولقد علمنا المستقدمين﴾ ١١٢٧٣ وابن ماجه ٣٣٢/٢ كتاب إقامة الصلاة باب الخشوع في الصلاة ١٠٤٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٩٨/٣ كتاب الصلاة باب الرجل يعف. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٤ - ٩٧ وزاد نسبه لأبي داود الطيالسي ٢٧١٢ وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه. وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال: الظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس - وذكره القرطبي ١٤/١٠ وقال: وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو أصح.

(٤) الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم، ولد سنة تسع وسبعين ومائة. قال الخطيب: كان عالماً منقفاً فقيهاً شرح مذهب مالك واحتج له وصف المسند، وصنف في علوم القرآن. انظر تذكرة الحفاظ (٢/٢٢٥).

(٥) انظر زاد المسير ٣٩٦/٤ وذكره السيوطي في الدر ٩٧/٤ بنحوه.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢.

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/١٠ وابن الجوزي ٣٩٧/٤ وأبو حيان في البحر مختصراً ٤٥١/٥ والشوكاني في الفتح ١٢٨/٣ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤. والسيوطي في الدر المنثور ٩٧/٤ عن الحسن وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٨) القرطبي ١٤/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٥١/٥ والألوسي في روح المعاني ٣٢/١٤ والشوكاني في فتح القدير ١٢٨/٣ والسيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٩٨/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

يَتَابِلِسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ
 مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى
 يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾
 إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا
 سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
 ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ
 مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني آدم ﴿من صلصال﴾ وهو طين يصلصل إذا نقر عليه، يقال: صل الحديد،
 وصلصل إذا صوت^(١) قال ابن عباس في رواية الوالبي: الصلصال: الطين اليابس^(٢) وقال في رواية إسرائيل:
 الصلصال الذي إذا قرع صوت^(٣).

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا يحيى
 ابن أبي زائدة عن إسرائيل، عن السدي عمن حدثه عن ابن عباس قال: خلق آدم من أديم الأرض فألقي على الأرض
 حتى صار طيناً لازباً، وهو الطين الملتزق، ثم ترك، حتى صار حمماً مسنوناً، وهو الممتن، ثم خلقه الله بيده، فكان
 أربعين يوماً مصوراً، حتى ييس فصار صلصالاً كالفخار إذا ضرب عليه صلصل فذلك الصلصال والفخار مثل ذلك^(٤)
 وقوله: ﴿من حمماً مسنون﴾ الحمأ الطين الأسود الممتن، والمسنون المتغير الرائحة، يقال: سن الماء فهو مسنون أي
 تغير وقال سيبويه: المسنون المصور على صورة ومثال من سنة الوجه وهي صورته^(٥) قوله: ﴿والجان خلقناه﴾ قال
 عطاء والحسن وقتادة، ومقاتل: يريد إبليس^(٦) وقال عامة المفسرين^(٧): الجان أبو الجن، سمي جانا لتوريته عن
 الأعين يقال: جن الشيء إذا ستره^(٨)، فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم وقوله: ﴿من قبل﴾ يعني من قبل خلق آدم
 ﴿من نار السموم﴾ قال الكلبي: هي نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها^(٩) قال ابن مسعود: من نار الريح الحارة

(١) انظر لسان العرب ٤/٢٤٨٦ ترتيب القاموس ٢/٨٤٤.

(٢) القرطبي في تفسيره ١٥/١٠ وأبو حيان في البحر ٥/٤٥٣ والرازي في تفسيره ١٩/١٤٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨.

(٣) القرطبي في تفسيره ١٠/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لابن عساکر.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٣٠.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٩٩ وذكره القرطبي في تفسيره ١٠/١٧ عن الحسن وذكره البغوي ٣/٤٩ عن قتادة وكذا

السيوطي في الدر المنثور ٤/٩٨ وعزاه لسعيد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي ٣/٤٩ فتح القدير للشوكاني ٣/١٣٠ زاد المسير ٤/٣٩٩ تنوير المقباس ٣/٩٤.

(٨) انظر لسان العرب ١/٧٠١ ترتيب القاموس ١/٥٤٢.

(٩) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٣/٤٩ والقرطبي في تفسيره ١٠/١٧ عن ابن عباس وذكره الألوسي في روح المعاني ١٤/٣٤ بلا

نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٠٠.

قال: وهذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية (١) ومعنى السموم في اللغة: الريح الحارة وفيها نار (٢) وفي الخبر: (إنها من لفتح جهنم). وقوله ﴿فإذا سويته﴾ أي عدلت صورته وسويته بالصورة الإنسانية ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء والروح جسم رقيق يحيا به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كان قد نفخ الروح فيه، وأضاف روح آدم إليه إكراماً وتشريفاً وهي إضافة الملك وقوله: ﴿فقعوا﴾ أمر من الوقوع قال الكلبي: فخرُوا له ساجدين سجود تحية ولم تكن سجدة طاعة (٣) ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ قال سيويه توكيد بعد توكيد وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله: ﴿وأن عليك اللعنة﴾ قال الكلبي: يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب لأنه أول من عصى (٤) الله قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حين يجازى العباد بأعمالهم (٥) فاستنظر إبليس إلى يوم القيامة لثلاث يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجب إلى ذلك وقيل له: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى حين تموت الخلائق ﴿كلهم﴾ (٦) قال الكلبي: إذا نفخت النفخة الأولى مات الخلائق كلهم، ومات إبليس معهم، وإنما سمي الوقت المعلوم، لأنه يموت فيه الخلائق وإبليس (٧) ﴿قال رب بما أغويتني﴾ قال أبو عبيدة: معنى الباء ههنا القسم (٨) وقال غيره: هي بمعنى السبب أي بكوني غاوياً لأزين، كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة، وبمعصيته ليدخلن النار (٩) ومعنى لأزين، [كما تقول: بطاعته ليدخلن الجنة وبمعصيته ليدخلن النار]، ومعنى لأزين لهم في الأرض يعني لأولاد آدم، ومفعول التزيين محذوف على تقدير: لأزين لهم الباطل، حتى يقعوا فيه ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد فقال الله: ﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ يعني الإخلاص والإيمان طريق عليّ وإليّ أي أنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي فهو طريق علي، وهذا معنى قول مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرج على شيء (١٠) ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال ابن عباس: اختار الله عبداً فأخبر إبليس أنه ليس له عليهم سلطان أي قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال (١١) ثم أوعد من اتبعه فقال: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ قال ابن عباس: يريد إبليس ومن اتبعه من الغاوين (١٢) ﴿لها سبعة أبواب﴾ قال: سبعة أطباق، طبق

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٧/١٠ وأبو السعود في تفسيره ٧٤/٥ والألوسي في روح المعاني ٣٤/١٤. والسيوطي في الدر المنثور

٩٨/٤ وعزاه للطيالسي والفربايي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) انظر الصحاح ١٩٥٤/٥ لسان العرب ٢١٠٢/٣ ترتيب القاموس ٦١٩/٢.

(٣) ذكره بلا نسبة في معالم التنزيل للبغوي ٤٩/٣ وتفسير القرطبي ١٨/١٠ روح المعاني ٤٥/١٤ تفسير الرازي ١٩٤/٢ - ١٩٥ فتح التقدير ١٣٠/٣.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والبغوي في معالم التنزيل ٥٠/٣ بلا نسبة.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والخازن بالبغوي ٦٦/٤.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١٩/١٠ والألوسي في روح المعاني ٤٨/١٤ والرازي في تفسيره ١٤٦/١٩ والبغوي في تفسيره ٥٠/٣ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٣/١٣٢.

(٧) انظر الخازن مع البغوي ٦٦/٤.

(٨) انظر مجاز القرآن ٣٥١/١ تفسير الرازي ١٤٧/١٩ تفسير أبي السعود ٧٨/٥.

(٩) انظر تفسير الرازي ١٤٧/١٩ روح المعاني ٤٩/١٤.

(١٠) ذكره القرطبي ٢٠/١٠ والألوسي ٥٠/١٤ وأبو السعود ٧٩/٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) انظر تنوير المقباس ٦٦/٣.

(١٢) الرازي ١٥١/١٩ وانظر تنوير المقباس ١٦/٣ وتفسير القرطبي ٢١/١٠.

فوق طبق^(١) وقال علي بن أبي طالب: إن الله وضع النيران بعضها فوق بعض فأبوابها: كإطباق اليد على اليد^(٢) ﴿لكل باب منهم﴾ من أتباع إبليس ﴿جزء مقسوم﴾ والجزء بعض الشيء والجمع أجزاء قال الضحاك: هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض وأعلاها فيه أهل التوحيد، يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني فيه للنصارى والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس والسادس: فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون^(٣)، قوله: ﴿إن المتقين﴾ قال الكلبي: إن المتقين للفواحش والكبائر^(٤) ﴿في جناتٍ وعميون﴾ يعني عيون الماء والخمر ويقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي بسلامة قال ابن عباس: سلموا من سخط الله^(٥) ﴿ءأمين﴾ آمنوا عذاب الله والموت ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ مفسر في سورة الأعراف، ﴿إخواناً﴾ متوادين ﴿على سرير﴾ جمع سرير قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة^(٦) ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ لا يصيبهم في الجنة إعياء وتعب قال ابن عباس: مثل نصب الدنيا إذا مشى نصب وإذا جامع نصب^(٧) ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ يريد خلوداً لا زوال فيه .

﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠﴾ وَنَبَيْتَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ٥٢﴾ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمَنِ الْغَيْرِيتُ ٦٠﴾

﴿نبيء عبادي﴾ أخبرهم ﴿أنى أنا الغفور﴾ لأوليائي ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾

لأعدائي .

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا أبو بكر محمد بن إبراهيم الوراق، نا جعفر بن محمد بن سوار أنا مروان العثماني^(٨) نا عبد العزيز بن أبي حازم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لو يعلم

(١) وذكره السيوطي بنحوه من طرق عن علي ٩٩/٤ وعزاه لابن المبارك وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد في الزهد، وابن

أبي الدنيا في صفة النار وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. انظر تفسير القرطبي ٢١/١٠ ابن كثير ٤/٤٥٤ .

(٢) انظر الأثر السابق روح المعاني وفتح القدير ٣/١٣٣ وتفسير الرازي ١٩/١٥١ بلا نسبة .

(٣) الرازي في تفسيره ١٩/١٥١ والألوسي ١٤/٥٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٠ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) القرطبي ١٠/٢٢ والألوسي ١٤/٥٦ عن ابن عباس .

(٥) انظر تنوير المقباس ٣/٦٧ .

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/٢٣ والألوسي في روح المعاني ١٤/٥٩ والرازي في تفسيره ١٩/١٥٣ .

(٧) انظر تنوير المقباس ٣/٦٨ .

(٨) محمد بن عثمان بن خالد الأموي أبو مروان العثماني المدني نزيل مكة صدوق يخطيء مات سنة إحدى وأربعين . انظر التقريب

المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أبداً، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أبداً^(١).

أخبرنا: أبو عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن^(٢) عن عمرو بن أبي عمرو^(٣) عن المقبري^(٤) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة، لم يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار»^(٥) قوله: «ونبئهم عن ضيف إبراهيم» هذه القصة مضى ذكرها في سورة هود، والضيف في الأصل مصدر ولذلك وحد في اللفظ، وإن كانوا جماعة «إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً» أي سلموا سلاماً، فقال إبراهيم: «إنا منكم وجلون» الوجل الفزع، وجل يوجل وجلاً فهو وجل^(٦) «قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلامٍ عليمٍ» «قال أبشرتموني على أن مسني الكبير» [أي على حالة]^(٧) الكبير والهرم «فبم تبشرون» استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره، وقرأ نافع تبشرون بكسر النون، أراد تبشروني فحذف النون الثانية وأبقى الكسرة التي تدل على الياء، وابن كثير أدغم ولم يحذف^(٨) «قالوا بشرناك بالحق» بما قضاه الله أنه كائن «فلا تكن من القانطين» من الأيسين، والقنوط: اليأس من الخير «قال ومن يقنط من رحمة ربه» وقرىء (يقنط) بفتح النون^(٩) وهما لغتان قنط يقنط وقنط يقنط قنوطاً وقنطاً قال ابن عباس: يريد ومن يئس من رحمة ربه إلا المكذبون^(١٠) وهذا يدل على أن إبراهيم لم يكن قانطاً، ولكنه استبعد ذلك، فظنت الملائكة به قنوطاً فنفي ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال «قال فما خطبكم» قال الكلبي: فما بالكم؟ وما الذي جئتم به^(١١)؟ «قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين» يعنون قوم لوط «إلا آل لوط» استثناء ليس من الأول، وآل لوط هم أتباعه والذين كانوا على دينه «إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين» قضينا أنها تبقى مع من يبقى ويتخلف حتى تهلك كما يهلكون وقرأ عاصم قدرنا

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٩/٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى (٢٧٥٥/٢٣) والترمذي ٥١٣/٥ كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة (٣٥٤٢) وأحمد في المسند ٣٣٤/٢ - ٣٩٧ وابن حبان كذا في موارد الظمان (٦٢٥) كتاب الزهد باب في الخوف والرجاء ٢٥٢٣.

(٢) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري المدني حليف بن زهرة سكن الإسكندرية قال الدوري عن ابن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات قال أحمد: ثقة. انظر التهذيب (٣٩١/١١ - ٣٩٢).

(٣) عمرو بن ميسرة مولى المطلب بن عبد الله القرشي وثقه أبو زرعة انظر تهذيب الكمال (١٤٥/٢).

(٤) سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري أبو سعد المدني وقال ابن المديني وابن سعد والعجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة. وقال ابن خراش ثقة جليل أثبت الناس في الليث بن سعد، وقال أبو حاتم: صدوق وقال يعقوب بن شيبة قد كان تغير وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين وكان شعبة يقول: ثنا سعيد المقبري بعدما كبر وقال الواقدي اختلط قبل موته بأربع سنين. انظر التهذيب (٣٨/٤).

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٧/١١ كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ٦٤٦٩.

(٦) لسان العرب ٤٧٧٣/٦ ترتيب القاموس ٥٧٨/٤٣.

(٧) سقط في أ.

(٨) انظر النشر ٣٠٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧٧/٢.

(٩) المصدران السابقان.

(١٠) انظر تنوير المقياس ٦٩/٣ والقرطبي ٢٥/١٠.

(١١) ذكره الشوكاني في فتح القدير ١٣٥/٣ والقرطبي ٢٥/١٠ وأبو السعود ٨٢/٥ بلا نسبة.

مخففة^(١) يقال: قدرت الشيء، وقدرته ونحو هذا قوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾^(٢) قرىء بالوجهين^(٣)، وقوله: ﴿والذي قدر فهدى﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ^{٦١} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ^{٦٢} قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ^{٦٣} وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ^{٦٤} فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْقَئُكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُوْمَرُونَ^{٦٥} وَوَضِعْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ^{٦٦}

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك ﴿فأسر بأهلك﴾ مفسر في سورة هود، إلى قوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ قال ابن عباس: يعني الشام^(٤) وقال المفضل: حيث يقول لكم جبريل^(٥) وقال الكلبي: أمرهم جبريل أن يمضوا إلى صفر إحدى قرى قوم لوط^(٦) ﴿وقضينا إليه﴾ أي أوحينا إليه وألهمناه، وقال ابن قتيبة: أخبرناه، كقوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾^(٧) أي أخبرناهم^(٨) وقوله: ﴿ذلك الأمر﴾ أي الأمر بهلاك قومه قال الزجاج موضع أن نصب، وهو بدل من قوله: ذلك الأمر لأنه فسر الأمر بقوله: أن دابر^(٩) والمعنى: وقضينا إليه ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع﴾ أي آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، وهو قوله ﴿مصحين﴾ أي داخلين في وقت الصبح.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ^{٦٧} قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ^{٦٨} وَأَنْفِقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ^{٦٩} قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ^{٧٠} قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ^{٧١} لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ^{٧٢} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ^{٧٣} فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ^{٧٤} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ^{٧٥} وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ^{٧٦} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ^{٧٧}

قوله: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ يعني مدينة قوم لوط، وهي شذوم^(١٠) ﴿يستبشرون﴾ يفرحون بعملهم الخبيث طمعاً منهم في ركوب الفاحشة فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾

(١) هما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة أي كتبنا انظر النشر ٣٠٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٧٨/٢.

(٢) سورة الواقعة آية ٦٠.

(٣) انظر النشر ٣٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٥١٦/٢.

(٤) ذكره البغوي ٥٤/٣، والقرطبي ٢٦/١٠، والرازي ١٦٠/١٩، والألوسي في روح المعاني ٦٩/١٤، وأبو السعود ٨٤/٥، والشوكاني في الفتح القدير ١٣٧/٣.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٦٠/١٩، الخازن مع البغوي ٧٠/٤.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٢٦/١٠، الخازن مع البغوي ٧٠/٤.

(٧) سورة الإسراء ٤.

(٨) البغوي ٥٤/٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ١٨٢/٣، وفتح القدير ١٣٥/٣، وذكره الألوسي ٧٠/١٤ عن الأخفش.

(١٠) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سلام معجم البلدان (٢٢٦/٣).

يقال: فضحه يفضحه، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار والمعنى: لا يفضحون بقصدكم إياهم بالسوء فيعلموا أنه ليس لي عندكم قدر ﴿واثقوا الله ولا تخزون﴾ مذكور في سورة هود فقالوا له: ﴿أو لم تنهك عن العالمين﴾ أي عن ضيافة العالمين والمعنى: أول لم تنهك عن أن تدخل أحداً بيتك، لأننا نريد منه الفاحشة فقال لهم لوط ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم فاعلين لهذا الشأن، فعليكم بالتزوج بيناتي، ومضى الكلام في هذا قوله ﴿لعمرك﴾ العَمْر والعُمَر واحد فإذا أقسموا فتحوا العين لا غير، قال الزجاج: لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسم بلعمري، فلزموا الأخف ^(١) قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد وعيشك يا محمد ^(٢).

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ أنا عبد الله بن حامد، نا عبد الرحمن بن محمد الزهري، نا العباس الدوري.

حدثني: أبو عتاب سهل بن حماد نا سعيد بن زيد حدثني عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما خلق الله عز وجل، ولا ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته، قال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وقوله: ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ ^(٣) قال عطاء: يريد أن قومك في ضلالتهم يتمادون ^(٤) وقال عامة المفسرين ^(٥): يعني قوم لوط فأخذتهم الصيحة يعني صيحة العذاب قال المفسرون ^(٦): صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم وقوله ﴿مشرقين﴾ يقال: أشرق القوم إذا دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمساء، والمعنى: أن العذاب أتاهم في شروق الشمس يقال: أن أول العذاب كان مع طلوع الصبح، ثم امتد إلى شروق الشمس، لذلك قال: مصبحين ثم قال: مشرقين ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ مفسر في سورة هود، ﴿إن في ذلك﴾ يعني فيما فعل بقوم لوط ﴿آيات للمتوسمين﴾ يقال: توسمت في فلان خيراً، إذا رأيت أثره فيه، والمتوسم: الناظر في السمة الدالة على الشيء قال عطاء عن ابن عباس: للمتفرسين ^(٧) وقال الضحاك للناظرين ^(٨) قال مقاتل للمتفكرين ^(٩) وقال قتادة: للمعتبرين ^(١٠).

(١) قال القرطبي: (لعمرك) أصله ضم العين من العمر، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال. والعمر بضم العين وفتحها لغتان ومعناها واحد إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح بكثرة الاستعمال. انظر تفسير القرطبي (٢٧/١٠) معاني القرآن للزجاج (١٨٣/٣) تفسير الرازي (١٦١/١٩). روح المعاني ٧٣/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ فتح القدير للشوكاني ١٣٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً ٢٣٠/٨ كتاب التفسير تفسير سورة الحجر وقال الحافظ في الفتح: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وانظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٤٤/١٤ والبغوي ٥٥/٣ والألوسي ٧٢/١٤ والشوكاني في الفتح ١٣٩/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبه والحارث بن أبي أسامة ولأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل.

(٤) ذكره ابن الجوزي ٤٠٩/٤ والبغوي ٥٥/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ بنحوه عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير زاد المسير ٤١٠/٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ والضمير يعود لقریش.

(٦) انظر تفسير الرازي ١٦٠/١٩ روح المعاني ٧٤/١٤ البحر المحيط ٤٦٢/٥ زاد المسير ٤٠٩/٤.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٣/٥، وأبو السعود في التفسير ٨٦/٥، والرازي بلا نسبة ١٦٢/١٩ وذكر الأثر عن مجاهد في معالم التنزيل ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٨) ذكره أبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والقرطبي ٢٩/١٠ وذكره الرازي ١٦٢/١٩ وذكر عن ابن عباس في معالم التنزيل ٥٥/٣. وروح المعاني ٧٤/١٤. وفتح القدير ١٣٩/٣.

(٩) ذكره البغوي ٥٥/٣ والقرطبي ٢٩/١٠ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والرازي ١٦٢/١٩ وابن الجوزي ٤١٠/٤.

(١٠) ذكره البغوي ٥٥/٣ وأبو حيان في البحر ٤٦٣/٥ والألوسي ٧٤/١٤ والرازي ١٦٢/١٩ والشوكاني في الفتح عن مجاهد ١٣٩/٣ =

الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج ٣/٤م

أخبرنا: أبو حسان المزكي أنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري^(١) نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب^(٢) نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الواحد بن واصل^(٣) نا أبو بشر المزلق^(٤) عن ثابت عن أنس قال: رسول الله ﷺ: (إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم)^(٥) قوله: ﴿وإنها﴾ يعني مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ بطريق واضح لا يندر ولا يخفى قال ابن عباس: على طريق قومك إلى الشام^(٦) والمعنى أن الاعتبار بها ممكن ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لعبرة للمصدقين يعني أن المؤمنين اعتبروا وصدقوا.

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ۗ ۖ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَآمِرٌ مُّبِينٌ ۗ ۙ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۗ ۙ وَعَآئِنَهُمْ ءآيَاتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۗ ۙ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۗ ۙ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۗ ۙ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ ۙ

قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ معنى إن واللام التوكيد وإن ههنا مخففة من الثقيلة والأيكة والأيك: الشجر الملتف، قال المفسرون^(٧) قوم شعيب كانوا أصحاب غياض، فكذبوا شعيباً، فأهلكوا بعداب يوم الظلة وهو قوله ﴿فانتقمنا منهم﴾ قال المفسرون^(٨) أخذهم الحر أياماً، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا وقوله: ﴿وإنهما﴾ يعني الأيكة ومدينة قوم لوط ﴿ليامام مبين﴾ بطريق واضح، وسمي الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع قوله: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني ثمود، وكانت مساكنهم تسمى الحجر ﴿وآياتناهم ءآياتنا﴾ قال ابن عباس يريد الناقة وكان فيها آيات خروجها من الصخرة، ودنوتاجها عند خروجها وعظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً^(٩) ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ لم يتفكروا فيها، ولم يستدلوا بها ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ ذكرنا

= والسبوطي ١٠٣/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(١) الشيخ العالم الثقة العابد مسند العراق أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد ابن الحافظ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن صاحب النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري العوفي البغدادي، ولد سنة تسعين ومئتين وسمع سنة ثمان وتسعين. قال الخطيب: كان ثقة. مات الزهري في ربيع الأول، وقيل: مات في ربيع الآخر - سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة انظر السير (٣٩٢/١٦ - ٣٩٣).

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي روى عن القواريري وسعيد الجهمي وطبقتهما وقال فيه الإساعيلي: صدوق لكن قال الدارقطني: ليس بثقة. حدث عن ثقات بأحاديث باطلة. مات أبو إسحاق المخرمي في سنة أربع وثلاثمائة. ميزان الاعتدال (٤١/١ - ٤٢).

(٣) عبد الواحد بن واصل. أبو عبيدة الحداد مولى بني سدوس. وهو بصري سكن بغداد وحدث بها وكان ثقة. تاريخ بغداد (٣/١١).

(٤) بكر بن الحكم التميمي أبو بشر المزلق جار حماد بن زيد صدوق فيه لين من السابعة. التقريب (١٠٥/١).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٧١/١٠ وعزاه للبخاري والطبراني وقال إنساده حسن، وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٤٦١/٤، وذكره السبوطي في الدر المنثور ٤/١٠٣، وزاد نسبه للحكيم الترمذي وابن السني ولأبي نعيم.

(٦) ذكره القرطبي ٣١/١٠، وابن الجوزي ٤/٤١٠، الطبري ٤/٤٨.

(٧) نظر البغوي ٣/٥٥، القرطبي ٣١/١٠، روح المعاني ١٤/٧٥، الرازي ١٩/١٦٢، فتح القدير ٣/١٤٠.

(٨) انظر روح المعاني ١٤/٧٥، معالم التنزيل ٣/٥٥، الرازي ١٩/١٦٢.

(٩) ذكره ابن الجوزي ٤/٤١٠، وذكره في روح المعاني. ١٤/٧٦، معالم التنزيل ٣/٥٦، تفسير الرازي ١٩/١٦٣، فتح القدير

ذلك في سورة الأعراف وقوله ﴿ءأمين﴾ قال الفراء: آمين من أن تقع عليهم^(١) ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أنتهم صيحة عظيمة، فماتوا عن آخرهم في وقت الصبح وهذا مما قد تقدم في سورة الأعراف وقوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾ أي ما دفع عنهم العذاب ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من الأموال والأنعام.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّهٗٓ **فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** **وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** **وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ** **كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ** **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ** **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** **فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** **الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** **وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** **وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق، وهو الثواب للمصدق، والعقاب للمكذب ﴿وإن الساعة لآتية﴾ وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بقبح أعمالهم ﴿فاصفح الصفع الجميل﴾ أعرض عنهم إعراضاً بغير جزع وهذا منسوخ بآية القتال (٢) ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ خالق كل شيء ﴿العليم﴾ بما خلق، قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ واحد المثاني مثناة، وهي كل شيء يثنى، أي يجعل اثنين، وأكثر أهل التفسير (٣) على أن المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والكلبي وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

أخبرناه: أبو إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي أنا محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي نا الحسين بن موسى بن خلف نا إبراهيم بن الهيثم البلدي^(٤) نا آدم بن أبي إياس نا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم) رواه البخاري^(٥) عن آدم. وإنما

(١) انظر فتح القدير ٣/١٤٠، ومعالم التنزيل ٣/٥٦.

(٢) هي قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج ٣٩ قال الرازي: وقيل: هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد، لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفر والصفح فكيف يصير منسوخاً. انظر الرازي ١٩/١٦٤. والقرطبي ١٠/٣٦.

(٣) انظر ابن كثير ٤/٤٦٥، البغوي ٣/٥٦، البحر المحيط ٥/٤٦٥، الرازي ٣/١٦٤، القرطبي ١٠/٣٦، روح المعاني ١٤/٧٨، فتح القدير ٣/١٤١. نقلاً عن المصنف.

(٤) إبراهيم بن الهيثم البلدي عن علي بن عياش الحمصي وطبقته. وثقه الدارقطني والخطيب وذكره ابن عدي في الكامل وقال: حديثه مستقيم سوى حديث الغار كذبه فيه الناس. ميزان الاعتدال (١/٧٣).

(٥) (٢٣٢/٨) كتاب التفسير باب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٤٧٠٣)، وأبو داود ٤/٧١ كتاب الصلاة باب فاتحة الكتاب ١٤٥٨ والسنائي ٢/١٣٩ كتاب الافتتاح باب تأويل قول الله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) ٩١٣، وابن ماجه ٢/١٢٤٤ كتاب الأدب باب ثواب القرآن ٣٧٨٥ وأحمد في المسند ٣/٤٥٠.

سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها سبع آيات وهي تثني في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة، وقال الزجاج: ويجوز أن يكون من المثاني مما أثني به على الله لأن فيها حمد الله وتوحيده، وذكر ملكه يوم الدين، المعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يشئى بها على الله^(١)، وهذه الآية تدل على فضيلة الفاتحة لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه السورة، كما امتن عليه بجميع القرآن، حيث فصل هذا من القرآن بالذكر ثم ذكر القرآن بعده فقال: ﴿والقرآن العظيم﴾ أي العظيم القدر، لأنه كلام الله ووحيه وتنزيله، ولما ذكر منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا فقال: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من المشركين واليهود، قال ابن عباس: «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها فكان ﷺ لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا^(٢).

﴿ولا تحزن عليهم﴾ قال الكلبي: على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب^(٣) ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أثن لهم جانبك قال ابن عباس: ارفق بهم، ولا تغلظ عليهم^(٤) والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً ساكناً^(٥) ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ قال ابن عباس أنذركم بسخط الله وعذابه وأبين لكم ما يقربكم إلى الله^(٦) ﴿كما أنزلنا﴾ ويجوز أن يكون المعنى أني أنذركم ما أنزلنا، وتكون الكاف زائدة^(٧) وقوله: ﴿على المقتسمين﴾ يعني الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ، والإيمان به، قال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرمية^(٨) ثم وصفهم فقال: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال ابن عباس: جزؤوه أجزاء فقالوا: سحر، وقالوا: أساطير الأولين وقالوا: مفترى^(٩) وعضين جمع عضه، مثل عزة وعزين من عضيت الشيء إذا مزقته^(١٠) وكل قطعة عضه والمعنى أنهم فرقوا القول في القرآن، حيث اختلفت في وصفة أقوالهم قوله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ قال الكلبي: عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسله^(١١) وهذا السؤال سؤال توبيخ، يسألون يوم القيامة فيقال لهم: لم عصيتم الرسل، وتركتم الإيمان؟ فيظهر خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب، وقال أبو العالية:

(١) انظر تفسير الرازي ١٩/١٦٥، تفسير روح المعاني ١٤/٧٩ بلا نسبة معالم التنزيل ٣/٥٧.

(٢) ذكره الطبري ١٤/٦٠ والبغوي ٣/٥٧ والرازي ١٩/١٦٧ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٥ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٣) انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي ١٠/٣٨، زاد المسير، ٤/٥٨.

(٤) انظر تفسير زاد المسير ٤/٤١٦، والبغوي في معالم التنزيل ٣/٥٧.

(٥) انظر فتح القدير ٣/١٤٢.

(٦) انظر زاد المسير ٤/٤١٦، وأورد ابن كثير ٤/٤٦٦ هذا المعنى بلا نسبة.

(٨) ذكره البغوي ٣/٥٨، والقرطبي ١٠/٣٩، والرازي ١٩/١٦٨، والشوكاني في الفتح ٣/١٤٣ عن الفراء، والألوسي ١٤/٨١ عن

ابن السائب، وابن الجوزي ٤/٤١٨.

(٩) أخرج نحوه البخاري في صحيحه ٨/٢٣٣ كتاب التفسير ٥٧٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وزاد نسبه لسعيد بن

منصور والحاكم والفريريبي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس انظر تفسير البغوي ٣/٥٨ تفسير الرازي

١٩/١٦٩، روح المعاني ١٤/٨١، فتح القدير ٣/١٤٣.

(١٠) عزين: العزة هي الجماعة من الناس.

(١١) انظر لسان العرب ٤/٢٩٣٥، الصحاح ٦/٢٤٢٥، ترتيب القاموس ٣/٢٢٠. ذكره البغوي ٣/٥٨ عن محمد بن إسماعيل

والشوكاني في الفتح ٣/١٤٣ بلا نسبة وذكره القرطبي ١٠/٤٠ والألوسي ١٤/٨٥ مرفوعاً بنحوه قال القرطبي روى الترمذي

الحكيم قال: حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس بن مالك عن

رسول الله ﷺ في قوله: (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن قول لا إله إلا الله.

يسأل العباد كلهم يوم القيامة عن خلتين عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين^(١) وأما قوله: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبك الآية أي لا يسألون سؤال استفهام ليعلم ذلك من جهتهم قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ قال الزجاج: يقول أظهر ما تؤمر به أخذ من الصديق، وهو الصبح^(٢).

وقال المفسرون^(٣) اجهر بالأمر أي بأمرك، يعني إظهار الدعوة، وما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية^(٤)، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لومهم إياك على إظهار الدعوة ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الذين كانوا يستهزئون بك وبالقرآن، وكانوا جماعة يؤذون النبي ﷺ^(٥) الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والحارث بن عيطلة والأسود بن عبد يغوث والحارث بن عدي^(٦) فأوما جبريل بإصبعه إلى ساق الوليد وإلى عيني أبي زمعة وإلى رأس الأسود وإلى بطن الحارث وقال للنبي ﷺ: كفيت أمرهم، فمر الوليد على قين^(٧) لخراعة، وهو يجرب ثيابه، فتعلقت بثوبه شوكة، فمنعه الكبر أن يخفض رأسه، فينزعه، وجعل يضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى قطع إنسياء فلم يزل حتى مات، ووطيء العاص على شبرقة^(٨) فحكمت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمي أبو زمعة وأخذت الأكلة^(٩) في رأس الأسود وأخذ الحارث الماء في بطنه فمات خبثاً يعني استسقاء ثم وصفهم بالشرك فقال: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاء آخر فسوف يعلمون﴾ وعيد لهم وتهديد ثم عزى نبيه ﷺ فقال: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من تكذيبك والاستهزاء بك ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قال الضحاك: قل سبحان الله ويحمده^(١٠) ﴿وكن من الساجدين﴾ قال ابن عباس: من المصلين^(١١)، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(١٢) ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قال جماعة المفسرين^(١٣) يعني الموت وسمي الموت

(١) ذكره الألويسي في روح المعاني ٨٥/١٤، وعزاه لابن الجوزي في زاد المسير ٤١٩/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وعزاه للترمذي وابن جرير وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٨٦، البحر المحيط ٥/٤٦٩ - ٤٧٠.

(٣) انظر القرطبي ١٠/٤١، روح المعاني ٨٥/١٤، معالم التنزيل ٣/٥٩ تفسير الرازي ١٩/١٧٠، فتح القدير ٣/١٤٤ نقلاً عن المصنف.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٦ وعزاه لابن جرير عن أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٥٩، تفسير الرازي ١٩/١٧١، روح المعاني ١٤/٨٦، فتح القدير ٣/١٤٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠٧، وعزاه للطبراني في الأوسط والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس.

(٦) الحارث بن عدي بن سعد بن سهم انظر جمهرة أنساب العرب (١٦٥).

(٧) القين: الحداد. انظر تاج العروس ٩/٣١٦، الصحاح ٦/٢١٨٥، لسان العرب ٥/٣٧٩٧، ترتيب القاموس ٣/٧٢٦.

(٨) الشبرقة: نبت كأظفار الهر منبتها نجد وتهامة نوع من الشوك، انظر لسان العرب ٤/٢١٨٥ تاج العروس ٦/٣٩٠، الصحاح ٤/١٥٠٠ ترتيب القاموس ٢/٦٦٦.

(٩) الأكلة داء يقع في العضو. انظر تاج العروس ٧/٢٠٩، الصحاح ٤/١٦٢٤، لسان العرب ١/١٠٢، ترتيب القاموس ١/١٦٤.

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٣/٦٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٣.

(١١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٣ والبغوي ٣/٦٠ عن الضحاك وأبو حيان في البحر ٥/٤٧٠ بلا نسبة.

(١٢) أخرجه أبو داود عن حذيفة بلفظ (كان إذا حزبه أمر صلى) ١/٣٥ كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ ١٣١٩ وأحمد في المسند ٥/٣٨٨ والطبري في تفسيره ١/٢٠٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٦٧. وقال المناوي في الفيض ٥/١٢٠ سكت عليه أبو داود قال المنذري: وذكر بعضهم أنه روي مرسلًا. انظر عون المعبود ٤/١٤٢.

(١٣) انظر معالم التنزيل ٣/٦٠ تفسير الرازي ١٩/١٧١ روح المعاني ١٤/٨٧، فتح القدير ٣/١٤٦.

يقيناً لأنه موقن به قال قتادة: اليقين الموت وعند الموت والله يقين من الخير والشر^(١) قال الزجاج المعنى: اعبد ربك أبدأ لأنه لو قيل: اعبد ربك بغير توقيت لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فإذا قال: حتى يأتيك اليقين: فقد أمر بالإقامة على العبادة أبدأ ما دام حياً.

أخبرنا: أبو بكر بن الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان نا أمية بن محمد الصواف نا محمد بن يحيى الأزدي نا الهيثم بن خارجة^(٢) نا إسماعيل بن عياش^(٣) عن شرحبيل بن مسلم^(٤) عن ابن مسلم الخولاني عن جبير بن نفير^(٥) قال: قال: رسول الله ﷺ: ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن ﴿فسح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٦)

(١) ذكره الألويسي في روح المعاني ٨٧/١٤ وأبو حيان في البحر ٤٧٠/٥ بلا نسبة والقرطبي ٤٢/١٠ بلا نسبة.

(٢) الهيثم بن خارجة الخراساني الحافظ أبو أحمد، ويقال أبو يحيى المروزي نزل بغداد قال صالح بن محمد: سمعت هشام بن عمار يقول كنا نسمة سعيد الصغير، قال صالح: وكان أحمد يشي عليه، وكان يتزهّد وكان سبيء الخلق مع أصحاب الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري مات في ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين، وقال ابن نافع: ثقة وقال الخليلي: ثقة متفق عليه انظر التهذيب (٩٣/١١ - ٩٤).

(٣) إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي عالم الشاميين. قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحفظ منه، دحيم: هو في الشاميين غاية وخلص عن المدنيين ولينه أبو حاتم انظر الكاشف (١٢٧/١) الميزان (٢٤٠/١) التقريب (٧٣/١).

(٤) شرحبيل بن مسلم تابعي ثقة انظر تاريخ الثقات (٢١٦).

(٥) جبير بن نفير أبو عبد الرحمن الحضرمي أسلم في حياة النبي ﷺ وهو باليمن ولم يره، وقدم المدينة فأدرك أبا بكر ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص. وروى عن أبي بكر وعمر وأبي ذر والمقداد وأبي الدرداء وغيرهم. وروى عنه ابنه، وخالد بن معدان وغيرهما. قال أبو عمر: جبير بن نفير من كبار تابعي الشام ولأبيه نفير صحبة. انظر أسد الغابة (٣٢٤/١).

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٥٧/٥ وذكره البغوي في تفسيره ٦٠/٣ وفي سننه إسماعيل بن عياش تقدم الكلام عليه.

سورة النحل

مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

أخبرنا: أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الحيري نا إبراهيم بن شريك الكوفي نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية^(١).

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْبُرُوجَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله﴾ أي عذابه لمن أقام على الشرك، وتكذيب رسوله، وهو الأمر بالسيف ﴿فلا تستعجلوه﴾ لا تطلبوه قبل حينه^(٢) وهذا كما تقول لمن يطلب أمراً يستعجل فيه: أتاك الأمر فلا تستعجل وقال جماعة من المفسرين^(٣) أمر الله ههنا الساعة، وذلك أنهم استبطأوا أمر الساعة فأعلم الله أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾^(٤) ﴿سبحانه﴾ تنزيها له وبراءة من سوء ﴿وتعالى﴾ ارتفع بصفات المدح ﴿عما يشركون﴾ به من الأصنام أي أنها ليست شركاء لهم لأنهم لا يخلقون شيئاً قوله ﴿ينزل الملائكة﴾ قال ابن عباس: «يريد جبريل وحده»^(٥) ﴿بالروح من أمره﴾ بالوحي وهو كلام الله سمي روحاً لأنه حياة من موت الكفر ﴿على من يشاء

(١) تقدم غير مرة.

(٢) في تقدير قول تعالى (أتى أمر الله) وجهان:

الوجه الأول: أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع.

والوجه الثاني: وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين، فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود، والحاصل قيل: أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد، فصح قولنا أتى أمر الله، إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل، لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت.

انظر الرازي (١٧٤/١٩) وانظر تفسير القرطبي ٤٤/١٠ المعاني ٩٠/١٤.

(٣) انظر البغوي ٦١/٣ عن الكلبي وغيره والشوكاني فتح القدير ١٤٦/٣ القرطبي ٤٤/١٠ الرازي ١٧٣/١٩ - ١٧٤ روح المعاني ٩٠/١٤ أبو السعود ٩٤/٥.

(٤) سورة القمر آية (١).

(٥) انظر تنوير المقباس ٧٩/٣ فتح القدير ١٤٧/٣ الرازي ١٧٥/١٩ وذكره البغوي في معالم التنزيل ٦١/٣ عن أبي عبيدة والألوسي ٩٣/١٤ عن بعضهم وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٨/٤.

من عباده ﴿ يريد النبيين الذين يختارهم بالرسالة، وقوله: ﴿ أن أنذروا ﴾ أي أهل الكفر بأنه ﴿ لا إله إلا أنا ﴾ أي مروهم بتوحيدي، وأعلموهم ذلك مع تخوفهم لو لم يقرأوا ثم ذكر ما يدل على توحيده فقال:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٤﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بَشِقَ الْأَنْفُسِ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ الآية ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ يعني أبي بن خلف ﴿ فإذا هو خصيم ﴾ مخاصم ﴿ مبين ﴾ ظاهر الخصومة، وذلك أنه خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث^(١) والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، ومع ذلك يخاصم، وينكر البعث أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على خلقه أولاً، قادر على إعادته ﴿ والأنعام خلقها ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم. ثم ابتدأ فقال ﴿ لكم فيها دفء ﴾ [ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: لكم ثم يتدىء فيقول: فيها دفء] ^(٢). وهو ما يستدفاً به من الأكسية والأبنية من أوبارها وأشعارها وأصوافها، قال الأصمعي: الدفاء السخونة^(٣) وقال الفراء: يقال: دفيت يدفاً دفاً ودفاً^(٤) قوله: ﴿ ومنافع ﴾ يعني النسل والدر، والركوب ﴿ ومنها تأكلون ﴾ يريد من لحومها ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ زينة ﴿ وحين تريحون ﴾ تردونها إلى مرايحها وهو حيث تأوي إليه ليلاً ﴿ وحين تسرحون ﴾ ترسلونها بالغداة إلى مراعيها، يقال: سرح القوم إبلهم سرحاً قال قتادة: وأحسن ما تكون إذا راحت عظماً ضروعها، طوالاً أسمنتها^(٥) ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ جمع ثقل، وهو متاع المسافر ﴿ إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ﴾ قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر^(٦) هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم، وخص ابن عباس اليمن والشام، لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه والشق المشقة معناه: إلا بجهد الأنفس ﴿ إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ بكم إذ منّ عليكم بالنعم التي فيها هذه المرافق قوله: ﴿ والخيول ﴾ أي وخلق الخيل ﴿ والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ قال الزجاج: نصبها على أنها مفعول لها^(٧) والمعنى: وخلقها للزينة والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل وإن ذكرته مع البغال والحمير، لأن القصد بهذه الآية إظهار المنة، بأن خلق لنا من الحيوان ما نركبه وتجميل به ولحوم الخيل حلال بالسنة:

(١) روي أنه جاء إلى النبي ﷺ بعظمة رميم، فقال: أترى يجيي الله هذا بعدما رم، وفي هذا نزل أيضاً قوله تعالى ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ يس ٧٨. انظر تفسير القرطبي ٤٦/١٠.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكره الرازي ١٨١/١٩ والقرطبي ٤٦/١٠ بلا نسبة وكذا الرازي ١٨١/١٩ والألوسي في روح المعاني ٩٨/١٤ والشوكاني في فتح القدير ١٤٨/٣.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٤٨/١٠ بلا نسبة.

(٥) ذكره السيوطي بنحوه ١١٠/٤ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٠/٤ والألوسي في روح المعاني ١٠٠/١٤ والرازي ١٨٢/١٩ مع زيادة (المدينة) والشوكاني في فتح القدير ١٤٨/٣ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٣ التفسير الكبير للرازي ١٨٣/١٩.

أخبرنا: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ أنا مكّي بن عبدان نا عبد الله بن هاشم نا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر^(١) عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ» رواه البخاري^(٢) عن قتيبة عن جرير عن هشام.

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد العدل أنا أبو الهيثم المروزي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل نا مسدد نا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر قال: (نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر. ورخص في لحوم الخيل)^(٣). وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: إن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل في كل بحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة^(٤)، وقال آخرون: يعني ما أعد في الجنة لأهلها، وما أعد في النار لأهلها^(٥).

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا قصد بك إلى ما تريد، وقصد السبيل: الإسلام والمعنى: أن قصد السبيل الذي هو الإسلام على الله أن يؤدي إلى رضا الله

(١) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام الأسدية زوجة هشام بن عروة، روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر وأم سلمة زوج النبي ﷺ وعمره بنت عبد الرحمن. وعنهما زوجها هشام بن عروة بن سوقة ومحمد بن إسماعيل بن يسار، قال العجلي: مدينة تابعة ثقة، وقال هشام بن عروة: كانت أكبر مني بثلاث عشرة سنة، فيكون مولدها سنة ثمان وأربعين. وذكرها ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٤٤٤/١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل (٥٥١٩) ومسلم ٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل (٣٨-١٩٤٢) والنسائي ٢٢٧/٧ كتاب الضحايا باب الرحمة في نحر ما يذبح (٤٤٠٦) وابن ماجه ١٠٦٤/٢ كتاب الذبائح باب لحوم الخيل ٣١٩٠ والبيهقي ٢٧٩/٩ كتاب الضحايا باب الذبح في الغنم.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٠/٩ كتاب الذبائح باب لحوم الحمر الانسية (٥٥٢٤) ومسلم ١٥٤١/٣ كتاب الصيد باب في أكل لحوم الخيل ٣٦-١٩٤١ وأبو داود ٣٥١/٣ كتاب الأطعمة باب في أكل لحوم الخيل ٣٧٨٨ والنسائي ٢٠١/٧ كتاب الصيد والذبائح باب الإذن في أكل لحوم الخيل (٤٣٢٧) والدارمي ٨٧/٢ كتاب الأضاحي باب في أكل لحوم الخيل والبيهقي في السنن ٣٢٧/٩ كتاب الضحايا باب أكل لحوم الخيل.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ٥٤/١٠ والألوسي في روح المعاني ١٠٢/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والرازي ١٨٤/١٩ عن ابن عباس وعطاء ومقاتل والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ مختصراً.

(٥) ذكره البغوي ٦٣/٣ والألوسي في روح المعاني ١٠٣/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٤ والقرطبي ٥٤/١٠ والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣.

وثوابه وجزائه قال مجاهد: وطريق الحق على الله^(١) وهذا كقوله: ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾^(٢) قوله ﴿ومنها جائر﴾ أي مائل عادل عن الحق قال الكلبي: يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية^(٣) وقال ابن المبارك: يعني الأهواء والبدع^(٤) ثم بين أن المشيئة إليه فقال: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ قال ابن عباس: لو شاء لأرشدكم كلكم حتى لا يختلف عليك يا محمد أحد قوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ قال الزجاج كل ما نبت على الأرض فهو شجر^(٥) وقال ابن قتيبة يعني الكلاء^(٦) والمعنى: أنه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ما ترعاه الراعية من دق الشجر وجلها، لأن الإبل ترعى جل الشجر قوله: ﴿فيه﴾ أي في الشجر ﴿تسيمون﴾ يقال أسمت الماشية إذا خليتها ترعى، وسامت هي إذا رعت فهي سائمة^(٧) قوله ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ قال ابن عباس: يريد الحبوب^(٨) ﴿والزيتون﴾ جمع زيتونة يقال للشجرة نفسها: زيتونة وباقي الآية وما بعدها ظاهر، تقدم تفسيره، وأكثر القراء على نصب الشمس والقمر والنجوم وهو الوجه لاستقامتها مع ما قبلها في المعنى وإذا استقامت في معنى واحد، استقامت في إعراب واحد وقوله: ﴿مسخرات﴾ حال مؤكدة لأن تسخيرها قد عرف بقوله: وسخر وقرأها ابن عامر بالرفع^(٩)، فابتدأ الشمس والقمر، وجعل مسخرات خبراً عنها، وقرأ حفص ﴿مسخرات﴾ بالرفع وحدها وجعلها خبر ابتداء محذوف كأنه قال: مسخرات قوله ﴿وما ذراً﴾ أي وسخر لكم ما خلق ﴿لكم﴾ أي لأجلكم، يعني الدواب والشجر وغيرها ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي هيئته ومناظره.

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفُلْكَ مَوَازٍ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۙ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۙ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۙ

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلك للركوب والغوص ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يريد الدر واللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ شواق الماء بدفعه بصدرها، ومخر السفينة: شقها الماء بصدرها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني لتركبوه للتجارة فتطلبوا الريح من فضل الله ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ جبلاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ الميّد الحركة والاضطراب ماد يميد ميّداً قال ابن عباس أوتدها بالجبال لثلا تميد بأهلها^(١٠) ﴿وأنهاراً﴾ وجعل فيها أنهاراً، النيل، والفرات، ودجلة،

(١) تقدم في سورة الحجر في الآية المذكورة نحوه وذكره السيوطي في ١١٢/٣ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) سورة الحجر آية (٤١).

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ بلا نسبة والقرطبي ٥٥/١٠ بلا نسبة وأبو حيان في البحر ٤٧٧/٥.

(٤) انظر معالم التنزيل ٦٣/٣ وذكره الأوسى ١٠٣/١٤ بلا نسبة والشوكاني في فتح القدير ١٤٩/٣ بلا نسبة.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٣ الرازي ١٨٦/١٩ فتح القدير ١٥١/٣ البحر المحيط ٤٧٨/٥.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٢ انظر البحر المحيط ٤٧٨/٥ تفسير الرازي ١٨٦/١٩.

(٧) انظر الصحاح ١٩٥٥/٥ لسان العرب ٢١٥٨/٣ تاج العروس ٣٥٠/٨، ترتيب القاموس ٦٥١/٢.

(٨) ذكره الرازي ١٨٧/١٩ بلا نسبة وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٤.

(٩) انظر النشر في القراءات ٣٠٢/٢ حجة القراءات (٣٨٦) إتحاف البشر ٥١/٢ - ١٨١.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٦٤/٣ نحوه عن وهب وذكر هذا المعنى الرازي ٧/٢٠، وروح المعاني ١١٤/١٤ فتح القدير ١٥٣/٣.

وسبحان، وجيحان ﴿وسبلاً﴾ طرقاتاً إلى كل البلاد ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد، فلا تضلون ﴿وعلامات﴾ يعني الجبال، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ أراد جميع النجوم، لأن بها يهتدون وإلى الطرق والقبلة والبر والبحر ثم دل بهذه الأشياء التي خلقها على نفسه فقال:

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ
يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿أفمن يخلق﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني الأوثان وهي لا تخلق شيئاً ﴿أفلا تذكرون﴾ يعني المشركين يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون؟ قوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تقدم تفسيره ﴿إن الله لعفور﴾ لما كان منكم من تقصير شكر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم، وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها، وهي موات لا روح لها ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ الأصنام متى تبعث قال ابن عباس: وذلك أن الله يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرأون من عابديهم (١) ثم يؤمر بالشياطين (٢) والذين كانوا يعبدونها إلى النار ثم ذكر وحدانيته فقال:

إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا
يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿إلهكم إله واحد﴾ وقد مضى بيانه في سورة البقرة ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني بالبعث والثواب والعقاب ﴿قلوبهم منكرة﴾ جاحدة غير عارفة توحيد الله ولا القرآن ﴿وهم مستكبرون﴾ ممتنعون من قبول الحق ﴿لا جرم﴾ حقاً ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ أي أنه يجازيهم بذلك، لأنه يعلمه ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ لا يشبههم، ولا يرضى عنهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ
أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ
بَنِيَنَّهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ آيُنْ شُرَكَاءِ عِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ
الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا
نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليئسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

(١) في ب (عبادتها) وفي أ، ج (عابدهم).

(٢) انظر تفسير الرازي ١٤/٢٠ تفسير القرطبي ٦٣/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٥٦/٣ قال: روى فذكره بنحوه.

﴿وإذا قيل لهم هؤلاء المنكرين^(١) ﴿ماذا أنزل ربكم﴾؟ [ما الذي أنزل ربكم]^(٢) على محمد؟ ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين^(٣) أي أكاذيبهم، وما سطره في كتبهم من الأخبار والقصص ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ هذه لام العاقبة، لأنهم لم يقولوا للقرآن: أساطير الأولين ليحملوا الأوزار، ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك جاز أن يقال: فعلوا ذلك له، كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً﴾ وقوله: ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لأنهم لم يكفر عنهم شيء من ذنوبهم بما يصيهم في الدنيا من نكبة وبلية كما يكفر عن المؤمنين ومن أوزار الذين يضلونهم لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة فحمل عليهم من أوزار من اتبعهم كما قال ﷺ: أيما داع دعا إلى ضلالة، فاتبع، كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(٤) وقوله: ﴿بغير علم﴾ يعني أنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بما يكتسبون من أوزارهم ومثل أوزار من اتبعهم، ثم ذم صنيعهم فقال: ﴿ألا ساء ما يزرعون﴾ بشس ما حملوا على ظهورهم قوله: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني نمrod بن كنعان بنى صرحاً طويلاً، ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه، ومعنى المكر ههنا التدبير الفاسد قوله: ﴿فأتى الله بنيانهم﴾ أي أتى أمر الله وهو الريح التي خربتها وحركتها، وقال المفسرون^(٥) أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخر عليهم الباقي، وقوله: ﴿من القواعد﴾ قال الزجاج من أساطير البناء التي تعمد^(٦) ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقط أعلى البيوت على أصحاب نمrod ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من حيث ظنوا أنهم في أمان منه ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم ويبينهم بالعذاب ﴿ويقول أين شركائي﴾ قال الزجاج هذه حكاية لقولهم، والله لا شريك له^(٧)، والمعنى: أين الذين في دعوكم أنهم شركائي؟ أي: أين؟ هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ تخالفون المسلمين فيهم فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع بكسر النون أراد تشاقوني، فحذف إحدى النونين^(٨) كما ذكرنا في قوله ﴿فبم تبشرون﴾^(٩) والمعنى تنازعوني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني ومعنى مخالفتهم [الله في الشركاء، مخالفتهم]^(١٠) أمر الله لأجلها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس يريد الملائكة^(١١) وقال غيره: هم المؤمنون، يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة^(١٢) ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ أي الفضيحة والعذاب ﴿على

(١) في جـ (المتكبرين).

(٢) سقط في أ.

(٣) سقط في أ.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه ٢٠٦٠/٤ كتاب العلم باب من سن سنة حسنة (١٦ - ٢٦٧٤) وأبو داود ٢٠١/٤ كتاب السنة باب لزوم لسمة

(٥٦٠٩) والترمذي ٤٢/٥. كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى ٢٦٧٤ وابن ماجه ٧٥/١ المقدمة باب من سن سنة حسنة

أوسنة ٢٠٦ والطبراني في الكبير ٦٦/١٤.

(٥) انظر القرطبي ٦٥/١٠ روح المعاني ١٢٥/١٤ معالم التنزيل ٦٦/٣ زاد المسير ٤٤٠/٤.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٣ الرازي ١٧/٢٠ بنحوه.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٣ الرازي ١٨/٢٠ بنحوه روح المعاني ١٢٢/١٤.

(٨) انظر النشر في القراءات (٣٠٣/٣) حجة القراءات ص (٣٨٨) إتحاف فضلاء البشر ١٨٣/٢ تفسير القرطبي ٦٦/١٠.

(٩) سورة الحجر آية ٥٤.

(١٠) سقط في ب.

(١١) انظر تفسير القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٢٧/١٤ زاد المسير ٤٤٤/٤، تفسير الرازي ١٨/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٥٩/٣ بلا

نسبة.

(١٢) انظر البغوي ٦٦/٣. القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٢٧/١٤ الرازي ١٨/٢٠ أبو السعود ١٠٨/٥.

الكافرين ﴿ لا علينا ثم وصفهم فقال: ﴿الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تقدم تفسيره ﴿فألقوا السلم﴾ انقادوا وأقروا لله بالربوبية أخبر الله عنهم بالمشاقة في الدنيا وأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويترأون من الشرك وهو قوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فقال الملائكة رداً عليهم ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ من التكذيب والشرك ثم يقال لهم: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبس ثوى المتكبرين﴾ مقام المتكبرين عن توحيد الله وعبادته .

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْرَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نُوْقِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ قال المفسرون^(١): كان هذا في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره، فيقولون: إنه ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وأمره وما أنزل الله عليه فيقولون: خيراً أي أنزل خيراً ثم فسر ذلك الخير فقال ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ قالوا: لا إله إلا الله ﴿حسنة﴾ قال ابن عباس: يريد مضعفة بعشر^(٢) ﴿ولدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها﴾ هذا كما يقول: نعم الدار دار تنزلها قوله: ﴿الذين توفاهم الملائكة طيبين﴾ قال الكلبي: طيبين من الشرك^(٣)، وقال مجاهد زاكية أفعالهم^(٤) وأقوالهم .

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ نظير هذه الآية في سورة البقرة^(٥) وآخر سورة الأنعام^(٦)، وقد تقدم وقوله ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يريد كفار الأمم الماضية ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإقامتهم على الشرك ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أي جزاؤها قال ابن عباس جزاء ما عملوا من الشرك^(٧) ﴿وحاق﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

(١) انظر الرازي ٢٠/٢٠ القرطبي ٦٦/١٠ روح المعاني ١٣١/١٤ عن السدي بنحوه أبو السعود ١١٠/٥ .

(٢) انظر البغوي ٦٧/٣ روح المعاني ١٣١/١٤ بلا نسبة .

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ بلا نسبة القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير للشوكاني ١٦٠/٣ بلا نسبة وقالوا: طاهرين من الشرك .

(٤) انظر معالم التنزيل ٦٧/٣ روح المعاني ١٣٣/١٤ القرطبي ٦٧/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٦٠/٣ .

(٥) هي قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر...﴾ الآية ١١٠ سورة البقرة .

(٦) هي قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك...﴾ الآية (١٥٨) سورة الأنعام .

(٧) انظر البحر المحيط ٤٨٩/٥ بنحوه بلا نسبة .

شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ تَحَرُّصَ عَلَيَّ هَدَيْتُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وقال الذين أشركوا﴾ يعني أهل مكة ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ أي لو شاء الله ما أشركنا ولكنه شاء لنا ﴿ولا حرمانا من دونه من شيء﴾ من البحيرة والسائبة قال الزجاج إنهم قالوا هذا على جهة الهزء ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين^(١) ونظير هذه الآية قد تقدم في سورة الأنعام وقوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعني ليس عليهم إلا التبليغ فأما الهداية فهي إلى الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد حقق هذا فيما بعد وهو قوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ يعني كما بعثناك في هؤلاء ﴿أن اعبدوا الله﴾ أي عبادة الله ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ الشيطان، وكل من يدعو إلى الضلالة ﴿فمنهم من هدى الله﴾ أرشده ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ قال ابن عباس: يريد في سابق علمي^(٢) قال الزجاج أعلم الله أنه بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية^(٣) ومعنى حقت عليهم الضلالة وجب عليهم الكفر كما [قال]^(٤): ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾^(٥) ثم قال: ﴿فسيروا في الأرض﴾ أي معتبرين بآثار الأمم المكذبة وهو قوله: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي فقال: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ أي إن تطلب بجهدك ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي من يضل، وهذا كقوله: ﴿من يضل الله فلا هادي له﴾^(٦) وقرأ أهل الكوفة بفتح الباء^(٧) والمعنى فإن الله لا يرشد من أضله قوله:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الإيمان، تكديماً منهم بقدرة الله على البعث بعد الموت^(٨)، وهو قوله ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ فقال الله ردأ عليهم ﴿بلى وعداً عليه حقاً﴾ أي بلى ليعيثنهم وعداً

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٣ روح المعاني ١٣٨/١٤ نقلاً عن الواحدي تفسير الرازي ٢٣/٢٠.

(٢) انظر البغوي ٦٨/٣ بنحوه بلا نسبة زاد المسير ٤٦٤/٤ القرطبي ٦٩/١٠ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٣ فتح القدير ١٦١/٣.

(٤) سقط في ب.

(٥) سورة الأعراف في آية ٣٠.

(٦) سورة الأعراف ١٨٦.

(٧) انظر النشر في القراءات (٣٠٤/٢) حجة القراءات (٣٨٩) إتحاف فضلاء البشر ١٨٤/٢ القرطبي ٦٩/١٠ البحر المحيط ٤٩٠/٥.

(٨) انظر القرطبي ٧٠/١٠ بلا نسبة.

للبعث حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني المشركين ﴿ليبين لهم﴾ بالبعث ﴿الذي﴾ اختلفوا ﴿فيه﴾ مع المؤمنين وذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ فيما أقسموا من أنه لا بعث ثم أخبر بقوته وقدرته على البعث فقال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾ الآية قال الزجاج: أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه فأخبر أنه متى أراد الشيء كان^(١) وهذا كقوله: ﴿فاذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(٢) وقد تقدم تفسيره، وقراءة أكثر القراء (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون، وقرأ ابن عامر (فيكون) نصباً^(٣) عطفاً على أن يقول فيكون، قوله: ﴿والذين هاجروا في الله﴾ نزلت في قوم أذاهم المشركون وعذبوهم بمكة، منهم صهيب وبلال، وخباب^(٤)، ومعنى هاجروا في الله، هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه. وقوله ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي دارا حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة في قول مجاهد والشعبي والحسن وقتادة^(٥) ﴿ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن أمر الجنة أكبر وأعظم من أن يعلمه أحد ويقدر على صفته أحد^(٦). ثم أثنى عليهم، ومدحهم بالصبر، فقال ﴿الذين صبروا﴾ أي على دينهم لم يتركوه بمشقة وجهد أصابهم وهم في ذلك واثقون بربهم متوكلون عليه، وهو قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ^(٧) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبُرِ
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ^(٨)

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم﴾ قال المفسرون^(٧) إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث إلينا ملكاً؟ فقال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي إلى الأمم الماضية ﴿إلا رجلاً﴾ آدميين لا ملائكة، أعلم الله أن الرسل كانوا بشراً، إلا أنهم يوحى إليهم، وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ يعني أهل الكتاب قال الزجاج فاسألوا أهل الكتاب^(٨) وذلك أن أهل الكتب يعترفون أن الأنبياء بشر كلهم، وقوله: ﴿بالبينات والزبور﴾ أي أرسلناهم يعني الأنبياء بالحجج الواضحة والكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ يعني القرآن ﴿لتبين

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١٩٩/٣.

(٢) سورة البقرة آية ١١٧.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢٢٠/٢ حجة القراءات ٣٨٩ - ٣٩٠، إتحاف فضلاء البشر ١٨٤/٢ القرطبي ٧٠/١٠.

(٤) انظر أسباب النزول للمصنف ٢٨٤ القرطبي ٧١/١٠.

(٥) ذكر القرطبي في الحسنة ستة أقوال فقال: الأول: نزول المدينة قاله ابن عباس، والحسن والشعبي وقتادة. والثاني: الرزق الحسن قاله مجاهد، الثالث: النصر على عدوهم قاله الضحاك. الرابع: انه لسان صدق حكاه ابن جريج. الخامس: ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات. السادس: ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف. وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله. انظر القرطبي ٧١/١٠ انظر الرازي (١٩/٢٠) وروح المعاني ١٤٥/١٤ وذكر عن الحسن أنها دار حسنة، وعن مجاهد معيشة حسنة. وانظر تفسير البغوي ٦٩/٣ وفتح القدير ٩٦٤/٣ - ١٦٥.

(٦) انظر الخازن مع البغوي ٩١/٤ روح المعاني ١٤٦/١٤ بلا نسبة فتح القدير ١٦٤/٣ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ٧٠/٣ روح المعاني ١٤٧/١٤ زاد المسير ٤٤٩/٤ الرازي ٣٠/٢٠ تفسير القرطبي ٧٢/١٠. تفسير فتح القدير ١٦٤/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠١/٣ تفسير الرازي ٣٠/٢٠ روح المعاني ١٤٧/١٤ عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم.

معالم التنزيل ٧٠/٣ بلا نسبة وقال: مؤمن أهل الكتاب، وكذا قال القرطبي في تفسيره ٧٢/١٠ عن سفيان وفتح القدير للشوكاني ١٦٤/٣ بلا نسبة.

للناس ما نزل إليهم ﴿ في هذا الكتاب من الحلال والحرام والوعد والوعيد ﴿ لعلمهم يتفكرون ﴾ في ذلك فيعتبرون، قوله:

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيْتُوا ظِلَلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين أهل مكة وما حول المدينة^(١) [ومعنى ﴿ مكروا السيئات ﴾ قال ابن عباس] (٢) عملوا السيئات يعني عبادة غير الله (٣) وقال قتادة يعني الشرك (٤) وسمى عبادتهم غير الله مكراً لأن المكرف في اللغة السعي بالفساد ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ كما خسف بقارون، ومعنى الاستفهام ههنا الإنكار أي يجب ألا يأمنا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ قال ابن عباس يعني يوم بدر^(٥) يريد أنهم أهلكوا يوم بدر، وما كانوا يقدرون ذلك ولا يشعرونه ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ في أسفارهم وتجارتهم، وقال مقاتل: يريد في تقلبهم في كل حال من الأحوال ليلاً ونهاراً، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش ميمناً وشمالاً^(٦) ﴿ فما هم بمعجزين ﴾ بمتنعين ولا فائتين ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال عامة المفسرين^(٧) على تنقص إما بقتل أو بموت يعني تنقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذ منهم الأول فالأول، حتى يأتي الأخذ على جميعهم، والتخوف: التنقص، يقال: هو يتخوف المال أي يتنقصه ويأخذ من أطرافه ﴿ فإن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك، قال الزجاج: أي من رأفته أمهل وجعل فسحة للتوبة^(٨) قوله: ﴿ أولم يروا ﴾ قراءة العامة بالياء لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب ﴾ ﴿ أو يأخذهم ﴾ كذلك ﴿ أولم يروا ﴾ وقرأ حمزة بالياء^(٩)، على أن الخطاب لجميع الناس، قوله: ﴿ إلى ما خلق الله من شيء ﴾ أراد من

(١) انظر تفسير الرازي ٣٢/٢٠ بلا نسبة، وقال الألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٠ هم عند أكثر المفسرين أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ.

(٢) سقط في ب.

(٣) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ٣/٧٠ روح المعاني ١٤/٥١ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٤) انظر فتح القدير ٣/١٦٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١١٩ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكر بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/٧٣ فتح القدير ٣/١٦٥.

(٦) ذكر الألوسي في روح المعاني عن الزجاج نحوه ١٤/١٥١.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٧٠ تفسير الرازي ٢٠/٣٢ مختصراً عن أبي الأعرابي والألوسي في روح المعاني ١٤/١٥٢ بمعناه عن ابن

عباس ومجاهد والضحاك تفسير القرطبي ١٠/٧٣ مختصراً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم وفتح القدير نقلاً عن الواحدي

٣/١٦٥.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٢.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٣٠٤) حجة القراءات (٣٩٠) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٤ تفسير القرطبي ١٠/٧٤.

شيء له ظل من جبل، وشجر، وبناء، وجسم قائم ﴿يتفياً﴾ يتفعل من الفيء، يقال: فاء الظل، يفيء فيئاً إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخته وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاب النهار وقوله ﴿ظلاله﴾ جمع ظل وجمع وهو مضاف إلى مفرد لأنه واحد يراد به الكثرة، ومثله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾^(١) ومعنى تفيؤ الظلال عن اليمين والشمال قال الكلبي: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك فإذا ارتفعت كان على يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمال أي تميله عن جانب إلى جانب^(٢) ووحد اليمين، والمراد به الجمع إيجازاً في اللفظ كقوله: ﴿ويولون الدبر﴾^(٣) ودلت الشماثل على أن المراد به الجميع^(٤) وقوله: ﴿سجداً لله﴾ دورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير، وهذه الآية كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾^(٥) وقد مر بيانه، قوله ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون، يقال: دخر يدخر دخوراً، فهو داخر، وهو الذي يفعل ما تأمره شاء أو أبى قال الزجاج يعني أن هذه الأشياء مجبولة على الطاعة قوله: ﴿والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض﴾ السجود على نوعين: سجود عبادة وطاعة كسجود المسلمين وسجود هو خضوع وتذلل وهو سجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات، وهذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مدبر وصانع ساجدة، أي خاضعة متذلة وقوله: ﴿من دابة﴾ قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض^(٦) ﴿والملائكة﴾ أخرجهم بالذكر لخروجهم عن صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وفي هذه الآية قولان: أحدهما أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير يخافون من عقاب ربهم من فوقهم، لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفاً بأنه علي متعال علو الرتبة في القدرة، حسن أن يقال: من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال: ذلك مخافة الإجلال^(٧) واختاره الزجاج فقال: يخافون ربهم خوف مجلين^(٨) ويدل على صحة هذا المعنى قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾^(٩) وقوله إخباراً عن فرعون ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾^(١٠) وذهب بعض الناس إلى أن قوله ﴿من فوقهم﴾ من صفة الملائكة والمعنى أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولى^(١١) وقوله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني الملائكة، وهذا كقوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾^(١٢) قوله:

(١) سورة الزخرف ١٣.

(٢) انظر معالم التنزيل ٧١/٣ زاد المسير ٤٥٢/٤.

(٣) سورة القمر آية ٤٥.

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ١٦٦/٣ نقلاً عن المصنف.

(٥) سورة الرعد ١٥.

(٦) انظر تفسير الرازي ٣٦/٢٠ معالم التنزيل ٧١/٣ بلا نسبة تفسير القرطبي ٧٥/١٠ بلا نسبة فتح القدير ١٦٦/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر زاد المسير ٤٥٥/٤ البحر المحيط ٤٩٩/٥ بلا نسبة فتح القدير ١٦٧/٣ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وعزاه للخطيب في تاريخه.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٣/٣ فتح القدير ١٦٧/٣.

(٩) سورة الأنعام آية ١٨.

(١٠) سورة الأعراف آية ١٢٧.

(١١) قال أبو حيان في البحر نقلاً عن الكرماني: والملائكة موصوفون بلا خوف لأنهم قادرون انظر البحر ٤٩٩/٥.

(١٢) سورة التحريم آية ٦.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا الْإِنْسَانَ إِلَّا هَبْطًا وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ فَآرْهَبُونِ ۚ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۚ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْعَرُونَ ۚ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۚ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي لا تعبدوا معه غيره ﴿إنما هو إله واحد﴾ ليس له ثان ثم حذرهم نفسه، فقال ﴿فإياي فارهبون﴾ ﴿وله الدين واسباباً﴾ الدين الطاعة والوصوب الدوام، وصب الشيء يصب وصبوا فهو واسبب إذا دام قال الزجاج: أي طاعته واجبة أبداً^(١) وقال ابن قتيبة^(٢) ليس من أحد يطاع إلا انقطع ذلك بزوال أو هلكة غير الله فإن الطاعة تدوم له ثم قال: ﴿أفغير الله تتقون﴾ أي أفغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحد خالق كل شيء وأمر أن لا يتخذ معه إله تتقون ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ أي ما أعطاكم من صحة جسم، أو سعة في رزق أو إمتاع بمال وولد فكل ذلك من الله عز وجل.

أخبرنا: الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد البغدادي نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن سنان القزاز نا أبو سلمة نا هشام بن زياد عن عمرو بن حسين عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب له شكرها وإن لم يحمد)^(٣) وقوله ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ قال ابن عباس يريد الأسقام والأمراض والحاجة^(٤) فإليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، وتتضرعون بالدعاء [يقال]^(٥) جأ بجأ جأراً إذا رفع صوته في تضرع ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم﴾ الآية قال ابن عباس يريد أهل النفاق^(٦) وقال الكلبي يعني الكفار^(٧)، قال الزجاج هذا خاص فيمن كفر، وقابل كشف الضر عنه بالجحود والكفر^(٨) ﴿ليكفروا بما ءاتيناهم﴾ ليحسدوا نعمة الله في كشف الضر عنهم ثم أوعدهم بقوله: ﴿فتمتعوا﴾ أي بدنياكم الفانية ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم، وما ينزل بكم من العذاب قوله:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۖ تَاللَّهِ لَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْرُونَ ۚ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ ۚ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۚ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۚ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَمْسِكُ عَلَيْهُ هُونٌ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ﴾

﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾ يعني الأوثان لا يعلمون لها ضرراً ولا نفعاً ومفعول العلم محذوف، وتقديره:

(١) انظر معاني القرآن ٢٠٣/٣ فتح القدير ١٦٩/٣ تفسير القرطبي ٧٥/١٠، روح المعاني ١٦٢/١٤ البحر المحيط ٥٠/٥.

(٢) انظر تفسير القرآن لابن قتيبة ٢٤٣ فتح القدير ١٦٩/٣ معالم التنزيل ٧٢/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ٤٠/٥ - ٤١ بنحوه.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

(٤) انظر زاد المسير ٤٥٧/٤ تفسير الرازي ٤٢/٢ البحر المحيط ٥٠٢/٥ بلا نسبة فتح القدير ١٢٩/٣ بنحوه بلا نسبة.

(٥) سقط في ب.

(٦) انظر البحر المحيط ٥٠٢/٥ زاد المسير ٤٥٧/٤.

(٧) انظر البحر المحيط ٥٠٢/٥ زاد المسير ٤٥٧/٤ فتح القدير ١٦٩/٣، بلا نسبة.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/٣ تفسير القرطبي ٧٦/١٠ فتح القدير ١٦٩/٣.

ما ذكرنا، وهذا قول مجاهد وقتادة^(١) وقال أهل المعاني: هذا من صفة الأوثان والمعنى: ويجعلون للشركاء والأصنام الذين لا يعلمون شيئاً ولا معرفة لهم ولا حسناً^(٢) ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ قال المفسرون^(٣) هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم كقوله: ﴿فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾^(٤) ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم فقال ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ ﴿عما كنتم تفترون﴾ تقولونه على الله من أنه أمركم بذلك ﴿ويجعلون لله البنات﴾ قال المفسرون^(٥): يعني خزاعة، وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تزيهاً له عما زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني البنين، فهذا كقوله: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾^(٦) ثم ذكر كراهيتهم البنات فقال: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ أخبر بولادة بنت والتبشير هنا بمعنى الإخبار كقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾^(٧) ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ تغير وجهه تغير مغتم قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب أخبر الله بخبث صنيعهم، فأما المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله للمرء خير مما قضى المرء لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاتق الله، وارض بقضائه، فإنه رب جارية خير لأهلها من غلام ورب غلام لا يأتي أهله بخير^(٨) وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء غماً^(٩) ﴿يتواري﴾ يختفي ويتغيب ﴿من القوم من سوء ما بشر به﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأته المخاض تواري إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكراً سرَّ به وابتهج، وإن كانت أنثى اكتأب لها، وحزن، ولم يظهر للناس أياماً، يدبر كيف يصنع في أمرها^(١٠)، وهو قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ أي يحبسه، والإمساك هنا بمعنى الحبس كقوله: ﴿أمسك عليك زوجك﴾^(١١) والكناية تعود إلى ما، في قوله: ﴿ما بشر به﴾ والهون الهوان يقال: إنه ليهون علي هوناً وهواناً قال المفسرون^(١٢): كان أحدهم في الجاهلية إذا ولدت له بنت ضاق بها ذرعاً فلم يدر ما يصنع بها أيدسها تحت التراب أو يتهاون بها فيلقبها، والدس: إخفاء الشيء في الشيء يعني ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية قوله: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ قال ابن عباس بشس ما حكموا إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلهن منهم هذا المحل، ونسبوه إلى اتخاذ الولد وجعلوا لأنفسهم البنين^(١٣) وهذا كقوله ﴿الكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾^(١٤) قوله:

(١) انظر زاد المسير ٤/٥٧ القرطبي ١٠/٧٧ فتح القدير ٣/١٧٢، معالم التنزيل ٣/٧٢ بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/٤٣ بنحوه بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨ البحر المحيط ٥/٥٠٣.

(٣) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨، البحر المحيط ٥/٥٠٣، القرطبي ١٠/٧٧ فتح القدير ٣/١٧٢.

(٤) سورة الأنعام ١٣٦.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٠/٧٧، زاد المسير ٤/٤٥٨، معالم التنزيل ٣/٧٢، تفسير الرازي ٢٠/٤٤ تفسير روح المعاني ١٤/١٦٧ أبو السعود ٥/١٢١، فتح القدير ٣/١٧٠.

(٦) سورة الطور آية ٣٩.

(٨) انظر زاد المسير ٤/٤٥٨، روح المعاني ١٤/١٦٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢١ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) في أ (غيطا).

(١٠) انظر الرازي ٢٠/٤٥ نقلاً عن المفسرين.

(١١) انظر زاد المسير ٤/٤٥٩ تفسير القرطبي ١٠/٧٨ الخازن مع البغوي ٤/٩٦ الدر المنثور ٤/١٢١.

(١٢) انظر زاد المسير ٤/٤٥٩ الخازن مع البغوي ٤/٩٧ فتح القدير للشوكاني ٣/١٧٢ عن السدي.

(١٤) سورة النجم الآيات ٢١، ٢٢.

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجِرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَتَاهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَاهُمْ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَعْمَلَهُمْ فُجُورًا وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي صفة السوء من احتياجهم إلى الولد وكرهيتهم الإناث خوف العيلة^(١) والعار ﴿ولله المثل الأعلى﴾ الصفة العليا من تنزهه عن الولد قوله: ﴿ولو يواخذ الله الناس﴾ قال ابن عباس يريد المشركين^(٢) ﴿بظلمهم﴾ بافترائهم على الله ﴿ما ترك عليها﴾ على الأرض ﴿من دابة﴾ يعني دواب الأرض قال السدي: يقول لأفحط المطر، فلم يبق في الأرض دابة إلا هلكت^(٣).

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية، فقال: كاد أن يهلك الجعل^(٤) في جحره بذنوب ابن آدم^(٥) والمعنى أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك لولا حلم الله وتأخيره العقوبة ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ يعني منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم وباقي الآية تقدم تفسيره ﴿ويجعلون﴾ يعني المشركين ﴿لله ما يكرهون﴾ يعني البنات، والمعنى يحكمون الله بما يكرهون هم لأنفسهم ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ أي تقول الكذب ثم فسر ذلك الكذب فقال: ﴿أن لهم الحسنى﴾ يعني الجنة قال الزجاج^(٦) يصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن، فرد الله عليهم قولهم، وأثبت لهم النار فقال ﴿لا جرم أن لهم النار﴾ لا: رد لقولهم، أي ليس الأمر على ما وصفوا، جرم فعلهم وقولهم أي كسب لهم النار والمفسرون يقولون: حقاً إن لهم النار^(٧) ﴿وأنهم مفراطون﴾ قال مجاهد والكلبي والضحاك مترون منسيون في النار^(٨) وقال الكسائي يقال: ما أفرطت

(١) العيلة: الفقر.

(٢) انظر تاج العروس ٤٠/٨ الصحاح ١٧٧٩/٥ لسان العرب ٣١٩٤/٤ ترتيب القاموس ٣٥٨/٣.

(٣) انظر تفسير الرازي ٤٧/٢٠ قال الشوكاني في فتح القدير ١٧١/٣ المراد بالناس هنا الكفار.

(٤) انظر القرطبي ٧٩/١٠، بلا نسبة تفسير الرازي ٤٩/٢٠ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الجعل دابة سوداء. انظر تاج العروس ٢٥٧/٧، الصحاح ١٦٥٦/٤، لسان العرب ٦٣٨/١، ترتيب القاموس ٥٠١/١.

(٦) انظر البغوي ٧٤/٣ القرطبي ٧٩/١٠، الرازي ٤٩/٢٠، روح المعاني ١٧١/١٤ فتح القدير ١٧٢/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢١/٤ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٧/٣، تفسير الرازي ٥٠/٢٠.

(٨) انظر القرطبي ٨٠/١٠، تفسير ابن كثير ٤٩٨/٤، معالم التنزيل ٧٤/٣ الرازي ٥٠/٢٠ زاد المسير ٩١/٤، تفسير أبي السعود ١٢٣/٥.

(٩) انظر القرطبي ٨٠/١٠، روح المعاني ١٧٣/١٤، عن مجاهد وابن جبير وابن أبي هند وكذا البحر المحيط ٥٠٦/٥، ومعالم التنزيل ٧٤/٣، عن ابن عباس ومقاتل فتح القدير ١٧١/٣ - ١٧٢.

وذكره السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن جبير ١٢١/٤ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من القوم أحداً أي ما تركت^(١) وقال الفراء: تقول العرب^(٢): أفرطت من القوم ناساً أي خلقتهم ونسيتهم وقال قتادة: معجلون إلى النار^(٣) يقال: أفرط القوم الفارط إذا قدموا إلى الماء ليصلح لهم شأنهم وهذا اختيار الزجاج^(٤) قال: معنى مفرطون مقدمون إلى النار وقرأ نافع بكسر الراء^(٥) على معنى أنهم أفرطوا في الذنوب فكانوا مفرطين على أنفسهم في معصية الله، وقال ابن عباس: أفرطوا في الافتراء على الله^(٦) قوله: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك﴾ قال ابن عباس يعزي نبيه ﷺ بهذا^(٧) يقول: لقد أرسلنا إلى أممٍ يعني: رسلاً وأنبياء من قبلك فزين لهم الشيطان حتى عصوا وكذبوهم ﴿فهو وليهم اليوم﴾ يعني يوم القيامة يقول: فهو ولي أولئك الذين زين لهم [سوء]^(٨) أعمالهم يوم القيامة، ومن كان الشيطان وليه ذلك اليوم دخل النار ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعني القرآن وما فيه من أخبار الأمم الماضية ﴿إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ إلا لتبين لهؤلاء الكفار ما اختلف فيه الأمم من الدين والأحكام فذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المسلمون فتقوم الحجة عليهم بدعائك وبيانك ﴿وهدى ورحمة﴾ وللهدى والرحمة ﴿للقوم يؤمنون﴾ [وما بعده ظاهر]^(٩) إلى قوله:

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿وإن لكم في الأنعام﴾ يعني الإبل والبقرة والغنم ﴿لعبرة﴾ للدلالة على قدرة الله ثم ذكرها فقال ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ من فتح النون فحجته ظاهرة لأنه يقال: سقيته ماء ولبناً، وما كان للشفة فهو بفتح

(١) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٠، تهذيب اللغة ٣٣٢/١٣.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء، ١٠٧/٢ الرازي ٥٠/٢٠.

(٣) انظر البغوي ٧٤/٣، روح المعاني ١٧٢/١٤، الرازي ٥٠/٢٠، القرطبي ٨٠/١٠ وذكره السيوطي ٢١/٤، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

قال الرازي في تفسيره بعد ذكره المعنى (بمعجلون): قاله الواحدي رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال أبو زيد وغيره فرط الرجل أصحابه ويفرطهم فرطاً وفروطاً إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدلاء والأرسان وأفرط القوم الفارط وفرطه إذا قدموه.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٠٨/٣.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٥/٢، تفسير البحر المحيط ٥٠٦/٥، تفسير القرطبي ٨٠/١٠.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦١/٤، الخازن مع البغوي ٩٨/٤، القرطبي ٨٠/١٠، بلا نسبة البحر المحيط ٥٠٦/٥ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الرازي ٥٠/٢٠ بلا نسبة تفسير القرطبي ٨١/١٠ بلا نسبة البحر المحيط بلا نسبة زاد المسير ٤٦١/٤ الخازن مع البغوي ٩٨/٤.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) سقط في أ، ب.

النون، ومن ضم النون^(١)، فهو من قولهم: أسقاه إذا جعل له شرباً^(٢)، كقوله: ﴿وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾^(٣) وذكر الكناية في بطونه لأن النعم والأنعام شيء واحد، فرجع التذكير إلى النعم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام وهذا قول الفراء^(٤)، وأنشد:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدٌ^(٥)

فرجع إلى اللبن، لأن اللبن والألبان بمعنى واحد وقال الكسائي أراد مما في بطون ما ذكرنا^(٦) قال الفراء وهو الصواب^(٧) وقال المبرد: هذا فاش في القرآن مثل قوله للشمس ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٨) يعني هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وَإِنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾^(٩) ثم قال ﴿فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانَ﴾^(١٠) ولم يقل: جاءت، لأن المعنى جاء الشيء الذي ذكرنا، وقوله: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث سرجين الكرش^(١١)، قال ابن عباس في رواية الكلبي إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً، وأعلاه دمًا، وأوسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو^(١٢) فذلك قوله: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ جائزاً في حلوقهم يقال: ساغ الشراب في الحق وأساغه صاحبه، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ﴾^(١٣) قال أصحابنا وهذه الآية تدل على أن مني الأدمي طاهر وإن كان في باطنه مجاوراً للنجاسات كاللبن الطاهر يخرج من بين نجسين^(١٤) قوله ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ الآية، قال صاحب النظم تقدير الآية: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا^(١٥) والعرب تضمّر ما كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ ثَمْرًا﴾ أي ما ثم ﴿وَالأَعْنَابِ﴾ عطف على الثمرات أي ومن الأعناب تتخذون منه سكرًا وكل ما يسكر، والرزق الحسن ما أحل منهما كالزبيب والخل والتمر.

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن الحسن السراج أنا الحسن بن المشنى بن معاذ أنا أبو حذيفة

- (١) انظر النشر ٢/٣٠٤ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦ تفسير البحر المحيط ٥/٥٠٨ - ٥٠٩.
- (٢) الشرب: النصب من الماء. انظر تاج العروس ١/٣١٢، الصحاح ١/١٥٣ لسان العرب ٤/٢٢٢٢ ترتيب القاموس ٢/٦٨٣.
- (٣) سورة المرسلات آية ٢٧.
- (٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨.
- (٥) انظر معاني القرآن للفراء، ٢/١٠٨. وذكره السمين الحلبي في الدر المصون من آية (٦٦) من سورة النحل (بتحقيقنا).
- (٦) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ البحر المحيط ٥/٥٠٩ القرطبي ١٠/٨٢، فتح القدير ٣/١٧٤.
- (٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٠٨ فتح القدير ٣/١٧٤.
- (٨) سورة الأنعام ٧٨، وانظر البحر المحيط ٥/٥٠٩، الرازي ٢٠/٥٢، فتح القدير ٣/١٧٤.
- (٩) سورة النمل آية ٣٥.
- (١٠) سورة النمل آية ٣٦.
- (١١) انظر لسان العرب ٥/٣٣٦٩ تاج العروس ١/٦٣٨، الصحاح ١/٢٨٩ ترتيب القاموس ٣/٤٦١.
- (١٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٥ تفسير القرطبي ١/٨٣، روح المعاني ١٤/١٧٧، الرازي ٢٠/٥٢ زاد المسير ٤/٤٦٣ فتح القدير ٣/١٧٤ بلا نسبة.
- (١٣) سورة إبراهيم آية ١٧.
- (١٤) انظر بداية المجتهد ١/٦٣ - ٦٤، انظر تفسير القرطبي ١٠/٨٣.
- (١٥) انظر الطبري ١٤/١٣٣ تفسير القرطبي ١٠/١٢٧، نقلًا عن الطبري.
- (١٦) سورة الإنسان آية ٢٠.

موسى بن مسعود أنا سفيان الثوري عن الأسود بن قيس^(١) عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا قال: السكر ما حرم من ثمرها، والرزق الحسن ما أحل [الله] من ثمرها رواه الحاكم في صحيحه^(٢) عن ابن النضر الفقيه عن معاذ بن نجدة^(٣) عن قبيصة عن سفيان وهذه الآية نازلة قبل تحريم الخمر قال مجاهد: أما السكر فهي الخمر قبل أن تحرم، وأما الرزق الحسن فالتمر، والعنب، والزبيب، وشبهه^(٤).

حدثنا: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملأء في مسجد عقيل سنة ست عشرة وأربعمائة أنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي نا إسحاق بن إبراهيم الكوفي نا إسحاق بن حاتم نا مسعود بن مشكان الواسطي نا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين، عن «أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (في العنب خمسة أشياء حلال، تأكلونه عنبًا، وعصيرًا ما لم ينش^(٥))، وتتخذون منه زبيبا، وربيا^(٦) وخلًا^(٧))» قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ قال: المفسرون^(٨) كذف في أنفسها وألهمها ﴿أن اتخذني من الجبال بيوتًا ومن الشجر﴾ قال ابن عباس هي تتخذ من الجبال لأنفسها بيوتًا إذا كانت لا أصحاب لها^(٩) وقوله: ﴿ومما يعرشون﴾ قرىء بضم الراء وكسرها^(١٠) وهما لغتان مثل يَعْرِشُونَ ويعكفون، ومعناه: بينون ويسقفون، يعني ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعمل فيها النحل، ولولا التسخير وإلهام الله ما كانت تأوي إلى ما يبني لها من بيوتها ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ مما تثمره الأشجار ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ قال ابن عباس طرق ربك تطلب فيها الرعي^(١١) ﴿ذللًا﴾ جمع ذلول، وهو المنقاد اللين المسخر، ويجوز أن يكون من نعت النحل، يعني مطيعة للتسخير وإخراج العسل من بطنها وهذا قول قتادة^(١٢) واختيار ابن قتيبة^(١٣) ويجوز أن يكون من نعت السبل، وهو قول مجاهد قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته وهي ترعى الأماكن البعيدة ذوات

(١) الأسود بن قيس العبدي. وقيل البجلي: أبو قيس الكوفي. قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال العجلي: ثقة حسن الحديث، وقال ابن البراء عن ابن المديني: روى عن عشرة مجهولين لا يعرفون قال الحافظ سمي مسلم منهم في الوجدان أربعة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ٣٤١/١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٣٥٥٤/٢، كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) معاذ بن نجدة الهروي. صالح الحال. قد تكلم فيه. روى عن قبيصة وخلاد بن يحيى. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وله خمس وثمانون سنة. انظر ميزان الاعتدال ١٣٣/٤.

(٤) انظر الخازن مع البغوي ٩٩/٤ روح المعاني ١٨٠/١٤ مختصر القرطبي ٨٥/١٠ بلا نسبة الرازي بلا نسبة.

(٥) النشيش: أول أخذ العصير في الغليان، والخمر تنش إذا أخذت في الغليان انظر لسان العرب ٤٤٢٦/٦ تاج العروس ٣٥٦/٤ الصحاح ١٠٢١/٣، ترتيب القاموس ٣٧٣/٤.

(٦) الرب: خلاصة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ، وارتب العنب إذا طبخ حتى يكون ربًا.

انظر لسان العرب ١٥٥٠/٣ تاج العروس ٢٦٠/١ الصحاح ١٣٠/١، ترتيب القاموس ٢٨٢/٢.

(٧) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ونسبه للعقيلي ٢٣٥/٢ وقال: ولا يصح فيه إسحاق بن وهب، قال الدارقطني: كذاب، وأخرجه الخطيب في التاريخ ٢٨٢/١.

(٨) انظر معالم التنزيل ٧٦/٣ روح المعاني ١٨١/١٤، الرازي ٥٦/٢٠، القرطبي ٨٨/١٠، البحر المحيط ٥١١/٥.

(٩) انظر الخازن مع البغوي ١٠١/٤ تفسير الرازي ٥٧/٢٠، بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٢٧١/٢. إتحاف فضلاء البشر ١٨٦/٢. البحر المحيط ٥١٢/٥ القرطبي ٨٩/١٠.

(١١) انظر القرطبي ٨٩/١٠ تنوير المقباس ١٠١/٣.

(١٢) انظر زاد المسير ٤٦٦/٤ روح المعاني ١٨٤/١٤ فتح القدير ١٧٦/٣، القرطبي ٨٩/١٠ بلا نسبة.

(١٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦.

الغياض^(١) واختاره الزجاج^(٢) لأنه قال: قد ذللها الله لك وسهل عليك مسالكها وقوله: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾ قال ابن عباس: منه أحمر وأبيض وأصفر^(٣) وقال الزجاج^(٤): هي تأكل الحامض والمر، فيحيل الله ذلك عسلاً، يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم وقوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ قال السدي: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه^(٥) وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدوية^(٦).

أخبرنا: أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب أنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، إن أخي قد استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه عسلاً، ثم أتاه فقال سَقَيْتَهُ، فلم يزد إلا استطلاقاً ثم قال: اسقه عسلاً، قال فشفي إما في الثالثة وأما في الرابعة فقال رسول الله ﷺ: صدق الله، وكذب بطن أخيك) رواه البخاري ومسلم^(٧) عن غندر عن شعبة ومعنى قوله: صدق الله أي في قوله ﴿فيه شفاء للناس﴾.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا محمد بن أحمد بن حماد الدقاق.

أخبرني: محمد بن إسحاق السراج نا الحسن بن حماد الوراق^(٨) نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل». رواه البخاري^(٩) عن إسحاق الحنظلي عن أبي أسامة.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا الحكم عن السدي عن عبد خير عن علي رضي الله عنه قال: أتني برجل سقيم فقالوا: إنا عالجنه فليس ينفعه شيء فقال علي: ليأخذن من مهر امرأته أربعة دراهم، فيشتري بها عسلاً فإذا أمطرت السماء فليشرب به، قال الله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾.

أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن الأعمش عن خيثمة قال: قال عبد الله بن مسعود: عليكم بشفاءين القرآن والعسل^(١٠) وقوله:

(١) ذكره بنحوه في معالم التنزيل ٧٦/٣ روح المعاني ١٨٤/١٤ فتح القدير ١٧٦/٣ زاد المسير ٤٤٦/٤.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٥/٣.

(٣) انظر زاد المسير ٤٦٦/٤ تفسير القرطبي ٨٩/١٠ بلا نسبة تنوير المقباس ١٠١/٣.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٣ فتح القدير ١٧٦/٣ مختصراً.

(٥) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤ وذكره السيوطي عنه ١٢٢/٤ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦٧/٤.

(٧) أخرجه البخاري ١٧٨/١٠ كتاب الطب باب دواء المبطون ٥٧١٦، ومسلم ٧٣٦/٤ (كتاب السلام باب التداوي بسقي العسل)

(٩١-٢٢١٧).

(٨) الحسن بن حماد الضبي أبو علي الوراق الكوفي الصيرفي. قال ابن أبي حاتم: سألت موسى بن إسحاق عنه فقال ثقة مأمون، وقال

السراج: كوفي ثقة. قدم بغداد سنة (٣٥) وحدث بها، وقال مطين: مات في رجب سنة (٢٣٨) له في السنن حديث واحد في

اعتكاف عمر. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٢/٢٧٢ - ٢٧٣).

(٩) أخرجه البخاري ٢٨٧/٩ كتاب الطلاق باب ٨ حديث ٥٢٦٨، ومسلم ١١٠١/٢، كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة ٢١ - ١٤٧٤.

(١٠) أخرجه ابن ماجه مرفوعاً ١١٤٢/٢، كتاب الطب باب العسل ٣٤٥٢، والحاكم في المستدرک ٣٠٠/٤، وذكره السيوطي مرفوعاً في

الدر المنثور ١٢٣/٤ وزاد نسبه لابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فتح القدير ١٧٦/٣، وانظر معالم التنزيل ٧٦/٣، روح المعاني ١٨٦/١٤.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي في عظمة الله وقدرته قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ الآية قال المفسرون: خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتُوفَاكُم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو أورداه وأوضعه يقال: ردل يردل ردالة قال السدي: أردل العمر الخوف^(١) وقال قتادة تسعون سنة^(٢)، وروي عن علي رضي الله عنه قال: أردل العمر خمس وسبعون سنة^(٣) قوله: ﴿لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ قال ابن عباس كي يصير كالصبي الذي لا عقل^(٤) له قال عطاء عن ابن عباس: ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة^(٥) وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أردل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما صنع بأوليائه وأعدائه. ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد.

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ يعني كثر وقلل، وبسط وقبض، ووسع وضيق ﴿فما الذين فضلوا﴾ في الرزق وأعطوا الفضل ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم﴾ يقول: لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئاً، حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين في تصييرهم عبداً له شركاء له فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟ قال السدي يقول: فكما لا يرد أحدكم على مملوكه مما رزقه حتى يكون مثله فكذلك لا يكون الله والصنم الذي هو من خلقه ومملكه سواء^(٧) ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ [حيث أشركوا به غيره ومن قرأ بالباء^(٨) كان التقدير قل لهم يا محمد أفبنعمة الله تجحدون]^(٩) بالإشراك به؟ فقله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ قال المفسرون^(١٠) يعني النساء

(١) انظر زاد المسير ٤/٦٧ فتح القدير ٣/١٧٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ زاد المسير ٤/٤٦٧ روح المعاني ١٤/١٨٧، تفسير الرازي ٢/٦٣ فتح القدير ٣/٧٧ بلا نسبة.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٧٦ روح المعاني ١٤/١٨٧ الرازي ٢٠/٦٣ فتح القدير ٣/١٧٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٣ وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٦٨ القرطبي ١٠/٩٣ بلا نسبة.

(٥) انظر زاد المسير ٤/٤٦٨ الرازي بلا نسبة.

(٦) انظر روح المعاني ١٤/١٨٨ الرازي ٢/٦٣ زاد المسير ٤/٤٦٨ فتح القدير ٣/١٧٩.

(٧) ذكر هذا المعنى في تفسير القرطبي ١٠/٩٣، تفسير الرازي ٢٠/٦٤.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٦.

(٩) سقط في أ، ب.

(١٠) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٠٤، روح المعاني ١٤/١٨٩، معالم التنزيل ٣/٧٧ القرطبي ١٠/٩٣ - ٩٤ تفسير الرازي ٢٠/٦٥،

وضعه الرازي وعلل تضعيفه بقوله: لأن قوله ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف

الدليل، بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والإناث والمعنى: أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور.

خلق حواء من ضلع آدم ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة جمع حافد يقال: حفد يحفد حفداً وحفوداً إذا أسرع، ومنه الدعاء: وإليك نسعى، ونحفد^(١) وكل من خف في الخدمة، وأسرع في العمل بالطاعة، فهو حافد^(٢)، قال ابن عباس في رواية الوالبي: هم أختان الرجل على بناته^(٣) وقال السدي وعكرمة: هم ولد الرجل الذين يعينونه^(٤) وقال مجاهد ولد الولد^(٥) وقال عطية العوفي هم بنو امرأة الرجل ليسوا منه^(٦) قوله: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال ابن عباس يريد من أنواع الثمار والحبوب والحيوان^(٧) ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ قال يعني الأصنام^(٨)، وقال «مقاتل» يعني الشيطان^(٩) وقال عطاء يصدقون أن لي شريكاً وصاحبة وولداً^(١٠) ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾ قال ابن عباس: يعني التوحيد، وما أنعم عليهم من القرآن والرسول ﷺ^(١١)، وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات﴾ يعني الأصنام لا تملك أن ترزقهم من السموات المطر، ولا من الأرض النبات والثمار التي تخرج منها وقوله ﴿شيئاً﴾ قال الأخفش^(١٢): جعل شيئاً بدلاً من الرزق وهو في معنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً ﴿ولا يستطيعون﴾ لا يقدرون على شيء وليست لهم استطاعة ﴿فلا تضربوا الله الأمثال﴾ أي ولا تشبهوه بخلقه لأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ﴿إن الله يعلم﴾ قال ابن عباس يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة^(١٣) ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ قدر عظمتي، حيث أشركتم بي، وعجزتموني أن أبعث خلقي قوله:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧٦﴾

﴿ضرب الله مثلاً﴾ بين الله شبها فيه بيان المقصود ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿عبداً مملوكاً﴾ إلى قوله: ﴿سراً وجهراً﴾ قال

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢/٢١٠، في كتاب الصلاة باب دعاء القنوت.

(٢) انظر تفسير الرازي ٦٦/٢٠ نقلاً عن المصنف.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧، عن ابن مسعود والنخعي تفسير القرطبي ١٠/٩٤ الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٦٩، معالم التنزيل ٣/٧٧ عن عطاء.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧ عنه وعن ابن جبير عن ابن عباس روح المعاني ١٤/١٩٠ عن ابن عباس فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس تفسير الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة.

(٦) معالم التنزيل ٣/٧٧، روح المعاني ١٤/١٩٠، عن ابن عباس زاد المسير ٤/٤٧٠، فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن عباس.

(٧) انظر روح المعاني ١٤/١٩١ بلا نسبة تفسير الرازي ٦٦/٢٠ بلا نسبة القرطبي ٢٠/٩٦ بلا نسبة تنوير المقباس ٣/١٠٥.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٢/٩٦ تفسير الرازي ٦٦/٢٠ زاد المسير ٤/٤٧٠ معالم التنزيل ٣/٧٧ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٤/٤٧٠، تفسير الرازي ٦٦/٢٠، روح المعاني ١٤/١٩١، عن ابن جريج فتح القدير ٣/١٨٠ عن ابن جريج معالم التنزيل ٣/٧٧، بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الرازي ٦٦/٢٠ زاد المسير ٤/٤٧٠.

(١١) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٤٠، زاد المسير ٤/٤٧٠، معالم التنزيل ٣/٧٧ بنحوه بلا نسبة تنوير المقباس ٣/١٠٦.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٧ الرازي ٦٧/٢٠ فتح القدير ٣/٧٩، روح المعاني ١٤/١٩٣ بلا نسبة.

(١٣) انظر زاد المسير ٤/٤٧١.

السدي هذا مثل ضربه الله للآلهة يقول: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر فقد رزق رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً لا يخاف من أحد فكذلك أنا، وهذه الآلهة التي تدعون ليست تملك شيئاً، وأنا الذي أملك، وأرزق من شئت وقوله: ﴿هل يستوون﴾ جمع الفعل لأن المراد بقوله ﴿عبداً مملوكاً﴾ وبقوله: ﴿ومن رزقناه﴾ الشيوخ في الجنس، لا التخصيص وقوله ﴿الحمد لله﴾ أنه المستحق للحمد، لأنه المنعم ولا نعمة للأصنام عندهم، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني أن المشركين لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعمة مني، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع ثم ذكر مثلاً آخر فقال: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾ لا يقدر على شيء وهو العيى الأقطع اللسان ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه ﴿وهو كل على مولاه﴾ ثقل ووبال على صاحبه وقريبه وابن عمه والكل الذي هو عيال وثقل على صاحبه ﴿أينما يوجهه﴾ أينما يرسله والتوجيه: الإرسال في وجه الطريق يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه، وقوله ﴿لا يأت بخير﴾ لأنه عاجز لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه ﴿هل يستوي هو﴾ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ وهو قادر تام التمييز متكلم، ناطق بالحق أمر بالعدل ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ [دين مستقيم] (١) وهذا مثل للمؤمن والكافر.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر نا عفان نا وهيب نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في رجلين فالأبكم منهما الكل على مولاه: هو السيد ابن أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢) قوله:

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٧٧ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٧٩ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى

حِينَ ٨٠

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره قوله: ﴿وما أمر الساعة﴾ يعني القيامة ﴿إلا كلمح البصر﴾ للمح النظر بسرعة يقال: لمح بيبصر، قال السدي: يقول هو كلمح العين من السرعة ﴿أو هو أقرب﴾ من ذلك إذا أردنا، وقال الزجاج أعلم الله أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته كلمح البصر أو هو أقرب ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء (٣)، يدل على هذا قوله:

(١) سقط في ب.

(٢) انظر روح المعاني ١٤/١٩٧، فتح القدير ٣/١٨٣، القرطبي ١٠/٩٨، بنحوه تفسير الرازي ٢٠/٧١، بنحوه معالم التنزيل ٣/٧٨ بنحوه.

(٣) انظر فتح القدير ٣/١٨٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي أخرجكم جاهلين، غير عالين ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ خلق لكم الحواس التي بها تعلمون، وتقفون على ما تجهلون ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا خالق هذه الحواس فتعرفوا نعمته وقدرته ثم ذكر الدليل عليها فقال ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مَسْجِرَاتٍ﴾ مذلات ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ وهو الهواء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ حتى لا يسقطن على الأرض ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ﴾ (١) وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيه قال ابن عباس ومجاهد: يعني المساكن من الحجر والمدر (٢) يستر عوراتكم وحرمتكم وذلك أن الله خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبنائها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني الأنطاع (٣) والأدم (٤) ﴿بُيُوتًا﴾ يعني القباب والخيام ﴿تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ يخف عليكم حملها في أسفاركم وفيه قراءتان تسكين العين وتحريكها (٥) وهما لغتان كالشعر، والشعر، والنهر، والنهر ومعنى الظعن سير أهل البوادي لنجعة (٦) أو حضور ماء أو طلب مرتع ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قال مقاتل لا تنقل عليكم في الحالتين (٧) ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ وهي للضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ وهي للإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ وهي للمعز ﴿أَثَانًا﴾ الأثان أنواع المتاع من متاع البيت من الفرش والأكسية قال ابن عباس يريد طنافس (٨) وبسطاً وثياباً وكسوة ﴿وَمَتَاعًا﴾ يتمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ البلى، قوله:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال ابن عباس: يريد ظلال الغمام (٩)، كما قال: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ (١٠) وقال الكلبي يعني ظلال البيوت تقيكم من الشمس (١١) وقال قتادة: ظلالاً هي الشجر واختاره الزجاج فقال: جعل لكم من الشجر ما يستظل به ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني الغيران والأسراب واحداً كن، وهو كل شيء وقى شيئاً وستره ﴿وجعل لكم سراويل﴾ وهي القمص واحداً سراويل (١٢). قال ابن عباس وقاتادة هي القمص من الكتان والقطن والصوف (١٣) وقوله ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يقل البرد

(١) سورة الملك آية ١٩.

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، انظر لسان العرب ٦/٤١٥٩، الصحاح ٢/٨١٢ ترتيب القاموس ٤/٢١٦.

(٣) مفردة نطع وهو بساط من الجلد كثيراً ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، انظر المعجم الوسيط ٢/٩٣٨.

(٤) الأدم: جمع أديم وهو الجلد ما كان.. انظر لسان العرب ١/٤٥ تاج العروس ٨/١٨٠ ترتيب القاموس ١/١٢٣.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٨٧. تفسير الرازي ٢٠/٧٤.

(٦) النجعة: المذهب في طلب الكلأ في موضعه.

انظر لسان العرب ٦/٤٣٥٣، الصحاح ٣/١٢٨٨ ترتيب القاموس ٤/٣٣٠.

(٧) انظر معالم التنزيل ٣/٧٩، بلا نسبة تفسير الرازي ٢٠/٧٤ بلا نسبة.

(٨) انظر تفسير الرازي ٢٠/٧٤ بلا نسبة.

(٩) انظر روح المعاني ١٤/٢٠٥، عن ابن عباس وقاتادة. الرازي ٢٠/٧٥.

(١٠) سورة البقرة (٥٧).

(١١) انظر روح المعاني ١٤/٢٠٥١٤، زاد المسير ٤/٤٧٧.

(١٢) انظر روح المعاني ١٤/٢٠٥ عن ابن عباس والزجاج وابن قتيبة تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٨، زاد المسير ٤/٤٧٧ فتح

القدير ١/١٨٦.

(١٣) فتح القدير ٣/١٨٦ عن قتادة، انظر الرازي ٢٠/٧٥ روح المعاني ١٤/٢٠٥ نحوه بلا نسبة.

لأن ما وقى من الحر وقى من البرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للعلم به وقوله ﴿وسراييل تقيمكم بأسكم﴾ يعني دروع الحديد تقيمكم شدة الطعن والضرب والرمي ﴿كذلك﴾ مثل ما جعل لكم هذه الأشياء وأنعم بها عليكم ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يريد نعمة الدنيا لأن الخطاب لأهل مكة [يدل على هذا قوله ﴿لعلكم تسلمون﴾ قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة] ^(١) تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحده وتصدقوا رسوله ﷺ ^(٢) قوله :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فإنما عليك﴾ يا محمد ﴿البلاغ المبين﴾ عليك أن تبلغ الرسالة وتبين الدلالة، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدي يعني محمداً ﷺ ^(٣)، واختاره الزجاج فقال: يعرفون أن أمر محمد ﷺ حق ثم ينكرون ذلك ^(٤)، وقال الكلبي: قروا بأن ما ذكر من النعم في هذه السورة كلها من الله، ولكنهم قالوا بشفاعة آلهتنا ^(٥) واختاره الفراء ^(٦) فقال: وإذا قيل لهم: من رزقكم قالوا: الله ثم يقولون بشفاعة آلهتنا فيشركون فذلك إنكارهم نعمته ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ قال الحسن وجميعهم كفار فذكر الأكثر والمراد به الجميع ^(٧) قوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني يوم القيامة نبعث الأنبياء ليشهدوا على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الكلام والاعتذار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ ولا يطلب منهم أن يرجعوا

(١) سقط في ب.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٧٩ الخازن مع البغوي ٤/١٠٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/٨٠ القرطبي ١٠٦/١٠ روح المعاني ١٤/٢٠٦، وقال ورجح ذلك الطبري والرازي ٢٠/٧٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٨٥ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢١٦.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٨٠ القرطبي ١٠٦/١٠، فتح القدير ٣/١٨٥.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١١٢.

(٧) قال الرازي: فإن قيل: ما معنى قوله وأكثرهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين؟ قلنا: الجواب من وجوه: الأول: إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف، أو كان ناقص العقل معتوهاً فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء. الثاني: أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند، وحينئذ نقول إنما قال (وأكثرهم) لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً، بل كان جاهلاً بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله. الثالث: أنه ذكر الأكثر، والمراد الجميع لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل، فذكر الأكثر كذكر الجميع وهذا كقوله ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ النحل (٧٥). انظر الرازي (٧٧/٢٠).

إلى ما أمر الله [ويرضاه] (١) لأن الآخرة ليست بدار تكليف ﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿العذاب﴾ يعني النار ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يؤخرون ولا يمهلون ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة وذلك أن الله تعالى يبعث كل ما كان يعبد من دون الله ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول﴾ أي أجابوهم، وقالوا لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ كذبوهم في عبادتهم إياهم لأن الشركاء كانت جماداً أمواتاً ما كانت تعرف عبادة عابديها، فظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة وهذا كقوله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ (٢) ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ استسلموا وأقروا لله بالربوبية ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ زال وبطل، وذهب ما زين لهم الشيطان أن لله شريكاً وولدأ قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا محمد بن حماد أنا معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله: ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخيل الطوال (٣).

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا محمد بن حيان (٤) نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان حدثنا الحكم عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: زيدوا حيات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال الدلم (٥) وقال أبو المنهال (٦) إنهم يستغيثون بالنار فراراً من تلك الأفاعي والعقارب وهرباً (٧) منهما قوله:

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ يريد الأنبياء وكل نبي شاهد على أمته والأنبياء شهداء على أممهم بما فعلوا وهم من أنفسهم لأن كل نبي يبعث من قومه ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ قال ابن

(١) سقط في ب.

(٢) سورة مريم آية ٨٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٥/٢ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي والهيتمي في المعجم ٤٨/٧ وعزاه للطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح انظر تفسير البغوي ٥٨١/٣ روح المعاني ٢١٣/١٤ عن البراء مرفوعاً وقال روي نحوه عن ابن مسعود فتح القدير ١٨٨/٣ الرازي ٧٩/٢٠ بلا نسبة.

(٤) محمد بن حيان أبو الأحوص البغوي نزيب بغداد. قال عبد الخالق بن منصور سألت ابن معين عنه قال: ليته حدث بما سمع، فكيف يكذب؟ وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: كان ثبناً، وقال صالح بن محمد الأسدي: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال هو وغيره: مات سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر التهذيب (١٣٦/٩ - ١٣٧).

(٥) انظر زاد المسير ٤٨٢/٤ الخازن مع البغوي ١١٠/٤ الدر المنثور ١٢٧/٤ القرطبي ١٠٨/١٠ لسان العرب ١٤١٤/٢.

(٦) سيار بن سلامة الرياحي أبو المنهال البصري. قال ابن معين والنسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث.

وقال العجلي بصري ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة (١٢٩) وقال ابن سعد كان ثقة. انظر التهذيب (٢٩٠/٤ - ٢٩١).

(٧) انظر تفسير الرازي ٧٩/٢٠ بلا نسبة.

عباس يريد على قومك^(١) وتم الكلام ثم قال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ قال مجاهد: يعني ما أمر به وما نهى عنه^(٢) وقال أهل المعاني: يعني لكل شيء من أمور الدين إما بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ أو إجماع المسلمين^(٣) فالكتاب هو الأصل والمفتاح لعلوم الدين قال الزجاج: تبيان اسم في معنى البيان^(٤) قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ٩٢ وَيَلَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَفُونَ ٩٣ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤﴾

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن قال ابن عباس في رواية الوالبي: العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض^(٥) ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ وصلة الأرحام ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿والمنكر﴾ الشرك ﴿والبغي﴾ الكبر والظلم ﴿يعظكم﴾ ينهاكم عن هذا كله، ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه الله رضا لكي تتعظوا، قال قتادة في هذه الآية: إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه^(٦).

أخبرنا: عمرو بن محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر أنا جدي أنا محمد بن إسحاق السراج نا قتيبة بن سعيد نا جرير عن منصور عن الشعبي قال: جاء شتير ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت عن عبد الله فأصدقك وإما أن أتحدث فتصدقني فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن خير أو شر آية في النحل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قال مسروق صدقت رواه الحاكم في صحيحه^(٧) عن العنبري عن

(١) انظر زاد المسير ٤٥/٤٨٢.

(٢) انظر زاد المسير ٨١/٣ القرطبي ١٠/١٠٨ معالم التنزيل ٣/٨١ بلا نسبة.

(٣) الإجماع لغة: العزم المصمم والاتفاق، وفي اصطلاح الأصوليين: اتفاق مجتهدي أمة الإجابة في عصر من العصور على أمر من أمور الدين بعد وفاة النبي ﷺ. انظر المصباح المنير ١/١٧١ القاموس المحيط ٣/١٥٣ المستصفى ١/١١٠ الإحكام للأمدى

(٢/٢٨٠) منتهى السؤل (١/٤٩) المحصول (٢/١٩). الإبهاج ٢/٣٨٩ حاشية البناني (٢/١٧٧) التحرير (٣/٢٢٤).

(٤) انظر معاني القرآن ٣/٢١٧ الرازي ٢/٨٠.

(٥) انظر معالم التنزيل ٣/٨١ تفسير القرطبي ١٠/١٠٩ الرازي ٢/٨١، روح المعاني ١٤/٢١٧ فتح القدير ٣/١٨٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٨ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) انظر تفسير الرازي ٢٠/٨١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٨، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) ٢/٣٥٦ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي وانظر تفسير البغوي ٣/٨٢، الرازي ٢/٨١، روح

المعاني ١٤/٢١٩، فتح القدير ٣/١٨٩.

محمد بن عبد السلام عن إسحاق الحنظلي عن المعتمر عن منصور قوله ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ قال المفسرون^(١) العهد الذي يجب الوفاء به هو الذي يحسن فعله فإذا عاهد يجب الوفاء به، قال ابن عباس في هذه الآية: والوعد من العهد^(٢) ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه ﴿إن الله يعلم ما تعملون﴾ قال ابن عباس لا يخفى عليه شيء ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾ هي امرأة من قريش يقال لها: ريطة^(٣) كانت حمقاء، تغزل الغزل هي وجواربها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ﴿من بعد قوة﴾ أي من بعد إبرام وقتل للغزل^(٤) ﴿أنكاثاً﴾ جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم وينسج فإذا أخلقت^(٥) النسيجة قطعت ونكثت خيوطها ثم غزلت ثانية ومعنى الآية لا تكونوا في نقض الأيمان بعد توكيدها كهذه المرأة غزلت غزلاً وقوت مرته ثم نقضته فجعلته أنكاثاً وقوله ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ الدخّل والدغل: الغش والخيانة قال الزجاج: غشاً ودغلاً^(٦) ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي أكثر يقال ربا الشيء يربو إذا كثر قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم، فنهوا عن ذلك^(٧) وتلخيص التأويل النهي عن أن يخلف على ما هو منطوق على خلافه وأن يغر غيره بيمينه وقوله: ﴿إنما ييلوكم الله﴾ أي بالأمر بالوفاء ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا من شأن البعث والقرآن، وكل ما وقع الاختلاف فيه قوله: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ قال ابن عباس: على ملة واحدة ودين واحد^(٨) ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وهذا صريح في تكذيب القدرية حيث أضاف الضلالة والهداية^(٩) إلى نفسه وجعلهما لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية، ثم أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم، فقال: ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ فبان أن الأمر على ما أخبر الله به من قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾^(١٠) ثم استأنف نهياً عن إيمان الخديعة والمكر توكيداً للمنع عنها، وأوعد عليها فقال:

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ قال ابن عباس تزل عن الإيمان بعد المعرفة

(١) انظر تفسير الرازي ٨٦/٣ تفسير القرطبي ١١١/١٠.

(٢) انظر تفسير الرازي ٨٦/٣.

(٣) ريطة بنت سعد بن نعيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية. انظر نسب قريش (١٧).

(٤) انظر معالم التنزيل ٨٢/٣ تفسير القرطبي ١١٢/١٠.

(٥) في جـ اختلق «أخلقت»: أخلق الدهر الشيء: أبلاه. انظر لسان العرب ١٢٤٦/٢ الصحاح ٤/١٤٧٠ ترتيب القاموس ٩٩/٢.

(٦) انظر معاني القرآن لدرجاجة ٢١٧/٣ فتح القدير ١٩٦/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٣/٣ روح المعاني ٢٢٢/١٤، القرطبي ١١٣/١٠، الرازي ٨٧/٢٠ فتح القدير ١٩٢/٣. وذكره السيوطي في

الدر المنثور ١٢٩/٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٨) انظر تفسير القرطبي ١١٣/١٠ بلا نسبة معالم التنزيل ٨٣/٣ بنحوه بلا نسبة الدر المنثور ١٢٩/٤ عن سعيد بن جبير.

(٩) في ب (والهداية وجعلهما إلى نفسه لمن شاء من خلقه).

(١٠) سورة الأنبياء آية ٢٣.

بالله^(١) قال المفسرون^(٢) وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده على الإسلام ونصرة الدين يدل على هذا قوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي العذاب ﴿بما صدقتم﴾ بصدقكم ﴿عن سبيل الله﴾ يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ صدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام فاستحقوا العذاب فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه قوله ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس يريد في الآخرة^(٣) ثم زاد توكيداً فقال:

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ يقول: لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عوضاً من الدنيا. ﴿إنما عند الله﴾ من الثواب على الوفاء ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ذلك قوله ﴿ما عندكم ينفذ﴾ أي يفنى وينقطع يعني الدنيا ﴿وما عند الله﴾ من الثواب والكرامة ﴿باق﴾ دائم لا ينقطع ﴿ولنجزيَن الذين صبروا﴾ على عهودهم، وعلى طاعة ربهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يعني الطاعات، ومن جزاه الله بأحسن عمله، غفر له ذنوبه، قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة القناعة^(٤) قال: وكان رسول الله ﷺ يقول اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه^(٥).

أخبرنا: عمر بن محمد بن أحمد بن عمر الماوردي نا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه نا عبد الله بن علي بن الجارود^(٦) نا أحمد بن سعيد الرباطي^(٧) نا إبراهيم بن الحكم^(٨) عن أبيه عن عكرمة في قوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال: القناعة ورزق يوم بيوم^(٩) وهذا قول مجاهد ووهب والقرظي وقال في رواية الكلبي وأبي مالك^(١٠) وعطاء: هي الرزق الحلال، وأكل الحلال^(١١).

(١) انظر تفسير القرطبي ١١٣/١٠ بلا نسبة.

(٢) انظر فتح القدير ١٩١/٣، نقلاً عن المصنف.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١١٤/١٠، روح المعاني ٢٧٧/١٤ وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٦/٢ كتاب التفسير و صححه، وأقره

الذهبي وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤ وزاد نسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٦/٣ كتاب التفسير سورة النحل، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الحافظ

في التلخيص وعزاه للحاكم ٢٤٨/٢ وابن أبي حاتم في العلل رقم (٢٠٥٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤.

(٦) عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ المجاور بمكة. كان من أئمة الأثر. أثنى عليه الحاكم. مات سنة سبع وثلاث مئة.

انظر سير الأعلام (٢٣٩/١٤).

(٧) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي أبو عبد الله المروزي الأشقر نزيل نيسابور. قال النسائي: ثقة، وقال ابن خراش: ثقة ثقة. قال

الخطيب: ورد بغداد في أيام أحمد وجالس بها العلماء وذاكرهم، وكان ثقة فهما عالماً فاضلاً انظر التهذيب ٣٠/١.

(٨) إبراهيم بن الحكم بن أبان، تركوه وقل من مشاه. روى عن أبيه مراسلات فوصلها. قال ابن معين: ليس بشيء وقال النسائي متروك

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه فقال: وقت ما رأيناه لم يكن به بأس. وقال البخاري: سكتوا عنه. انظر الميزان

(٢٧/١).

(٩) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ القرطبي ١١٤/١٠. الرازي ٩٠/٢٠.

(١٠) هو غزوان الغفاري الكوفي ثقة. انظر تهذيب الكمال (١٠٨٩/٢).

(١١) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ الخازن مع البغوي ١١٣/٤ تفسير الرازي ٩٠/٢٠ بلا نسبة.

أخبرنا: الفضيل بن أحمد الصوفي أنا زاهر بن أحمد أنا زيد بن الهيثم القاضي نا أحمد بن عثمان الأودي^(١) نا عون بن سلام^(٢).

نا: بشر بن عمارة^(٣) عن أبي روق^(٤) عن الضحاك^(٥) «فلنحيينه حياة طيبة» قال: يلبس حلالاً، ويأكل حلالاً^(٥) وروي عن أبي نجيع عن مجاهد: «حياة طيبة» قال: الجنة^(٦) وهو قول الحسن قال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة^(٧).

أخبرنا: أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيدة الوبري^(٨) نا يوسف بن سعيد بن مسلم^(٩) نا علي بن بكار عن أبي العوام عن قتادة في قوله: «فلنحيينه حياة طيبة» قال: رزق يوم بيوم^(١٠) قوله:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ قال الزجاج^(١١) وجميع أصحاب المعاني: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن، ومثله إذا أكلت فقل بسم الله^(١٢) وهذا إجماع من الفقهاء

(١) أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي أبو عبد الله الكوفي قال النسائي: ثقة وقال ابن خراش: كان ثقة عدلاً وقال مطين وغيره: مات في المحرم سنة (٢٦١) زاد غيره يوم عاشوراء. وقال العقيلي: ثقة، وأرخ ابن قانع وفاته قبل الستين وروى عنه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٦١/١).

(٢) عون بن سلام القرشي أبو جعفر الكوفي مولى بني هاشم. قال صالح بن محمد: لا بأس به، وقال محمد بن عبد الله: مات سنة ثلاثين ومائتين وكان ثقة، وقال البغوي: وكان ضرير البصر، وقال الخطيب: كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال مستقيم الحديث وقال الدارقطني لا بأس به. انظر التهذيب ١٧٠/٨.

(٣) بشر بن عمار الخثعمي المكتوب الكوفي. قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وقال البخاري: يعرف وينكر وقال النسائي ضعيف، وقال ابن حبان كان يخطيء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: لم أر في أحاديثه حديثاً منكراً وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب. انظر التهذيب ٤٥٥/١.

(٤) عطية بن الحارث الهمداني صدوق. انظر الجرح والتعديل ٣٨٢/٦.

(٥) انظر الخازن مع البغوي ١١٣/٤، روح المعاني ٢٢٧/١٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٤ وعزاه لابن جرير.

(٦) انظر معالم التنزيل ٨٤/٣ عن مجاهد وابن عباس القرطبي ١١٥/١٠، فتح القدير ١٩٣/٣ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٤/٣، القرطبي ١١٥/١٠، الرازي ٩١/٢٠ روح المعاني ٢٢٦/١٤. فتح القدير ١٩٣/٣.

(٨) أحمد بن محمد بن عبيدة بن زياد بن عبد الخالق الثعالبي الوبري كان مكثراً من الحديث. انظر الأنساب ٥٧٢/٥.

(٩) يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي أبو يعقوب الأنطاكي الحافظ. قال النسائي: ثقة حافظ، وقال ابن أبي حاتم كتب إلي ببعض حديثه وهو صدوق وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات بعد سنة خمس وستين. انظر التهذيب (٤١٤/١١).

(١٠) انظر زاد المسير ٤٨٩/٤ الرازي ٩٠/٢٠.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٢١٨/٣ تفسير الرازي ٩٢/٢٠ معالم التنزيل ٨٤/٣ فتح القدير ١٩٣/٣.

(١٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٦/٦، ٢٦٥ أخرجه أبو داود ٣٤٧/٣، كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٧٦٧) والبيهقي في السنن ٢٧٦/٦.

أن الاستعاذة قبل القراءة^(١) إلا ما روي عن أبي هريرة^(٢) وداود^(٣) ومالك^(٤) أنهم قالوا^(٥): الاستعاذة بعد القراءة ذهبوا إلى ظاهر الآية والأولى، والمستحب أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القرآن، وللخبر المتصل المسلسل، وهو: أني قرأت على الأستاذ أبي إسحاق الثعالبي، رحمه الله فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي فقلت: أعوذ بالسميع العليم [هكذا]^(٦) فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بالبصرة فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي محمد عبد الله بن عجلان الزنجاني^(٧) فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على أبي عثمان إسماعيل بن إبراهيم الأهوازي فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإني قرأت على [محمد بن عبد الله بن بسطام فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت]^(٨) على روح بن عبد المؤمن^(٩)، فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإني قرأت على يعقوب الحضرمي، فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على سلام بن أبي المنذر فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على عاصم فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على زر بن حبيش فقلت أعوذ بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على عبد الله بن مسعود، فقلت أعوذ

(١) ويعضد هذا ما روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه) وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة. قال الكيا الطبري: ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾. ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة. كقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً﴾ النساء: (١٠٣) إلا أن غيره محتمل مثل قوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ الأنعام: (١٥٢). ﴿وإذا سألتهمون متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ الأحزاب: (٥٣) وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم. ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق وإذا أحرمت فاغتسل يعني قبل الإحرام. والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك فكذلك الاستعاذة. انظر القرطبي ١١٥/١٠.

(٢) انظر القرطبي ٦٣/١.

(٣) داود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية توفي في ٢٧٠ هـ الأنساب (٩٩/٤) وفيات الأعيان (١٧٥/١) تذكرة الحفاظ (١٣٦/٢).

(٤) قال ابن العربي: من أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله... الآية قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن من قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر ولا يعضده نظر، فإن كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة بعد القراءة كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه، فالله أعلم بسر هذه الرواية. انظر القرطبي ٦٣/١. وانظر أحكام القرآن لابن العربي (١١٧٦/٣).

(٥) قال ابن حزم: الاستعاذة تكون فرضاً في الصلاة بعد أن يقرأ ما عليه اسم القرآن، ولو أنه كلمتان على نص الآية لأنها توجب التعوذ بعد القراءة بظاهرها انظر المحلى (٣١٨/٣ - ٣٢٢).

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) عبد الله بن عجلان الزنجاني ثقة معجم الثقات (٢٩٩).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري أبو الحسن البصري: ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ٢٣٣ أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل وقال غيره سنة ٤ ويقال سنة ٥. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه صدوق انظر التهذيب (٢٩٦/٣).

بالسميع العليم فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي: «يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ»^(١) قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني به سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين^(٢) ليس له حجة أي لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم [ودعائهم]^(٣) إلى الضلالة ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ﴾ قال ابن عباس يطيعونه^(٤) يقال: توليته أي أطعته وواليته^(٥) ومنه قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٦) قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ قال مجاهد: يعدلونه برب العالمين^(٧) قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةَ مَكَانٍ آيَةٍ﴾ قال الكلبي وغيره: كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها قال كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً بأمر، وإنه ليتكذبه، ويأتيهم به من عند نفسه، فأنزل الله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةَ مَكَانٍ آيَةٍ﴾^(٨) قال مجاهد: نسخناها وأنزلنا غيرها^(٩) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتغليظ وتخفيف هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد، فما بالهم ينسبون محمداً ﷺ إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ [يعني]^(١٠) نزل بالقرآن ﴿رُوحَ الْقُدْسِ﴾ جبريل ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ من كلام ربك ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الحق الصحيح الثابت ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات، فيزدادوا تصديقاً و يقيناً، وقوله ﴿وَهُدًى﴾ أي وهو هدى فهو: خبر ابتداء محذوف قوله:

وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ قال مجاهد وقتادة: قالت قريش إنما يعلم محمداً عبد لبني الحضرمي رومي يقال له يعيش، صاحب كتاب^(١١) وقال عبيد الله بن مسلم^(١٢) كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة ٣٠٩/١ (٨٥) وعزاه لابن النجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً وذكره الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعي وعزاه للثعلبي عن شيخه محمد بن جعفر (٩٠).

(٢) انظر الخازن مع البغوي ١١٤/٤ زاد المسير ٤٩٠/٤ تفسير القرطبي ١١٦/١٠ الدر المنثور ٤/١٣٠.

(٣) سقط في ج.

(٤) انظر تفسير الرازي ٩٢/٢٠، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٨٤/٣، القرطبي ١١٦/١٠ روح المعاني ٢٣٠/١٤، فتح القدير ١٩٤/٣.

(٥) في ب (وأوليته).

(٦) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١١٦/١٠ روح المعاني ٢٣٠/١٤ وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٨٤/٣ تفسير الرازي ٩٢/٢٠، فتح القدير ١٩٤/٣.

(٨) انظر زاد المسير ٤٩٠/٤، تفسير الرازي ٩٣/٢٠، نحوه عن ابن عباس.

(٩) انظر القرطبي ١١٦/١٠ زاد المسير ٤٩٠/٤، فتح القدير ١٩٦/٣، معالم التنزيل ٨٤/٣ بلا نسبة روح المعاني ٢٣١/١٤ بلا نسبة تفسير الرازي ٩٣/٢٠ بلا نسبة.

(١٠) سقط في ب، ج.

(١١) أخرجه الحاكم ٣٥٧/٢ كتاب التفسير عن ابن عباس وصحح إسناده، وأقره الذهبي انظر معالم التنزيل ٨٥/٣ عن ابن إسحاق تفسير القرطبي ١١٧/١ روح المعاني ٢٣٣/١٤، تفسير الرازي ٩٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٩٦/٣ عن ابن عباس:

(١٢) عبيد الله بن مسلم الحضري قال أبو حاتم عبيد الله بن مسلم الحضري له صحبة، وقال البغوي في الصحابة عبيد الله بن مسلم يقال =

والآخر جبر وكانا صيقلين^(١) يقرآن كتاباً لهما بلسانها وكان رسول الله ﷺ يمر عليها ويسمع قراءتها، وكان المشركون يقولون: يتعلم منها فأكذبهم الله فقال: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾^(٢) الإلحاد: معناه الميل^(٣)، يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقراءة العامة بضم الياء وقرىء بفتح الياء من لحد^(٤) والأولى ضم الياء لأنه لغة القرآن يدل عليه قوله: ﴿ومن يريد فيه بالحداد﴾^(٥) ويكون الإلحاد بمعنى الإمالة وفسر الإلحاد في هذه الآية بالقولين فقال الفراء: يميلون من الميل وقال الزجاج لسان الذي يميلون القول إليه أعجمي^(٦) وقال ابن قتيبة أي يؤمنون إليه ويزعمون أنه يعلمك^(٧) أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان، وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس أفصح ما يكون من العربية وأبينه لسان سعد بن بكر بن هوازن^(٨) ثم جعل المشركين هم الذين يفترون فقال: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾ قال الزجاج: إنما يفتري الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها فهؤلاء أكذب الكذبة^(٩) ثم سماهم الكاذبين وحصر^(١٠) فيهم الكذب فقال ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ أي ان الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم، وهذا كما تقول: كذبت وأنت كاذب فيكون قولك: وأنت زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب حيث أخبر الله أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوزي^(١١) أنا جدي محمد بن عمر بن حفص الزاهد أنا أبو بكر محمد بن الفرغ الأزرق^(١٢) نا سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري نا أبو زياد يزيد بن عبد الله نا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال قد يكون ذلك قلت يا رسول الله المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك قال قلت يا رسول الله المؤمن يكذب؟ قال لا قال الله تعالى ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾^(١٣).

= أدرك النبي ﷺ ثم أخرج له حديثين من رواية حصين عنه. انظر التهذيب (٤٨/٧).

(١) الصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها. انظر لسان العرب ٢٤٧٣/٤ تاج العروس ٤٠٤/٧، ترتيب القاموس ٨٣٧/٢.

(٢) انظر الخازن مع البغوي ١١٥/٤، روح المعاني ٢٣٣/١٤، تفسير الرازي ٩٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ١٩٦/٣، القرطبي ١١٧/١٠.

(٣) انظر لسان العرب (٤٠٥/٥).

(٤) انظر النشر في القراءات (٢٧٣/٢) إتحاف فضلاء البشر ١٨٩/٢ القرطبي ١١٧/١٠، الرازي ٩٤/٢٠.

(٥) سورة الحج آية ٢٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٩.

(٨) انظر روح المعاني ١٨٥/١٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢١٩/٣ فتح القدير ١٩٥/٣.

(١٠) في ب (وخص).

(١١) عمر بن أحمد بن محمد الجوزي انظر تبصير المنتبه (٣٦٦/١).

(١٢) محمد بن الفرغ بن محمود أبو بكر البغدادي الأزرق. قال الحاكم عن الدارقطني: ضعيف لا بأس به يطعن عليه في اعتقاده،

وقال البرقاني عن الدارقطني: ضعيف، وقال الخطيب: أحاديثه صحاح ورواياته مستقيمة لا أعلم فيها ما يستنكر، وتكلم فيه الحاكم

من أجل صحبته الحسين الكرابيسي. مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر التهذيب ٣٩٩/٩.

(١٣) إسناد ضعيف جداً وعلته يزيد بن عبد الله بن غريب، قال الحافظ: مجهول ٢٨٩/٦ وفيه يعلى بن الأشدق مقتصر على الكذب وفيه

عبد الله بن جراد وهو مجهول وقد تقدم.

أخبرنا: عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا علي بن محمد بن سعيد بن العباس الرزاز^(١) نا أبو شعيب الحراني نا جدي نا موسى بن أعين عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان قوله:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ نزلت في عمار بن ياسر، أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: (ما وراءك؟ قال: شربا رسول الله، ما تركت، حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان، قال إن عادوا لك، فعد لهم بما قلت)^(٢) قال ابن عباس في رواية الوالبي: أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه، فعليه غضب من الله، ولهم عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم بلسانه، وخالف قلبه بالإيمان، لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم^(٣) قوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ أي فتحه ووسعه لقبول الكفر قال الكلبي: والمراد بقوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ من ارتد عن الدين وطابت نفسه

= أخرجه مالك في الموطأ ٢/٩٩٠ مرسلًا كتاب الكلام باب ما جاء في الصدق (١٩) مرسل أو معضل، قال الحافظ ابن عبد البر: لا أحفظه مسندًا من وجه ثابت وهو حديث مرسل، وذكره العراقي في تخريج الإحياء ٣/١٣٥ وعزاه لابن عبد البر في التمهيد، وقال رواه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصرًا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء. وذكره العجلوني في الكشف ٢/١٦٠.

(١) علي بن محمد بن سعيد: بن العباس بن دينار أبو الحسن الكندي الرزاز سمع أبا شعيب الحراني وجعفر الفريابي وعلي بن حسويه القطان وأبا حنيفة محمد بن حنيفة القصبي. انظر تاريخ بغداد ١٢/٨٥ - ٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٣٥٧ كتاب التفسير سورة النحل وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن ٨/٢٠٨ وابن سعد في الطبقات ٣/١٧٨، والبيهقي في الدلائل ٤/٣٠١، ٤٠٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن من طريق علي عن ابن عباس.

قال القرطبي: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن، فإنه قال: إذا أظهر الشرك كان مرتدًا في الظاهر، وفيما بينه وبين الله تعالى على الإسلام وتبين منه امرأته، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يرث أباه إن مات مسلمًا. وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿إلا من أكره﴾. الآية وقال: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ آل عمران: ٢٧. وقال: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ النساء: ٩٧ الآية. وقال: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ النساء: ٩٨ الآية. فعذر الله المستضعفين الذين يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفًا غير ممتنع من فعل ما أمر به قاله البخاري. قال المحققون من العلماء: إذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له أن يجريه على لسانه إلا مجرى المعارض، فإن في المعارض لمدوحة عن الكذب. ومتى لم يكن كذلك كان كافرًا لأن المعارض لا سلطان للإكراه عليها. انظر القرطبي ١٠/١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣.

بالكفر^(١) يدل على هذا قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ أي ذلك الشرح، وذلك الكفر بأنهم أحبوا الدنيا، واختاروها على الآخرة وبأن الله لا يريد هدايتهم ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فقال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ﴾ الآية وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ قال ابن عباس: غافلون عما يراد بهم^(٢) ثم حكم لهم بالخسار وأكد ذلك فقال: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قوله:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا الْغَفُورُ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذي كانوا بمكة عذبوا في الله وأريدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، وهاجروا إلى النبي ﷺ من بعد ما فتنوا^(٣) وقال ابن عباس من بعد ما عذبوا^(٤) ﴿ثم جاهدوا﴾ مع النبي ﷺ ﴿وصبروا﴾ على الدين والجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها من التلطف بكلمة الكفر ﴿لغفور رحيم﴾ وقرأ ابن عامر (فتنوا) بفتح الفاء^(٥) والمعنى: من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للفتنة، وجعل ذلك فتنة، لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد قوله: ﴿يوم تأتي﴾ أي ذكرهم يا محمد يوم تأتي ﴿كل نفس تجادل عن نفسها﴾ هذا يوم القيامة كل أحد لا يهمه إلا نفسه فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن حامد نا محمد بن خالد بن الحسين نا داود بن سليمان نا عبد بن حميد نا عياد بن كليب الليثي عن صالح المري عن جعفر بن زيد قال: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحمدي يا كعب خوفنا حدثنا حديثاً تنبهنا به قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأنت عليك تارات، وأنت لا يهمك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثياً على ركبته حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلعة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى الذي أنزله عليكم، أما سمعت يا أمير المؤمنين إلى قوله: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾^(٦) وقوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي جزاء ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من أجورهم شيئاً قوله:

(١) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٧ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٦ بلا نسبة.

(٢) انظر زاد المسير ٤/٤٩٦ روح المعاني ١٤/٢٣٩ الرازي ٢٠/١٠٠ معالم التنزيل ٣/٨٦ بلا نسبة القرطبي ١٠/٢٦ بلا نسبة فتح القدير ٣/١٩٧ بلا نسبة.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ١٦٢، القرطبي ١٠/١٢٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤/١٣٣ وعزه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) انظر زاد المسير ٤/٤٩٨، وذكر بلا نسبة في معالم التنزيل ٣/٨٧ روح المعاني ١٤/٢٣٩ تفسير الرازي ٢٠/٢٠١، فتح القدير ٣/١٩٧.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٠.

(٦) في إسناده صالح بن بشير أبو بشر المري، قال البخاري: منكر الحديث وضعفه ابن معين وابن حبان التاريخ الكبير (٢/٢٧٣) =

وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ
اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ الآية نزلت في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن
والنعمة يتكذيبهم النبي ﷺ، وهو قوله: ﴿قرية﴾ يعني مكة ﴿كانت آمنة﴾ ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم
﴿مطمئنة﴾ قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق، وهو قوله: ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل
مكان﴾ يأتيهم رزقهم في بلدهم يجلب إليها من كل بلد كما قال الله تعالى ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ (١) ﴿فكفرت
بأنعم الله﴾ حيث كذبوا النبي ﷺ، وخالفوا أمره ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ قال المفسرون (٢) عذبهم الله
بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المُحرقة قال ابن قتيبة لباس الجوع والخوف عرفها سوء أثرهما، وقد يستعمل الذوق
آثارهم بالضمر والشحوب وتغير الحال (٣) ومعنى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف عرفها سوء أثرهما، وقد يستعمل الذوق
في المعرفة يقال: ذقت ما عند فلان إذا جربته وعرفته، ويقال: اركب هذا الفرس تذقه أي تعرف ما عنده من الجري
ومنه قول الشماخ (٤) يصف قوساً:

فَذَاقَ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا كَيْفَافَ لَهَا أَنْ يَعْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزًا (٥)

والمراد بالخوف خوفهم من النبي ﷺ، ومن السرايا التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم.

وروي عن أبي عمرو بنصب الخوف (٦) حملاً على الإذاعة، والكلام في الآية خرج على القرية والمراد أهلها يدل
على هذا قوله: ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فعاد الكلام إلى أهل القرية قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي ﷺ حيث كذبوه،
وأخرجوه من مكة، وما هموا به من قتله (٧) ﴿ولقد جاءهم﴾ يعني أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ من نسبهم ﴿فكذبوه
فأخذهم العذاب﴾ يعني الجوع في قول ابن عباس (٨) وقال مجاهد يعني القتل بيد (٩) ثم خاطب المؤمنين فقال:
فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا

= التاريخ ٢٦٢/٢ المجروحين ٣٧١/١ العقيلي ١٩٩/٢ والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٦٦/١٣ وذكره السيوطي في الدرر ١٣٣/٤ وزاد نسبه لابن المبارك وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) سورة القصص آية ٥٧.

(٢) انظر معالم التنزيل ٨٨/٣ زاد المسير ٥٠١/٤.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٥٠.

(٤) الشماخ بن ضرار بن حرمله بن سنان المازني الذيباني الغطفاني: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد
والنابغة، كان شديد متون الشعر وليد أسهل منه منطقاً وكان أرجز الناس على البديهة، جمع بعض شعره في (ديوان). انظر
الأعلام (١٧٥/٣).

(٥) انظر ديوان الشماخ (١٩٠).

(٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ١٩٠/٢، تفسير القرطبي ١٢٧/١٠ روح المعاني ٢٤٣/١٤.

(٧) انظر زاد المسير ٥٠١/٤ تفسير الرازي ١٠٤/٢٠.

(٨) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، القرطبي ١٢٨/١٠ بلا نسبة تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ فتح القدير ٣/٢٠٠ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٥٠١/٤، تفسير الرازي ١٠٤/٢٠ بلا نسبة فتح القدير ٣/٢٠٠ بلا نسبة.

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَإِجْرٍ وَلَا عَادٍ
فَاتَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿فكلوا﴾ يا معشر المؤمنين ﴿عما رزقكم الله﴾ من الغنائم ﴿حلالاً طيباً﴾ وهذه الآية والتي بعدها مفسرة في سورة البقرة. قوله ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ أي لأجل وصفكم الكذب، والمعنى أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى إلا الكذب فقط والمعنى: لا تفعلوا ذلك والإشارة بقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ إلى ما كانوا يحلونه ويحرمونه قال ابن عباس: يعني قولهم ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾^(١) وقوله: ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ هو أنهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إلى الله ويقولون إنه أمرنا بذلك ثم أوعد المفتري فقال: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ وبين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قرب فقال: ﴿متاع قليل﴾ قال الزجاج: متاعهم متاع قليل^(٢) يعني ما يتمتعون به ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة قوله:

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَآيَتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ تقدم ذكره في سورة الأنعام في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾^(٣) الآية. ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ما حرمنا عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالبغي والمعاصي، ثم ذكر المغفرة لمن تاب بعد المعصية فقال: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ قال مجاهد كل من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع^(٤). وقال السدي كل من عصى الله فهو جاهل^(٥) وهذا كقوله: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾^(٦) قال ابن عباس: يريد بالسوء الشرك^(٧). ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ السوء ﴿وأصلحوا﴾ قال: آمنوا وصدقوا وقاموا لله تعالى بفرائضه^(٨) ﴿إن ربك من

(١) انظر زاد المسير ٤/٥٠٢.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٢، فتح القدير ٣/٢٠١.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٥/٦١، تفسير الرازي ٢٠/١٠٧ بلا نسبة.

(٤) تفسير الطبري ٨/٨٩ وابن كثير ١/٤٣، مجاهد ١٤٩ فتح القدير ١/٤٤٠ عن ابن عباس.

(٥) سورة النساء آية ١٧.

(٦) انظر الخازن مع البغوي ٤/١٢٢.

(٧) انظر تفسير القرطبي ١٠/١٢٩ روح المعاني ١٤/٢٤٩.

بعدها ﴿من بعد تلك الجهالة﴾ لـغفور رحيم﴾ قوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ قال أكثر أهل التفسير^(١): معلماً للخير قال ابن الأعرابي، يقال للرجل العالم أمة، والأمة الرجل الجامع للخير^(٢) ﴿قانتاً﴾ مطيعاً لله ﴿حنيفاً﴾ قال ابن عباس: إنه أول من اختتن وأقام المناسك وضحى، فهذه صفة الحنيفية^(٣).

أخبرنا: محمد بن أحمد بن جعفر المزكي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه نا محمد بن المهلب نا معلى بن أسد^(٤) نا عبد العزيز بن المختار نا منصور بن عبد الرحمن الغداني^(٥) نا الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي^(٦) قال: كنت جالساً عند عبد الله بن مسعود فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، قلت غلط أبو عبد الرحمن فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنما قال الله ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً﴾ قال: فأعادها فعرفت انه تعمد الأمر تعمداً فسكت، فقال أتدري ما الأمة؟ الذي يعلم الناس الخير [وكان مطيعاً لله ورسوله]^(٧) والقانت المطيع لله، وكذلك معاذ بن جبل يعلم الخير وكان مطيعاً لله ورسوله^(٨) قال ابن عباس في قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ أخلص لله التوحيد صيباً وكبيراً^(٩) ﴿شاكراً لأنعمه﴾ انتصب على البدل من قوله: ﴿أمة قانتاً لله حنيفاً﴾ والأنعم جمع نعمة ﴿اجتباها﴾ اختاره للنبوة ﴿وهدها إلى صراط مستقيم﴾ وهو دين الحنيفية ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ قال الوالي عن ابن عباس: يعني الذكر الحسن^(١٠) وقال الحسن هي النبوة^(١١) وقال مجاهد لسان صدق في الآخرين^(١٢) وقال مقاتل يعني عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ^(١٣) وقال قتادة: هي أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتلون ويرضونه^(١٤) ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ ترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبة^(١٥) إبراهيم، وهذا أكمل مدح لإبراهيم حيث شرف جملة هو منها ﴿ثم أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿أن اتبع ملة إبراهيم

(١) انظر تفسير الرازي ١٠٧/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ زاد المسير ٥٠٣/٤ ابن كثير ٥٣٠/٤. روح المعاني ٢٤٩/١٤ فتح القدير ٢٠٢/٣ نقلاً عن المصنف.

(٢) تهذيب اللغة ٦٣٤/١٥ اللسان ١٣٥/١.

(٣) انظر الخازن مع البغوي ١٢٢/٤، الرازي ١٠٨/٢٠.

(٤) معلى بن أسد العمي أبو الهيثم البصري الحافظ.

قال العجلي: شيخ بصري ثقة كيس وكان معلماً، وأخوه بهز أسن منه، وهو ثبت في الحديث رجل صالح وقال أبو حاتم ثقة، ما أعلم أني عثرت له على خطأ غير حديث واحد، وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر التهذيب (٢٣٦/١٠ - ٢٣٧).

(٥) منصور بن عبد الرحمن الغداني النصرى الأشلى صدوق بهم. انظر التقريب ٢٧٦/٢ - ٢٧٧.

(٦) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، قال ابن عبد البر في الصحابة حديثه مضطرب وفروة بن نوفل الأشجعي من الخوارج، خرج على المغيرة بن شعبة في صدر خلافة معاوية فبعث إليهم المغيرة فقتلوا سنة خمس وأربعين، وليس لفروة بن نوفل صحبة ولا رؤية، إنما يروي عن أبيه وعن عائشة، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن فروة بن نوفل له صحبة، فقال ليست له صحبة ولأبيه صحبة. التهذيب ٢٦٦/٨.

(٧) سقط في أ، ج.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٤.

(٩) انظر زاد المسير ٥٠٤/٤، روح المعاني ٢٥٠/١٤، القرطبي ١٣٠/١٠ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٠) انظر معالم التنزيل ٨٩/٣ بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤.

(١١) تفسير الرازي ١٠٩/٢٠، القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة معالم التنزيل ٨٩/٣. زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٢) انظر تفسير الرازي ١٠٨/٢٠، تفسير القرطبي ١٣٠/١٠، بلا نسبة زاد المسير ٥٠٤/٤، فتح القدير ٢٠٢/٣ بلا نسبة.

(١٥) الجنبه والجانب: شق الإنسان وغيره. انظر لسان العرب ٦٩١/١ الصحاح ١٠١/١ ترتيب القاموس ٥٣٥/١.

حنيفاً ﴿ هذا يدل على أن دين محمد ﷺ دين إبراهيم حيث أمر باتباعه لسبقه إلى القول بالحق والعمل به، وقال عبد الله بن عمر: وأمر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبريل إبراهيم^(١) وقوله: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ قال عطاء عن ابن عباس: تهاونوا وصادوا فيه وتعدوا^(٢) وقال قتادة استحله بعضهم وحرمه بعضهم^(٣) واختلفهم استحلالهم الصيد زمن داود يعني أهل أيلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه، وهم الذين خالفوا أهل الحق في استحلال السبت ثم ذكر بباقي الآية أنه يحكم بينهم يوم القيامة. قوله:

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ قال ابن عباس دين ربك^(٤) ﴿بالحكمة﴾ يعني النبوة ﴿والموعظة الحسنة﴾ يعني مواعظ القرآن ﴿وجادلهم﴾ أقبل على المشركين، واصرفهم عما هم عليه من الشرك ﴿بآلتي هي أحسن﴾ أي ألن لهم جانبك، ولا تكن فظاً عليهم ﴿إن ربك هو أعلم﴾ إلى آخرها أي الله أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح قوله ﴿وإن عاقبتم﴾ الآية.

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ. أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الحافظ نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا بشر بن الوليد الكندي نا صالح المري نا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي وعن أبي هريرة قال: (أشرف النبي ﷺ على حمزة فرأه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم) فنزلت ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ الآية^(٥) وهذا قول عامة المفسرين^(٦)، قالوا: نزلت لما نظر النبي ﷺ إلى حمزة يوم أحد، وقد مثل به فقال والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بعد، بخواتيم سورة النحل فصبر رسول الله ﷺ، وأمسك عما أراد، وكفر عن يمينه ثم أمره بالصبر عزماً فقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على قتلى أحد فإنهم أفضلوا إلى رحمة الله، ويقال: ولا تحزن على المشركين بإعراضهم عنك^(٧) ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ قال الفراء: الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع مثل الدار

(١) انظر تفسير القرطبي ١٣٠/١٠ فتح القدير ٢٠٤/٣ مطولاً وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٤/٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عنه.

(٢) الخازن مع البغوي ١٢٣/٤.

(٣) انظر معالم التنزيل ٩٠/٣.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٣١/١٠ بلا نسبة.

(٥) ذكره المصنف في أسباب النزول ص (١٩٢) وابن كثير في التفسير ٥٣٣/٤، وعزاه للبخاري وقال هذا إسناد فيه ضعف، لأن الكلام عليه صالح هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) انظر تفسير الرازي ١١٣/٢٠، معالم التنزيل ٩١/٣، القرطبي ١٣٢/١٠، روح المعاني ٢٥٧/١٤، زاد المسير ٥٠٧/٤، فتح القدير ٢٠٥/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩١/٣، روح المعاني ٢٥٨/١٤، الرازي ١١٤/٢٠ فتح القدير ٢٠٤/٣.

والثوب^(١) والمعنى: لا يضيق صدرك من مكروهم، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد^(٢) قال الأخفش يقال: ضاق يضيق ضيقاً وضيقاً في المصدر^(٣) ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر وما حرم عليهم ﴿والذين هم محسنون﴾ في العمل وفيما افترض عليهم قال الزجاج: ومعنى أن الله معهم أي أنه ناصرهم^(٤).

(١) انظر معاني القرآن للفراء، ١١٥/٢، القرطبي ١٣٣/٢٠ عن الفراء.

(٢) النشر في القراءات العشر ٣٠٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩١/٢، القرطبي ١٣٣/٢٠.

(٣) تهذيب اللغة ٢١٧/٩ فتح القدير ٢٠٤/٣ عن الأخفش.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٢٤/٣.

سورة الإسراء

مكيّة وآياتها إحدى عشرة ومائة

أخبرنا: الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن إبراهيم الحيري أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها)^(١).

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه الذي أسرى عبده﴾ أي البراءة له والتزويه عما ينفي عنه مما لا يليق به قال ابن عباس: نزه نفسه^(٢).

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي نا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عبيد الله بن عائشة نا عبد الرحمن بن حماد عن جعفر بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت نبي الله ﷺ عن تفسير سورة سبحانه الله قال: (تنزيهه الله عز وجل عن كل سوء نزه نفسه عنه)^(٣) وقوله: ﴿أسرى بعبده﴾ قال الزجاج معناه سير عبده يعني محمداً ﷺ ليلاً^(٤) قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة^(٥) ﴿من المسجد الحرام﴾ قال الحسن وقتادة يعني نفس المسجد^(٦) وقال عامة المفسرين^(٧): أسرى

(١) تقدم.

(٢) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، تفسير الرازي ١١٦/٢٠، روح المعاني ٣/١٥ فتح القدير ٢٠٦/٣، وذكره السيوطي في الدر ١٣٦/٤ وعزاه للطيلسي.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٩٤/١٠ وعزاه للبخاري وقال عبد الرحمن بن حماد الطلحي وهو ضعيف وذكره السيوطي في الدر ١١٠/١ والقرطبي في التفسير ٣١٦/٤، ٢٠٤/١٠ وإسناده ضعيف جداً فيه عبد الرحمن الطلحي قال أبو حاتم: منكر الحديث قال ابن حبان: لا يحتج به الميزان ٥٥٧/٢. وجعفر بن سليمان، قال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه ويضعفه وقال أحمد: لا بأس به قدم صنعاء فحملوا عنه. وقال البخاري: يقال كان أمياً. وقال ابن سعد: ثقة فيه ضعف وكان يتشيع. انظر الميزان ٤٠٨/١.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٥/٣، فتح القدير ٢٠٦/٣ عن الزجاج.

(٥) انظر معالم التنزيل للبخاري ٩٢/٣، البحر المحيط ٥/٦، عن قتادة ومقاتل فتح القدير للشوكاني ٢٠٨/٣ عن عمرو بن العاص مطولاً وعن الزهري بنحوه.

(٦) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ عن قتادة تفسير الرازي ١١٧/٢٠ الطبري ٧/١٤ روح المعاني ٥/١٥ البحر المحيط ٥/٦ عن أنس فتح القدير ٢٠٦/٣.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣ البحر المحيط ٥/٦، الطبري ٧/١٤، روح المعاني ٥/١٥، عن ابن عباس تفسير الرازي ١١٧/٢٠.

برسول الله ﷺ من دار أم هانئ^(١) وأراد بالمسجد الحرام مكة ومكة الحرم: كلها مسجد^(٢) ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعني بيت المقدس وقيل له الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين قال مجاهد لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة^(٣): ﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس، والأخبار في قصة الإسراء كثيرة تقتصر منها على حديث أنس الذي أجمع الشيخان على صحته، وهو ما:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي نا عبد الرحيم بن منيب نا عثمان نا همام قال: سمعت قتادة.

وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد المنيعي نا العباس بن الوليد النرسي نا يزيد بن زريع نا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة^(٤):

أخبره: أن رسول الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال قتادة في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فَقَدْتُ، وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه قال قتادة: فقلت للجارود^(٥) وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته قال: فاستخرج قلبي، وأتيت بطُست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال: فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء قال فأتيت على آدم ﷺ، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ فقال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتحوا لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء فأتيت على عيسى ويحيى ابني الخالة، فقلت: يا جبريل من هذان؟ قال: عيسى ويحيى، فسلمت عليهما قالا:

(١) أم هانئ بنت أبي طالب الهاشمية اسمها فاختة أسلمت يوم الفتح انظر الخلاصة (٤٠٣/٣). التهذيب (٤٨١/١٢).

(٢) اختلف السلف والخلف هل كان إسراء سيدنا رسول الله ﷺ بروحه أو جسده ﷺ، فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق ورؤيا الأنبياء حق. ذهب إلى هذا معاوية وعائشة، وحكي عن الحسن وابن إسحاق، وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾. وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه، ثم أسرى بجسده وعلى هذا تدل الأخبار. وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، ولو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده. ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما قالت له أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك. انظر القرطبي ١٣٧/١٠. الخصائص الكبرى للسيوطي ٢٥٢/١ وما بعدها.

(٣) انظر معالم التنزيل ٩٢/٣، الرازي ١١٧/٢٠، بلا نسبة زاد المسير ١٥/٥ روح المعاني ١١/١٥ بلا نسبة فتح القدير ٢٠٦/٣ ينحوه بلا نسبة.

(٤) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني. روى عن النبي ﷺ حديث المعراج بطوله. انظر التهذيب ١٧/١٠.

(٥) الجارود بن أبي سيرة سالم بن سلمة الهذلي أبو نوفل البصري، ويقال الجارود بن سبرة، قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال الدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مات سنة عشرين. انظر التهذيب ٥٢/٢ - ٥٣.

مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: ففتحوا لنا وقالوا: مرحباً به ولنعم المبعيء جاء، قال: فأتيت على يوسف عليه السلام، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: ففتحوا لنا، فقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيء جاء قال: فأتيت على إدريس عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إدريس فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيء جاء فأتيت على هارون عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيء جاء فأتيت على موسى عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى، فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قال: فلما جاوزته بكى، فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي ويدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل: وقد بعث إليه قال: نعم، ففتح لنا، وقالوا: مرحباً به، ولنعم المبعيء جاء قال: فأتيت على إبراهيم عليه السلام، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا إبراهيم، أو أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبى الصالح، قال ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فحدث نبى الله عليه السلام: أن نبقتها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفيلة، قال: ورأيت أربعة أنهار يخرجون من أصلها. قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات قال وأتيت بإناءين أحدهما خمر، والآخر لبن فعرضاً علي فاخترت اللبن فقيل لي: أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة وأمرت بخمسين صلاة كل يوم أو فرضت علي خمسون صلاة في كل يوم فأقبلت حتى أتيت موسى فقال بما أمرت قلت بخمسين صلاة فقال: إني بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فرجعت إلى ربي فحط عني خمساً فأقبلت، حتى أتيت إلى موسى قال، بما أمرت؟ قلت بخمسة وأربعين صلاة كل يوم، فقال: إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال: لقد رجعت إلى ربي حتى لقد استحييت منه ولكن أرضى وأسلم، قال: فنوديت: أن قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي وجعلت كل حسنة بعشر أمثالها قال: فأنتهى حديث أنس بن مالك إلى هذا، رواه البخاري^(١) عن هذبة عن همام ورواه مسلم^(٢) عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن سعيد كلاهما عن قتادة.

(١) أخرجه البخاري ٦/٣٤٨-٣٤٩، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٢٠٧.

(٢) مسلم ١/١٤٥ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله عليه السلام (٢٥٩-١٦٢)، والترمذي ٥/٢٨٠. في التفسير (٣١٣٠).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ نا محمد بن العباس بن أيوب نا المفضل بن غسان الغلاطي نا محمد بن كثير نا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث بذلك الناس فارتد ناس ممن كان آمن به وصدق به، وفتنوا بذلك عن دينهم وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس؟ فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم فقال: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق، قالوا: تصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة [واحدة] (١) وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحه قالت: فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢) قوله:

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۚ ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۚ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۚ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرِ نَفِيرًا ۚ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤا مَا عُلُوًّا تَبِيرًا ۚ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُرْحَمَكُم ۖ وَإِن عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۚ

﴿وأتينا موسى الكتاب﴾ ذكر الله في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ بأن أسرى به ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضاً قبله فقال ﴿وأتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ دللناهم به على الهدى ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ وقرأ أبو عمرو بالياء (٣) لأن المعنى: هديناهم لئلا يتخذوا من دوني وكيلاً، ومن قرأ بالتاء فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة مثل ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿إياك نعبد﴾ (٤) قال الزجاج أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رباً (٥) قوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال مجاهد: «هذا نداء، والناس كلهم ذرية نوح، لأن من حمل مع نوح في السفينة كانوا أبناء وذريته» (٦) ثم أثنى على نوح فقال ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ قال المفسرون (٧) «كان نوح إذا أكل طعاماً أو

(١) سقط في أ، ب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٦٠/٢، كتاب معرفة الصحابة وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي والبيهقي في الدلائل ٣٦٠/٢.

(٣) قال أبو حيان: قرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة البحر المحيط (٧/٦)

انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٣/٢، القرطبي ١٤٠/١٠.

(٤) سورة الفاتحة آية ٢، ٥.

(٥) انظر زاد المسير ٦/٥.

(٦) تفسير معالم التنزيل ٩٧/٣، زاد المسير، فتح القدير ٢٠٨/٣، القرطبي ١٤٠/١٠، تفسير الرازي ١٢٣/٢٠.

(٧) انظر معالم التنزيل ٩٧/٣، روح المعاني ١٥/١٥ عن سلمان تفسير القرطبي ١٤٠/١٠ تفسير الرازي ١٢٣/٢٠، البحر المحيط

٧/٦ عن قتادة وإبراهيم انظر تفسير الرازي ١٢٥/٢٠ نقلاً عن المصنف.

لبس ثوباً حمد الله فسمي عبداً شكوراً» قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ بالمعاصي وخلاف أحكام التوراة في الأرض يعني أرض مصر ﴿مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ لتتعظمن على الطاعة، ولتبلغن ﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾ أولى المرتين ﴿بعثنا عليكم﴾ خليتنا بينكم وبينهم ﴿عباداً لنا﴾ يعني جالوت وجنوده ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي عدد وقوة في القتال ﴿فجاسوا﴾ فطافوا وترددوا ﴿خلال الديار﴾ والخلال^(١): الانفراج بين الشئين، قال الزجاج: طافوا خلال الديار [ينظرون]^(٢) هل بقي أحد لم يقتلوه؟ قال: والجوس: طلب الشيء باستقصاء^(٣) ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قال قتادة قضاء الله على القوم كما تسمعون^(٤) ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ قال ابن عباس وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان^(٥) والكرة معناها الرجعة والدولة ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ وأعطيناكم وأكثرنا أموالكم وأولادكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عدداً وأنصاراً منهم قال أبو عبيدة النفير العدد من الرجال^(٦) قوله: ﴿إن أحستهم﴾ أي قلنا لهم إن أحستهم ﴿أحستهم لأنفسكم﴾ قال ابن عباس إن أطمعتم الله، عفا عنك المساويء^(٧) ﴿وإن أسأتم﴾ بالفساد وعصيان الأنبياء ﴿فلها﴾ قال يريد فعلى أنفسكم يقع الوبال^(٨) ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد المرة الآخرة من إفسادكم قال المفسرون: فأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام فبعث الله عليهم بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلقه إليه، فسبى، وقتل وخرّب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب^(٩) وجواب ﴿فإذا﴾ محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ يقال ساءه يسوؤه أي أحرزته، والمعنى ليدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبيكم وتخريب بلادكم وعديت

(١) الخلال جمع الخلل والخلل: منفرج ما بين كل شيئين الصحاح ٤/١٦٨٦. انظر لسان العرب ٢/١٢٤٩ ترتيب القاموس ٢/١٠٠.

(٢) سقط في أ، ب.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٧، فتح القدير ٣/٢٠٩ عن الزجاج.

(٤) انظر زاد المسير ٥/١٠.

(٥) انظر زاد المسير ٥/١٠، روح المعاني ١٥/١٨ بلا نسبة فتح القدير ٣/٢١١.

(٦) تهذيب اللغة ١٥/٢٠٩.

(٧) زاد المسير ٥/١٠، البحر المحيط ٦/١٠ بلا نسبة.

(٨) انظر زاد المسير ٥/١٠.

(٩) ذكر الرازي في تفسيره هذا الكلام نقلًا عن الواحدي ثم قال: التواريخ تشهد بأن بختنصر، كان قبل وقت عيسى عليه الصلاة والسلام ويحى وزكريا عليهما الصلاة والسلام بسنتين متطاوله، ومعلوم أن الملك الذي انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له: قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم. قال القرطبي: اختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة فقيل بختنصر. وقال القشيري أبو نصر: لم يذكر غيره وقال السهيلي: وهذا لا يصح لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى ابن مريم عليهما السلام بزمان طويل وقبل الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحو ثلاثمائة سنة، ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعيباً فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرّب بيت المقدس واتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها، وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، فغلط عند أهل السير والأخبار لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيباً وفي عهد أرمياء. قالوا: ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كوسك سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة وثلاثاً وستين سنة.

انظر القرطبي (١٠/١٤٤ - ١٤٥).

وانظر تفسير الرازي ٢٠/١٢٧ والبحر المحيط ٦/١٠ ومعالم التنزيل ٣/١٠٦ وفتح القدير ٣/٢١٠.

المساءة إلى الوجوه، والمراد بها أصحابها، لما يبدوا فيها من أثر الحزن والكآبة، وقرأ حمزة ليسوء على واحد أي ليسوء الله أو ليسوء البعث وجوهكم، وقرأ الكسائي بالنون^(١) كقوله بعثنا وأمددنا، وقوله: ﴿وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ يقال تبره أي أهلكه، قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتنته فقد تبرته^(٢) والمعنى ليدمروا ويخربوا ما علوا عليه قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ هذا ما أخبر الله به بني إسرائيل في كتابهم والمعنى: لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم قال ﴿وإن عدتم عدنا﴾ قال الحسن: وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة^(٣) قال إبراهيم ثم عادوا فأعاد الله بالعرب^(٤) ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عباس وغيره: سجنًا ومحبسًا^(٥) وقال مجاهد: يحصرون فيها^(٦) وهذا ابتداء إنذار عن الله في عقاب جميع الكافرين.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١١

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي يرشد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات أي أعدلها وأصوبها هي كلمة التوحيد. قال الزجاج يهدي للحال التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، والعمل بطاعته^(٧) ﴿ويبشر المؤمنين﴾ بالجنة وهو قوله: ﴿أن لهم أجرًا كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي يبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين فعجل الله لهم البشري في الدنيا بعقاب الكافرين، وهو قوله ﴿أعدنا لهم عذاباً أليماً﴾ قوله:

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝١٢

﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ هو أن الإنسان ربما يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له، كما يدعو لنفسه بالخير ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء بالخير.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلاً ۝١٣ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيقَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٤ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٥

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ علامتين تدلان على قدرة خالقهما ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد، يروي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله عز وجل

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٣. البحر المحيط ٦/١١ القرطبي ١٠/١٤٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٨.

(٣) انظر معالم التنزيل ٣/١٠٧، زاد المسير ٥/١٢، روح المعاني ١٥/٢١ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/٤٧، زاد المسير ٥/١٢ كلاهما عن قتادة فتح القدير ٣/٢٠ عن أهل السير.

(٥) انظر روح المعاني ١٥/٢١، فتح القدير ٣/٢١١، زاد المسير ٥/١٢ معالم التنزيل ٣/١٠٧، بلا نسبة القرطبي ١٠/١٤٧ بلا نسبة.

(٦) زاد المسير ٥/١٢.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٢٩، فتح القدير ٣/٢١٠.

جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء^(١) ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة يبصر فيها ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يتبين العدد ﴿وكل شيء﴾ مما يحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيناه تبييناً لا يلتبس معه بغيره قوله ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال مجاهد عمله من خير وشر^(٢) قال السدي: ما كتب له من خير وشر^(٣)، وقال الحسن وقتادة: سعادته وشقاوته بعمله^(٤)، وقال مجاهد في رواية الحكم: مكتوب في ورقة معلقة في عنقه شقي أم سعيد^(٥)، ومعنى الطائر ما طار له من خير أو شر أي صار له عند قسمته^(٦) من قولهم أمرت المال وطيرته من القوم فطار له سهمه، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾^(٧) قال الأزهري^(٨) والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علم منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من علمه عاصياً، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي ما طار له في علم الله بدءاً، وفي عنقه عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس.

وقد روي في هذه الآية حديث مشروح وهو ما أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد الحافظ أنا محمد بن الصباح، نا عبد الله بن عمر نا محمد بن معلى نا عمرو بن صبح عن مقاتل بن حيان عن أبي الزبير عن أبي الطفيل سمعت حذيفة بن أسيد^(٩) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن النطفة التي تخلق منها النسمة، تصير في المرأة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ولا يبقى منها شعر ولا بشر^(١٠) ولا عرق ولا عصب إلا دخلت فيه، حتى إنها لتدخل بين الظفر واللحم، فإذا مضى لها أربعون يوماً، وأربعون ليلة، أهبطها الله إلى الرحم، فكانت علقة أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم تكون مضغة أربعين يوماً وأربعين ليلة فإذا تمت لها أربعون، بعث الله إليها ملك الأرحام، فيخلق على يده لحمها ودمها وشعرها وبشرها ثم يقول صور فيقول: يا رب ما

(١) انظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠، الخازن مع البغوي ١٥١/٤ زاد المسير ١٤/٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٦/٤ بسند واه عن ابن عباس مرفوعاً وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر زاد المسير ٥/٥، تفسير القرطبي ١٥٠/١٠، روح المعاني ٣١/١٥، عنه وعن ابن عباس معالم التنزيل ١٠٨/٣، فتح القدير ٢١٥/٣ كلاهما عن ابن عباس وتفسير الرازي ١٣٤/٢٠ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر ١٦٧/٤ وعزاه للبيهقي في الشعب.

(٣) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٤) انظر زاد المسير ١٥/٥.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المثلث ١٦٧/٤، وعزاه لأبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر تفسير الطبري ٥١/١٤، معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٢/١٥.

(٦) انظر لسان العرب ٢٧٣٦/٤ ترتيب القاموس ١١٦/٣.

(٧) سورة الأعراف ١٣١.

(٨) تهذيب اللغة ١١/١٤.

(٩) حُدَيْفَةُ بن أُسَيْد بن خالد أبو سرحة الغفاري. بايع تحت الشجرة ونزل الكوفة وتوفي بها وصل عليه زيد بن أرقم وكبر عليه أربعاً. انظر أسد الغابة (٤٦٦/١).

(١٠) والبشر جمع بشرة والبشرة: أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان انظر لسان العرب ٢٨٦/١ تاج العروس ٤٤/٣ الصحاح

أصور؟ أذكر أم أنثى؟ أجمل أم دميم؟ أجعد^(١) أم سبط؟ أقصير أم طويل؟ أبيض أم آدم؟ زائد أم ناقص؟ أسوي أم غير سوي؟ فيكتب من ذلك ما يأمره الله به، ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فإن كان سعيداً نفخ فيه بالسعادة في آخر أجله، وإن كان شقيماً نفخ فيه بالشقاوة في آخر أجله ثم يقول: اكتب أثرها ورزقها ومصيبتها وعملها بالطاعة والمعصية فسيكتب من ذلك ما يأمر الله به ثم يقول الملك: يا رب، ما أصنع بهذا الكتاب؟ فيقول: علقه في عنقه إلى قضائي عليه^(٢) فذلك قوله عز وجل ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة﴾ الآية وإلى هذا ذهب مجاهد كما ذكرنا عنه فإذا كان يوم القيامة أظهر له ذلك الكتاب فهو قوله ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة و لكل بك ملكان، فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك، فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة^(٣)، وهو قوله: ﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ كقوله ﴿وإذا الصحف نشرت﴾^(٤) وقرأ ابن عامر يلقاه^(٥) من قولهم: لقيت فلاناً، أي استقبلته به قال الله تعالى ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾^(٦) قوله ﴿اقرأ كتابك﴾ أي يقال له: اقرأ والقول ههنا مضمراً قال الحسن يقرؤه أُمياً كان أو غير أُمي^(٧) وقال قتادة سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً^(٨) ﴿كفى بنفسك عليك حسياً﴾ الحسيب المحاسب كالشريك والجلس قال الحسن: عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك^(٩) والمعنى أن الإنسان يفوض إليه حسابه ليعلم عدل الله بين العباد ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ثم إن كان مؤمناً دخل الجنة بفضل الله لا بعمله وإن كان كافراً استوجب النار بكفره قوله:

مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً ۗ وَزَرَّ اٰخَرٰى ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُوْلًا ۗ ۝۱٥ ۚ وَاِذَا اَرَدْنَا اَنْ نُّهْلِكَ قَرْبَةً اَمْرًا مَّتْرَفِيْهَا فَنَفْسُوْا فِيْهَا فَحَقّٰى عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيْرًا ۗ ۝۱٦ ۚ وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُوْنِ مِنْۢ بَعْدِ نُوْحٍ ۗ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوْبِ عِبَادِهِۦ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ۗ ۝۱٧

﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي ثواب اهتدائه لنفسه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ على نفسه عقوبة ضلاله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال ابن عباس إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني، وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(١٠) قال الزجاج أي أن الآثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره^(١١) ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ قال قتادة: إن الله ليس معذباً أحداً حتى يبين له

(١) الجعد: الذي فيه التواء من الشعر. انظر لسان العرب ٦٣١/١، ترتيب القاموس ٤٩٨/١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٤ وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر روح المعاني ٣٢/١٥، وذكره السيوطي في الدر ١٦٨/٤ وعزاه لابن جرير.

(٤) سورة التكويد ١٠.

(٥) انظر النشر ٣٠٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٤/٢ القرطبي ١٥٠/١٠، البحر المحيط ١٥/٦.

(٦) سورة الإنسان ١١.

(٧) انظر القرطبي ١٥٠/١٠ - ١٥١، تفسير الرازي ١٣٥/٢٠، الطبري ٥٣/١٥ زاد المسير ١٦/٥.

(٨) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، فتح القدير ٢١٥/٣. الطبري ٥٣/١٥. وذكره السيوطي في الدر المنثور

١٦٨/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٩) انظر معالم التنزيل ١٠٨/٣، روح المعاني ٣٣/١٥، الرازي ١٣٥/٢٠.

(١٠) انظر روح المعاني ٣٥/١٥ القرطبي ١٥١/١٠.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣١/٣ تفسير الرازي ١٣٧/٢، فتح القدير ٢١٣/٣ كلاهما عن الزجاج.

ما به يعذب^(١) وهذه الآية تدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل، ولا يجب شيء على أحد قبل بعث الرسول ﷺ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا﴾ قال مجاهد أكثرنا فساقتها وهو قول عكرمة، وسعيد بن جبير^(٢) يقال: أمر القوم إذا أكثروا، وأمرهم الله أي كثرهم^(٣).

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير أمرنا بالمد^(٤)، وهي اللغة العالية يقال أمر القوم وأمرهم الله أي أكثرهم ونحو هذا روى خارجة عن نافع، والمترف المنعم الذي قد أبطرتة النعمة وسعة العيش والمفسرون يقولون في تفسير المترفين الجبارين والمتسلطين والملوك^(٥) وقوله: ﴿ففسقوا فيها﴾ أي تمردوا في كفرهم إذ فسق في الكفر الخروج إلى أفحشه ﴿فحق عليها﴾ قال ابن عباس: استوجبت العذاب^(٦) يعني قوله ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها إهلاك الاستئصال ثم ذكر سته في إهلاك القرون الماضية، تخويفاً لكفار مكة، فقال ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ الآية قوله:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءَ
وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ
أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ يعني الدنيا عجلت فكانت قبل الآخرة ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ أي القدر الذي نشاء نعجل له في الدنيا، لا الذي يشاء هو، ﴿لمن نريد﴾ أن نعجل له^(٧) شيئاً قدرناه، وهذا ذم لمن أراد بعمله وطاعته وإسلامه الدنيا ومنفعتها وعروضها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له إن قدر [﴿ثم جعلنا له جهنم يصلها﴾]^(٨) ثم يدخل النار في الآخرة: لأنه لم يرد الله تعالى بعمله ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مباحداً من رحمة الله ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ عمل بفرائض الله ﴿وهو مؤمن﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من مصدق ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ يضعف لهم الحسنات ويمحو عنهم السيئات ويرفع لهم الدرجات ﴿كللاً نمد﴾ قال الحسن: كللاً نعطي من الدنيا البر والفاجر^(٩) وقال الزجاج أعلم

(١) انظر تفسير الطبري ٥٤/١٥.

(٢) انظر تفسير مجاهد ٣٥٩/١ تفسير الطبري ٥٦/١٥، فتح القدير ٣/٢١٤ بلا نسبة وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٦٩ عن عكرمة وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر تفسير الرازي ١٤٠/٢٠ نقلاً عن المصنف.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦. إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٥. القرطبي ١٠/١٥٢.

(٥) انظر الطبري ٥٦/١٥، الدر المنثور ٤/١٦٩ - ١٧٠، روح المعاني ٤٣/١٥ معالم التنزيل ٣/١٠٩.

(٦) انظر القرطبي ١٠/١٥٣، الرازي ١٤٠/٢٠ بلا نسبة معالم التنزيل ٣/١٠٩ بلا نسبة.

(٧) في ب (أن نجعل).

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦٠/١٥.

الله أنه يعطي المسلم والكافر وأنه يرزقهما جميعاً^(١) ثم فصل الفريقين فقال: ﴿هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ممنوعاً يقال: حظره يحظره حظراً، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ يعني في الرزق فمن مقل ومن مكثر وموسع عليه ومقتر عليه هذا في الدنيا ﴿وللاخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً﴾ من الدنيا قال ابن عباس إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم^(٢) وقال قتادة: للمؤمنين في الجنة منازل ولهم فضائل بأعمالهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري أنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون نا شريك عن محمد بن جحادة عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام»^(٣).

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أفي وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ لا تعبد معه غيره، ولا تتخذ دونه إلهاً والخطاب للنبي ﷺ والمعنى عام لجميع المكلفين على نحو ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾^(٤) ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ لا ناصر لك. قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ قال ابن عباس يريد وأمر ربك ليس هو قضاء حكم وهو قول مجاهد والحسن وقاتدة^(٥) وعامة المفسرين^(٦) قال الفراء العرب تقول: تركته يقضي أمور الناس^(٧) أي يأمر فيها فينفذ^(٨) أمره قال الزجاج وقضى ربك معناه أمر لأنه أمر قاطع حتم^(٩) قوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي أمر أن تحسنوا بالوالدين.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن محمد الأصفهاني نا عبد الله بن محمد بن جعفر الأصفهاني نا أبو عمرو القباب نا

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٣/٣، فتح القدير ٢١٧/٣ عن الزجاج.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦١/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٠/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٣) في إسناده المصنف أحمد بن عبد الرحمن السقطي، وقد تقدم الكلام عليه والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٤١٩/١٠، كتاب

صفة الجنة باب في درجات الجنة ونسبه للطبراني في الأوسط، وقال فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف.

(٤) سورة الطلاق آية (١).

(٥) انظر معالم التنزيل ٢١٠/٣، البحر المحيط ٢٥/٦، تفسير القرطبي ١٥٥/١٠، عن ابن عباس وقاتدة والحسن، روح المعاني

٥٤/١٥ بلا نسبة فتح القدير ٢١٨/٣ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ١٧١/٤ وعزاه لابن جرير

٦٢/١٥، وابن المنذر وانظر تنوير المقباس ١٣٤/٣.

(٦) المصادر السابقة.

(٧) في أ (الدنيا).

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٠/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٣/٣.

الفضل بن دكين^(١) نا أبو معاوية النخعي نا أبو عمرو الشيباني حدثني صاحب هذه الدار يعني عبد الله بن مسعود قال: سئل النبي ﷺ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لميقاتها، قيل ثم أي؟ قال: بر الوالدين ولو استزدته لزدني)^(٢).

أخبرنا: أبو نصر المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن بطة أنا البغوي نا أحمد بن عيسى المصري نا عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن زيان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (من بر والديه طوبى له وزاد الله في عمره)^(٣).

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة^(٤) نا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن سليمان عن أسيد بن علي بن عبيد مولى بني ساعدة عن أبيه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتها؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما^(٥).

وقوله ﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ يعني الكبر في السن إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا وقرأ حمزة ﴿يلغان﴾^(٦) قال الفراء: ثنى لأن الوالدين قد ذكرا قبله فصار الفعل على عددهما^(٧) ثم قال: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ على الاستئناف ﴿فلا تقل لهما أف﴾ قال ابن عباس يريد بالأف الرديء من الكلام، أن تقول لهما: أمانكما الله أراحي

(١) الفضل بن دكين وهو لقب، واسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي مولى آل طلحة أبو نعيم الملائي الكوفي الأحول. قال يعقوب بن شيبة: أبو نعيم ثقة ثبت صدوق. وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت ابن معين يقول ما رأيت أثبت من رجلين أبي نعيم وعفان، قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: ما رأيت محدثاً صدق من أبي نعيم، وقال أبو حاتم سألت علي بن المديني من أوثق أصحاب الثوري، قال: يحيى وعبد الرحمن ووكيع وأبو نعيم، وأبو نعيم من الثقات، وقال ابن عمار أبو نعيم متقن حافظ، إذا روى عن الثقات فحديثه أرجح ما يكون. التهذيب (٢٧٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري ٥/٦ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير ٢٧٨٢. ومسلم ٨٩/١ كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله أفضل ١٣٧ - ٨٥. وأحمد في المسند ٤١٨/١، والبيهقي في السنن ٢/٢١٥، والطبراني في الكبير ٢٤/١٠، وأبو نعيم في الحلية ٧/٢٦٦، والخطيب في التاريخ ٤٠١/٢.

(٣) في إسناده المصنف أحمد بن عيسى المصري، روى عن عمرو بن أبي سلمة وعبد الله بن يوسف التنيسي وغيرهما. وعنه الحسين بن إسحاق وابن خزيمة في صحيحه، وأحمد بن رشدين وجماعة. قال ابن عدي: له مناكير، وقال الدارقطني: ليس بالقوي وكذبه ابن طاهر. انظر التهذيب (٦٥/١ - ٦٦)، انظر الكامل لابن عدي ١/١٩١ (٣١ - ٣١) لسان الميزان ١/٢٠٤ الجرح والتعديل ٢/٦٤، وفيه زبآن بن فائد، قال أحمد: أحاديثه مناكير انظر الضعفاء للعقيلي (٩٦/٢). الميزان (٦٥/٢). أخرجه الحاكم ٤/١٥٤ كتاب البر والصلة، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الهيثمي في المجمع ٨/١٣٦، وعزاه لأبي يعلى والطبراني، وقال فيه زبآن بن فائد، وثقه أبو حاتم وضعفه غيره، وبقية رجال أبي يعلى ثقات. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٢، وابن حجر في المطالب ٢٥٢٠، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/٦٣.

(٤) هو الإمام الحافظ الكبير المفسر أبو الحسن عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُواسِتي العسبي مولاهم الكوفي، صاحب التصانيف وأخو الحافظ أبي بكر. ولد بَعِيدَ الستين ومائة سئل عنه أحمد بن حنبل فأثنى عليه وقال: ما علمت إلا خيراً. وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون. مات عثمان في ثالث المحرم سنة تسع وثلاثين ومئتين. انظر السير (١٥١/١١).

(٥) أخرجه أبو داود ٤/٣٣٦، كتاب الأدب باب بر الوالدين، وابن ماجه (١٢٠٨/٢) كتاب الأدب باب صل من كان أبوك يصل (٣٦٦٤) (٥١٤٢)، والحاكم في المستدرک ٤/١٥٤، كتاب السير وصححه وأقره الذهبي.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٩٦ البحر المحيط ٦/٢٦.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٠.

الله منكما، وقال مجاهد يبلغان أن يخريا أو يبولا فلا تقل لهما أف، ولا تأذيهما كما لم يكونا يتأذيان به منك^(١).

وقال ابن قتيبة: لا تستقل شيئاً من أمرهما الناس يقولون لما يكرهون ويستقلون أف له أخبرنا: أحمد بن الحسن القاضي أنا حاجب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب نا جرير أنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة) رواه مسلم^(٢)، عن زهير بن حرب، عن جرير وقوله ﴿وَلَا تَنْهَرْمَا﴾ يقال: نهره وانتهره، إذا استقبله بكلام يزرجه، قال ابن عباس: يريد الجواب بالغلظة^(٣) وقال الزجاج لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما^(٤) ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ لينا لطيفاً أحسن ما تجد من القول ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ ألن لهما جانبك متذلاً لهما من رحمتك إياهما، وشفقتك عليهما^(٥) وخفض الجناح من السكون وترك التعصب والإباء عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أي مثل رحمتها إياي في صغري حتى ربياني وقال قتادة هكذا علمتم، وبهذا أمرتم، فخذوا بتعليم الله وأدبه ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي بما تضمرون من البر والعقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضم عقوقاً، غفر الله له ذلك، وهو قوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين لله تعالى ﴿فإنه كان للأوابين﴾ الراجعين عن المعاصي، النادمين على الزلات ﴿غفوراً﴾ يغفر لهم ما بدر منهم ثم حض على صلة القرابة وبر الأقارب فقال:

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿٢٧﴾ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾ وَإِمَامًا تَعْرِضَنَّهُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال الحسن هو أن تؤتيهم وإن كان يسيراً^(٦) ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ قال ابن مسعود التبذير النفقة في غير حق^(٧) قال عثمان بن الأسود^(٨) كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة فرجع رأسه إلى أبي قبيس: فقال لو

(١) انظر تفسير القرطبي ١٥٩/١٠، تفسير الرازي ١٥١/٥، البحر ٢٧/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧١/٤ وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٧٨/٤، كتاب البر باب رَغِمَ أَنْفٌ مِنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ ٩ - ٢٥٥١ - ٢٥٥١، والترمذي ٣٥٤٥، وأحمد في المسند ٢٤٦/٢، والبخاري في الأدب المفرد (٢١ - ٦٤٦). قال أهل اللغة معناه ذل، وقيل: كره وخزي هو بفتح الغين وكسرهما وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرهما وأصله لصق أنفه بالرغام هو تراب مختلط برمّل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذي، وفيه الحث على بر الوالدين، وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة، وأرغم الله أنفه. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) تفسير القرطبي ١٥٩/١٠ بلا نسبة، معالم التنزيل ١١٠/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٤/٣، فتح القدير ٢١٨/٤ عن الزجاج.

(٥) في ب (من شفقتك أيهما).

(٦) انظر تفسير الطبري ٧٢/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٦/٤ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) انظر تفسير أبي السعود ٣٩٢/٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٤، وعزاه للفرابي وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان. هذا وقد اختلف في ذلك الحق ما هو؟ فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه لا يجب الإنفاق إلا على الولد والوالدين، وقال قوم: يجب الإنفاق على المحارم بقدر الحاجة، واتفقوا على أن من لم يكن من المحارم كبناء العم فلا حق لهم إلا المادة والزياره، وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء انظر تفسير الرازي (٢٠ / ١٥٤ - ١٥٥).

(٨) عثمان بن الأسود بن موسى بن باذان المكي قال ابن المديني: سألت يحيى - يعني - القطان عنه فقال: كان ثقة ثباتاً. وقال أحمد =

أن رجلاً انفق مثل هذا في طاعة الله، لم يكن من الميسرين، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان من الميسرين ﴿إن المبذرين﴾ المنفقين في غير طاعة الله ﴿كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، وهو كل من أجاب الشيطان إلى ما سؤل له، فهو من إخوان الشياطين ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ قال ابن عباس جاحداً لأنعمه^(١) وهذا يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه فيما أنعم عليه قوله ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوي القربى والمساكين وابن السبيل ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ انتظار رزق يأتيك من الله والمعنى أن تعرض عن السائل إضاعة وإعساراً ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عدهم عدة حسنة قاله الفراء ومجاهد والكلبي^(٢) وقال ابن زيد: قولاً جميلاً، رزقك الله بارك الله فيك^(٣).

ويروى أن رسول الله ﷺ (كان إذا سئل، وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي الله به ويكره الرد، فلما نزلت هذه الآية، كان إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله)^(٤) ومعنى الميسور اللين والسهل. قوله:

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ ۲۹ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ ۳۰ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۚ ۳۱ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ ۳۲ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ۚ ۳۳

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ الآية.

روى أبو الأحفص عن عبد الله بن مسعود قال: جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا فقال (ما عندنا اليوم شيء قال: فيقول لك اكسني قميصاً، قال: فخلع قميصه ودفعه إليه وجلس في البيت) فأنزل الله هذه الآية^(٥).

والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضه إلى عنقك لا تبسط الخير ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ قال ابن عباس أي في النفقة والعطية كأنه نهى عن بذل جميع ما عنده حتى لا يبقى له شيء^(٦) وقال مجاهد:

= وابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به ثقة، قال الميموني عن أحمد مات قبل ابن جريج، وقال الواقدي وغير واحد: مات سنة خمسين ومائة. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: ثقة، التهذيب (١٠٧/٧).

(١) انظر تنوير المقباس ١٣٥/٣، معالم التنزيل ١١٢/٣ بلا نسبة.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٢/٢، تفسير الطبري ٧٥/١٥ معالم التنزيل ١١٢/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٦٣/١٠ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧٥/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن حجر في الكافي الشاف ٩٩ ونسبه لابن حبان والحاكم عن أنس وإسناده ضعيف. وقال: وفي الطبراني في الأوسط عن

علي رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، ولم يقل قط لشيء

لا.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في المصدر السابق لم أجده، وهو عند الواحدي في أسباب النزول (٢٩٤).

(٦) أسباب النزول للواحدي ٢٩٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٤ وعزاه لابن جرير الطبري.

يعني التبذير والإنفاق فيما لا يصلح وقوله ﴿فتفقد ملوماً﴾ قال السدي تلوم نفسك وتلام محسوراً^(١) قال ابن عباس: ليس عندك شيء^(٢) يقال: حسرت الرجل بالمسألة أحسره إذا أفنيت جميع ما عنده ﴿إن ربك ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ حيث أجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم، قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ مفسر في سورة الأنعام إلى قوله: ﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ أي إثماً كبيراً، يقال: خطيء يخطأ خطأ أي أثم وقرأ ابن عامر (خطأ) بالفتح^(٣) وهو اسم من أخطأ، وقد جاء أخطأ بمعنى خطيء أي أثم وإذا كان كذلك كان خطئاً بمعنى خطأ وقرأ ابن كثير (خطاء) بكسر الخاء ممدوداً^(٤)، وهو بعيد لا وجه له قوله ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ الآية.

سمعت الأستاذ أبا عثمان الحيري^(٥) سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن يعقوب سمعت أبا عمر وعثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا^(٦) سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء، وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار^(٧).

قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ قال المفسرون^(٨) حقها الذي تقتل به كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس مؤمنة بتعمد^(٩) ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ يعني بغير إحدى هذه الخصال ﴿فقد جعلنا لوليهِ﴾ يعني لوارثه الذي له المطالبة بدمه ﴿سلطاناً﴾ قال مجاهد سلطانه حجته التي جعلت له أن يقتل قاتله^(١٠) وقال الضحاك هو أنه

(١) انظر تفسير الطبري ٧٧/١٥.

(٢) انظر زاد المسير ٥٣٠/٥، ذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه عن ابن عباس ١٧٨/٤ وعزاه لابن المنذر وانظر تنوير المقباس ١٣٧/٣.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٧/٢، البحر المحيط ٣٢/٦، تفسير القرطبي ١٦٤/١٠.

(٤) قال أبو حيان: قرأ ابن كثير بكسرهما وفتح الطاء والمد، وهي قراءة طلحة وشبل والأعمش عنهما ويحيى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن والأعرج بخلاف عنهما، وقال النحاس: لا أعرف لهذه القراءة وجهاً، ولذلك جعلها أبو حاتم غلطاً، وقال الفارسي: هي مصدر من خاطأ يخاطيء، وإن كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ، وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه. قال الألوسي وخرج على وجهين. انظر البحر المحيط (٣٢/٦) انظر روح المعاني ٦٧/١٥.

(٥) سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصديفي. مولده سنة ثلاثين ومئتين بالري. قال ابن نجيد: سمعته يقول: لا تتفن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً. قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومئتين وصلى عليه الأمير أبو صالح. انظر السير (٦٣/١٤).

(٦) عثمان بن الخطاب أبو عمرو البلوي المغربي أبو الدنيا الأثج ويقال ابن أبي الدنيا طير طراً على أهل بغداد، وحدث بقله حياة بعد الثلثمائة عن علي بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذبه النقاد روى عنه المفيد وغيره. ومات سنة سبع وعشرين وثلثمائة.

(٧) ذكره الحافظ في الكافي الشاف، وقال: أخرجه البيهقي في الشعب في السابع والثلاثين وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي وائل عن حذيفة بلفظ (يا معشر الناس) وفي آخره ثم تلا: ﴿إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾. انظر الكشاف (٢١١/٣).

(٨) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣، الطبري ٨٠/١٥، تفسير القرطبي ١٦٥/١٠ - ١٦٦ روح المعاني ٦٩/١٥، ابن كثير ٧٠/٥، الرازي ١٦٠/٢٠.

(٩) هذا مأخوذ من قوله ﷺ لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٩ كتاب الديات باب قوله تعالى: ﴿إن النفس بالنفس﴾ ومسلم ١٣٠٢/٣ كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم.

(١٠) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣.

إن شاء قتل وإن شاء عفا وإن شاء أخذ الدية^(١) ﴿فلا يسرف﴾ الولي ﴿في القتل﴾ قال ابن عباس هو أن يقتل غير القتال^(٢) وقال مجاهد هو أن يقتل بالواحد الاثنین والثلاثة^(٣) والمعنى فلا يسرف الولي في القتل أي لا يتجاوز ما حد له إنه الولي ﴿كان منصوراً﴾ بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه، وقرأ حمزة (فلا تسرف) بالياء، على مخاطبة الولي^(٤)، وقوله:

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۚ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ بِالنِّسَابِ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۚ

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ مفسر في سورة الأنعام، قوله ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال الزجاج: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد^(٥) ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ عنه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلمتم﴾ أتموه ولا تبخسوا منه شيئاً ﴿وزنوا بالقسط المستقيم﴾ قال ابن عباس والحسن^(٦): هو القبان^(٧) وقال هو بالرومية^(٨) وقال الزجاج هو ميزان العدل^(٩) أي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها، وفيه لغتان: ضم القاف وكسرها ﴿ذلك خير﴾ قال عطاء أقرب إلى الله وقال قتادة خير ثواباً^(١٠) ﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة في الجزاء.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۚ وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۚ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۚ

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ يقال قفا يقفوا قفوا إذا اتبع الأثر، قال الكلبي لا تقف ما ليس لك به علم^(١١) وقال قتادة لا تقف سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم^(١٢) والمعنى لا تقولن في شيء مما لا تعلم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ قال الوالبي عن ابن عباس:

(١) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣ تفسير ابن كثير ٧٠/٥ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ١١٣/٣ تفسير القرطبي ١٦٦/١٠ عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبیر ومجاهد ذكره السيوطي في الدر

المنثور (١٨١/٤) عن مجاهد وعزاه لابن أبي حاتم، انظر فتح القدير ٢٢٥/١ بلا نسبة.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨١/٤ عن سعيد بن جبیر وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

انظر البحر المحيط ٣٣/٦.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٩٧/٢.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٨/٣.

(٦) انظر معالم التنزيل ١١٤/٣، البحر المحيط ٣٤/٦ كلاهما عن الحسن، روح المعاني ٧٢/١٥ عن الضحاك وذكره السيوطي في

الدر المنثور ١٨٢/٤ عن الضحاك وعزاه لابن المنذر.

(٧) القبان: هو الذي يوزن به. انظر لسان العرب ٣٥٢٣/٥. الصحاح ٢١٧٩/٦، ترتيب القاموس ٥٥٦/٣.

(٨) انظر معالم التنزيل ١١٤/٣ عن مجاهد، روح المعاني ٧٢/١٥، فتح القدير ٢٢٦/٣ بلا نسبة، تفسير مجاهد ٣٦٢/١.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣٨/٣، تفسير القرطبي ١٦٧/١٠، فتح القدير ٢٢٦/٣ كلاهما عن الزجاج.

(١٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤، عزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤ عن ابن عباس وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٨٦/١٥ القرطبي ١٦٧/١٠، معالم التنزيل ١١٤/٣، روح المعاني ٧٣/١٥، تفسير الرازي ١٦٦/٢٠،

وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٤، وزاد نسبه لابن المنذر.

يسأل الله العباد فيم استعملوها^(١) في هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز قوله ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ المرح شدة الفرح قال ابن عباس يريد بالكبرياء والعظمة^(٢) وقال الزجاج ولا تمش في الأرض مختلاً فخوراً ﴿إنك لن تحرق الأرض﴾ الحرق الشق يقال حرق ثوبه إذا شقه قال ابن عباس لن تحرق الأرض بكبرك ومشيك عليها ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بعظمتك وإنما أنت مخلوق عبد ذليل والمعنى: أنك لا تقدر أن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطول الجبال فلا تستحق الكبر والبذخ ﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه ﴿كان سيئه﴾ قرىء بالاضافة والتنوين^(٣) قال الزجاج والإضافة أحسن لأن فيما تقدم من الآيات شيئاً وحسناً، سيئه هو المكروه ويقوى ذلك التذكير في المكروه^(٤) ومن قرأ بالتنوين جعل كلا إحاطة بالمنهي عنه دون الحسن المعنى: كل ما نهى الله عنه كان سيئه فكان مكروهاً والمكروه على هذه القراءة بدل من السيئة، وليس بنعت قوله:

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ٣٩

﴿ذلك مما أوحى إليك ربك﴾ يعني ما تقدم ذكره من الفرائض والسنن ﴿من الحكمة﴾ من القرآن ومواعظه ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين كأنه قال: ولا تجعل أيها الإنسان، ثم خاطب المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله منكرأ عليهم فقال:

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ٤٠ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤١ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْنَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ٤٢ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ يقال: أصفاه بالشيء إذا أثره به قال أبو عبيدة أفصفاكم خصكم^(٥) وقال المفضل أخلصكم وهذا توبيخ للكفار يقال اختار لكم ربكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينه وبينكم فاختصكم بالأجل وجعل لنفسه الأدون؟ ﴿إنكم لتقولون﴾ بهذا الزعم الباطل ﴿قولا عظيماً﴾ يعظم خطؤه وإثمه قوله ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، مما يوجب الاعتبار به، ومعنى التصريف وهنا التبيين لأنه إنما يصرف القول لبيان، وقوله: ﴿ليذكروا﴾ ليتعظوا ويتدبروه بعقولهم، ويتفكروا فيه، وقراءة حمزة بالتخفيف^(٦) بهذا المعنى كقوله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾^(٧) وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ قال ابن عباس ينفرون من الحق ويتعبون الباطل^(٨)

(١) انظر الدر المشثور ١٨٢/٤ بنحوه.

(٢) انظر معالم التنزيل ١١٤/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٦٩/١٠ بلا نسبة.

(٣) انظر النشر ٣٠٧/٢ الإتحاف ١٩٧/٢ تفسير القرطبي ١٠٧/١٠.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٠/٣.

(٥) انظر مجاز القرآن ٣٨٠/١.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٨/٢.

(٧) سورة البقرة ٦٣.

(٨) انظر تنوير المقباس ١٤١/٣.

والمعنى: وما يزيدهم تصريف الآيات إلا نفوراً، كقوله ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾^(١) وذلك أنهم اعتقدوا أن القرآن شبه^(٢) وحيل فنفروا منها أشد النفور، قوله ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وقرأ ابن كثير بالياء^(٣) على معنى كما يقول المشركون من إثبات الآلهة ﴿إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ إذا لا بتغت الآلهة أن تنزيل ملك صاحب العرش والمعنى لا بتغوا سبيلاً إلى ممانعته ومضادته وهذا قول الحسن والكلبي وسعيد بن جبير^(٤) ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى﴾ الآية ثم ذكر أن كل ما خلق الله مسبح له فقال ﴿تسبح له السموات السبع﴾ [الآية]^(٥) المراد بالتسبيح ههنا الدلالة على أن الله عز وجل خالق حكيم مبرأ من الأسوأ، والمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله خالقها كما قال ابن عباس في قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي يخشع ويخضع^(٦) قوله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ مخاطبة للكفار لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون، قوله:

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ٤٦ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ٤٧ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٤٨ وَقَالُوا آءَ ذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا آءَ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٤٩ ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَنْغَضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ٥٢ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ

(١) سورة فاطر آية ٤٢ .

(٢) في ب (سفه).

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٩٨/٢، تفسير القرطبي ١٧٢/١٠ .

(٤) انظر تفسير الطبري ١٧٢/١٠ عن سعيد بن جبير، وذكره السيوطي في الدررنة ١٨٣/٤، وعزاه لابن أبي حاتم، انظر روح المعاني ٨٢/١٥ .

(٥) سقط في أ، ب .

(٦) انظر زاد المسير ٤٠/٥ وقد اختلف في قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ هل هذا العموم مخصص أم لا؟ فقالت فرقة: ليس مخصوصاً، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمراً مفهوماً، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه. وأجيبوا بأن المراد بقوله: ﴿لا تفقهون﴾ الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء. وقالت فرقة: قوله ﴿من شيء﴾ عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، وليس ذلك في الجمادات. ومن هذا قول عكرمة: الشجرة تسبح. وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام، وقد قدم الخوان: أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد؟ فقال: قد كان يسبح مرة يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح، وأما الآن فقد صار خواناً مدهوناً. انظر القرطبي ١٧٣/١٠، وانظر البحر المحيط ٤٠/٦ .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُدَ ذِكْرًا ۗ

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب^(١)، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن فكانوا يأتونه ويمرون به، ولا يرونه^(٢).

أخبرنا: محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي نا سفيان عن الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء قالت: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾^(٣)، جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يدها فهر^(٤) وهي تقول: مذمماً أبينا، ودينه قلينا^(٥)، وأمره عصينا ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً اعتصم به ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ قال، فجاءت، حتى قامت على أبي بكر، ولم تر النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال: لا، ورب هذا البيت ما هجأك فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أنني بنت سيدها رواه الحاكم في صحيحه^(٦) عن الصبغيني عن بشر بن موسى عن الحميدي عن سفيان.

وقوله: ﴿حجاباً مستوراً﴾ قال الأخفش أراد ساتراً والفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: إنه لمشثوم وميمون، وإنما هو شائم ويامن^(٧) فقال غيره حجاباً مستوراً عن الأعين لا يبصر إنما هو قدرة من قدرة الله تعالى حجب النبي ﷺ عن أعين أعدائه [حجاب]^(٨) لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ^(٩) ثم ذكر أن الله منعهم من فهم القرآن بقوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام، وقوله ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يعني قلت لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿ولوا على أديبارهم نفوراً﴾ قال ابن عباس كارهين أن يوحدوا الله^(١٠) وقال قتادة إن

(١) أم جميل بنت حرب بن أمية شاعرة. انظر جمهرة أنساب العرب ٧٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ عن الزجاج وغيره الرازي ١٧٧/٢٠ الدر المنثور ٤/١٨٦.

(٣) سورة المسد آية (١).

(٤) الفهر: هو الحجر ملء الكف انظر لسان العرب ٣٤٧٩/٥. الصحاح ٨٧٤/٢، ترتيب القاموس ٥٣٠/٣.

(٥) قلبته قلى وقلاءً ومقلية: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته انظر لسان العرب ٣٧٣١/٥، الصحاح ٢٤٦٦/٦، ترتيب القاموس ٦٨٥/٣.

(٦) الحاكم ٣٦١/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٦، وعزاه لأبي يعلى، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل. وانظر معالم التنزيل ٣/١١٧، البحر المحيط ٤٢/٦، القرطبي ١٧٤/١٠، تفسير الرازي ١٧٦/٢٠ - ١٧٧ فتح القدير ٣/٢٣٣.

(٧) انظر البحر المحيط ٤٢/٦ عن الأخفش وجماعة تفسير الرازي ١٧٧/٢٠ عنه فتح القدير ٣/٢٣١ عن الأخفش روح المعاني ٨٧/١٥ بلا نسبة.

(٨) سقط في ب.

(٩) انظر تفسير الطبري ٩٤/١٥، البحر المحيط ٤٢/٦، فتح القدير ٢٣/١، روح المعاني ٨٧/١٥.

(١٠) انظر زاد المسير ٤١/٥.

النبي ﷺ لما قال: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم^(١) والمعنى: انصرفوا هاربين عنك كراهية لما يسمعون من توحيد الله قوله: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال المفسرون^(٢): أمر رسول الله ﷺ أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشرف قريش من المشركين، ففعل ذلك عليّ، ودخل عليهم رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، فكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحر، وهو مسحور، فأخبر الله نبيه بذلك، وأنزل عليه نحن أعلم بما يستمعون أي يستمعونه والباء زائدة أخبر الله أنه عالم بتلك الحالة وبذلك الذي كانوا يستمعونه، إذ يستمعون إلى الرسول، ﴿وإذ هم نجوى﴾ قال ابن عباس يتناجون فيما بينهم بالكذب والاستهزاء^(٣) إذ يقول الظالمون ﴿يعني أولئك المشركون﴾ إن تبعون ﴿ما تبعون﴾ إلا رجلاً مسحوراً ﴿مخدوعاً والمسحور الذي قد سحر، فاختلط عليه أمره قال ابن الأعرابي: المسحور الذاهب العقل المفسد [أمره]^(٤)﴾ وانظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴿بينوا لك الأشياء حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلم والمجنون﴾ فضلوا ﴿عن الحق﴾ فلا يستطيعون سبيلاً ﴿مخرجاً عن الضلال إلى الهدى، ثم ذكر إنكارهم البعث بقوله: ﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ قال الفراء^(٥): الرفات التراب لا واحد له، وهو مثل الرقاق، والحطام^(٦) والرفت كسر الشيء بيديك، مثل المدر والعظم البالي وما كسر فهو رفات، مثل الفئات قال ابن عباس رضي الله عنه: أي إذا ذهب اللحم والعروق، وبقيت عظام قد بليت فإذا مسكته بين أصبعيك انسحق [فهو^(٧) رفات]^(٨) ﴿ءإننا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ أي أبعث إذا صرنا تراباً؟ وهذا استفهام إنكار وتعجب قال الله تعالى: ﴿قل كونوا حجارةً أو حديداً﴾ قال الزجاج^(٩) إنهم كانوا يقولون أن الله خالقهم وينكرون أنه يعيدهم فليل لهم استشعروا انكم لو خلقتم من حجارة أو حديد ﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ الأكثرون قالوا: يعني الموت وليس أكبر في صدور بني آدم من الموت يقول: لو كنتم الموت، لأماتكم الله، ثم أحياكم لأن القدرة التي بها أنشأكم، بها يعيدكم هذا معنى قوله ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ وقال مجاهد: ما شئتم فكونوا حجارةً أو حديداً أو سماء، أو أرضاً، أو جبلاً، سيعيدكم الله كما كنتم^(١٠) وقوله ﴿فيسنغضون﴾ يقال: أنغض رأسه ينغضه إنغاضاً، إذا حركه والمعنى يجركون رؤوسهم تكديماً لهذا القول واستبعاداً له ﴿ويقولون متى هو﴾ أي البعث والإعادة ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ يعني هو قريب، وعسى من الله واجب ثم ذكر أنه متى يكون، فقال: ﴿يوم يدعوكم﴾ أي بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة كما قال ﴿يوم ينادي المناد من مكان قريب﴾^(١١)

(١) انظر زاد المسير ٤١/٥، تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ بلا نسبة.

(٢) انظر الطبري ٩٦/١٥ زاد المسير ٤١/١٥ القرطبي ١٧٦/١٠، البحر المحيط ٤٣/٦ - ٤٤، الخازن مع البغوي ١٦٣/٤، تفسير الرازي ١٧٨/٢٠.

(٣) انظر فتح القدير ٢٣١/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٥/٢ تفسير القرطبي ١٧٧/١٠.

(٥) الحطام ما تكسر من الشيء اليا بس انظر لسان العرب ٩١٦/٢، الصحاح ١٩٠٠/٥ ترتيب القاموس ٦٦٦/١.

(٦) انظر زاد المسير ٤٤/٥، فتح القدير ٢٣٤/٣.

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٤/٣، وانظر ابن كثير ٨٢/٥، معالم التنزيل ١١٨/٣، تفسير القرطبي ١٧٨/١٠، البحر المحيط

٤٦/٦. تفسير الرازي ١٨٠/٢٠، فتح القدير ٢٣٤/٣.

(٩) انظر البحر المحيط ٤٦/٦، تفسير الرازي ١٨٠/٢٠، تفسير القرطبي ١٧٨/١٠، ابن كثير ٨٢/٥ بلا نسبة، فتح القدير ٢٣٤/٣

بلا نسبة.

(١١) سورة ق آية ٤١.

﴿فستجيون﴾ تجيون ﴿بحمده﴾ قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم، ويقولون: سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد^(١) ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ وتعلمون ما لبثتم في الدنيا إلا قليلاً قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم مع ما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة^(٢) ومن المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يستجيون الله بحمده يحمده على إحسانه إليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لأنهم كانوا غير معذبين^(٣) وقوله ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ قال الكلبي كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم: إني لم أؤمر فيهم بشيء فأنزل الله هذه الآية^(٤) والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن قال الحسن يقولون له: يهديك الله^(٥) ﴿إن الشيطان﴾ هو الذي يفسد بينهم لأنه عدو للإنسان ظاهر العداوة ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ بالإنجاء من كفار مكة وينصركم عليهم ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بتسليطهم عليكم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ حافظاً وكفياً أي وما وكل إليهم إيمانهم إن شاء هداهم وإن شاء خذلهم ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس لأنه خلقهم فهدى بعضهم وأضل بعضهم على علم منه بهم وكذلك تفضيل النبيين بعضهم على بعض كان عن حكمة وعلم، وهو قوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ قال قتادة: اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً [وغفر لمحمد ﷺ] ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٦). وقوله ﴿وآتينا داود زبوراً﴾^(٧) قال الزجاج: أي فلا تنكروا تفضيل محمد ﷺ وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور^(٨) وقال قتادة «كنا نحدث أنه تمجيد وتمجيد الله ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود»^(٩)

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۗ

قوله ﴿قل ادعوا الذين زعتم من دونه﴾ الآية قال المفسرون: (١٠) ابتلى الله قريشاً وأهل مكة بالقحط سنين فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتهم كذباً أنهم آلهة، ثم أخبر عن الآلهة فقال ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ يعني البؤس والشدة ﴿ولا تحويلاً﴾ التحويل النقل من حال إلى حال ومن

(١) انظر البحر المحیط ٤٧/٦، تفسير القرطبي ١٧٩/١٠، الرازي ١٨١/٢٠، وذكره السيوطي في الدر ١٨٨/٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر فتح القدير ٣/٢٣٥ بلا نسبة.

(٢) انظر معالم التنزيل ١١٩/٣، عن قتادة البحر المحیط ٤٧/٦، تفسير القرطبي ١٧٩/١٠ روح المعاني ٩٤/١٥، عن قتادة، تفسير الرازي ١٨٢/٢٠، عن الحسن وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤، عن قتادة وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر البحر المحیط ٤٨/٦، فتح القدير ٣/٣٣٥.

(٤) انظر معالم التنزيل ١١٩/٣. تفسير القرطبي ١٨٠/١٠.

(٥) انظر معالم التنزيل ١٣/٣، البحر المحیط ٤٩/٦، القرطبي ١٨٠/١٠.

(٦) انظر الطبري ١٠٣/١٥، معالم التنزيل ١٢٠/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٨/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٧) سقط في ج.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٥.

(٩) معالم التنزيل ١٢٠/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤، وعزاه لابن جرير وابن

أبي حاتم.

(١٠) انظر زاد المسير ٥/٤٩، معالم التنزيل ١٢٠/٣، القرطبي ١٨١/١٠ الخازن مع البغوي ٤/١٦٤، روح المعاني ٩٨/١٥.

مكان إلى مكان. قال ابن عباس^(١): «يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى» وفي هذا احتجاج عليهم أنهم في عبادتهم على الباطل قال ابن عباس^(٢) في رواية عطاء ثم ذكر أوليائه فقال: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة» قال: يتضرعون إلى الله في طلب الجنة والوسيلة الدرجة العليا وقد تكون الوسيلة القربة إلى الله تعالى وما يقربك من رحمته ذكرنا ذلك في قوله «وابتغوا إليه الوسيلة»^(٣) قال الزجاج: «المعنى يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله [أي يتقرب إليه]»^(٤) بالعمل الصالح»^(٥)، قال ابن عباس «يتقربون إلى الله بصالح الأعمال فيرجون رحمته، ويريدون جنته، ويخافون عذابه»^(٦) «إن عذاب ربك كان محذوراً» يحذره المؤمنون المتقون فيطيعون الله خوفاً منه.

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةَ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَآئِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَآءَ الَّتِي آرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

قوله «وإن من قرية إلا نحن مهلكوها» قال ابن مسعود: «إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية، أذن الله في إهلاكها»^(٧) وقال مقاتل أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب»^(٨) وقال الزجاج أي ما من أهل قرية إلا وسيهلك إما بموت أو بعذاب يستأصلهم^(٩) «كان ذلك في الكتاب مسطوراً» قال قتادة قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد»^(١٠) قوله: «وما منعنا أن نرسل بالآيات» قال المفسرون سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فأتاه جبريل، فقال إن شئت، كان ما سأل قومك ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا وإن شئت استأنيت بهم، قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله هذه الآية^(١١) وتقدير الكلام: وما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ويعني أنهم سألوها الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها، والمعنى: أنا لم نرسل بالآيات، لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم فيستحقوا المعالجة بالعقوبة، وسنة الله في الأمم، إذا سألوها الآيات فأتتهم ثم لم يؤمنوا، أن يعذبهم، ولا يمهلهم، وقوله «وآئينا ثمود الناقة مبصرة» قال قتادة بيته^(١٢)،

(١) القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٩٨/١٥ بلا نسبة.

(٢) القرطبي ١٨١/١٠ بلا نسبة.

(٣) سورة المائدة آية ٣٥.

(٤) سقط في أ.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/٣.

(٦) انظر زاد المسير ٥٠/٥.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير القرطبي ١٠/١٨٢.

(٨) انظر معالم التنزيل ٣/١٢٠، تفسير الرازي ٢٠/١٨٦.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤٧.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥/١٠٧، روح المعاني ١٥/١٠٢ بلا نسبة.

(١١) أخرجه أحمد في المسند من حديث ابن عباس ١/٢٨٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٥٣، وعزاه لأحمد والنسائي، وقال هذان

إسنادان جيدان، وانظر تفسير الطبري ١٥/١٠٨ أسباب النزول للمصنف (٢٩٥).

(١٢) معالم التنزيل ٣/١٢١ بلا نسبة.

والمبصرة البينة، أراد آية مبصرة أي مضيئة. وهذا كقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(١) وقوله ﴿فظلموا بها﴾ أي ظلموا أنفسهم بتكذيبها، وقد يكون الظلم الجحد كقوله ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾^(٢) أي يجحدون ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي العبر والدلالات ﴿إلا تخويفاً﴾ للعباد ليتعظوا ويخافوا^(٣). قوله ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي فهم في قبضته وهو محيط بهم بالعلم والقدرة قال قتادة يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك^(٤) وقال الحسن حال بينهم وبين أن يقتلوك كما قال ﴿والله يعصمك من الناس﴾^(٥). وقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ يعني ما أراه الله ليلة الإسراء، وكانت رؤيا يقظة، لا رؤيا منام، وهذا قول سعيد بن جبير وأبي مالك والسدي ومجاهد وقاتادة والحسن والضحاك وابن زيد وابن عباس في رواية عكرمة^(٦)، قال هي رؤيا عين، أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس وذلك أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، فأنكروا وكذبوا وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً، وكانت تلك الرؤيا فتنة للناس،^(٧)؛ وقوله ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ هذا على التقديم والتأخير، والتقدير: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، وهي شجرة الزقوم، وكانت الفتنة فيها ما قال قتادة خوف الله تعالى بها عباده ففتنوا بذلك حتى قال أبو جهل: زعم صاحبكم أن في النار شجراً، والنار تأكل الشجر^(٨) وقال ابن الزبير^(٩) ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد^(١٠) قال الزجاج والعرب تقول لكل طعام مكروه وضار:

(١) سورة الإسراء آية ١٢.

(٢) سورة الأعراف آية ٩.

(٣) وفي المقصود بهذه الآية خمسة أقوال: العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي الثالث: انها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهل، ثم إلى مشيب لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه. الرابع: القرآن. الخامس: الموت الذريع قاله الحسن. انظر القرطبي ١٨٣/١٠، انظر البحر المحيط ٥٣/٦.

(٤) انظر الطبري ١١٠/١٥، القرطبي ١٨٣/١٠.

(٥) سورة المائدة ٦٧، انظر القرطبي ١٨٣/١٠، البحر المحيط ٥٤/٦، تفسير الرازي ١٨٨/٢٠.

(٦) انظر معالم التنزيل ١٢١/٣، البحر المحيط ٥٤/٦، القرطبي ١٨٣/١٠، الرازي ١٨٨/٢٠.

(٧) في هذه الرؤيا أقوال: القول الأول: أن الله أرى محمدآ في المنام مصارع كفار قريش فحين ورد ماء بدر قال: «والله كأني أنظر إلى مصارع القوم». القول الثاني: أن المراد رؤياه التي رآها أنه يدخل مكة وأخير بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم. فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) الفتح (٢٧) اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدينتان، وهذا السؤال ضعيف لأن هاتين الواقعتين مدينتان أما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة. والقول الثالث: قال سعيد بن المسيب رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساء ذلك، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والإشكال المذكور عائد فيه، لأن هذه الآية مكية وما كان لرسول الله ﷺ بمكة منبر، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أن له بالمدينة منبراً يتداوله بنو أمية. والقول الرابع: وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء، وهذا ما ذكره المصنف واختلفوا في معنى هذه الرؤيا فقال الأكثرون لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال (رأيت بعيني رؤية ورؤيا) الرازي (١٨٨)٢٠.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٢٢/٣، القرطبي ١٨٤/١٠، روح المعاني ١٠٦/١٥، البحر المحيط ٥٥/٦، وذكره السيوطي في الدر

المنثور ١٩١/٤ بنحوه وعزه لابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه، وذكره البيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٩) عبد الله بن الزبير بن قيس السهمي القرشي أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبياتا فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة. انظر الأعلام (٨٧/٤).

(١٠) انظر زاد المسير ٥٥/٥، البغوي ١٢٢/٣، القرطبي ١٨٤/١٠.

ملعون^(١) يدل على هذا ما روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الشجرة المذمومة»^(٢) ومعنى في القرآن أي التي ذكرت في القرآن.

أخبرنا: إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين الطبري أنا جدي محمد بن الحسين أنا محمد بن حمدويه المروزي نا محمود بن آدم نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم رواه البخاري^(٣) عن ابن المديني عن سفيان ورواه الحاكم^(٤) عن محمد بن علي الصنعاني عن الدبري عن عبد الرزاق عن سفيان وقوله ﴿ونخوفهم﴾ أي بالآيات والدلالات ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ لأنهم لا يرجعون عن غيهم. قوله:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۖ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۖ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۖ

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ الآية مفسرة فيما تقدم إلى قوله: ﴿ءأسجد لمن خلقت طيناً﴾ قال الزجاج المعنى لمن خلقت طيناً وهو منصوب على الحال^(٥)، والمعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين، واعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلاً من الطين، وأنه أكرم ممن خلق من الطين، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد وأن الله عز وجل يصرفها بالإعراض كيف شاء، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع ﴿قال﴾ إبليس ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ أي رأيت هذا الذي فضلته علي يعني آدم، والكاف في رأيتك لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخاطبة توكيداً ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾ أي أخرت أجل موتي ﴿لأحتنكن ذريته﴾ لأستاصلنهم ولأستولين عليهم بالإغواء والإضلال وأصله من احتناك الجراد الزرع وهو أن تأكله وتستأصله بأحناكها وتفسده وهذا هو الأصل، ثم يسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكاً، وقوله ﴿إلا قليلاً﴾ يعني المعصومين قال ابن عباس هم أولياء الله الذين عصمهم، وهم الذين استثنى الله في قوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٦) قال الله تعالى لإبليس ﴿اذهب﴾ وهذا اللفظ يتضمن معنى إنظاره وتأخير أجله ﴿فمن تبعك﴾ أي أطاعك واتبع أمرك ﴿منهم﴾ من: ذرية آدم

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٨/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١٣/١٥.

(٣) ٢٥٠/٨ كتاب التفسير باب ٩ (٤٧١٦)، والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير ٣١٣٤ وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ٢٢١/١.

(٤) ٣٦٢/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء، وقال صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٣، روح المعاني ١٠٩/١٥.

(٦) سورة الإسراء آية ٦٥، وانظر معالم التنزيل ١٢٢/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٨٦/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ١١٠/١٥ بلا نسبة.

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ قال الزجاج^(١) موفراً، يقال وفرته، أفره، وفرأ وهو موفور، وأنشد لزهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمَ^(٢)

﴿واستفزز﴾ أي أزعج واستخفف ﴿من استطعت﴾ من بني آدم يقال: أفره واستفزه أي أزعجه واستخفه^(٣)، ومعنى الأمر ههنا: التهديد كما يقال للإنسان: اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله: ﴿بصوتك﴾ قال مجاهد وعكرمة يعني الغناء والمزامير^(٤) وقال الوالي عن ابن عباس صوته دعاء كل داع إلى معصية الله^(٥)، وقال عطاء عنه: كل متكلم في غير ذات الله فهو صوت الشيطان وقوله: ﴿وأجلب عليهم﴾ يقال: أجلبوا وجلبوا إذا صاحوا يقول: صح بخيلك ورجلك واحشهم عليهم بالإغواء^(٦) وقال الزجاج: يقال: أجلب على العدو إجلاباً، إذا جمع عليه الخيول^(٧) والمعنى على هذا أجمع عليهم كل ما تقدر من مكايذك، ويكون الباء في بخيلك زائدة على هذا القول، وكل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده، والرجل جمع راجل وقرأ حفص بكسر الجيم^(٨)، قال أبو زيد يقال: رجل ورجل بمعنى راجل^(٩) وقوله: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وهي كل ما أصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا قال قتادة أما في الأموال فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة، وأما في أولادهم فإنهم هودوهم ونصروهم وجسومهم^(١٠) وقوله ﴿وعدهم﴾ قال الفراء أي قل لهم لا جنة ولا نار^(١١) وقال الزجاج: وعدهم بأنهم لا يبعثون^(١٢) قال الله: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ قال ابن عباس إن أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك^(١٣) وقال قتادة: عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون^(١٤) ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس قوله:

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٣.

(٢) انظر شرح المعلقات العشر للتبريزي (١٥٢) شرح القوائد التسع لابن النحاس ٣٥٢/١. وقوله: يفره أي يتمه ولا ينقصه، يقال وفرته أفره وفارة ووفراً وفرة. وانظر البيت في روح المعاني (١١٠/١٥)، البحر المحيط (٥٥/٦) تفسير الرازي (٥/٢١).

(٣) انظر لسان العرب ٣٤٠٩/٥، ترتيب القاموس ٤٨٧/٣.

(٤) انظر الطبري ١١٨/١٥، البغوي ١٢٨/٣ عن مجاهد، القرطبي ١٨٧/١٠ عن مجاهد روح المعاني ١١١/١٥ عن مجاهد، البحر المحيط ٥٨/٦ عن مجاهد، تفسير الرازي ٦/٢١ بلا نسبة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٢/٤ عن مجاهد، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١٨/١٥، معالم التنزيل ١٢٣/٣ عن ابن عباس وفتادة تفسير القرطبي ١٨٧/١٠، روح المعاني ١١١/١٥ بلا نسبة، تفسير الرازي ٦/٢١ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٤ وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) انظر ترتيب القاموس ٥٠٩/١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/٣، تفسير الرازي ٦/٢١ عن الزجاج.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢. إتحاف فضلاء البشر ٢٠١/٢، البحر المحيط ٥٩/٦، تفسير القرطبي ١٨٧/١٠، معالم التنزيل ١٢٣/٣، الرازي ٦/٢١.

(٩) انظر زاد المسير ٥٨/٥، القرطبي ١٨٧/١٠ بلا نسبة.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٨/٥، تفسير البغوي ١٢٣/٣ عن الحسن وفتادة، القرطبي ١٨٧/١٠، الرازي ٦/٢١.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٧/٢.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/٣.

(١٣) انظر تفسير القرطبي ١٨٨/١٠ بنحوه.

(١٤) انظر تفسير الطبري ١٢٢/١٥.

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿ربكم الذي يزجي﴾ أي يسوق ويسير حالاً بعد حال ﴿لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ في طلب التجارة ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ قال ابن عباس يريد بأوليائه وأهل طاعته، وهذا الخطاب خاص للمؤمنين ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني خوف الغرق ﴿في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ أي زال وبطل من تدعون من الآلهة إلا الله تعالى قال ابن عباس نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم، وأخلصتم الله ^(١) ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق والبحر ﴿إلى البر أعرضتم﴾ عن الإيمان والإخلاص ﴿وكان الإنسان﴾ يعني الكافر ﴿كفوراً﴾ لنعمة ربه، ثم بين أنه قادر أن يهلكهم في البر، فقال: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ أي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر، وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض، أي غاب به فيها، أخبر الله تعالى أنه كما قدر أن يغيبهم في الماء قادر أن يغيبهم في الأرض، وقوله ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ عذاباً يحصبكم أي يرميكم بالحجارة والحصب الرمي، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصاء حاصب ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ قال قتادة: مانعاً ولا ناصرًا ^(٢) ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة﴾ مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً﴾ كاسراً ﴿من الريح﴾ والقصف الكسر بشدة، وأراد ههنا ريحاً شديدة تقصف الفلك، وهو قوله: ﴿يفرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم، حيث سلمتم، ونجوتهم في المرة الأولى ويقراً قوله: ﴿أن يخسف﴾ وأخواته من الأفعال بالياء والنون ^(٣) والمعنى واحد، وكل حسن وتؤكد النون قوله: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ قال الزجاج: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم ^(٤) وهذا معنى قول المفسرين لا برّاً ولا ناصرًا، وتبع بمعنى تابع قوله:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ قال ابن عباس فضلنا كقوله ﴿هذا الذي كرمت علي﴾ والمعنى: فضلناهم بالعقل والنطق والتمييز ^(٥)، وقال عطاء بامتداد القامة ^(٦) وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ليس من دابة إلا وهي

(١) انظر تفسير ابن كثير ٩٣/٥.

(٢) البغوي ١٢٤/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٤، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٢/٢، البحر المحيط ٦١/٦.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/٣.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٢٥/١٥، البغوي ١٢٥/١، زاد المسير ٦٢/٥، القرطبي ١٩٠/١٠ بلا نسبة، البحر المحيط ٦١/٦، روح

المعاني ١١٧/١٥.

(٦) انظر زاد المسير ٦٣/٥، البغوي ١٢٥/٣، القرطبي ١٩٠/١٠، البحر المحيط ٦١/٦، روح المعاني ١١٧/١٥.

تأكل بفيها إلا ابن آدم، فإنه يأكل بيديه^(١) وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: قال «الكرامة الأكل بالأصابع»^(٢) ﴿وحملناهم في البر﴾ على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ يعني الثمار والحبوب والمواشي والسمن والزبد والحلاوى ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ قال السدي فضلوا على البهائم والدواب والوحوش وهم الكثير^(٣).

أخبرنا الحسين بن محمد بن زكريا الجوهري أنا أبو عمرو بن نجيد نا محمد بن أيوب نا محمد بن سنان العوفي نا عبد الله بن عمر نا سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال (من رأى رجلاً به بلاء قد عوفي منه فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاني به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فقد أدى شكر ذلك البلاء^(٤)) قوله: ﴿ويوم ندعوا كل أناس﴾ قال الزجاج: يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على معنى اذكر يوم ندعو^(٥). وقوله: ﴿بإمامهم﴾ قال مجاهد وقتادة: نبهم^(٦). ويكون المعنى على هذا: أن ينادى يوم القيامة فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى وعيسى هاتوا متبعي محمد عليهم السلام فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء، فيأخذون كتبهم بإيمانهم ثم يقال: هاتوا متبعي الشيطان، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إمام هدى أو إمام ضلالة^(٧) ونحو هذا.

روى الوالبي قال: بأئمتهم في الخير والشر^(٨) وقال الضحاك وابن زيد يعني في كتابهم الذي أنزل عليهم^(٩). والمعنى على هذا أن يقال: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمويه نا عبد الله بن عمر بن علي الجوهري نا جعفر بن شعيب الشاشي نا محمد بن يوسف نا أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعيد عن أبي الزبير نا جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (إذا كان يوم القيامة، وجمعت الأمم، فيقال: من هذه الأمة؟ ويتشرف إليها الناس فيقال: هذا محمد في أمته، فينادي المنادي ليكن الآخرون هم الأولين فتأتي فتخطى رقاب الناس حتى تكون أقرب الناس من الله منزلة، ثم يدعى اليهود فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن اليهود فيقال: ما كتابكم؟ فيقولون: التوراة فيقال: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا موسى فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عزيراً، ونعبد الله فيقال: اسلكوا بهؤلاء في جهنم ويدعى النصراني فيقال: ما أنتم؟ فيقولون: نحن النصراني، فيقال لهم: ما كتابكم؟ فيقولون: الإنجيل، فيقال لهم: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا عيسى ابن مريم، فيقال: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد عيسى وأمه والله، فيقال: اسلكوا بهؤلاء في

(١) انظر الطبري ١٢٦/١٥، البغوي ١٢٥/٣، زاد المسير ٦٣/٥، القرطبي ١٩٠/١٠ البحر المحيط ٦١/٦.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٣، وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٢٥/١٥، تفسير القرطبي ١٩١/١٠ بلا نسبة.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٦٠٩/٥ كتاب الدعوات باب ما يقول إذا رأى مبتلى (٣٤٣٢) وقال غريب من هذا الوجه، وهو عند الترمذي من

حديث ابن عمر ٤٩٥/٥ (٣٤٣١) وقال الترمذي: في إسناده عمرو بن دينار، شيخ بصري، وليس هو بالقوي في الحديث، وابن

ماجه ١٢٨١/٢، كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل (٣٨٩٢) عن ابن عمر، وابن أبي الدنيا في الشكر (٨٥).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٢/٣.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٢٧/١٥، تفسير البغوي ١٢٥/٣، القرطبي ١٩٢/١٠، عن مجاهد، البحر المحيط ٦٣/٦.

(٧) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير البغوي ١٢٦/٣، روح المعاني ١٢١/٢٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠.

(٨) انظر زاد المسير ٦٥/٥، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ بلا نسبة.

(٩) انظر زاد المسير ٦٩/٥، البغوي ١٢٥/٣، روح المعاني ١٢١، تفسير القرطبي ١٩٢/١٠ عن ابن عباس والحسن وقتادة

جهنم ثم يدعون بشراً كثيراً بما كانوا يعبدون من آلهتهم، منها الحجارة ومنها الشمس والقمر، فيقال: من كان يعبد إلهاً، فليتبعه، تقدمهم آلهتهم، ثم يبقى المسلمون، فيقف بهم ربهم عز وجل فيقول: ما أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون، فيقول: خير اسم، وخير داعية، فيقول من نبيكم؟ قالوا: نبينا محمد ﷺ، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون القرآن فيقول ما تعبدون؟ قالوا: نعبد الله وحده، فيقول: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيتجلى الرب، عز وجل فيخرون له سجداً، فيقولون: أنت ربنا جل جلالك، ثم يمضي النور بأهله^(١): وقوله: ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ أي لا ينقصون من ثوابهم بمقدار فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة، ويضرب مثلاً للشيء الحقيق، قوله ﴿ومن كان في هذه﴾ يعني في الدنيا، ﴿أعمى﴾ عما يرى من قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض والبحار والجبال ﴿فهو في الآخرة﴾ أي في أمرها مما لم يعاينه ﴿أعمى﴾ أشد عمى، وكلاهما من عمى القلب لا من عمى العين قال قتادة: من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به هذا الذي ذكرنا قول عامة المفسرين^(٢) وقال الحسن من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل^(٣) توبته اختار أبو إسحاق الزجاج هذا القول فقال: تأويله انه إذا عمى في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمى عن رشده، ولم يتب فهو في الآخرة أعمى، أي أشد عمى وأضل سبيلاً، لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية^(٤) واختاره أبو علي الفارسي أيضاً فقال معنى قوله فهو في الآخرة أعمى: أي أشد عمى لأنه في الدنيا كان ممكناً من الخروج عن عماه بالاستدلال ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه، لأنه قد حصل على عمله وكذلك قوله ﴿وأضل سبيلاً﴾ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه وقرأ أبو عمرو ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ بفتح الميم^(٥)، أراد أن يفرق بين ما هو اسم، وبين ما هو أفعال منه، فغاير بينهما بالإمالة وتركها، لأن معنى قوله: ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أعمى منه في الدنيا ومعنى العمى في الآخرة، أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب.

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً ۚ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ۚ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِفْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ۚ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِيفَكَ إِلَّا قَلِيلاً ۚ ﴿٧٦﴾ سُنَّةً مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ۚ ﴿٧٧﴾

قوله ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ أي هموا وقاربوا أن يزيلوك ويصرفوك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني القرآن والمعنى عن حكمه نزلت الآية في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة، فإننا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعط غيرهم، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، وقد هم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله

(١) بنحوه عن البخاري ٤٣٢/١٣ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (٧٤٤٠). ومسلم ١٦٧/١ كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ٣٠٢ - ١٨٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٨/١٥، البغوي ١٢٦/٣، زاد المسير ٦٦/٥، القرطبي ١٩٣/١٠، البحر المحيط ٦٣/٦ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٣/٣.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٤٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٢/٢، تفسير القرطبي ١٩٤/١٠، روح المعاني ١٢٣/١٥.

هذه الآية^(١) وكان في إعطائهم ما سألوا، مخالفة لحكم القرآن لذلك قال: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾ لتتخلق علينا غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم قل الله أمرني بذلك، ﴿وإذا لا تخذوك خليلاً﴾ لو فعلت ما أرادوا ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحق بعصمتنا إياك ﴿لقد كدت﴾ هممت وقاربت ﴿تتركن إليهم﴾ أي تميل شيئاً قليلاً، عبارة عن المصدر، أي ركونا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله أعلم بنيته^(٢) ثم توعدنا على ذلك [لو فعله]^(٣) ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أي ضعف ما يعذب به غيره قال ابن عباس ورسول الله ﷺ معصوم، ولكن هذا تخويف لأمته، لثلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه^(٤)، قوله ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ قال قتادة هم أهل مكة بإخراج نبي الله ﷺ منها ولو فعلوا ذلك ما نوظروا، ولكن الله كفهم عن ذلك حتى أمره بالخروج^(٥) والمعنى: أنهم قاربوا أن يزعموك من أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاك﴾ وخلفك أي بعدك يعني بعد خروجك وخلافك بمعنى خلفك، كقوله تعالى ﴿بمقعدهم خلاف رسول الله﴾^(٦)، وقوله ﴿إلا قليلاً﴾ أي لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بمدة يسيرة كستتنا في من قبلهم، وهو قوله ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ قال سفيان بن عيينة يقول: لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجهم قومه إلا أهل كوا^(٧) وقال الزجاج: ^(٨) ان سنتنا هذه السنة في من أرسلنا قبلك إليهم، أنهم إذا أخرجوا نبينهم من بين أظهرهم، أو قتلوه أن ينزل العذاب بهم^(٩) وقوله: ﴿ولا تجد لستنا تحويلاً﴾ أي ما أجرى الله به العادة لم يتها لأحد أن يقبلها قال ابن عباس لا خلف لستني ولا لقضائي ولا لموعدي قوله: .

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۗ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۗ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۗ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۗ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ دلوك الشمس، زوالها وميلها في وقت الظهر وكذلك ميلها للغروب هو دلوكها أيضاً قال المبرد: دلوك الشمس من لذن زوالها إلى غروبها عند العرب^(٩) والمفسرون مختلفون فيه، فقوم يقولون: دلوكها زوالها وهو قول الحسن والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة^(١٠) وقال قوم: دلوكها: غروبها وهو قول ابن مسعود وعلي والسدي وابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(١١) قال الأزهري: معنى الدلوك

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي ٢٩٧، الطبري ١٣٠/١٥، البغوي ١٢٦/٣ تفسير القرطبي ١٩٤/١٠.

(٢) انظر زاد المسير ٦٨/٥، الرازي ١٨/٢١. (٣) سقط في ب. (٤) انظر البحر المحيط ٦٥/٦، تفسير القرطبي ١٩٥/١٠.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٣٢/١٥، تفسير البغوي ١٢٧/٣ عن مجاهد وقتادة وعنهما القرطبي في تفسيره ١٩٥/١٠، تفسير الرازي

٩٢/٢١، وذكره السيوطي ١٩٥/٤ وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) سورة التوبة. (٨١). (٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٣٤/١٥. (٩) انظر لسان العرب ١٤١٢/٢، الصحاح ١٥٨٤/٤، ترتيب القاموس ٢٠٥/٢.

(١٠) انظر معالم التنزيل ١٢٨/٣، تفسير القرطبي ١٩٦/١٠، البحر المحيط ٧٠/٦، الرازي ٢١/٢١، الدر المنثور ١٩٥/٤.

(١١) انظر البغوي ١٢٨/٣، ابن كثير ٩٨/٥، القرطبي ١٩٦/١٠، البحر المحيط ٧٠/٦، تفسير الرازي ٢١/٢١، وذكره السيوطي في

الدر المنثور ١٩٥/٤ عن ابن مسعود وعلي.

في كلام العرب الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلتت دالكة لأنها في الحالتين زائلة، قال: والقول عندي: أن زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس^(١) والمعنى: أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فتدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان ثم قال ﴿وقرآن الفجر﴾ فهذه خمس صلوات، ومعنى غسق الليل: سواده وظلمته^(٢) قال ابن جريج: قلت لعطاء ما غسق الليل؟ قال: أوله حين يدخل^(٣) وقال ابن مسعود غسق الليل إظلامه^(٤) قال الفراء والزجاج يقال: غسق الليل أغسق إذا أقبل ظلامه^(٥) وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ قال ابن عباس^(٦) والمفسرون^(٧): يريد صلاة الصبح قال الزجاج أي وأقم قرآن الفجر، قال - وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون بقراءة حيث سميت الصلاة قرآناً^(٨)، وقوله: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ كلهم قالوا: صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي نا أبو الفضل محمد بن عبد الله ابن خميرويه نا أبو الحسن علي بن محمد الخزازي نا أبو اليمان. أخبرني شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: (تفضل صلاة الجماعة صلاة أحدكم وحدة بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ رواه البخاري^(٩) عن أبي اليمان قوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ قال ابن عباس فصل بالقرآن^(١٠) وقال مجاهد وعلقمة والأسود^(١١): التهجد بعد النوم^(١٢) قال الليث: تهجد إذا استيقظ للصلاة^(١٣) وقال الأزهري المتهجد القائم إلى الصلاة من النوم وقيل له متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تخرج وتأنم وتحوب^(١٤)

(١) انظر تهذيب اللغة ١١٧/١٠.

(٢) انظر لسان العرب ٣٢٥٥/٥، الصحاح ١٥٣٧/٤، ترتيب القاموس ٣٩٣/٣.

(٣) انظر الطبري ١٣٨/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بنحوه عن ابن عباس والرازي ٢١/٢١ عن النضر بن شميل.

(٤) تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، البحر المحيط ٧٠/٦ بلا نسبة، الدر المنثور ١٩٥/٤.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣، تفسير القرطبي ١٩٧/١٠ عن الفراء.

(٦) تفسير القرطبي ١٩٨/١٠ عن الفراء، تفسير البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، وذكره السيوطي في الدر عن ابن عباس ١٩٦/٤، ونسبه لابن جريج.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٣٩/١٥، تفسير البغوي ١٢٨/٣، تفسير البحر المحيط ٧٠/٦، تفسير القرطبي ١٩٨/١٠، تفسير الرازي

٢٣/٢١، الدر المنثور ١٩٦/٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٣.

(٩) أخرجه البخاري ١٣١/٢ كتاب الأذان باب فضل الجماعة (٦٤٧) ومسلم ٤٥٩/١ كتاب المساجد، باب فضلا صلاة الجماعة ٢٧٢

- ٦٤٩.

(١٠) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، تفسير الرازي ٢٥/٢١ بلا نسبة.

(١١) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخي عالمها علقمة وخال إبراهيم النخعي

الفقيه وأخو عبد الرحمن بن يزيد. أخذ عن معاذ وابن مسعود وحذيفة وبلال والكبار. وكانوا يقولون إنه من أقل أهل بيته اجتهاداً،

وكانوا يسمون الأسود من أهل الجنة، مات في سنة خمس وسبعين أو قريباً منها رحمة الله عليه. انظر تذكرة الحفاظ (٥٠/١ - ٥١).

(١٢) تفسير الطبري ١٤٢/١٥، البغوي ١٢٨/٣ بلا نسبة، القرطبي ١٩٩/١٠، البحر المحيط ٧١/٦، وذكره السيوطي في الدر

المنثور ١٩٦/٤ عن علقمة والأسود، وزاد نسبه لابن المنذر، ومحمد بن نصر.

(١٣) انظر تهذيب اللغة ٣٦٠/٦.

(١٤) تهذيب اللغة ٣٥٥/١٥، الرازي ٢٥/٢١ عنه.

وقوله ﴿نافلة لك﴾ معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الأصل، وصلاة الليل كانت زيادة للنبي ﷺ خاصة لرفع الدرجات لا للكفارات، لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليست لنا بنافلة وهذا قول جميع المفسرين^(١) قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال ابن عباس عسى من الله واجبة، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون والآخرون، تشرف على جميع الخلائق، وتسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، وليس أحد إلا تحت لوائك^(٢) وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، ومعنى يبعثك ربك مقاماً: يقيمك في ذلك المقام^(٣).

أخبرنا: أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي أنا أبو عمرو بن مطر نا عبدان الجواليقي نا أبو بكر بن أبي شيبة نا وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾: الشفاعة^(٤) أخبرنا: أبو الفتح محمد بن علي الكوفي أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن سليمان نا الفضل بن الخصيب نا محمد بن هارون الرازي^(٥) نا أبو أسامة نا داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي) قوله ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ روى قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية^(٦)، والمعنى: ادخلني المدينة، وأخرجني من مكة، والمدخل والمخرج بمعنى المصدر، وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح، نحو قوله: ﴿قدم صدق﴾^(٧) ﴿مقعد صدق﴾^(٨) ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ حجة بينة تنصرنى بها على جميع من خالفني، قوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ قال السدي الحق: الإسلام، والباطل الشرك^(٩)، وقال قتادة الحق القرآن، والباطل الشيطان^(١٠) ومعنى زهق: بطل واضمحل وكل شيء هلك وبطل فقد زهق.

أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا أبو خيثمة نا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال (دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً رواه البخاري^(١١))

(١) انظر البغوي ١٢٩/٣، القرطبي ٢٠٠/١٠، البحر المحيط ٧١/٦ - ٧٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٤٣/١٥، تفسير الرازي ٢٦/٢١ عن الواحدى زاد المسير ٧٦/٥، البغوي ١٣٠/٣ بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٤٣/١٥، واختاره القرطبي ٢٠٠/١٠، زاد المسير ٧٦/٥، معالم التنزيل ١٣٠/٣، تفسير الرازي ٢٦/٢١.

(٤) في إسناده إدريس بن يزيد الأودي قال أبو حاتم مجهول، وقال ابن عدي: إنما هو إدريس بن يزيد الأودي. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يغرب، ويخطيء على قلته، وقول ابن عدي أصوب. انظر التهذيب ١٩٥/١ انظر لسان الميزان (١٧٣/٧)

الكاشف (١٠٠/١) والحديث أخرجه الترمذي ٢٨٣/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء (٣١٣٧/١٨).

(٥) محمد بن هارون الرازي ثقة. انظر تاريخ أصبهان (١٩٠/٢).

(٦) أخرجه الترمذي ٢٨٤/٥، كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٩)، وقال حسن صحيح.

(٧) سورة يونس آية (٢).

(٨) سورة القمر آية (٥٥).

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٢/٣، تفسير القرطبي ٢٠٤/١٠ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٥٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٢/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٠٤/١٠ عن مجاهد، البحر المحيط ٧٤/٦.

(١١) أخرجه البخاري ٢٥٢/٨ كتاب التفسير باب (وقل جاء الحق) (٤٧٢٠).

عن علي بن المديني ومسلم^(١) عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن سفيان وقوله ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ قال ابن عباس يريد كل ما كان عن الشيطان كان خارجاً عن الحق، وقوله: ﴿وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من هذا الجنس الذي هو القرآن ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، قال قتادة إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه^(٢) وعلى هذا: معنى كونه شفاء أنه بيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك، فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء، وعلى هذا معناه أنه يتبرك به، فيدفع الله به كثيراً من المكروه والمضار^(٣)، ويؤكد هذا ما روي عن النبي ﷺ قال: من لم يستشف بالقرآن، فلا شفاه الله^(٤) وقوله ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد ثواباً لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله بها، ويثيبهم عليها ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿إِلَّا خُسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين.

أخبرنا: أبو القاسم بن عبدان نا محمد بن عبد الله الضبي أخبرني الحسن بن محمد بن حكيم المروزي نا أبو الموجه أنا عبدان نا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن سليمان عن الجريري عن أبي نضرة العبدي عن أسير بن جابر^(٥) عن أويس القرني قال: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضاء من الله الذي قضى ﴿شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾^(٦) قوله:

(١) ١٤٠٨/٣ كتاب الجهاد باب إزالة الأضنام ٨٧ - ١٧٨١، والترمذي ٢٨٣/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٣٨)، وقال حسن صحيح وأحمد في المسند ٣٧٧/١.

(٢) انظر زاد المسير ٧٩/٥.

(٣) اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب وكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. والثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى، والتعاويد ونحوها. واختلف العلماء في النشرة وهي أن يكتب شيئاً من أسماء الله أو من القرآن، ثم يغسله بالماء، ثم يمسح به المريض، أو يسقيه فأجازها سعيد بن المسيب. قيل له: الرجل يؤخذ عن امرأته أيحل عنه وينشر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينه عنه، ولم ير مجاهد أن تكتب آيات من القرآن، ثم تغسل، ثم يسفاه صاحب الفزع. وكانت عائشة تقرأ بالمعوذتين في إناء ثم تأمر أن يصب على المريض. وقال المازري أبو عبد الله: النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم، وسميت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها أي: تحل. ومنعها الحسن وإبراهيم النخعي، قال النخعي: أخاف أن يصيبه بلاء، وكأنه ذهب إلى أنه ما يجيء به القرآن فهو إلى أن يعقب بلاء أقرب منه إلى أن يفيد شفاء. وقال الحسن: سألت أنساً فقال: ذكروا عن النبي ﷺ أنها من الشيطان. وقد روى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان». قال ابن عبد البر وهذه آثار لينة، ولها وجوه محتملة، وقد قيل: إن هذا محمول على ما إذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وعن المداواة المعروفة. والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل فهي كوضوء رسول الله ﷺ. وقال ﷺ (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ومن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل). انظر القرطبي (٢٠٥/١٠ ٢٠٦) البحر المحيط (٧٤/٦).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف: أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحرث الغساني: حدثنا ساكنة بنت الجعد قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول قال رسول الله ﷺ فذكره. انظر الكشاف ٦٨٩/٢، تفسير القرطبي ٣١٥/٨، كنز العمال (٢٨١٠٦)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ٢٩٦ وهو حديث مرسل فإن أوس لم يدرك النبي ﷺ. وأويس هذا هو ابن عامر القرني بفتح القاف والمهملة ثم نون مخضرم أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه. شهد صفين مع علي وقتل يومئذ وهو سيد التابعين كما رواه مسلم في صحيحه وله مناقب مشهورة. انظر الخلاصة (١٠٧/١).

(٥) أسير بن جابر أبو الحجاز العبدي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ ابن حجر أسير بن جابر في القلب من روايته قصة أوس إلا أنه حكى ما حكى عن إنسان مجهول فالقلب إلى أنه ثقة أميل ورجح البخاري إلى أنه أسير بن عمرو، وأشار إلى تثبيت قول من قال فيه ابن جابر، وقال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث، وذكره العجلي في الثقات من أصحاب عبد الله بن مسعود، وقال ابن

حزم أسير بن جابر ليس بالقوي. انظر التهذيب (٣٧٩/١١).

(٦) أخرجه الحاكم ٣٦٥/٢ كتاب التفسير سورة الإسراء وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأسير بن جابر من =

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة، أعرض عن الدعاء والابتغال الذي كان يفعله في حال البلوي والمحنة^(١) ونأى بجانبه وتعظم وتكبر وبعد نفسه عن القائم بحقوق النعم، ونأى معناه بعد، ونأى بالشيء معناه أبعد وقرأ ابن عامر وناء^(٢)، مثل ناع، وهذا على القلب مثل رأى وراء وقرأ حمزة نأى بإمالة الفتحين^(٣)، أمال فتحة الهمزة لأن الألف منقلبة عن الياء التي في النأي، أراد أن ينحو نحوها وأمالي فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقوله: ﴿وإذا مسه الشر كان يتوسأ﴾ قال ابن عباس: إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة الله^(٤)، وهذا من صفة الجاهل بالله، وذم له بأنه لا يثق بتفضل الله على عباده قوله: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال الليث: الشاكلة من الأمور ما يوافق فاعله^(٥) والمعنى: أن كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل أخلاقه فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الإنعام، واليأس عند الشدة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء يدل على هذا قوله: ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة، ولا يئس عند المحنة، قوله:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ
كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا علي بن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إني لمع رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل عليه ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ رواه البخاري^(٦) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن

= المخضرمين ولد في حياة الرسول ﷺ وهو من كبار أصحاب عمر رضي الله عنه والحديث عند البخاري ومسلم بخلاف هذا السياق.

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٠٨/١٠، تفسير الرازي ٢٩/٢١ وقال: هذا بعيد.

(٢) انظر النشر في القراءات ٣٠٨/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣/٢ الرازي ٣٠/٢١، القرطبي ٢٠٨/١٠.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٤٤/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٣/٢.

(٤) القرطبي ٢٠٨/١٠ بلا نسبة.

(٥) انظر تهذيب اللغة ٢٤/١٠.

(٦) أخرجه البخاري ٢٧٠/١ كتاب العلم باب (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). ١٢٥ (٤٧٢١ - ٧٢٩٧ - ٧٤٥٦ - ٧٤٦٢)، ومسلم

٢١٥٢/٤ كتاب صفات المنافقين باب سؤال اليهود (٣٢ - ٢٧٩٤)، والترمذي عن ابن عباس ٢٨٤/٥، كتاب التفسير سورة

الإسراء باب ١٨ (١٣٤٠).

الأعمش وقال ابن عباس في رواية عطاء: قالت اليهود لقريش: سلوا محمداً عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوه عنها ففسر لهم أمر الفتية في سورة الكهف وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح، وأنزل قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾^(١) واختلف العلماء في ماهية الروح فقال قوم: إن الروح هو الدم، ألا ترى أن من نزف دمه مات؟ والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم وزعمت طائفة: أن الروح هو استنشاق الهواء ألا ترى أن المخنوق ومن منع من نسيم الهواء يموت وقال عامة المعتزلة والنجارية^(٢): الروح عرض إلا ابن الراوندي^(٣)، فإنه قال: الروح جسم لطيف أسكن البدن وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسم كان الجسد نورانياً، تبصر العينان، وتسمع الأذنان، ويكون طيباً فإذا خرج، أتنن الجسد ويكون باقياً، فإذا زايله الروح صار فانياً، ويكون حياً، وبخروجه يصير ميتاً، ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً ويكون الجسد علوياً لطيفاً ما دام فيه الروح، فإذا خرج صار سفلياً كثيفاً والاختيار من هذه الأقوال أنه جسم لطيف توجد به الحياة، يدل على هذا قوله تعالى في صفة الشهداء: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾^(٤) والارتزاق والفرح من صفات الأجسام، والمراد بهذا أرواحهم، لأن أجسامهم بليت في التراب، وكذلك ما روي: (أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة، وتأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش)^(٥) وهذا الفعل لا يتأتى من العرض.

أخبرنا: أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل أنا عبد المؤمن بن خلف^(٦) أنا أبي بن خلف بن طفيل أخبرني أبي طفيل بن زيد نا أبو عمير نا أبو عبد الله أحمد بن محمد الجعاب نا نعيم بن عمرو نا سليمان بن رافع البصري عن أبي أمية عن ابن عباس قال إن الروح إذا خرج من الإنسان، مات الجسد وصار الروح صورة أخرى، فلا يطبق الكلام لأن الجسد جرم، والروح يصوت من جوفه ويتكلم، فإذا فارق الروح الجسد صار الجسد صفرًا^(٧)، وصار الروح صورة أخرى، ينظر إلى الناس، يبكونه، ويغسلونه ويدفنونه. ولا يستطيع أن يتكلم كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق سمعت له دويًا فإذا خرج منه لم تسمع له صوتًا، وكذلك المزامير فأرواح المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/١٩١، تفسير القرطبي ١٠/٢١٠، معالم التنزيل ٣/١٣٤، الرازي ٢١/٣١، البحر المحيط ٦/٧٥.

(٢) النجارية أصحاب الحسين بن محمد النجار أكثر معتزلة الري على مذهبه انظر الملل والنحل (١/٨٨).

(٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى راوند من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، انظر الأعلام ١/٢٦٧.

(٤) سورة آل عمران (١٦٩).

(٥) أخرجه مسلم ٣/١٥٠٢ كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٢١ - ١٨٨٧) وأبو داود ٣/١٥ كتاب الجهاد في باب فضل الشهادة ٥٢٠، والترمذي ٥/٢١٥ كتاب التفسير سورة آل عمران باب ٤ (٣٠١١)، وقال حسن صحيح، وابن ماجه ٢/٣٩٦ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة (٢٨٠١).

(٦) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل بن زيد بن طفيل الإمام الحافظ القدوة أبو يعلى التميمي النسفي ولد سنة تسع وخمسين ومئتين. وكان من الفقهاء القائلين بالظاهر، ناسكاً كثير العلم، توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة بنسب. انظر السير (١٥/٤٨٠).

(٧) الصفر: الشيء الخالي، انظر لسان العرب ٤/٢٤٥٩، تاج العروس ٣/٣٣٥ ترتيب القاموس ٢/٨٢٨.

ريحها وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم، حتى إذا نفخ في الصور النفخة الأولى، رفع العذاب وكانت الأرواح عند ذلك أرواح المؤمنين، وأرواح الكافرين، ورفع العذاب عن الكفار فيما بين النفختين^(١)، فذلك قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فأشياء تفتى ويبقى وجه الله الكريم، هذا الذي ذكرنا كله عند التحقيق ضرب من التكلف لأن الله تعالى أهبهم علم ذلك قال عبد الله بن بريدة: ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري الروح^(٢) وقال الفراء الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحداً من خلقه، ولم يعط علمه أحداً من عباده^(٣) فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من علم ربي، أي أنكم لا تعلمونه، وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٤) أي بالإضافة إلى علم الله تعالى وذلك أن اليهود تذكر كل شيء بما في كتبهم فقال الله ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقال الزجاج ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ، ولم يبين الله له ذلك قال له ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ يدل على هذا قوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ أي إني أقدر أن آخذ ما أعطيتك كأنه يقول: لم تؤت إلا قليلاً من العلم، ولو شئت أن آخذ ذلك قدرت قال الزجاج لو شئنا لمجوانه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر^(٥).

أخبرنا: إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا أبو محمد عبد الرحمن بن صالح الأزدي^(٦) نا شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن عبد الله قال: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى منه الصلاة، وليصلين أقوام لا خلاق لهم، وسيرفع القرآن من بين أظهركم ثم قرأ عبد الله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾^(٧).

وقوله: ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي لا تجد من تتكل عليه في رد شيء منه ﴿إلا رحمة من ربك﴾ لكن الله رحيم، فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ قال ابن عباس يريد حيث جعلتك سيد ولد آدم، وختمت بك النبيين، وأعطيتك المقام المحمود^(٨)، ثم احتج على المشركين بإعجاز القرآن فقال:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ٨٨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُنْفِجِرَ الْأَنْهَارَ

(١) في إسناده نعيم بن عمرو قال أبو حاتم الرازي: مجهول انظر الجرح والتعديل (٤٦٣/٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠٠/٤) مختصراً ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٠/٢، فتح القدير ٢٥٤/٤ عن الفراء.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٣.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٣.

(٦) عبد الرحمن بن صالح الأزدي. أبو محمد الكوفي. عن شريك وجماعة. وعنه عباس الدوري والبغوي. قال عباس: حدثنا وكان

شيعياً. وقال ابن معين: ثقة. وقال صالح جزرة: كان يقرض عثمان. وقال البغوي: سمعته يقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو

بكر وعمر. وقال أبو داود: ألف كتاباً في مثالب الصحابة وقال ابن عدي: احترق بالتشيع. وقال أبو أحمد الحاكم: خولف في

بعض حديثه. انظر ميزان الاعتدال (٥٦٩/٢).

(٧) أخرجه الحاكم ٥٠٤/٤ كتاب الفتن باب ذكر رفع القرآن عن قلوب المسلمين وصحح إسناده وأقره الذهبي.

(٨) انظر القرطبي ٢١٠/١٠ - ٢١١، بلا نسبة، تفسير الرازي ٤٥/٢١ بلا نسبة فتح القدير ٢٥٧/٣ بلا نسبة.

خَلَّلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا أَوْ تَأْتِي بَالِهٍ وَالْمَلَائِكَةَ قِيَلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية قال المفسرون هذا تكذيب للنضر بن الحارث «حيث قال»: (لوشئنا لقلنا مثل هذا) ﴿٩١﴾ وقال مقاتل وان نبي الله ﷺ تحداهم أولاً فقال: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾ (٢) فعجزوا عن ذلك فتحدهم فقال ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ (٣) فعجزوا فأيسهم الله عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية، والمثل الذي طلب منهم كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة وقوله: ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الظهير المعين المظاهر لك (٤).

قال ابن عباس يريد معينا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه (٥)، قوله ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة، وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من الأمثال التي يجب بها الاعتبار ﴿فأبى أكثر الناس﴾ يعني أكثر أهل مكة ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً للحق، وإنكاراً، وذلك أنهم أنكروا القرآن بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿وقالوا﴾ يعني رؤساء مكة ﴿لن نؤمن لك﴾ لن نصدقك ﴿حتى تفجر لنا﴾ وقرى ﴿تفجر﴾ بالتخفيف (٦) يقال: فجرت الماء فجراً، وفجرته تفجيراً، والينبوع عين ينبع منها الماء وذلك أنهم سألوا أن يجري لهم نهراً كأنهار الشام والعراق ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ هذا أيضاً كان فيما اقترحوا عليه ﴿فتفجر الأنهار﴾ فتفتحها وتجريها ﴿خلالها﴾ وسط تلك الجنة ﴿أو تسقط السماء﴾ قالوا له: أسقط السماء علينا قال ابن عباس يعنون العذاب (٧) ﴿كما زعمت﴾ أن ربك إن شاء فعل وقوله ﴿كسفاً﴾ جمع كسفة، وهي القطعة، والكسف القطع ويجوز أن يكون الكسف الشيء المقطوع، كقوله ﴿وإن يروا كسفاً من السماء﴾ (٨) ومن فتح السين فهو جمع كسفة أيضاً مثل قطعة وقطع قال ابن عباس كسفاً قطعاً (٩) ومن سكن السين فمعناه: أسقط السماء علينا قطعة واحدة (١٠)، وقوله: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ قال قتادة والضحاك عياناً (١١) والمعنى: تأتي بهم، حتى نراهم

(١) سورة الأنفال ٣١.

(٢) سورة هود ١٣.

(٣) سورة البقرة ٢٣.

(٤) انظر لسان العرب ٢٧٦٦/٤، ترتيب القاموس المحيط ١٣٢/٣.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥٩/١٥، تفسير القرطبي ٢١١/١٠ بلا نسبة.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٤/٢، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠.

(٧) انظر تنوير المقباس ١٥٦/٣.

(٨) سورة الطور ٤٤.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٥٩/١٥، معالم التنزيل ١٣٧/٣ بلا نسبة انظر زاد المسير ١٥٩/٥، الرازي ٤٨/٢١ بلا نسبة.

(١٠) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٥/٢، معالم التنزيل ١٣٧/٣، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ تفسير

الرازي ٤٨/٢١. قرأ ابن عامر كسفاً بفتح السين ها هنا، وفي سائر القرآن بسكونها، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا، وفي الروم بفتح السين، وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح إلا في الروم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي في الروم بفتح السين، وفي سائر القرآن بسكون السين. انظر تفسير الرازي ٤٨/٢١.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٧/٣ عن قتادة، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠، عن قتادة، وابن جريج، تفسير

الرازي ٤٩/٢١.

مقابلة واختاره أبو علي الفارسي فقال: إذا حملته على المعانية كان القبيل مصدرًا كالنذير والنكير ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ (١) وقال عطاء ومجاهد: فوجاً فوجاً (٢) وكل جنس من الناس قبيل، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ (٣) وقوله ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي من ذهب (٤) قال الزجاج: أصل الزخرف في اللغة الزينة ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب وكان فيما اقترحوا عليه أن يكون له قصور من ذهب (٥) وقوله: ﴿أو ترقى في السماء﴾ يقال: رقيت أرقى رقياً ورقياً قال عبد الله بن أبي أمية: لا أومن بك يا محمد حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه، وأنا أنظر، حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول (٦)، وهو قوله: ﴿ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ قال ابن عباس كتاباً من عند رب العالمين إلى فلان وفلان، يصبح عند كل رجل منا يقرؤه (٧) (قال النبي ﷺ ﴿سبحان ربي﴾ وقرىء ﴿قل سبحان ربي﴾ على الأمر له بأن يقول سبحان ربي (٨) قال ابن عباس عظم وكرم (٩) ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي أن هذه الأشياء ليست في قوى البشر أن يأتوا بها، فلا وجه لطلبكم مني، مع أي بشر، قوله:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۗ ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۗ ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا ۗ مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ۗ ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۗ ﴿٩٨﴾ ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريبَ فيه فإبى الظالمون إلا كُفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾

﴿وما منع الناس﴾ قال ابن عباس يريد أهل مكة (١٠) ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان والتصديق ﴿إذ جاءهم الهدى﴾

(١) سورة الفرقان آية ٢١.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٣٧/٣ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن مجاهد بنحوه، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن ابن عباس.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦٣/١٥، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ عن ابن عباس وغيره، البغوي ١٣٧/٣ بلا نسبة، تفسير الرازي ٤٩/٢١ عن مجاهد ذكره السيوطي في الدر عن قتادة ٣٠٣/٤، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٠، تفسير الرازي ٤٩/٢١ عن الزجاج.

(٦) انظر تفسير الرازي ٤٩/٢١، الدر المنثور ٤/٢٠٣.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٦٣/١٥، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠ بنحوه بلا نسبة.

(٨) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٠٥، تفسير القرطبي ٢١٤/١٠.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٦٤/١٥.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٦٤/١٥.

البيان والرشاد من الله على لسان محمد ﷺ، وهو القرآن ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم في التعجب والإنكار ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وهو أنهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وفي إنكارهم كون البشر رسولاً اقتضاء أن يبعث إليهم ملك، قال الله تعالى ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ قال الحسن قانطين^(١)، وقال الكلبي مقيمين^(٢) وقال الزجاج مستوطنين في الأرض^(٣) ومعنى الطمأنينة السكون، والمراد ههنا المقام والاستيطان لأنه يقال: سكن فلان بلد كذا، [إذا استوطن]^(٤) وإن كان ماشياً متقلّباً في حاجاته، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة وقوله: ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أعلمهم الله تعالى أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم، ولو كان في الأرض بدل آدميين ملائكة لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً، وما بعد هذا مفسر في آخر سورة الرعد.

قوله: ﴿ومن يهد الله﴾ قال ابن عباس من يرد الله هداة ﴿فهو المهتد ومن يضلل﴾ قال: ومن يخذله ﴿فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾^(٥) يهدونهم من دون الله ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾.

أخبرنا: أبو عبد الله بن أبي إسحاق أنا محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري نا جعفر بن محمد الصائغ نا حسين بن محمد المروزي نا شيبان^(٦) عن قتادة عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة رواه البخاري^(٧) عن عبد الله بن محمد ورواه مسلم^(٨) عن عبد بن حميد كلاهما عن يونس بن محمد عن شيبان.

وقوله: ﴿عمياً﴾ قال ابن عباس في رواية الوالي: لا يرون شيئاً يسرهم ﴿وبكماً﴾ لا ينطقون بحجة ﴿وصماً﴾ لا يسمعون شيئاً يسرهم^(٩) وقال في رواية عطاء يريد عمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله تعالى وصماً عما مدح الله به أوليائه^(١٠) وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: (احسأوا فيها ولا تكلمون) فيصيرون عمياً بكماً صماً، لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك^(١١) وقوله: ﴿كلما خبت﴾ يقال: خبت النار، تخبو خبواً، إذا سكن لهيبها^(١٢) ﴿زدناهم سعيراً﴾ قال ابن عباس سعر العذاب عليهم بأشد مما كان^(١٣) وما بعد هذا مفسر في هذه السورة ثم

(١) انظر زاد المسير ٨٩/٥.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٣٨/٣ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦١/٣.

(٤) سقط في ب، ج.

(٥) انظر زاد المسير ٩٠/٥.

(٦) شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي أبو معاوية البصري نزيل الكوفة ثقة صاحب كتاب يقال إنه منسوب إلى «نحوة» بطن من الأزد لا إلى النحو. مات سنة أربع وستين. انظر التقريب ٣٥٦/١، التهذيب ٣٧٣/٤، ٣٧٤.

(٧) ٣٥٠/٨ كتاب التفسير سورة الفرقان باب ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ ٤٧٦٠.

(٨) ٢١٦١/٤ صفات المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه (٥٤ - ٢٨٠٦). والترمذي ٢٨٥/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء باب ١٨ (٣١٤٢)، وقال حديث حسن وأحمد في المسند ٣٥٤/٢.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٣٨/٣، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠ عن الحسن وابن عباس تفسير الرازي ٥١/٢١، البحر المحيط ٨٢/٦.

(١٠) انظر الرازي ٥١/٢١، البحر المحيط ٨٢/٦، زاد المسير ٩٠/٥.

(١١) انظر زاد المسير ٩٠/٥، تفسير البغوي ١٣٨/٣، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠، الرازي ٥١/٢١.

(١٢) انظر لسان العرب ١٠٩٨/٢، ترتيب القاموس ١٢/٢.

(١٣) انظر زاد المسير ٩٠/٥.

أجابهم على إنكارهم البعث بقوله: ﴿أولم يروا أن الله ﴿ الآية، المعنى: ألم يعلموا أن من قدر على خلق السماوات والأرض في عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم، أي على أن يخلقهم ثانياً وأراد بمثلهم إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له في حالته، فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي أنت لا تفعله، ذكرنا هذا عند قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴿^(١)، ونحو هذا قوله: ﴿ليس كمثل شيء ﴿^(٢) تم الكلام، ثم قال: ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴿ قال ابن عباس: يريد أجل الموت وأجل القيامة^(٣). ﴿فأبى الظالمون ﴿ المشركون ﴿إلا كفوراً ﴿ جحوداً بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة، قوله:

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ﴿ قال ابن عباس لو أنتم يا معشر المشركين تملكون خزائن الرزق ﴿إذا لأمسكتم ﴿ لبختم قال الزجاج أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحاً وبخلاً، وهو خشية الإنفاق^(٤) وقال ابن عباس وقتادة: خشية الفقر والفاقة^(٥)، وقال السدي خشية أن تنفقوا فتفتقروا^(٦) ﴿وكان الإنسان قتوراً ﴿ بخيلاً مسيكاً، يقال: قتر يقتري ويقتري قتراً وأقتر إقتاراً، وقتر تقتيراً، إذا قصر في الإنفاق، ثم ذكر إنكار فرعون آيات موسى عليه السلام، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين بحاله، وتسلياً للنبي ﷺ فقال:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْرِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ ﴿ قال المفسرون^(٧): هي الطوفان والجراد والقمل، والضفادع، والدم، والعصا ويده والسنون، ونقص من الثمرات، وقال القرطبي بدل السنين والنقص قلق البحر والطمس^(٨).

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن أيوب الرازي أنا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمه عن صفوان بن عسال^(٩) أن يهودياً قال لصاحبه: تعال، حتى

(١) سورة البقرة آية ١٣٧.

(٢) سورة الشورى آية ١١.

(٣) انظر معالم التنزيل ١٣٩/٣ بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢١٦/١٠ بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٢.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، تفسير البغوي ١٣٩/٣، عن قتادة تفسير القرطبي ٢١٧/١٠، الدر المنثور ٤/٢٠٤.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٣٩/٣، بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، معالم التنزيل ١٣٩/٣، تفسير القرطبي ٢١٧/١٠، تفسير الرازي ٥٤/٢١، البحر المحيط

٨٥/٦، روح المعاني ١٥/١٨٢.

(٨) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٥، تفسير البغوي ١٣٩/٣، القرطبي ٢١٧/١٠، الرازي ٥٤/٢١، البحر المحيط ٨٥/٦، روح

المعاني ١٥/١٨٢.

(٩) صفوان بن عسال المرادي صحابي نزل الكوفة. انظر التقريب (١/٣٦٨).

نسأل هذا النبي، قال: فأتيه فسأله عن هذه الآية ﴿ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ﴾، فقال لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة يهود ألا تعدوا في السبت، قال: فقبلوا يده فقالوا: نشهد أنك نبي الله قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود^(١).

قوله: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس يريد المؤمنين من قريظة والنضير^(٢) وإنما أمر بأن يسألهم ليكشف لعامة اليهود. يقول علمائهم صدق ما أتى به، وأخبر عنه، فيكون ذلك حجة عليهم وقوله: ﴿إذ جاءهم﴾ يعني موسى ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ قال أبو عبيد والفراء هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون^(٣) ويجوز أن يكون مفعولاً من السحر أي إنك قد سحرت، فعمل فيك السحر، فقال موسى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً [ودلالات]^(٤) وقراءة العامة بفتح التاء وهي قراءة ابن عباس، وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة علي رضي الله عنه^(٥) وكان يقول: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾^(٦) على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى قال الزجاج: الأجود في القراءة فتح التاء لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة فموسى يحتج بما علم هو، لا بما علم موسى^(٧) وقوله: ﴿وإني لأظنك يا فرعون﴾ أي أعلمك ﴿مشوراً﴾ قال ابن عباس ملعوناً^(٨) قال الفراء: المشور الملعون المحبوس عن الخير، تقول العرب: ما تبرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك^(٩) وقال قتادة مهلكاً^(١٠) وقال مجاهد هالكاً^(١١) وقال أبو عبيدة المعروف في الثبور والهلاك، والملعون هالك^(١٢)، قوله: ﴿فأراد﴾ يعني فرعون ﴿أن يستفزههم﴾ يزعجهم ويخرجهم يعني موسى وبني إسرائيل ﴿من الأرض﴾ أرض مصر قال الزجاج: أراد إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية، فأغرقه الله وقومه، وأورث بني إسرائيل مساكنهم وديارهم^(١٣) وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وأنه يفعل به وبالمشركين ما فعل بموسى وعدوه، ثم فعل ذلك، أظهر نبيه على المشركين ورده إلى مكة ظاهراً عليها، وقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني القيامة ﴿جئنا بكم لفيماً﴾ قال مجاهد

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٤ والحاكم في المستدرک ٩/١ كتاب الإيمان باب بيان تسع آيات

بينات، وصححه وأقره الذهبي وأحمد في المسند ٢٣٩/٤.

(٢) انظر زاد المسير ٩٣/٥.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٣٩/٣، عنهما تفسير الرازي ٥٥/٢١ عن الفراء تفسير القرطبي ٢١٨/١٠.

(٤) سقط في ب.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٣٠٦/٢، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٦) سورة النمل آية ١٤. انظر الطبري ١٧٤/١٥، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، تفسير الرازي ٥٥/٢١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير القرطبي ٢١٨/١٠، البحر المحيط ٨٦/٦.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٢/٢، تفسير البغوي ١٤٠/٣، تفسير البحر المحيط ٨٦/٦، الرازي ٥٦/٢١ كلهم عن الفراء.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، ابن كثير ١٢٤/٥، البحر المحيط ٨٦/٦ عن الحسن ومجاهد.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٤٠/٣، القرطبي ٢١٨/١٠، الرازي ٥٦/٢١، وعن قتادة.

(١٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٢/١.

(١٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

وقتادة جميعاً^(١): اللفيف: الجمع العظيم من أخلاط شتى^(٢)، والمعنى: جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً يعني جميع الخلق، المسلم والكافر، والبر والفاجر قوله:

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۚ قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا تُوْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۚ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۚ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۚ

﴿وبالحق أنزلناه﴾ أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم ﴿وبالحق نزل﴾ ومع الحق نزل ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ لمن أطاع بالجنة ﴿ونذيراً﴾ منذراً مخوفاً لمن عصى بالنار ﴿وقرآنًا فرقناه﴾ قال السوالي فصلناه^(٣) وقال السدي قطعناه آية آية وسورة سورة، ولم ينزله جملة^(٤)، قال قتادة كان بين أول القرآن وآخره عشرون سنة^(٥)، وهو معنى قوله: ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ قال مجاهد على تودة وترسل^(٦) وقال الزجاج فرقه الله في التنزيل ليفهمه الناس^(٧) ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ نجومياً بعد نجوم وشيئاً بعد شيء ﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿آمنوا﴾ بالقرآن ﴿أو لا تؤمنوا﴾ وهذا تهديد، أي فقد أندر الله، وبلغ الرسول ﷺ فاختاروا ما تريدون ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ من قبل نزول القرآن، يعني طلاب الدين مثل أبي ذر وسلمان وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: [للوجوه يريد]^(٨): يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم^(٩) واللام هنا بمعنى على ﴿ويقولون﴾ في سجودهم: ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا﴾ بإنزال القرآن، وبعث محمد ﷺ ﴿لمفعولاً﴾ وذلك أن هؤلاء كانوا يسمعون أن الله باعث نبياً من العرب، ومنزل عليه الكتاب فلما سمعوا القرآن، سجدوا لله وحمدوه على إنجاز الوعد ببعث الرسول والكتاب ﴿ويخرون للأذقان﴾ كرر القول، دلالة على تكرار الفعل منهم، وقال عبد الأعلى التيمي^(١٠) إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق ألا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء، فقال ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم﴾ تلا إلى قوله ﴿يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾^(١١) أي يزيدهم القرآن تواضعاً قوله:

(١) انظر تفسير الطبري ١٧٨/١٥، تفسير البغوي ١٤٠/٣ بلا نسبة القرطبي ٢١٩/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ١٨٧/١٥ عن ابن

عباس

(٢) انظر لسان العرب ٤٠٥٤/٥، ترتيب القاموس ١٥٨/٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٧٨/١٥، تفسير القرطبي ٢١٩/١٠ عن ابن عباس، معالم التنزيل ١٤١/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥، تفسير الرازي ٥٧/٢١، روح المعاني ١٨٨/١٥ عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٧٩/١٥، تفسير البغوي ١٤١/٣ بلا نسبة، القرطبي ٢٢٠/١٠ بلا نسبة، وعن ابن عباس، وابن جريج، روح المعاني ١٨٨/١٥ بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٤/٣.

(٨) سقط في ج.

(٩) انظر تفسير القرطبي ٢٢١/١٠، البحر المحيط ٨٨/٦، تفسير البغوي ١٤١/٣ مختصراً.

(١٠) انظر التاريخ الكبير ٧٢/٦.

(١١) انظر تفسير الطبري ١٨١/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٤، وزاد نسبه لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن المنذر

وابن أبي حاتم.

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبُرَ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة يا الله، يا رحمن فسمعه أبو جهل، وهم لا يعرفون الرحمن فقال: ان محمداً ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهها آخر مع الله يقال له الرحمن فأنزل الله ﴿قل ادعوا الله﴾^(١) أي قل يا محمد ادعوا الله يا معشر المؤمنين، أو ادعوا الرحمن أي إن شئتم قولوا: يا الله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن قال الزجاج أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحد فقال ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾^(٢) المعنى: أي أسماء الله تعالى تدعوا ﴿فله الأسماء الحسنَى﴾ وقوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ المخافاة الإخفاء، يقال خفت صوته يخفت خفوتاً إذا ضعف وصوت خفيف والرجل يخافت بقراءته إذا لم يبين قراءته برفع الصوت والجهر رفع الصوت وكان النبي ﷺ إذا جهر بالقرآن، سب المشركون القرآن، فأمره الله ألا يعرض القرآن لسبهم، ولا يخافت مخافاة لا يسمعونها من يصلي خلفه من أصحابه فقال ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافاة.

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال نا والذي نا محمد بن إسحاق الثقفي نا عبد الله بن مطيع وأحمد بن منيع^(٣) قالوا: حدثنا هشيم نا أبو بشر حكى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفت بمكة، فكانوا إذا سمعوا القرآن، سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا يسمعون ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ رواه البخاري^(٤) عن مسدد ورواه مسلم^(٥) عن عمرو الناقد، كلاهما عن هشيم.

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٢/١٥، معالم التنزيل ١٤٢/٣، روح المعاني ١٩١/١٥، تفسير القرطبي ٢٢٢/١٠، البحر المحيط ٨٩/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٤، ونسبة لابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٤/٣.

(٣) أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغدادي نزيل بغداد الأصم، ثقة حافظ مات سنة أربع وأربعين وله أربع وثمانون. انظر التقریب ٢٧/١، التهذيب ١١/١، ١٢، ١٣.

(٤) ٤٧١/١٣ كتاب التوحيد باب (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) (٧٤٩٠).

(٥) ٣٢٩/١ كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية ١٤٥ - ٤٤٦، والترمذي ٢٨٧/٥، كتاب التفسير سورة الإسراء ٣١٤٦. وقال: حسن صحيح: قال الراغب: عبر بالإنزال دون التنزيل، لأن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك شيئاً فشيئاً، ومنه قوله تعالى: ﴿حم والكتاب المين إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنا تنزيلاً﴾ ويؤيد التفصيل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾. فإن المراد بالكتاب الأول القرآن، وبالثاني ما عداه، والقرآن نزل نجوماً إلى الأرض بحسب الوقائع بخلاف غيره من الكتب، ويرد على التفصيل المذكور قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ وأجيب بأنه أطلق نزل موضع أنزل، قال: ولولا هذا التأويل لكان متداًفعاً لقوله (جملة واحدة) وهذا بناء هذا القائل على أن نزل بالتشديد يقتضي التفريق، فاحتاج إلى ادعاء ما ذكر، وإلا فقد قال غيره إن التضعيف لا يستلزم حقيقة التكثير بل يرد للتعظيم، وهو في حكم التكثير معنى فهذا يندفع الاشكال. انظر فتح الباري ٤٧٢/١٣.

أخبرنا: عبد الرحمن بن محمد الزمجاري أنا علي بن عبد الرحمن بن أبي السري البكائي أنا محمد بن عبد الله الحضرمي نا عبد الله بن عامر بن زرارة نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن أبيه عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني^(١) عن علي قال: كان أبو بكر يخافت إذا قرأ وكان عمر يجهر بقراءته، وكان عمار يأخذ من هذه السورة، ومن هذه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر لم تخافت؟ فقال إني أسمع من أناجي وقال لعمر: لم تجهر؟ فقال: أفزع الشيطان وأوقظ الوسنان^(٢) وقال لعمار: لم تأخذ من هذه وهذه؟ قال تسمعي أخلط به ما ليس منه؟ قال لا، قال: فكله طيب^(٣).

قوله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ قال قتادة كذب الله بهذه الآية اليهود والنصارى وأهل القرى عليه^(٤) ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ليس له من يشاركه في ملكه ﴿ولم يكن له ولي من الدن﴾ قال مجاهد: لم يخالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد^(٥)، والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالة أحد لذل يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير وهذا معنى قول الزجاج لم يحتج أن ينتصر بغيره^(٦) ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه عظمة تامة.

(١) هاني بن هانيء الهمداني الكوفي مستور. انظر التقريب ٣١٥/٢.

(٢) الوَسْن والوسنة والسِنَّة: شدة النوم أو أوله، أو النعاس انظر لسان العرب ٤٨٣٩/٦، ترتيب القاموس ٦١٢/٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/١٠٩، وأبو داود ٣٧/٢ كتاب التطوع باب في رفع الصوت ١٣٢٩.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٢٣ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٥/١٨٩، تفسير البغوي ٣/١٤٣ بنحوه، تفسير القرطبي ١٠/٢٢٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٥.

سورة الكهف

مكيّة وآياتها عشر ومائة

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون أنا همام عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف، كانت له نوراً يوم القيامة)^(١).

أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو الفضل الزهري نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب نا سعيد بن محمد الجرمي نا عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خلف الجهني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال (من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه)^(٢).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴿٢﴾ مَكِيثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۗ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخَعِّقِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۗ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۗ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ يعني القرآن على محمد ﷺ ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ أي لم يجعله ملتبساً لا يفهم ومعوجاً لا يستقيم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي، قال الزجاج لم يجعل فيه اختلافاً كما قال: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٣) يدل على هذا قوله: ﴿قيماً﴾ قال ابن عباس: مستقيماً عدلاً^(٤)، وهذا من التقديم والتأخير والتقدير: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.

(١) أخرجه مسلم ٥٥٥/١ مختصراً بنحوه، كتاب المسافرين ٢٥٧ - ٨٠٩. وانظر التخرج الآتي.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٥/١ كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف (٢٥٧ - ٨٠٩) وأبو داود ١١٧/٤ كتاب الملاحم (٤٣٢٣)، والترمذي ٢٨٨٦، وأحمد في المسند ٢٤٩/٣ والبيهقي في السنن (٢٤٩/٣) والحاكم في المستدرک ٣٦٨/٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٠).

(٣) سورة النساء آية ٨٢.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢٢٦/٣ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠١/١٥ هذا وقد نقل الرازي تفسير (قيماً) بـ (مستقيماً) عن ابن عباس (٦٤/٢١) وقال: وهذا عندي مشكل، لأنه لا معنى لنفي العوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار، =

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ قال ابن عباس: «لينذر عذاباً شديداً»^(١) والمعنى لينذر الكافرين بعذاب شديد ﴿من لدنه﴾ من عنده ومن قبله، وروى أبو بكر عن عاصم (من لدنه) بشد الدال إلى الضمة، وبكسر النون والهاء^(٢) وهو لغة الكلابيين، وروى أبو زيد عنهم أجمعين هذا (من لدنه)، فتحوا اللام، وضموا الدال، وكسروا النون^(٣). ﴿ويشير المؤمنون الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ ثواباً عظيماً وهو الجنة ﴿ماكتين فيها أبداً﴾ مقيمين في ذلك الأجر خالدين فيه، ﴿وينذر﴾ بعذاب الله ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ قال الكلبي والسدي: يعني اليهود والنصارى^(٤) «وقال محمد بن إسحاق» يعني قريشاً في قولهم الملائكة بنات الله^(٥).

﴿ما لهم به﴾ بذلك القول ﴿من علم﴾ لأنهم قالوا جهلاً وافترء على الله ﴿ولا لآبائهم﴾ الذين قالوا ذلك ﴿كبرت كلمة﴾ قال الفراء كبرت تلك الكلمة كلمة^(٦) وقال الزجاج كبرت مقاتلهم كلمة^(٧) وكلمة منصوب على التمييز.

وقوله ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي أنها قول بالفم لا صحة له، ولا دليل عليه ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ ما يقولون بذلك القول إلا كذباً، ثم عاتبه على حزنه بفوت ما كان يرجو من إسلامهم بقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ قال جماعة المفسرين^(٨) «قاتل نفسك» يقال: بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء، وقوله ﴿على آثارهم﴾ أي من بعدهم، أي من بعد توليهم وإعراضهم عنك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني القرآن ﴿أسفاً﴾ قال ابن عباس «غيظاً وحزناً»^(٩) وفي هذا إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

قوله: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ بما عليها من الماء والنبات والأشجار، والمعادن من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ويدخل في هذا كل ما على الأرض من ذي الروح والجماد. وقوله: ﴿لنبلوهم﴾ لنختبر الخلق والمعنى لنعاملهم معاملة المبتلى ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ هذا أم هذا؟ قال الحسن: أيهم أزهد في الدنيا وأترك لها^(١٠) وقال مقاتل «أيهم أصلح فيها من أوتي من المال فأحسن العمل أمّن زهد فيما زين له من الدنيا»^(١١) ثم أعلم الله عز وجل أنه مبيد ومفن

= وأنه باطل، وأن المراد من كونه (قيماً) أنه سبب لهداية الخلق، وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال فالأرواح البشرية كالأطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم. انظر الرازي (٦٤/٢١).

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٢٦/١٠، بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٢/١٥. بلا نسبة.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٩/٢.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٩٢/١٥، تفسير القرطبي ٢٢٩/١٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ٦٦/٢١ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٣/١٥ بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩٢/١٥، الرازي ٦٦/٢١ بلا نسبة، روح المعاني ٢٠٣/١٥ بلا نسبة.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤/٢.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٨/٣.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٢٣٠/١٠، تفسير الرازي ٦٧/٢١، روح المعاني ٢٠٤/١٥.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٩٥/١٥، روح المعاني ٢٠٥/١٥ تفسير البغوي ١٤٤/٣، بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٣٠/١٠ بنحوه بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٩٥/١٥، تفسير البغوي ١٤٤/٣ بنحوه بلا نسبة، تفسير القرطبي ٢٣١/١٠، عن سفيان الثوري مختصراً.

(١١) انظر زاد المسير ٧٩/٤، تفسير البغوي ١٤٤/٣ بلا نسبة.

ذلك كله بقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ الصعيد المستوي من الأرض والجرز التي لا نبات فيها، وقال مجاهد: «بلاقع ليس فيها نبات»^(١). وقال عطاء يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزاً ليس فيها ماء ولا نبات^(٢) وقوله:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ فَضَرْبَنَا عَلَىٰ أَعْيُنِنَا فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۖ

﴿أم حسبت﴾ معناه بل أحسبت ﴿أن أصحاب الكهف﴾ يعني الفتية الذين سئل النبي ﷺ عن قصتهم، والكهف مغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر فهو غار وقوله: ﴿والرقيم﴾ زعم كعب والسدي: «أن الرقيم اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف»^(٣) وقال سعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء «الرقيم الكتاب وهو لوح كانت فيه أسماؤهم»^(٤) قال الفراء: «ونرى أنه إنما سمي رقيماً، لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه، والرقيم الكتابة» وقوله: ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ قال مجاهد: لم يكونوا بأعجب آياتنا^(٥) وقال قتادة: يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك^(٦) قال الزجاج: أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف^(٧) ليست بعجيبة من آيات الله، لأن خلق السماوات والأرض وما بينهما مما يشاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف قوله: ﴿إذ أوى﴾ أي اذكر لقومك إذ أوى ﴿الفتية﴾ يعني أولئك الشبان، صاروا إلى الكهف، وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً ﴿وهيئ لنا﴾ وأصلح لنا من قوله: هيأت الأمر، فتهيأ ﴿من أمرنا رشداً﴾ الرشد والرشد والرشد نقيض الضلال، أي أرشدنا إلى ما يقرب منك والمعنى: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

قوله: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ قال المفسرون^(٨): «أنماهم» والمعنى: سدنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها.

وقوله: ﴿سنين عدداً﴾ أي ذات عدد يعني سنين كثيرة، ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم بعد نومهم ﴿لنعلم﴾ قال المفسرون^(٩): لنرى، وذكرنا وجه علم الله فيما يستقبل في مواضع^(١٠). ﴿أي الحزبين أحصى﴾ قال قتادة ومجاهد أي

(١) انظر تفسير مجاهد ٣٧٣/١.

(٢) انظر زاد المسير ١٠٧/٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٩٨/١٥، معالم التنزيل ١٤٥/١ عن كعب تفسير القرطبي ٢٣٢/١٠، الرازي ٧٠/٢١.

(٤) انظر معالم التنزيل ١٤٥/٣ عن سعيد بن جبير، تفسير القرطبي ٢٣٢/١٠، الرازي ٧٠/٢١.

(٥) انظر تفسير مجاهد ٣٧٣/١.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٩٧/١٥.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٠/٣.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٠٥/١٥، تفسير البغوي ١٥٢/٣، تفسير القرطبي ٢٣٦/١٠، تفسير الرازي ٧٠/٢١، روح المعاني

٢١٢/١٥، الدر المنثور ٢١٥/٤.

(٩) انظر تفسير البغوي ١٥٢/٣، تفسير القرطبي ٢٣٦/١٠، البحر المحيط ١٠٣/٦.

(١٠) من هذه المواضع آية ١٤ سورة آل عمران.

الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف أحصى عد مدة لبثهم، وعلم ذلك (١) وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله، ليتبين ذلك ويظهر قوله:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَانًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّمِيتَ مِنْهُمْ رُعبًا (١٨)

﴿نحن نقص عليك نبأهم﴾ خبر الفتية بالحق بالصدق ﴿إنهم فتية﴾ أحداث وشباب ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ ثبتناهم على الإيمان ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ألهمناهم الصبر ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين، حين قالوا بين يديه: ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ الآية. وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وحده، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططاً، وهو قوله: ﴿لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ كذباً وجوراً، وأصل الشطط مجاوزة القدر ﴿هؤلاء قومنا﴾ هذا من قول الفتية يعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ عبدوا الأصنام ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿يسلطان بين﴾ بحجة بينة ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له شريكاً في العبادة، قوله: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: هذا من قول يملیخا وهو رئيس أصحاب الكهف (٢) قال لهم ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ أي فارتتموهم، وتنجيتهم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام ﴿وما يعبدون﴾ أي اعتزلتم ما يعبدون ﴿إلا الله﴾ فإنكم لن تتركوا عبادته، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله، فقال اعتزلتم الأصنام، ولم تعزلوا الله ولا عبادته ﴿فأووا إلى الكهف﴾ صبروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يبسطها عليكم ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ قال ابن عباس: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه، ويأتكم باليسر وبالرفق واللطف، وكل ما ارتفعت به فهو مرفق، ويقال فيه أيضاً (مرفق) بفتح الميم (٣) وكسر الفاء كقراءة أهل المدينة وهما لغتان في مرفق اليد والأمر، قال الفراء وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر، ومن مرفق الإنسان، وقد تفتح العرب أيضاً الميم فيهما لغتان وكان الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين

(١) انظر تفسير الرازي ٧١/٢١، روح المعاني ٢١٢/١٥، كلاهما عن مجاهد.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠٨/١٥، تفسير القرطبي ٢٣٩/١٠، بلا نسبة، روح المعاني ٢٢٠/١٥.

(٣) انظر النشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٠/٢، روح المعاني ٢٢٢/١٥.

المرفق والأمر المرفق من الإنسان^(١) قوله: ﴿وترى الشمس إذا طلعت﴾ أي لو رأيتها، لرأيت كما ذكر الله تعالى ﴿تزاور عن كهفهم﴾ تتحي وتميل عنهم، ومعنى التزاور التمايل من الزور والأزور، وقراءة أهل الكوفة بحذف تاء التفاعل، وقرأ ابن عامر (تزور^(٢)) وقال الأخفش لا يوضع الأزورار في هذا المعنى وإنما يقال: هذا مزور عني أي منقبض.

وقوله: ﴿ذات اليمين﴾ أي ناحية اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ قال الأخفش والزجاج وأبو عبيدة تعدل عنهم وتركهم^(٣) تقول لصاحبك: هل وردت مكان كذا؟ فيقول المجيب إنما قرضته ذات الشمال، إذا مر به وتجاوز عنه قال الكلبي: يقول: إذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات اليمين يعني بين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال يعني شمال الكهف لا تصيبه وكان كهفهم نحو بنات نعش^(٤) في أرض الروم أعلم الله تعالى أنه بوأهم في مقناة^(٥) من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما، وتغير ألوانهم ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف، ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء، فقال ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي من الكهف والفجوة متسع في مكان ﴿ذلك﴾ أي ذلك التزاور والقرض ﴿من آيات الله﴾ من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية أصحاب الكهف، ولولا ذلك لم يهتدوا، فالمهتدي من هداه الله تعالى كهؤلاء ﴿ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ كدقيانوس الكافر وأصحابه، قوله: ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً جمع يقظ، ويقظان ﴿وهم رقود﴾ نائمون، مصدر سمي به كما يقال: قوم ركوع وسجود قال الكلبي: إنما يحسبون أيقاظاً لأن أعينهم مفتحة وهم نيام، ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال ابن عباس: لئلا تأكل الأرض لحومهم^(٦) وقال قتادة: ذكر لنا أن لهم في كل عام تقليبتين^(٧) وقوله ﴿وكلبهم﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين^(٨) أنهم هربوا من ملكهم ليلاً، فمروا براعٍ معه كلب، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه قال كعب مروا بكلب فتبعهم فطرده، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أولياء الله، فناموا حتى أحرسكم^(٩) وقال أبو عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم^(١٠) وقوله: ﴿باسط ذراعيه﴾ وهو أن يلقىهما على الأرض مبسوطتين، كافتراش السبع، وقوله: ﴿بالوصيد﴾ قال ابن عباس

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٦/٢.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٠/٢. تفسير القرطبي ٢٤٠/١٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٣/٣، تهذيب اللغة ٣٤٢/٨.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعش، لأنها مربعة وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش، لأن الكوكب مذكر فيذكره على تذكيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى، واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة، والتأنيث، وقيل: شبهت بحملة النعش في تربيعها، وجاء في الشعر بنو نعش. انظر لسان العرب ٤٤٧٤/٦، ترتيب القاموس ٣٩٩/٤.

(٥) مقناة ومقنوة بغير همز مكان من الظل حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء انظر لسان العرب (٣٧٦٠/٥).

(٦) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، تفسير القرطبي ٢٤١/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

(٧) تفسير القرطبي ٢٤١/١٠ عن أبي هريرة.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، تفسير القرطبي ٢٤١/١٠ عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير القرطبي ٢٤١/١٠.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ٢٤١/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

والمفسرون^(١): يعني فناء الكهف قال أبو عبيدة وأبو عبيد: «الوصيد فناء البيت»^(٢) ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ﴾ أي أشرفت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لوليت منهم فراراً ﴿لَأَدْبَرْتُ﴾ وانقلبت ﴿وَلَمَلْتُ مِنْهُمْ رِعْباً﴾ فزعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب لثلاث يدخل عليهم أحد.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة نا يزيد بن هارون أنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذين ذكر الله تعالى في القرآن، فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾ ولملت منهم رعباً ﴿فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَهُمْ﴾، فبعث رجلاً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فبعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم^(٣) وفي قوله: ﴿وَلَمَلْتُ﴾ قراءة التشديد والتخفيف^(٤) والاختيار التخفيف، لأنهم يقولون: ملأني رعباً، ولا يكادون يقولون: ملأني، قوله:

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبٌ فِيهَا إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢١﴾

﴿وكذلك﴾ أي وكما فعلنا بهم ما ذكر ﴿بعثناهم﴾ أحييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ كم مر علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال المفسرون^(٥) إنهم دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله تعالى في آخر النهار، ولذلك قالوا: يوماً فلما رأوا الشمس قالوا: أو بعض يوم، وكان قد بقي من النهار بقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ قال ابن عباس: «هو تملخها، رئيسهم، رد علم ذلك إلى الله»^(٦) ﴿فابعثوا أحداً بورقكم﴾ الورق الفضة، مضروبة وغير مضروبة. يقال: وَرِقٌ وَوَرَقٌ، وإنما قال هذه لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة قال ابن عباس وكانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم.

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٤/٣، عن مجاهد والضحاك تفسير القرطبي ٢٤٣/١٠، عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير، الرازي

٨٦/٢١، روح المعاني ٢٢٦/١٥ عن ابن عباس.

(٢) انظر مجاز القرآن ٣٩٧/١، تهذيب اللغة ٢٢٢/١٢.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف، وقال أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده صحيح.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١١/٢، تفسير القرطبي ٢٤٣/١٠، تفسير الرازي ٨٦/٢١.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٥٥/٣، تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، تفسير الرازي ٨٧/٢١.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٥٥/٣، تفسير الرازي ٨٧/٢١.

وقوله: ﴿إلى المدينة﴾ يعني دقوس وهي مدينتهم ويقال: هي اليوم طرسوس، ﴿فلينظر أيها أركى طعاماً﴾ قال عطاء وسعيد بن جبير أحل الذبائح، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، وفيهم قوم يخفون إيمانهم^(١) وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم لا تتبع طعاماً فيه ظلم ولا غضب^(٢) ﴿فليأتكم برزق منه﴾ بما تأكلونه ﴿وليتلطف﴾ وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه ﴿ولا يشعرون بكم أحداً﴾ قال ابن عباس: «لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة»^(٣) قوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا مكانكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرحم، وهو من أخبت القتل ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ قال ابن عباس: يردوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذا أبداً﴾ أي إن رجعتم إلى دينهم لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قوله: ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ قال المفسرون إن الفتية لما هربوا من ملكهم، ودخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف ليموتوا عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلوا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالوا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له: تندوسيس، وتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من يؤمن بالله تعالى، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا^(٤) إلى الله تعالى وتضرع وقال: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق ﴿وأن الساعة﴾ آتية ﴿لا ريب فيها﴾ فألقى الله في نفس الرجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني منه حظيرة لغنمه، ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على أمرهم، وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم، وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين فتية بعثهم الله تعالى، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة فلما بلغه الخبر حمد الله، وركب، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف فذلك قوله:

﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي وكما أنماهم وبعثناهم ﴿أعرنا﴾ أطلعنا وأظهرنا ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وأن القيامة لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ تنازع أهل ذلك الزمان في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم، وفيما يفعلون بعد أن اطلعوا عليهم فقال الله تعالى ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بشأنهم وعددهم، وقال مشركو ذلك الوقت ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ يعني استروهم من الناس بأن تجعلوه وراء ذلك البنيان، كما يقال: بنى عليه جداراً، إذا حوطه وجعله وراء الجدار ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ وهم المؤمنون الذين لم يشكوا في البعث الملك وأصحابه ﴿للتخذن عليهم مسجداً﴾ ذكر في القصة أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً وجعل عنده عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبعث والنشور، لأن المساجد للمؤمنين^(٥) قوله:

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، عن ابن عباس بنحوه، تفسير الرازي ٨٨/٢١ عنه.

(٢) انظر تفسير الرازي ٨٨/٢١، البحر المحيط ١١١/٦.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠، تفسير الرازي ٨٨/٢١ كلاهما بلا نسبة.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣.

(٥) في أ، جـ (وبكى).

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ أخبر الله تعالى أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران^(١) إلى النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت يعقوبية^(٢) منهم «كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم» وقالت النسطورية^(٣) كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقوله: ﴿رجماً بالغيب﴾ الرجم القول بالظن والحدس^(٤) وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء والمعنى: ظناً من غير يقين، كأنهم يرجمون القول فيهم بالغيب عنهم، وإنما حذف الواو من الجملتين المتقدمتين، لأن الذي فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما عقد الاتباع، لا سيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين.

قال أبو علي الفارسي قوله: رابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى وهي قوله: ثلاثة والتقدير: هم ثلاثة^(٥) وهذا معنى قول الزجاج^(٦): دخول الواو في وثامنهم وإخراجها من الأول واحد وقوله ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس، قال ابن عباس أنا من ذلك القليل.

أخبرنا: أبو علي الحسن بن أحمد بن حمشاذ أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان المذكر أنا محمد بن المسيب الأرمياني نا محمد بن النعمان بن شبل الباهلي نا يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال: أنا من أولئك القليل وهم: مكسملينا وتمليخا، ومرطونس، وبنينونس، وسارينونس، ودونانس، وكينشيطينونس، وهو الراعي، والكلب اسمه قطمير، كلب أنمر^(٧) فوق القلطي^(٨) ودون الكردي قال

(١) نجران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون وهو في عدة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة. انظر مراد الاطلاع ١٣٥٩/٣.

(٢) أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لهماً ودماً، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده بل هو هو. وعندهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ المائدة (٧٢)، وانظر تفصيل ذلك في الملل والنحل (٣٠/٢) ويسمون الآن (الأرثوذكس).

(٣) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم أضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به، كما قالت يعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر تفصيل هذا الضلال المبين في الملل والنحل للشهرستاني (٢٩/٢).

(٤) انظر لسان العرب ١٦٠١/٣، ترتيب القاموس ٣١٢/٢.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٤٩/١٠، البحر المحيط ١١٤/٦.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣.

(٧) النمرة: بالضم: النكته من أي لون كان، والأنمر: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى سوداء، انظر ترتيب القاموس ٤٤١/٤.

(٨) القلطي: القصير جداً انظر لسان العرب ٣٧٢٢/٥.

محمد بن المسيب^(١) القلطي كلب زيتي وقال ما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث إلا من لم يقدر له، قال: وكتب عني أبو عمرو الحيري [قال الشيخ رضي الله عنه]^(٢) وصدق ابن المسيب، فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الحيري هذا الحديث مروياً عن ابن المسيب.

أخبرنا: أبو بكر الحارثي نا [أبو الشيخ الحافظ]^(٣) عبد الله بن محمد بن حيان نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا المحاربي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الله تعالى عددهم، حتى انتهى إلى السبعة وأنا من القليل الذين يعلمونهم، هم سبعة^(٤) يعني أصحاب الكهف.

وقوله: ﴿فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً﴾ المرء في اللغة الجدل، يقال: ماري يماري مارة ومرء أي جادل والمعنى: لا تقل في أمرهم بغير ما أوحى إليك من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل ﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم﴾ من اليهود وأهل الكتاب ﴿أحدًا﴾ قال الفراء هم فريقان أتوه من نجران، يعقوبي، ونسطوري، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فنهى^(٥).

وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا ۚ

وقوله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال المفسرون^(٦) لما سألت اليهود رسول الله ﷺ عن خبر الفتية، قال: غداً ولم يقل إن شاء الله فحبس عنه الوحي، حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى يقول: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فقل إن شاء الله، قال الأخفش والمبرد ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فأضمر القول، ولما حذف [تقول، نقل]^(٧) شاء إلى لفظ الاستقبال وقوله ﴿وادكر ربك إذا نسيت﴾^(٨) الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره وقله إذا تذكرت.

قال سعيد بن جبيرة: إذا قلت لشيء إني فاعله غداً، فنسيت الاستثناء، ثم تذكرت فقل إن شاء الله، وإن كان بعد يوم، أو شهر أو سنة. وقال عمرو بن دينار له أن يستثني متى ذكر ﴿وقل عسى أن يهدين ربي﴾ الآية قال الزجاج عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب إلى الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف^(٩) ثم إن الله تعالى فعل به ذلك، حيث أتاه من علم غيوب المرسلين، وخبرهم، ما كان أوضح في الحجة، وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم فقال:

(١) محمد بن النعمان بن شبل البصري الباهلي مولاها، روى عن مالك وعطاف بن خالد، وفضيل بن عياض. روى عنه أبو روق النهراي، التهذيب (٤٩٣/٩).

(٢) سقط في ب، ج.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) انظر تفسير البغوي ١٥٧/٣، ابن كثير ١٤٤/٥، تفسير القرطبي ٢٤٩/١٠، تفسير الرازي ٩٠/٢١.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٨/٢.

(٦) انظر تفسير الطبري ١٩١/١٥، تفسير البغوي ١٥٧/٣، تفسير القرطبي ٢٥٠/١٠، تفسير الرازي ٩٢/٢١.

(٧) سقط في ب.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣.

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۚ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَّهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۚ وَآتَلْ مَا أُوْحِيَ
إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۚ

﴿ولبثوا في كهفهم﴾ يعني من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله تعالى وأطلع عليهم الخلق ﴿ثلاثمائة سنين﴾ قال الفراء والزجاج وأبو عبيدة والكسائي التقدير: سنين ثلاثمائة^(١) وقال أبو علي الفارسي سنين بدل من قوله: ﴿ثلاثمائة﴾ كما تقول: أعطيت ألفاً دراهم، ومائة أثواباً، وقرأ حمزة «ثلاثمائة سنين» مضافة غير منونة وهذه قراءة غير جيدة^(٢).

قال الأخفش: ولا يحسن إضافة المائة إلى السنين، ولا تكاد العرب تقول: مائة سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة^(٣) وقوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يعني تسع سنين فاستغني عن ذكر السنين بما تقدم من ذكرها ثم أخبر أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ وقال الكلبي قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض﴾ أي: «علم ما غاب فيهما عن العباد» ﴿أبصر به وأسمع﴾ هذا لفظ التعجب، كقولك: ما أبصره وأسمعه، والمعنى: ما أبصر الله بكل موجود، وأسمعه لكل مسموع. وقوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر ﴿ولا يشرك﴾ الله ﴿في حكمه أحداً﴾ فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً لله في حكمه وقرأ ابن عامر ﴿ولا تشرك﴾^(٤)، على معنى ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً، على النهي عن الإشراف في حكمه. ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ معناه: اتبع القرآن، واعمل به ﴿لا مبدل لكلماته﴾ قال ابن عباس لمواعيده وقال الزجاج أي ما أخبر الله به، وما أمر به فلا مبدل له^(٥) وعلى هذا يكون التقدير: لا مبدل لحكم كلماته ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ قال مجاهد والفراء: ملجأ^(٦) وقال الزجاج: لن تجد معدلاً عن أمره ونهيه^(٧).

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۚ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٨/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٢/٢، تفسير القرطبي ٢٥٢/١٠.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٨/٢، تفسير البغوي ١٥٨/٣ عن الفراء.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٣/٢، البحر المحيط ١١٧/٦، تفسير الرازي ٩٦/٢١.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٠/٣.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٣، معاني القرآن للفراء ١٣٩/٢، تفسير الرازي ٩٨/٢١، تفسير القرطبي ٢٥٣/١٠ بلا نسبة، البحر

المحيط ١١٨/٦.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٠/٣.

كَأَمْهَلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۚ ۝٣٠ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۚ ۝٣١

قوله: ﴿واصبر نفسك﴾ الآية أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء في دار السنة يوم الجمعة بعد الصلاة، في شهر سنة ست عشرة، وأربعمائة قال:

أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد ربه الحيري حدثنا: محمد بن إبراهيم البوشنجي نا الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني^(١) حدثنا سليمان بن عطاء القرشي عن مسلمة بن عبد الله الجهني^(٢) عن عمه أبي مشجعة^(٣) عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذوهم فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان، وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصفوف، لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك، وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ حتى بلغ ﴿إننا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ يتهددهم بالنار فقام النبي ﷺ، يلمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله تعالى قال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات»^(٤) وهذه الآية مفسرة في سورة الأنعام إلى قوله: ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾^(٥).

قال الوالبي عن ابن عباس لا تتعداهم إلى غيرهم^(٦) وقال الفراء: لا تنصرف عينك عنهم^(٧) وقال الزجاج لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة^(٨) وقوله ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني مجالسة أهل الشرف والغنى، وتريد ههنا في موضع الحال، أي مريداً، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين، مريداً مجالسة الأشراف، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء، طمعاً في إيمان أتباعهم ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا لأنه لم يمل إلى الدنيا قط، ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء، طمعاً في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بأن يجعل إقباله على فقراء المسلمين وألا يلتفت إلى غيرهم، وقوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ قال ابن عباس: يريد عيينة وأشباهه^(٩) أي لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك، ومعنى ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾^(١٠)

(١) الوليد بن عبد الملك بن المسرح الحراني أبو وهب. صدوق انظر الجرح والتعديل ١٠/٩.

(٢) مسلمة بن عبد الله بن ربيعي الجهني الحميري مقبول. انظر تقريب التهذيب ٢/٢٤٨.

(٣) أبو مشجعة بن ربيعي الجهني مقبول انظر التقريب ٢/٤٧٣.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢١٩، وعزاه لأحمد في الزهد عن ثابت وأخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٢٣٦، أبو نعيم في

الحلية ١/٣٤٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٣٢، وانظر أسباب النزول للمصنف ٢٠١.

(٥) سورة الأنعام آية ٥٢.

(٦) انظر تفسير البغوي ٣/٥٩ بنحوه بلا نسبة.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٠.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨١.

(٩) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٩ بلا نسبة، تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ١٠/٢٥٥ بلا نسبة.

جعلناه غافلاً عن القرآن والإسلام وكلمة التوحيد والإسلام وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه﴾ قال نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه، وتقريب صنابير أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد، ﴿واتبع هواه﴾ قال يعني الشرك ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال مجاهد ضياعاً^(١) وقال السدي: هلاكاً^(٢)، وأمر فرط متهاون به مضيع أصله من التفريط، وهو تقديم العجز، قال الزجاج: ومن قدم العجز في أمره أضاعه الله وأهلكه^(٣) ومعنى هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى، وقال الليث: الفرط الأمر الذي يفرط فيه تقول: كل أمر فلان فرط ثم أمره بما يقول هؤلاء الذين أمره بتنحية الفقراء وإدناء مجلسهم ليؤمنوا به، فقال ﴿وقل الحق من ربكم﴾ أي هذا الحق من ربكم، قال قتادة يعني القرآن^(٤)، وقال الزجاج: أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم^(٥) يعني لم أت به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من عند الله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ قال مجاهد والسدي: هذا وعيد من الله تعالى وإنذار^(٦) وقد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، فقال: ﴿إننا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ أي هيأنا وأعدنا لمن عبد غير الله ناراً ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق كل ما أحاط بالشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط.

أخبرنا: محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن أحمد بن حمدان الحيري أنا أحمد بن علي التميمي نا زهير نا الحسن بن موسى نا ابن لهيعة نا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: سرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة^(٧) «والمعنى أنهم وراء هذا الجدر وهي محيطة بهم» ﴿وإن يستغيثوا﴾ مما هم فيه من العذاب وشدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير والوالي والعوفي كدردي الزيت^(٨) وهو تفسير النبي ﷺ فيما:

أخبرنا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا: أبو عمرو بن مطر نا إبراهيم بن علي الذهلي نا يحيى بن يحيى نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل ﴿بماء كالمهل﴾ كعكر الزيت، فإذا قرب إليه، سقط فروة وجهه فيه^(٩) وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود أنه

(١) انظر تفسير البغوي ١٥٩/٣ عن مجاهد، وقاتدة، روح المعاني ٢٦٥/١٥، البحر المحيط ١٢٠/٦، تفسير الرازي ١٠٠/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٣٧/١٥، روح المعاني ٢٦٥/١٥ عن مجاهد.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٣.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٠/٦، عن مقاتل، ابن كثير ١٥٠/٥.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٣.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٢٥٥/١٠ بلا نسبة، الرازي ١٠٢/٢١ عن علي بنحوه.

(٧) أخرجه الترمذي ٥٠٨/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨٤، وقال هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وابن المبارك في الزهد ٩٠/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٩٠/١٠، والحاكم في المستدرک ٦٠١/٤ وانظر زاد المسير ١٣٤/٥.

(٨) انظر البغوي ١٦٠/٣، القرطبي ٢٥٦/١٠، روح المعاني ٢٦٨/١٥ كلهم عن ابن عباس، تفسير الرازي ١٠٣/٢١، البحر المحيط ١٢١/٦. وقوله دردي الزيت وهو ما يبقى في أسفله انظر لسان العرب (دردي).

(٩) أخرجه الترمذي ٦٠٧/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٢٥٨١، والطبري في تفسيره ١٥٧/١٥، والسيوطي في الدرر ٢٢٠/٤، وابن كثير في تفسيره ١٥١/٥، انظر القرطبي ٢٥٦/١٠، روح المعاني ٢٦٨/١٥، البحر المحيط ١٢١/٦.

سئل عن المهمل، فدعا بذهب وفضة فخلطهما فأذيبا حتى إذا أزيدا وانمعا، قال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهمل الذي هو شراب أهل النار^(١)!

وهذا القول اختيار الزجاج فقال: إنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب، أو الصفر^(٢) أو الفضة وقوله: ﴿يشوي الوجوه﴾ قال ابن عباس يشويها حتى يسقط لحمها فيه ثم ذمه فقال: ﴿بئس الشراب وساءت﴾ النار ﴿مرتفقاً﴾ أي منزلاً ومقرأً ومجلساً ومعنى المرتفق في اللغة، ما يرتفق به ثم يسمى الدار والمنزل مرتفقاً لأنه مما يرتفق به، ثم ذكر ما وعد المؤمنين، فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ أي: لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم بالأعمال الصالحة قوله: ﴿أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ قال الزجاج: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار، وهو زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك يسور في اليد ويتوج على الرأس^(٣) قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحد من فضة، وواحد من ذهب، وواحد من لؤلؤ ويواقيت^(٤) وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ «لو أن أدنى أهل الجنة حلية، عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة، أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً»^(٥) وقوله ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ قال المفسرون^(٦) السندس نمارق من الديداج والإستبرق ما غلظ منه، وهو اسم أعجمي، أصله الفارسية استبر، فنقل إلى العربية وقوله ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الاتكاء التحامل على الشيء، نحو التوكؤ ومنه قوله تعالى: ﴿أتوكأ عليها﴾^(٧) والأرائك جمع أريكة وهو سرير في حجلة^(٨) قال ابن عباس ومجاهد: الأرائك السرر في الحجال وهي من ذهب مكحلة بالدر والياقوت^(٩) ﴿نعم الثواب﴾ قال ابن عباس طاب ثوابهم وعظم ﴿وحسنت﴾ الأرائك ﴿مرتفقاً﴾ موضع ارتفاق بمعنى اتكاء.

﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۚ ٢٢ ۚ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۚ ٢٣ ۚ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۚ ٢٤ ۚ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ ٢٥ ۚ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۚ ٢٦ ۚ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي ۚ﴾

(١) انظر تفسير ابن سعود. تفسير البغوي ١٦٠/٣ عن ابن مسعود.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٢/٣.

(٣) انظر تفسير القرطبي ٢٥٨/١٠، روح المعاني ٢٧٠/١٥ بلا نسبة.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٢/٦، تفسير الرازي ١٠٤/٢١ بلا نسبة.

(٥) ذكره الهيثمي في الدر ٤٠٤/١٠، وعزاه للطبراني في الأوسط عن شيخه المقدم بن داود، وقال هو ضعيف، وقد وثق وبقية رجاله

ثقات وذكره السيوطي في الدر ٢٢١/٤، وزاد نسبه للبيهقي في البعث.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٦١/٣، البحر المحيط ١٢٢/٦.

(٧) سورة طه آية ١٨.

(٨) موضع يزين بالثياب والستور للعروس ترتيب القاموس ٥٩٦/١.

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٤٣/١٥، تفسير القرطبي ٢٥٨/١٠، روح المعاني ٢٧٢/١٥، تفسير البغوي ١٦١/٣.

أَحَدًا ۖ ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ ﴿٣٩﴾
 فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصَبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۖ ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصَبِّحُ
 مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۖ ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ۖ فَأَصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
 عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ۖ ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ
 الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ نَّوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۖ ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك
 ابنين، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، والآخر كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فكان إذا عمل أخوه شيئاً من
 زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، وأخذ به عند الله الجنان والقصور حتى نفذ ماله، فضربهما الله تعالى مثلاً
 للمؤمن والكافر الذي ابطرته النعمة^(١) وهو قوله ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ الحق الإحاطة
 بالشيء، ومنه قوله: ﴿حافين من حول العرش﴾^(٢). يقال: جعلنا النخل مطيفاً بهما ﴿وجعلنا بينهما﴾ بين الجنتين
 ﴿زرعاً﴾ ثم أخبر أنهما كانا يؤديان حملهما من نخلهما وأعنابهما، والزرع الذي كان بينهما، قال ﴿كلتا الجنتين آتت
 أكلها﴾ أي آتت صاحبها أكلها، وهو ما يؤكل منها من الربيع ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ لم تنقص، يقال: ظلمه حقه أي
 نقصه. ﴿وفجرنا خلالهما﴾ أنبطنا^(٣) وأخرجنا وسط الجنتين ﴿نهرأ وكان له﴾ للأخ الكافر ﴿ثمر﴾ قال الوالبي:
 مال^(٤) وقال مجاهد ذهب وفضة^(٥)، وقال قتادة: من كل المال، وقرىء ثمر وثمر وثمر بضم الثاء وسكون الميم^(٦) قال
 الليث: الثمر حمل الشجر والثمر أنواع المال يقال أثمر الرجل إذا كثر ماله وثمر الله مال فلان كثره^(٧) والثمر تخفيف
 الثمر مثل عتق وعتق والمفسرون على أن الثمر ههنا الأموال ﴿فقال لصاحبه﴾ لأخيه ﴿وهو يحاوره﴾ يراجعه الكلام،
 ويجاوبه ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ النفر والقوم والرهط معناها الجمع لا واحد لها من لفظها، قال ابن عباس يريد
 كثرة العبيد وعزه فيهم وقال قتادة وتلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة النفر، وهم الخدم والحشم^(٨)، وقال
 غيره: يعني عشيرة ورهطاً^(٩).

قوله: ﴿ودخل جنته﴾ قال المفسرون^(١٠) أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته، يطوف به فيها ويريه إياها، ويعجبه

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٥٩/١٠، روح المعاني ٢٧٣/١٥، كلاهما عن ابن عباس، تفسير الرازي ١٠٥/٢١، البحر المحيط
 ١٢٤/٦.

(٢) سورة الزمر آية ٧٥.

(٣) الماء ينبط إذا نبع انظر ترتيب القاموس ٣١٤/٤.

(٤) انظر البحر المحيط ١٢٥/٦، عن أبي عمرو بن العلاء.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٢/٣، البحر المحيط ١٢٥/٦، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠ عن ابن عباس، روح المعاني ٢٧٢/١٥، تفسير
 الرازي ١٠٧/٢١.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٤/٢، البحر المحيط ١٢٥/٦ تفسير البغوي ١٦٢/٣.

(٧) انظر تهذيب اللغة ٨٣/١٥، تفسير الرازي ١٠٦/٢١.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٦٢/٣، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠، روح المعاني ٢٧٥/١٥.

(٩) انظر تفسير البغوي ١١٦٢/٣، زاد المسير ١١٤٢/٥.

(١٠) تفسير البغوي ١٦٢/٣، تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠ بلا نسبة.

منها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ بالكفر بالله ﴿قال ما أظن أن تبید هذه أبداً﴾ أنكر فناء الدنيا وفناء جنته، وأنكر البعث والثواب والعقاب بقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ قال الزجاج أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا، وقيام الساعة^(١) ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ الآية قال ابن عباس: يريد إن كان البعث حقاً^(٢) ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ أي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه، لكرامتي عليه. ومن قرأ منهما، رد الكناية إلى الجنتين اللتين تقدم ذكرهما^(٣)، فأجابه صاحبه، مكفراً له بما قال: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ يعني أصل الخلقة ﴿ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ أكملك وجعلك معتدل الخلق والقامة ثم أعلمه أنه موحد، فقال ﴿لكننا هو الله ربي﴾ وأصله لكن أنا، فخففت الهمزة، وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها، فصار لكن فأدغموا النون الأولى في الثانية، فصار لكن ومن قرأ (لكننا) بإثبات ألف أنا فإنه أثبت الألف في الوصل^(٤) كما ثبت في الوقف على لغة من يقول أنا قمت، وهو غير مختار في القراءة، ثم أقبل على أخيه يلومه، قال: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ بمعنى هلا وتأويله التوبيخ، ﴿قلت ما شاء الله﴾ قال الفراء والزجاج: ما في موضع رفع على معنى الأمر ما شاء الله^(٥). أي هلا قلت حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، يعني إن شاء إخراج هذه الجنة وإهلاكها، كان ذلك بمشيئته ﴿لا قوة إلا بالله﴾ قال الزجاج لا يقوى أحد على ما في يديه من ملك ونعمة إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله^(٦)، ثم رجع إلى نفسه، فقال: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً﴾ أنا: عماد^(٧) وأقل مفعول ثان لترى ﴿فعمسى ربي أن يؤتيني﴾ قال ابن عباس: في الآخرة^(٨) ﴿خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء﴾، الحسبان المرامي يرمى بها، قال الضرب بن شميل: الحسبان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبه، ينزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة^(٩) والمعنى يرسل عليها مرامي من عذابه، إما برداً، وإما حجارة، أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ أرضاً لا نبات فيها والزلق المكان المزلقه، والمعنى أنها تصير جرداء لا نبات فيها ﴿أو يصبح ماؤها﴾ يعني النهر الذي في خلالها ﴿غوراً﴾ غائراً ذاهباً في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ لا يبقى له أثر بطلبه به ﴿وأحيط بشمره﴾ يعني أهلك، وأحيط العذاب بأشجاره ونخيله، ﴿فأصبح﴾ الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ قال ابن عباس يضرب يديه واحدة على الأخرى^(١٠) وتقلب الكفين يفعله الندام كثيرأ فصار عبارة عن الندم ﴿على ما أنفق فيها﴾ في جنته ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها وما عرش بكرومها ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ أخبر الله أنه سلبه ما أنعم عليه في الدنيا، فندم حين لم تنفعه الندامة، وتمنى أنه كان موحداً غير مشرك، قوله: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ قال ابن عباس لم ينصره النصر الذين افتخر بهم في قوله ﴿وأعز نفراً﴾^(١١) ﴿وما كان منتصراً﴾ بأن يسترد بدل ما ذهب منه،

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٥/٣.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٦٢/١٠.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٣٠١/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٤/٢.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٥/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٣.

(٧) عماد أي مسند إليه

(٨) انظر تفسير البغوي ١٦٣/٣، تفسير القرطبي ٢٦٥/١٠، روح المعاني ٢٨٠/١٥.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٣٣٢/٤.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٦٣/٣، تفسير القرطبي ٢٦٦/١٠، تفسير الرازي ١٠٩/٢١ كلهم بلا نسبة.

(١١) انظر تنوير المقباس ١٧٧/٣.

وضربت هذه القصة مثلاً للمؤمن والكافر فالكافر تغره دنياه، ويتبجح بها، ويظن أنها تبقى له، والمؤمن من صبر على نوائبها، احتساباً بها جميل الآخرة، ولا يركن إليها، لما يعلم من فوائدها، وسرعة انقضائها، وقبل ذكر قصة الأخوين، ذكر الله ما أعد للكافرين والمؤمنين، ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة، فقال ﴿هنالك﴾ قال الكلبي يقول عند ذلك وهو يوم القيامة^(١) ﴿الولاية﴾ أكثر القراءة على فتح الواو^(٢) والولاية نقيض العداوة ويجوز الكسر فيها، ذكرنا ذلك في سورة الأنفال وقوله: ﴿الله الحق﴾ من كسر القاف جعله من وصف الله تعالى، ويدل على صحة هذه القراءة قوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾^(٣) وقوله: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾^(٤) ومن ضم القاف^(٥)، جعله من وصف الولاية وحجته قراءة أبي ﴿هنالك الولاية الحق لله﴾ قال ابن قتيبة: يريد يومئذ يتولون الله تعالى ويؤمنون به، ويتبرأون مما كانوا يعبدون^(٦) وذهب آخرون إلى أن الولاية [ههنا]^(٧) بمعنى تولى الأمر لا إلى معنى الموالاته، فقالوا: معنى الآية في ذلك الموطن الذي هو موطن الجزاء، لا يتمكن أحد من نصر أحد، بل الله تعالى يتولى ذلك، فينصر المؤمنين، ويخذل الكافرين لا يملك ذلك أحد من العباد، فالولاية يومئذ تخلص له، كما قال: ﴿مالك يوم الدين﴾^(٨) وقوله ﴿هو خير ثواباً﴾ يقول: هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه على تقدير لو كان يثيب غيره، هو^(٩) خير ثواباً ﴿وخير عقاباً﴾ أي عاقبة طاعته، خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير عقب طاعة وإثابة ثم حذف المضاف إليه قوله:

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ أَمْلاً ۝٤٦

﴿واضرب لهم﴾ يعني قومك ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ وهذا مفسر في سورة يونس إلى قوله ﴿فأصبح هشيماً﴾ وهو الكسير المتفتت، والهشم الكسر، والهشيم ما تكسر وتحطم من يبس النبات ﴿تذروه الرياح﴾ الذرو: حمل الريح الشيء، ثم نشره وتفرقه يقال: ذرته الريح تذروه قال المفسرون^(١٠) ترفعه وتفرقه ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدراً﴾ قادراً على إنشاء النبات ولم يكن، ثم أفناه. قوله: ﴿المال والبنون﴾ الآية هذا رد على

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٦٧/١٠ بلا نسبة.

(٢) اختلف القراءة في لفظ (الولاية) ففي قراءة حمزة والكسائي بكسر الواو، وفي قراءة الباقيين بالفتح، وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كسر الواو لحن قال الزمخشري: الولاية بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك. انظر تفسير الرازي

١١٠/٢١، النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢١٦.

(٣) سورة النور آية ٢٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٦٤.

(٥) قرأ أبو عمرو والكسائي: (الحق) بالرفع، والتقدير هنالك الولاية الحق لله، وقرأ الباقيون بالجر صفة لله، كما أشار المصنف رحمه الله، انظر المصادر السابقة.

(٦) انظر غريب القرآن ٢٦٨.

(٧) في ب (هنالك).

(٨) سورة الفاتحة ٤. انظر تفسير الطبري ٢٥١/١٥، زاد المسير ١٤٧/٥.

(٩) في ب، جـ (لكان هو).

(١٠) انظر تفسير البغوي ٣/١٦٤ عن ابن عباس، تفسير القرطبي ٢٦٨/١٠ عن أبي عبيدة، روح المعاني ١٥/٢٦٨ عن أبي عبيدة والأحفش.

الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء ، أخبر الله تعالى أن ذلك مما يترين به في الحياة الدنيا، لا مما ينفع في الآخرة ﴿والبقيات الصالحات﴾ يعني ما يأتي به سلمان، وصهيب وفقراء المسلمين، وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك^(١).

أخبرنا: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج أنا أبو بكر بن المؤمل أنا الفضل بن محمد البيهقي أنا عبد الله بن صالح نا كثير بن سليم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال لجلسائه: خذوا جنتكم، قالوا: أحضر عدو؟ قال: خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن المقدمات وهن المنجيات وهن المعقبات وهن البقيات الصالحات^(٢).

أخبرنا: محمد بن علي بن حبيب الوراق أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا محمد بن حمدون بن خالد نا الحسن بن الفضل نا يوسف بن عيسى نا عكرمة عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: رسول الله ﷺ إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن من البقيات الصالحات^(٣) فتولوها. وقال في رواية سعيد بن جبيرة: هي الصلوات الخمس وهو قول مسروق وابن مسعود وإبراهيم^(٤) وقال في رواية علي بن أبي طلحة هي الأعمال الصالحات وجميع الحسنات وهو قول قتادة^(٥) وقال: كل طاعة لله فهي من البقيات الصالحات^(٦) واختاره الزجاج فقال: هي كل عمل صالح يبقى ثوابه^(٧).

وقوله: ﴿خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين^(٨): قوله:

وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۗ ﴿٤٧﴾ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۗ ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۗ ﴿٤٩﴾

(١) انظر تفسير الرازي ١١٢/٢١ بلا نسبة.

(٢) في سننه كثير بن سليم الضبي البصري المدائني ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وقال النسائي: متروك وقال أبو زرعة: واه، انظر ميزان الاعتدال ٤٠٥/٣ تهذيب التهذيب ٤١٦/٨. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٤١/١، كتاب الدعاء باب دعاء وقت الاضطجاع وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والطبراني في الصغير ١٤٥/١، والخطيب في التاريخ ٣٣٦/٩. وابن عدي في الكامل ٢٠٨٥/٦ وذكره السيوطي في الدرر ٢٢٥/٤.

(٣) أخرجه الطبراني موقوفاً كذا في مجمع الزوائد ٩٣/١، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه البغوي في التفسير ١٦٤/٣.

(٤) انظر تفسير البغوي عن سعيد بن جبيرة، ومسروق، وإبراهيم وابن عباس، تفسير القرطبي ٢٦٩/١٠ عن ابن عباس وابن جبيرة وغيرهم.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٥/٣ مختصراً، روح المعاني ٢٨٧/١٥، تفسير الرازي ١١٢/٢١.

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥٦/١٥، واختار أن المراد بالبقيات الصالحات جميع أعمال الخير، وقال: فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بحديث «سبحان الله» فإن ذلك بخلاف ما ظن فمراد الحديث من البقيات سبحان الله.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣.

(٨) انظر القرطبي ٢٦٩/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٢٨٧/١٥ بلا نسبة.

﴿ويوم﴾ أي وأذكر يوم تسير الجبال من وجه الأرض كما يسير السحاب في الدنيا ، ثم يكسر ، فيعود في الأرض، كما قال ﴿ويست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً﴾^(١) وقرىء ﴿نسير﴾ الجبال على بناء الفعل للفاعل وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر﴾ وقوله: ﴿وترى الأرض بارزة﴾ أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر، ﴿وحشرناهم﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فلم نغادر﴾ لم نترك ولم نخلف ﴿منهم﴾ أحداً وعرضوا على ربك ﴿يعني المحشورين﴾ صفاً ﴿مصفوفين كل زمرة وأمة صف﴾ ﴿لقد جثتمونا﴾ أي: فيقال لهم: لقد جثتمونا ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ قال ابن عباس حفاة عراة^(٢) وقال الزجاج أي بعثناكم وأعدناكم ثانياً كما خلقناكم، لأن قوله ﴿لقد جثتمونا﴾ معناه بعثناكم^(٣) ﴿بل زعمتم﴾ خطاب لمنكري البعث خاص، معناه: بل زعمتم في الدنيا ﴿ألن نجعل لكم موعداً﴾ للبعث والجزاء ﴿ووضع الكتاب﴾ يعني كتاب أعمال الخلق والكتاب اسم الجنس فيعم، والمعنى: وضع كتاب كل امرئ في يمينه أو شماله، ﴿فترى المجرمين﴾ يريد المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الأعمال السيئة ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ لوقوعهم في الهلكة يدعون بالويل على أنفسهم ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ قال ابن عباس في رواية عكرمة: الصغيرة التسم والكبيرة الضحك^(٤) وقال سعيد ابن جبير: الصغيرة اللحم والكبيرة الزنا^(٥) ﴿إلا أحصاها﴾ عدداً وأثبتها وكتبها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ مكتوباً مثبتاً ذكره في الكتاب، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ لا يعاقبه بغير جرم ثم أمر نبيه أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء، قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَدُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِي الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٣﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا
عِنَهَا مَصْرَفًا ﴿٥٤﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا﴾ إلى قوله ﴿كان من الجن﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء إن ملائكة السماء الدنيا يقال لهم الجن^(٦) مثل قوله ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾^(٧) يعني حين قالوا: الملائكة بنات الله تعالى وقال شهر بن حوشب قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة من قبيل يقال لهم الجن^(٨) وقوله ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ خرج من طاعة ربه إلى معصيته في ترك السجود^(٩) قال الفراء والعرب تقول:

(١) سورة الواقعة ٥-٦ .

(٢) انظر الطبري ٥٤٣/١٥، تفسير القرطبي ٢٧١/١٠ بلا نسبة، روح المعاني ٢٩٠/١٥ بلا نسبة، تفسير الرازي ١١٤/٢١ بلا نسبة .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣ .

(٤) انظر تفسير البغوي ١٦٦/٣، تفسير القرطبي ٢٧٢/١٠، روح المعاني ٢٩٢/١٥ الدر المنثور ٤/٢٢٦ .

(٥) انظر تفسير البغوي ١٦٦/٣، القرطبي ٢٧٢/١٠، روح المعاني ٢٩١/١٥ .

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥٩/١٥، تفسير البغوي ١٦٦/٣ .

(٧) سورة الصافات آية ١٥٨ .

(٨) انظر روح المعاني ٢٩٣/١٥ بلا نسبة .

(٩) بين الله تعالى: في هذه الآية أن إبليس كان من الجن، وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال. الأول: أنه من الملائكة وكونه من =

فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه^(١) ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ قال قتادة والحسن يعني أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم^(٢) وكان مجاهد يذكر من ذريته زلتبور صاحب راية إبليس بكل سوق وثمر صاحب المصائب، والأعور صاحب أبواب الزنا، ومسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس لا يوجد لها أصل، وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسم ولم يذكر الله تعالى، يضره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه وإذا أكل ولم يذكر اسم الله تعالى، أكل معه فهؤلاء ذريته^(٣) وروى ليث عن مجاهد قال: ذريته الشياطين وقوله ﴿أولياء من دوني﴾ قال الكلبي ليس يصلون له، ولا يصومون ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده، ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ قال الحسن بئس ما استبدلوا نعمة ربهم إذ أطاعوا إبليس فبئس ذلك بدلاً لهم^(٤)، قوله ﴿ما أشهدتهم﴾ أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته ﴿خلق السماوات والأرض﴾ يعني أنه لم يشاورهم في خلقهما بل خلقهما وخلقهم على ما أراد وقدر من غير مشاورة لهم، وهذا إخبار عن كمال قدرته، واستغنائه عن الأنصار والأعوان يدل على هذا قوله: ﴿وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾ أي الشياطين الذين يصلون الناس عضداً قال قتادة أعواناً يعضدونني عليه والعضد كثيراً ما يستعمل في معنى العون وذلك أن العضد قوام اليد ومنه قوله: ﴿سنشدك عضدك بأخيك﴾^(٥) أي سنعينك، ونقولك به، ووجد العضد، لوفاق الفواصل قوله ﴿ويوم يقول﴾ قال ابن عباس يريد يوم القيامة، يقول الله تعالى يوم القيامة: ادعوا الذين أشركتم بي، ليمنعوكم من عذابي^(٦) وهو قوله: ﴿نادوا شركائهم الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يجيبوهم، لأنهم كانوا جماداً ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿موبقاً﴾ ذكر في التفسير أنه اسم وإد عميق فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وهو قول مجاهد وقاتدة^(٧) ونوف البكالي^(٨) قال ابن الأعرابي وكل حاجز بين الشيتين فهو موبق^(٩) قال ابن عباس في رواية الوالبي مهلكاً^(١٠) قال الفراء يقول جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً، أي مهلكاً لهم في الآخرة^(١١)، والبين على هذا القول معناه التواصل، كقوله ﴿لقد تقطع بينكم﴾^(١٢) في قراءة من قرأ

= الملائكة لا ينافي كونه من الجن ولهم فيه وجوه الأول: أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ الصافات (١٥٨). ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ الأنعام (١٠٠) والثاني: أن الجن سما جناً للاستار، والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن. الثالث: أنه كان خازن الجنة، ونسب إلى الجنة كقولهم كوفي وبصري. والقول الثاني: أنه من الجن الذين هم الشياطين، والذين خلقوا من نار وهو أبوهم. والقول الثالث: قول من قال كان من الملائكة فمسخ. انظر الرازي (١١٦/٢١).

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، روح المعاني ٢٩٣/١٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣. عن قتادة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٢/١٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣.

(٤) انظر زاد المسير ١٥٤/٥، تفسير البغوي ١٦٧/٣ عن قتادة تفسير القرطبي ٢٧٣/١٠ بلا نسبة، تفسير الرازي ١١٧/٢١ بلا نسبة.

(٥) سورة القصص آية ٣٥.

(٦) انظر زاد المسير ١٥٥/٥، تفسير القرطبي ٤/١١ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٣، عن مجاهد، تفسير القرطبي ٤/١١ عن مجاهد ونوف البكالي.

(٨) نوف بن فضالة البكالي ابن امرأة كعب، شامي مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. انظر التقريب ٣٠٩/٢.

(٩) انظر تهذيب اللغة ٣٥٤/٩.

(١٠) انظر زاد المسير ٥٥/٥، تفسير البغوي ١٦٨/٣، تفسير القرطبي ٤/١١، كلاهما عن عطاء والضحاك، روح المعاني ٢٩٨/١٥ بلا

نسبة.

(١١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢، تفسير الرازي ١١٩/٢١، عن الفراء.

(١٢) سورة الأنعام آية ٩٤.

بالرفع، والمعنى: أن تواصلهم وتعاونهم ومخالطهم^(١) في الكفر واجتماعهم على عداوة محمد ﷺ يسبب هلاكهم في الآخرة، يقال: ببق وبقاً يوبق فهو بوق ذكره الفراء في المصادر قال وحكى الكسائي وبق يبق وبوقاً فهو وابق، قال ولم أسمعها^(٢)، قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ قال ابن عباس يريد المشركين^(٣) «رأوها وهي تلتظي حنقاً عليهم» ﴿فظنوا﴾ علموا وأيقنوا ﴿أنهم واقعوها﴾ واردوها وداخلوها ومعنى الواقعة الملاسة للشيء بشدة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ لأنها أحاطت بهم من كل جانب فلم يقدروا على الهرب ولا على الرجوع عنها المصرف الموضع الذي يصرف إليه، قوله:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۗ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَبَدًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ۖ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل، وقوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ قال ابن عباس يريد النضر بن الحارث وجداله في القرآن^(٤) وقال الكلبي يعني أبي بن خلف^(٥) وقال الزجاج معناه كان الكافر، يدل عليه قوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾^(٦) قوله ﴿وما منع الناس﴾ يعني أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ أي الإيمان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ محمد ﷺ جاءهم من الله تعالى بالرشاد والبيان ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عطف على أن يؤمنوا ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ وهو أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا يقول: لقد قدرت على هؤلاء العذاب، فذلك الذي يمنعهم عن الإيمان، وهذه الآية فيمن قتلوا من المشركين بيد واحد وهو قوله ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ أي عياناً مقابلة، وقرأ أهل الكوفة قبلاً جمع قبيل^(٧) أي: صنفاً صنفاً، وقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين^(٨) وأتباعهم وجدالهم بالباطل أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحون ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ليبتلوا به ما جاء به محمد ﷺ، يقال: دحضت

(١) الخل: الصديق المختص، انظر ترتيب القاموس ١٠٢/٢. والمخالفة: المصادقة.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٧/٢.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٦٨/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/١١ روح المعاني ٣٠٠/١٥، كلاهما بلا نسبة.

(٥) انظر تفسير القرطبي ٦/١١ بلا نسبة، روح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/٣.

(٧) انظر النشر في القراءات العشر ٢٦٠/٢.

(٨) انظر تفسير الطبري ٢٧٠/١٥، القرطبي ٦/١١ بلا نسبة.

حجته أي بطلت، وأدحضت حجته إذا أبطلتها وقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ يعني القرآن ﴿وما أنذروا﴾ وما خوفوا به من النار والقيامة ﴿هزوا﴾ مهزواً به، قوله: ﴿ومن أظلم﴾ استفهام معناه التقرير أي لا أحداً ظلم ﴿من ذكر﴾ وعظ ﴿بآيات ربه﴾ بالقرآن وما فيه من الوعيد ﴿فأعرض عنها﴾ تهاوناً بها ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ يعني ما سلف من ذنوبه، وما بعد هذا مفسر في سورة الأنعام ﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ إلى الإيمان والقرآن ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ قال الزجاج أخبر الله تعالى أن هؤلاء أهل الطبع على قلوبهم^(١) ﴿وربك الغفور﴾ الغافر الساتر على عباده ﴿ذو الرحمة﴾ حين لم يعاجلهم بالعقوبة وهو قوله: ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد﴾ للبعث والحساب ﴿لن يجدوا من دونه موثلاً﴾ منجى وملجأ، قال: وأل يثل وألا، إذا نجا، قوله ﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾ يعني أهلها، ولذلك قال: أهلكناهم قال ابن عباس يريد ما أهلك بالشام واليمن^(٢) ﴿لما ظلموا﴾ أشركوا وكذبوا الأنبياء ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ يجوز أن يكون المهلك ههنا مصدرأ، ويجوز أن يكون وقتاً، والمعنى: جعلنا لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم ومن قرأ: لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام^(٣) كان المعنى لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتحها، فهو مصدر مثل الهلاك وقوله: ﴿موعداً﴾ أي وقتاً وأجلاً، قوله:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أBRحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ لِّقَيْنَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَضَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأرْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأَٰيَتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ءَ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾

﴿وإذ قال موسى لفتناه﴾ الآية.

أخبرنا: أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله^(٤).

أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٧٠/١٥.

(٣) قرأ حفص بفتح الميم، وكسر اللام، وقرأ أبو بكر بفتح الميم واللام انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢١٨/٢).

(٤) انظر تفسير البغوي ١٧٠/٣، تفسير القرطبي ٨/١١ بنحوه، تفسير الرازي ١٢٢/٢١.

موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت، فهو ثم، فأخذ حوتاً، فجعله في مكمل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومها وليلتها، حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال: ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال فتاه: أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما، حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله تعالى، لا تعلمه، علمنيه، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر، فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منك ذكراً، ﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول^(١) فلما ركبا في السفينة، لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم، فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، قال: ﴿ألم أقل﴾ ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾؟ قال ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نفرة، فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقر هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿إن سألتك عن شيء فلا﴾، إلى قوله: ﴿يريد أن ينقض﴾، قال: مائلاً فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لتخذت عليه أجراً قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر، حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، رواه البخاري^(٢) عن الحميدي، ورواه مسلم^(٣) عن ابن أبي عمر كلاهما عن سفيان .

وقوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ معناه: واذكر ذلك، لما في تلك القصة من العبرة، قوله ﴿لفتاه﴾ أجمعوا على أنه يوشع بن نون، قال الفراء: إنما سمي فتى موسى، لأنه كان ملازماً له، يأخذ عنه العلم ويخدمه^(٤) ﴿لا أبرح﴾ لا أزال، ومنه قوله ﴿لن نبرح عليه عاكفين﴾^(٥) والمعنى: لا أزال أسير، حتى أبلغ مجمع البحرين، قال قتادة: يعني بحر

(١) نول: أي عطاء، انظر ترتيب القاموس ٤/٤٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٢٦٢ كتاب التفسير باب قوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾، (٤٧٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٨٤٧) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (١٧٠ - ٢٣٨٠).

(٤) انظر روح المعاني ١٥/٣١١ بلا نسبة.

(٥) سورة طه آية ٩١.

فارس وبحر الروم، وكان ذلك الموضع الذي وعد موسى للقاء الخضر^(١) وقوله ﴿أو أمضي حقباً﴾ أي أسير حقباً قال الوالي «دهراً»^(٢) والحقب عند أهل اللغة ثمانون سنة^(٣)، والمعنى: لا أزال أسير، وإن احتجت إلى أن أسير حقباً، حتى أبلغ مجمع البحرين ﴿فلما بلغا﴾ يعني موسى وصاحبه ﴿مجمع بينهما﴾ بين البحرين، وهو حيث وعد للقاء الخضر وقوله: ﴿نسيا حوتهما﴾ قال المفسرون^(٤) كانا فيما تزودا حوت مملح في زبيل^(٥) فكانا يصيبان منه الغذاء والعشاء فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر، وضع فتاه المكلت، فأصاب الحوت ندى البحر فتحرك في المكلت فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود معك حوتاً مالحاً فحيث تفقد الحوت ثم، تجد الرجل العالم، فلما انتهيا إلى الصخرة قال لفتاه: امكث حتى آتيك وانطلق موسى لحاجته فجرى الحوت حتى وقع في البحر فقال «قتادة» إذا جاء نبي الله حدثته فأنساه الشيطان، فذلك قوله ﴿نسيا حوتهما﴾ وإنما نسيه يوشع أن يذكر قصته لموسى، فأضيف النسيان إليهما توسعاً، لأنهما جميعاً تزودانه، فصار كما يقال: نسي القوم زادهم وإنما نسيه أحدهم، وقوله: ﴿فانخذ سبيله في البحر سرباً﴾ قال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً، وقال الربيع بن أنس انجاب^(٦) الماء عن مسلك الحوت، فصار كوة^(٧) لم يلتئم، والسرب معناه في اللغة المحفور في الأرض^(٨)، لا نفاذ له، شبه مسلك الحوت في الماء، والماء منجاب عنه بالسرب، كما قال الفراء لما وقع في الماء جمده مذهب في البحر فكان كالسرب^(٩) ﴿فلما جاوزا﴾ ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة، وذهب الحوت، انطلقا فأصابهما ما يصيب المسافرين من النصب والكلال، ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز الموضع الذي يريده فدعا بالطعام ليأكل، وهو قوله: ﴿آتنا غداءنا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغذاء ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ وهو الإعياء من العناء والفعل نصب ينصب، فلما قال له موسى ذلك، تذكر قصة الحوت، فقال لموسى: ﴿أرأيت إذ أومنا إلى الصخرة﴾ يعني حين نزلا هناك ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أن أحدثكه، ثم اعتذر فقال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ وذلك أنه لو ذكر لموسى قصة الحوت عند الصخرة، ما جاوزها موسى، وما ناله النصب الذي اشتكاه ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر عجباً﴾ أي سبيلاً عجباً، وهو أن الماء انجاب عنه، وبقي كالكوة لم يلتئم، فلما قال هذا يوشع ذكر موسى ما كان عهد إليه أنه يدلك عليه بعض زادك ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ أي نطلب ونريد من العلامة ﴿فارتدا على آثارهما﴾ رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاء منه ﴿قصصاً﴾ يقصان آثارهما قصصاً، والقصص اتباع الأثر، ومنه قوله: ﴿قصصه﴾^(١٠)، قوله: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾ أي أدركا الخضر واسمه بليا بن ملكان، وإنما سمي الخضر

(١) انظر تفسير الطبري ٢٧١/١٥، تفسير البغوي ١٧١/٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٧١/١٥، روح المعاني ٣١٢/١٥ عن ابن عباس. تفسير البغوي ١٧١/٣ بلا نسبة، تفسير الرازي ٢٤/٢١ بلا نسبة.

(٣) انظر لسان العرب ٩٣٨/٢.

(٤) انظر روح المعاني ٣١٤/١٥، تفسير الرازي ١٢٤/٢١.

(٥) الزبيل وعاء يحمل فيه انظر لسان العرب ١٨٠٨/٣ (زبل).

(٦) انجاب الماء: أي انخرق. انظر ترتيب القاموس ٥٥٠٨ - ٥٥١.

(٧) الكوة: الخرق في الحائط انظر ترتيب القاموس ١٠٤/٤.

(٨) انظر ترتيب القاموس ٥٤٣/٢.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٤/٢.

(١٠) سورة القصص آية ١١.

لأنه إذا صلى في مكان، اخضر ما حوله ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعني نبوة^(١) ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أعطيناه علماً من علم الغيب^(٢)، فقال: ﴿له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ أي علماً ذا رشد والرشد لغتان كالتُّخْل والنُّخْل، قال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: ﴿هل أتبعك﴾ الآية: وقال «الزجاج»: وفيما فعل موسى وهو من جلة الأنبياء من طلب العلم، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه^(٣)، فقال له الخضر: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال ابن عباس لن تصبر على صنيعي، لأنني علمت غيب علم ربي ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي لم تعلمه، والخبر علمك بالشيء، يقول كيف تصبر على أمر ظاهره منكر، وأنت لا تعلم باطنه؟ ﴿قال﴾ له موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ أصبر على ما أرى منك ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ لا أحالفك في شيء ﴿قال﴾ له الخضر ﴿فإن اتبعتني﴾ أي صحبتني ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ مما أفعل مما تنكره ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ حتى أكون أنا الذي أفسره لك، لأنه قد غاب علمه عنك، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهم سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فحملوهما بغير أجر، فذلك قوله:

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَا لِئُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ أي شقها، قيل: إنه قلع لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بشوبه، وقال منكرأ عليه: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾ منكرأ عظيماً ويقال: أمر الأمر إذا كبر إمراً، والإمر: الاسم منه، فقال له الخضر: ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال ﴿موسى﴾: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ أي عقلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك ونسيت ذلك وقال الكلبي يقول: بما تركت من وصيتك وعلى هذا القول النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة^(٤) ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ لا تكلفني مشقة قال أبو زيد أرهقته عسراً إذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر لا بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك. قوله:

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَبِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

﴿فانطلقا حتى إذا لقياً غلاماً فقتله﴾ روي في حديث أبي بن كعب أنهما خرجا، حتى لقياً غلاماً يلعب مع

(١) الخضر نبي عند الجمهور، وقيل: عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن مواطن أفعاله لا تكون إلا بوحى، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي. وقيل: كان ملكاً، أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حملة من علم الباطن. والأول الصحيح. انظر القرطبي (١٢/١١). انظر البغوي ١٧٣/٣، روح المعاني ١٥/١٣٢.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٣/١١ بلا نسبة.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠١.

(٤) في معنى الآية قولان أحدهما: يروي عن ابن عباس، قال: هذا من معارضض الكلام والآخر: أنه نسي فاعتذر ففيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخظة، وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره. انظر القرطبي (١١/١٥).

الصبيان فقال به هكذا كأنه اجتذب رأسه فقلعه، وأشار «عبدالرزاق» حين روى هذا الحديث بأصابعه الثلاثة السبابة والوسطى والإبهام وفتحها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصحهم قال موسى حين رأى ذلك: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ قال ابن عباس ومجاهد لم يبلغ اللحم^(١) ومعنى الزكية الطاهرة من الذنوب، وذلك لأنه كان صغيراً لم يبلغ حد التكليف، وقرىء ﴿زاكية﴾^(٢) وهي البريئة من الذنوب، قال الفراء: الزاكية والزكية مثل القاسية والقسية^(٣) وقوله: ﴿بغير نفس﴾ يعني بغير قتل نفس يعني القود ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فظيماً منكرراً لا يعرف في شرع، فقال الخضر ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ يعني سؤال توبيخ وإنكار ﴿بعدها﴾ بعد النفس المقتولة ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك وقد أخبرتني أنني لا أستطيع معك صبراً، وهذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره.

وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال لقد استحي نبي الله موسى عندها ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب^(٤) وقراءة العامة بتشديد النون من ﴿لذن﴾^(٥) والأصل لذن، ثم يزداد نون مع الياء، نحو مني، وعني، ثم يدغم النون الساكنة في التي تزداد مع الضمير فيصير لذن مشدداً ومن خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو ضربني، وقد جمع الشاعر بين اللغتين في قوله:

قَدْنِي مِنْ نَشْرِ الْحَبِيبِينَ قَدْنِي

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلَهَا فَبَآءُوا أَن يَضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ سَانِيَتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا

(١) انظر زاد المسير ١٧٣/٥.

(٢) قرأ الجمهور (زاكية) بالألف وقرأ الكوفيون وابن عامر (زكية) بغير ألف وتشديد الياء. انظر تفسير القرطبي ١٥/١١ النشر في القراءات العشر ٣١٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢١/٢ تفسير البغوي ١٧٥/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٥/٢.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠/٤ وعزه لعبد بن حميد، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قرأ الجمهور: (منه لذن) بضم الدال إلا أن نافعاً وعاصماً خففا النون، فهي (لذن) اتصلت به ياء المتكلم التي في غلامي فرسي، وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه. وقرأ أبو بكر عن عاصم (لذني) بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون. وروي عن عاصم (لذني) بضم اللام وسكون الدال. انظر القرطبي ١٧/١١. وانظر النشر في القراءات العشر ٣١٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢/٢.

(٦) هذا صدر بيت من الرجز لأبي نخيلة، وقيل لحميد الأرقط وعجزه:

ليس الإمام بالشحيح الملحد

انظر الكتاب ٣٧١/٢ ابن يعيش ١٢٤/٣ أمالي الشجري ١٤/١ الخزائن ٤٤٩/٢ العيني ٣٧٥/١ الهمع ٦٤/١ الأشموني ١٢٥/١

التصريح ١١٢/١ الخبيبان بهيئة التصغير هما عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ومصعب أخوه.

رَبُّهُمَا حَيْرًا مِّنْهُ زَكْوَةٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس: هي انطاكية^(١) وقال ابن سيرين: الأبلّة^(٢) ﴿استطعما أهلها﴾ سألهم الطعام ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ روى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لثاماً»^(٣) والتضييف والإضافة بمعنى واحد ﴿فوجدوا فيها﴾ في تلك القرية ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ الإرادة في صفة الجدار مجاز، ومعناه قرب أن ينقض، وذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل، قال الزجاج^(٤) والجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المريدين القاصدين فوصف الإرادة إذ كانت الصورتان واحدة وأنشد الراعي يصف إبلا:

فِي مَهْمِهِ فَلَقَتْ بِهِ هَامَاتَهَا فَلَقَ الْفُؤُسِ إِذَا أُرْدَنَ نَصُولًا^(٥)

ومعنى الانقضاض السقوط بسرعة، يقال انقض الحائط إذا وقع وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه فسقط على شيء، وقوله: ﴿فأقامه﴾ أي سواه، لأنه وجده مائلاً، وفي حديث «أبي بن كعب» انتهى إلى جدار مائل، فدفعه بيده، فقام فقال موسى: ﴿لو شئت لتخذت عليه﴾ أي على إقامته وإصلاحه ﴿أجرأ﴾ قال الفراء: لو شئت لم تقمه، حتى يقرونا، فهو الأجر^(٦) وقرأ أبو عمرو لتخذت^(٧) يقال: تخذ فلان، يتخذ تخذاً مثل اتخذ، ألزمت التاء الحرف كأنها أصلية لما رأوا التاء في اتخذ ظنوها أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ، كما قالوا: تقي من اتقى، ﴿قال﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي هذا الكلام والإنكاء علي بترك الأجر، هو المفرق بيننا، قال الزجاج: المعنى هذا فراق بيننا، أي هذا فراق اتصالنا، وكرر بين تأكيداً^(٨)، ولما قال الخضر هذا، أخذ موسى بطرف ثوبه، فقال: حدثني بتأويل ما صنعت فقال: ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ يعني أن أصحابها كانوا مساكين، لم يكن لهم مال غير تلك السفينة، فكانوا يعملون عليها^(٩) يأخذون أجرتها ﴿فأردت أن أعيها﴾ أ جعلها ذات عيب قال مجاهد أخرجها ﴿وكان وراءهم ملك﴾ قال «المفسرون»^(١٠) يعني أمامهم وراء يكون

(١) انظر زاد المسير ١٧٥/٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ تفسير القرطبي ١٧/١١ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٣/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٨٨/١٥ تفسير البغوي ١٧٥/٣ القرطبي ١٧/١١، عن قتادة وابن سيرين ابن كثير ٢٨٨/٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب فضائل الخضر عليه السلام.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٥) البيت للراعي النميري انظر لسان العرب (رود).

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٦/٢.

(٧) قرأ الجمهور: (لَاتَخَذْتَ) وأبو عمرو (لَتِيخَذْتَ) وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد من الأخذ مثل قولك:

تبع وأتبع، وتقى وأتقى. وأدغم بعض القراء الذال في التاء، ولم يدغمها بعضهم. انظر القرطبي ٢٣/١١. انظر النشر في

القراءات العشر ٣٤١/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٣/٢.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٤/٣.

(٩) انظر زاد المسير ١٧٨/٥.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٧٦/٣ روح المعاني ٩/١٦ تفسير الرازي ١٣٦/٢١ البحر المحيط ١٥٤/٦ تفسير القرطبي ٢٤/١١.

بمعنى أمام، كقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾^(١)، ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾^(٢) قال عباد بن صهيب: قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن أبي خالد، فمررت بشيخ جالس، فقلت: يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد؟ فقال لي: ورائك، فقلت: أرجع؟ قال: أقول ورائك، وترجع؟ فقلت: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا، ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، قال: لو كان ورائهم لكانوا قد جاوزهوا، ولكن كان بين أيديهم^(٣) والمعنى كل سفينة سالحة، وكذا كان يقرأ ابن عباس وأبي وحذفت للعلم بها، قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها متخرقة، تركها، ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها، ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ وابن عباس وأبي كانا يقرآن: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾ أي يرهق الغلام أبويه ﴿طغياناً وكفراً﴾ لذلك قتلناه، قال «المفسرون»^(٤): خشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه ويديننا بدينه.

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزني، أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن الحسين الزجاج نا محمد بن أيوب نا القعني نا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقية بن مصقلة^(٥) عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر، طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً» رواه مسلم في الصحيح^(٦) عن القعني وقال قتادة قال مطرف أيم الله، إنا لنعلم أنهما فرحا به يوم ولده، وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش، كان فيه مهلكتهما فالمؤمن حقيق أن يرضى بما قسم الله له، فإن قضاء الله تعالى للمؤمن، خير من قضائه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره، خير مما قضى لك فيما تحب، فاستخر الله تعالى، وارض بقضائه^(٧) وقوله ﴿فأردنا أن يبدلهماربهما خيراً منه زكاة﴾ يعطيها الله ولدأ بدلاً منه، خيراً منه ديناً قاله سعيد بن جبيرة وفتادة^(٨) وقال الكلبي خيراً منه صلاحاً^(٩) والزكاة: الصلاح والزكاة الصالح ﴿وأقرب رحماً﴾ الرحم والرحم العطف والرحمة، قال ابن عباس وفتادة وأوصل للرحم، وأبر بوالديه^(١٠) قال عطاء عن ابن عباس أبدلها به جارية ولدت سبعين نبياً^(١١) ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ يعني القرية المذكورة في قوله: ﴿أتيا أهل قرية﴾ ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال «فتادة» كان ذهباً وفضة^(١٢).

وهو تفسير النبي ﷺ فيما أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن

(١) سورة إبراهيم آية ١٦.

(٢) سورة إبراهيم آية ١٧.

(٣) انظر زاد المسير ١٧٨/٥ البحر المحيط ١٥٤/٦ عن فتادة تفسير القرطبي ٢٥/١١ بلا نسبة.

(٤) تفسير البغوي ١٧٦/٣ روح المعاني ١١/١٦ تفسير الرازي ١٣٧/٢١ البحر المحيط ١٥٥/٩ تفسير القرطبي ٢٥/١٨.

(٥) رقية بن مصقلة العبدي: الكوفي أبو عبد الله، ثقة مأمون، وكان يمزح. مات سنة تسع وعشرين. انظر تقريب ٢٥٢/١.

(٦) ١٨٥٠/٤ كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام وأخرجه أبو داود (٤٧٠٥).

(٧) انظر تفسير الطبري ٤/١٦ تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٨) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ روح المعاني ١١/١٦ عن ابن عباس تفسير الرازي ١٣٧/٢١ بلا نسبة تفسير القرطبي ٢٦/١١.

(٩) انظر زاد المسير ١٨٠/٥ تفسير الرازي ١٣٧٨/٢١ بلا نسبة.

(١٠) انظر روح المعاني ١١/١٦ البحر المحيط ١٥٥/٦ بلا نسبة.

(١١) انظر الطبري ٣/١٦ تفسير البغوي ١٧٧/٣ البحر المحيط ١٥٥/٦ زاد المسير ١٨٠/٥.

(١٢) انظر زاد المسير ١٨١/٥ روح المعاني ١٢/١٦.

عبدوس الطرائفي^(١)، نا عثمان بن سعيد، نا صفوان بن صالح الدمشقي^(٢) نا الوليد بن مسلم نا يزيد بن يوسف الصنعاني^(٣)، عن يزيد عن مكحول عن أم الدرداء^(٤) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال كان ذهباً وفضة رواه الحاكم في صحيحه^(٥) عن أبي الوليد الفقيه، عن حسام بن بشر عن صفوان وقال ابن عباس في رواية عطاء كان لوحاً من ذهب فيه مكتوباً عجيباً لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجيباً لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجيباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ عجيباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟ عجيباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجيباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي، وفي الشق الآخر أنا الله لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي، وفي الشق الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقتة للخير وأجريتة على يديه، والويل لمن خلقتة للشر وأجريتة على يديه وهذا قول أكثر أهل التفسير^(٦).

وروي ذلك أيضاً مرفوعاً، أخبرنا أبو سعد النصروري أنا أبو العلاء أحمد بن محمود الأهوازي^(٧)، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن نا أحمد بن يحيى الصوفي، نا ضرار بن سرد^(٨) نا محمد بن مروان نا أبان^(٩) عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يوقن بالموت، ثم كيف يفرح؟ وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا، وتقلبها بأهلها، ثم يطمئن إليها^(١٠) قال الزجاج: المعروف في اللغة أن الكنز إذا أفرد، فمعناه المال المدفون، فإذا لم يكن المال قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز ههنا بالمال أشبه، قال: وجائز أن يكون الكنز مالاً، مكتوب فيه علم على ما روي، فهو مال وعلم عظيم من توحيد الله تعالى، وإعلام أن محمداً ﷺ مبعوث^(١١).

وقوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظاً بصلاً، ولم يذكر منهما

(١) الشيخ المسند الأمين أبو الحسن، أحمد بن محمد بن عبدوس بن سلمة العنزي النيسابوري الطرائفي. وتوفي في رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة.

(٢) صفوان بن صالح بن صفوان الثقفي، مولاهم أبو عبد الملك الدمشقي، ثقة وكان يدلّس تدليس النسوية، قاله أبو زرعة الدمشقي مات سنة ثمان أبو سبيع أو تسع وثلاثين وله سبعون سنة. انظر التقريب ١/٣٦٨، التهذيب ٤/٤٢٦.

(٣) يزيد بن يوسف الرحيي الصنعاني صنعاء دمشق ضعيف انظر التقريب (٢/٣٧٢).

(٤) أم الدرداء الصغرى اسمها هجيمة بنت حبي الأوصابية، وكانت فقيهة عالمة زاهدة لبيبة قالت: أفضل العلم المعرفة، وقال ميمون بن مهران: ما دخلت عليها إلا وجدتها مصلية، بقيت إلى بعد الثمانين. انظر الخلاصة (١/٣٩٩).

(٥) ٣٦٩/٢ وقال صحيح وتعقبه الذهبي وقال: بل يزيد متروك.

(٦) انظر الطبري ١٦/٦ تفسير البغوي ٣/١٧٧ روح المعاني ١٦/١٣ تفسير القرطبي ١١/٢٧.

(٧) أحمد بن محمود بن زكريا بن خرزاذ أبو بكر القاضي الأهوازي، ثقة انظر تاريخ بغداد ٥/١٥٧.

(٨) ضرار بن سرد التيمي أبو نعيم الطحان الكوفي، صدوق له أوهام وخطأ ورمي بالتشيع. وكان عارفاً بالفرائض مات سنة تسع وعشرين. انظر التقريب ١/٣٧٤.

(٩) أبان بن صالح بن عميد بن عبيد القرشي مولاهم، وثقه الأئمة، ووهم ابن حزم فجعله وابن عبد البر فضعه، مات سنة بضع عشرة وهو ابن خمس وخمسين. انظر التقريب ١/٣٠.

(١٠) قال الحافظ في الكاف الشاف: رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً، وأبان والسدي الصغير متروكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠٧.

صلاًحاً^(١) وقال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء^(٢).

أخبرنا: عمرو بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، نا زنجويه بن محمد^(٣) نا إسحاق بن منصور المروزي نا الحسين بن علي عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال: إن الله عز وجل ليحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده وأهل دويرته، وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم^(٤).

وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ قال ابن عباس أن يكبرا ويعقلا^(٥) ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ وذلك أن الخضر لو لم يقم الجدار لكان ينقض ويؤخذ ذلك الكنز الذي تحته قبل بلوغ الغلامين الأشد، فأمر الخضر، حتى أقام الجدار، وهو قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي رحمهما الله بذلك رحمة ﴿وما فعلته عن أمري﴾ قال ابن عباس: انكشف لي من الله تعالى علم، فعلمت به ﴿ذلك تأويل﴾ قال: يريد هذا تفسير ﴿ما لم تسطع عليه صبراً﴾ قوله:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا^{٨٣} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا^{٨٤} فَأَتْبَعَ سَبَبًا^{٨٥} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا^{٨٦} قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا^{٨٧} وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا^{٨٨} ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا^{٨٩} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطُّعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا^{٩٠} كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا^{٩١}

﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ الآية، ذكرنا أن اليهود سألت النبي ﷺ عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها، هذه الآية من جوابهم واختلفوا في ذي القرنين فقال مجاهد: كان نبياً وهو قول عبد الله بن عمرو^(٦) وقال علي رضي الله عنه: كان عبداً صالحاً، أحب الله، فأحبه الله تعالى، وناصره الله تعالى فنصحه الله تعالى^(٧). وروي ذلك مرفوعاً: «أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً» قال الزهري: وإنما سمي ذا القرنين، لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها^(٨) واختار الزجاج هذا القول، فقال: يجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي ذا القرنين لأنه بلغ قطري الأرض، مشرق الأرض ومغربها^(٩) وقال أبو الطفيل: أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربه على قرنه فمات، فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله، فضربه على قرنه الآخر فمات، ثم بعثه الله تعالى، فسمي ذا القرنين، وهذا القول يرويه أبو الطفيل

(١) انظر تفسير الطبري ٧/١٦ تفسير البغوي ١٧٧/٣ تفسير الرازي ١٣٨/٢١ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٨/٢١ تفسير القرطبي ٢٧/١١.

(٣) الشيخ القدوة، الزاهد العابد، الثقة، أبو محمد، زنجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللباد. توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة. انظر السير ٥٢٢/١٤.

(٤) تفسير البغوي ١٧٧/٣.

(٥) انظر زاد المسير ١٨٢/٥ تفسير البغوي ١٧٧/٣ بلا نسبة.

(٦) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ١٧٨/٣ تفسير روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٧) انظر زاد المسير ١٨٣/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣٠/١٦ تفسير الرازي ١٤٠/٢١ بلا نسبة البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٨) انظر تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٢٤/١٦ بلا نسبة تفسير الرازي ١٣٩/٢١ بلا نسبة.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣.

عن علي رضي الله عنه^(١)، وقوله: ﴿قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ أي خيراً يتضمن ذكره قوله: ﴿إنا مكننا له في الأرض﴾ قال علي: سخر الله له السحاب، فحملة عليها، ومد له في الأسباب، وبسط النور له فكان الليل والنهار عليه سواء^(٢)، وهذا معنى تمكينه في الأرض وهو أنه سهل عليه المسير فيها، ودلّل له طرقها وحزونها، حتى تمكن منها إن شاء ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ قال قتادة والوالي عن ابن عباس: علماً يتسبب به إلى ما يريد^(٣) وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب، وقوله: ﴿فأتبع سبباً﴾ قال «المفسرون»^(٤) طريقاً والمعنى طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس، وقال «الزجاج»: فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي وذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً، فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب^(٥) والقراءة الجيدة ﴿فأتبع﴾^(٦) وقرىء ﴿فأتبع﴾ بقطع الألف، ومعناه لحق، كقوله: ﴿فأتبعه الشيطان﴾^(٧) قوله: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي ذات حمأة، وهو الطين الأسود المتين، وهذه قراءة «ابن عباس، وقراءة ابن الزبير وابن مسعود» حامية من غير همز^(٨) وهي فاعلة من حميت، فهي حامية، أي حارة.

أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصر أبادي أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار نا محمد بن عباد نا سفیان عن زياد بن أبي سعد، سمع ابن حاضر^(٩) يقول: اختلف ابن عباس، وعمرو بن العاص عند معاوية فقال ابن عباس في عين حمئة، وقال عمرو في عين حامية، فسألوا كعباً فقال: إني أجدتها في كتاب الله تغرب في طينة سوداء فقال: رجل لابن عباس ألا أعينك؟ قال: بلى قال: قال تبع^(١٠):

قَدْ كَانَ ذُو الْقُرْنَيْنِ عَمْرُو مُسْلِمًا مَلَكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَسْجُدُ
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي أَسْبَابَ أَمْرٍ مِّنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ

(١) روح المعاني ٢٤/١٦ البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣٠/١٦.

(٣) انظر زاد المسير ١٨٥/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ بلا نسبة.

(٤) انظر زاد المسير ١٨٥/٥ تفسير البغوي ١٧٨/٣ روح المعاني ٣١/١٦، البحر المحيط ١٥٩/٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٣.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (فأتبع سبباً) مقطوعة الألف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو (فأتبع سبباً) بوصلها أي اتبع سبباً من الأسباب التي أوتيتها. قال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخنقة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ الصافات (١٠) ومنه الإتيان في الكلام مثل حسن بسن وقبح شقيح. قال النحاس: واختار أبو عبيد قراءة أهل الكوفة قال: لأنها من السير، وحكى هو والأصمعي أنه يقال: تبعه وأتبعه إذا سار ولم يلحقه، وأتبعه إذا لحقه قال أبو عبيد: ومثله (فأتبعوهم مشرقين) قال النحاس وهذا التفريق وإن كان الأصمعي قد حكاه لا يقبل إلا بعلّة أو دليل. وقوله عز وجل: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ الشعراء (٦٠) ليس في الحديث أنهم لحقوهم وإنما الحديث: لما خرج موسى عليه السلام وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه انطبق عليهم البحر، والحق في هذا أن تبع وأتبع وأتبع لغات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاق أو لا يكون. القرطبي ٣٣/١١ النشر ٣١٤/٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٣.

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٥.

(٨) قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائي (حامية) أي حارة والباقون (حمئة) أي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء، انظر تفسير القرطبي

٣٣/١١ روح المعاني ٣١/١٦ البحر المحيط ١٥٩/٦ تفسير الرازي ١٤١/٢١.

(٩) ابن حاضر. شيخ لأبي داود الطيالسي. مجهول. انظر ميزان الاعتدال ٥٩٠/٤.

(١٠) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٢/١٦ البحر المحيط ١٥٩/٦ بلا نسبة.

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَغِيبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأُوا حَرَمِدٍ^(١)

قوله: ﴿ووجد عندها قوما﴾ أي عند العين ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ قال «ابن الأنباري» إن كان ذو القرنين نبياً، فإن الله قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحى، ومن قال: لم يكن نبياً قال: معنى قلنا ألهمنا، لأن الإلهام ينوب عن الوحي كقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾^(٢) أي ألهمناها، وقوله: ﴿إما أن تعذب﴾ الآية قال المفسرون^(٣) يريد إما أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإما أن تأسرهم، فتعلمهم الهدى، وتبصرهم الرشاد قال قتادة قضى فيهم بقضاء الله وكان عالماً بالسياسة^(٤)، فقال ﴿أما من ظلم﴾ قال ابن عباس أشرك^(٥) ﴿فسوف نعذبه﴾ نقلته إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد قتلي إياه ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ يعني في النار ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ قال الفراء^(٦) الحسنى الجنة، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء، كما يقال: ﴿حق اليقين﴾^(٧) ﴿ولدار الآخرة﴾^(٨) وقرأ أهل الكوفة فله جزاء نصباً^(٩)، وهو مصدر وقع موقع الحال، المعنى: فله الحسنى جزاء^(١٠) مجزياً بها، وقال «ابن الأنباري» جزاء نصب على المصدر، المعنى فيجزى الحسنى جزاء ﴿وستقول له من أمرنا يسراً﴾ قولاً جميلاً، قوله:

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا^{٩٢} حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا^{٩٣} قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا^{٩٤} قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا^{٩٥} ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا^{٩٦} فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا^{٩٧} قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا^{٩٨}

﴿ثم أتبع سبباً﴾ إخبار عن ذي القرنين أنه سلك طريقاً يوصله إلى المشرق ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قال «الحسن» وقاتدة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، لأنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء^(١١)، وقال الكلبي كانوا حفاة عراة، يفرش أحدهم أذنه، ويلبس الأخرى^(١٢) وقوله:

(١) هذه الآيات لتبع . انظر لسان العرب (أوب - حرمد) وانظر القرطبي ٣٤/١١ .

(٢) سورة القصص آية (٧) .

(٣) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ زاد المسير ١٨٩/٥ . تفسير القرطبي ٣٥/١١ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١١٩/٥ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١١٩/٥ روح المعاني ٣٤/١٦ بلا نسبة تفسير الرازي ١٤٣/٢١ بلا نسبة .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ١٥٩/٢ .

(٧) سورة الواقعة آية ٩٥ .

(٨) سورة يوسف آية ١٠٩ .

(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٤/٢ تفسير البغوي ١٧٩/٣ القرطبي ٣٦/١١ البحر المحيط

١٦٠/٦ .

(١٠) انظر البيان ١١٦/٢ .

(١١) انظر تفسير الطبري ١٤/١٦ تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٦/٢١، عن سمرة بن جندب البحر المحيط ١٦١/٦ .

(١٢) انظر تفسير البغوي ١٧٩/٣ روح المعاني ٣٦/١٦ بلا نسبة .

﴿كذلك﴾ أي وجد قوماً كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك ﴿وقد أحطنا بما لديه خيراً﴾ علمنا ما كان عنده من الجيوش والعدة ﴿ثم أتبع سبباً﴾ ثالثاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض وهو قوله ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ وقرئ بفتح السين^(١) قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسد ما وراءه فهو سد وسد، نحو الضعف والضعف، والفقر والفقر^(٢)، قال ابن عباس وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن سواهم^(٣) ﴿وجد من دونهما﴾ يعني أمام السدين ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ لا يعلمونه، لأنهم لا يعرفون غير لغتهم، وقرئ بضم الياء^(٤) والمعنى لا يكادون يفقهون أحداً قولاً، فحذف أحد المفعولين، قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج﴾ أكثر أهل العلم على أن هذين اسمان أعجميان مثل طالوت وجالوت، وهاروت وماروت، لا ينصرفان للتعريف والعجمة، والقراءة فيهما بترك الهمز^(٥) وقرأ عاصم بالهمز، قال الليث، الهمز لغة رديئة وقال «ابن الأنباري»: وجه همزه وإن لم يعرف له أصل، أن العرب قد همزت حروفاً لا يعرف للهمز فيها أصل، مثل: لبأت وراثت^(٦)، واستنشأت الريح^(٧) وإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر نا أبو عمرو بن مطر نا جعفر بن المستفاض نا محمد بن المصطفى نا يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن الأعمشى عن شقيق عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم، حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله، صفهم لنا، قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، قلت: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طوال الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جيل، ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية^(٨).

[وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من طوله مفرط في الطول ولهم مخالب في الأظفار من أيدينا، وأنياب كأنياب السباع ولهم هلب^(٩) من الشعر في أجسادهم يواريهم من الحر والبرد^(١٠)] ^(١١)

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص، انظر النشر في القراءات العشر ٣/٣١٥، إتحاف فضلاء البشر ٣/١٨٠ تفسير البغوي ٣/١٨٠.

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٢/٢٧٦. (٣) انظر تفسير الطبري ١٦/١٦ تفسير البغوي ٣/١٨٠ بلا نسبة.

(٤) قرأ حمزة والكسائي يُفْقَهُونَ بضم الياء، وكسر القاف، من أفقه إذا أبان أي لا يفقهون غيرهم كلاماً وقرأ الباقر بفتح الياء والقاف، أي يعلمون. والقراءتان صحيحتان، انظر القرطبي ١١/٣٨٣، النشر ٢/٣١٥.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣١٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٥ روح المعاني ١٦/٣٩ البحر المحيط ٦/١٦٣ تفسير الرازي ٢١/١٤٥.

(٦) رثأت لغة في رثيت فلاناً أي مدحته بعد موته انظر اللسان (رثأ).

(٧) استنشأت لغة في استنشيت الريح أي وجدت طبيها عند شمها، انظر اللسان (نشأ).

(٨) قال الحافظ في الكافي الشاف: قال ابن عدي: هذا موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاشي.

(٩) الهلب جمع أهلب وهو الكثير شعر الرأس والجسد، انظر اللسان (هلب). (١٠) انظر تفسير البغوي ٣/١٨١. (١١) سقط في ج.

وقال وهب: هم من ولد يافث بن نوح أبو الترك^(١) وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير، فجاء ذو القرنين، فضرب السد ببقيت خارجه^(٢)، وقال «قتادة»: إن ذو القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك^(٣)، وقال «كعب» هم نادرة في ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء^(٥).

قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ قال قتادة هما حيان حياة سوء، كانا أهل بغي وظلم على من جاورهما، وقال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه^(٦) ﴿فهل نجعل لك خراجاً﴾ وقرئ خراجاً^(٧) قال ابن عباس يريد جعلاً^(٨) قال الليث: الخرج والخراج واحد، وهو شيء يخرج القوم من مالهم بقدر معلوم والمعنى هل نخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟ ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكني فيه ربي خير﴾ قراءة العامة بنون واحدة مشددة^(٩) فأدغموا الأولى في الثانية لاجتماعهما كقوله: ﴿لا تأمنا على يوسف﴾^(١٠) وقرأ ابن كثير بنونين من غير ادغام لأنهما من كلمتين والنون الثانية غير لازمة، لأنك تقول: مكنتك، والمعنى أن ذا القرنين قال: ما مكني الله فيه من الاتساع في الدنيا خير من خرجكم الذي تبذلونه لي قال ابن عباس يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم وقوله ﴿فأعينوني بقوة﴾ قال: يريد بقوة الأبدان قال الزجاج: بعمل تعملونه معي^(١١) ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ سداً وحاجزاً والردم: سد الباب والثلمة^(١٢) ﴿أتوني زبر الحديد﴾ قال ابن عباس: احمولوها إلي وقال «الفراء»: معناه ايتوني بها، فلما ألقيت الياء زيدت ألف زبر الحديد قطعة واحدها زبرة قال ابن عباس وهي قطع على قدر الحجارة التي يبني بها ومعنى الآية أنه يأمرهم أن ينقلوا إليه زبر الحديد ليعمل بها الردم في وجوه يأجوج ومأجوج، فأتوه بها، فبناه ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ سوى بينهما بأن وضع بعضها على بعض والصدفان جانبان الجبل، قال «الأزهري» يقال لجانبى الجبل صدفان إذا تحاذيا، لتصادفهما أي تلاقيهما^(١٣) وقرئ ﴿الصدفین﴾ بفتح الصاد والذال (والصدفین) بضم الصاد وسكون الذال^(١٤)، وكلها لغات في هذه الكلمة

(١) انظر تفسير البغوي ١٨١/٣ روح المعاني ٣٨/١٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣ البحر المحيط ١٦٣/٦. روح المعاني ٣٨/١٦.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣ روح المعاني ٣٨/١٦ البحر المحيط ١٦٣/٦، تفسير الرازي ١٤٥/٢١.

(٤) انظر روح المعاني ٣٨/١٦.

(٥) انظر تفسير البغوي ١٨٠/٣.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٨١/٣ - ١٨٢ روح المعاني ٣٩/١٦ تفسير الرازي ١٤٥/٢١.

(٧) هي قراءة حمزة والكسائي وخلف، انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢، تفسير القرطبي ٤٠/١١ تفسير البغوي ١٨٢/٣.

(٨) ذكر بلا نسبة في تفسير البغوي ١٨٢/٣ تفسير الرازي ١٤٥/٢١ البحر المحيط ١٦٤/٦ روح المعاني ٣٩/١٦.

(٩) انظر النشر في القراءات العشر ٣١٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢ تفسير القرطبي ٤١/١١.

(١٠) سورة يوسف آية ١١.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١١/٣.

(١٢) الثلمة الخرق في الجدار وغيره انظر اللسان (ثلم).

(١٣) انظر تهذيب اللغة ١٤٦/١٢ تفسير القرطبي ٤١/١١ عنه.

(١٤) قرأ نافع وحمزة والكسائي (الصدفین) بفتح الصاد وشدها، وفتح الذال وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن =

فاشية، وقوله: ﴿قال انفخوا﴾ قال «ابن عباس» انفخوا على زبر الحديد بالكبير ^(١) ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ حتى إذا صارت كالنار، والحديد إذا حمي بالفحم والمنافخ صار كالنار ﴿قال أتوني أفرغ عليه قطراً﴾ قال المفسرون ^(٢) أذاب النحاس، ثم أفرغه على زبر الحديد، فاختلط، ولصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلدأ من حديد والنحاس قال قتادة هو كالبرد الحبير طريقة سوداء، وطريقة حمراء ^(٣) والقطر: النحاس الذائب، والإفراغ الصب، ومنه قوله تعالى ﴿أفرغ علينا صبراً﴾ ^(٤) قوله: ﴿فما استطاعوا﴾ أصله استطاعوا فلما اجتمع المتقربان، وهما التاء والطاء، أحبوا التخفيف بالحذف قال ابن السكيت: يقال: ما استطيع، وما أسطيع، وما استتيع، وما استيع أربع لغات وقرأ حمزة (فما استطاعوا) مشددة الطاء ^(٥) أدغم تاء الافتعال في الطاء وقوله: ﴿أن يظهره﴾ أي يصعدوه ويعلوه يقال: ظهرت السطح إذا صرت فوقه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ يقال نقبت الحائط إذا خرقت فيه خرقة يخلص إلى ما وراءه، قال الزجاج: ما قدروا أن يعملوا عليه لارتفاعه وانملاسه، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله، لشدته وصلابته ^(٦).

أخبرنا: محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو زيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن بأجوج ومأجوج يحفرونه في كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله تعالى كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم إرجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى، فيعودون إليه وهو كهيبته، حين تركوه بالأمس، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فينشفون المياه، وتتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيبته الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغماً ^(٧) في أقطانهم فيهلكون، فقال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر من لحومهم شكراً ^(٨) ولما فرغ ذو القرنين من بنائه ﴿قال هذا﴾ أي هذا التمكين الذي أدركت به السد ﴿رحمة من ربي﴾ قال ابن عباس

= عبد العزيز، وهي اختيار أبي عبيدة لأنها أشهر اللغات. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (الصُّدْفَيْن) بضم الصاد والذال. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الصُّدْفَيْن) بضم الصاد وسكون الدال نحو الجُرْف والجُرْف. فهو تخفيف، وقرأ ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال. وقرأ قتادة بين الصُّدْفَيْن بفتح الصاد، وسكون الدال، وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحيان. انظر القرطبي ٤٢/١١.

(١) انظر روح المعاني ٤١/١٦ بلا نسبة.

(٢) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣٥ البحر المحيط ١٦٤/٦ روح المعاني ٤١/١٦ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٣) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣ تفسير القرطبي ٤٢/١١.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٢٦.

(٥) ﴿فما استطاعوا﴾ بتخفيف الطاء قراءة الجمهور وقيل: هي لغة بمعنى استطاعوا، وقيل: بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء، فقالوا: استطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال: استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة. وقرأ حمزة وحده (فما استطاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا، ثم أدغم التاء في الطاء فشدها. وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي: هي غير جائزة، وقرأ الأعمش (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً) بالتاء في الموضعين. انظر القرطبي ٤٣/١١.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٢/٣.

(٧) النعف هو الدود يكون في أنوف الإبل والغنم انظر اللسان ٤٤٨٩/٦ (نعف).

(٨) أخرجه الترمذي ٣١٣/٥ كتاب التفسير وابن ماجه ١٣٦٥/٢ كتاب الفتن، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

معونة من ربي، حيث ألهمني وقواني^(١) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ رَبِّي﴾ يعني القيامة وقال الكلبي: أجل ربي أن يخرجوا منه^(٢) ﴿جعله دكاً﴾ أي دكه دكاً [ومن قرأه دكاء]^(٣) كان التقدير: جعله مثل دكاء وهي الناقة التي لا سنام لها، وتقدم الكلام في هذا في سورة الأعراف ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ يعني بالثواب والعقاب في القيامة «وقال الكلبي»: وكان أجل ربي بخروجهم حقاً كائناً.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۙ ۙ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۙ ۙ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۙ ۙ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۙ ۙ﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، يقال: ماج الناس إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء، ثم ذكر نفخ الصور، فقال: ﴿ونفخ في الصور﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ حشرنا الخلق كلهم ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أظهرنا لهم جهنم، حتى شاهدوها ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ الغطاء ما غطى الشيء وستره، وهذا كقوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾^(٤) وصف الله الكفار بأنهم عمي عن آيات الله تعالى وأدلة توحيده، لما سبق لهم من الشقاوة.

وقوله ﴿عن ذكري﴾ قال ابن عباس: عما جاء به محمد ﷺ من البينات والهدى^(٥) ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لعداوتهم النبي ﷺ، كانوا لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلوه عليهم، كما تقول للكاره لقولك: ما تقدر أن تسمع كلامي، قوله: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يقول: أظنوا أنهم يتخذونهم أرباباً من دوني؟ وعني بالعباد المسيح والملائكة، وقال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم، وأطاعوهم من دون الله^(٦) تعالى وقال «مقاتل» يعني الأصنام، سماها عباداً كما قال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾^(٧) وجواب هذا الاستفهام محذوف قال «ابن عباس» يريد أني لا أغضب لنفسي^(٨) والمعنى أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء فلا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟ ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إننا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ قال الزجاج: يعني منزلاً^(٩) وهو معنى قول ابن عباس: يريد هي مثواهم ومصيرهم^(١٠) وقال غيره: النزول ما يهيا للضيف إذا نزل^(١١) والمعنى: أن جهنم معدة لهم [عندنا، كما يهيا النزول للضيف].

(١) انظر زاد المسير ١٩٥/٥.

(٢) انظر زاد المسير ١٩٥/٥ تفسير القرطبي ٤٣/١١ بلا نسبة.

(٣) سقط في ب.

(٤) سورة البقرة آية ٧.

(٥) انظر زاد المسير ١٩٦/٥.

(٦) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٦/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦، تفسير الرازي ١٤٨/٢١ بلا نسبة.

(٧) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ البحر المحيط ١٦٦/٦ روح المعاني ٤٦/١٦ تفسير الرازي ١٤٨/٢١.

(٨) انظر زاد المسير ١٩٦/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٤/٣.

(١٠) انظر زاد المسير ٩٧/٥ تفسير البغوي ١٨٥/٣.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٨٥/٣ روح المعاني ٤٧/١٦ البحر المحيط ١٦٦/٦.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَاؤُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

قوله ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾^(١) يعني بالقوم الذين هم أخسر الخلق فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿الذين ضل سعيهم﴾ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يظنون أنهم بفعلهم محسنون ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ جحدوا دلائل توحيده وقدرته ولقائه، وكفروا بالبعث والشواب والعقاب وذلك أنهم بكفروهم بالنبي ﷺ وبالقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء وقوله: ﴿فحبطت أعمالهم﴾ أي بطل اجتهادهم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال «ابن الأعرابي» في هذه الآية: العرب تقول: ما لفلان وزن عندنا أي قدر لخسته ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له، لخفته، وسرعة طيشه، وقلة تثبته^(٢)، والمعنى على هذا أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله تعالى قدر ولا منزلة.

أخبرنا: سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر، أنا جدي أنا أبو عمرو أحمد بن محمد الحرشي، نا محمد بن يحيى أنا يحيى بن عبد الله بن بكير نا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة رواه مسلم^(٣) عن أبي بكر بن إسحاق عن يحيى بن بكير ورواه البخاري^(٤) عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن أبي مريم كلاهما عن المغيرة بن شعبة.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا إسحاق بن أحمد الفارسي نا أبو زرعة نا أبو الوليد أنا ابن أبي الزناد^(٥) عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب فلا يزن جناح بعوضة، أقرأوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾^(٦) وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ أي بكفروهم واتخاذهم ﴿آياتي﴾ يعني القرآن ﴿هزوا﴾ مهزواً به ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ أي منزلاً، ويجوز أن يراد بالنزل ما يقام للنازل، ويقدر المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس، أو نعيمها نزلاً، ومعنى كانت لهم قال ابن الأنباري أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا^(٧) والفردوس في اللغة جنة ذات

(١) سقط في ب.

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٣/٢٥٦.

(٣) ٢١٤٧/٤ كتاب صفات المنافقين.

(٤) ٢٧٩/٨ كتاب التفسير (٤٧٢٩).

(٥) عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف انظر الميزان ٢/٥٧٥.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٥٤، وعزاه لابن عدي وهو ضعيف لضعف ابن أبي الزناد كما تقدم.

(٧) انظر زاد المسير ٥/١٩٩.

كروم، قال «المبرد»: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب^(١)، وقال مجاهد: هو البستان بالرومية^(٢) واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية^(٣).

أخبرنا: عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب أخبرني هشام بن عبد الملك، نا همام بن يحيى، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألت الله تعالى، فاسألوه الفردوس^(٤)).

وأخبرنا عمر، أنا عبد الله أنا محمد أنا سهل بن بكار^(٥) نا أبو قدامة، عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: جنات الفردوس أربع، اثنتان من ذهب، حليهما وأنيتهما وما فيهما، واثنتان من فضة، حليهما، وأنيتهما، وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن رواه البخاري ومسلم^(٦)، عن إسحاق الحنظلي عن عبد العزيز بن عبد الصمد^(٧) «عن أبي عمران الجوني» قوله: ﴿خالدين فيها لا يغيغون عنها حولاً﴾ والحول: اسم بمعنى التحويل يقوم مقام المصدر، يقال حولوا عنه تحويلاً وحولاً قال ذلك الليث وابن الأعرابي وابن قتيبة والأزهري^(٨) وقال أبو عبيدة: حولاً^(٩) تحويلاً وهو قول الفراء^(١٠)، وقال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى والجنة ليست هكذا^(١١) قوله: ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ الآية. روى عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، وفيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾^(١٢) قال ابن الأنباري سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد وقال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي^(١٣) وقال ابن عباس يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد^(١٤)،

(١) انظر تهذيب اللغة ١٣/١٥٠.

(٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ تفسير الرازي ٢١/١٤٩ البحر المحيط ٦/١٦٨، روح المعاني ١٦/٥٠.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤/١٩ كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين، وأحمد في المسند ٢/٢٩٢ - ٥/٣١٦.

(٥) سهل بن بكار بن بشر الدارمي البصري أبو بشر المكفوف، ثقة ربما وهم مات سنة سبع أو ثمان وعشرين. انظر التقريب

(١/٣٣٥).

(٦) كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين، والترمذي ٤/٦٧٣ كتاب صفة الجنة، وابن ماجه ١/٦٦ المقدمة.

(٧) عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أبو عبد الله البصري، ثقة حافظ، مات سنة سبع وثمانين. انظر التقريب ١/٥١٠.

(٨) انظر تهذيب اللغة ٥/٣٤٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧١.

(٩) تهذيب اللغة ٥/٢٤٣.

(١١) انظر تفسير البغوي ١٨٦.

(١٠) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١١٨.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ أسباب النزول للمصنف ٣٠٧ تفسير القرطبي ١١/٤٦.

(١٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٨٦ البحر المحيط ٦/١٦٨ روح المعاني ١٦/٥٢.

(١٤) انظر البحر المحيط ٦/١٦٨.

وكلام القديم سبحانه وتعالى صفة من صفات ذاته، فلا يجوز أن يكون لكلامه غاية ومنتهى، كما ليس له غاية وحد، وأوصاف ذاته غير محدودة أيضاً وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم: أي شيء الذي أوتيتم في علم الله تعالى، وكلماته التي لا تنفذ لو كتبت بماء البحر ﴿ولو جثنا بمثله﴾ بمثل البحر في كثرة مائه ﴿مدداً﴾ زيادة له، والمدد كل شيء زاد في شيء قوله:

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال «ابن عباس» علم الله تعالى رسوله التواضع لثلاث يزهى على خلقه فأمره بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي، وهو قوله: ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له^(١)، وقوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال مجاهد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله، فيذكر ذلك مني، وأحمد عليه، فيسرنى ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾^(٢) يخاف البعث والمصير إلى الله تعالى ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ خالصاً لا يراني به ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سعيد بن جبير: لا يراني قال عطاء عن ابن عباس قال الله تعالى: ولا يشرك بعبادة ربه ولم يقل: ولا يشرك به، لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويجب أن يحمد عليه، قال: ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كي لا يعظمه من يصله بها وقال الحسن: هذا فيمن أشرك بعمله يريد الله به والناس.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن أحمد الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا زياد عن ليث عن شهر عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس^(٣) قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يراني بها فقد أشرك ومن صام صوماً يراني به فقد أشرك، ثم قرأ هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾^(٤).

أخبرنا: عبد القاهر بن طاهر التميمي أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أمية بن بسطام، نا يزيد بن زريع، نا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عملاً عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» رواه مسلم^(٥) عن زهير عن أبي ذر بن علي عن روح.

(١) انظر تفسير البغوي ١٨٧/٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٢٩/٤ كتاب الرقاق انظر تفسير القرطبي ٤٧/١١.

(٣) شدداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، الخزرجي. قال عبادة بن الصامت: كان شدداد ممن أوتي العلم والحلم روى عنه أهل الشام. وقال مالك: شدداد بن أوس هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنه ابن أخيه. روى عنه ابنه يعلى ومحمود بن لبيد، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم. وكان شدداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى. انظر أسد الغابة (٥٠٧/٢).

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٢١/١٠ وعزاه لأحمد (١٢٥/٤) وقال فيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وغيره، وضعفه غير واحد، وبقيه رجاله ثقات.

(٥) ٢٢٨٩/٤ كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله.

أخبرنا: أبو بكر أحمد بن إبراهيم المزكي^(١) أنا عبید الله بن محمد الزاهد نا عبد الله بن محمد المنيعي، حدثني هارون بن عبد الله، نا محمد بن بكر البرساني^(٢) نا عبد الحميد بن جعفر أخبرني أبي^(٣) عن زياد بن مينا^(٤) عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك»^(٥). [والله أعلم]^(٦).

(١) الإمام القدوة الرباني، أبو حامد أحمد ابن الشيخ المزكي أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري. ولد سنة بضع وعشرين وثلاث مائة. قال الحاكم: خرجت له (الفوائد) ومولده في سنة ثلاث وعشرين. قال: توفي في شعبان سنة ست وثمانين وثلاث مائة. انظر السير (٩٦/١٦).

(٢) محمد بن بكر بن عثمان البرساني أبو عثمان البصري، صدوق يخطيء من التاسعة مات سنة أربع ومائتين التقريب (١٤٧/٢).

(٣) جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، الأوسي، المدني، عن أنس ومحمد بن لبيد وسليمان بن يسار. عنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب والليث. موثق. انظر الخلاصة (١٦٨/١).

(٤) زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة، قال الأزدي: فيه لين. انظر ميزان الاعتدال (٩٥/٢).

(٥) أخرجه الترمذي ٣١٤/٥ كتاب التفسير وابن ماجه ١٤٠٦/٢ كتاب الزهد.

(٦) سقط في أ، ب.

سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون

[أخبرنا^(١) أبو سعيد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك الكوفي، نا أحمد بن عبد الله بن يونس^(٢)، نا سلام بن سليم^(٣) نا هارون بن كثير^(٤) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى وعيسى [وموسى^(٥)] وهارون وإبراهيم واسحق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات، وبعدد من دعا لله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً^(٦).

كَهَيْعَصَ ۚ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِن وَرَائِي

(١) من هنا بياض في النسخة (أ).

(٢) في هـ: يوسف وهو تحريف وهو: - أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي توفي سنة ١٢٧ هـ عن أربع وتسعين سنة. تذكرة الحفاظ ٤٠٠/١ تهذيب التهذيب ٥١/١ شذرات الذهب ٥٩/٢ طبقات الحفاظ ص ١٧٤.

(٣) سلام بن سليم المدائني أبو الأحوص الحنفي ت سنة ١٧٩ هـ تذكره الحفاظ ٢٥٠/١ تهذيب التهذيب ٢٨٢/٤، طبقات الحفاظ ص ١٠٦.

(٤) هارون بن كثير قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: قال ابن عدي: هارون بن كثير شيخ ليس بمعروف روى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب وفيه فضائل القرآن سورة سورة، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد، قلت روى بعض طرقه زيد بن أسلم وهو تحريف والصواب زيد بن سالم. لسان الميزان ١٨١/٦ ط أوني.

(٥) ساقط من النسخة هـ.

(٦) من ترجمة هارون بن كثير تعرف بأن الأحاديث الواردة في فضائل السورة سورة سورة موضوعة وقد نبه على ذلك ابن الجوزي في كتاب الموضوعات فقال: وقد عرف هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة فيه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ثم يقول بنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استفد السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ وقد دلت ابن الجوزي على ذلك فقال: وقال الخليلي في الإرشاد روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقلت له من أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمعارف ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن وروى المؤلف بسنده عن محمود بن غيلان فإني سمعت مؤملاً يقول حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب فقلت من حدثك قال حدثني رجل بالمداين وهو حي فسرت إليه فقلت من حدثك قال شيخ بواسط وهو حي فسرت إليه فقال حدثني شيخ بالبصرة فسرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فسرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ فقال هذا الشيخ فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن قال المؤلف: وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، اللالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية باب فضائل القرآن ٢٢٦/٢.

وَكَانَتْ أَمْرًا قَرِيبًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ إِنَّا نَنْبَشُرُكَ بِغُلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۖ

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿كهيعص﴾ أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي بقراءتي عليه في شوال سنة ست وعشرين وأربعمائة، أنا أبو عبد الله محمد بن نصير القرشي من أصله العتيق سنة ستين وثلاثمائة، نا أبو عبد الله بن محمد بن أيوب بن يحيى، أنا أحمد بن يونس، نا زهير^(١) قال سئل عطاء بن السائب عن كهيعص فحدثنا عن سعيد بن جبير^(٢) أن ابن عباس حدثهم أن كاف من كريم وهاء من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وقال في رواية عطاء والكلبي^(٣) معناه كاف لخلق هاد لعباده، يده فوق أيديهم عالم بيريته، صادق في وعده، وعلى هذا كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله.

وقرىء هايا بالتفخيم والإمالة [وإمالة] هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء ما يتهجى به فلما كانت أسماء غير حروف جاز فيه الإمالة، ويدلك على أنها أسماء (أنك) إذا أخبرت عنها أعربت كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربت فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء كذلك هذه الحروف.

قوله: ﴿ذكر رحمة ربك﴾ قال الزجاج: ذكر مرتفع بمضمر المعنى: هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك ﴿عبده زكريا﴾ يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد ﴿إذ نادى ربه نداءً خفياً﴾ خافياً يخفي ذلك في نفسه لا يريد رياءً وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء ﴿قال رب إنني وهن العظم مني﴾ وهن يهن وهنا ووهنا إذا ضعف أراد أن عظامه فترت وزهبت قوته لكبره وقال قتادة^(٤) شكا ذهاب أضراسه ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ انتشر فيه الشيب كما ينتشر شعاع النار في الحطب وهذا من أحسن الاستعارة إذ شبه بياض الشيب وانتشاره في الرأس بشعاع النار في الحطب وانتشارها قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان وأنشد لبيد^(٥):

إن ترى رأس أمس واضحاً سلط الشيب عليه فاشتعل^(٦)

﴿ولم أكن بدعائك﴾ أي بدعائي إياك ﴿رب شقياً﴾ قال ابن عباس لم تكن تخيب دعائي يقال شقي فلان بكذا إذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه، يقول: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب.

قوله: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني: الذين يلونه في النسب وهم العصبة وبنو العم وورثته.

(١) زهير بن معاوية بن خديج بن عبد الرحمن أبو خيشمة الكوفي توفي سنة ١٧٧ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٥٢ إلى هنا ينتهي بياض النسخة أ.

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الوالي أبو محمد ت سنة ٩٢ هـ تذكره الحفاظ ١/٧٦ تهذيب التهذيب ٤/١١ شذرات الذهب

١٠٨/١.

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو أبو النضر الكوفي الكلبي تهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري البداية والنهاية ٩/٣١٣ تذكره الحفاظ ١/١٢٢، شذرات الذهب ١/١٥٣.

(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري شاعر مخضرم ت سنة ٤١ هـ خزائن الأدب ١/٣٣٧، الشعر والشعراء ص ٢٣١، الإعلام

٥/٢٤٠ ط دار العلم.

(٦) البيت في ديوانه من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ويأسه لفقد أخيه مطلعها:

إن تقوى ربنا خير نفل وإذن الله ريشي وعجل

انظر ديوان لبيد ص ١٣٩، ١٤٠.

والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه الدين ونبذهم إياه فسأل ربه ولياً يرث نبوته وعلمه، لئلا يضيع الدين، وحمله على هذه المسئلة ما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين^(١) وقتل الأنبياء^(٢)، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس: يريد بالموالي بني اسرائيل وكانوا يبدلون الدين ويقتلون الأنبياء ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ عقيماً لا تلد وهذا إخبار عن خوفه فيما مضى من الزمان حين كانت امرأته لا تلد وكان هو آيساً^(٣) من الولد ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ ابناً صالحاً تتولاه ﴿يرثني ويرث﴾ بالرفع^(٤) من صفة الولي كأنه سأل ولياً وارثاً لعلمه ونبوته، والحزم على جواب^(٥) الأمر فصح الشرط بأن يقول إن وهبت ورث. قال ابن عباس: يريد النبوة فيكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء وقال الكلبي: يريد مكاني وحبورتي. وقال قتادة يرث نبوتي وعلمي. وقال ابن قتيبة: لم يرد يرثني مالي، وأي مال كان لذكريا حتى يسأل الله أن يهب له ولداً يرثه لقد جل هذا المال إذأ وعظم قدره ونافس عليه منافسة أبناء الدنيا، وإنما كان ذكريا نجاراً وكان جبراً وكلا هذين الأمرين يدل على أنه لا مال له. أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا أبو^(٦) عمرو ومحمد بن أحمد الحيري، أنا عمر بن موسى بن مجاشع نا هدية، نا حماد ابن^(٧) سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان ذكريا نجاراً»^(٨) رواه مسلم عن هدية ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ النبوة. فقال مجاهد: كان ذكريا من ذرية يعقوب ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ قال ابن عباس: يكون عندي مرضياً في الصلاح والعقاب والنبوة فاستجاب الله دعاءه فقال ﴿يا ذكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ تقدم تفسيره في سورة آل عمران ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أكثر المفسرين على أن معناه لم يسم أحداً قبله يحيى، ويثبت في هذا له فضيلتان احدهما: أن الله تولى تسميته، ولم يكلها إلى الأبوين، والثانية: أنه سماه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الاسم على فضله، قال الزجاج: سمي يحيى لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها، وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لم يكن له في سابق علمي نظير ولا شبيهه وقال في رواية الوالي^(٩) يقول^(١٠): لم تلد العواقر مثله ولدأ وهو قول مجاهد قال: يعني: لم يجعل له مثلاً في الفضل.

(١) إلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ البقرة: ٥٩.

(٢) أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿.. وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ البقرة: ٦١.

(٣) آيساً: يقال آيست منه إياساً لغة في يئست منه ياساً ومصدرهما واحد بمعنى القنوط الصحاح للجوهري مادة: آيس.

(٤) قراءة الرفع في (يرثني) قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمة وأبو جعفر ويعقوب وخلف. انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر ٣٩٧/٢.

(٥) قراءة الحزم في (يرثني) قرأ بها أبو عمرو والكسائي. انظر: السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣١٧/٢، والاتحاف ص ٤٦٧.

الحبورة: جمع الحبر وهو الرجل الصالح والحبر أيضاً العالم في بني اسرائيل لسان العرب: مادة حبر.

(٦) كلمة أنا اختصار لكلمة أخبرنا، ونا اختصار لكلمة حدثنا ولقد أتت النسخة (أ) بلفظ أخبرنا وحدثنا في جميع الأحاديث أما بقية النسخ فقد أتت بلفظ: «أنا»، و«نا».

(٧) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ت سنة ١٦٧ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨٦ تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢ تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٨) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل ذكريا عليه السلام ١٨٤٧/٤ ط الحلبي.

(٩) سعيد بن جبيرة وقد تقدم.

(١٠) في أ، ب عن ابن عباس يقول زيادة.

والمراد بالسمي: المثل والنظير كقوله تعالى ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(١) أي مثلاً وعدلاً، ولم يكن ليحيى مثل من البشر من حيث أنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط. أخبرنا أبو القاسم بن أبي نصر الجذامي، أنا محمد [بن عبد الله^(٢)] بن محمد بن حمدويه، نا محمد بن يعقوب^(٣) بن سنان، نا أحمد بن عبد الجبار^(٤)، نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن سعيد^(٥) عن سعيد بن المسيب حدثني عمرو بن العاصي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم ولي رسول الله ﷺ يده فأخذ عوداً صغيراً ثم قال وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود لذلك سماه الله سيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين^(٦).

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۖ

قوله ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ مفسر في سورة آل عمران إلى قوله ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ يقال: عتا الشيخ يعتو عتياً إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعات إذا صار إلى [حال^(٧)] اليس والجفاف. قال قتادة ومجاهد: هو نحول العظم، وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: عن قوله عتياً فقال: المعنى اليوس من الكبر، وقرئ^(٨) عتياً بالكسر^(٩) [وكذلك]^(١٠) صلياً^(١١) [وبكياً]^(١٢) وجثياً^(١٣) يجوز فيها الكسر أيضاً، وذكرنا هذا في قوله «من حلبيهم وحليهم»^(١٤) ﴿قال﴾ الله ﴿كذلك﴾ أي الأمر كما قيل لك هبة الولد على الكبر ﴿قال ربك هو على هين﴾ قال ابن عباس: يريد: [أن]^(١٥) أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ من قبل يحيى، وقرئ خلقناك^(١٦) لكثرة ما جاء من لفظ الخلق مضافاً إلى لفظ الجمع كقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾^(١٧) في

(٢) ساقط من جـ.

(١) مريم: ٦٥.

(٣) محمد بن يعقوب بن يونس بن معقل بن سنان الأموي البفسابوري ولد سنة ٢٤٧ هـ تذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣ العبر ٢٧٣/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٥٤.

(٤) أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي ت سنة ٢٧٢ هـ الجرح والتعديل ٦٢/١ تهذيب التهذيب ٥١/١.

(٥) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي أبو سعيد البصري ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ٢١٦/١١.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک. كتاب التفسیر تفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرک ٣٧٣/٢ ط بيروت بياض في هـ ما بين الأقواس داخل الحديث. ومعنى: وحسوراً: أي لا يأتي الناس. الصحاح: حصر.

(٧) عن هـ فقط.

(٨) في هو يقال.

(٩) قراءة الكسر (عتياً، بكياً، حلياً، جثياً) قرأ بها حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة ووافقها حفص إلا في بكياً فقد قرأها بالضم. انظر السبعة ص ٤٠٧ والنشر ٣١٧/٢.

(١٠) ساقط من د.

(١١) مريم: ٧٠ ونصها ﴿ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾.

(١٢) ساقط من د وهي آية (٥٨) من هذه السورة تبدأ بقوله تعالى ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾.

(١٣) من هـ فقط.

(١٤) قراءة (خلقتك) بالنون قرأ بها حمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٠٨.

(١٧) المؤمنون: ١٢، الحجر: ٢٦ ولفظ: لقد خلقنا الإنسان في الإنسان: ٢.

مواضع ﴿ولقد خلقناكم﴾^(١) وقوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ يريد أنه كان عدماً فأوجده بقدرته قال الزجاج: أي يخلق الولد لك كخلقك.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۚ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ قال قتادة سأل نبي الله آية على حمل امرأته بعد ما شافهته الملائكة بالبشارة قال ابن الأنباري: ووجه ذلك أن نفسه تآقت إلى سرعة الأمر فسأل الله آية يستدل على قرب ما من به عليه ف ﴿قال﴾ الله ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال﴾ أي تمنع الكلام فلا تقدر عليه ثلاث ليالٍ ﴿سويًّا﴾ صحيحاً من غير بأس ولا خرس، قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض، وسويًّا: منصوب على الحال، وقد مضى مثل هذا في سورة آل عمران ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال ابن زيد^(٢) من مصلاه ﴿فأوحى إليهم﴾ قال ابن عباس وقتادة: أوماً إليهم وأشار، وقال مجاهد كتب لهم في الأرض: أن ﴿سبحوا﴾ صلوا - لله ﴿بكرة وعشيًّا﴾ والمعنى: أنه [كان]^(٣) يخرج على قومه بكرةً وعشيًّا فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام: خرج عليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

يٰٓيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ وَبَرًّا
بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ

قوله: ﴿يا يحيى﴾ قال الزجاج: المعنى فوهبنا له وقلنا [له] يا يحيى^(٤) ﴿خذ الكتاب﴾ يريد التوراة ﴿بقوة﴾ قال مجاهد: بجهد ﴿وأتيناه الحكم صبيًّا﴾. قال ابن عباس: آتيناه النبوة في صباه، وهو ابن ثلاث سنين. وقال مجاهد: الحكم الفهم، وهو: أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة ﴿وحناناً من لدنا﴾ الحنان: العطف والرحمة. قال الوالي عن ابن عباس: يقول رحمة من عندنا، وهو قول جماعة المفسرين ﴿وزكاة﴾ قال ابن عباس: يعني: بالزكاة طاعة الله والإخلاص وقال قتادة: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك وابن جريج. معنى الآية: وأتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في الإخلاص ﴿وكان تقيًّا﴾ قال ابن عباس: جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري. قال المفسرون: وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها، أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ^(٥) الحافظ، نا عبد الله بن محمد بن حبال^(٦)، نا عمرو بن علي، نا أبو عاصم العباداني عن

(١) الأعراف: ١١.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن اسلم العدوي المدني مولاهم ت سنة ١٨٢ هـ طبقات المفسرين للداودي ١/٢٦٥.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا هـ وقلنا يا يحيى.

(٥) أبو الشيخ الحافظ أبو محمد - عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني ولد سنة ٢٧٤ هـ وتوفي سنة ٣٦٩ هـ تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٥

شذرات الذهب ٦٩/٣ طبقات الحفاظ ص ٣٨١.

(٦) ي هـ: عمران.

علي بن زيد^(١) عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لخلق أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا قلنا يا رسول الله ومن أين ذلك قال أما إنه لم يعمل سيئة ولم يهجم بها^(٢)».

قوله: ﴿وبرأ بالديه﴾ البر: يعني: البار كالصب^(٣) والطب^(٤) فعل بمعنى فاعل والمعنى لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿ولم يكن جباراً﴾ قال ابن عباس: هو الذي يقتل ويضرب على الغضب والعصي العاصي قال: يريد لا يرتكب لي معصية ﴿وسلام عليه يوم ولد﴾ الآية قال عطاء: يريد سلام عليه مني في الأيام، وقال الكلبي: سلام له منا وقال سفيان بن عيينه: أوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً عما كان فيه، ويوم يموت فيرى أحكاماً ليس له بها عهد، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره فخص الله يحيى بن زكريا بالكرامة والسلام في المواطن الثلاثة.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۚ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ قَالَتْ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۗ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۗ

قوله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ قال: واذكر من أمر مريم لأهل مكة ﴿إذ انتبذت﴾ قال: الكلبي: تنحت من أهلها ممن كانوا معها في الدار يقال: انتبذ فحل ناحية أي تنحى ناحية وقال قتادة: انفردت، قال ابن قتيبة: اعتزلت^(٥) مكاناً شرقياً أي إلى مكان في جانب الشرق قال عطاء: ^(٦) إن مريم تمت أن تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس. وقال عكرمة: أرادت الغسل من الحيض فتحولت إلى مشرقة دارهم للغسل ﴿فاتخذت من دونهم﴾ من دون أهلها لثلا يروها ﴿حجاباً﴾ سترأ وحاجزاً ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ بينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أجرد مضيء الوجه وهو قوله ﴿تمثل لها﴾ أي تصور لها ﴿بشراً سويّاً﴾ معتدلاً تاماً. قال ابن عباس: فلما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد ف﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ أي مخلصاً مطيعاً فستتهي بتعوذ بالله منك إن كنت تقياً ﴿قال﴾ جبريل ﴿إنما أنا رسول ربك ليهب لك﴾^(٧) أي أرسلني ليهب لك، ومن قرأ لأهب^(٩) أسند الفعل إلى جبريل والهبة من الله ولكن أسند إلى الرسول، وقوله: ﴿غلاماً زكياً﴾ قال ابن عباس: يريد نبياً، وقال الضحاك: صالحاً طاهراً من الذنوب ﴿قالت﴾ مريم ﴿أنى يكون لي

(١) علي بن زيد بن جدعان أبو الحسن القرشي الجرح والتعديل ١٨٦/٣ تذكرة الحفاظ ١٤٠/١ طبقات الحفاظ ص ٥٨.

(٢) قال عنه ابن كثير حديث ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة تفسير ابن كثير ٢١٢/٥ ط الشعب.

(٣) الصب: العشق يقال رجل صب: عاشق مشتاق والصبابة رقة الشوق الصالح للجوهري مادة صبب.

(٤) الطب العالم بالطب والماهر فيه الصالح للجوهري مادة طيب.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٣).

(٦) روى ذلك ابن جرير في تفسيره عن السدي ص ٤٦/١٦ وهو ضعيف الحديث.

(٧) وقراءة (لأهب) بالهمزة قرأ بها ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨ والنشر ٣١٧/٢.

غلام ولم يمسنني بشر ﴿ ولم يقربني زوج ﴿ ولم أك بغياً ﴾^(١) فاجرة زانية وإنما لم تقل بغية لأنه مصروف عن وجهه وهو فعيل بمعنى فاعل يقال: المرأة تبغي بغاء إذا فجرت، قال ابن عباس: قالت مريم ليس لي زوج ولست بزانية ولا يكون الولد إلا من الزوج أو من الزنا ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ مفسر في هذه السورة، قال ابن عباس: يريد يسير^(٢) أن أهب لك غلاماً من غير محل ﴿ ولنجعله آيةً للناس ﴾ دلالة على قدرتنا كون غلام ليس له أب ﴿ ورحمة منا ﴾ لمن تبعه وصدقه ﴿ وكان أمراً مقضياً ﴾ وكان خلقه أمراً محكوماً به مفروغاً عنه سابقاً في علم الله أن يقع.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۚ ۲۲ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ۚ ۲۳ ﴾

قوله ﴿ فحملته ﴾ قال ابن عباس: دنا منها جبريل فأخذ ردئي^(٣) قميصها بأصبعيه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها بعيسى عليه السلام ووجدت حس الحمل^(٤) فذلك^(٥) قوله ﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ أي تحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس: أقصى الوادي وهو بيت لحم فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: ألجأها يقال جاءها وأجاءها بمعنى واحد والمخاض وجع الولادة [واختلفوا في مدة حملها فقال بعضهم: تسعة أشهر على ما جرت العادة به. وقيل ثمانية أشهر ليكون أيضاً آية لأنه إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة]^(٦).

وقوله: ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة وإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سنف والجذع ساق النخلة ف ﴿ قالت يا ليتني مت قبل هذا ﴾ اليوم وهذا الأمر استحياء من الناس وخوف الفضيحة ﴿ وكنت نسياً منسياً ﴾^(٧) النسي ما أغفل من شيء حقير ونسي قال ابن عباس وقتادة: شيئاً متروكاً لا يذكر، وقال عكرمة ومجاهد حيضة ملقاة والمنسي [المتروك]^(٨) الذي لا يذكر، تقول: يا ليتني كنت ذلك النسي الذي لا يذكر ولا يطلب، وقرىء نسياً بالفتح^(٩) قال الفراء: هما لغتان مثل الجسر والجسر والوتر والوتر، والنسي: ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها^(١٠) قال ابن عباس: فسمع جبريل كلامها وعرف جزعها:

فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۚ ۲۴ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ سَلْقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا

(١) ساقط من جـ.

(٢) في أ، ب بشيراً.

(٣) ردئي القميص بالضم أصل الكم ومقدم كم القميص: لسان العرب: ردأ.

(٤) رواه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عساكر عن ابن عباس ٢٦٥/٣ ورواه ابن جرير عن وهب بن منبه ورواية أخرى عن السدي بسند فيه انقطاع ابن جرير ٤٨/١٦.

(٥) في هـ: وذلك.

(٦) ما بين القوسين ساقط من هـ، وفي قوله في المولود إذا جاء لثمانية أشهر لا يعيش نظر فإن المولود قد يعيش إذا جاء لسته أشهر لا لثمانية.

(٧) ساقط من جـ، د، هـ.

(٩) قراءة الفتح لحمزة والباقون بكسر النون السبعة لابن مجاهد (٤٠٨).

(١٠) معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢.

(٨) ساقط من د.

جَنِيًّا ٢٥ ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦﴾

﴿فناداها من تحتها﴾ وكان أسفل منها تحت الأكمة ﴿ألا تحزني﴾ وهذا قول السدي وقناة والضحاك^(١): أن المنادي جبريل ناداها من سفح الوادي، ومن قرأ فناداها من تحتها^(٢) قال: هو عيسى، وهو قول: مجاهد والحسن بين الله لها الآية في عيسى فكلما ليزول ما عندها من الوحشة والجزع ﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحنك﴾ أي تحت قدميك ﴿سرياً﴾ وهو النهر وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل [الله]^(٣) الماء فيه لمريم وأحيا ذلك الجذع حتى أورق وهو قوله ﴿وهزي إليك﴾ الهز: التحريك، يقال هزه هاهتز، والمعنى: اجذبي إليك ﴿بجذع النخلة﴾ والباء فيه زائدة^(٤)، قال الفراء: العرب تقول: هزه وهز به^(٥) [ومنه] قوله: ﴿فليمدد بسبب﴾^(٦) معناه: فليمدد سبباً، وقوله: ﴿تساقط [عليك]﴾^(٧) أي تساقط فأدغمت التاء في السين، ومعناه: تسقط عليك النخلة رطباً جنيّاً ﴿وقرأ حمزة^(٨) تساقط مخففاً، حذف التاء التي أدغمها غيره وروى حفص عن عاصم تساقط على وزن تفاعل وساقط بمعنى أسقط والمساقطة والتساقط على ما ذكرنا بمعنى الإسقاط، والرطب: النضيج من البسر، والجني: بمعنى المجني^(٩) يقال: جنيت الثمرة واجتنيتها قوله ﴿فكلي﴾ أي من الرطب ﴿واشربي﴾ من السري^(١٠) ﴿وقري عيناً﴾ بولدك عيسى، يقال: قررت به عيناً أفرقرة، بعضهم يقول: قررت أقر، وجاء في التفسير: طيبي نفساً ﴿فإما ترين﴾ أصله: إما ترى ثم دخله نون التوكيد فكسر الياء لالتقاء الساكنين كما تقول للمرأة أحشين [زيداً]^(١١) والمعنى فإما ترين ﴿من البشر أحداً﴾ فسألك عن ولدك ﴿فقولي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قال ابن عباس: صمتاً والمعنى: أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم. قال قناة: صامت من الكلام والطعام، وقال السدي وابن زيد: كان في بني اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي^(١٢)

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي ت سنة ١٠٢ هـ تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر من تحتها بفتح الميم والتاء، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (من تحتها) بكسر الميم والتاء. السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٨.

قراءة (من تحتها) بفتح الميم قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر انظر السبعة ص ٤٠٨ والنشر ٣١٨/٢.

(٣) ساقط من النسخة (د) وحية الجذع حتى صار فيه ثمراً رواه ابن جرير عن اسباط عن السدي والسدي معروف بضعفه. ابن جرير ٥٤/١٦.

(٤) قال ابن جرير: وأدخلت الباء في قوله: وهزي إليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن، وإنما تفعل العرب ذلك لأن الأفعال يكنى عنها بالباء فيقال إذا كنت عن ضربك عمراً فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزي إليك جذع النخلة ابن جرير ٥٥/١٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤، وفي د: وهز به قوله وقال الألوسي: الفعل هنا بمنزل الكلام فلذا عدي بالباء: أي فعل (الهز بجذع النخلة) كما في الألوسي ١٦/٨٤.

(٦) الحج: ١٥ - كتب بالقلم.

(٧) ساقط من ج. (١٠) السري: الجدول والنهر الصغير. ابن جرير ٥٣/١٦.

(١١) ساقط من (د).

(٨) السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٩.

(١٢) رواه ابن جرير عن الضحاك تفسير ابن جرير ١٦/٥٧.

(٩) في النسخة أ المجتنى.

يدل على هذا قوله ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ أي إني صائمة فلا أكلم اليوم أحداً وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر قال ابن مسعود ووهب (١) أمرت بالصمت لأنها لم تكن لها حجة عند الناس في شأن ولدها فأمرت بالكف عن الكلام ليكيفها الكلام ولدها بما يبريء ساحتها (٢).

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿فأتت به﴾ يعني بعيسى ﴿قومها تحمله﴾ قال الكلبي: إنها ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملت عيسى إلى قومها، فلما دخلت عليهم بكوا وخافوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ عظيماً منكرأ لا يعرف منك ولا من أهل بيتك، والفري: الأمر العظيم ﴿يا أخت هارون﴾ قال ابن عباس وقتادة: هارون رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه من عرف بالصلاح، والمعنى: يا شبيهته في العفة وعلى هذا يدل حديث المغيرة بن شعبة وهو ما أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن محمود بن أخبرنا والذي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣)، نا أبو سعيد الأشج، نا عبد الله بن إدريس أنا أبي عن سماك بن حرب (٤) عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرأون: يا أخت هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى فلم أدر ما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم (٥) رواه مسلم عن الأشج، وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها وكان أمثل رجل في بني إسرائيل، وقال السدي: عنوا هارون أخا موسى ونسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده كما يقال للتميمي يا أخا تميم (٦) وقوله ﴿ما كان أبوك أمراً سوءاً﴾ قال ابن عباس: يريد زانياً ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ زانية: أي لم يكونا زانيين فمن أين لك هذا الولد ﴿فأشارت إليه﴾ أي إلى عيسى وهو يرضع بأن كلموه، فتعجبوا من ذلك ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ في الحجر رضيعاً، قال أبو عبيدة (٧) كان ها هنا حشوزائد (٨) والمعنى: كيف نكلم صبياً في المهد، وبهذا قال كثير من أهل التفسير وقال الزجاج: الأجوز أن

(١) هو ووهب بن منبه وستأتي ترجمته بعد.

(٢) تفسير ابن جرير ٥٧/١٦.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن وهرام ت سنة ٣٣٧ هـ تاريخ الإسلام ٣/٢٨٥.

(٤) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار أبو المغيرة الكوفي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٤/٢٣٣ الجرح والتعديل ٢/٢٧٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ص ١٦٨٥ ط الحلبي ونجران موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة معجم البلدان ٥/٢٦٦.

(٦) لم أعر على قول الكلبي، أما قول السدي فقد ذكره ابن جرير في تفسيره ٥٩/١٦.

(٧) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي البصري اللغوي توفي سنة ٢١٠ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/٢٥٦.

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة بلفظ كان فضل ٧/٢ ولم يوافق أبا عبيدة على رأيه هذا كثير من المفسرين فقد قال أبو حيان وقيل قامة وينتصب =

يكون من في معنى الشرط والجزاء المعنى: من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه واختاره ابن الأنباري، وقال: هذا كما تقول كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي؟ معناه: من يكن لا يقبل والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزاء، قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم لم يزد على أن ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه و﴿قال إني عبد الله﴾ قال ابن عباس: أقر بالعبودية على نفسه وبربوبية الله أول ما تكلم ﴿أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة فيما قضى وهذا إخبار عما سبق له مما هو كائن قوله: ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ قال: نفاعاً حيث ما توجهت^(١) وقال مجاهد: معلماً للخير، وقال عطاء: لأنني أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أمرني بإقامتها ﴿والزكاة﴾ يعني زكاة الأموال ﴿وبراً بوالدي﴾ قال ابن عباس: لما قال بوالدي ولم يقل بوالدي علموا أنه نبي من الله ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ متعظماً يقتل ويضرب على الغضب ﴿شقياً﴾ عاصياً لربه ﴿والسلام علي﴾ قال المفسرون: السلامة علي من الله ﴿يوم ولدت﴾ حتى لم يضرنني شيطان، والآية مفسرة في هذه السورة قالوا لما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧

قوله: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم لا ما يقوله النصراني من أنه ابن الله وأنه إله ﴿قول الحق﴾ أي القول الحق فأضيف القول إلى الحق كما قيل حق اليقين ووعده الصدق، والمعنى: هذا الكلام قول الحق يعني: ما ذكر من صنعته وأنه ابن مريم قول الحق، من نصب قول الحق فهو نصب على المصدر، أي قال قول الحق ﴿الذي فيه تمترون﴾ الذي من نقب عيسى، ويمترون: يشكون ويختلفون، فيقول قائل: هو ابن الله، ويقول آخر هو الله ثم نفى عن نفسه اتخاذ الولد فقال: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ قال ابن الأنباري: ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد، أي ما يصلح له ولا يستقيم فثبت اللام عن الفعل وذلك أن الولد مجانس للوالد وكذلك من اتخذ ولداً بما يتخذه من جنسه، والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له ولد ولا يتخذ ولداً، قال الزجاج: من في قوله من ولد مؤكدة تدل على نفس الواحد والجماعة، فلا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر، ثم نزه نفسه عن مقالتهم بقوله ﴿سبحانه﴾ ثم بين السبب في كون عيسى من غير أب فقال ﴿إذا قضى أمراً﴾ إذا أراد أن يحدث شيئاً ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ لا يتعذر عليه إيجاده الذي أرادته ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ هذا إخبار عن عيسى أنه قال ذلك المعنى: ولأن الله ربي وربكم، ويجوز أن يرجع إلى قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة

= صبياً على الحال في هذين القولين. والظاهر أنها ناقصة فتكون بمعنى صار، أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي، ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله عفواً رحيماً، والمعنى كان وهو الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان هذه بأن ترادف لم يزل، وقال الزمخشري لا يقع مضمون الجملة في زمان ماضٍ مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا القريبة خاصة والدال عليه معنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضيه أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً اهـ البحر المحيط لأبي حيان ١٨٧/٦.

(١) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد وتابعه في ذلك ابن كثير تفسير ابن جرير ٦١/١٦.

وبأن الله ربي وربكم، ومن كسر جعله معطوفاً على قوله إني عبد الله^(١)، ويجوز أن يكون استثناءً من غير عطف، وقوله ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي هذا الذي أخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة قوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: بينهم، ومن زائد^(٢)، قال المفسرون: كانوا أحزاباً متفرقين بينهم في أمر عيسى فقال بعضهم هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: بالثلاثة^(٣) ﴿فويل﴾ فشدّة عذاب ﴿للذين كفروا﴾ بالله، بقولهم في المسيح ﴿من مشهد يومٍ عظيمٍ﴾ من حضورهم ذلك اليوم للجزاء والحساب.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ قال قتادة: ذلك والله يوم القيامة، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر، وقال الحسن^(٤): لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يعني: الكافرين والمشركين ضلوا في الدنيا وعموا عن الحق، وآثروا الهوى على الهدى، قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ خوف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد من الإحسان، وقال أكثر المفسرين: يعني الحسرة حين يذبح الموت بين الفريقين، فلومات أحد فرحاً لِمات أهل الجنة، ولومات أحد حزناً لِمات أهل النار أخبرنا الشيخ أبو سهل عبد الواحد بن محمد الخشاب شيخ الصوفية قراءة عليه في شهر شعبان سنة خمس عشرة وأربعمائة أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحبري أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي نا عثمان بن أبي شيبة^(٥) نا جرير عن الأعمش [عن أبي صالح]^(٦) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون [وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون] ﴿٧﴾ فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكلهم قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت يا أهل النار خلود فلا موت قال وذلك قوله عز وجل: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ رواه مسلم^(٨) عن عثمان بن أبي شيبة، وقوله ﴿إذ قضي الأمر﴾ قال مقاتل بن سليمان: قضي لهم العذاب في الآخرة ﴿وهم﴾ في الدنيا ﴿في غفلة﴾ وقال ابن جريج والسدي: إذ قضي الأمر إذ ذبح الموت وهو

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (وأن الله) بفتح الهمزة السبعة لابن مجاهد ص ٤١٠ وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي فقد قرؤوا (وإن الله) بكسر همزة ان على الاستئناف السبعة ص ٤١٠ والنشر ٣١٨/٢.

(٢) هذا على مقياس النحويين في كتبهم أما كتاب الله فلا زياده فيه ولا نقصان.

(٣) أي قال بعضهم (بالأب والابن والروح القدس).

(٤) الحسن بن أبي الحسن البصري من سادة التابعين ت سنة ١١٠ هـ طبقات الحفاظ ص ٢٨ الدرر الكامنة ١/١٢٨.

(٥) عثمان بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن الكوفي ت سنة ٣٣٩ هـ تاريخ بغداد ١١/٢٣٢، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٤، شذرات الذهب ٩٢/٢.

(٦) ما بين القوسين ساقط من جـ وهو: أبو صالح السمان ابن ذكوان الزيات المدني تذكرة الحفاظ ١/٨٩، طبقات الحفاظ ص ٣٣ طبقات ابن سعد ٥/٢٢٢.

(٧) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٨) رواه مسلم في كتاب الجنة. باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨ ط الحلبي والبخاري في كتاب التفسير سورة مريم ٦/١١٧ ط الشعب.

في غفلة في الدنيا عما يصنع بالموت ذلك اليوم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ بما يصنع^(١) بالموت في ذلك اليوم ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ نمت سكانها فنرثها ﴿ومن عليها﴾ لأنها نمتهم ونهلكهم وهذا كقوله ﴿ونحن الوارثون﴾^(٢) ﴿والينا يرجعون﴾ يردون بعد الموت.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۚ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۚ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ

قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ اذكر لقومك قصته ﴿إنه كان صديقاً﴾ كثير الصدق ﴿نبياً إذ قال لأبيه [يا أبت] (٣) لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ [ويخه على عبادته شيئاً لا سمع له ولا بصر] (٤) ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ لا يدفع عنك ضرراً ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ على ما جاءني من ربي لأرشدك إلى دين مستقيم ﴿[يا أبت] لا تعبد الشيطان﴾ لا تطعه فيما يزن لك من الكفر والمعاصي ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ عاصياً ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسه عذاب من الرحمن﴾ أخشى أن يصيبك عذاب الله بطاعتك للشيطان ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ قريباً في النار فقال أبوه مجبهاً (٥) له.

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۚ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۚ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۚ

﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أثاركها أنت، وتارك عبادتها ﴿لئن لم تنته﴾ عن شتمها وعيها ﴿لأرجمنك﴾ لأرمينك بالقول القبيح وأشتمنك ﴿واهجرني ملياً﴾ تباعد عني ملياً حيناً وزماناً طويلاً، والملي: من الدهر حين طويل يقال: أقام بموضع كذا ملياً [أي حيناً وزماناً طويلاً] (٦) ف﴿قال﴾ إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه [وذلك] (٧) أنه لم يؤمر بقتاله على كفره ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وذلك أنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله في أبيه (٨) فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له والمعنى: سأسأل لك التوبة تنال بها مغفرته ﴿إنه كان بي حفيماً﴾ (٩) باراً لطيفاً، يقال: حفى به حفة وإذا بره وألطفه ﴿وأعتزلكم﴾ أتنحى عنكم وأفارقكم ﴿وما تدعون من دون الله﴾ وأعتزل ما تعبدون [من دون] (١٠)

(١) في هـ: لما يصنع ذلك اليوم.

(٢) ليست في هـ: يا أبت في الآيتين.

(٣) الحجر: ٢٣

(٤) ساقط من جـ.

(٥) في هـ مجيباً، ولكن مجبها بمعنى معنفاً له وموبخاً ففي لسان العرب جبهت فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غلظة لسان العرب مادة جبه.

(٦-٧) ساقط من هـ.

(٨) فيما عدا هـ بأبيه.

(٩) حفيماً: معناه كان عالماً لطيفاً يجب دعوته، ولحفي معان أخرى كثيرة ليس هذا موضعها وإنما يراجع لسان العرب مادة «حفا».

(١٠) ساقط من (د).

الله يعني الأصنام ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أعبده ﴿عسى أن لا أكون بدعائي ربي شقياً﴾ أرجو لا أشقى بعبادته، يعني كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام لأنها لا تنفعهم ولا تجيب دعاءهم

فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ هجرهم فخرج إلى ناحية الشام ﴿وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ أنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله ﴿وكلاً﴾ من هذين ﴿جعلنا نبياً﴾ ﴿وهبنا لهم من رحمتنا﴾ المال والولد وهذا قول الأكثرين قالوا: يعني ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقال آخرون: يعني الكتاب والنبوة ﴿وجعلنا لهم لسان صدق﴾ ثناء حسناً في الناس ﴿علياً﴾ مرتفعاً سائراً في الناس فكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويشنون عليهم.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ

قوله ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾^(١) أخلص العبادة والتوحيد لله ومن قرأ مخلصاً^(٢) فهو الذي أخلصه الله من الدنس ﴿... ونادينا﴾ قال ابن عباس: يريد حين^(٣) أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله ﴿يا موسى إني أنا الله﴾^(٤) ﴿من جانب الطور﴾ من ناحية الجبل وهو جبل بين مصر ومدين^(٥) واسمه زبير ﴿الأيمن﴾ يعني الذي يلي يمين موسى ﴿وقربناه نجياً﴾ مناجياً، والنجي: بمعنى المناجى، كالجلس والنديم^(٦) قال ابن عباس: قربه الله وكلمه، ومعنى هذا التقريب أن أسمعه كلامه قال الزجاج: قربه منه في المنزل حتى سمع مناجاة الله ﴿وهبنا له من رحمتنا﴾ من نعمتنا ﴿أخاه هارون نبياً﴾ قال ابن عباس: يريد حين سألتني فقال ﴿اجعل لي وزيراً من أهلي﴾^(٨).

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد﴾ قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفى به وقال مقاتل^(٩) :

(١) (مخلصاً) بكسر اللام وهي قراءة: نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبي عمرو وابن عامر ورواية عن عاصم انظر السبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/٢٩٥.

(٢) (مخلصاً) بفتح اللام وهي قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم. انظر السبعة ص ٤١٠ والنشر ٢/٢٩٥.

(٣) في هـ: حيث.

(٤) القصص: ٣٠.

(٥) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل وبها استسقى موسى عليه السلام لبنات شعيب معجم البلدان ٥/٧٧.

(٦) معجم البلدان ٣/١٣٢. (٧) بمعنى المجالس والمنادم.

(٨) طه: ٢٩.

(٩) مقاتل بن حيان النبطي أو بسطام البلخي له ترجمة في: طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٢٩، طبقات الحفاظ ص ٧٦ تهذيب التهذيب

أقام ينتظر إنساناً لميعاد ثلاثة أيام . وقال الكلبي: أقام حتى حال عليه الحول ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ إلى جرهم (١) ﴿وكان يأمر أهله﴾ (٢) قال ابن عباس يريد قومه قال الزجاج: أهله جميع أمته، قال مقاتل نظيره ﴿وأمر أهلك بالصلوة﴾ (٣) أي قومك وقوله ﴿بالصلوة والزكاة﴾ قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله عليهم، وهي: الحنيفية التي فرضت علينا ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ قال: يريد قام لله بطاعته .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

وقوله في ذكر ادريس ﴿...﴾ . . . ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال مجاهد رفع ادريس ولم يمت كما رفع عيسى قال المفسرون: رفع إلى السماء الرابعة . أخبرنا محمد بن إبراهيم عن محمد بن يحيى، أنا [محمد] (٤) بن جعفر بن الهيثم نا أبو بكر الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر، نا حسين (٥) بن محمد المروزي نا سفيان عن قتادة عن انس أن نبي الله ﷺ قال لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة (٦) .

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

﴿وأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ثم بين مراتبهم في شرف النسب فقال: ﴿من ذرية آدم﴾ يعني ادريس ونوحاً ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ يعني في السفينة ويريد إبراهيم لأنه من [ولد] (٧) سام بن نوح ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ يريد اسماعيل واسحق ويعقوب وقوله ﴿وإسرائيل﴾ يعني ومن ذريته وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فكان لإدريس ونوح شرف القرب [من آدم وإبراهيم شرف القرب] (٨) من نوح واسماعيل واسحق ويعقوب ولما تباعدوا من آدم حصل لهم الشرف بإبراهيم ﴿وممن هدينا واجتبتنا﴾ أي هؤلاء كانوا ممن أروشدنا واصطفينا ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ قال ابن عباس: سجداً لله متضرعين إليه قال الزجاج: قد بين الله أن الأنبياء كانوا إذا أسمعوا آيات الله سجداً وبكوا .

﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ (٩) ﴿إلا من تاب وعامن وعمل صالحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (١٠)

قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال السدي: هم اليهود والنصارى وقال مجاهد وقتادة: هم من هذه الأمة عند

(١) جرهم بطن من القحطانية كانت منازلهم أولاً باليمن ثم انتقلوا إلى الحجار فنزلوه ثم نزلوا بمكة واستوطنوها . معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة ١٨٣/١ .

(٢) في أ: أهله (بالصلوة) وهي مكررة .

(٣) طه: ١٣٢ .

(٤) ساقط من جـ ولفظ أنا بعدها ساقط من هـ .

(٥) حسين بن محمد بن بهرام المروزي التميمي أبو أحمد ت سنة ٢١٣ هـ انظر تاريخ بغداد ٨/٨٨، طبقات الحفاظ ص ١٦١ .

(٦) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ١٤٥/١ .

(٧) ساقط من جـ .

(٨) ساقط من هـ ط الحلبي .

قيام الساعة وذهاب صالحى هذه الأمة قوم يتنايزون^(١) بالزنا ينزرو بعضهم على بعض فى الأزقة زناة ﴿أضاعوا الصلوة﴾ قال الأكثرون أخروها عن وقتها، قال ابراهيم: أضاعوا الوقت وقال عمر بن العزيز: شربوا الخمر فأضاعوها، وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس^(٢) ﴿واتبعوا الشهوات﴾ المعاصى وشرب الخمر، والمعنى: آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ﴿فسوف يلقون غيا﴾ قال ابن مسعود ومجاهد وعطاء عن ابن عباس: هو واد فى جهنم. أخبرنا أبو منصور بن يحيى التميمي أنا عبد الله بن محمد بن نصير القرشي، نا محمد بن أيوب أنا عمرو بن مرزوق، نا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله^(٣) فى قوله ﴿فسوف يلقون غيا﴾ قال: نهر فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم^(٤)، وليس معنى يلقون يردون فقط لأن اللغاء معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ﴿إلا من تاب﴾ من التقصير فى الصلاة ﴿وآمن﴾ من اليهود والنصارى^(٥) ﴿وعمل صالحاً﴾ بطاعة الله ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ قال ابن عباس: لا ينقصون ثواباً.

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم عابوا عما فيها مما لا عين رأت، والمعنى: أنهم لم يروها فهي غيب لهم ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ قال الفراء: لم يقل آتياً لأن كل ما أتاك فقد أتته^(٦) ونحو هذا قال الزجاج، وقال ابن جريج^(٧): وعده فى هذه الآية موعود وهو الجنة، ومأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ وهو الهذر وما يلغى من الكلام ﴿إلا سلاماً﴾ لكن يسمعون سلاماً وهو أن بعضهم يحيى بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب الملائكة بالسلام قال الزجاج: السلام اسم جامع للخير لأنه متضمن السلام والمعنى: إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤذيهم وإنما يسمعون ما يسلمهم ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال المفسرون: ليس فى الجنة بكرة ولا عشية ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء قال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم

(١) فى هـ يتبارون والنص فى تفسير الطبري ٧٥/١٦.

(٢) لابن جرير رأى نقله عن العلماء فى هذا المعنى يقول فيه: أضاعوا الصلاة أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفرأ. تفسير الطبري ٧٤/١٦ وفيه أيضاً عن ابن مسعود وقد سئل عن إضاعتها قال عن مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك إلا الترك قال: ذاك الكفر وقال القرطبي فى تفسيره وجملة القول فى هذا الباب أن من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن من حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ولا دين لمن لا صلاة له. الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/١١ ط دار الكتاب العربى.

(٣) أي ابن مسعود.

(٤) روى الهيثمي نحوه فى كتاب التفسير سورة مريم وقال رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه مجمع الزوائد ٥٥/٧ ورواه ابن جرير بالنص ٧٥/١٦.

(٥) فى هذا نظر فإن الإيمان لا يقتصر على اليهود والنصارى بل ينطبق القول على كل من تاب وآمن سواء كان قبل ذلك يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو ولد مسلماً.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٧٠/٢.

(٧) فى ج ابن جرير.

يؤيد هذا قول الله تعالى فى سورة الزمر ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾.

الغداء والعشاء أعجب به فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم ليل [ولا نهار] (١) إنما هو ضوء ونور وقال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء فذكر الله جنته فقال: لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا.

قوله ﴿تلك الجنة﴾ يعني الجنة التي ذكرها في قوله ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ ﴿التي نورث من عبادنا﴾.

وذلك أن الله تعالى يورث عباده المؤمنين من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وجوز أن يكون معنى يورث تعظيم ذلك ونزلهم إياها وتكون كالميراث لهم من جهة أنها تملك مستأنف وقوله ﴿من كان تقياً﴾ أي من اتقى معصية الله وعقابه بالطاعة والإيمان.

وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

قوله ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا أبو بكر محمد بن علي القفال أنا اسحق بن محمد بن اسحق الرسغني، نا جدي، نا المغيرة، نا عمر بن ذر عن أبيه (٢) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ الآية كلها قال: وكان هذا جواباً لمحمد ﷺ رواه (٣) البخاري (٤) عن أبي نعيم عن عمر بن ذر قال المفسرون استبطأ رسول الله ﷺ جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل ثم جاءه فقال له: يا جبريل إني كنت لمشتاقاً إليك قال: وأنا والله يا محمد قد كنت إليك مشتاقاً ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ونزلت هذه الآية (٥) وقوله ﴿له ما بين أيدينا﴾ أي من أمر الآخرة والثواب والعقاب ﴿وما خلفنا﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وما بين ذلك﴾ ما يكون هذا الوقت إلى يوم القيامة، وهذا قول سعيد بن جبیر وقتادة ومقاتل واختيار الزجاج ﴿وما كان ربك نسياً﴾ قال ابن عباس: تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي، والنسي: بمعنى الناسي وهو التارك ﴿رب السموات والأرض﴾ مالهما ﴿وما بينهما﴾ وما لك ما بينها ﴿فاعبده﴾ وحده لأن عبادته بالشرك كلا عبادة ﴿واصطبر لعبادته﴾ أصبر على أمره ونهيه ﴿هل تعلم له سمياً﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً؟ وهو قول مجاهد وسعيد بن جبیر وقتاده وقال في رواية عكرمة: هل تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره؟ وقال في رواية عطاء هل تعلم أحداً يسمى الله غيره؟ وقال الزجاج: تأويله - والله أعلم - هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون؟ وعلى هذا: لا سمي لله في جميع أسمائه لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه فله حقيقة ذلك الوصف.

(١) ساقط من هـ، د.

(٢) ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني أبو عمر الكوفي ت سنة ٨٠ تهذيب التهذيب ٢١٨/٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة مريم ١١٨/٦ وبدء الخلق ١٣٧/٤ ط الشعب.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري ت سنة ٢٥٦ انظر البداية والنهاية ٣٤/١١ تاريخ بغداد ٤/٢ تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢.

(٥) في ابن كثير رواه ابن أبي حاتم وهو غريب ٣٤٤/٥ ط الشعب والسيوطي في الدر المنثور، عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم الدر

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

وقوله ﴿ويقول الإنسان﴾ معناه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ﴿إذ ما مات لسوف أخرج حياً﴾ يقول ذلك استهزاء وتكديباً منه بالبعث قال ابن عباس في رواية عطاء يعني: الوليد بن المغيرة وقال في رواية الكلبي: نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظماً بالية يفتها بيده ويقول زعم محمد أن الله يبعثنا بعد ما نموت فقال الله مجيباً لذلك الكافر ﴿أو لا يذكر الإنسان﴾ أو لا يتذكر هذا الجاحد أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة وهو قوله ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ ثم أقسم أنه يحشرهم فقال ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ أي لنجمعنهم في المعاد ﴿والشياطين﴾ وذلك أن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ يعني في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، يقال: جلس القوم حول البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به، وقوله ﴿جثياً﴾ قال مجاهد: مستوقرين^(١) على الركب جمع جاث من قولهم: جثا على ركبته يجثو جثواً، وقال ابن عباس: جثيا جماعات، وهو قول مقاتل، وهو جمع جثوة وجثوة وهي المجموع من التراث والحجارة ﴿ثم لننزعن﴾ لنأخذن ولنخرجن ﴿من كل شيعة﴾ من كل فرقة وجماعة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم، قال الأحوص^(٢): بدىء بالأكابر جرماً، وقال قتادة: لننزعن^(٣) من كل أهل دين قادتهم ورؤسائهم في الشر والعتي ها هنا: مصدر كالتعتو، وهو التمرد في العصيان، وأما رفع أيهم فقال الزجاج: فيه ثلاثة أقوال: أحدها [أنه]^(٤) على الاستثناف ولننزعن يعمل في موضع من كل شيعة هذا قول يونس^(٥) وقال الخليل انه على معنى: الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتياً، وقال سيبويه^(٦): أيهم ها هنا مبني على الضم تقول اضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل^(٧) ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ يقال: صلى النار يصلها صلياً أي دخلها وقاسى حرها، يعني أن الأولى بها صلياً الذين هم أشد على الرحمن عتياً على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة.

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا^٤ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وما منكم أحد^(٨) إلا وارد جهنم ﴿كان على ربك﴾ كان ورودكم جهنم ﴿حتماً﴾ الحتم: إيجاب القضاء والقطع بالأمر، يقال كان ذلك حتماً أي موجباً ﴿مقضياً﴾ قضاء الله عليكم وأكثر

(١) معنى مستوقرين: استوقر وقر طعماً أخذه واستوقر إذا حمل حملاً قليلاً واستوقرت الإبل سمت وحملت شحوماً (اللسان فصل الواو حرف الراء).

(٢) الأحوص بن جواب الضبي الكوفي صدوق ت سنة ٢١١ هـ تقريب التهذيب ٤٩/١.

(٣) في هـ: لننزعن من كل شيعة أي من كل... الخ.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) يونس بن حبيب البصري ت سنة ١٨٢ هـ انظر طبقات المفسرين للدودي.

(٦) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه ت سنة ١٨٠ هـ بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢٢٩، نزهة الألباء ص ٦١.

(٧) الكتاب لسيبويه ٢/٣٩٨.

(٨) في هـ: إلا هو.

الناس على الحكم بظاهر الآية (وهو أن الخلق كلهم يردون النار ثم ينجي الله المؤمنين أخبرنا أبو القاسم بن حمدان نا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، نا سعيد بن محمد مسعود، نا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل عن السدي: قال سألت مرة الهمداني^(١) عن قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ فحدثني ان عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال «يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلعم البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه^(٢)» وقال ابن عباس في هذه الآية الورود الدخول وأخذ بيد مجاهد وقال: أما أنا وأنت فسندخلها، وخاصة نافع بن الأزرق^(٣) فقال إن الشيء ربما ورد الشيء ولكن لا يدخله فقال ابن عباس يا ابن الأزرق أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل ينجيننا الله منها أم لا؟ وكان^(٤) أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمني لم تلدني ثم يبكي قال أخبرنا أنا وادوها ولم نخبر أنا صادرون^(٥) عنها وبكى عبد الله بن رواحة وقال آية نزلت ينثني فيها ربي أني وارد النار ولم ينثني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني، وقال: الحسن كيف لا يحزن المؤمن؟ وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم يأت أنه صادر [منها]^(٦) ثم إن الله تعالى قادر بلطفه أن يسلم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروا بها ويخرجوا منها سالمين فقد أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا عبد الله بن محمد بن نصير، نا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، نا صالح بن غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمية^(٧) قال: اختلفنا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً^(٨) أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي^(٩) نا [سهل بن عثمان]^(١٠) عن ثور^(١١) عن خالد بن معدان قال إذا

(١) مرة: الطيب بن شراحيل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي ت ٧٦ هـ تذكرة الحفاظ ٦٧/١ طبقات ابن مسعود ٧١/٦، طبقات الحفاظ (٢٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ١٤٦/٨ ط الشعب، مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١٨٧/١ ط الحلبي ومعنى حضر الفرس / عدوه وإسراعه الصحاح للجوهري مادة حضر.

(٣) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي رأس فرقة الأزارقة ت سنة ٦٥ هـ انظر لسان الميزان ١٤٤/٦ الكامل لابن الأثير ٦٥/٤، الأعلام ٣٥١/٧ ط دار العلم.

(٤) تفسير ابن جرير ٨٤/١٦، ابن كثير ٤٤٨/٥.

(٥) تفسير ابن جرير ص ٨٢/١٦.

(٦) ساقط من ج وفي هـ: عنها.

(٧) أبو سمية عن جابر مقبول من الرابعة التقريب ٤٣١/٢.

(٨) رواه أحمد في مسنده ٣٢٨/٣ ط بيروت وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٥٥/٧ ط بيروت وحديث خالد بن معدان التالي: رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي: فيه يحيى بن يونس ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد باب في الأرواح ٣٢٩/٢.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢ طبقات المفسرين للدوادري ٢٨٢/١ طبقات الحفاظ ص ٣٠٠.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب) وهو: سهل بن عثمان بن فارس العسكري الكندي ت سنة ٢٣٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٤٥٢/٢، خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣٣ طبقات الحفاظ ص ١٩٧.

(١١) ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الشامي الحمصي ت سنة ١٥٣ هـ تذكرة الحفاظ ١٧٥/١ تهذيب التهذيب ٣٥/٢ طبقات الحفاظ ص ٧٧.

دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم: بلى ولكن مررتم بها وهي خامدة.

أخبرنا اسماعيل بن النصر آبادي، أنا محمد بن إبراهيم المحاملي، نا محمد بن ابراهيم البوشنجي^(١)، نا سليم بن منصور بن عمار حدثني أبي قال حدثني بشير بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال «تقول النار يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»^(٢) وروى عثمان بن الأسود^(٣) عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها وعلى هذا من حم من المسلمين فقد وردها لأن الحمى من فيح جهنم^(٤) وقد قال ﷺ «الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار»^(٥) ويدل على صحة هذا التأويل ما أخبرنا أبو منصور بن طاهر أنا أبو سعيد الخلافي، نا محمد بن الحسين^(٦) بن قتيبة، نا عبيدة بن عبد الرحيم^(٧)، نا أبو أسامة حماد بن أسامة^(٨)، نا عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «أنه عاد مريضاً من وعك كان به فقال أبشر إن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار»^(٩) وقال ابن زيد: ورود المسلمين النار: العبور على الجسر وورود الكافرين أن يدخلوها، قال الله تعالى: ﴿ثم نجى الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك وصدقوا ﴿ونذر الظالمين﴾ قال المشركين والكفار ﴿فيها جثياً﴾ قالوا على الركب، وقالوا جميعاً كما فسرنا فيما قبل. قوله:

وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾

(١) محمد بن ابراهيم بن سعيد البوشنجي أبو عبد الله ت سنة ٢٩١ هـ طبقات الحفاظ (٢٨٦) تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢، تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٢) قال عنه الهيثمي رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البعث باب ما جاء في الميزان والصراف والورود ٣٦١/١٠.

(٣) عثمان بن الأسود موسى بن باذان المكي ت سنة ١٥٠ هـ تهذيب التهذيب ١٠٧/٧.

(٤) في هذا انظر حيث أنه لا علاقة بين مرض المرء في الدنيا ونعيمه أو عذابه في الآخرة اللهم إلا تكفير ذنوبه إن صبر على بلاء نزل به من عند الله.

(٥) قال الهيثمي: رواه أحمد الطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلستيني ولم أر له رواياً غير محمد بن مطرف مجمع الزوائد كتاب الجنائز باب في الحمى ٣٠٥/٢.

(٦) في جـ الحسن.

(٨) حماد بن أسامة بن زيد القرشي الكوفي ت سنة ٢٠١ هـ عن ثمانين سنة انظر تذكرة الحفاظ ٣٢١/١ تهذيب التهذيب ٢/٣ طبقات الحفاظ (١٣٤).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره وابن كثير وقال: غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه تفسير ابن كثير ٢٥٠/٥ ط الشعب وتفسير الطبري ٨٣/١٦ وقد أيد القرطبي القول القائل بأن ورود المؤمن هو الحمى تفسير القرطبي ١٣٨/١١ أما الألويسي فبعد أن أورد أحاديث الحمى قال: والحق أنه لا دلالة فيه على عدم ورود المؤمن المحموم في الدنيا النار في الآخرة، وقصارى ما يدل عليه أنه يحفظ من ألم النار يوم القيامة، وقيل أن الورود الحضور والقرب كما في قوله ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ واختار بعضهم أن المراد حضورهم جاثين حوالها. انظر روح المعاني ١٢٢/١٦ والرأي عندي أن الورود للمؤمن المرور من فوقها والعبور على الجسر لحديث البخاري ومسلم «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم... الخ» وقد مر هذا الحديث.

﴿وإذا تلى عليهم﴾ يعني [على] ^(١) المشركين ﴿آياتنا بينات﴾ يريد القرآن ﴿قال الذين كفروا﴾ مشركو قريش ﴿لليدين آمنوا﴾ لفقراء المؤمنين ﴿أي الفريقين﴾ نحن أم أنتم ﴿خير مقاماً﴾ وقرىء مقاماً بضم الميم ^(٢) وهما المنزل والمسكن ﴿وأحسن ندياً﴾ الندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم ومنه قوله ﴿وتأتون في ناديك﴾ ^(٣) المنكر والمعنى: إن المشركين قالوا لفقراء المؤمنين نحن أم أنتم أعظم شأناً وأعز مجلساً؟ افتخروا عليهم بمساكنهم ومجالسهم، فقال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً﴾ الأثاث المال أجمع الإبل والغنم والعييد والمتاع قال ابن عباس والسدي: الأثاث المال وقال قتادة: أحسن أثاثاً أكثر أموالاً، الحسن: الأثاث اللباس. والرثي: المنظر، فعل من رأيت، والمصدر الرأي والرؤية كالطحن والرعي، والمفسرون يقولون: الرأي: المنظر وقال الحسن: الصور، وقرىء [رياً] ^(٤) بغير همز ^(٥) قال الزجاج: وله تفسيران أحدهما: أن الأول بطرح الهمز، الثاني أنه من الري الذي هو ضد العطن والمراد به أن منظرهم مرتو من النعمة كأن النعيم بين فيهم لأن الري ^(٦) يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول، والمعنى: إن الله قد أهلك قبلهم أقواماً كانوا أكثر متاعاً وأحسن منظرأ فأهلك أموالهم، وأفسد عليهم جوههم، فليخافوا نعمة الله بالاهلاك كسنة من قبلهم من الكفار.

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلِحَتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قوله: ﴿قل من كان في الضلالة﴾ قال ابن عباس: قل لهم يا محمد من كان في العماية عن التوحيد ودين الله ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ [هذا لفظ الأمر ومعناه الخير أي مده الرحمن مداً] ^(٧) وكذا فسره ابن عباس فقال: يريد فإن الله يمد له فيها حتى يستدرجه وقال الزجاج: تأويله أن الله جعل جزاء ضلالتة أن يتركه ويمده فيها لأن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن المتكلم يقول أفعل ذلك وأمر به نفسي، ومعنى مده الله في ضلالتة: أمهله وطول عمره فيها ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ يعني الذين مدهم ^(٨) الله في الضلالة وأخبر عن الجماعة لأن لفظ من يصلح للجماعة ثم ذكر ما يوعدون فقال ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني القتل والأسر، أو القيامة والخلود في النار ﴿فسيعلمون﴾ حيثذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة ﴿وأضعف جنداً﴾ وهذا رد عليهم في قولهم ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

قوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا﴾ قال الربيع بن أنس يريد أنه يزيد الذين اهتدوا بكتابه ﴿هدى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات فيصدقون بها، وقال الزجاج المعنى أن الله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلالتة ﴿والباقيات الصالحات﴾ الأذكار والأعمال الحسنة من الطاعات التي تبقى لصاحبها ولا تحبط ﴿خير

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) قراءة ﴿خير مقاماً﴾ بضم الميم قرأ بها ابن كثير السبعة ص ٤١١ والنشر ٣١٩/٢.

(٣) المنكبوت: ٢٩.

(٤) عن هـ فقط.

(٥) قراءة (رياً) بغير همزة قرأ بها ابن عامر ورواية عن نافع السبعة ص ٤١١ والنشر ٣٩١/١.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٨) في هـ: الذي وهو تصحيف.

عند ربك ثواباً ﴿ جزاء في الآخرة مما يفتخر به الكفار من مالهم وحسن معاشهم ﴾ وخير مردأ ﴿ المرء - ها هنا - مصدر، مثل الرد والمعنى: وخير رد للثواب^(١) على عامليها ليس كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت، ويقال هذا الأمر رد عليك أي أنفع لك والمعنى: أنه يرد عليك ما تريد.

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَّتْ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾
كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴿٨٠﴾

وقوله ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا﴾ قال جماعة أهل التفسير: نزلت في العاص^(٢) بن وائل وذلك أن خباب بن الارت كان له عليه دين فاتاه يتقاضاه فقال لا أقضيك حتى تكفر بإله محمد فقال خباب: والله لا أكفر بإله محمد حياً ولا ميتاً ولا حين أبعث قال: فدع مالك قبلي فإذا بعثت أعطيت مالا وولداً وقضيتك^(٣) مما أعطى يقول ذلك مستهزئاً فنزل الله ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا﴾^(٤) يعني العاص كفر بالقرآن ﴿وقال لأوتين﴾ لأعطين ﴿مالا وولدا﴾ يعني في الجنة بعد البعث وقرىء وولداً بضم الواو^(٥) وهما واحد مثل العرب والعرب والعجم والعجم. وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المزكي، أنا عبید الله بن محمد [بن محمد]^(٦) بن بسطة^(٧) أنا عبد الله بن عبد العزيز، نا أبو خيثمة، نا وكيع^(٨)، نا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال كنت رجلاً قيناً^(٩) وكان لي على العاصي بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت لن أكفر به حتى تموت وتبعث، فقال: فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أفيك إذا رجعت إلى مالي وولدي قال: فنزلت فيه ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾^(١٠) رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان ورواه مسلم عن الأشج عن وكيع وكلاهما عن الأعشى قال الله تعالى تكذيباً^(١١) له ومنكراً عليه ﴿أطلع الغيب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة أم لا؟ وقال الكلبي: أنظر في اللوح المحفوظ؟ ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال ابن عباس [أم]^(١٢) قال لا إله إلا الله فأرحمه بها؟ وقال قتادة: يعني أقدم عملاً صالحاً يرجوه؟ ﴿كلا﴾ ليس الامر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد، ويجوز أن معنى كلا أي أنه لم يطلع [على]^(١٣) الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً ﴿سنكتب ما يقول﴾ سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه به

(١) في هـ: رد الثواب.

(٢) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم توفي كافراً بالأبواء بين مكة والمدينة نسب قريش للزبير ص ٤٠٨.

(٣) في ب وقضيتك وقيت وليس لها موضع.

(٤) قرأ نافع وعاصم وابن عامر بفتح الواو وقرأ الباقون بضم الواو وسكون اللام السبعة ٤١٢.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١١١/٤ ط بيروت.

(٦) ساقط من هـ د في هـ عبد الله بن محمد.

(٧) في جـ: بطر.

(٨) وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرواس الكوفي ت سنة ١٩٧ هـ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٧.

(٩) القين: الحداد الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكبير اللسان مادة قين.

(١٠) رواه البخاري في كتاب البيوع باب ذكر القين والحداد (٧٩/٣) والتفسير سورة مريم ١١٨/٦، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار

باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢١٥٢) ط الحلبي.

(١١) في هـ مكذبا.

(١٢-١٣) ساقط من هـ.

في الآخرة ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ نزيده عذاباً فوق العذاب ﴿ونثره ما يقول﴾ أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه، وهذا قول ابن عباس وقتادة، ﴿ويأتينا فرداً﴾ يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني أهل مكة عبدوا الأصنام من دون الله ﴿ليكونوا لهم عِزًّا﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة^(١)، وهذا معنى قول ابن عباس: ليمنعوهم مني وذلك أنهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله قال الله تعالى: ﴿كلا﴾ قال ابن عباس: يريد لا يمنعهم مني شيء ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ تجحد الآلهة عبادة المشركين لها كما قال: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾^(٢) وذلك أنها كانت جماداً لا تعلم العبادة ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ يصيرون أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم، وقال ابن قتيبة: أي أعداء يوم القيامة، وكانوا في الدنيا أولياءهم^(٣) قوله: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ ذكر الزجاج في هذا وجهين: أحدهما: أنا خلقنا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم منهم ونعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٤)، الوجه الثاني وهو المختار: أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم كما قال ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً﴾^(٥) فمعنى الإرسال ههنا التسليط.

وقوله ﴿تؤزهم أزا﴾ الأز التحريك والتهيج، قال ابن عباس في رواية الوالبي: تغريهم إغراءً وقال في رواية عطاء نزعهم إلى المعاصي إزعاجاً، وهو قول قتادة، وقال السدي نستعجلهم استعجالاً ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي يطلب العذاب لهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ قال ابن عباس: يعني أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي أجلت لعذابهم وهذا من أبلغ الوعيد والمعنى: أنا أجلناهم إلى أجل يبلغونه تعد أنفسهم إلى تمام ذلك الأجل. قوله:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ
أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه ﴿إلى الرحمن﴾ إلى جنته ومحل كرامته ﴿وفداً﴾ جمع وافد كما يقال ركب وركب وصاحب وصحب فقال وفد الوافد يفد وفداً ووفادة إذا خرج إلى ملك في فتح أو أمر قاله ابن عباس. أخبرنا أبو سعد البصري، أنا محمد بن جعفر بن مالك القطيعي^(٦)، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سويد بن سعيد، أنا علي بن مسهر عن

(١) معاني القرآن للفراء ١٧١/٢ وفي النسخ: من الآخرة واللفظ من كتاب المعاني.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٧٥).

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) الزخرف: ٣٦.

(٦) محمد بن جعفر بن مالك بن حمدان أبو بكر القطيعي ت سنة ٣٦٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ٨٧/١.

عبد الرحمن بن إسحاق، نا النعمان بن سعد^(١) قال كنا جلوساً عند علي^(٢) رضي الله عنه فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة^(٣) ﴿ويسوق المعجمن﴾ الكافرين ﴿إلى جهنم ورداً﴾ عطاشاً مشاة قال قتادة: سيقوا إليها وهم ظماء^(٤) والورد الجماعة التي ترد الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد العطش ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ لا يشفعون ولا يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض وهو قوله ﴿إلا من اتخذ﴾ على معنى لكن من اتخذ ﴿عند الرحمن عهداً﴾ فإنه يملك الشفاعة، قال ابن عباس: العهد شهادة أن لا اله إلا الله ويتبرأ إليه من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ

قوله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله، قال الله مخاطباً لهم: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ عظيماً في قول الجميع ومعنى الآية قلتم قولاً عظيماً كما قال ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾^(٥).

﴿تكاد السموات ينفطرن منه﴾ وتنشق الأرض^(٦) أي تدنو من الانشقاق وقرىء ينفطرن^(٧) منه وكلاهما واحد يقال انفطر الشيء وتفطر إذ تشقق^(٨) ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط ﴿هدداً﴾ الهد: الكسر الشديد يقال هديني هذا الأمر وهدي ركني، والمعنى: تسقط الجبال وتكسر كسراً، قال المفسرون: لما قالوا اتخذ الله ولداً اقتصرت الأرض وشاك الشجر وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وفزعت السماوات والأرض والجبال^(٩) ﴿أن دعوا﴾ قال الفراء: من أن دعوا ولأن دعوا^(١٠) ﴿للمرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن اتخاذ الولد يقتضي

(١) النعمان بن سعد الانصاري الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٤٥٣/١٠.

(٢) علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ت سنة ٤٠ هـ عن ستين سنة. الإصابة ٥٠١/٢ تاريخ بغداد ١٣٣/١ شذرات الذهب ٤٩/١.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي وهو ضعيف وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة مريم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرک ٣٧٧/٢.

(٤) في هـ: ظلما.

(٥) الاسراء: ٤٠.

(٦) قراءة (ينفطرن) بالياء والنون قرأ بها: ابن عامر وحمزة وأبو جعفر ويعقوب وخلف وأبو عمرو والكسائي السبعة ص ٤١٢.

(٧) قراءة (ينفطرن) بالياء والتاء قرأ بها ابن كثير ورواية عن عاصم السبعة ص ٤١٢ والنشر ٣١٩/٢.

(٨) في فيما عدا جـ: انشق.

(٩) ذكر ابن جرير نحواً من هذا عن ابن عباس وكعب الاحبار. تفسير ابن جرير ٩٩/١٦.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١٧٣/٢ والفرق بين التفسيرين في: أن دعوا، ولأن دعوا: أن الجملة إذا أدخلت عليها اللام فهي اللام التعليلية =

مجانسة، وكل من اتخذ ولداً اتخذ من جنسه، والله تعالى منزه من أن يجانس شيئاً أو يجانسه شيء فمحال في وصفه اتخاذ الولد ﴿إِنْ كُلُّ مَا كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والمخلوقين ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ﴾ إلا يأتيه يوم القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً، يعني: أن الخلق عبيده^(١) وأن عيسى وعزيراً من جملة العبيد ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ عرف عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ولا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم مع كثرتهم ﴿وَكُلَّهُمْ آتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. قال ابن عباس ومجاهد: يحبهم^(٢) ويحببهم إلى المؤمنين، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال «المحبة في صدور المؤمنين إن الله أعطى المؤمنين المقة^(٣) والألفة والمحبة في صدور الصالحين»^(٤) وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيايدي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أبو الأزهر^(٥) [أحمد بن الأزهر]^(٦)، نا عبيد الله بن محمد بن عبد المجيد الحنفي، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار^(٧) حدثني أبي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَهُ فَيَحْبُهُ جَبْرِيلُ ثُمَّ ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٨).

قوله ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ﴾ أي هوناه وأنزلناه بلغتك ليسهل عليك الابلاغ لتبشر به [المتقين]^(٩) بالقرآن من

= فالجملة عليه لما تضمنته الآية السابقة، أما إذا لم تدخل عليها اللام فتؤول أن وما بعدها بمصدر مجرور بالابدال في منه انظر اللوسي ١٤١/١٦.

(١) فيما عدا د، ه عبده.

(٢) في ه: يحبرهم.

(٣) في تاج العروس: ومق إذا أحب فهو وامق. فصل الواو من باب القاف.

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ونسبه للطبراني في الاوسط والكبير عن ابن عباس وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف المجمع كتاب التفسير سورة مريم ٥٥/٧.

(٥) أحمد بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدى النيسابوري أبو الأزهر ت سنة ٢٦١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٢٤٥، تهذيب التهذيب ١١/١ طبقات الحفاظ ص ٢٤٠.

(٦) ليست في د، ه.

(٧) عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار العدوي مولى ابن عمر انظر تهذيب التهذيب ٦/٢٠٦، التقريب ١/٤٨٦.

(٨) رواه البخاري في كتاب الادب باب المقة من الله تعالى: ١٧/٨ ط الشعب، مسلم في البر باب إذا أحب الله عبداً أحببه لعباده ٤/٢٠٣٠ ط الحلبي.

(٩) ليست في ج وفي ه: فنشر به وهو تصحيف.

أطاعك ﴿وتنذر به قوماً لئلا﴾ جمع ألد وهو الخصم^(١)، قال قتادة: جدلاً بالباطل يعني قريشاً ثم أنذرهم وخوفهم بقوله ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل هؤلاء ﴿من قرن﴾ بتكذيب الرسل ﴿هل تحس منهم﴾ هل ترى من الذين أهلكناهم ﴿من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ أي صوتاً، والركز: الصوت الخفي قال الحسن: ذهب القوم فلا تسمع لهم صوت، وقال قتادة: هل ترى من عين أو هل تسمع من صوت.

(١) في هـ: الخصيم.

سورة طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، نا خشنام بن بشر بن المغيرة، نا إبراهيم بن المنذر الخزامي، نا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار حدثني عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم^(١) بهذا».

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ
الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾
وَإِنْ يُجَهَّرِ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿طه﴾ أكثر المفسرين على أن معناه: يا رجل^(١) يريد النبي ﷺ وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك ومجاهد [وابن عباس في رواية عطاء]^(٢) والكلبي، غير أن بعضهم يقول: هي بلسان الحبشة وبالنبطية والسريانية، ويقول الكلبي: هي بلغة عك^(٤). قال ابن الانباري: ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لأن الله تعالى لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش ﴿ما نزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ لتتعب وتبلغ من الجهد ما بلغت وذلك أنه لما أنزل عليه الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى أنه كان يصلي على إحدى رجليه يراوح بين قدميه لطول قيامه فيشتد ذلك عليه^(٥) فأمره الله تعالى أن يخفف على نفسه وذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل ذلك التعب ﴿إلا تذكرة﴾ قال

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني في الاوسط وفيه ابراهيم بن مهاجر ٥٦/٧ ضعفه البخاري بهذا الحديث وثقه ابن معين مجمع الزوائد كتاب التفسير وسورة طه.

(٢) هذا القول اختيار ابن جرير وقد ذكر فيها وجهاً آخر أنها من الحروف المقطعة من أوائل السور وتأخذ حكمها تفسير الطبري ١٠٣/١٦ وقد سار على هذا المنوال ابن كثير في تفسيره ٢٦٦/٥ ط الشعب أما القرطبي فقد زاد فيها رأياً آخر أنها اسم من أسماء الله تعالى أو قسم أقسم به أو اسم للنبي ﷺ أو اسم للسورة ومفتاح لها يفسر القرطبي ١٦٦/١١ وأقرب الأقوال للصواب إما أنها بمعنى يا رجل فهي لغة قبائل من العرب أو أنها من الحروف المقطعة في أوائل السور.

(٣) ساقط من ج، ولقد قال الهيثمي تعليقا على هذا القول: رواه الطبراني وفيه محمد بن السائب وهو متروك مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٥٦/٧.

(٤) عك: يقصد قبيلة عك وهم بنو عك بن اللدث بن عدنان انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه عن البزار بسند فيه ضعف ٥٥/٧.

المبرد: لكن تذكرة أي لكن أنزلناه تذكرة أي لتذكر به من يخشى الله، والتذكرة مصدر كالتذكير ﴿تنزيلاً﴾ أي نزلناه. ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ قال ابن عباس: أخبر بعظمته.

﴿الرحمن﴾ مرفوع على خبر ابتداء مضمرة لأنه لما قال: ممن خلق بينه فكأنه قال هو الرحمن ﴿على العرش استوى﴾ أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك. أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد [العروضي] (١)، أنا أبو منصور الأزهري (٢)، أنا أبو الفضل المنذري قال سئل أبو العباس أحمد (٣) بن يحيى عن قول الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: الاستواء الإقبال على الشيء ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عز وجل ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ (٤) ولا يصح الاستواء في صفة الله تعالى إلا من هذا الوجه وما سواه فهو باطل فاسد (٥).

(١) ليست في د.

(٢) في هـ بن زهري.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت سنة ٢٩١، انظر نزهة الألباء ص ٢٢٨، إنباه الرواة ١/١٣٩.

(٤) البقرة: ٢٩.

(٥) يوضح السيوطي هذه القضية فيقول: (١)

من المتشابه آيات الصفات نحو (الرحمن على العرش استوى) (ولتصنع على عيني) و (يد الله فوق أيديهم). وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا تفسرها مع تنزيها له عن حقيقتها. سئل مالك عن الآية (الرحمن على العرش استوى) فقال: وكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة قبل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا تفسر ولا نتوهم وذهب طائفة من أهل السنة على أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه، فقال في الرسالة النظامية الذي نرتضيه ديناً، ودين به عقداً، اتباع سلف هذه الأمة، بأنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة من صدر هذه الأمة وساداتها، وإياه اختار أئمة الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريباً للسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفتنا عنه، وأما به على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، قال: وما كان معناه من هذه الالفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى ﴿يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ (٢) فنحمله على حق الله وما يجب له.

ومن ذلك صفة الاستواء، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة:

(أ) حكى مقاتل عن ابن عباس، أن «استوى» بمعنى استقر، وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل، قال الاستقرار يشعر بالتجسيم.

(ب) استوى بمعنى استولى ورد بوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلها، فأى فائدة في تخصيص العرش.

والآخر: أن الاستيلاء، إنما يكون بعد قهر وغلبة، والله سبحانه منزّه عن ذلك.

(ج) أنه بمعنى صعد، قال أبو عبيدة: ورد بأنه تعالى منزّه عن الصعود أيضاً.

(د) أن التقدير: «الرحمن علا» أي ارتفع من العلو، والعرش له استوى ورد بوجهين أحدهما: أنه جعل على فعلاً، وهي حرف هنا باتفاق،

فلو كانت فعلاً لكتبت بالألف كقوله: «علا في الأرض» (٣).

والآخر: أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء.

(هـ) أن الكلام تم عند قوله: ﴿الرحمن على العرش﴾ ثم ابتداء بقوله: ﴿استوى له ما في السموات وما في الأرض﴾.

ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها.

قوله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي أنه مالك كل شيء ومدبره ﴿وما بينهما﴾ يعني الهواء ﴿وما تحت الثرى﴾ هو التراب الندي قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء، والمفسرون يقولون أراد الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض^(١) ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله عز وجل ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي ترجع صوتك به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ أي فلا تجهد^(٢) نفسك برفع الصوت فإنك وإن لم تجهر علم الله السر وأخفى، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة السر ما أسررت في نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك مما يكون في غد علم الله فيها سواء^(٣) والتقدير: وأخفى منه إلا أنه حذف للعلم به، وهذا كقولك فلان كالفيل أو أعظم منه ﴿[الله]﴾^(٤) لا إله إلا هو ﴿أي لا معبود يستحق العبادة غيره﴾ له الاسماء الحسنی ﴿يعني التسعة والتسعين التي ورد بها الخبر^(٥) والحسنی تأنيث الأحسن.

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلِيًّا أَيُّكُمْ مِّنْهَا يَقْبَسُ أَوْ أَجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ

قوله ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ هذا استفهام تقرير بمعنى الخبر أي: وقد أتاك، ونحو هذا قال ابن عباس؛ يريد وقد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى ناراً﴾ قال ابن عباس: كان موسى رجلاً غيوراً لا يحب الرفقة لثلاث تراه امرأته فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة فرأى ناراً من بعيد^(٦) ﴿فقال لأهله﴾ يريد امرأته ﴿امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ﴿إني آنست ناراً﴾ رأيته وأبصرتها ﴿لعلي أتاكم منها بقبس﴾ القبس: شعلة من نار يقبسها من معظم النار ﴿أو أجد على النار هدى﴾ قال ابن عباس: من يدل على الطريق وقال مجاهد: هادياً يهدي إلى الطريق، قال الفراء: أراد هادياً فذكره

= قلت ولا يتأتى له في قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾^(١).

(و) إن معنى (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه، كقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾^(٢) أي قصد وعمد إلى خلقها، قاله الفراء والاشعري وجماعة أهل المعاني.

(ز) الاستواء المنسوب إلى الله تعالى بمعنى اعتدل، أي قام بالعدل، كقوله تعالى ﴿قائماً بالقسط﴾^(٣) والعدل: هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه أعطى لمعرفة كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة^(٤). ١. هـ.

(١) لقد ثبت خطأ هذا القول بعد ما ثبت كروية الأرض وصعود الانسان إلى القمر وقد روى ابن جرير قريباً من هذا القول عن الضحاك ومحمد بن كعب تفسير ابن جرير ١٠٥/١٦ وابن أبي حاتم عن السدي ولكن السدي متروك الحديث كما بين العلماء ذلك وقال ابن كثير هذا حديث غريب جداً ورفعه فيه نظر ابن كثير ٢٦٨/٥.

(٢) في هـ: تجهر.

(٣) في هـ: سر.

(٤) ساقط من ب.

(٥) روى البخاري هذا الخبر «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة» صحيح البخاري كتاب الشهادات باب ما يجوز من الشروط في الاسلام ٣/٢٥٩ ط الشعب.

(٦) روى نحوه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس ١٠٧/١٦ والسدي: ضعيف الحديث.

بلفظ المصدر^(١) قال السدي: لأن النار لا تخلو من أهل لها وناس عندها.

فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۚ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۚ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۚ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۚ

﴿فلما أتاه﴾ قال ابن عباس^(٢): لما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب فوق متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة يا موسى وهو قوله ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ وقرئ بفتح الالف^(٣) على معنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فليل إني أنا ربك^(٤) قال وهب: نودي من الشجرة فليل يا موسى فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل فأيقن به^(٥)، وقوله ﴿فاخلع نعليك﴾ روى ابن مسعود عن النبي ﷺ «كانت نعلا موسى من جلد حمار ميت»^(٦) وهذا قول أكثر المفسرين: قيل لموسى لا تدخل الوادي وهما عليك. وقال الحسن: كانتا من جلد بقرة^(٧) ذكية ولكن أمر بخلعهما لياشر تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها، وهذا قول سعيد بن جبيرة وقتادة ومجاهد قال: يقول أفض بقدميك إلى بركة [هذا الوادي وهو قوله ﴿إنك﴾ بالوادي]^(٨) المقدس ﴿طوى﴾^(٩) أي المطهر، وقال الوابي: المقدس المبارك، وذكرنا هذا عند قوله ﴿الأرض المقدسة﴾^(١٠) وطوى: اسم الوادي في قول جميع المفسرين^(١١) قوله ﴿وأنا اخترتك﴾ قال الكلبي: اخترتك برسالتني لكي تقوم بأمري ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك مني أمره بعبادته وأخبره بالتوحيد فقال ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ أي أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة كنت في وقتها أولم تكن هذا قول عامة المفسرين، وروي ذلك مرفوعاً أخبرنا عمر بن أحمد بن

(١) معاني القرآن للفراء ١٧٥/٢ بتصرف.

(٢) خبر ابن عباس هذا أورد السيوطي قريباً منه عن وهب بن منبه وقال أخرجه أحمد في الزهد وعن ابن جبيرة وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر ٢٩٠/٤.

(٣) قراءة (أني) بفتح الألف قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٧ والنشر ٣١٩/٢٥.

(٤) قراءة (إني) بكسر الألف قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف وفتح نافع وحده الياء من (أني) السبعة ص ٤١٧ النشر ٣١٩/٢.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب الدر المنثور ٢٩٠/٤.

(٦) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير سورة طه وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد نبه الذهبي أن فيه حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين المستدرک ٣٧٩/٢.

(٧) أي مذبوحة وليست بميتة.

(٨) ساقط من ح، د عدا كلمة بالواد فليست في د فقط.

(٩) ساقط من د والنص في تفسير ابن جرير ١٩/١٦ وجميع الاخبار التي مضت في قصة موسى من الدخيل على كتاب الله تعالى وبين ذلك صاحب رسالة الدخيل في تفسير الخازن.

وهي رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين - ص ١٣٤/١٣٧.

(١٠) المائدة: ٢١.

(١١) طوى موضع بالشام وهو اسم أعجمي للوادي المذكور بالقرآن انظر معجم البلدان ٤٤/٤.

عمر الماوردي، أنا عبد الله^(١) [الرازي^(٢)، أنا محمد] بن أيوب، أنا هذبة بن خالد، نا همام^(٣)، نا قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ وأقم الصلاة لذكركي»^(٤) رواه مسلم عن هذبة، قال الحسن: أقم الصلاة لأن تذكرني لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله، وهذا قول مجاهد قال: إذا صلى العبد ذكر الله ثم أخبره بمجيء الساعة فقال ﴿إِن السَّاعَةَ﴾ يعني القيامة ﴿آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ قال أكثر المفسرين: أخفيها من نفسي وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة^(٥)، قال قطرب والمبرد^(٦): هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي لم أطلع عليه أحداً، ومعنى الآية: أن الله بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب، قال قتادة هي في بعض القراءة أكاد أخفيها من نفسي^(٧) ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين^(٨) قال ابن الأنباري: والمعنى في إخفائها: التهويل والتخويف لأن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقوله ﴿لَتَجْزِيَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَعُ﴾ أي بما تعمل من خير وشر، واللام في لتجزي متعلقة بقوله: إن الساعة آتية ﴿فَلَا يَصْدَنُكَ﴾ لا يمنعنك ولا يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾ عن الإيمان ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ بأنها آتية ﴿وَإَتَعَٰهَٰهُ﴾ مراده وخالف أمر الله ﴿فَتَرْدِي﴾ فتهلك.

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ قال الزجاج: ما التي بيمينك؟ ومعنى سؤال موسى عما في يده من العصا التنبيه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها ﴿قال﴾ موسى ﴿هي عصاي أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها إذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ﴿وأهش بها على غنمي﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم^(٩) فقال: هش بهش هشا إذا خبط الشجر ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ المآرب الحوائج واحدها^(١٠) مأربة ومنه المثل (مأربة)^(١١) لا حفاوة) وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه^(١٢) العصا من السفر ﴿قال﴾ الله ﴿ألقها يا موسى﴾

(١) في هـ عبد الله بن محمد.

(٢) ساقط من جميع النسخ عدا ج، هـ.

(٣) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبو عقبة الصنعاني الأنباري ت سنة ١٣١ هـ تهذيب التهذيب ٦٧/١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب من نسي صلاة فيصلها إذا ذكرها، ومسلم في كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الغائبة

٤٧٧، ٤٧١/١.

(٥) انظر ابن جرير الطبري ١١٣/١٦.

(٦) المبرد: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس ت سنة ٢٨٥ طبقات المفسرين للدودي ٢٤٥/١ بغية الوعاة ٢٧٠/١.

(٧) قراءة (أكاد أخفيها من نفسي) نص الفراء في كتابه معاني القرآن على أنها قراءة أبي بن كعب معاني القرآن ١٧٦/٢ بتحقيق محمد على

النجار وتفسير ابن جرير ١١٣/١٦.

(٨) تفسير ابن جرير ١١٣/١٦. (٩) معاني القرآن للفراء ١٧٧/٢. (١٠) في هـ: واهدتها.

(١١) ساقط من هـ ومثل مأربة لا حفاوة أورده صاحب كتاب فرائد اللال في مجمع الامثال ص ٢٧٣/٢ للميداني ٢٣٤/٣ بلفظ:

ما كان من زيد فتى الشقاوة مأربه هاتيك لا حفاوة

والمأربة الحاجة من الأرب وحفي به حفاوة اهتم بشأنه وبالغ في إكرامه أي إكرامه لك لحاجة لا لمحبة للرجل إذا كان يتملى.

(١٢) في هـ فيها.

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الأصفهاني، نا أحمد بن محمد بن سريح، نا محمد بن رافع، نا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول^(١): قال له الرب: ألقها يا موسى، فظن موسى أنه يقول: ارفضها فألقاها على وجه الرفض ثم حانت منه لفته فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يمر بالصخرة مثل الخلفة^(٢) من الإبل فيلقمها ويطعن بنابه في أصل الشجرة العظيمة فيحتها عيناه توقدان ناراً وقد عاد المحجن^(٣) عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ف﴿قال خذها﴾ بيمينك ﴿ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ وعلى موسى حينئذ^(٤) مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها أوكى طرف الدرعة على يده فقال ملك: يا موسى أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين^(٥)، قال المفسرون: أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لثلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون ولا يولي مدبراً قوله ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ قال السدي: نردها عصا كما كانت، والسيرة الهيئة والحالة، يقال لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه عاد إلى سيرته، قال الزجاج المعنى: سنعيدها إلى سيرتها، فلما حذفت إلى وصل إليها الفعل فنصبها.

وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ۚ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰزُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىٰ نَسْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذُكُّكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَابَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قوله ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ قال الفراء والزجاج: جناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه^(٦)، وهذا قول مجاهد قال كفك تحت عضدك وقوله ﴿تخرج بيضاء﴾^(٧) قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً فذلك قوله ﴿بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص في قول الجميع، قال الليث^(٨): ويكنى بالسوء عن البرص^(٩) وقوله ﴿آية أخرى﴾ أي دلالة على صدقك سوى العصا ﴿لنريك من آياتنا

(١) روى هذا الخبر السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد في الزهد عن وهب بن منبه الدر المنثور ٢٩٠/٣ ط طهران وهبا معروف بحديثه عن أهل الكتاب.

(٢) الخلفة من الابل: الحوامل من النوق: القاموس المحيط فصل الخاء باب الفاء.

(٣) المحجن: عصا معقفة الرأس كالصولجان: اللسان فصل الحاء حرف النون.

(٤) في هـ: يومئذ.

(٥) روى هذا الخبر أحمد بن حنبل في كتابه الزهد عن وهب بن منبه ص ٦٢، ٦٣ ط بيروت.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٧٨/٢.

(٧) في هـ: بيضاء من غير سوء وما بين القوسين مكرر فيها.

(٨) الليث بن نصر بن سيار الخراساني انظر انباه الرواه ٤٢/٣، بغية الرواة ٢٧٠/٢.

(٩) تهذيب اللغة للأزهري ١٣٣/١٣ بلفظ السوء كناية عن البرص.

الكبرى ﴿ أراد الآية الكبرى، قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ جاوز القدر في العصيان، وذلك أنه خرج في معصيته إلى فتجاوز به معاصي الناس ﴿ قال رب اشرح لي صدري ﴾ قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أنه كان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون [وجنده] (١) [وحده] (٢) فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحد لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وإن اشتدت شوكته وكثر (٣) جنوده ﴿ ويسر لي أمري ﴾ سهل علي ما بعثني له ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ قال ابن عباس يريد أطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي وهو قوله ﴿ يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ عوناً وظهيراً من أهل بيتي، قال الزجاج: اشتقاقه في اللغة (٤) من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من التهلكة والوزير الذي يعتمد الملك على رأيه في الأمور ويلتجىء وقوله ﴿ هارون أخي ﴾ مفعول الجعل على تقدير اجعل هارون أخي وزيراً ﴿ اشدد به أزري ﴾ قو ظهري وأعني به، والأزر: الظهر ﴿ وأشركه في أمري ﴾ اجمع بيني وبينه في النبوة، وقرأ ابن عامر أشدد به أزري وأشركه في أمري على الجواب (٥) والمجازاة، والوجه: الدعاء على ما قرأت به العامة (٦) لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ فكما أن ذلك كله دعاء فكذلك ما عطف عليه قوله ﴿ كي نسبحك كثيراً ﴾ قال الكلبي: يقول: نصلي لك كثيراً ﴿ ونذكرك كثيراً ﴾ بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك ومنيت به علينا من تحمیل رسالتك ﴿ إنك كنت بنا بصيراً ﴾ عالماً إذ خصصتنا بهذه النعمة، فاستجاب الله دعاءه.

قَالَ قَد أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٤٠﴾ وَقَنْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٤١﴾ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٥﴾

﴿ قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ [أعطيت ما سألت] (٧) وسؤل الانسان: أمنيته التي يطلبها فلين الله له صدره وحل العقدة من لسانه وبعث معه أخاه هارون ثم أخبر بمنتته عليه قبل هذا فقال: ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ أي أحسنا إليك وأنعمنا عليك قبل هذه المرة ثم فسره بقوله ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ﴾ أي ألهمناها حين عييت بأمرك ما كان فيه سبب نجاتك من القتل ومعنى ما يوحى ما يلهم ثم فسر ذلك الإيحاء فقال ﴿ أن أقذفيه في التابوت ﴾ أي اجعليه فيه بأن ترميه فيه ﴿ فاقذفيه ﴾ (٨) في اليم ﴿ قال ابن عباس يريد النيل والبحر والنهر الكبير ﴾ فليلقه اليم

(١) ساقط من د، هـ. (٥) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤١٨.

(٢) ليست في أ، ب.

(٣) في د: وظهر.

(٤) فيما عدا هـ: من اللغة.

(٥) قراءة العامة اشدد به أزري على الدعاء في السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/٣٢٠.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) ساقط من جـ.

(٨) ساقط من جـ.

بالساحل ﴿ وهو شط البحر والوادي ﴾ يأخذه عدو لي وعدو له ﴿ [يعني فرعون] ^(١) ﴾ وألقيت عليك محبة مني ﴿ قال عطاء عن ابن عباس لا يلقاك أحد إلا أحبك لا مؤمن ولا كافر وقال عكرمة: حسن وملاحة فحيث أبصرت وجهه آسية قالت لفرعون ﴿قرة عين لي ولك﴾ ^(٢) وقال قتادة: ملاحه كانت في عين موسى ما رآه أحد إلا عشقه ^(٣)، وقال عبيدة: يقول جعلت لك محبة عند غيري أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك امرأته آسية فتبتك ^(٤) ﴿ولتصنع على عيني﴾ ولتربى وتغذى بمرأى مني يقال: صنع الرجل جاريته إذا ربها وصنع فرسه إذا داوم على علفه والقيام عليه وتفسير قوله على عيني بمرأى مني صحيح ولكن لا يكون لموسى في هذا تخصيص فإن جميع الأشياء بمرأى من الله والصحيح في هذا قول قتادة: لتغذى على محبتي وإرادتي وهذا القول اختيار أبي عبيدة وابن الانباري قال أبو عبيدة لتغذى على محبتي وما أريد والعرب تقول اتخذ شيئاً على عيني أي على محبتي وقال ابن الانباري: العين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار من قول العرب غذي على عيني أي على المحبة مني والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي أحتك وقولها هل أدلك على من يكفله لأن هذا كان من أسباب تربية موسى على ما أراد الله ^(٥) وهو قوله ﴿إذ تمشي أحتك﴾ يعني حين قالت لها أم موسى قصيه فاتبعته موسى على أثر الماء، وقوله ﴿فتقول هل أدلكم﴾ يعني حين أبى موسى المراضع فقالت هل ^(٦) أدلكم ﴿على من يكفله﴾ أي يرضعه ويضمه إليه فقيل لها ومن هي؟ قالت أمي قالوا أمك لها لبن قالت لبن أخي هارون فأرسلوها فجاءت بالأم فقيل ثديها فذلك قوله ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ أي رددناك إليها ﴿كي تفر عينها﴾ بك وبرؤيتك ﴿وقتل نفساً﴾ يعني القبطي الذي وكزه موسى ففضى عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ من غم مخافة أن تقتل ^(٧) به خلصناك منه حين هربت إلى مدين ﴿وفتناك فتوناً﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة ومجاهد في رواية [ابن] ^(٨) أبي نجيح الفتون وقوعه في محنة [بعد محنة] ^(٩) خلصه الله منها أولها: أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاءه في البحر ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرّة ثم قتله القبطي ثم خروجه إلى مدين خائفاً يترقب، وكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبيرة ويقول عند كل بلية وهذا من الفتون يا ابن جبيرة ^(١٠) وعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن

(١) ليست في ج.

(٢) القصص: ٩.

(٣) ليس المقصود بالعشق هنا معناه الرخيص الذي يكون بين الرجل والمرأة ولكن معناه أحبه حباً شديداً عفيفاً فإن العشق يكون في عفاف الحب ودعارته ويراجع لسان العرب مادة عشق.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢ مع تصرف.

(٥) روح المعاني للألوسي (١٦/١٩٠) ط الفكر.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ: يقتل بك.

(٨) ساقط من جـ، وابن أبي نجيح: عبد الله يسار المكي ثقة الميزان ٥٢٧/٢.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) حديث الفتون مروى بطولته في تفسير ابن كثير وقال عنه: وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي الله عنهما - مما أبيض نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار أو غيره والله أعلم. تفسير ابن كثير سورة طه. كذلك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/١٢٦، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٦٦/٧ وحديث الفتون يضم معظم أقوال ابن عباس السابقة في حديث موسى.

كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث وشائب، والفتون مصدر وقوله ﴿فلبث سنين في أهل مدين﴾ تقدير الكلام: وفتناك فتوناً فخرجت إلى [أهل] مدين فلبث سنين، ومثل هذا الحذف^(٢) في التنزيل كثير قال الفراء: وهو من كلام العرب، أن تجتزئ بحذف كثير من الكلام إذا كان المعنى معروفاً^(٣) ومدين بلد شعيب وكان على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى فأقام بها عشر سنين.

قوله ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ يعني على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء هذا قول المفسرين والمعنى: على الوعد الذي وعده الله وقدره في علمه أن يوحى إليه بالرسالة وهو أربعون سنة، وهذا معنى قول محمد بن كعب ثم جئت على القدر الذي قدرت أن تجيء.

قوله ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ الاصطناع: اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه إلى إنسان قال ابن عباس: يريد اصطنعتك لوحى ورسالتى والمعنى لتتصرف على إرادتي ومحبتى وذلك أن تبلغه الوحي وقيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته. وقال الزجاج: تأويله اخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم ﴿أذهب أنت وأخوك بأياتي﴾ قال ابن عباس: يعني الآيات التسع^(٤) التي بعث بها موسى ﴿ولا تنيا﴾ لا تضعفا ولا تفترا يقال ونى نياً إذا ضعف ﴿في ذكري﴾ قال الفراء: في ذكري وعن ذكري سواء^(٥) والمعنى لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما وذكر النعمة شكرها ﴿أذهباً إلى فرعون﴾ تكرير الامر بالذهاب للتأكيد ﴿إنه طغى﴾ مر تفسيره ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ قال ابن عباس والسدي: كنياه^(٦)، واختلفوا في كنيته فقيل: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة^(٧) وقال مقاتل: يعني بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا محمد بن الحسن^(٨) الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا أبو عمرو^(٩) عن^(١٠) أسباط عن السدي^(١١) قال: القول اللين أن موسى أتاه فقال له تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكاً لا ينزع منك^(١٢) حتى تموت ولا ينزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فقال فرعون: إن لي ذا أمر وهو غائب حتى يقدم فلم يلبث أن قدم

(١) ليست في جـ.

(٢) في هـ الحرف.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٢.

(٤) آيات موسى التسع: العصا، واليد، والاختذ بالسنين، والبحر، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدم. انظر تفسير ابن كثير

سورة الاسراء ٦٦/٣ ط الحلبي وابن جرير ١١٤/١٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٧٩/٢.

(٦) ابن جرير ١٢٩/١٦.

(٧) الدر المنثور عن ابن المنذر وابن حميد عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن سفيان الثوري الدر ٣٠٨/٣.

(٨) في هـ: الحسين.

(٩) فيما عدا جـ أنا عمرو.

(١٠) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف. تهذيب التهذيب ٢١٢/١.

(١١) من المعروف أن السدي متهم في حديثه فلا يصح مثل حديثه هذا وإنما هو من المنقول عن أهل الكتاب فلا يعتد به.

(١٢) أي الملك.

هامان فقال له فرعون أعلمت أن موسى قد دعاني إلى أمر أعجبني وأخبره (١) بالذي دعاه إليه وأردت أن أقبله منه فقال له هامان قد كنت أرى أن لك رأياً بيناً أنت رب فتريد أن تكون مربوباً وبيناً أنت تعبد فتريد أن تعبد فقلبه عن رأيه ذلك فأبى (٢) قال [الشيخ] (٣) سمعت إسماعيل بن أبي القاسم النضراباذي سمعت والدي سمعت أحمد بن محمد الازرقى (٤) سمعت محمد بن إبراهيم يقول حضرت مجلس يحيى بن معاذ قرأ رجل هذه الآية فقولا له قولاً لينا فبكى يحيى ثم قال إلهي هذا رفقتك بمن يقول أنا إله فكيف رفقتك بمن يقول أنت إلهي إن قول إلا إله إلا الله يهدم كفر خمسين سنة فما تصنع بذنوب خمسين سنة وقوله ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ أي ادعوا على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوق التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق وقد كشف الزجاج عن هذا المعنى فقال: المعنى في هذا عند سيويه اذها على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون وإنما تبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم وقال ابن الانباري مذهب الفراء في هذا: كي يتذكى أو يخشى في تقديركما وما تمضيان عليه (٥).

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ٤٦ فَأَنبِأَهُمْ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ ٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أن يبادر ويعجل بعقوبتنا يقال فرط فلان إذا عجل بمكره وفرط منه أمر أي بدر وسبق وقوله ﴿أو أن يطفى﴾ أي يتجاوز الحد في الاساءة بنا أخبرنا [أبو سعد] (٦) عبد الرحمن بن حمدان العدل ، أنا علي بن الحسن (٧) بن جعفر الرصافي ، أنا إبراهيم بن محمد القرشي ، أنا سالم بن جنده ، نا أبي عن عبيد الله بن عمر عن عتبة عن أبيه (٨) عن جده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ﴿إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه فليقل اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وأحزابه أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطفى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك﴾ (٩) ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع وأرى﴾ قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه والمعنى: لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فأتياه فقولا إننا رسولا ربك﴾ أرسلنا إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي خل عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة ﴿قد جئناك بآية﴾

(١) في هـ: وأخبرني .

(٢) هذا من الاسرائيليات التي لا تكذب ولا تصدق ويجوز روايتها ما لم تخالف أمراً من أمور العقيدة .

(٣) ساقط من أ ، د .

(٤) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة أبو الوليد الازرقى ت سنة ٢٢٢ هـ التهذيب ٧٩/١ .

(٥) ولا بن جرير هنا رأي أردت إضافته للمقام قال: معنى لعل ها هنا الاستفهام ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى فقولا له قولاً لينا فانظر هل يتذكر ويراجع أو يخشى فيرتدع عن طغيانه ، أو أن لعل ههنا بمعنى كي والمعنى: اذها إلى فرعون إنه طغى فادعوا وعظاه ليتذكر ويخشى كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك . تفسير ابن جرير بتصرف ١٩/١٦ .

(٦) ساقط من د .

(٧) في هـ: الحسين .

(٨) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله ت سنة ٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٣١١/٥ .

(٩) روى الهيثمي نحوه عن الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد كتاب الأدعية باب ما يقول إذا خاف سلطاناً ١٨٧/١٠ .

من ربك ﴿ يعني العصا وقيل اليد ﴾ والسلام على من اتبع الهدى ﴿ قال الزجاج: ليس يراد به التحية وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله يدل على هذا المعنى قوله:

﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي: إنما يعذب من كذب بما جئنا به وأعرض عنه فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب فأتيا فرعون وبلغاه الرسالة.

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾
قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

﴿قال﴾ فرعون ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ من إلهكما الذي أرسلكما؟

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ أي صورته خلق كل جنس من الحيوان على صورة أخرى فلم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان [﴿ثم هدى﴾] ^(١) والمعنى: ثم هداه لما يصلحه من مطعمه ومشربه ومنكحه إلى غير ذلك والاحتجاج على فرعون من هذا الجواب أنه قد ثبت خلق وهداية للخلائق ولا بد لها من خالق وهاد، وذلك الخالق والهادي هو الرب لا رب غيره، فلما دعاه إلى دين الله واتباع الهدى ﴿قال﴾ له فرعون ﴿فما بال القرون الأولى﴾ معنى البال: الحال والشأن، والمعنى ما حالها فإنها ^(٢) لم تقر بالله وبما تدعوا إليه ولكنها عبت الأوثان، ويعني بالقرون الأولى: الأمم المتقدمة مثل قوم نوح وعاد وثمود فـ ﴿قال﴾ موسى ﴿علمها عند ربي﴾ قال الزجاج: أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها والتقدير علم أعمالها عند ربي ﴿في كتاب﴾ قال الكلبي: يعني اللوح المحفوظ، والمعنى: أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم أي أنهم يجازون بما عملوا وأنت تجازي بما تعمل وقوله ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ تأكيد وتحقيق للجزاء بالأعمال أي لا يخطيء ربي ولا يتسرع ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم، قال السدي: لا يغفل ولا يترك شيئاً وأصل الضلال في اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن وضل الكافر عن المحجة وضل الناس إذا غاب عنه حفظه ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى عن شيء ولا يغيب عنه شيء ثم زاد في الاخبار عن الله وبيان وصفه فقال:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

﴿الذي جعل لكم الأرض مهذاً﴾ وقرىء مهذاً ^(٣) وهو مصدر كالفرش والمهاد ^(٤): مثل الفراش والبساط وهما اسم ما يفرش ويبسط ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ والسلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الأرض لاجلكم طرفاً تسلكونها كما قال ابن عباس: سهل لكم فيها طرقاتاً ﴿وأنزل من

(١) ساقط من جميع النسخ عدا (د).

(٢) في هـ: فإنهما.

(٣) قراءة (مهذاً) بغير ألف قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي. السبعة ص ٤١٨ والنشر ٢/٣٢٠.

(٤) قراءة (مهذاً) بالألف قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف السبعة ص ٤١٨. والنشر ٢/٣٢٠.

السمااء ماء ﴿ يعني المطر وتم الاخبار عن موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه متصلاً بالكلام الأول بقوله ﴿ فأخرجنا به ﴾ بذلك الماء ﴿ أزواجاً من نبات شتى ﴾ قال ابن عباس: أصنافاً من النبات مختلفة أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، وكل لون منها زوج، ولا واحد لشتى من لفظه ﴿ كلوا ﴾ أي مما أخرجنا بالمطر من النبات والثمار ﴿ وارعوا أنعامكم ﴾ يقال رعت الماشية الكلاً رعيًا ورعاها صاحبها رعاية إذا أسرحها في المراعي والمعنى: أسيموا مواشيتكم فيما ابتناه بالمطر، ومعنى هذا الامر التذكير بالنعمة ﴿ إن في ذلك ﴾ مما ذكر ﴿ آيات لأولي النهي ﴾ لذوي العقول الذين يتناهون بعقولهم عن معاصي الله، وإنما خص أولي النهي لأنهم أهل التفكير والاعتبار، قوله ﴿ منها ﴾ أي من الارض وجرى ذكرها في قوله ﴿ جعل لكم الارض ﴾ ﴿ خلقناكم ﴾ يعني آدم خلق من الارض والبشر كلهم منه ﴿ وفيها نعيديكم ﴾ بعد الموت ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ عند البعث كما أخرجكم أولاً عند خلق آدم من الأرض.

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴿٥٩﴾

﴿ ولقد أريناه ﴾ يعني فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾ يعني الآيات التسع ﴿ فكذب ﴾ نسب جميعها إلى الكذب ﴿ وأبى ﴾ أن يقبل التوحيد ونسب إلى موسى السحر وهو قوله ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾ يعني مصر ﴿ بسحرك يا موسى ﴾ تريد ان تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ فلنقابل ما جئتنا به من السحر بسحر مثله ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ مكاناً لا يقع منا خلاف في حضوره تعد لحضورنا ذلك المكان ﴿ لا نخلفه نحن ولا أنت ﴾ ثم بين ذلك فقال ﴿ مكاناً سوى ﴾ وقرىء سوى^(١) بضم السين والمعنى: مكانا تستوي مسافته على الفريقين فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر، وهذا معنى قول المفسرين، قال قتادة: نصفاً، وقال مقاتل: عدلاً بيننا وبينك، وقال مجاهد: منصفاً، فواعده موسى يوماً معلوماً ويوماً ووقتاً معلوماً وهو قوله ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ قال مجاهد وقاتادة والسدي: كان ذلك يوم عيد لهم يتزينون فيه، وقال^(٢) سعيد بن جبير: كان ذلك يوم عاشوراء^(٣) ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ يعني ضحى ذلك اليوم، ويريد بالناس أهل مصر يقول يحشرون إلى ضحى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك، قال الفراء: يقول: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد^(٤)، قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم.

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٥٦﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٥٧﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يَريْدَانِ

(١) قراءة (سوى) بضم السين قرأ بها: ابن عامر وعاصم وحزمة انظر السبعة ص ٤١٨.

(٢) تفسير ابن جرير ١٦/١٣٥.

(٣) انظر تفسير ابن كثير حيث قال: ولا منافاة، وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما في الصحيح ١٥٦/٣ ط الحلبي.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٥١٨٢.

أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ۚ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّبِعُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ۚ

﴿فتولى فرعون﴾ قال مقاتل أعرض عن الحق و عما يلزمه من الطاعة ﴿فجمع كيده﴾ مكره وحيلته وذلك جمعه السحرة ﴿ثم أتى﴾ حضر الموعد ﴿قال لهم موسى﴾ أي للسحرة الذين جمعهم فرعون ﴿وبلكنم﴾ ألزمتكم الله الويل، ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا بالله أحداً ﴿فيسحتكم بعداب﴾ ويقرأ بضم الياء يقال (١): سحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه، قال ابن عباس ومجاهد: فيهلككم، وقال قتادة: فيستأصلكم ﴿وقد خاب من افتري﴾ قال ابن عباس: خسر من ادعى مع الله إلهاً آخر، وقال قتادة: خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً قوله ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ تنازعوا في أمر موسى وتشاوروا يعني السحرة سرا من فرعون فقالوا: (٢) إن غلبنا موسى اتبعناه، وهذا القول اختيار الفراء والزجاج، وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون ﴿إن هذان لساحران﴾ يعنون موسى وهارون، قال ابن عباس في رواية عطاء: هي لغة بلحرث (٣) بن كعب يعني قوله إن هذان. وإجماع النحويين أن هذا لغة حارثية وذلك أن بلحرث بن كعب وخثعم (٤) وزبيراً وقبائل (٥) من اليمن يجعلون ألف الاثنيين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون أتاني الزيدان ومررت بالزيدان، وذلك أنهم يقلبون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها الفاء فعاملوا ياء التثنية أيضاً هذه المعاملة كما قال قائلهم:

أي قلوب ركب تراها طاروا علاهن فطر علاها (٦)

وهذه ليست ياء التثنية ولكن لما كانت اللام في عليها مفتوحة قلبوها ألفاً وحكى هذه اللغة جميع النحويين وقرأ أبو عمرو إن هذين بالياء (٧) بخلاف المصحف واحتجاه في ذلك بما روي أنه غلط من الكاتب وأن في الكتاب غلط ستقيمه العرب بألسنتها، وقال الزجاج لا أجيز هذه القراءة لأنها خلاف المصحف ولا أجيز مخالفتها لأن اتباعه سنة، وقرأ ابن كثير إن هذان بتخفيف (٨) إن على معنى ما هذان إلا ساحران وإن إذا خفت كان الوجه أن يرفع الاسم بعدها (١) الضم في فيسحتكم قراءة حمزة والكسائي ورواية عن عاصم من أسحت أما باقي القراء ورواية عن عاصم فقد قرأ (فيسحتكم) بفتح الياء من سحت السبعة ص ٤١٩، والنشر ٣٢٠/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢، والكلبي هذا هو من حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالكذب ووضع الحديث، وعلى هذا فكل قول للكلبي بعد ذلك لا يعتد به ويراجع كتاب المجروحين لابن أبي حاتم ٢٥٣/٢، تهذيب التهذيب ١٧٨/٩.

(٣) بلحارث بن كعب: فخذ من القحطانية وهم بنو الحارث بن كعب من مذحج. انظر نهاية الأرب للتويري ٢٠٣/٢ معجم قبائل العرب ١٠٢/١.

(٤) قبيلة خثعم بنو خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث ينتهي نسبه إلى سبأ جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٧ تحقيق عبد السلام هارون.

(٥) بنو زبير: بنو زبير بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي تحقيق ابراهيم الأبياري ص ٢٦٩ الجمهرة ص ١٧٢.

(٦) البيت في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥٠ وفي الهامش أنشده أبو الغول لبعض أهل اليمن كما في نوادر أبي زيد ص ٥٨ وعن أبي حاتم أن أبا عبيدة اتهم المفضل بصنعه. الخصائص لابن جني ٢٦٩/٢ وفي القاموس المحيط عجز البيت بهذا اللفظ طاروا علاهن فشك علاها القاموس مادة طار.

(٧) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ والنشر ٣٢١/٢.

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩. وهذا الموضوع فيه خلاف كبير بين العلماء ولكن أكتفي هنا برأي ابن جرير الطبري في تفسيره في =

واستحسن الزجاج هذه القراءة قال: وكان الخليل يقرأ بهذه القراءة والاجماع أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل،

= تخريج هذه القراءة حيث يقول: وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله إن هذان لساحران، فقرأ عامة قراء الامصار إن هذان بتشديد إن وبألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول إن خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام، ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما وقال بعض نحوي الكوفة ذلك على وجهين، أحدهما: على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنتين في رفعهما ونصبهما بالألف.

قال وحكي عنه أيضاً هذا خط يد أخي أعره، قال: وذلك وأن كان قليلاً أقيس لأن العرب قالوا مسلمون، فجعلوا الواو تابعة للضمة لأنها لا تعرف ثم قالوا رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم فلما رأوا الياء من الاثنتين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه فقالوا رجلاً في كل حال، قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان، إلا بني كنانة فإنهم منعوا على القياس يقولون: رأيت كلا الرجلين ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة.

قال: الوجه الآخر أن تقول الألف في هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نوناً تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه، قال وكان القياس أن يقولوا الذون، وقال آخر منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج إلى الانبساط . . .

ثم يقول ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندنا (أن) بتشديد نونها وهذان بالألف لاجتماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين، إذ زادوا على الذي النون وأبقوا جميع أحوال الاعراب على حال واحدة، وهي لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن. اهـ تفسير ابن جرير ١٦/١٣٦.

أما احتجاج أبي عمرو على قراءته: أنه هذين بما روي أنه غلط الكاتب فهذا مما لا يستساغ قبوله وقد وفي الدكتور عبد الحي الفرماوي هذه المسألة حقها في كتابه رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين فأكتفي بنقل رأيه إذ يقول: الشبهة الثانية: فيما نسب إلى «عائشة رضي الله عنها»: يقولون روى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن: عن قوله تعالى (إن هذان لساحران) [طه: ٦٣]، وعن قوله تعالى (والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة) [النساء: ١٦٢] وعن قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) [البقرة: ٦٢].

فقلت: يا ابن أختي: هذا من عمل الكتاب الكتبة، أخطأوا في الكتاب أي في الكتابة^(١) ويقول السيوطي: إسناده صحيح على شرط الشيخين^(٢).

وقد ذكر بعض العلماء هذه الروايات في كتبهم بحسن قصد من غير تحر ولا دقة فاتخذها أعداء الاسلام من المارقين والمستشرقين ذريعة للطعن في الاسلام وفي القرآن، لتوهين فقه المسلمين بكتاب ربهم والجواب عن هذه الشبهة.

أولاً: رد الخبر.

أ- راوي هذا الخبر: هو أبو معاوية الضرير، الذي شهد علماء الحديث^(٣) أن في أقواله أحاديث مضطربة، وأنه ربما دلس، وأنه كان مرجئاً خبيثاً.

ب- أيضاً: فإن ينسب إلى أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها - مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها، ومعرفتها بلغة قومها - لحن الصحابة، وخطأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ، ولا يجوز. ج- وعلى كل: فهذه الروايات، مهما يكن سندها صحيحاً - كما يقول الشيخ الزرقاني - فإنها مخالفة للمتواتر القاطع، من دقة عمل الصحابة، وتصويب كتابتهم^(٤).

د- ولم يعد أحد من المسلمين يركن إليها، أو يعبا بها، وليس لها وزن، أو اعتبار أمام تواتر الصحف، وهي أضعف - كما يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي - من أن تخصص في وجه ما يبطلها من الروايات التي تلقاها المسلمون بإجماع وقبول.

وليس لذي عدل ونصفة، أن يعارض بهذه الروايات الباطلة، والآثار الساقطة، ما ثبت بالتواتر جيلاً إثر جيل إلى يومنا هذا، لأن معارض التواتر القاطع، ساقط مردود.

(١) معاني القرآن للفراء ١/١٠٦، المقنع ص ١٢٦.

(٣) اللعل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١/٢٤١، تهذيب التهذيب ٩/١٣٨.

(٤) مناهل العرفان ١/١٨٦.

(٢) الاتقان ١/١٨٢.

وقوله ﴿يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما﴾ تقدم تفسيره ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال الفراء^(١): العرب تقول هؤلاء طرقة قومهم وطرائق قومهم لا طراقهم، والمثلى: تأنيث الأمثل وهو الأفضل يقال: فلان أمثل قومه أي أفضلهم، وهم الأماثل، روي الشعبي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في هذه الآية قال: يصرفا وجوه الناس إليهما والمعنى أن يغلبا بسحرهما فيميل إليهما السادة والاشراف منكم، وقال قتادة طريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدة وأموال فقالوا: إنما يريدان أن يذهبا بهما لأنفسهما وهذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد^(٢) ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة، واختاره أبو عبيدة فقال: بطريقتكم المثلى بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه^(٣) ثم تواصلوا فيما بينهم فقالوا: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ قال الفراء: الاجماع الإحكام والعزيمة على الشيء تقول: أجمعت الخروج وعلى الخروج مثل أزمعته^(٤)، وقرأ أبو عمرو فاجمعوا^(٥) موصولاً من الجمع وحجته قوله فجمع كيده والمعنى لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به، استظهاراً للمبالغة في سحرهم ﴿ثم اتتوا صفًا﴾ أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم وأشد لهيبتكم، وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين، وقال أبو عبيدة الصف موضع المجمع ويسمى المصلى الصف^(٦)، وقال الزجاج: وعلى هذا معناه ثم اتتوا المواضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ قال ابن عباس: قد سعد اليوم من غلب، ومعنى استعلى: علا بالغلبة.

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا ءَأَمْتَا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ أي اختر أحد هذين، والمراد باللقاء إلقاء العصي على الأرض وكانت السحرة معهم عصا وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على فرعون فلما أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول ف ﴿قال﴾ موسى ﴿بل ألقوا﴾ أمرهم باللقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وقوله ﴿فإذا جبالهم وعصيتهم﴾ قال عطاء كان عدد السحرة سبعين ألف رجل مع

= هـ - يجاب عن تصحيح السيوطي . بأن هذه الرواية على فرض صحتها، فهي رواية آحادية، لا يثبت بها قرآن وهي معارضة للقطعي الثابت بالتواتر، فهي باطله مردودة، ولا الثقات إلى تصحيح هذه الرواية وأمثالها فإن من قواعد المحققين أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي، كأن يكون مناقضاً لنص القرآن، أو السنة، أو الاجماع الذي في أو صريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل، أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور، وهذه الروايات: مخالفة للمتواتر القطعي - كما سبق الذي تلقته الأمة بالقبول فهي باطلة لا محالة اهـ^(١).

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٥ . (٢) في د: أبو زيد . (٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٣ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ١٨٥ .

(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩ وفيها قرأ أبو عمر فاجمعوا مفتوحة الميم من جمعته ورواية أخرى عنه فاجمعوا بألف مقطوعة .

(٦) مجاز القرآن ٢/ ٢٣ .

كل رجل عصا وحبل غليظ مثل حبال السفر^(١) وقال عكرمة: كانوا تسعمائة، وقال محمد بن إسحاق^(٢) كانوا خمسة عشر ألف ﴿يخيل إليه﴾ إلى موسى ﴿من سحرهم أنها تسعى﴾ قال الكلبي: خيل إلى موسى أنها حيات كلها وأنها تسعى على بطنها، يقال: خيل إليه إذا شبهه له أدخل عليه التهمة والشبهة ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أي أحس ووجد خوفاً لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا فخاف أن يلتبس على الناس أمره ولا يؤمنوا به فقال الله ﴿فلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ عليهم بالظفر والغلبة ﴿وألق ما في يمينك﴾ يعني العصى ﴿تلقف ما صنعوا﴾ قال الزجاج: القراءة بالجزم جواب الامر^(٣) ويجوز الرفع على معنى الحال كأنه قال ألقها متلقفة ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾^(٤) أي أن الذي صنعوه كيد ساحر^(٤) وقرئ كيد سحر والمعنى كيداً من سحر كما قالوا قميص حرير وجوبة خز ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ قال ابن عباس: ولا يسعد الساحر حيث ما كان، وروى جندب بن^(٥) عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الساحر فأقتلوه ثم قرأوا ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يأمن حيث وجد»^(٦)

قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ءِإِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفٍ
وَلَأَصْلَبِنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ ءَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ءِإِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴿٧٢﴾ ءِإِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ ﴿٧٣﴾

وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف^(٧) إلى قوله ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ قال ابن عباس: يريد معلمكم، قال الكسائي الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبير، وقال محمد بن إسحاق إنه لعظيم السحار والكبير في اللغة الرئيس، ولهذا يقال للمعلم الكبير، وقوله: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ في بمعنى على كقوله ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه﴾^(٨) أي عليه ﴿ولتعلمن﴾ أيها السحرة ﴿أينا أشد عذاباً﴾ لكم ﴿وأبقى﴾ وأدوم أنا على إيمانكم أو رب موسى على ترككم الإيمان به ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ لن نفضلك ولن نختارك ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ قال مقاتل: يعني اليد والعصا، وقال عكرمة والقاسم بن أبي بزة هو أنهم ما رفعوا رؤوسهم حيث خروا

(١) رواه ابن جرير عن القاسم بن أبي بزة. ابن جرير ١٣٩/١٦.

(٢) محمد بن إسحاق بن خيار أبو عبد الله المطليبي ت ١٥١ هجرية، تهذيب التهذيب ٣٨/٩ ومن المعروف عن ابن إسحاق أنه ضعيف الحديث فلا يعتد من قوله هذا.

(٣) قراءة الجزم في تلقف قرأ بها جميع القراء عدا ابن عامر فقد قرأ وحده تلقف برفع الفاء وتشديد القاف السبعة ص ٤٢٠ والنشر ٣٢١/٢.

(٤) قراءة كيد سحر بغير ألف قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢١ والنشر ٣٢١/٢.

(٥) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله الصحابي توفي في فتنة ابن الزبير انظر أسد الغابة ٣٦١/١، تهذيب التهذيب ١١٧/٢.

(٦) أخرج الترمذي نحوه في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ٦٠/٤ حديث ١٤٨٥، وأخرجه السيوطي في الدر المنسوب عن ابن أبي حاتم وغيره في تفسير سورة طه ٣٠٣/٣.

(٧) في الأحزاب.

(٨) الطور: ٣٨.

سجداً حتى رأى الجنة والنار، ورأوا منازلهم في الجنة التي إليها يصيرون^(١)، وقوله ﴿والذي فطرنا﴾ ذكر الفراء والزجاج فيه وجهين أحدهما لن تؤثر على الله الذي خلقنا والثاني: أنه قسم^(٢) ﴿فاقص ما أنت قاص﴾ فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا فأما الآخرة فليس لك فيها حظ ولا سلطان ﴿إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ قال ابن عباس يريد الشرك الذي كنا فيه ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال ابن عباس: إن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر^(٣) وذكر في التفسير أنه أكره السحرة على معارضة موسى بالسحر ﴿والله خير وأبقى﴾ قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عقاباً، وقال محمد بن كعب: خير منك [ثواباً]^(٤) إن أطيع وأبقى عذاباً منك إن عصي، وهذا جواب قوله ولتعلمن أننا أشد عذاباً [وأبقى]^(٥) وها هنا انتهى الاخبار عن السحرة.

إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدِ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ۗ

قول الله تعالى ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك: المجرم الكافر، وقال في رواية عطاء: يريد الذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه قال المبرد: لا يموت ميتة مريحة ولا يحيا حياة تنفعه^(١) فهو يألم كما يألم الحي ويبلغ به حالة الموت في المكروه إلا أنه لا يبطل فيها عن إحساس الألم والعرب تقول فلان لا حي ولا ميت إذا كان غير منتفع بحياته وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم^(٢)

﴿ومن يأت مؤمناً﴾ مصدقاً بما جاء من عند الله ﴿قد عمل الصالحات﴾ قال ابن عباس: قد أدى الفرائض ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يعني درجات الجنة وبعضها أعلى من بعض والعلی^(٣) جمع العليا وهو تأنيث الأعلى^(٤) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، أنا محمد بن أيوب، نا مسلم بن إبراهيم، نا مالك بن مغول^(٥)، نا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ﴿إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كأضوأ كوكب دري وإن أبا بكر وعمر منهم﴾^(٦) قوله:

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۗ

(١) رواه ابن أبي حاتم عن القاسم الدر المنثور ٣٠٣/٩٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٧/٢.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٤٢/١٦.

(٤) ليست في هـ.

(٥) ليست في د.

(٦) مالك بن مغول بن عاصم البجلي ت سنة ١٥٨ هـ طبقات الحفاظ (٨٥) التهذيب ٢٣/١٠.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١٤٥/٤ ط الشعب ومسلم في كتاب الجنة باب تراثي

أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكواكب في السماء وليس فيه وإن أبا بكر وعمر منهم وروى أبو داود هذه الزيادة في سننه، كتاب

الحروف والقراءات الحديث (٣٩٨٧) ٣٩٠/٤ ط الحلبي.

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَنَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۗ ۗ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ ۗ

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ أي سربهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر﴾ اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا ﴿بيسا﴾ لا نداوة فيه ولا بلبل يابساً وذلك ان الله تعالى آيسس^(١) لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء وطين ﴿لا تخاف دركاً﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون من خلفك ﴿ولا تحشى﴾ من البحر غرقاً وقرأ حمزة لا تخف^(٢) جزماً على النهي له من الخوف معناه: لا تخف أن يدركك فرعون واستأنف قوله ولا تحشى على معنى وأنت لا تحشى كقوله ﴿يولولكم الأديبار ثم لا ينصرون﴾^(٣) ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ أتبع ها هنا مطاوع [متعد]^(٤) من تبع والباء في بجنوده زيادة، والمعنى: أمرهم أن يتبعوا موسى وقومه، وكان هو أيضاً في جنوده ﴿فغشيهم﴾ علاهم وسترهم ﴿من اليم ما غشيهم﴾ قال ابن الأنباري: يعني البعض الذي غشيهم لأنه لم يغشهم كل مائه بل الذي غشيهم بعضه فقال الله تعالى: الذي غشيهم ليدل على أن الذي غرقهم بعض الماء قوله ﴿وأضل فرعون قومه﴾ يعني حين دعاهم إلى عبادته ﴿وما هدى﴾ وما أرشدهم حين أوردتهم مواقع الهلكة وهذا تكذيب له في قوله ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾^(٥) ثم ذكر الله منته على بني إسرائيل فقال:

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۗ ۗ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۗ ۗ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِّمَّ اهْتَدَىٰ ۗ ۗ

﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناك من عدوك﴾ يعني فرعون غرقه بمرأى منهم ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ [وهو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن]^(٦) فيؤتيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني في التيه وهذا مخاطبته لمن كان في عصر النبي ﷺ من اليهود قوله ﴿كلوا﴾ أي وقلنا لهم كلوا ﴿من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ أي لا تنظروا فيما أنعمت عليكم فتتظالموا وقال الكلبي لا تجحدوا نعمة الله فتكونوا طاغين ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ [تجب لكم عقوبي]^(٧) وقرىء فيحل ﴿ومن يحلل﴾ بالكسر^(٨) والضم^(٩) قال الفراء: الكسر أحب إلي من الضم لأنه من الحلول بمعنى الوقوع ويحل الكسر يجب وجاءني التفسير بالوجوب لا بالوقوع هذا كلامه^(١٠) أو يحل بالكسر من قولهم حل الشيء يحل وحلاً وحلاً إذا انحلت عنه عقدة التحريم وزال عنه^(١١) الحظر وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعاً محظوراً عنهم فإذا طغوا ارتفع ذلك الحظر فحل لهم العذاب وقوله ﴿فقد هوى﴾ أي هلك وسقط في النار يقال هوى يهوي هويماً إذا وقع في مهواه.

(١) في هـ: يسس.

(٢) ابن مجاهد السبعة ص ٤٢١ والنشر ٣٢١/٢.

(٣) آل عمران: ١١.

(٤) عن أ.

(٥) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالضم قرأ بها الكسائي وحده السبعة ص ٤٢٢.

(٦) قراءة (فيحل ومن يحلل) بالكسر قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف النشر ٣٢١/٢ السبعة ص ٤٢٢.

(٧) معاني القرآن للفراء ١٨٨/٢.

(٨) في جـ منه.

قوله ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ قال ابن عباس: تاب من الشرك ﴿وآمن﴾ وحد الله وصدقه ﴿وعمل صالحاً﴾ أدى فرائض الله ﴿ثم اهتدى﴾ قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله له، قال في رواية أبي صالح علم أن لهذا ثواباً، وهو قول الثوري والشعبي ومقاتل، وقال قتاده: ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وهذا اختيار الزجاج لأنه يقول ثم أقام إيمانه أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد المهرجاني، أنا أحمد بن علي، نا أبو سعيد الأشج، نا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب^(١) عن سعيد بن جبير ثم اهتدى قال: لزم السنة والجماعة.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ ^(٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلِيٍّ أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ^(٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ^(٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي ^(٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ^(٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ^(٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ^(٨٩)

قوله ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال المفسرون: كانت المواعدة أن يوافي موسى وجماعة من وجوه قومه فسار موسى بهم ثم عجل من فيهم شوقاً إلى ربه وخلف السبعين ليلحقوا به فقال الله ما الذي حملك على العجلة حتى خلفت قومك وخرجت من بينهم^(٢) ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾ قال الكلبي ليزداد رضا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإننا قد فتنا قومك﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحبة وقال ابن الأنباري صيرناهم مفتونين أشقياء عبادة العجل لما سبق لهم في حكمتنا ﴿من بعدك﴾ من بعد انطلاقك من بينهم ﴿وأضلهم السامري﴾ قال عطاء عن ابن عباس يريد أن الضلالة كانت على يد السامري يعني أنه كان سبب إضلالهم وقال الكلبي: صرفهم السامري إلى عبادة العجل قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان السامري من أهل باجرى^(٣) وقع بأرض مصر فدخل في بني إسرائيل وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقوله ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾^(٤) [حزينا بما فعلوا]^(٥) تقدم [تفسيره]^(٦) في سورة الأعراف ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً﴾ صدقا لإثبات^(٧) الكتاب ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب ﴿عليكم غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم أن تصنعوا صنيعاً يكون سبب غضب ربكم ﴿فأخلفتم مواعدي﴾ ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي بيان هذا قوله ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾^(٨) فقال الذين لم يعبدوا العجل ﴿قالوا ما أخلفنا موعدهك بملكنا﴾ أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً أي لم نطق رد عبدة العجل من عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم وقتلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً وافتتن الباقون بالعجل وكانوا

(١) العوام بن حوشب بن يزيد أبو عيسى الواسطي ت سنة ١٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٦٣/٨ .

(٢) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق ١٤٦/١٦ .

(٣) باجرى قرية من أعمال بلخ قرب الرقة من أرض الجزيرة. معجم البلدان ٣١٣/١ .

(٤) هذا الخبر مروى في حديث الفتون لابن عباس وقد تقدم تخريجه .

(٥) ساقط من هـ .

(٦) ساقط من أ، د .

(٧) في هـ: لثباته .

(٨) الأعراف: ١٥٠ .

جميعاً ستمائة ألف^(١) وأكثر القراءة بالكسر^(٢) في بملكننا والمعنى بملكننا أمرنا ومن قرأ بملكننا بفتح الميم^(٣) فهو المصدر الحقيقي يقال ملكت الشيء أملكه ملكاً والملك^(٤) ما ملك ومن قرأ بضم الميم^(٥) فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل فقالوا ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ أي أثقالاً وأحمالاً، قال قتادة: كانت حلياً تعوروها^(٦) من آل فرعون فساروا وهي معهم وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي: ان الأوزار هي الأحمال وزينة القوم حلي آل فرعون استعاره بنو إسرائيل قبل خروجهم من مصر فبقي في أيديهم وكان موسى أمرهم بذلك وقرىء حملنا بالتشديد وضم^(٧) الحاء والمعنى: جعلونا نحملها قال أبو عبيدة: الوجه القراءة الأولى^(٨) لأن التفسير قد جاء أنهم حملوا معهم ما كان في أيديهم من حلي آل فرعون وقوله ﴿فقدفناها﴾ قال السدي: قال هارون لهم الحلي غنيمة ولا تحل لكم الغنيمة فاحفروا لها حفرة فاطرحوها فيها حتى يرجع موسى فيقضي فيها^(٩) فذلك قوله ﴿فقدفناها﴾ أي طرحناها في الحفيرة، وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أوقد لهم هارون ناراً وقال اقدفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون معهم من الحلي فيقدفونه^(١٠) فيها حتى انسكبت^(١١) الحلي فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة: وقد كان في طرف عمامته قبضة من أثر فرس جبريل يوم جاوز بني إسرائيل فقدفها فيه وهو قوله ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ يعني ما كان معه من التراب ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد لحمًا ودمًا له خوار كما يخور الحلي من العجول وقال قتادة: جعل يخور خوار البقرة وقال الحسن: صور بقره صاغها من الحلي التي كان معهم ثم ألقى على أثر فرس جبريل فانقلب حيواناً يخور^(١٢) فقالوا هذا إلهكم وإله موسى يعني قال السامري ذلك ومن تابعه ممن افتتن بالعجل، قال سعيد بن جبيرة: عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوه شيئاً قط وقوله ﴿فنسي﴾ قال السدي: يقول ترك موسى إلهها هنا وذهب يطلبه وقال قتادة: يقول إن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فغيرهم الله تعالى بصنيعهم وقال موبخاً ﴿أفلا يرون أن لا

(١) روى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الذين عبدوا العجل سبعين ألفاً. ابن جرير ٧٣/٢ تحقيق شاكراً.

(٢) قراءة (بملكننا) بكسر الميم قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٣) قراءة (بملكننا) بفتح الميم قرأ بها نافع وعاصم. السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٤) هـ: وألملم.

(٥) قراءة (بملكننا) بضم الميم قرأ بها حمزة والكسائي السبعة ص ٤٢٣ النشر ٣٢٢/٢.

(٦) أي أخذوها عارية ثم يردونها وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن مجاهد، وابن عباس وغيرهم تفسير ابن جرير ١٦/١٤٦.

(٧) قراءة (حملنا) بتشديد الميم وضم الحاء قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو جعفر ورواية عن عاصم وأبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٨) القراءة الأولى (ملكننا) بفتح الحاء وتخفيف الميم وقد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم ورواية عن أبي عمرو السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٣٢٢/٢.

(٩) ابن جرير عن السدي ١٦/١٤٨ والسدي ضعيف الحديث حكم عليه علماء الجرح والتعديل بالضعف فلا تقبل روايته انظر التاريخ الكبير للبخاري ١/٣٢، والمجروحين لابن أبي حاتم ٢/٢٥٣، والميزان ٤/٣٢، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨.

(١٠) في هـ: فيقدفونها.

(١١) في هـ: انسكبت.

(١٢) في أ: حبر.

(١٣) كل هذه الاخبار رواها الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي يعلى وتقدم في حديث الفتون في هذه السورة، ومجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ومثل هذا من ادعاءات أهل الكتاب التي لا تتفق مع عقيدة المسلمين من أنه لا يجبي ولا يميت إلا الله (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإنثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير) الآيات (٤٩، ٥٠) الشورى.

يرجع إليهم قولاً ﴿ أنه لا يرجع إليهم قولاً أي لا يرد لهم جواباً كما قال ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ﴾^(١) ﴿ ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴾ توبيخ لهم إذ عبدوا من لا يملك ضرر من ترك عبادته ولا نفع عنده .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴾ أي من قبل أن يأتي موسى لما رأى ما وقعوا فيه ﴿ يا قوم إنما فتنتم به ﴾ ابتليتم به ﴿ وإن ربكم الرحمن ﴾ لا العجل ﴿ فاتبعوني ﴾ في عبادته ﴿ وأطيعوا أمري ﴾ لا أمر السامري فعصوه ﴿ وقالوا: لن نبرح [عليه عاكفين] ﴾^(٢) لن نزال مقيمين على عبادة العجل ﴿ حتى يرجع إلينا موسى ﴾ فلما رجع موسى .

قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

﴿ قال: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل ﴿ أن لا تتبعني ﴾ لا زائدة أي ما منعك من اتباعي واللحوق بي^(٣) ﴿ أفعصيت أمري ﴾ إذ أقمت فيما بينهم وقد كفروا، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه ف ﴿ قال يا ابن أم ﴾ قرىء بالفتح^(٤) والكسر^(٥) ومعنى الكلام فيه في سورة الاعراف ﴿ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ أي بشعر رأسي ﴿ إني خشيت ﴾ [إن]^(٦) فارقتهم واتبعتك ﴿ أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ﴾ فرقت جماعتهم، وذلك أنه لو لحق بموسى لصاروا أحزاباً حزب يسرون معه وحزب يتخلفون عنه من الايمان والانكار على عبدة العجل وحزب مع السامري فلا يؤمن أن يصيروا في الخلاف إلى التسافك فاعتذر بهذا وقوله ﴿ ولم ترقب قولي ﴾ أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي فلما اعتذر هارون بهذا العذر.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ

(١) الاعراف: ١٤٨ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) وقيل ان لا ليست بزائدة من وجهين أحدهما: أن التقدير ما دعاك إلى الاتبعيني لان الصارف عن الشيء داع إلى تركه فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل .

الثاني: أن التقدير ما منعك من الاتبعيني، وهذا أقرب مما قبله لأن فيه إيفاء المنع على أصله، وعدم زيادتها أولى، لأن حذف حرفي الجر مع أنه كثير كثرة لا تصل إلى المجاز والزيادة في درجته قالوا: وفائدة زيادتها الاثبات، فإن وضع لا نفي ما دخلت عليه فهي معارضة للاثبات ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧٩/٣ .

(٤) قراءة (بينؤم) بفتح الميم قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢ .

(٥) قراءة (بينؤم) بكسر الميم قرأ بها ابن عامر وحزمة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم السبعة ص ٤٢٣ والنشر ٢/٢٧٢ .

(٦) ليست في هـ .

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿قال﴾ موسى للسامري: ﴿فما خطبك يا سامري﴾ أي ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي علمت ما لم تعلموا وعرفت ما لم تعرفوا فقال له موسى وما الذي أبصرت دون بني إسرائيل قال ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ يريد أثر فرس جبريل، وذلك أنه قبض قبضة من تراب حافر فرسه وألقي في نفسي^(١) أن أقبض من أثرها فما ألقىته على شيء إلا صار له روح ودم فحين رأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً حدثني نفسي بذلك^(٢) ﴿فنبذتها﴾ فألقىتها في صورة العجل ﴿وكذلك﴾ وكما حدثتك يا موسى ﴿سولت لي نفسي﴾ زينت لي نفسي من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل ﴿قال﴾ له موسى ﴿فاذهب﴾ أي من بيننا ﴿فإن لك في الحياة﴾ ما دمت حياً ﴿أن تقول لا مساس﴾ قال ابن عباس: لك ولولدك والمساس فقال: من المماس^(٣) ومعنى لا مساس: لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد عاقبه الله بذلك فكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى إن بقاياهم [إلى]^(٤) اليوم يقولون ذلك^(٥)، وذكر أنه إن مس واحد من غيرهم واحد منهم حم كلاهما في الوقت وقوله ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾ أي وعداً لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الموعد ولن يتأخر عنك، قال الزجاج: أي يكافئك الله على ما فعلت في القيامة والله لا يخلف الميعاد ومن قرأ بكسر^(٦) اللام كان المعنى: لا تخلف ذلك الموعد أي ستأتيه ولا مذهب لك عنه ﴿وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ قال ابن عباس: يريد الذي تعبدته وظللت عليه مقيماً، يعني العجل وظللت هو الأصل ولكن اللام الأولى حذفت لثقل التضعيف والكسر والعرب تفعل ذلك كثيراً تقول مست لي ومسست، وقوله ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ قال ابن عباس: حرقه بالنار ثم ذراه في اليم وهو النسف ومعناه نقص الشيء لتذهب به الريح وهو التذرية، وذكر في التفسير أن موسى أخذ العجل فذبحه فسالت منه دم^(٧) لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم أحرقه بالنار ثم ذراه في البحر ثم أخبرهم موسى عن إلههم فقال ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي هو الذي يستحق العبادة لا العجل ﴿وسع كل شيء علماً﴾ علمه علماً تاماً ولم يقصر عنه علمه.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

﴿كذلك﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وقومه ﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ من أخبار من

(١) في هـ: نفسه.

(٢) في حديث الفتون عن ابن عباس ما يكذب هذا القول فقد قال: اجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار ثم قال ابن عباس ولا - والله - ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل دبره فتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه ٦٤/٧.

(٣) في أ، ب فقال من المسيسة.

(٤) ليست في ب، جـ.

(٥) ابن جرير الطبري ١٥٢/١٦ عن قتادة.

(٦) قراءة كسر اللام في (لن تخلفه) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة لابن مجاهد (ص ٤٢٤) والنشر ٣٢٢/٢٠.

(٧) هذا القول رواه ابن كثير في تفسيره عن قتادة بدون إسناد تفسير ابن كثير ١٦٤/٣ وقد قدمنا قول ابن عباس في العجل وأنه لا روح فيه فلا =

مضى وتقدم ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني القرآن ثم أوعد على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ حملاً ثقيلاً من الاثم ﴿خالدين فيه﴾ أي في عذاب ذلك الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ قال الكلبي: بشس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كقرأ بالقرآن وقوله:

يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۚ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وقرأ أبو عمرو نفخ^(١) على معنى إضافة الامر بالنفخ إلى الله ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله ﴿ونحشر المجرمين﴾ والوجه قراءة العامة لقوله ﴿ونفخ في الصور﴾^(٢) وقوله ﴿يوم ينفخ في الصور﴾^(٣) في سورتين قال ابن عباس: يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الهاً [وقوله]^(٤) ﴿زرقاً﴾ قال: يريد زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العين كعين السنور، والمعنى في هذا تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿يتخافتون﴾ يتسارون^(٥) فيما بينهم فيقولون ﴿إن لبثتم﴾ أي ما لبثتم أي من النفخة الأولى إلى الثانية ﴿إلا عشرًا﴾ [إلا عشر]^(٦) ليالي وذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو أربعون سنة استقصروا مدة لبثهم لهول ما عينوا قال الله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي بما يتسارون^(٧) بينهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أعقلهم وأعدلهم قولاً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ نسوا مقدار لبثهم^(٨) لشدة ما دهمهم قوله:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ

﴿ويسئلونك عن الجبال﴾ قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف^(٩) رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية، وقوله ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ قال المفسرون يصيرها الله رمالاً تسيل ثم يصيرها كالصوف المنفوش يطيرها الرياح ﴿فيذرها﴾ أي يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قاعاً﴾ قال الفراء: القاع: ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب نصف النهار وجمعه قيعه ومنه قوله ﴿كسراب بقيعة﴾^(١٠) ﴿صفصفاً﴾ والصفصف الأملس الذي لا نبات فيه^(١١) ونحو هذا قال المفسرون ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: ليس

= يصدق هذا القول بحال ومن أين أتاه هذا الدم وقد صنع من مصوغات قوم فرعون التي جلبها بنو إسرائيل معهم.

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة (٤٢٤) والنشر ٣٢٢/٢.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) النمل: ٨٧ وقراءة العامة (ينفخ) بضم الياء وفتح الفاء قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ونافع انظر السبعة ص ٤٢٤ والنشر ٣٢٢/٢.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) فيما عدا ب: ويتشاورون.

(٧) في أ: يتشارون.

(٦) ساقط من هـ.

(٨) في هـ: مكثهم.

(٩) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية واشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف واسمه قيس بن منية بن بكر بن هوازن، انظر نهاية الارب ص ١٩٨ لابي العباس أحمد القلقشندي ط دار الكتب الاسلامية بيروت.

(١٠) النور: ٣٩.

(١١) معاني القرآن للفراء ١٩١/٢.

فيه منخفض ولا مرتفع، وقال مجاهد: انخفاصاً وارتفاعاً وقال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة، وقال الحسن: العوج ما انخفض من الارض والأمت ما نشز من الروابي، وتقول العرب مأسقاه حتى ليس فيه أمت إذا لم ينثن لتمام الامتلاء، قوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ قال الفراء: يعني صوت الداعي للحشر^(١) قال المفسرون: يتبعون صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا عوج لهم عن الداعي فلا يقدر أن يتبعوه قال ابن عباس: كلهم تبع الصوت لا يتعوج عنه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ سكتت وذلت وخضعت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال أكثر المفسرين: يعني صوت نقل الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الابل في المشي، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعني تحريك الشفاه بغير منطق، وهو قول مجاهد الكلام الخفي، والمعنى على هذا التفسير سكتت الأصوات فلا يجهر أحد بكلام إلا كالسر من الإشارة بالشفة وتحريك الفم من غير صوت.

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عِلْمًا ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي لا تنفع الشفاعة أحد من الناس إلا من أذن الله أن يشفع له فذلك الذي ينفعه الشفاعة ﴿ورضى له قولاً﴾ قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن^(٢) ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ الكناية راجعة إلى الذين كفروا في قوله ﴿يتبعون الداعي﴾ قال ابن عباس: يريد ما قدموا وما خلفوا، وقال الكلبي: ما بين أيديهم من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ الكناية تعود إلى ما في قوله ما بين أيديهم وما خلفهم أي هو يعلم ذلك وهم لا يعلمونه، ويجوز [أن تعود] الكناية إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

قوله ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾^(٤) قال ابن عباس في رواية الوالبي: ذلت وهو قول قتادة، وقال في رواية عطاء خضعت وقال طلق بن حبيب^(٥) هو السجود على الجبهة، قال الزجاج: معنى عنت في اللغة خضعت [وسمي الاسير عانياً لخضوعه في يد من أسره]^(٦) يقال عنا يعنو [عنا] إذا خضع ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ من للجنس، والمعنى: من يعمل الصالحات وهو مؤمن لأن غير المؤمن لا يقبل عمله ولا يكون صالحاً ﴿فلا يخاف ظلماً﴾ أي فهو لا يخاف وقرأ ابن كثير: فلا يخف على^(٧)

(١) في النسخ صوت الحشر والتصحيح من معاني القرآن للفراء ١٩٣/٢.

(٢) ويؤيد هذا قول الله تعالى في سورة التوبة (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم) التوبة: ١١٣، ١١٤.

(٣) ساقط من د.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا د.

(٥) طلق بن حبيب البصري صدوق عابد ت بعد التسعين من الهجرة انظر التقريب ١/٣٨٠.

(٦) ما بين القوسين ساقط من د.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) أو ظلماً ساقط من ب.

(٩) في ب فلا يخاف.

النهي^(١) فهو حسن لأن المعنى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فليأمن لأنه لم يفرط فيما وجب عليه ونهيه عن الخوف أمر بالأمن وقوله ﴿ظَلَمًا وَلَا هِزْمًا﴾ الهضم: النقص، يقال: يهضمني فلان حقي أي ينقصني. قال الوابي عن ابن عباس لا يخاف أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته ولا أن يهضم من حسناته، وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَفَعَلَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ

﴿وكذلك﴾ كما بينا في هذه السورة ﴿أنزلناه﴾ أنزلنا هذا الكتاب ﴿قرآنًا عربيًّا وصرفنا فيه من الوعيد﴾ بينا فيه ضروب الوعيد، قال قتادة: يعني وقائعه في الأمم المكذبة ﴿لعلهم يتقون﴾ ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن^(٢) قبلهم ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ يجدد لهم القرآن اعتباراً فيذكروا به عقاب الله للأمة^(٣) فيعتبروا، وقوله ﴿ففعلى الله﴾ أي جل عن إلحاد الملحدين وعماء يقول المشركون في صفته ﴿الملك﴾ الذي بيده الثواب والعقاب فهو يملكها ﴿الحق﴾ معناه ذو الحق، وقد تقدم الكلام فيه ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ قال ابن عباس والمفسرون: كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان فهناه الله عن ذلك يقول ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾^(٤) أي بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك وهذا كقوله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾^(٥) ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي بالقرآن ومعانيه وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً وإيماناً و يقيناً.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُخِدْ لَهُمْ عَزْمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۖ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۖ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۖ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وُرْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْبَثَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ

قوله ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فتنى﴾ أي أمرناه وأوصينا إليه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكر في قوله ﴿لعلهم يتقون﴾ والمعنى أنهم إن نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه

(١) ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٤ .

(٢) في هـ: ممن .

(٣) في هـ: عتاب الله في الامم .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٤/١ وكتاب التوحيد باب قوله تعالى لا تحرك به لسانك ١٨٧/٩ ط الشعب . ومسلم في كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة ٣٣٠/١ ط الحلبي .

(٥) القيامة : ١٦ .

﴿فَنفْسِي﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي ترك عهدي وما أمر به^(١) ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ معنى العزم في اللغة [توطين النفس]^(٢) على الفعل، قال عطية العوفي: لم نجد له حفظاً لما أمر به وقال الحسن: صبرا عما نهي عنه، وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً عليه^(٣) حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، وقال الحسن: كأن عقل آدم مثل عقل جميع ولده فقال الله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد المخلدي، نا أحمد بن إسماعيل بن يحيى بن حازم، نا كامل بن مكرم، نا جبريل بن مجاع، نا إبراهيم بن يوسف^(٤)، نا وكيع عن أبي فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامه الباهلي قال: لو أن أحلام بني آدم وضعت في كفة ووضع حلم آدم لرجح حلمه حلمهم ثم قرأ نفسي ولم نجد له عزمًا^(٥) وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله ﴿فَلَا يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال عطاء: يريد شقاء الدنيا ونصبتها، وقال الحسن عنى به شقاء الدنيا لا ترى ابن آدم إلا ناصباً شقيماً، وقال السدي يعني الحرث والزرع والعجن والخبر ولم يقل فتشقياً لأن أول الآية خطاب لآدم^(٦) ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ وعده الله في الجنة في الجنة الشبع والاكساء وألا يصيبه فيها عطش ولا حر وهو قوله ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ ومن قرأ وإنك بالكسر^(٧) فعلى الاستئناف وعطف جملة كلام على جملة والظماً مصدر قولك ظمأً يظمأ إذا عطش، ويقال: ضحى الرجل يضحى ضحاً وضحياناً إذا أبرز الشمس فأصابه حرها قال الضحاك عن ابن عباس: يقول: لا تعطش فيها كما يعطش أهل الدنيا ولا يصيبك فيها حر كما يصيب أهل الدنيا والمعنى لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس، إنما هو ظل ممدود ﴿فَوْسُوسٌ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ كقوله ﴿فَوْسُوسٌ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٨) وقد تقدم ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وَمَلِكٌ لَا يَلِي﴾ جديد ولا يفنى وهذا كقوله ﴿مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْآيَةِ﴾^(٩) وما بعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ أي بأكل الشجرة التي نهي عنها ﴿فَغَوَى﴾ أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل ضل حيث طلب الخلد والملك بأكل ما نهي عن أكله، هذان قولان حكاهما المفسرون وقال ابن الأعرابي: الغي الفساد، ومعنى فغوى ها هنا: فسد عليه عيشه قال ابن قتيبة: أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخدايعه والقسم له بالله أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغروره ولم يكن ذنبه عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة فنحن نقول عصى آدم وغوى كما قال الله ولا نقول آدم عاصٍ وغاؤ كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه قد قطعه وخاطه ولا نقول هو خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به^(١٠) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، نا أبو بكر^(١١) محمد بن جعفر بن الهيثم الانباري، نا محمد بن أبي العوام^(١٢)، نا محمد بن عبد العزيز الرملي، نا سليمان بن حبان الاحمر، نا ابن أبي ذياب عن سعيد بن

(١) في د ترك أمرى وما عهد به.

(٢) في هـ: بياض.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٣).

(٤) إبراهيم بن يوسف بن اسحاق بن أبي اسحاق السبيعي الكوفي ت سنة ١٩٨ تهذيب التهذيب ١٠/١٨٣.

(٥) تفسير ابن جرير ١٦/١٦١.

(٦) أولاً أن السعي وتحصيل المعاش مما يقوم به الرجل وما هو مكلف به أما النساء فقد أمرن بالقرار في بيوتهن ورعاية الابناء.

(٧) قراءة (وإنك) بكسر الهمزة قرأ بها نافع وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٢٢٤ والنشر ٢/٣٢٢.

(٨-٩) الاعراف: ٢١.

(١٠) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣١٢ باختصار.

(١١-١٢) ساقط من د، هـ.

أبي سعيد ويزيد بن هرمز^(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لقي موسى آدم فقال أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك^(٢) الجنة وأمر الملائكة فسجدوا لك فأخرجت الناس [من الجنة]^(٣) بذنبك وخطيئتك فقال له آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وأنزل عليك التوراة فيها تبيان كل شيء فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني قال بأربعين سنة قال فوجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني أن أعمل عملاً [قد كتبه علي]^(٤) قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى^(٥) رواه مسلم عن إسحاق بن موسى الانصاري عن انس بن عياض عن ابن أبي ذياب قوله ﴿ثم اجتبه ربه﴾ قال ابن عباس: اصطفاه ﴿فتاب عليه﴾ فعاد عليه بالعفو ﴿وهدي﴾ هداه للتوبة حتى قال ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . . الآية﴾^(٦) وما بعد هذا مفسر في سورة البقرة إلى قوله:

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾

﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾. أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا محمد بن فضيل بن غزوان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة من الحساب ذلك بأن الله يقول ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾^(٧) قال الشعبي: أجاز الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية.

قوله ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ قال عطاء عن موعظتي وقال الكلبي عن القرآن فلم يؤمن ولم يتبعه ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ الضنك الضيق والشدة وكل ما ضاق فهو ضنك يقال منزل ضنك وعيش ضنك وضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكاً وأكثر ما جاء في تفسير المعيشة الضنك عذاب القبر عن النبي ﷺ وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أخبرنا أبو ابراهيم الواعظ، أنا بشر بن^(٨) أحمد بن محمود، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض^(٩)، نا أحمد بن عيسى، نا عبد الله بن وهب نا عمرو بن^(١٠) الحرث نا أبا السمع حدثه عن أبي حجرة عن أبي هريرة عن رسول ﷺ «إن

(١) يزيد بن هرمز المدني (ليس بقوي). ميزان الاعتدال ٤/٤٤٠.

(٢) في هـ: فاسكنك.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من د، وسقطت هـ ما بين قوله أربعين سنة الأولى والثانية.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة طه ٦/١٢٠ ط الشعب، ومسلم في كتاب العذر باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٢.

(٦) الاعراف: ٢٣.

(٧) إلى هنا ساقط من د وقد روى ابن جرير هذا الخبر بعدة طرق عن ابن عباس انظر تفسير ابن جرير ١٦/١٦٣.

(٨) حديث (إن المعيشة الضنك عذاب القبر) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرک كتاب التفسير سورة طه ٣٨١/٢ وقال عنه الهيثمي فيه المسعودي قد اختلط وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٩) أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري ت سنة ٢٤٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٦٥.

(١٠) في هـ: ابن.

للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعاً وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تيناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»^(١) أخبرنا أبو نصر المخلدي، أنا إسماعيل بن نجيد، أنا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمرو الضرير، أنا حماد، أنا أبو حازم المدني^(٢) عن النعمان بن أبي عياش^(٣) الزرقى عن أبي سعيد الخدري في قوله عز وجل ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً قال المعيشة الضنك عذاب القبر يلتئم على صاحبه فلا يزال يعذب حتى يبعث وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ضغطة القبر حتى يختلف أضلاعه^(٤) وقوله ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قيل في التفسير أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجية يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها والاعمى إذا أطلق كان الظاهر عمى البصر يدل على هذا قوله ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ قال الفراء يقال: انه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشرة^(٥) ﴿قال﴾ الله مجيباً لهذا الكافر ﴿كذلك﴾ أي الامر كما ترى ﴿أتنتك آياتنا فنسيتها﴾ فتركتها ولم تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ وكما تركتها في الدنيا تركت اليوم في النار.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ

﴿وكذلك﴾ وكما ذكرنا ﴿نجزي من أسرف﴾ أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ أظنع وأعظم مما ذكر من عذاب القبر.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۚ

﴿أفلم يهد لهم﴾ يبين لهم إذا انظروا يعني كفار مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ يقول أفلم يبين لهم طريق الاعتبار كثرة أهلكنا القرون قبلهم بتكذيب الرسل فيعتبروا ويؤمنوا وقوله ﴿يمشون في مساكنهم﴾ يعني أهل مكة كانوا يتجرون ويسيرون في مساكن عاد وثمود فيها علامات الإهلاك أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين رأوا مساكنهم وهو قوله ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله وأجل مسمى ﴿لكان لزاماً وأجل مسمى﴾ لكان العذاب لازماً لهم واللزام مصدر وصف به العذاب.

(١) رواه ابن كثير عن ابن أبي حاتم وقال رفعه منكر جداً تفسير ابن كثير سورة طه وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه البزار وفيه من لم أعرفه مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه.

(٢) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج ت سنة ١٤٠.

تذكرة الحفاظ ١٣٣/١ تهذيب التهذيب ١٤٣/٤، شذرات الذهب ٢٠٨/١.

(٣) النعمان بن أبي عياش الزرقى الانصاري أبو سلمة المدني تهذيب التهذيب ٤٥٥/١٠.

(٤) قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في المعيشة الضنك رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٥/١٦ وابن كثير عن ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير ١٦٩/٣ ط الحلبي.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٩٤/٢.

قوله ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم ثم حكم بالقتل ففسخ الصبر ﴿وسبح بحمد ربك﴾ صل الله بالحمد له والثناء عليه ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يريد الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ ساعاتها واحدا إنني قال ابن عباس يريد أول الليل المغرب والعشاء ﴿فسبح وأطراف النهار﴾ يريد الظهر وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ، نا عبدان بن أحمد، نا عثمان بن أبي شيبة، نا جرير ووكيع^(١) وأبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير^(٢) قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ليلة أربعة عشرة^(٣) فقال «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم إن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٤) رواه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة ووكيع وقوله ﴿لعلك ترضى﴾ قال ابن عباس: ترضى الثواب والمعاد ومن^(٥) ضم التاء^(٦) فمعنا ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة واختار أبو عبيدة هذه القراءة واضعاً لها معنيين ترضاً تعطى الرضا والآخري رضاك الله وتصديقها قوله ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾^(٧) قال وليس في الأخرى إلا وجه واحد قوله:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحَ عَلَيْهِمْ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)

﴿ولا تمدن عينيك... الآية﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال: قل له إن رسول الله ﷺ يقول يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيتته وإني لأمين في السماء أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تعزية له عن^(٨) الدنيا «وقد فسرنا هذه الآية في سورة الحجر» قال أبي بن كعب في هذه الآية فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حشرات على الدنيا ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير الله نعمة عليه إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وقوله ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية قال ابن عباس والسدي: زينة الدنيا وقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنجعل^(٩) ذلك فتنة وضلالة بأن أزيد

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك أبو عبد الله الصحابي اليماني ت سنة ٥١ هـ تهذيب التهذيب ١٧٣/٢ أسد الغابة ٣٣٢/١.

(٣) ليست في أ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر ١٤٥/١، مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ٤٣٩/١ ط الحلبي.

(٥) في هـ، د العقاب.

(٦) قرأ الكسائي (ترضى) بضم التاء واخلف عن عاصم وقرأ الباقون (ترضى) بفتح التاء السبعة لابن مجاهد/ ٤٢٥.

(٧) مريم: ٥٥.

(٨) قال الهشمي رواه الطبراني في الكبير والبخاري وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب البيوع باب البيع إلى أجل

١٢٦/١٠ ط بيروت رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٩/١٦.

(٩) في هـ: ليجعل.

لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطمعانا ﴿ورزق ربك﴾ في المعاد يعني الجنة ﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدوم .

قوله ﴿وأمر أهلك بالصلوة﴾ قال سعيد بن جبير: قومك يعني من كان على دينه كقوله ﴿وكان يأمر أهله بالصلوة﴾^(١) وقد تقدم أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري أخبرنا حمزة بن شبيب المعمرى، أنا أبو عمرو بن عبد الله البصري، نا محمد بن^(٢) عبد الوهاب، أنا أبو النعمان، نا ابن المبارك حدثني معمر عن محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام إن رسول الله ﷺ وسلم كان إذا نزل بأهله خير أمرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وأمر أهلك بالصلوة^(٣) وقوله ﴿واصطر عليها﴾ أي أصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿لا نسألك رزقاً﴾ لخلقنا ولا لنفسك ﴿نحن نرزقك والعاقبة﴾ قال ابن عباس^(٤) والسدي يعني الجنة ﴿للتقوى﴾ قال الأخفش: لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتفقوني قوله:

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۚ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَنزِلَ وَنَخْزِي ۚ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَبِصٍ فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۚ ﴿١٣٥﴾

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا ﴿أو لم تأتهم بيينة ما في الصحف الأولى﴾ بيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكتناهم لما كفروا ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤالهم الآيات كحال أولئك وهذا البيان إنما قص عليهم في القرآن ﴿ولو أنا أهلكتناهم﴾ يعني مشركي مكة ﴿بعذاب من قبله﴾ القبل بعث محمد ونزل القرآن ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ هلا أرسلت إلينا رسولا يدعوننا إلى طاعتك ﴿فتتبع آياتك﴾ نعمل بما فيها ﴿من قبل أن نذل﴾ بالعذاب ﴿ونخزي﴾ في جهنم ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كل﴾ منا ومنكم ﴿تربص﴾ نحن نتربص بكم وعداً لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا الدوائر فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ إذا جاء الأمر وقامت القيامة ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ الدين المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة نحن أم أنتم .

(١) مريم: ٥٥ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي النيسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٣٢٠ .

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع عن الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة طه .

(٤) ليست في أ، جـ .

سورة الأنبياء

مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن عبيد^(١) الله بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة [الباهلي]^(٢) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»^(٣)

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنَسْنَا بِنَايَةِ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿اقترب﴾ افتعل من القرب يقال: قرب الشيء واقترب للناس ﴿للعن﴾ يعني: أهل مكة ﴿حسابهم﴾ محاسبة الله [إياهم]^(٤) على أعمالهم قال الزجاج: المعنى [اقترب للناس وقت حسابهم]^(٨) يعني [يوم]^(٩) القيامة كما قال ﴿اقتربت الساعة﴾^(٥) واقترب حسابهم: يحمل على أن ما هو آت قريب ﴿وهم في غفلة﴾ عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿معرضون﴾ عن التأهب له بالإيمان بمحمد ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾ من وعظ بالقرآن على لسان محمد ﴿محدث﴾ بالإنزال لأن القرآن أنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة فالإحداث يعود إلى الإنزال وقوله ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين ﴿لاهية قلوبهم﴾ غافلة عما يراد بهم ﴿وأسرأ النجوى﴾ تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بين من هم فقال ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله والذين في محل رفع على البدل من الضمير في وأسروا قال المبرد: وهذا كقولك في الكلام: إن الذين إلى الدار انطلقوا بنو عبد الله على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي أنه آدمي لحم ودم مثلكم ليس مثل الملائكة

(١) فيما عدا د، ه عبيد الله

(٢) ساقط من ج، د، هـ

(٣) هذا الحديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج ٧، ٨ بياض في هـ

(٤) ساقط من ب

﴿فَأَتَانُوا السَّحْرَ وَأَتَمَّتْ تَبَصُّرُونَ﴾ قال السدي: يقولون ان متابعة محمد متابعة السحر والمعنى: أقتبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر ﴿قُلْ﴾ (١) لهم يا محمد ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض وقرأ أهل الكوفة: قال ربي (٢) على معنى قال محمد ربي ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ وكذا هو في مصاحفهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما تكلموا به ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما قالوا.

قوله ﴿بَلْ قَالُوا﴾ معنى بل ها هنا: انتقال إلى خبر آخر عنهم على أن الأول مفروغ عنه، وليس معنى بل من الله على الترك للأول بإبطال (٣) له والمشركون مما دخلتهم من الحيرة في أمر محمد ﷺ لا يدرون ما قصته فمرة قالوا للقرآن إنه سحر، ومرة قالوا ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ قال قتادة: تخاليط أحلام رآها في النوم، ومرة قالوا: إنه مفتر وهو قوله بل افتراه ﴿أَيِ اخْتَلَقَهُ مِنْ﴾ (٤) نفسه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلُ الْأُولُونَ﴾ قال ابن عباس: [بآية] (٥) مثل الناقة (٦) والعصا (٧) قال الزجاج: اقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال فقال الله مجيباً لهم ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل مشركي مكة ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يعني أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ وصف للقرية، والمعنى: ما آمنت قرية مهلكة بالآيات المرسله ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أن الأمم التي أهلكتها بتكذيب الآيات لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم فكيف يؤمن هؤلاء يعني أن مجيء الآيات لو كان سبباً للإيمان من غير إرادة الله لهم [ذلك] (٨) لكان سبباً لإيمان أولئك [فلما أبطل أن يكون سبباً لإيمان أولئك] (٩) بطل أن يكون سبباً لإيمان هؤلاء

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا وَلَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

قوله ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ لقولهم: هل هذا إلا بشر مثلك؟ يقول الله: لم نرسل قبل محمد إلا رجالاً من بني آدم لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعني أهل الكتابين (١٠) في قول أكثر المفسرين

(١) في د. قال

(٢) يقصد بأهل الكوفة: حمزة وخلف وحفص وقراءتهم (قال) بالألف ذكرها ابن مجاهد في كتابه السبعة ص ٤٢٨ وابن الجزري في

النشر ٣٢٣/٢

(٣) في هو: في

(٤) في هو: بالابطال

(٥) ساقط من جـ

(٦) الناقة: كانت معجزة لنيي الله صالح عندما أرسله الله لقومه ثمود، فلقد سأله أن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم ناقة عشراء تخض فأخذ عليهم العهود والمواثيق لأن أجابهم الله إلى سؤالهم ليؤمنن به فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة عشراء يتحرك جنبها بين جنبها ووضع جنبها بين أظهرهم وكانت تشرب ماءهم وتعطيهم بدله لبناً ويشربون يوماً ولكنهم مع ذلك كفروا وعقروا الناقة فأرسل الله عليهم صيحة واحدة أهلكت المكذبين جميعاً: انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٢٨ ط الحلبي

(٧) العصا: كانت معجزة من الله لسيدنا موسى عليه السلام إذا ألقاها تنقلب حية تسمى وألقاها على عصي السحرة وحبالهم - بين يدي فرعون وملئه فابتلعها جميعاً.

(٨) ساقط من د.

(٩) من جـ.

(١٠) أهل الكتابين: هم اليهود والنصارى والكتابين: التوراة والإنجيل.

﴿إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن الرسل بشر وذلك أن اليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً وإن أنكروا نبوة محمد - ﷺ - وهذا الأمر بالسؤال للمشركين لأنهم^(١) إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن ﴿وما جعلناهم﴾ يعني الرسل ﴿جسداً﴾ قال الزجاج: هو واحد ينبيء عن جماعة أي وما جعلناهم ذوي أجساد ﴿لا يأكلون الطعام﴾ وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام؟ فأعلموا أن الرسل جميعاً كانوا يأكلون الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ يعني يموتون كسائر البشر ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ أي أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك من كذبهم وهو قوله ﴿فأنجيناهم﴾ أي من العذاب ﴿ومن نشاء﴾ قال ابن عباس: يعني الذين صدقوهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ قال: يريد المشركين وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر منته عليهم بالقرآن فقال:

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْتَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَنْشَانَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَلَّ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلْمِيذِينَ ﴿١٥﴾

﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ يا معشر قريش ﴿كتاباً فيه ذكركم﴾ قال: يريد فيه شرفكم كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾^(٢) وذلك أنه كتاب عربي بلغة قريش، وقال الحسن: فيه ذكركم أي ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ﴿أفلا تعقلون﴾ ما فضلتكم به على غيركم انزلتكم حرمي وبعثت فيكم نبيي ثم خوفهم فقال ﴿وكم قصمنا﴾ القصم: كسر الشيء ودقه قال مجاهد والسدي: اهلكنا وقال الكلبي: عذبنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أي كافرة، يعني: أهلها ﴿وأنشأنا﴾ وأحدثنا [وأوجدنا]^(٣) بعد إهلاك أهلها ﴿قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا بحاسة البصر، ويجوز أن يكون المعنى لما ذاقوا عذابنا، قال المفسرون: هؤلاء كانوا قوماً كذبوا نبيهم وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر^(٤) حتى قتلهم وسباهم ونكل فيهم وعلى ما قالوا الآية مخصوصة^(٥) وإن وردت عامة وقوله ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي يفرون وينهزمون ويهربون وأصله من ركض الرجل مركل^(٦) الدابة برجليه يقال ركض الفرس إذ كده بساقيه ﴿لا تركضوا﴾ أي قيل لهم لا تركضوا وذلك أنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء: لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ أي خولتكم ونعمتكم، وقال ابن قتيبة: إلى نعمكم التي أترفتم^(٧) وقد بينا هذا عند قوله ﴿أمرنا مترفيها﴾^(٨) وقوله ﴿لعلكم تستلون﴾ أي شيئاً من دنياكم والمعنى ان الملائكة استهزأت^(٩)

(١) في هـ: وهم.

(٢) الزخرف: ٤٤

(٣) ساقط من هـ.

(٤) بخت نصر: كان والياً لملك الفرس على منطقة الأهواز إلى الروم وهو الذي بعث لقتال بني إسرائيل بالشام بعد اعتدائهم على رسله فقتل

منهم الكثير وفرقهم في بقاع الأرض. انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٩/٢.

(٥) تفسير ابن جرير عن مجاهد ٨/١٧ ولكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٦) المركل من الدابة حيث تصيب الدابة برجلهم إذا حركتها للمشي (اللسان: فصل الرء حرف اللام)

(٧) في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة أترفتمكم ص ٢٨٤.

(٨) الإسراء: ١٦.

(٩) كان الأولى أن يقول (استهزؤوا) هروباً من التعبير المشعر بزعم الذين كفروا بأن الملائكة إناث.

بهم فقالوا لهم ارجعوا إلى مساكنكم لعلكم تستلون شيئاً من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاءً بهم وهذا قول قتادة في هذه الآية وهو الصحيح ﴿قالوا﴾ عند ذلك ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى: أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا هذا على سبيل الندم حين لم ينفعهم الندم، قال الله تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ [ما زالت تلك الكلمة التي هي قولهم يا ويلنا دعاءهم يدعون بها ويرددونها] ^(١) ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل ﴿خامدين﴾ يعني ميتين كخمود النار إذا طفئت.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعِينِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَأَتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسْحِقُونَ الْإِثْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لالعين﴾ يريد لم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً [بل] ^(٢) خلقناها لأمر وهو ما ذكر ابن عباس فقال لأجزي أوليائي وأعذب أعدائي وقال غيره: خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبروا بخلقها ويتفكروا فيها فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقها قوله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد النساء، وهو قول الحسن وقاتة قالوا للهو بلغة اليمن المرأة وقال في رواية الكلبي: يعني الولد، وهو قول السدي، وقوله ﴿لا نتخذناه من لدنا﴾ قال المفسرون: من الحور العين، وهذا إنكار على من أضاف الصاحبة والولد إلى الله واحتجاج عليهم بأنه لو كان جائزاً في صفته لم يتخذ بحيث يظهر لهم ولستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، قال الزجاج: المرأة لهو الدنيا وكذلك الولد، والمعنى: على ذي اللهو أي الذي يلهي به، ومعنى اللهو طلب الترويح عن النفس يقول: لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهو أو امرأة ذات لهو لاتخذناه من لدنا وقد أحسن ابن قتيبة في شرح الآية كل الإحسان فقال التفسير أن [المرأة والولد] ^(٣) في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهو، وولده لهو، ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانته وأصل اللهو الجماع كني عنه باللهو كما كني عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي ^(٤)

أي النكاح، وتأويل الآية أن النصراني لما قالت في المسيح وأمه ما قالت قال الله عز وجل: لو أردنا أن نتخذ أي صاحبة وولداً كما يقولون لاتخذنا [ذلك] من لدنا أي من عندنا ولم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل

(١) ساقط من د

(٢) ساقط من هـ

(٣) ساقط من ج، د، هـ

(٤) والبيت في ديوانه من قصيدة يتغزل ويصف مغامراته وصيده وسعيه إلى المجد ديوان امرئ القيس ص ١٤٠ ط بيروت من قصيدة مطلعها:

وزوجه يكونان عنده لا عند غيره^(١) وقوله ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ المفسرون يقولون: ما كنا فاعلين، قال الفراء والمبرد والزجاج: يجوز أن [تكون إن]^(٢) للنفي كما ذكر المفسرون نحو قوله ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(٣) ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٤) ويكون المعنى تحقيقاً لكذبهم أي ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولداً، قالوا: ويجوز أن تكون إن للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا قال الفراء: وهذا أشبه الوجهين بمذهب العربية^(٥) قوله ﴿بَلْ﴾ أي دع ذاك الذي قالوا فإنه كذب وباطل ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ نسلط الحق على باطلهم ونلقيه عليه حتى يذهبه وعن بالحق القرآن وبالباطل كذبهم ﴿فِيدْمِغُهُ﴾ فيهلكه ويكسره وقال الزجاج: يذهب ذهاب الصغار والإذلال وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ زائل ذاهب من قوله ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(٦) والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ لكم يا معشر الكفار الويل من كذبكم ووصفكم الله بما لا يجوز ثم بين أن جميع المؤمنين عبيده فقال: ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عبيداً وملكاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ قال الزجاج: أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولاد الله عباد الله لا يأنفون من عبادته ولا يتعظمون عنا كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾^(٧) ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيأ، قال قتادة ومقاتل: لا يعيون، وقال السدي: لا ينقطعون عن العبادة ﴿يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يزهون الله دائماً بقولهم سبحان الله ﴿لَا يَفْتَرُونَ﴾ لا يضعفون ولا يملون، قال الزجاج: مجرى التسييح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء فكذلك تسييحهم دائم أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الشيباني عن حسان بن المخارق عن عبد الله بن الحارث قال قلت لكعب^(٨) رأيت قول الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم شأن أما تشغلهم حاجة قال يا ابن أخي جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تتنفس وكذلك جعل لهم التسييح^(٩) ثم عاد إلى توبيخ المشركين فقال:

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿أم اتخذوا آلهة﴾ هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة ﴿من الأرض﴾ وأصنامهم كانت من الأرض [من أي]^(١٠) جنس كان من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة ﴿هم ينشرون﴾ يحيون يقال: أنشر الله الميت فنشر وهذا توبيخ لهم على عبادتهم جماداً من الأرض لا يقدر على شيء، ثم ذكر الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال ﴿لو كان فيهما﴾ أي في السماء والأرض آلهة معبودون يستحقون العبادة ﴿إلا الله﴾ معناه غير الله وهو صفة للآلهة على معنى آلهة [هم]^(١١) غير الله كما يزعم المشركون وهذا قول جميع النحويين الأخفش والزجاج وأبي علي الفسوي

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٢٤).

(٤) الملك: ٢٠.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٠٠/٢.

(٢) ساقط من ب

(٧) الأعراف: ٢٠٦

(٦) الإسراء: ٨١

(٣) فاطر: ٢٣

(٨) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبارت سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين، تذكرة الحفاظ ٤٩/١،

والأعلام ٢٢٨/٥.

(١١) ساقط من أ، وفي د هي.

(١٠) ساقط من د

(٩) الطبري ٧٠/١٧

كلهم قالوا إلا ليس باستثناء ها هنا ولكنه مع ما بعده صفة للآلهة في معنى غير [قال] (١) الزجاج: وكذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها وأنشد وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك (٢) إلا الفرقدان (٣) قال: المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه وقوله ﴿لفسدتا﴾ أي لخربنا وبطلنا وهلكنا وهلك من فيهما (٤) لوجود (٥) التمانى بين الآلهة فلا يجري أمر العالم على النظام لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه عما يصفه به الكافرون عن الشريك والولد بقوله ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ أي لا يسأل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه والناس يسألون عن أعمالهم، والمعنى: أنه لا يسأل عما يحكم في عبادته من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال [لهم] (٦) يوم القيامة: لم تعلمت كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلته لم فعلته. أخبرنا أبو بكر الحارثي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، أنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، نا عقبه بن مكرم، نا أبو عاصم، نا عروة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين (٧) رأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أليس قد قضى عليه ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما (٨) يستقبلون فيما (٩) أتاهم به نبيهم وأخذت عليهم به الحجة قلت بل هو شيء قد قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق قال فهل يكون ذلك ظلماً قلت إنه ليس من شيء إلا وهو خلق الله ومملك يده ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال ثبتك الله إنما أردت أن أحرز (١٠) عقلك قال [عمران بن حصين] (١١) جاء رجل من جهينة (١٢) أو مزينة (١٣) إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أليس قد قضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به بينهم وأخذت عليهم به الحجة فقال بل شيء قضى عليهم ومضى قال ففيم العمل أو فيم نعمل قال: من خلقه الله لإحدى المنزلتين ألهمه وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ (١٤) ﴿ولما أبطل الله أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ أبطل جواز اتخاذ إله (١٦) سواه من حيث الأمر فقال:

(١) ساقط من هـ.

(٢) في أ، ب: أخيك.

(٣) البيت لعمر بن معديكرب قاله قبل أن يسلم يضرب مثلاً لطول ما نادماه الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٧٦/٤ ط دار النهضة

(٤) فيما عدا هـ، د: فيها.

(٧) في هـ: كما.

(٥) في هـ: بوجود.

(٨) في هـ: فما.

(٦) ساقط من

(٩) عمران بن حصين أبو نجيح الخزاعي ت سنة ٥٢ هـ انظر أسد الغابة ٢٨١/٤، الاصابة ٢٧/٣ تذكرة الحفاظ ٢٩/١ شذرات الذهب ٥٨/١

(١٠) في هـ، د: اجرب.

(١١) ساقط من جميع النسخ عدا «د».

(١٢) قبيلة جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة الجمهرة (٤٤٤).

(١٣) قبيلة مزينة بنو عثمان وأويس ابني عمرو بن طابخة بن الياس بن مضر. الجمهرة (٤٨٠).

(١٤) الشمس: ٨

(١٥) أخرجه البخاري بمعناه في كتاب القدر باب جف القلم على علم الله ٤٩/١١ فتح الباري. عن عمران بن الحصين، وأخرجه مسلم في

كتاب القدر. باب كيفية خلق آدمي ٢٠٤١/٤ ط الحلبي.

(١٦) في هـ: اليه.

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ بينتكم على ما تقولون من جواز اتخاذ إله سواه ﴿هذا ذكر من معي﴾ يعني القرآن يقول فيه خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وذكر من قبلي﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب والمعنى: هذا القرآن وهذه الكتب التي ^(١) أنزلت قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به، قال الزجاج: قل ^(٢) لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر من قبلي إلا توحيد الله يدل على صحة هذا المعنى قوله بعد هذا ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق ^(٣) فقال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن التأمل والفكر وما يجب عليهم من الإيمان.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ قال ابن عباس: يريد من الملائكة ﴿سبحانه﴾ نزه نفسه عما يقولون ﴿بل عباد﴾ بل هم عباد يعني الملائكة ﴿مكرمون﴾ أكرمتهم واصطفيتهم ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، وقال ابن قتيبة: لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى، ثم يقولون عنه كما لا يعملون حتى يأمرهم وهو قوله ﴿وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم﴾ ما قدموا من أعمالهم ^(٤) ﴿وما خلفهم﴾ وما أخروا منها أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: لمن رضي عنه ﴿وهم من خشيته﴾ أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون لا يأمنون مكره ﴿ومن يقل [منهم]﴾ ^(٥) من الملائكة ﴿إني إله من دونه﴾ من دون الله ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ قال المفسرون: يعني إبليس ^(٦) لأنه أمر بطاعة نفسه، ودعا إلى عبادته ﴿كذلك﴾ كما جزيناه جهنم ﴿نجزي الظالمين﴾ يعني: المشركين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَّا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

(١) في هـ: الذي

(٢) فيما عدا (د) قيل لهم.

(٣) ساقط من جـ

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٥

(٥) ساقط من هـ

(٦) انظر ابن جرير ١٣/١٧، وأقول: يدخل تحت حكم هذه الآية كل من ادعى لنفسه الألوهية من دون الله سواء كان جنأ أو إنسأ.

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أو لم يعلموا ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ الرتق: السد يقال: رتقت الشيء فارتقت^(١) ﴿ففتقناهما﴾ قال ابن عباس: فتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، كانت السماوات لا تنزل مطراً والأرض لا تنبت نباتاً^(٢) ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعني أنه سبب لحياة كل شيء، والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء فهو مخلوق من الماء كقوله ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾^(٣) قال أبو العالية: يعني النطفة وعلى هذا لا يتعلق هذا بما قبله، وهو احتجاج على المشركين بقدره الله ﴿أفلا يؤمنون﴾ أفلا يصدقون بعد هذا البيان؟ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم﴾ مفسر في سورة النحل ﴿وجعلنا فيها﴾ في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ قال أبو عبيدة: هي المسالك^(٤)، وقال الزجاج: كل مخترق بين جبلين هو فج قال ابن عباس: جعلنا بين الجبال طرقاتاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار، وقوله ﴿سبلاً﴾ تفسير للفجاج وبيان أن تلك الفجاج نافذة مسلوكة فقد يكون الفج غير نافذ ﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ السقف من أسماء السماء، قال الله تعالى ﴿والسقف المرفوع﴾^(٥) والسماء للأرض كالسقف للبيت، وقوله ﴿محفوظاً﴾ قال ابن عباس: [من الشياطين بالنجوم]^(٦) دليله قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾^(٧) وذكر الزجاج وجهاً آخر [قال]^(٨): حفظه من الوقوع على الأرض إلا بإذنه دليله قوله ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾^(٩) ﴿وهم﴾ يعني: المشركين ﴿عن آياتها﴾ شمسها وقمرها ونجومها ﴿معروضون﴾ لا يتدبرونها ولا يتفكرون فيها فيعلموا أن خالقها لا شريك له ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل﴾ يعني: الطوالع ﴿في فلك﴾ الفلك في كلام العرض كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وتفلك ثدي الجارية، قال السدي: في مجرى واستدارة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء وكل شيء استدار فهو فلك، وهذا قول أكثر المفسرين، قالوا: الفلك مدار النجوم الذي يضمها، قال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة وقوله: ﴿يسبحون﴾ أي يجرون بسرعة كالسباح في الماء وقد قال في موضع آخر ﴿والسباحات سبحاً﴾^(١٠) يعني النجوم، والسبح لا يختص بالجري في الماء فقد يقال للفرس الذي يمد يديه^(١١) في الجري سباح قوله:

وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ الخلد: اسم من الخلود، وهو البقاء الدائم يقول: ما خلدنا قبلك أحداً من

(١) فارتقت أي التأم والمراد هنا: أنهما كانتا ملتصقتان ففتقهما الله، السماء بالمطر والأرض بالنبات.

(٢) انظر ابن جرير ١٧/١٥ عن عطية العوفي وعكرمة.

(٣) النور: ٤٥.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٧/٢.

(٥) الطور: ٥.

(٦) بياض في هـ.

(٧) الحجر: ١٧.

(٨) بياض في هـ.

(٩) الحج: ٦٥.

(١٠) النازعات: ٣.

(١١) فيما عدا هـ: رجليه.

بني آدم يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ومن بني آدم في الموت ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فليل لهم إن مات محمد فأنتم أيضاً تموتون لأن كل نفس ذائقة الموت قالت عائشة رضي الله عنها «استأذن أبو بكر^(١) على رسول الله ﷺ وقد مات وسجي عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياء وأخيلاه واصفياه صدق الله ورسوله ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت﴾ ثم خرج إلى الناس فخطب^(٢) وقوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: نبتليكم بالشدّة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء، وقال ابن زيد: نبلوكم بما تحبون وبما تكرهون، لننظر كيف شكركم وكيف صبركم ﴿وإلينا ترجعون﴾ تردون للجزاء بالأعمال حسننها وسيئها، قوله:

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

﴿وإذا رأى الذين كفروا﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين ﴿إن يتخذونك إلا هزوا﴾ أي ما يتخذونك إلا مهزوءاً به قال السدي: نزلت في أبي جهل مرّبه النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف^(٣) وقوله ﴿أهذا الذي﴾ فيه إضمار القول ومعنى ﴿يذكر آلهتكم﴾ قال ابن عباس: يعيب^(٤) أصنامكم، قال الزجاج: يقال فلان يذكر الناس أي يفتنهم ويذكرهم بالعيوب، وفلان يذكر الله أي بصفة بالتعظيم ويثني عليه، وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه وعلى ما قل لا يكون الذكر في كلام العرب العيب وحيث يراد به العيب حذف منه السوء وقوله ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن فكفروا بالرحمن. قوله ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ قال قتادة: خلق الإنسان عجولاً والإنسان اسم الجنس قال القرآن كأنه يقول بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة^(٥) وقال الزجاج: خوطبت العرب بما تفعل والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كما تقول أنت من لعب وخلقت من لعب يريد المبالغة في وصفه بذلك، ويدل على هذا المعنى قوله ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾^(٦) وقال عكرمة: لما خلق آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل^(٧) وهذا قول سعيد بن جبير والسدي والكلبي، وعلى هذا المراد بالإنسان آدم وإذا كان آدم خلق من عجل على معنى أنه خلق عجولاً وجد ذلك في أولاده وأورث أولاده العجلة حتى استعجلوا في كل شيء والآية نازلة في أهل مكة حين استعجلوا العذاب قال ابن عباس في رواية عطاء خلق الإنسان من عجل يريد: النضر بن الحارث وهو الذي قال ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾^(٨) الآية يدل على هذا قوله ﴿سأريكم آياتي﴾ قال يريد القتل بيدر ﴿فلا تستعجلون﴾ أي أنه نازل.

(١) أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي ت سنة ١٣ عن سنة ٦٣ أسد الغابة ٣/٣٠٩ تذكرة الحفاظ ٢/١ شذرات

الذهب ٢٧/١ طبقات الحفاظ (٢)، العبر ١/١٦

(٢) روى الهيثمي نحوه عن أبي يعلى والطبراني وقال رجالها رجال الصحيح غير موسى بن الزمعي كتاب التفسير سورة الأنبياء

(٣) ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٤/٣١٩ ط دار المعرفة بيروت ولكن السدي معروف بأنه ضعيف الحديث.

(٤) في هـ يعني (٦) الإسراء: ١١

(٨) الأنفال: ٣٢

(٧) تفسير ابن جرير ١٧/٢٠

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٣

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ويقولون﴾ يعني المشركين ﴿متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا يريدون وعد يوم القيامة ﴿إن كنتم
صادقين﴾ في هذا الوعد قال الله تعالى ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾^(١) أي لو عرفوا ذلك الوقت
وهو قوله ﴿حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ قال ابن عباس: يريد ساعة يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم
النار ﴿ولا عن ظهورهم﴾ لإحاطتها بهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون مما نزل بهم، وجواب لو محذوف على
تقدير لو علموا ذلك ما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد؟ ﴿بل تأتيهم﴾ يعني الساعة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿فتبتهتهم﴾
تحيرهم يقال: بهته يبهته إذا واجهه بشيء يحيره ذكرنا ذلك عند قوله ﴿بهت الذي كفر﴾^(٢) ﴿فلا يستطيعون ردها﴾
صرفها عنهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة، ثم عزى نبيه فقال:

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن
يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾ أي كما استهزأ قومك^(٣) بك ﴿فحاق﴾ نزل وأحاط
﴿بالذين سخروا منهم﴾ من الرسل ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: العذاب الذي استهزأوا به،
قوله ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ قال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن،
قال الزجاج: معناه من يحفظكم من بأس الرحمن كما قال: ﴿فمن ينصرنى من الله﴾^(٤) أي من عذاب الله
ونحو هذا قال الفراء^(٥) والمعنى: من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة. وهو استفهام
إنكاري [أي]^(٦) لا أحد يفعل ذلك يقال: كلاه الله كلاه أي حفظه وحرصه، وقوله ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾
أي عن القرآن وعن مواضع الله لا يتفكرون ولا يعتبرون ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ تقديم وتأخير تقديره أم لهم
آلهة من دوننا تمنعهم وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أي فكيف تنصرهم
وتمنعهم إذا لم تقدر على منع أنفسها عما يراد بها وقوله ﴿ولا هم﴾ يعني الكفار ﴿منا يصحبون﴾ قال الكلبي^(٧) يقول^(٨)
لا يجارون^(٩) من عذابنا وقال ابن قتيبة: أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار^(١٠) والعرب تقول: صحبتك
الله أي حفظك الله وأجارك، ثم ذكر أن هؤلاء اغتروا بطول الامهال إذا لم يعاجلوا بالعقوبة فقال:

(٦) من هـ فقط .

(٧) في أ، ب: الكافرون

(٨) ساقط من هـ

(٩) في أ: لا يجازون

(١٠) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٦

(١) ساقط من جـ

(٢) البقرة: ٢٥٨

(٣) فيما عدا هـ: استهزئي بك .

(٤) هود: ٦٣

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٤

بَلْ مَتَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ يعني أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغترأوا بذلك فقال الله ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض نقتصمها من أطرافها﴾ قال الضحاك: ألم ير المشركون الذين يجارون رسول الله ويقاثلون إنا نقتصمهم له فنأخذ ما حولهم من قراهم وأراضيهم أولا يرون أنهم المنقوصون والمغلوبون، وقال الحسن: نقتصمها من أطرافها: ظهور النبي ﷺ على من قاتله أرضاً فأرضاً قومياً فقوماً ﴿أفهم الغالبون﴾ أي ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله هو الغالب، تفسير هذا تقدم في آخر سورة الرعد.

قوله ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ أي أخوفكم بالقرآن، والمعنى: إنما أنذركم بالوحي الذي يوحيه الله إلي لا من قبل نفسي، وذلك أن الله أمره بإنذارهم كقوله ﴿وأندره الذين يخافون﴾^(١) وقوله: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ تمثيل للكفار بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا أنذروا شيئاً، كذلك هؤلاء في تركهم الانتفاع بما سمعوا كالصم الذين لا يسمعون، وقرأ ابن عامر: ولا تسمع الصم على إسناد الفعل إلى المخاطب^(٢) والمعنى: أنهم معاندون فإذا سمعتهم لم يعملوا بما يسمعهو كما لا يسمع الصم، قال أبو علي الفارسي: ولو كان كما قال ابن عامر فكان إذا تنذروهم ليحسن نظم الكلام فأما ما ينذرون فحسن أن تتبع قراءة العامة قوله ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ قال المبرد: النفحة الدفعة^(٣) من الشيء التي دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف للضربة الخفيفة وهذا موافق لقول ابن عباس في تفسير نفحة قال طرف وقال ابن كيسان^(٤): قليل، وقال ابن جريج: نصيب من قولهم نفحه من ماله إذا أعطاه، ومعنى الآية: لئن^(٥) أصابهم طرف من العذاب لأيقنوا بالهلاك ودعوا على أنفسهم بالويل مع الإقرار بأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب محمد ﷺ، قوله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وقال الزجاج القسط: مصدر يوصف به تقول: ميزان قسط وموازن قسط، والمعنى: ذات قسط وذكرنا الكلام في الموازين عند قوله ﴿فمن ثقلت موازينه﴾^(٦) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا إبراهيم بن محمد بن الحسن، نا محمد بن هاشم البعلبكي، نا الوليد بن^(٧) مسلم، نا عثمان بن أبي العاتكة^(٨) عن

(١) الأنعام: ٥١

(٢) ابن مجاهد السبعة (٤٢٩) وابن الجزري النشر ٢/٣٢٣

(٣) في ب: الوقعة.

(٤) ابن كيسان محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن ت سنة ٢٩٩ هـ انظر: شذرات الذهب ٢/٢٣٢، الأعلام ٥/٣٠٨

(٦) الأعراف: ٨

(٥) في ه: لمن

(٧) الوليد بن مسلم الدمشقي القرشي أبو العباس توفي سنة ١٩٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ١/٣٠٢، تهذيب التهذيب ١١/١٥١، شذرات

الذهب ١/٣٤٤.

(٨) عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي أبو حفص الدمشقي ت سنة ١٥٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٧/١٢٤

علي بن يزيد^(١) عن القاسم^(٢) عن أبي إمامة أن رسول الله ﷺ قال «يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم ولا تغرنكم قرباتكم مني فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً فبكت عائشة وقالت يا رسول الله ونكون يوم لا تغني عنا من الله شيئاً فقال: نعم في ثلاثة مواطن يقول الله عز وجل ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه...﴾^(٣) الآية وعند النور والظلمة [وعلى الصراط]^(٤) من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء كبه في النار^(٥) ومعنى قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ لا ينقص من إحسان محسن ولا يزيد في إساءة مسيء ﴿وإن كان مثقال حبة﴾ قال الزجاج: وإن كان العمل مثقال حبة، وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الظلمة مثقال حبة وقال: وهذا حسن لتقدم قوله ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ وعلى ما قال أبو علي يكون تأويل قوله فلا تظلم نفس شيئاً لأن المظلومين يستوفون^(٦) حقوقهم من الظالمين حتى لا يبقى لأحد عند أحد ظلمة ولو مثقال حبة ﴿من خردل﴾ وقوله ﴿أتينا بها﴾ قال الزجاج: جئنا بها يعني: أحضرناها للمجازاة بها وعلى ما قال أبو علي أتينا بها للمحاسبة عليها يدل على صحة^(٧) هذا قوله ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال السدي: مُحْصِن، والحسب معناه: العد، وقال ابن عباس: عالمين حافظين، وذلك أن من حسب شيئاً علمه وحفظه أخبرني محمد بن عبد العزيز المروزي، نا محمد بن الحسين الحدادي، أنا محمد بن يحيى، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا محمد بن عبيد^(٨)، عن يوسف بن صُهيب، عن موسى بن أبي المختار عن بلال،^(٩) رجل من بني عبس^(١٠) عن حذيفة قال ان جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه زن بينهم ورد بعضهم على بعض ولا ذهب يومئذ^(١١) ولا فضة فيرد المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على الظالم فيرجع وعليه مثل الجبل.

(١) علي بن يزيد بن أبي خلال الالهياني أبو عبد الملك ت بعد المائة والعشرين انظر: تهذيب التهذيب ٣٩٦/٧

(٢) القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني الجوشني، تهذيب التهذيب ٣١٢/٨

(٣) المؤمنون: ١٠٣

(٤) ساقط من هـ

(٥) أخرج الهيثمي نحوه عن عائشة وقال رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب البعث باب ما جاء في الميزان والصراط والورود ٣٥٨/١٠. ويوضح معنى النور والظلمة في الحديث ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: لن يدعوا الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً، وكل منافق نوراً فإذا استروا على الطراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: (انظرونا نقتبس من نوركم)، وقال المؤمنون (ربنا أتمم لنا) فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً. المعجم الصغير للطبراني ١٢٧/١، وروى ابن جرير عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنون قد انطلقوا تبعوهم فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: (انظرونا نقتبس من نوركم) فإننا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: «ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور» تفسير ابن جرير ١٢٩/٢٧

(٦) في هـ: تستوفي.

(٧) فيما عدا هـ: يدل على هذا

(٨) محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحذب ت سنة ٢٠٤ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ١/٣٣٣ شذرات الذهب ١٤/٢ طبقات ابن سعد ٣٧٧/٦.

(٩) بلال بن يحيى العبسي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ٥٥/١.

(١٠) بنو عبس: عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان جهمرة أنساب العرب (٢٥٠).

(١١) يؤيد هذا القول حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، =

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ قال مجاهد وقتادة: يعني التوراة التي تفرق بين الحلال والحرام ﴿وضياء﴾^(١) من صفة التوراة مثل قوله ﴿فيها هدى ونور﴾^(٢) والمعنى: أنهم استضاءوا بها حتى اهتدوا في دينهم ومعنى ﴿وذكر للمتقين﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي في الدنيا غائبين عن الآخرة وأحكامها ﴿وهم من الساعة﴾ أي من أهوالها وعذابها ﴿مشفقون﴾ خائفون، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال ﴿وهذا ذكر﴾ قال الزجاج: المعنى هذا القرآن ذكر لمن تذكر به وعظة لمن تعظ ﴿مبارك أنزلناه﴾ كثير خيره ﴿فأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ إياه جاحدون، وهذا استفهام توبيخ وتعير.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

وقوله ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ أي هداه ﴿من قبل﴾ [أي من قبل]^(٣) بلوغه، والمعنى: آتيناه هذا صغيراً حين كان في السرب^(٤) حتى عرف الحق من الباطل ﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا أنه موضع لإيتاء الرشد وأنه يصلح للنبوة، ثم بين متى أتاه فقال: ﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ أي في ذلك الوقت الذي قال لهم وهم يعبدون الصنم ﴿ما هذه التماثيل التي﴾ يعني الأصنام والتماثيل اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تماثل وجمعه تماثيل، وقوله: ﴿أنتم لها عاكفون﴾ أي على عبادتها مقيمون، فأجابوه بأنهم وجدوا آباءهم يعبدونها فاقصدوا بهم على طريق التقليد في عبادتها، فأجابهم إبراهيم بأنهم في ضلال مبين بعبادة الأصنام وهذا الذي ذكرنا معنى قوله ﴿قالوا وجدنا آباءنا﴾ إلى قوله ﴿أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعنين﴾ يعنون أجداد أنت فيما تقول حق أم لاعب مازح، وهذا جهل منهم تخيلوا المحق لاعباً فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم وهو قوله ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم﴾ أي على أنه رب السموات والأرض ﴿من الشاهدين﴾.

= فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار، رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤ ط الحلبي.

(١) فيما عدا د، هـ وضياء وذكراً وهي مكررة

(٢) المائة: ٤٤

(٣) عن هـ

(٤) السرب: الطريق أو المذهب والمعنى آتيناه رشده وهو لم يزل في بداية الطريق حتى عرف الحق من الباطل. انظر اللسان: مادة سرب

والصحيح: سرب

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا
يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ معنى الكيد: ضر الشيء بتدبير عليه ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ ينطلقوا ذاهبين، قال المفسرون: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد قالوا لإبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فقال إبراهيم سرّاً منهم ﴿وتالله لأكيدن﴾ الآية ولم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد وهو الذي أفضاه عليه قوله ﴿فجعلهم جذاً﴾ الجذ: القطع والكسر والجذاز: قطع ما كسر الواحد جذاً وهو مثل الحطام والرفات والدقاق^(١) وقرأ الكسائي بكسر الجيم^(٢) على أنه جمع جذيد مثل ثقال وثقيل وخفيف وخفاف والجذيد: بمعنى المجذوذ وهو المكسور قال المفسرون: لما انطلقوا إلى عيدهم رجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج^(٣) فذلك قوله ﴿إلا كبيراً لهم﴾ قال الزجاج: أي كسر الأصنام إلا أكبرها ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجّة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه وتنبهوا إلى جهلهم وعظيم خطاهم ولما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم وهم جذاز ﴿قالوا من فعل هذا بالهتنا﴾ استفهموا عن صنع ذلك وأنكروا عليه فعله بقولهم ﴿إنه لمن الظالمين﴾ أي فعل ما لم يكن له أن يفعله فقال من سمع من إبراهيم قوله ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي بالغيب ﴿يقال له إبراهيم﴾ وشاعت القصة حتى بلغت نمرود [وأشرف قومه]^(٤) ﴿قالوا فاتوا به﴾ أي بالذي يقال له إبراهيم ﴿على أعين الناس﴾ أي ظاهراً بمرأى من الناس حتى يروه ﴿لعلهم يشهدون﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجّة عليه بما فعل هذا قول الحسن وقتادة والسدي قالوا: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، وقال محمد بن إسحاق: لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به^(٥) أي يحضرون فلما أتوا به ﴿قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ أسند فعله إلى كبير الأصنام إقامة للحجّة عليهم قال: غضب من أن يعبدوا معه الصغار فكسرهن. أخبرنا محمد بن أبي بكر المطوعي، أنا محمد بن أحمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن سفيان النسوي^(٦) أنا هشام بن عمار، نا محمد بن عيسى، نا زهير بن محمد^(٧) عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة إنها أختي، وقوله إني سقيم»^(٨) قال المفسرون: وجاز أن يكون الله قد أذن له في ذلك ليوبخ قومه ويعرفهم خطاهم كما أذن

(١) الدقاق: بالضم الشيء القليل انظر مختار الصحاح مادة د ق ق

(٢) النشر ٣٢٤/٢، والسبعة لابن مجاهد ص ٤٢٩

(٣) هذا قول السدي ومجاهد وابن جريج وابن إسحاق: انظر تفسير ابن جرير ٢٩/١٧

(٤) ساقط من أ وقد روى ابن جرير ذلك عن ابن إسحاق ٣٠/١٧

(٥) تفسير ابن جرير ٣٠/١٧

(٦) الحسن بن سفيان بن عامر الحافظ الشيباني النسوي ت سنة ٣٠٣ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٧٠٣/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٠٥

(٧) زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني ت سنة ١٦٢ هـ انظر: تهذيب التهذيب ٣٤٩/٣

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ١٧١/٤ ط الشعب، مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ١٨٤٠/٤ ط الحلبي

ليوسف حتى أمر مناديه فقال لإخوته ﴿إنكم لسارقون﴾^(١) ولم يكونوا سارقوا [شيئاً]^(٢) وقوله ﴿فسئلوهم إن كانوا ينطقون﴾ إلزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدرّون على النطق .

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم فقال بعضهم لبعض ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ هذا الرجل في مسئلتكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فسئلوها، وقال عطاء عن ابن عباس: إنكم أنتم الظالمون حيث عبدتم من لا يتكلم وكان هذا إقرار منهم على أنفسهم بالكفر ثم أدركتهم الشقاوة فعادوا إلى كفرهم وهو قوله ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ النكس: رد الشيء وقلبه على آخره يقال: نكست فلاناً في ذلك الأمر أي رددته فيه بعدما خرج منه، والمعنى: ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم ﴿قالوا﴾ لإبراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ قال ابن عباس: لقد علمت أن هذه الأصنام لا تتكلم، وهذا اعتراف منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم وبخهم إبراهيم ﴿قال أعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً [إذ عبدتوها]^(٣) ﴿ولا يضركم﴾ إذا لم تعبدوها، وفي هذا حث على عبادة من يملك النفع والضر وهو الله تعالى، ثم حقرهم وحقر معبودهم فقال ﴿أف لكم﴾ أي تتنأ لك ﴿ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ أليس لكم عقل فتعلموا أن [هذا]^(٤) الأصنام لا تستحق العبادة [فلما]^(٥) لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب [غضبوا]^(٦)

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ أي بتحريق إبراهيم لأنه يعيها ويطعن عليها فإذا أحرقتموه كان ذلك نصر منكم إياها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي إن كنتم ناصرها والمعنى: لا تصبروها منه إلا بالتحريق بالنار، قال السدي: جمعوا الحطب حتى ان الرجل ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشتري به حطباً فيلقي في النار وحتى إن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً فتلقيه في النار حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق^(٧) وهو أول منجنيق صنع فوضعه فيه ثم رموه فبلغنا أن السماوات والأرض والجبال والملائكة قالوا: ربنا عبدك إبراهيم يحرق فيك فقيل لهم: إن استغاث بكم فأغيثوه فقال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل فنزل جبريل معه فضرب النار فقال ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فلم يبق

(١) يوسف: ٧٠

(٤) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٥) بياض في هـ

(٣) لفظ إذ عبدتوها عن هـ

(٦) المنجنيق: الفذاف التي ترمى بها الحجارة لفظ أعجمي معرب وأصلها بالفارسية من جي نيك أي ما أجودني . اللسان مادة مجنق .

(٧) رواه ابن جرير عن السدي ٣٣/١٧ ولكن من المعروف أن السدي مكذوب الحديث فلا يعتد بقوله هذا

يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها عنيت والمعنى: كوني برداً وسلاماً قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا أبو علي بن أحمد السرخسي، أنا أبو لبابة محمد بن المهدي، نا عمارة، نا شجاع بن أبي نصر^(١) عن عباد بن كثير عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة^(٢) عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «ان نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل جبريل بقميص من الجنة وطفنسة من الجنة فألبسه القميص وأفعدته على الطنفسة وقعد معه يحدثه فأوحى الله إلى النار [أن]^(٣) كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ولولا أنه قال وسلاماً لأذاه البرد وقتله كالبرد فرأى أبو إبراهيم بعد سبعة أيام في المنام أن إبراهيم خرج من الحائط الذي أوقد عليه فيه فطلب فلم يقدر عليه فأتى نمرود فقال: ائذن لي لأخرج عظام إبراهيم من الحائط فأدفنها فانطلق نمرود إلى الحائط ومعه الناس فأمر بالحائط فتقب فإذا إبراهيم في روضة تزه^(٤) وثيابه تفتدى على طنفسة من طنافس الجنة عليه قميص من قمص الجنة^(٥)» وقال كعب الأحبار ما أحرقت النار من إبراهيم غير وثاقه^(٦) فذلك قوله ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني التحريق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ قال ابن عباس: هو أن الله سلط البعوض على نمرود وخيله حتى أخذت لحومهم وشربت دمائهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك.

وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا إِذْ أَنبَأَهُ حُكْمًا وَعَلِمْنَا وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ونجيناه﴾^(٧) أي من نمرود وكيده ﴿ولوطاً﴾ وهو ابن أخي إبراهيم [وهو لوط بن هاران بن تارخ]^(٨) وكان قد آمن به وهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام وهو قوله ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث أكثر الأنبياء ﴿ووهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق﴾ حين سأل الولد فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾^(٩)

(١) عباد بن كثير الثقفى البصري ت ما بين الأربعين والخمسين ومائة ولقد بين ابن حجر بأنه متروك الحديث. تهذيب التهذيب ١٠١/٥ تقريب التهذيب ١٩٣/١.

(٢) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري البخاري والمدني ت سنة ٢٣١. تهذيب التهذيب ١/٢٣٩، الجرح والتعديل ٢٢٦/١.

(٣) ساقط من هـ، جـ، د

(٤) في هـ: تهتز.

(٥) الدر المنثور ٤/٣٤ ابن عساكر ٢/١٤٦، ومن سند الحديث نستطيع أن نحكم بأن هذا الحديث «ضعيف» لضعف سنده حيث أن عباد ابن كثير متروك الحديث.

(٦) تفسير ابن جرير ١٧/٣٣.

(٧) في د، هـ ونجيناه ووطاً.

(٨) ساقط من هـ، د

(٩) الصفات: ١٠٠، واستشهاده بهذه الآية في غير موضعه حيث أنها وردت في إسماعيل على نحو ما ستقف عليه في دراسة موضوع

فاستجاب الله دعاءه ووهب له إسحاق ﴿ويعقوب نافلة﴾ النافلة: الزيادة على الأصل وهو ولد الولد، قال ابن عباس: نقله يعقوب أي زاده ولداً من إسحاق كأنه سأل واحداً فأعطاه الله يعقوب زيادة على ما سأل، قال الفراء: النافلة يعقوب^(١) خاصة لأنه ولد الولد وقوله ﴿وكللاً﴾ [يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب]^(٢) ﴿جعلنا صالحين﴾ أنبياء صالحين بطاعة الله ﴿وجعلناهم أئمة﴾ رؤساء يقتدى بهم في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم [بذلك]^(٣) ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة ﴿ولوطاً أتيناه حكماً﴾ يعني: النبوة ﴿وعلماً^(٤)﴾ ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴿يعني: إتيانهم الذكور وما كانوا يأتونه من المنكرات واران بالقرية أهلها ثم ذمهم فقال ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا﴾ بانجائنا إياه من القوم سوء ﴿إنه من الصالحين﴾ يعني: من الأنبياء. وَنوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۚ وَنَصَرْتَهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۗ

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ [دعا ربه (من قبل)]^(٥) من قبل إبراهيم ولوط لأنه كان قبلهما دعا على قومه بالهلاك فقال ﴿رب لا تذر﴾^(٦) الآية.

﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ يعني: من كان معه في سفينته ﴿من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس: يريد الغرق وتكذيب قومه له ﴿ونصرناه من القوم﴾ أي منعه من أن يصلوا إليه بسوء.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۗ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۗ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۗ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۗ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۗ

قوله ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾^(٧) أكثر المفسرين على أن الحرث كان كرماً^(٨) قد تدلت عناقيده وقال قتادة: كان زرعاً ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعت ليلاً في قول الجميع قال ابن السكيت:^(٩) النفش أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع قال المفسرون: دخل رجلان على داود وعنده ابنه سليمان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث إن هذا تفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم يبق منه شيئاً فقال: لك رقال الغنم، فقال سليمان أو غير ذلك ينطلق أصحاب الكرم بالغنم فيصيبوا من ألبانها ومنافعها ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى إذا

(٥) ساقط من جـ

(١) في معاني القرآن: ليعقوب ٢٠٧/٢

(٦) نوح: ٢٦

(٢) ساقط من هـ، د

(٧) في د، هـ: في الحرث - إذ نفشت - وهي مكررة.

(٣) ساقط من هـ

(٨) الكرم: شجرة العنب.

(٤) ساقط من جـ

(٩) ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ت سنة ٢٤٤ هـ نزهة الألباء ١٧٨، انباه الرواة (١١)، والنص في كتابه إصلاح

كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك^(١) فهو قوله ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾ قال ابن عباس: لم يغب عني من أمرهم شيء قال الفراء: جمع أقلين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله ﴿فإن كان له إخوة﴾^(٢) وهو يريد أخوين والحكم الذي حكما به بعضه موافق بشرعنا وبعضه مخالف أما الموافق فهو الحكم بالضمان على صاحب الماشية إذا أفسدت بالليل حرثاً وكذا هو في شرعنا وهو ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد المنصوري، أنا علي بن عمر^(٣) الحافظ، نا أبو بكر النيسابوري، نا أبو الأزهر^(٤) وأحمد بن يوسف^(٥) قالوا: نا عبد الرزاق^(٦)، نا معمر^(٧) عن الزهري عن حرام بن محيصة^(٨) عن أبيه أن ناقة للبراء وقعت في حائط قوم فأفسد، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظ الأموال بالنهار، وعلى أهل الماشية حفظها بالليل^(٩) أما المخالف لشرعنا فهو أن الحكم عندنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو بالمثل لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها، وقوله ﴿ففهمناها سليمان﴾ أي القضية والحكومة. كنى عنها لأنه ما يدل عليها من ذكر الحكم ﴿وكلاً﴾ منها ﴿أتينا حكماً﴾ نبوة ﴿وعلماء﴾ بأمور الدين ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ وهو أنه كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وهو قوله ﴿والطير وكنا فاعلين﴾ يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء^(١٠) الحكم والتسخير ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ اللبوس: الدرع لأنها تلبس، قال قتادة: أول من صنع الدروع داود وإنما كانت صفائح فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله ﴿ليحصنكم﴾ أي ليحرزكم^(١١) ويمنعكم يعني اللبوس ومن قرأ بالثناء^(١٢) فلتقدم قوله وعلمناه ومن قرأ بالياء^(١٣) حمله على المعنى لأن معنى اللبوس الدرع وقوله ﴿من بأسكم﴾ أي من حربكم، وقال السدي: من وقع السلاح فيكم ﴿فهل أنتم﴾ يا معشر أهل مكة ﴿شاكرون﴾ نعمي بطاعة الرسول وتصديقه، وقوله ﴿ولسليمان الريح﴾ المعنى: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب قال ابن عباس: إن أمر

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود ٢٨/١٧.

(٢) النساء: ١١

(٣) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي أبو الحسن الدارقطني ولد سنة ٣٠٦ تاريخ بغداد ٣٤/١٢ تذكرة الحفاظ ٩٩١/٣، شذرات الذهب ١١٦/٣

(٤) أبو الأزهر: أحمد بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدلي النيسابوري ت سنة ٢٦١ تذكرة الحفاظ ٢٤٥/٢ تهذيب التهذيب ١١/١، العبر ٢٦/٢.

(٥) أحمد بن يوسف السلمى المعروف بمحمد بن يوسف السلمى النيسابوري ت سنة ٢٦٤ الجرح والتعديل ٨١/١

(٦) عبد الرزاق بن همام بن مائع الحميري توفي سنة ٢١١ طبقات ابن سعد ٣٩٩/٥.

(٧) معمر بن راشد الأزدي البصري اتوفي سنة ١٥٢ هـ طبقات ابن سعد ٣٩٧/٥ تذكرة الحفاظ ١٩٠/١.

(٨) حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود الأنصاري ت سنة ١١٣ تهذيب التهذيب ٢٢٣/٢.

(٩) أخرجه ابن حنبل في السفر ٤٣٥/٥ أبو داود في كتاب البيوع باب المواشي تفسد زرع القوم حديث ٣٥٦٩ ٣٩٨/٣ ابن ماجه في كتاب الأحكام باب الحكم فيما أفسدت المواشي حديث ٢٣٣٢ ٧٨/٢

(١٠) ساقط من ج.

(١١) في هـ: ليحرنكم.

(١٢) التاء على التأنيث، ورواه أبو بكر عن عاصم ورويم بالنون، وقرأ الباقرن بالياء على التذكير النشر ٣٢٤/٢ السبعة (٤٣٠)

وقراءة (لتحصنكم) بالنون قرأ بها أبو بكر ورويم عن عاصم السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٣٢٤/٢

(١٣) قراءة (ليحصنكم) بالياء قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وخلف وحمة وعاصم ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٣٠ والنشر ٣٢٤/٢.

الريح أن تعصف عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخت وذلك قوله ﴿رِخَاءٌ أَيْ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(١) ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام وقد مر في هذه السورة، قال الفراء: كانت تجري بسليمان إلى موضع ثم تعود به من يوم إلى منزله^(٢) ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمَان﴾ بصحة هذا^(٣) التدبير فيه علمنا أنه ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو إلى الخضوع لربه ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُونَ لَهُ﴾ الغوص: الدخول تحت الماء كانوا يستخرجون له الجواهر من البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ سوى الغوص من البناء وغيره من الأعمال ﴿وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا قاله الفراء^(٤) والزجاج قوله:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^{٨٣} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ^{٨٤}

﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ دعا ربه ﴿إني مسني الضر﴾ أصابني الجهد ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بمسألة الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت، وقال رجل لأبي عبد الله الناجي يا أبا عبد الله: الراضي يسأل ربه قال يعرض قال: مثل أيش قال مثل قول أيوب ﴿مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وقال العلماء: لم يكن جزعاً من أيوب مع ما وصفه الله به من الصبر إذ يقول ﴿إنا وجدناه صابراً﴾^(٥) وكان هذا دعاء منه ألا ترى أن الله قال ﴿فاستجبنا له﴾ على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما من اشتكى إلى الله فليس بجزاع وقوله يعقوب عليه السلام ﴿أشكو بثي وحزني إلى الله﴾^(٦) لا يحمل [على الجزع]^(٧) قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكك إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ في مرضه «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»^(٨) وقال عليه السلام «بل أنا واراसा»^(٩) قوله ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ قال ابن عباس: يريد الأوجاع ﴿وأتينا أهله ومثلهم معهم﴾ قال ابن مسعود وقناة والحسن: أحيا الله له أولاده الذين هلكوا في بلائه وأوتي مثلهم في الدنيا. وأخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس: قال سألت نبي الله ﷺ عن قوله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته إليه وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً وأهبط الله إليه ملكاً فقال يا أيوب إن الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج إلى أندرك^(١٠) فبعث الله إليه سحابة حمراء فهبطت عليه بجراد الذهب والملك قائم معه فكانت الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها في أندره فقال الملك: يا

(١) ص: ٣٦ وروى ابن أبي حاتم نحواً من هذا الخبر عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الدر المنثور ٣٢٦/٤ وابن جرير عن محمد بن إسحاق بسند فيه انقطاع ابن جرير ٤٢/١٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٠٩/٢ وابن جرير في تفسيره ٤٢/١٧

(٣) ليست في هـ.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٠٩/٢ وابن جرير بدون ذكر سند وابن أبي حاتم عن السدي تفسير ابن جرير ٤٣/١٧ والدر المنثور ٣٢٧/٤.

(٥) ص: ٤٤

(٦) يوسف: ٨٦

(٧) ساقط من جـ

(٨) رواه البخاري في كتاب الأحكام. باب الاستخلاف

(٩) هو في المسند لابن حنبل ١١٨/٤ ، ٤٣٨/٦.

(١٠) الأندرك: البيدر أو الحديقة فيها الزروع والنخيل والكروم. اللسان: فصل النون حرف الراء.

أيوب أما تشيع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال: إن هذه بركة من بركات ربي ولست^(١) أشبع منها^(٢) ﴿رحمة من عندنا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا ﴿وذكرى للعابدين﴾ قال ابن عباس: موعظة للمطيعين.

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿وذا الكفل﴾ قال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس فلا يغضب فادفع إليه ملكك ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل [بذلك]^(٣) ووفى به فشكر الله له ونباه ولذلك سمي ذا الكفل^(٤)، وقوله ﴿كل من الصابرين﴾ أي على طاعة وعن معاصي الله ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ يعني: ما أنعم الله به عليهم من النبوة وما صيرهم إليه في الجنة من الثواب.

وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿وذا النون﴾ يعني: يونس بن متى عليه السلام حبسه الله في بطن النون وهو الحوت ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ قال الضحاك: مغاضباً لقومه وهو قول ابن عباس في رواية العوفي قال: إن شعياء النبي والملك الذي كان في وقته وذلك أن القوم أرادوا أن يعيشوه إلى ملك قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل فقال يونس لشعياء: هل أمرك الله بإخراجه؟ قال: لا قال فهل سماني لك؟ قال: لا قال: فها هنا غيري أنبياء فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه^(٥) فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان وإنما حبس في بطن الحوت بتركه ما أمره به شعياء وقومه لأن الله تعالى قال فيه ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾^(٦) والمليم: الذي أتى ما يلام عليه^(٧)، وقال جماعة من المفسرين إن يونس لما أخبر قومه عن الله أنه منزل العذاب بهم لأجل معلوم ثم بلغه بعد ما مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به بهيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه

(١) في هـ: وليس

(٢) روي في البخاري مختصراً كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا ٧٨/١ ط الشعب والنص في الدر المنثور عن ابن مردويه وابن عساكر الدر المنثور ٥/٥٦٦٠ دار الفكر ولكن من المعروف أن طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس طريق منقطعة ولا يعتد بهذا السند انظر الانتقان ٢٠٨/٤٨

(٣) ساقط من جـ

(٤) روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي موسى الأشعري وفيه أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً: ابن جرير ٦٠/١٧.

(٥) في جـ: ولقوله.

(٦) الصافات: ١٤٣

(٧) خبر العوفي عن ابن عباس لم أعره عليه ولقد بين علماء الجرح والتعديل بأن عطية العوفي كان شيعياً مدلساً وعلى ذلك فلا يعتد بحديثه

هذا. انظر: الميزان ٣/٧٩، المجروحين ٢/١٧٦ وتهذيب التهذيب ٧/٢٢٤، الضعفاء ٣/٣٥٩

وكان مشتتياً أن ينزل بأس الله بهم لطول ما قاس من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم (فذهب مغاضباً لربه) أي لأمر ربه وهو رفعه العذاب عن قومه كره ذلك وغضب منه ومضى على وجهه مضي الآبق الناد يقول الله تعالى ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾^(١) وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وقال: والله لا أرجع إلى قومي كذاباً أبداً وعدتهم العذاب في يوم فلم يأت وروي في الحديث: أنه كان ضيق الصدر قليل الصبر على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل^(٢) وقوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي لن نقضي عليه^(٣) [من العقوبة]^(٤) [ما قضيناها]^(٥) وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك وعطية يقال: قدر الله الشيء وقدره أي قضاه وهذا القول اختيار الفراء^(٦) والزجاج، وقال آخرون لن نقدر عليه لن نضيق عليه الحبس من قوله عز وجل ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾^(٧) أي من ضيق عليه وقد ضيق الله على يونس تضيقه على معذب في الدنيا وهذا معنى قول عطاء والحسن: ظن أن لن نعاقبه، وقال ﴿فنادى في الظلمات﴾ أكثر المفسرين قالوا: يعني ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر^(٨) وقال سالم^(٩) بن أبي الجعد: حوت في حوت في ظلمة، وقوله ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ قال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه فقال إني كنت من الظالمين حين ذهبت مغاضباً ولم أعبد غيرك وهذا معنى قوله ﴿لا إله إلا أنت سبحانك﴾ الآية: أخبرنا عبد القاهر بن طاهر^(١٠) أنا القاسم بن غانم بن حمويه نا محمد بن إبراهيم البوشنجي نا عمرو بن الحصين^(١١) نا معتمر عن معمر^(١٢) عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ قال إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخي يونس ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾^(١٣) قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿ونجينا من الغم﴾ من تلك الظلمات ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ إذا دعوني كما أنجينا ذا النون وروي عن عاصم أنه قرأ نجى المؤمنين مشددة الجيم^(١٤) وجميع النحويين حكموا على هذه القراءة بالغلط وأنها لحن ثم ذكر الفراء وجهاً فقال: أضمر المصدر في ننجي فتوى به الرفع ونصب المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيداً ثم يقول زيداً على إضمار المصدر.

(١) الصافات: ١٤٠.

(٢) ابن جرير الطبري في تفسيره ٦١/١٧ عن ابن عباس ووهب بن منه

(٣) فيما عدا ه تقضي عليه (ما قضينا)

(٧) الطلاق: ٧

(٤) ساقط من أ

(٨) انظر تفسير ابن جرير ٦٤/١٧ عن ابن عباس

(٩) سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني مولا هم الكوفي ثقة وكان يرسل كثيراً توفي سنة ٩٨ هـ انظر التقريب ٢٧٩/١ وقد روى ابن جرير خبره في تفسيره

٦١/١٧.

(١٠) عبد القاهر بن طاهر الفقيه ابن مهورت سنة ٤٢٧ هـ تاريخ الاسلام ١٧١/٧.

(١١) عمرو بن الحصين العقيلي الكلابي أبو عثمان البصري انظر: تهذيب التهذيب ٢١/٨

(١٢) معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري ت سنة ١٥٢ انظر طبقات الحفاظ ص ٨٢، تذكرة الحفاظ ١٩٠/١ شذرات الذهب ٢٣٥/١

(١٣) قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة مجمع الزوائد كتاب التفسير

سورة الأنبياء ٦٨/٧.

(١٤) النشر في القراءات ٢/٣٢٤ السبعة (٤٣١)

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا^(١)

قال أبو علي الفارسي: هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر وراوي هذه القراءة عن عاصم^(٢) غلط في الرواية فإنه قرأ ننجي بنونين كما روى حفص عنه ولكن النون الثانية من ننجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام فظن أنه إدغام ويدل على هذا إسكانه الياء من ننجي ونصب قوله المؤمنين ولو كان على ما لم يسم فاعله ما سكن الياء ولوجب أن يرفع المؤمنين:

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وقوله ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً﴾ قال ابن عباس: وحيد بلا ولد، وهذا كقوله ﴿هب لي من لدنك ولياً يرثني﴾^(٣) وقوله:

﴿وأنت خير الوارثين﴾ ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه وأنه أفضل من يبقى حياً بعد ميت وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو، وقوله ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قال قتادة: كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً، وقال الكلبي: كانت عقيماً فأصلحت له بالولد فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة^(٤) وهذا قول أكثرهم أن إصلاح زوجه إزالة عقرها^(٥) وقوله ﴿إنهم﴾ يعني زكريا وامرأته ويحيى وبعض المفسرين يذهب إلى أن الكفاية تعود إلى الأنبياء الذين ذكروهم الله في هذه السورة، ومعنى ﴿يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون في طاعة الله وأداء فرائضه ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ أي للرغبة والرهبة [رغبة في الجنة وخوفاً من النار]^(٦) ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ قال قتادة: ذللاً لأمر الله.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

﴿والتي﴾ يعني: مريم ﴿أحصنت فرجها﴾ حفظت فرجها ومنعته عما لا يحل وقال الفراء: ذكر المفسرون أنه جيب درعها^(٧) وهذا محتمل لأن الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين وموضع جيب درع المرأة مشقوق وهو فرج، وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع ﴿فنفخنا فيها﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها فأجرينا فيها روح المسيح كما تجري الريح بالمنفخ، وذلك أن الله تعالى أجرى فيها روح المسيح بنفخ جبريل وأحدث بذلك النفخ عيسى في رحمها^(٨) وقوله ﴿من روحنا﴾ أضاف الروح إليه إضافة الملك للتشريف^(٩)

(١) البيت لجبريل وليس في ديوانه الخصائص لابن جني ٣٩٧/١، وانظر أيضاً شرح المفصل لابن يعيش ٧٥/٧ خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٧/١ وفقيرة: اسم أم الفرزدق.

(٢) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي أبو بكر المقرئ ت سنة ١٢٧ هـ تهذيب التهذيب ٣٩/٥

(٣) مريم: ٦

(٤) قول الكلبي لم أعثر عليه وقد بينا بأن الكلبي متروك الحديث

(٥) تفسير ابن جرير ٦٧/١٧

(٦) ساقط من هـ، د

(٧) معاني القرآن للفراء ٢١٠/٢

(٨) رواه ابن جرير بدون يقين قائل تفسير ابن جرير ٦٧/١٧

(٩) في أ، ب: بالتشريف

والتخصيص وهو يريد روح عيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني ما ظهر فيها من الأعجوبة التي دلت على قدرة الله ووجد الآية بعد ذكرهما جميعاً لأن الآية فيهما واحدة وهي ولادة من غير فحل قوله:

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾

﴿إن هذه أمتكم﴾ قال ابن عباس: يريد دينكم وهو قول الحسن ومجاهد والجمع، قال ابن قتيبة: والأمة الدين^(١) ومنه قوله ﴿إنا [وجدنا آباءنا]^(٢) على أمة﴾^(٣) أي على دين، والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أمة فتقام الأمة مقام الدين، وقوله ﴿أمة واحدة﴾ قال ابن عباس ديناً واحداً والمعنى: أن هذه الشريعة التي نبيناها^(٤) لكم في كتابكم ديناً واحداً إبطالاً لما سواها من الأديان وهي نصب على الحال ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أي لا دين سوى ديني ولا رب غيري ثم ذكر اليهود والنصارى وذمهم بالاختلاف فقال ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا [فيه]^(٥) فرقاً وأحزاباً، يعني: طوائف اليهود والنصارى. قال الكلبي: فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض والتقطع في هذه الآية بمنزلة التقطيع ثم أخبر أن مرجع جميع أهل الأديان إليه وأنه مجاز جميعهم فقال ﴿كل إلينا راجعون ومن يعمل من الصالحات﴾ أي شيئاً منها من أداء الفرائض وصلة الرحم ونصرة المظلوم وغيرها من أعمال البر ﴿وهو مؤمن﴾ مصدق بمحمد ﷺ وبما جاء به^(٦) ﴿فلا كفران لسعيه﴾ لا جحود لعمله، يعني أنه يقبل ويشكر بالثواب عليه ﴿وإننا له كاتبون﴾ نأمر الحفظة أن يكتبوا لذلك العامل ما عمل ليجازى به وقوله:

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَنُودِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿وحرام على قرية﴾ قال قتادة: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها ونحو هذا قال عكرمة عن ابن عباس وعطاء والكلبي قال عطاء: يريد حتماً مني، وقال الكلبي: يقول وجب على أهل قرية ﴿أهلكناها﴾ يريد عذبناها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ إلى الدنيا، والمعنى: أن الله كتب على من أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة وأن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتماً وفي هذا تخويف لكفار مكة أنهم إن عذبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة، وذهب ابن جريج وأبو عبيدة^(٧) وابن قتيبة وجماعة إلى أن لا في قوله: ﴿لا يرجعون﴾ زيادة^(٨) وقالوا المعنى: حرام على قرية مهلكة ترجعهم إلى الدنيا^(٩) كما قال ﴿فلا يستطيعون توصية

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٨)

(٥) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٦) ب وبما جاء به - فقال - وليس موضع

(٣) الزخرف: ٢٢، ٢٣

(٧) في د: وأين.

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)

(٤) في هـ: بيتها

(٩) وقيل أن (لا) نافية، والمعنى: يمتنع عدم رجوعهم إلى الدنيا. انظر الإتيان ٢/٢٣٠ وقال الزركشي في البرهان قد تجيء مؤكدة للنفي

في غير موضعها الذي تستحقه - كقوله: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) انظر البرهان في علوم القرآن ٤/٣٥٧

ولا إلى أهلهم يرجعون^(١) ومن قرأ وحرّم فهو بمعنى^(٢) حرام كما قيل حل وحلال وقوله ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ معنى فتحهما إخراجهما عن السد الذي جعل وراءه وكأهما قيّداً بذلك السد فإذا ارتفع السد انفتحا وقوله ﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾ الحذب كل أكمة مرتفعة من الأرض، وينسلون من النسلان وهو كمشية الذئب إذا أسرع، والمعنى وهم من كل شيء من الأرض يسرعون، يعني: أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الحزامي، نا محمد بن عبد الله بن الحكم، نا أحمد بن سليمان^(٣)، نا الحسن بن مكرم، نا يزيد بن هارون، نا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم^(٤) عن مؤثر بن غفارة عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري بالنبي ﷺ ليلة أسري به لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم موسى فلم يكن عنده منها علم، فرجعوا إلى عيسى فقال: عهد الله إليّ فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال: فأهبط فأقتله ويرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إليّ فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم ويجأرون إليّ فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحمل أجسادهم فيقذفها في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد الله إليّ إذا كان ذلك أن الساعة من الناس كالحامل المتم^(٥) لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً^(٦) أم نهاراً قال عبد الله: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب^(٧) ينسلون ﴿واقرب الوعد الحق﴾ قال ابن عباس: يريد القيامة ﴿فإذا هي﴾ فإذا القصة ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ أي القصة أن أبصارهم تشخص في ذلك اليوم قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو قوله: وقالوا: ﴿يا ويلنا قد كنا﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾ أنفسنا بتكذيب الرسل، ثم خاطب أهل مكة فقال: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ۚ لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ** **ءَالِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ** **سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۚ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ** **أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۚ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي** **كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۚ**

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿حصب جهنم﴾ الحصب: ما رميت به في النار، قال ابن عباس:

(١) يس: ٥٠

(٢) قراءة (وحرّم) بكسر الحاء واسكان الراء من غير ألف، قرأ بها حمزة والكشافي وأبو بكر انظر السبعة ص ٤٣١ والنشر ٢/٣٢٤.

(٣) أحمد بن سليمان بن عبد الملك بن أبي شيبة الجزري ت سنة ٢٦١ هـ تهذيب التهذيب ١/٣٣

(٤) جبلة بن سحيم اليميني أبو سيرة ت سنة ١٢٦ هـ تهذيب التهذيب ٢/٦١

(٥) في (هـ) المستمر

(٦) في هـ، د اليبلا

(٧) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير: سورة الأنبياء وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه المستدرک ٢/٣٨٤، ابن ماجة في الفتن حديث رقم

يريد وقودها^(١)، وقال مجاهد وقتادة وعكرمة حطبها، وقال الضحاك: يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء ﴿أنتم لها واردون﴾ فيها داخلون ﴿لو كان هؤلاء﴾ يعني: الأصنام ﴿آلهة﴾ كما يزعم الكفار ﴿ما وردوها﴾ يعني: العابدين والمعبودين لقوله ﴿وكل فيها خالدون لهم فيها﴾ في جهنم ﴿زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب^(٢) غيره.

قوله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾^(٣) قال أكثر المفسرين: لما نزل ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أتى ابن الزبيرى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألتست تزعم أن عزيزاً رجل صالح وأن عيسى رجل صالح وأن مريم امرأة سالحة؟ قال: بلى، قال: فإن الملائكة وعيسى ومريم وعزيزاً يعبدون من دون الله فهؤلاء في النار فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني هؤلاء الذين ذكرهم سبقت لهم من الله السعادة ﴿أولئك عنها﴾ عن جهنم ﴿مبعدون لا يسمعون حسيها﴾ أي حسها وحركة تلهبها والحس والحسيس الصوت تسمعه من الشيء يمر منك قريباً ﴿وهم فيما اشتت أنفُسهم﴾ من النعيم ﴿خالدون لا يحزنهم الفرع الأكبر﴾ قال أكثرهم: يعني: إطباق جهنم على أهلها وقال الحسن: هو أن يؤمر بالعبد إلى النار، وقال ابن جريج: هو ذبح الموت بين الفريقين^(٤) أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا محمد بن أحمد السراج، أنا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا عباد بن أحمد العرزمي، نا عمي عن أبيه عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة على كئيبان من مسك لا يحزنهم الفرع الأكبر ولا يكثرثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أم^(٥) به قوماً محتسباً ورجل أذن محتسباً ومملوك أدى حق الله عز وجل وحق مواليه وتلقاهم الملائكة وتستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا^(٦)»

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ملكاً يقال له سجل هو الذي يطوي كتب بني آدم، إذا رفعت إليه وهذا قول السدي قال: السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان دفع إليه كتابه فطواه ونحو هذا روي عن ابن عمر أنه قال: السجل ملك^(٧) والمراد بالكتاب والكتب على اختلاف القراءتين^(٨) الصحائف

(١) في هـ: وقوعها.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير سورة الأنبياء - بالفاظ متقاربة وقال: رواه الطبراني، وفيه الحماني وهو ضعيف.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة، مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الأنبياء ١٠/٣٦٠.

(٤) تقدم حديث ذبح الموت في سورة مريم عند قوله تعالى: (وأندرهم يوم الحسرة)

(٥) في أ: أمر.

(٦) قال الهيثمي رواه الترمذي باختصار وقد رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقرئ ذكره ابن حبان في الثقات. انظر مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فضل الأذان ١/٣٢٧.

(٧) في هذا نظر فلقد جاء في كتب اللغة أن السجل: كتاب العهد ونحوه وجاء في التفسير أن السجل الصحيفة التي فيها الكتاب وأمرنا أن نفسر كلام الله بما يتفق ومقاييس اللغة العربية التي نزل بها القرآن وأيد ابن جرير هذا الرأي بعد أن أورد رأي الواحدي ١٧/٧٨.

(٨) قراءة (للكتاب) بالألف قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر، أما قراءة (للكتب) بغير ألف جمعاً فقد =

كما تقول: كطي زيد الكتب وتكون اللام زائدة كقوله ﴿ردف لكم﴾^(١) وقال مجاهد السجل: الصحيفة فيها الكتب وهو قول قتادة والكلبي واختيار الفراء^(٢) وابن قتيبة^(٣) وعلى هذا القول الكتاب والكتب يراد بها المكتوب ولما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة جعل السجل كأنه يطوي الكتاب، وقوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم أول. أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا محمد بن كثير، أنا سفيان حدثني المغيرة بن النعمان^(٤) حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدأ علينا إنا كنا فاعلين ألا إن أول من يكسى يوم القيامة^(٥) إبراهيم» رواه البخاري عن محمد بن كثير وقال الزجاج المعنى: نبعت الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء والخلق ها هنا: مصدر لا يعني المخلوق وقوله ﴿وعدأ علينا﴾ أي وعدناكم ذلك وعدأ علينا ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ما وعدناكم من ذلك.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْتَ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عٰكِلِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

وقوله ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من السماء ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: أم الكتاب الذي عند الله هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد واختيار الزجاج قال: الزبور جميع الكتب التوراة والإنجيل والقرآن [زبور]^(٦) لأن الزبور والكتاب في معنى واحد يقال زبرت الشيء [وكتبت]^(٧) وقوله ﴿أن الأرض﴾ يريد أرض الجنة كقوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾^(٨) ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني: المؤمنين العاملين بطاعة الله يرثونها كقوله ﴿يرثون الفردوس﴾^(٩) ﴿إن في هذا﴾ يعني: القرآن ﴿لبلاغاً﴾ لكفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة وتبلغ^(١٠) أي كفاية، والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة، وقوله ﴿لقوم عابدين﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سماهم عابدين ونحو هذا روي عن رسول الله ﷺ أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ^(١١) أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة نا الفضل بن محمد بن إبراهيم الشعبي^(١٢)، نا عبد الله بن أبي عثمان، نا عبد الرحيم العمي^(١٣) عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

= قرأ بها حمزة والكشافي وخلف وحفص عن عاصم. انظر النشر ٢/٣٢٤.

(١) النمل: ٧٢

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٣

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٨٨)

(٤) المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٧١.

(٥) البخاري كتاب التفسير سورة الأنبياء ٦/١٢٢ ط الشعب.

(٦) ليست في هـ

(٧) ما بين القوسين ساقط من ج، هـ.

(٨) الزمر: ٧٤

(٩) المؤمنون: ١١

(١٠) تفسير ابن جرير ١٧/٨٢

(١١) إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان بن رزين انظر: ميزان الاعتدال ١/٢١٥

(١٢) الفضل بن محمد بن إبراهيم بن فضل الشعبي ت سنة ٣٠٨ هـ/لسان الميزان ٦/٨٢

(١٣) عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي البصري أبو زيد. تهذيب التهذيب ٦/٣٠٥

قرأ إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ثم قال: هي الصلوات الخمس في الجماعة في المسجد^(١) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال ابن عباس: يريد للبر والفاجر لأن كل نبي غير محمد إذا كذب أهلك الله من كذبه وآخر من كذبه إلى موت أو قيامة والذي صدقه عجلنا له الرحمة في الدنيا والآخرة وقد قال رسول الله ﷺ ﴿يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة﴾^(٢) أخبرنا أبو إبراهيم الصوفي، أنا أبو عمرو بن مطر، أنا محمد^(٣) بن عبدوس نا محمد بن عباد، نا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٤).

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ
 ءَازِنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوْعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ
 وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا
 الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ متقادون إلى ما يوحى إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الأمر كقوله ﴿فهل أنتم متهون﴾^(٥) ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا ولم يسلموا ﴿فقل آذنتكم﴾ أعلمتكم للحرب ﴿على سواء﴾ أي إيداناً على سواء إعلماً يستوي في علمه الجميع، ولم نبدأ به دونكم لتأهبوا لما يراد منكم ﴿وإن أدري﴾ ما أدري ﴿أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ يعني: أجل القيامة لا يدري به أحد [إلا الله]^(٦) ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ ما تعلنون ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ سرهم لا يغيب عن علمه شيء منكم ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ قال الزجاج: ما أدري^(٧) لعل ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبار، يعني ما أخبرهم به من أنه لا يدري وقت عذابهم وهو القيامة فكأنه قال لعل تأخير العذاب عنكم اختبار [لكم]^(٨) ليرى كيف صنيعكم، وقوله ﴿ومتاع إلى حين﴾ أي تستمتعون إلى انقضاء آجالكم، قوله ﴿قل رب احكم بالحق﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي هو حق نازل بهم ويدل على هذا ما روي أنه كان إذا شهد قتالاً قال رب احكم بالحق^(٩) قال الكلبي فحكم عليهم بالقتل يوم بدر^(١٠)

(١) الدر المنثور عن ابن عباس ٦٨٧/٥ ط دار الفكر، ولكن هذا الحديث ضعيف وذلك لضعف عبد الرحيم بن زيد العمي فقد حكم علماء الجرح والتعديل بأنه متروك الحديث انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي: ٧٨/٣ والتاريخ الكبير للبخاري ١٠٤/٢/٣ والميزان ٦٥٥/٢

(٢) الدارمي ٩/١ ط دار إحياء السنة.

(٣) ساقط من جـ

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ص ٢٠٠٦ ط الحلبي.

(٥) المائدة: ٩١

(٦) عن أ فقط

(٧) لفظ ما أدري ساقط من جميع النسخ عدا هـ

(٨) ساقط من جـ

(٩) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ٨٤/١٧.

(١٠) يقصد غزوة بدر وكانت بين المسلمين ومشركي قريش وتمت في رمضان من السنة الثانية للهجرة وكان النصر فيها للمسلمين انظر سيرة ابن هشام ٦٠٦/١ وأحد: وكانت أيضاً بين المسلمين ومشركي قريش وكانت عند جبل أحد وعلى مشارف المدينة وكان النصر فيها=

ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين ويوم الخندق والمعنى على هذا افضل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقرأ حفص قال رب احكم بالحق^(١) يعني [قال]^(٢) الرسول ذلك، وقوله ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ من كذبكم وباطلكم في قولكم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وقولكم ﴿اتخذ الرحمن ولدًا﴾ والوصف بمعنى الكذب ذكر في مواضع من التنزيل كقوله ﴿سيجزئهم وصفهم﴾^(٣) وقوله ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾^(٤).

= في بادئ الأمر للمسلمين ثم لما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ كر عليهم المشركون فسلبوهم النصر انظر سيرة ابن هشام ٦٠/٢ ط الحلبي . ويوم الأحزاب يقصد يوم تحريب الأحزاب بفعل يهود قريش وغطفان وأشجع ومرة في شوال من السنة الخامسة لاستئصال شأفة المسلمين بالمدينة ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ورجعوا بخفي حنين سيرة ابن هشام ٢١٤/٢ ط الحلبي . ويوم حنين : يقصد غزوة حنين في السنة الثامنة بعد الفتح وكانت بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف كان النصر فيها حليفًا للمسلمين، انظر سيرة ابن هشام ٤٣٧/٢

(١) النشر ٣٢٥/٢ السبعة ص ٤٣١

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) الأنعام: ١٣٩ .

(٤) الأنبياء: ١٨ .

ويؤيد هذا الرأي ما جاء في لسان العرب «مادة وصف» وقوله عز وجل : (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أراد ما تصفون من الكذب .

سورة الحج

مدنية وآياتها ثمان وسبعون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن جعفر الحيري، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي إمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي»^(١) بسم الله الرحمن الرحيم

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝

﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة^(٢) ﴿اتقوا ربكم﴾ اتقوا عقابه بطاعته ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الزلزلة: شدة الحركة على الحال الهائلة قال علقمة والشعبي: هي من اشرط الساعة وهي في الدنيا قبل يوم القيامة، وقال الحسن والسدي وهذه الزلزلة تكون يوم القيامة^(٣) وروي عن ابن عباس أنه قال: زلزلة الساعة قيام الساعة يعني: أنها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقوله ﴿شيء عظيم﴾ يعني: أنه لا يوصف لعظمه ﴿يوم ترونها﴾ ترون تلك الزلزلة ﴿تذهل﴾ في هذا^(٤) اليوم ﴿كل مرضعة عما أرضعت﴾ تنسى وتترك كل والدة ولدها يقال: وهل عن كذا يذهل ذهولاً إذا تركه أو شغله عنه شاغل، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهو قوله ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ يعني: من هول ذلك اليوم وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون جبلي وعند شدة الفزع تلقي المرأة جنينها ﴿وترى الناس سكارى﴾ من شدة الخوف ﴿وما هم

(١) بينا بأن هذه الاحاديث موضوعة في أول سورة مريم ونزيد هنا ما قاله صاحب كتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس حيث يقول: ومن الأحاديث الموضوعية احاديث وضعها بعض الزنادقة أو جهلة المتصوفة في فضائل السور- إلا ما استثني - ولا يغتر بذكر الواحدي والثعلبي والزمخشري والبيضاوي لها في تفاسيرهم كما نبه على ذلك الحفاظ، وكما اشار إلى ذلك الحافظ العراقي بقوله:
وكل من أودعه كتابه كالواحدى مخطيء صوابه

كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد الفجلوتي ٤١٤/٢
(٢) هذا القول على التعريف القائل بأن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة كيا أيها الناس والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ولكن هذا الرأي مرجوح لأنه تعريف غير جامع لجميع الآيات والسور ويراجع في ذلك مناهل العرفان للزرقاني ١٨٥/١.

(٣) روى ابن جرير هذه الاقوال في تفسيره ٨٥/١٧

(٤) في هـ: في ذلك.

بسكارى ﴿ من الشراب هذا قول جميع المفسرين والمعنى : ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم يضطربون اضطراب السكران من الشراب يدل على صحة هذا قراءة من قرأ ﴿ وترى الناس ﴾ (١) بضم (٢) التاء أي تظنهم قال الفراء : ولهذه القراءة وجه جيد (٣) وسكارى وقرىء سكرى (٤) قال الفراء : ولهذه القراءة وجه جيد في العربية لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى والمرضى والزمنى ، والعرب تجعل فعلى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان [واحدة] (٥) فاعلا [أو كان] (٦) فعلا أو فعلان وقوله ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ دليل على ان سكرهم من خوف العذاب . اخبرنا الاستاذ أبو طاهر الزيايدي ، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد ، أنا إبراهيم بن عبد الله العبسي (٧) ، أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول : ليك وسعديك والخير في يدك وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون [قال] (٨) فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيقولون وهن ذلك الواحد فقال رسول الله ﷺ تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد ، فقال الناس : الله اكبر فقال رسول الله ﷺ : والله اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة قال : يكبر الناس ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض (٩) رواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة (١٠) عن وكيع كلاهما عن الأعمش .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٢﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾

قوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدال وكان ينكر ان الله قادر على إحياء من بلي (١١) ، وقال عطاء عن ابن عباس يريد الوليد وعته بن ربيعة ، والمعنى : أنه

(١) قرأ يونس بالاماله في الوصل بخلاف عنه والباقون بالفتح هذا في حال الوصل واما الوقف فوقف بالاماله المحضة أبو عمرو وحمزة والكسائي روى بين بين والباقون بالفتح كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرق ص (٨٥) .

(٢) ما بين الاقواس بياض في هـ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢١٤/٢ .

(٤) قراءة وسكرى بفتح السين واسكان الكاف من غير ألف قرأ بها حمزة والكسائي وخلف . انظر السبعة ص ٤٣٤ والنشر ٣٢٥/٢

(٥) ساقط من هـ .

(٦) ساقط من جـ .

(٧) إبراهيم بن عبد الله العبسي أبو شيبة الكوفي ت سنة ٢٦٥ هـ التهذيب ١/١٣٦ .

(٨) ساقط من هـ .

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ١٢٢/٦ ط الشعب ورواه مسلم في كتاب الايمان باب يقول الله لآدم أخرج ابعت النار

٢٠١/١ ط الحلبي بألفاظ متقاربة .

(١٠) أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ت سنة ٢٣٥ هـ البدايه والنهائية ١٠/٣١٥ ، تاريخ بغداد ١٠/٦٦ ،

شذرات الذهب ٢/٨٥ .

(١١) رواه ابن جرير ١٧/٧٩ .

يخاصم في قدرة الله ويزعم أنه غير قادر على البعث بغير علم في ذلك إنما يقوله باغواء الشيطان وطاعته إياه وهو قوله ﴿ويبيع كل شيطان مريد﴾ قال ابن عباس: المرید المتمرد على الله ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير﴾ قال ابن عباس: قضى الله إن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده وجره إلى عذاب السعير.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي وَيُؤْتَىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۚ

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾ قال ابن عباس في: شك من القيامة ﴿فإننا خلقناكم من تراب﴾ قال الزجاج: أي تدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فانكم لا تجدون في القدرة فرقا بين ابتداء الخلق وبين اعادته، وهو قوله ﴿فإننا خلقناكم من تراب﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني خلق ولده ﴿ثم من علقه﴾ وهي الدم الجامد قبل أن يبيض وذلك ان النطفة المخلوق منها الولد تصير دما غليظاً ثم تصير لحماً وهو قوله ﴿ثم من مضغة﴾ والمضغة قطعة لحم وقوله ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ قال ابن الاعرابي: مخلقة قد برأ خلقه وغير مخلقة لم تصور^(١)، قال السدي: هذا في السقط والمرأة تسقط النطفة بيضاء والعلقة تسقط قد صور بعضه، وتسقط وقد صور كله فعلى هذا القول المخلقة وغير المخلقة في السقط، وذهب الاكثرون إلى ان المخلقة ما أكمل خلقه فينفخ الروح فيه، وهو الذي يولد لتمام حياً وما سقط كان غير مخلقة أي غير حي بإكمال خلقه بالروح وهذا معنى قول ابن عباس رواية عطاء وعكرمة والكلبي ويدل على صحة التفسير: ما أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا أبو يحيى الرازي، نا العسكري، نا ابن أبي زائدة^(٢) عن عامر عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه فقال: أي رب مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قيل غير مخلقة قذفها الارحام دما ولم تكن نسمة وإن قيل مخلقة، قال رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ ما الاجل؟ ما الأثر؟ ما الرزق؟ بأي أرض تموت؟ فيقال اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها قصة هذه النطفة فيذهب فيجدها في أم الكتاب فتخلق فتعيش من أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في المكان الذي ثبت لها ثم تلا عامر يا أيها الناس إننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغه مخلقة وغير مخلقة^(٣) وقوله ﴿لنبين لكم﴾ قال ابن عباس^(٤) لنبين لكم ما تأتون وما تذررون، يعني: أن الله خلق بني آدم ليبين لهم ما يحتاجون إليه في العبادة، وقال صاحب النظم ليبين لكم أن البعث حق، لأن الآية نزلت دلالة على البعث ﴿ونقر﴾ وثبت ﴿في الأرحام ما نشاء﴾ فلا يكون سقطاً ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى

(١) تهذيب اللغة للازهري ٢٨/٧.

(٢) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني أبو سعيد الكوفي ت سنة ١٨٤ هـ عن ثلاث وتسعين سنة انظر التقريب ٢٤٧/٢.

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ٢٠٣٦/٤ ط الحلي.

(٤) ساقط من هـ.

أجل الولادة ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ قال الزجاج: طفلاً في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعة ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ [فيه إضمار تقديره ثم نخرجكم لتبلغوا أشدكم] ^(١) يعني: الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين [إلى الأربعين] ^(٢) ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ بلوغ الأشد ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أخسه وأدونه، وهو الخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ قال ابن عباس: يبلغ السن من بعد ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصير بهذه الحالة واضح بقوله ﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ^(٣) قال: إلا الذين قرأوا القرآن ثم دلهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال ﴿وترى الأرض هامدة﴾ قال ابن عباس: هي التي تلبدت وذهب عنها الندى، وقال مجاهد: هالكة يعني جافة يابسة [وقال ابن قتيبة ميتة يابسة] ^(٤) كالنار إذا طفئت فذهبت ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحركت بالنبات، وذلك ان الأرض ترتفع عن النبات فذلك تحركها وهو معنى قوله: ﴿وربت﴾ أي ارتفعت [وزادت] وقال المبرد أراد واهتز وربي نباتها فحذف المضاف والاهتزاز ^(٥) في النبات أظهر يقال: اهتز النبات إذا طال ﴿وأثبتت من كل زوج بهيج﴾ قال ابن عباس من كل صنف حسن والبهجة: حسن الشيء ونضارته والبهيج: الحسن، وقد بهج ومنه قوله: ﴿[حدائق] ذات بهجة﴾ ^(٦) أي تهيج الناظر وتمتعه برؤيتها قوله ﴿ذلك بأن الله﴾ أي فعل الله ذلك يعني: ما ذكر من ابتداء الخلق وإحياء الأرض بأنه ﴿هو الحق﴾ أي ذو الحق يعني: أن جميع ما يأمر به ويفعله هو الحق لا الباطل كما يأمر به الشيطان من الباطل ﴿وأنه يحيي الموتى﴾ أي وبأنه يحيي الموتى، والمعنى: فعل ما فعل بقدرته على إحياء الموتى وبأنه قادر على ذلك، وقادر على ما أراد وهو قوله ﴿وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة﴾ أي ولتعلموا ان الساعة ﴿آتية﴾ والمعنى بدء الخلق وإحياء الارض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها إن القيامة آتية وأن البعث حق وهو قوله ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۗ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۚ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ

لِّلْعَالَمِينَ

وقوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ تقدم تفسيره وقوله ﴿ولا هدى﴾ [ولا كتاب منير] ^(٩) قال ابن عباس: ليس معه من ربه رشاد ولا بيان ولا كتاب له نور ﴿ثاني عطفه﴾ يقال: ثنيت الشيء إذا عطفته ومنه قوله ﴿يشنون صدورهم﴾ ^(١٠) والعطف: الجانب وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان أي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء، قال ابن عباس: مستكبراً في نفسه، وقال مجاهد وقتادة: لاوي عنقه، وقال ابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه كبرا، وقال الزجاج: وهذا لا يوصف به المتكبر والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله منكراً، وقوله ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ ليذهب عن طاعة الله، والمعنى: أنه يجادل ليضل عن سبيل الله لا أن له على ما

(١) ساقط من د.

(٢) ساقط من جـ.

(٣) ساقط من د، وعملوا الصالحات ليست في هـ.

(٤) التين: ٦٠، ٥.

(٥) ساقط من هـ والعبارة في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٩٠).

(٦) ساقط من د، هـ.

(٧) ليست في هـ.

(٨) النمل: ٦٠.

(٩) ساقط من أ، ب، هـ.

(١٠) هود: ٥.

يجادل فيه حجة ﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: ما أصابه يوم بدر وهو أبو جهل قتل بدر^(١) وأوعد بعذاب الآخرة وهو قوله ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ والآية مفسرة في سورة الأنفال.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسِ الْمَوْلَى وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ ﴿١٣﴾

قوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أكثر المفسرين قالوا على شك [وضلالة]^(٢) وأصله: من حرف الشيء وهو طرفه، نحو حرف^(٣) الجبل والدكان والحائط الذي عليه القائم غير مستقر، فالذي يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه، فهو يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف فقيل للشاك في دينه إنه يعبد الله على حرف لأنه ليس على يقين في وعده ووعيده بخلاف المؤمن لانه لو عبده على يقين وبصيرة، ولم يكن على حرف يسقط عنه بأدنى شيء يصيبه وهذا المعنى ظاهر في قوله ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثر ماله اطمأن على عبادة الله بذلك الخير ﴿وإن أصابته فتنة﴾ اختبار يجذب وقلة ماله ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان، والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة [مهاجرين من باديتهم]^(٤) فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وكثر ماله رضي واطمأن وقال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا خيراً وإن أصابه وجع [المدينة]^(٥) وولدت امراته جارية واجهضت رماكه^(٦) وذهب ماله أتاه الشيطان [فقال]^(٧) ما أصبت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن الدين^(٨) وقوله ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ يعني: هذا الشاك خسر دنياه حيث لم يظفر^(٩) بما طلب من المال، وخسر آخرته بارتداده عن الدين ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الخسران المبين﴾ الضرر الظاهر ﴿يدعو من دون الله﴾ أي هذا المرتد يعبد سوى الله ﴿ما لا يضره﴾ إن لم يعبده ﴿ولا ينفعه﴾ إن اطاعه ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد، ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره إنه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن وقوله ﴿لبئس المولى﴾ أي الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ أي

(١) العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن ابن جريج بدون تحديد لشخص معين. تفسير الطبري

٩٣/١٧

(٢) ساقط من د، هـ.

(٣) في جـ: طرف جبل ساقط من د.

(٤) عن جـ فقط.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) الرمكة: الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل والرمكة كل لون يخالط غيرته سواد ولون الرماد (اللسان رمك).

(٨) البخاري كتاب التفسير سورة الحج ذ ١٢٣/٦ ط الشعب.

(٩) في جـ: يظهر.

الصاحب والمخالط يعني الصنم، يخالطه العابد ويصاحبه، ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين فقال:

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾
 مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ
 كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقوله ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان، قوله ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ أي لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً وهو تفسير قوله ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ فليشدد حبلاً في سقفه ﴿ثم ليقطع﴾ أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، والمعنى: فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله مظهره ولا ينفعه غيظه وهو قوله ﴿فليظن هل يذهبن كيده﴾ أي صنيعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده وغيظه ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آيات بينات﴾ وقال ابن عباس: يريد لأهل التوحيد ﴿وأن الله [يهدي]﴾ (١) [أي وأنزلنا إليك ان الله يهدي] (٢) ﴿من يريد﴾ [قال ابن عباس: يريد أهل التوحيد] (٣).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصِرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ ظاهر متقدم إلى قوله ﴿إن الله يفصل بينهم﴾ يقضي بينهم ﴿يوم القيامة﴾ بإدخال المؤمنين الجنة والآخرين (٤) النار ﴿إن الله على كل شيء﴾ من اعمال هؤلاء ﴿شهير﴾ عالم بما شاهده

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
 وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
 يَشَاءُ ﴿١٨﴾

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم ﴿أن الله يسجد له من في السموات﴾ يعني: أهل السماوات إلى قوله ﴿والدواب﴾ وصف الله تعالى هذه الأشياء بالسجود له وهو خضوعها وذلها (٥) وانقيادها لخالقها فيما يريد منها ومعنى السجود في اللغة: الخضوع، وقوله ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتداء فقال ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ [أي ممن لا] (٦) يوحد وأبى السجود، قال الفراء: قوله حق عليه العذاب يدل على أن المعنى: وكثير أبى السجود

(٤) فيما عدا هـ والآخرين

(٥) في د، تذللها.

(٦) ساقط من أ.

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) من ج فقط.

لأنه لا يحق عليه العذاب^(١) إلا بتركه السجود^(٢) ﴿ومن بين الله فماله من مكرم﴾ من يشقه الله فما له من مسعد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ في خلقه من الاهانة والكرامة والشقاوة والسعادة.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَديدٍ ۝٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ۝٢٢﴾

قوله ﴿هذان خصمان﴾ الفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا جميعاً في قوله إن الذين آمنوا والخصم يقع على الواحد [والجميع]^(٣) ولهذا قال ﴿اختصموا في ربهم﴾ لانهم جمعان وليسا برجلين ومثله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾^(٤) والمعنى: اختصموا في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين: نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون: بل نحن أحق بالله منكم^(٥) أما بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم أتم بنينا حسداً فكان هذا خصومتهم في ربهم وهذا قول جماعة المفسرين، وكان أبو ذر يقسم أن هذه الآية نزلت في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي، نا يوسف بن يعقوب القاضي، نا عمرو بن مرزوق، أنا شعبة عن أبي هاشم عن أبي مجلز قيس بن^(٦) عباد قال سمعت ابا ذر يقول: أقسم بالله لنزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم في هؤلاء الستة حمزة وأبي عبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة^(٧) رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم^(٨) ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان كلاهما عن أبي هاشم وهو ما عليه جماعة المفسرين ثم بين حال الفريقين فقال ﴿الذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ قال الازهري^(٩): أي سويت وجعلت لبوسا لهم^(١٠) وقال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنم ألبسوا مقطعات النيران وقوله ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ روى أبي هريره أنه قرأ هذه الآية ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوف الكافر فيسلت ما في جوفه حتى يحرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما^(١١) كان وهذا معنى قوله تعالى ﴿يصهر به﴾ أي بذلك الحميم ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ وفسر الصهر بالاذابة والاحراق

(١) ساقط من هـ ما بين الاقواس من قوله: أي ممن.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٩ بتصرف.

(٣) ساقط من ج.

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) في ج: لانا أمنا ولفظ منكم ساقط من هـ.

(٦) قيس بن عباد القيسي الضبيعي أبو عبد الله البصري قتله الحجاج انظر التهذيب ٨/٤٠٠.

(٧) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الحج ٦/١٢٣، مسلم في كتاب التفسير باب قوله تعالى هذان خصمان اختصموا إلى ربهم ٢٣٢٣/٤.

(٨) هشيم بن بشير بن أبي حازم ت سنة ٨٣ هـ تذكرة الحفاظ ٢٤٨١.

(٩) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الازهر الازهري الشافعي ولد سنة ٢٨٢ ت سنة ٣٧٠ مقدمة تهذيب اللغة، شذرات الذهب ٧٢/٣، بغية الوعاة (٨).

(١٠) تهذيب اللغة للزهري ١/١٨٨.

(١١) رواه الترمذي في كتاب أبواب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/٣٠٧ ط الحلبي، والحاكم في كتاب التفسير سورة الحج وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک مع التلخيص ٢/٣٨٧.

والإنضاج، وهو قول المفسرين [قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج وقال قتادة ومجاهد تذاب والمعنى: أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق^(١) بهذا] الحميم وتشوى جلودهم فيتساقط من حره، قوله ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ قال الليث المقمعة شبه الجزر من الحديد يضرب بها الرأس وجمعها المقامع^(٢) من قولهم قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً. أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن علي، نا يحيى^(٣) بن يحيى، نا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض^(٤) قال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾ يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكره الذي يأخذ بأنفاسهم حتى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع، قال المفسرون: ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فيردهم الخزان فيها ويقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ والحريق: اسم من الاحتراق، وقال الزجاج: وهذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الآخر - الذين هم المؤمنون:

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ سَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا^(٥) وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ^(٦) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ^(٧)

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الآية - وهي مفسرة في سورة الكهف إلى قوله ﴿ولؤلؤا﴾ وهو ما يستخرج من البحر والمعنى: انهم يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ أي منها بأن يرصع اللؤلؤ في الذهب وقرىء ولؤلؤا^(٥) بالنصب على ويحلون لؤلؤا وقوله ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ يعني انهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال قال أبو سعيد الخدري من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة كلهم غيره قال الله عز وجل ﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا بشر بن أحمد بن بشر، نا يحيى بن محمد البحتري، نا عبید الله بن معاذ، نا أبي، نا شعبة حدثني خليفة بن كعب^(١) قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول لا تلبسوا الحرير فاني سمعت عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة [ومن لم يلبسه^(٢) في الآخرة] لم يدخل الجنة لأن الله تعالى يقول ﴿ولباسهم فيها حرير﴾^(٣) ﴿وهودوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس: يريد لا اله

(١) ساقط من هـ.

(٢) تهذيب اللغة للازمري ١/٢٩٤.

(٣) يحيى بن يحيى بن قيس الغساني. الميزان ٤/٤١٣.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أبي سعيد الخدري بالفاظ متقاربة المسند ٢/٢٩ والمقصود بالثقلين: الانس والجن، وفي سند هذا الحديث ابن لهيعة وفيه ضعف.

(٥) قراءة (ولؤلؤا) بالنصب قرأها عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٥ والنشر ٢/٣٢٦.

(٦) خليفة بن كعب التميمي أبو ذبيان البصري، تهذيب ٣/١٦٢.

(٧) ساقط من هـ، د.

(٨) رواه البخاري في باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز فيه من غير «من لم يلبسه.. الخ» كذلك في مسلم: كتاب اللباس

إلا الله والحمد لله وزاد ابن زيد: والله أكبر وقال السدي: إلى القرآن ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أرشدوا إلى الاسلام وهو دين الله وطريقه والحمد في أفعاله.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمْ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ عطف المضارع على لفظ الماضي لأن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ويقوي (١) هذا قوله ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ (٢) ويجوز أن يكون المعنى: إن الذين [كفروا] (٣) فيما مضى وهم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم، والمعنى: يمنعون الناس عن طاعة الله ﴿والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء﴾ أي مستقراً ومنسكاً وتعبداً كما قال: ﴿وضع للناس﴾ (٤) قال المفسرون: جعلناه للناس خلقناه وبنينا (٥) للناس كلهم لم نخص به منهم بعضاً دون بعض، قال الزجاج: جعلناه للناس وقف التمام، ثم قال: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ وسواء رفع على انه خبر ابتداء مقدم، المعنى: العاكف والبادي فيه سواء، ومن نصب فقال سواء كان التقدير مستوياً فيه العاكف والباد، فرغ العاكف بسواء كما يرفع بمستوى العاكف المقيم فيه والبادي الذي يتابه من غير أهله في قول الجميع ومعنى البادي النازع إليه من غربة، من قولهم بدا القوم إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء وإنما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس أحدهما باحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أن لا يخرج أحد من بيته، وهذا قول قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس ومن مذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام (٦) بالمسجد الحرام على قولهم الحرم كله كقوله ﴿أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام﴾ (٧) وقال آخرون: المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه، وظاهر القرآن يدل على هذا، والمراد باستواء العاكف والبادي فيه استواءهما في تفضيله وتعظيم حرمة، وإقامة المناسك به وهذا مذهب مجاهد والحسن وقول من أجاز بيع دور مكة وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدعون أنهم أربابه وولاته وقوله ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ [اتفقوا على ان الباء في بإلحاد زيادة والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم] (٨) ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القصد واختلفوا في معناها هنا فقال مجاهد وقاتدة هو الشرك وعبادة غير الله، وقال آخرون: هو كل شيء كان منهياً

= البخاري ١٩٣/٧ ط الشعب، مسلم ٦٤٤/٣ ط الحلبي وقد رواه أحمد بن حنبل في المسند وثبه على أن عبارة من لم يلبسه... الخ من كلام ابن الزبير ٢٥١/١ ط دار المعارف.

(١) فيما عدا جـ على هذا.

(٢) النحل: ٨٨ وفي النسخ بلفظ إن الذين كفروا والتصحيح من المصحف

(٣) ساقط من جـ.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) في هـ وبيناه.

(٦) يراجع في ذلك تفسير الألوسي سورة الحج ١٧/١٣٨ فقد ذكر هذه القضية بتفصيل وتوضيح أكثر.

(٧) الاسراء: ١.

(٨) ساقط من هـ اتفقوا على أن الباء في بإلحاد زيادة: فهذا غير مسلم فإن في الآية وجوها أخرى: منها أن الباء للملاسة، أو الباء للسببية أو للتعديبه انظر الألوسي سورة الحج ١٧/١٣٨ وقال الزركشي في البرهان: الجمهور على انها - يقصد الباء - لا تجيء زائدة وانه إنما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدمها على سواء وليس كذلك في هذا الموضع البرهان ٤/٢٥٣.

عنه، وحتى شتم الخادم وقال عطاء: هو دخول مكة بغير إحرام، وأذى حمام مكة وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها، وعلى هذا القول الالحاد بالظلم هو استحلال محظورات الاحرام وركوبها وقال الضحاك: ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها ونحو هذا قال ابن مسعود فيما أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري^(١)، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن يحيى، نا محمد بن يوسف^(٢) عن سفيان عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ قال لو أن رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلاً همّ بقتل رجل عند البيت وهو بعدن أبين^(٣) أذاقه الله من عذاب أليم^(٤) قال السدي: إلا أن يتوب.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۖ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۚ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ

قوله ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبعوا لإبراهيم ومعنى بوأنا ها هنا: بيتاً مكان البيت، قال السدي: أن الله تعالى لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً^(٥) فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الاول الذي كان البيت عليه قبل أن يرفع أيام الطوفان^(٦) وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فيها رأس يتكلم فقامت بحيان البيت وقالت: يا إبراهيم ابن علي قدري^(٧) وقوله ﴿ألا تشرك بي شيئاً﴾ أي وأوحينا إليه^(٨) الا تعبد معي غيري، قال المبرد: كأنه قيل له وحدني في هذا البيت لأن معنى: لا تشرك بي شيئاً وحد الله وطهر بيتي من الشرك وعبادة الاوثان والآية مفسرة في سورة البقرة، قوله: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ قال جماعة المفسرين: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله أذن وعلي البلاغ فعلا على المقام فأشرف به حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وغرباً وقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم فأجابه من كان في أصلاب الرجال

(١) أبو بكر بن الحسن الحيري ت سنة ٤٢١ هـ وله ست وتسعون سنة دول الاسلام ٢٥١/١.

(٢) محمد بن يوسف البخاري أبو أحمد البيكندي تهذيب التهذيب ٥٣٨/٩.

(٣) عدن أبين مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. معجم البلدان ٨٩/٤.

(٤) قال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري وأحمد رجال الصحيح مجمع الزوائد ٧٠/٧ كتاب التفسير سورة الحج.

والحاكم في المستدرک کتاب التفسير سورة الحج ٣٨٧/٢.

(٥) الخجوج من الريح الشديد المر. اللسان خجج.

(٦) رواه ابن جرير عن السدي: ١٠٥/١٧، ولكن السدي متروك الحديث.

(٧) رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن السدي انظر الدر المنثور ٣١/٦ ط دار الفكر ومن الثابت أن الكلبي متهم في حديثه فلا

يعتد بحديثه هذا.

(٨) في هـ: اليك.

وأرحام النساء ليك اللهم ليك^(١) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا القاسم بن غانم بن حمويه، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا زكريا بن يحيى^(٢)، نا أبو خلف عبد الله بن عيسى^(٣) الخزاز، نا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لما أمر الله إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس صعد أبا قبيس^(٤) ووضع أصبعيه في أذنيه وقال يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال [وأول]^(٥) من أجابه أهل اليمن فليس أحد يحج البيت إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم ذلك اليوم^(٦) فذلك قوله ﴿يأتوك رجالاً﴾ فمن أتى الكعبة حاجاً فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه موجب نداء ورجال جمع راجل مثل قائم وقيام ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي ركبانا والضمور: الهزال، قال ابن عباس: يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد ضمير، والمعنى: يأتوك مشاة وركبانا أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق [المزكي]^(٧)، أنا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن حاتم، نا يحيى بن سليم الطائفي عن محمد بن مسلم عن ذكره وهو إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال لبنيه: يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا إليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: للحجاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج المشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنة الحرم قال قيل: وما حسنة الحرم قال الحسنه بمائة ألف^(٨) وقوله: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد وذكرنا الفج عند قوله ﴿فجاءاً سبلاً﴾^(٩) أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه، أنا محمد بن أحمد بن سنان، أنا أحمد بن علي الموصلي، نا إبراهيم بن الحجاج، نا صالح المري عن يزيد^(١٠) الرقاشي عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غيراً أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق، فأشهدكم أنني قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئتهم لمحسنهم، واعطيت لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم، فإذا افاض القوم إلى جمع ووقفوا، عادوا في الرغبة والطلب [إلى الله يقول: ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب]^(١١) فأشهدكم أنني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئتهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم^(١٢) قوله تعالى ﴿ليشهدوا﴾ ليحضروا: يعني: الذين يأتون ﴿منافع لهم﴾ أكثر المفسرين جعلوها منافع^(١٣) الدنيا، وقالوا: يعني: التجارة والاسواق وهو قول سعيد بن جبيرة والسدي وابن عباس في رواية أبي رزين ومنهم من خصها بمنافع الآخرة وهو قول سعيد بن المسيب والعمري، واختيار الزجاج، قال: ليشهدوا ما

(١) رواه الحاكم في المستدرک موقوفاً على ابن عباس باختصار المستدرک کتاب التفسیر سورة الحج ٣٨٩/٢ وابن جریر في تفسیره ١٠٦/١٧.

(٢) زكريا بن يحيى الباهلي انظر: تاريخ بغداد ٤٥٨/٨.

(٣) عبد الله عيسى الخزاز أبو خلف البصري: التهذيب ٣٥٣/٥.

(٦) في الدر المنثور رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس الدر المنثور ٣٢/٦ ط دار الفكر ورواه ابن جرير في تفسیره بالفاظ متقاربة ١٠٦/١٧.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٨) رواه الحاكم في كتاب المناسك باب فضيلة الحج ماشياً وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک ٤٦١/١.

(٩) الانبياء: ٣١.

(١٠) يزيد الرقاشي: ابن ابان الرقاشي البصري الميزان ٤١٨/٤.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه صالح المري وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الحج، باب فضيلة الوقوف بعرفة والمزدلفة ٢٥٧/٣.

(١٣) ساقط من هـ، د.

ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم ومنهم من جعلها شائعة في الاجر والتجارة وهو قول مجاهد ورواية عطاء عن ابن عباس قال: منافع لهم في الدنيا والآخرة أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أنا المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني بمكة، نا المفضل بن محمد بن إبراهيم^(١) الشعبي، نا محمد بن يوسف، نا أبو فرقة قال ذكر أبو الحكم عن عبد الله بن المبارك^(٢) عن عبد الله بن لهيعة عن كثير بن الحارث عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول إذا وقف بعرفة: اللهم انك دعوت إلى حج بيتك ووكدت المنفعة على شهود مناسكك وقد جئتك فاجعل منفعة ما تنفعني به أن تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وان تقيني عذاب النار وقوله ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال الحسن ومجاهد يعني: أيام العشر قيل لها معلومات للحرص^(٣) على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد أيام الحج وهي يوم^(٤) عرفة والنحر وأيام التشريق واختاره الزجاج قال: لأن الذكرها هنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي على ذبح ما رزقهم من البدن [من الابل]^(٥) والبقر والضأن والمعز، هذه الأيام تختص بذبح الأضاحي، قال قتادة: كان يقال: إذا ذبحت نسيكتك فقل: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك عن فلان وأول وقت الذبح إذا مضى صدر يوم النحر إلى أن تغرب الشمس من آخر أيام التشريق وقوله ﴿فكلوا منها﴾ يعني: من الأنعام التي تنحر وهذا أمر بإباحة إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله أن ذلك جائز، هذا قول جماعتهم غير أن هذا في هدي كان صاحبه متطوعاً به فأما إذا كان في كفارة أو جيرانا لنقصان فلا يحل لصاحبه الأكل^(٦) منه، وقوله: ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البؤس: هو شدة الفقر، قوله ﴿ثم ليقتضوا تفنهم﴾ التفث: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث وقضاؤه نقضه وإذبابه والحاج مغير شعث لم يدهن ولم يستحد فإذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالقلم والحلق وقص الشارب^(٧) وليس الثياب ونف الإبط وحلق العانة فهو قضاء التفث، قال الزجاج: كأنه الخروج من الإحرام إلى الاحلال، قوله ﴿وليوفوا بذورهم﴾ قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البدن وقال آخرون: يعني: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، وربما ينذر الرجل أن يتصدق إن رزقه الله لقاء الكعبة وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق ويهديها إلى أهل مكة ولذلك قال: ﴿وليوفوا بذورهم﴾ أي: وليوفوها بقضائها ولم يقل بذورهم لأن المراد بالإيفاء الاتمام وقوله ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ يعني الطواف الواجب ويسمى طواف الإفاضة^(٨) [لأنه يكون بعد الإفاضة] حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو العباس بن يعقوب المعقلي، نا ابو بكر محمد بن اسحاق الصغاني^(٩) نا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث، حدثني عبد الرحمن بن^(١٠) خالد. عن ابن شهاب عن محمد

(١) المفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل بن عامر بن شراحيل الشعبي ت سنة ٣٠٨ اللسان ٨٢/٦.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي أبو عبد الرحمن المروزي ت سنة ١٨١ عن ثلاث وستين سنة. تاريخ بغداد

١٠١/١٥٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ التهذيب ٥/٣٨٢.

(٣) في جـ: للجزم.

(٦) الام للشافعي ٢/٢٣٢ ط الشعب.

(٧) في د: الاظفار.

(٤) في هـ والفجر بدلا من النحر.

(٨) في هـ: الاضافة وما بعدها ساقط من هـ.

(٥) ساقط من جـ.

(٩) محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني الخراساني ت سنة ٢٧٠ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٢٥٦ تاريخ بغداد ١/٢٤٠، تذكرة الحفاظ

٢/٥٧٣.

(١٠) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر أبو خالد الفهمي المصري ت سنة ١٢٧ التهذيب ٦/١٦٥.

ابن عروة^(١) عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابة فلم يظهر عليه جبار قط^(٢)» وهذا قول أكثر المفسرين قالوا: لم يسلط عليه جبار أراد دخوله ولكن يذل له ويتواضع، وقال الحسن: البيت العتيق القديم، وهو قول ابن زيد يدل عليه قوله تعالى ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ﴾^(٣) وهو ما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد^(٤) أنا أبو عمرو بن محمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان، نا سفيان [بن] ^(٥) وكيع، نا أبي عن زمعة^(٦) بن صالح عن سلمة بن وهرام^(٧) عن عكرمة عن ابن عباس قال: حج النبي ﷺ فلما أتى وادي عسفان^(٨) قال «لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات حمر خطمهن الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق»^(٩).

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ

قوله ﴿ذَلِكَ﴾ أن الأمر ذلك يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ قال الليث: الحرمة ما لا يحل انتهاكه^(١٠) وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وهي في هذه الآية ما نهي عنها، ومنع من الوقوع فيها، وتعظيمها: ترك ملابسها، وكثير من الناس اختاروا في معنى الحرمات ها هنا: انها المناسك، لدلالة ما يتصل بها من الآيات، وقال ابن زيد: المراد بالحرمات ها هنا: البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام [والاحرام]^(١١) ويدل على هذا قوله ﴿والحرمات قصاص﴾^(١٢) وقوله ﴿فهو﴾ أي التعظيم ﴿خير له عند ربه﴾ يعني: في الآخرة ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ الابل والبقر ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في سورة المائدة من الميتة والمنخقة ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي كونوا على جانب منها فإنها رجس أي سبب رجس وهو العذاب أو المأثم قال الزجاج: من ها هنا تخلص جنس

(١) محمد بن عروة بن الزبير بن العوام الاسدي التهذيب ٣٤٣/٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الحج والهيثمى وقال رواه البزار وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قيل ثقة وقد ضعفه الائمة أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد كتاب الحج باب منعة الجبابة ٢٩٦/٣.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) سعيد بن محمد بن عبدان النيسابوري تاريخ بغداد ١٠٦/٩.

(٥) ساقط من د.

(٦) زمعة بن صالح الجندي اليماني التهذيب ٣٣٨/٣.

(٧) سلمة بن وهرام اليماني التهذيب ١٦١/٤.

(٨) وادي عسفان موضع بين مكة والمدينة على بعد ستة وثلاثين ميلا من مكة وهو حد لمنطقة تامة . معجم البلدان ١٢١/٤.

(٩) في مجمع الزوائد لقد مر بهذا الوادي هود وصالح على بكرات حمر... الخ

وقال رواه أحمد وفيه زمعة بن صالح فيه كلام وقد وثق مجمع الزوائد كتاب الحج باب التواضع في الحج ٢٢٠/٣ والراجح حديث

الهيثمى ، وذلك لأن إبراهيم هو الذي قام ببناء البيت والاذان في الناس بالحج .

(١٠) تهذيب اللغة للازهري ٤٤/٥ .

(١١) ساقط من ج.

(١٢) البقرة: ١٩٤ .

من أجناس^(١)، والمعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك بالله وكان أهل الجاهلية يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، ويريدون الصنم وقال الزجاج المراد بقوله الزور هاهنا: تحليلهم بعض الأنعام، وتحريم بعضها من البحيرة^(٢) والسائبة^(٣) وقولهم هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله الكذب وقال ابن مسعود: يعني شهادة الزور أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبد الله بن محمد الزاهد، أنا أبو القاسم المنيعي، نا جدي، نا مروان بن معاوية عن سفيان بن زياد الأسدي عن فاتك بن^(٤) فضالة عن أيمن بن خزيم^(٥) أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال: «أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ ﴿واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾^(٦)» يريد أنه قد جمع بين عبادة الوثن وشهادة الزور، قوله ﴿حلفاء لله غير مشركين به﴾ ذكر معنى الحنيف فيما تقدم قال قتادة وعبد الله بن^(٧) القاسم: كانت حنيفة في الشرك كانوا يحجون البيت ويحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات وكانوا يسمون حلفاء فنزلت في حق المؤمنين ﴿حلفاء لله غير مشركين به﴾ [أي حجاجا لله وهم مسلمون موحدون ثم ضرب لمن أشرك مثلاً فقال: ﴿ومن يشرك بالله﴾^(٨) فكأنما خر من السماء﴾ أي سقط من السماء ﴿فتخطفه الطير﴾ أي تأخذه بسرعة من قولهم: خطف يخطف خطفاً، إذا سلبه، ومنه قوله ﴿يخطف أبصارهم﴾^(٩) قال ابن عباس: يريد تخطف لحمه ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ [بعيد يقال: سحق سحقاً فهو سحيق]^(١٠)، قال الزجاج: أعلم الله أن بعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محاله، إما باستلاب الطير لحمه، وإما بسقوطه في المكان السحيق قوله:

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿ذلك﴾ أي الامر ذلك الذي ذكرناه ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ قال مجاهد: يريد استعظام البدن واستسمانها [واستحسانها]^(١١) وهو قول ابن عباس في رواية مقسم، والشعائر جمع الشعيرة وهي البدن إذا أشعرت أي أعلم^(١٢) عليها بأن يجرح^(١٣) سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي، والذي يهدي مندوب إلى طلب الأسمن

(١) معنى تخلص جنس من اجناس: ان تذكر شيئاً تحته اجناس، والمراد أحدهما، فإذا اردت واحداً منها بينته كهذه الآية فلما اقتصر عليه المراد، فلما خرج بذكر الاوثان علم انها المراد من الجنس وقرنت بمن للبيان، فلذلك قيل: انها للجنس واما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر والتقدير: واجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان، فهي راجعة إلى معنى الصفة البرهان ٤/٤١٧.

(٢) البحيرة: ابنة السائبة وحكمها حكم امها الصحاح للجوهري مادة بحر.

(٣) السائبة الناقة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر ونحوه وقد قيل هي أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سبيت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعاً الصحاح مادة ساب.

(٤) فاتك بن فضالة بن شريك بن سلمان بن خرشة الكوفي التهذيب ٨/٢٥٥.

(٥) أيمن بن خزيم بن الأحزم بن شداد الأسدي (مختلف في صحبته) تهذيب التهذيب ١/٣٩٢، اسد الغابة ١/٣٩٢.

(٦) مسند ابن حنبل ٤/٣٢١ ط بيروت.

(٧) في هـ: بن أبي القاسم.

(٨) ساقط من جد والعبرة: في حق المؤمنين ساقط من هـ.

(٩) البقرة: ٢.

(١٢) في هـ: اعلمت.

(١٣) في هـ: يخرج.

(١٠) ساقط من د، هـ.

(١١) ساقط من ج، د، هـ.

والأعظم ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أي فبان تعظيمها ثم حذف المضاف لدلالة يعظم على التعظيم وأضاف التقوى إلى القلوب لأن^(١) حقيقة التقوى تقوى القلوب قوله: ﴿لكم فيها﴾ في الشعائر ﴿منافع﴾ بركوبها وشرب لبنها ان احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى أن ينحر فهذا قول عطاء بن أبي رباح ومذهب الشافعي وعنده أن المهدي لو ركب هدية ركوباً غير فادح فلا بأس^(٢) والأكثر من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهرها وأصوافها وأدبارها إنما يكون قبل أن يسميها هدياً فإذا سماها هدياً انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله: إلى أجل مسمى وبعد أن سميت هدياً لا ينتفع بها غير أهل^(٣) الله، والقول هو الأول لقوله تعالى ﴿لكم فيها منافع﴾ أي في الشعائر وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال اركبها فقال إنها بدنة فقال اركبها ويحك أو ويلك^(٤): وقوله ﴿ثم محلها﴾ أي حيث يحل نحرها ﴿إلى البيت العتيق﴾ يعني عند البيت، وهو الحرم كله.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿ولكل أمة﴾^(٥) أي جماعة مؤمنة يعني: من الذين سلفوا ﴿جعلنا منسكاً﴾ المنسك ها هنا مصدر من نسك ينسك إذا ذبح قربان قال مجاهد يريد إراقة الدماء، وقال عكرمة وقتادة ومقاتل: يعني: ذبح وقرأ حمزة بكسر السين^(٦) والفتح أولى^(٧) لأن المصدر من هذا الباب بفتح العين والمعنى جعلنا لكل أمة أن يتقرب إلى الله بأن تذبح الذبائح ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم﴾ أي على نحر ما رزقهم ﴿من بهيمة الأنعام﴾ وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها، والآية دالة على أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة وأن التسمية على الذبائح كانت مشروعة قبلنا، وقوله ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله أسلموا﴾ انقادوا وأطيعوا ﴿وبشر المخبتين﴾ المتواضعين المطمئنين إلى الله ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إذا خوفوا بالله خافوا ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلاء والمصائب في طاعة الله ﴿والمقيمين الصلاة﴾ في أوقاتها يؤدونها كما استحفظهم الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال ابن عباس: يتصدقون من الواجب وغيره قوله:

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَنَاعَ وَالْمَعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

(١) فيما عداها أي لأن... الخ.

(٢) الام للشافعي ١٨٣/٢ ط الشعب.

(٣) المراد بأهل الله: الفقراء والمساكين.

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج ركوب البدن ٢٠٥/٢ ط الشعب، مسلم كتاب الحج باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها ٩٦٠/٢ ط الحلبي.

(٥) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٦) قراءة (منسكا) بكسر السين لم يقرأ بها حمزة وإنما قرأ بها أيضاً الكسائي وخلف انظر السبعة ص ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

(٧) قراءة (منسكا) بفتح السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب انظر السبعة ٤٣٦ والنشر ٢/٣٢٦.

﴿والبدن﴾ جمع بدنة ويجوز بضم الدال [مثل ثمرة] (١) وثمر وثمر وهي الناقة والبقرة مما يجوز في الهدى والاضاحي (٢) ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي من أعلام دينه والمعنى: جعلنا لكم فيها عبادة لله من سوقها إلى البيت وتقليدها وإشعارها ونحرها والاطعام منها ﴿لكم فيها خير﴾ يعني: النفع في الدنيا والأجر في الآخرة ﴿فاذكروا إسم الله عليها﴾ على نحرها ﴿صواف﴾ قال ابن عباس وابن عمر: قياما مقيدة سنة محمد ﷺ وقال مجاهد: إذا عقلت إحدى يديها وقامت على ثلاث تنحر كذلك ويسوى بين أوظفتها (٣) لثلا يتقدم بعضها على بعض ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض وذلك عند خروج الروح منها وهو وقت الأكل منها وهو قوله: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء القانع الذي لا يسأل والمعتر الذي يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل وهذا قول زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبير والحسن، وقال الوالبي وعكرمة وقتادة ومجاهد: القانع الذي يقنع ويجلس في بيته والمعتر الذي يعتريك ويسألك وروى العوفي عن ابن عباس أن كليهما الذي لا يسأل قال: القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك ويقال: قنع قنوعا إذا سأل وقنع يقنع قناعة إذا رضي بما قسمه له وترك المسألة والتعرض قال أبو زيد سأل القانع السائل قال بعضهم المتعفف، وكل يصلح، والمعتر من قولهم عره واعتره وعراه واعتراه إذا أتاه يطلب معروفة إما سؤالا أو تعرضا وقوله ﴿كذلك﴾ أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما ﴿سخرناها لكم﴾ نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم، قال ابن عباس: شكر الله طاعة له واعتراف بإنعامه قوله:

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَانَكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ قال الكلبي: كان أهل الجاهلية إذا نحرروا البدن نضحوا دماءها حول البيت قربة إلى الله وأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله هذه الآية قال مقاتل: لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يرفع إلى الله الأعمال الصالحة والتقوى وهو ما أريد به وجه الله تعالى قال الزجاج: أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به وحقيقته معنى هذا الكلام يعود إلى القبول وذلك ان ما يقبله الانسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله الخلق كعادتهم في مخاطبهم، والمعنى: لن يقبل الله اللحم ولا دماء إذا كانت من غير تقوى الله وإنما يتقبل منكم ما تتقونه به وفي هذا دليل على أن شيئا من العبادات لا يصلح إلا بالنية وهو أن ينوي بها التقرب إلى الله واتقاء عقابه وقوله: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ تقدم تفسيره ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ على ما بين لكم وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا ﴿وبشر المحسنين﴾ قال ابن عباس: يريد الموحدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾

(١) ساقط من د.

(٢) انظر اللسان مادة: بدن.

(٣) الأوظفة جمع وظيف وهو لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق لسان العرب. فصل الواو حرف الفاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم وقرىء يدافع^(١) وهو بمعنى يدفع وإن كان من المفاعلة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين خانوا الله وجعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه، وقال الزجاج: من ذكر غير اسم الله وتقرّب إلى الأصنام بذبيحة فهو خوّان كفور، قوله:

أَذْنَ لِلَّذِينَ يَفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ^(٢) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ^(٣)

﴿إذن للذين يقاتلون بأنهم﴾ الآية قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون اصحاب النبي ﷺ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوب ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ﷺ: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال^(٤) حتى هاجروا فأنزل الله هذه الآية بالمدينة وهي أول آية أنزلت في القتال وقرىء أذن بفتح الألف^(٥) على إسناد الفعل إلى الله تعالى لتقدم ذكره قوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بإيذائهم وإخراجهم عن ديارهم وقصدتهم بالضرب والإهانة وقرىء يقاتلون بفتح التاء^(٦) أي الذين^(٧) يقاتلهم المشركون المؤمنون ويقوي هذه القراءة أن الفعل الذي بعده مسند إلى المفعول به وهو قوله ظلموا وفي الآية محذوف تقديره: أذن لهم أن يقاتلوا أو بالقتال ثم وعدهم النصر فقال ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ يعني المؤمنين ثم وصفهم فقال ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه هذا من الاستثناء المنقطع المعنى: لكن بأن يقولوا ربنا الله^(٨) أخرجوهم بتوحيدهم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ وقرىء ولولا دفاع الله^(٩) وتقدم الكلام في هذا وقوله ﴿لهدمت﴾ يقال: هدمت البناء إذا قضضته فانهدم وقرىء بالتشديد^(١٠) والتخفيف^(١١) يكون للكثير والقليل والتشديد^(١٢) يختص به الكثير وقوله ﴿صوامع﴾ قال مجاهد والضحاك: يعني صوامع الرهبان وقال قتادة الصوامع للصابئين وهي متعبداتهم ﴿وبيع﴾ جمع بيعة وهي كنيسة النصارى ﴿وصلوات﴾ وهي كنائس اليهود وهي بالعبانية صلوتا ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ بمعنى: مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ ومعنى الآية يقول: لولا دفع الله الناس عن القتال ببعض الناس لهدم في شريعة^(١٣) كل نبي

(١) قراءة (يدافع) بالالف قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبو عمرو انظر: السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢، ولفظ من المرافعة من هـ فقط.

(٢) ذكره كثير من المفسرين بدون إسناد وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٦٤ في بيعة العقبة الثانية رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.

(٣) قراءة (اذن) بفتح الألف، قرأ بها ابن كثير وحمة والكسائي. السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢.

(٤) قراءة (يقاتلون) بفتح التاء، قرأ بها نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٧ والنشر ٣٢٦/٢.

(٥) في ج: الذي.

(٦) كتاب سيبويه ٢/٣٢٥ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٧) قراءة (دفاع) بكسر الدال وألف بعدها قرأ بها نافع وأبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٧/٢.

(٨) قراءة التشديد (لهدمت) قرأ بها ابن عامر وحمة والكسائي وأبو عمرو وعاصم وخلف انظر السبعة ص ٤٣٨ النشر ٣٢/٢.

(٩) قراءة التخفيف (لهدمت) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٨/٢.

(١٠) في هـ: الفساد.

(١١) في هـ: كل شريعة.

المكان الذي يصلي فيه فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقوله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي ينصر دينه وشريعته ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزيز﴾ منيع في سلطانه وقدرته، وقال مقاتل: عزيز في انتقامه من عدوه.

الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه يعني: ان هذا صفة من قوله ﴿من ينصره﴾ ومعنى: ﴿مكناهم في الأرض﴾ نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد، قال قتادة ومقاتل هم اصحاب محمد ﷺ، وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة أهل (١) الصلوات الخمس، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قرنا بالصلاة والزكاة ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ كقوله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ (٢) والمعنى: انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ومدع ثم عزى نبيه عليه السلام عن تكذيبهم اياه وخوف مخالفته بذكر من كذب نبيه فأهلك بقوله:

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُا مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدِ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿وإن يكذبوك﴾ إلى قوله ﴿فأملت للكافرين﴾ أي أحرقت عقوبتهم وأمهلتهم يقال: أملى الله لفلان في العمر إذا أحر عنه أجله وقوله ﴿ثم أخذتهم﴾ أي بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام معناه التقرير تقول كيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياء هلاكا وبالعمارة (٣) خراباً والنكير اسم من الإنكار قال: الزجاج: أي أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر كيف عذب أهل القرى المكذبة فقال ﴿وكأين من قرية أهلكناها﴾ وقرىء اهلكناها (٤) كقوله ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ (٥) ﴿وكم من قرية﴾ (٦) أهلكناها والاختيار التاء لقوله (٧) ﴿فأملت﴾ وقوله ﴿وهي ظالمة﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿ويبرؤا معطلة﴾ عطف على قوله ﴿من قرية﴾ لأن المعنى

(١) فيما عدا هـ: هم أهل.

(٢) فاطر: ٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (اهلكناها) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا أبو عمرو فقد قرأ (اهلكتها) بالتاء المضمومة من غير ألف. انظر السبعة ص ٤٣٨ والنشر ٣٢٧/٢.

(٥) الانبياء: ١١.

(٧) فيما عدا د كقوله.

(٦) ساقط من د، هـ والآية من سورة الاعراف (٤).

وكم من بئر معطلة ﴿وقصر مشيد﴾ تركوا بعد إهلاكهم، والمعطلة: المتروكة من العمل والاستقاء، ومعنى التعطيل: الترك من العمل، والمشيد: المطول المرفوع، من قولهم: شاد بناء^(١) إذا رفعه، ذكرنا ذلك في قوله ﴿بروج مشيدة﴾^(٢) ثم حث على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة فقال ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ قال ابن عباس: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى: فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ اخبار الأمم المكذبة، قال ابن قتيبة وهل شيء ابلغ في العظة والعبر من الآية لأن الله أراد أفلم يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو فيروا بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها وبئراً يشرب أهلها قد عطلت وقصراً بناه ملكها بالشيد قد خلا من السكن وتداعى من الخراب^(٣) فيتعظوا بذلك ويخافوا من عقوبة الله مثل الذي نزل بهم ثم ذكر الله تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر وإنما عميت قلوبهم فقال ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ذكر الفراء والزجاج أن^(٤) قوله التي في الصدور من التوكيد الذي تريده العرب في الكلام كقوله ﴿عشرة كاملة﴾^(٥) وقوله ﴿ويقولون بأفواههم﴾^(٦) وقوله ﴿يطير بجناحيه﴾^(٧) قوله:

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۖ
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا إِلَيْهَا الْمَصِيرَ ۖ

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ أي يسألونك أن تأتي بعذابهم عاجلاً ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا قال ابن عباس: يعني: يوم بدر ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال مجاهد وعكرمة وابن زيد: هو من أيام الآخرة ويدل على هذا ما روي «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام»^(٨) والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة قال الفراء: وفي هذه الآية وعيد^(٩) لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة وذكر الزجاج وجهاً آخر فقال أعلم الله أنه لا يفوته شيء وإن يوماً عنده وألف سنة في قدرته واحد ولا^(١٠) فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلا أن الله تفضل بالإمهال وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال: المعنى: إن يوماً عنده في الإمهال وألف سنة سواء لأنه قادر عليهم متى شاء أخذهم، وقرىء يعدون بالياء^(١١) والتاء^(١٢) فمن قرأ بالياء فلقوله يستعجلونك ومن قرأ بالتاء فلأنه أعم من خطاب المستعجلين^(١٣) والمؤمنين ثم أعلم أنه قد أخذ قوماً بعد الإملاء والتأخير فقال ﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ الآية وما بعدها ظاهر إلى قوله:

(١) في ج: شاد بناه يشيد شيديا.

(٥) آية (١٩٦) سورة البقرة والنص في معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٨.

(٢) النساء: ٧٨.

(٦) آل عمران: ١٦٧.

(٣) في هـ: بالخراب.

(٧) الانعام: ٣٨.

(٤) في هـ: إلى.

(٨) رواه الترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في فضل الفقر وقال حسن غريب من هذا الوجه ٤/٥٧٦ ط الحلبي.

(١٠) ساقط من جـ.

(٩) فيما عدا جـ وعد.

(١١) قراءة (يعدون) بالياء قرأ بها كثير وحمة والكسائي وخلف بالياء. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.

(١٢) قراءة (تعدون) بالتاء قرأ بها: ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر وعاصم ونافع ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٢/٣٢٧.

(١٣) فيما عدا هـ: لأنه خطاب للمستعجلين.

قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي عملوا في إبطالها ﴿معجزين﴾ ظانين ومقدرين أن يعجزونا ويفوتونا لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وهذا معنى قول قتادة: ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم، وهذا كقوله ﴿أم حسب الذين يعملون [السيئات]﴾^(١) أن يسبقونا﴾^(٢) ومن قرأ معجزين^(٣) فالمعنى: أنهم كانوا يعجزون من اتبع النبي ﷺ أي ينسبونهم إلى العجز، ثم أخبر عن هؤلاء أنهم أصحاب النار بقوله ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته إياه شفاهاً، والنبي: الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول^(٤) وقوله ﴿إلا إذا تمنى﴾ قال ابن عباس: إلا إذا قرأ، وقال المفسرون: تلا، وذكرنا التمني بمعنى: القراءة في قوله: ﴿إلا أماني﴾^(٥)، وقوله ﴿ألقي الشيطان في أمنيته﴾ أي تلاوته، قال: جماعة من المفسرون إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه فجلس يوماً ما في مجلس لهم وقرأ عليهم سورة النجم فلما أتى إلى قوله ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾^(٦) ألقى الشيطان في أمنيته^(٧) حتى وصل (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فاتاه جبريل وأخبره بما جرى من الغلط على لسانه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية^(٨) وهذا قول ابن عباس والسدي ومجاهد وقاتادة والزهري وسعيد بن جبير وغيرهم، قال عطاء عن ابن عباس: إن شيطاناً يقال له الأبيض أتى النبي ﷺ فألقى في قراءته وإنها الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى،

(١) ساقط من أ، ب.

(٢) العنكبوت: ٤

(٣) قراءة (معجزين) بتشديد الجيم من غير ألف، قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٣٩ والنشر ٣٢٧/٢.

(٤) للتوسع انظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٥٠/٢٣.

(٥) البقرة: ٧٨.

(٦) النجم: ١٩، ٢٠.

(٧) ساقط من ج.

(٨) قال ابن كثير عن هذه الرواية رويت من طرق كلها مرسله ولم أر من أسندها من وجه صحيح، وقال الهيثمي رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الحج ٧٢/٧ وسوف تفرد هذا البحث بدراسة منفصلة في قسم الدراسة.

وقال السدي عن أصحابه: لما وقع من هذا ما وقع أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد ويخبره أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله ولم يبعث نبي إلا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ وعلى هذا معنى قوله ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إذا أحب شيئاً ألقى الشيطان في محبته وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل ثم لا يقارون على ذلك^(١) وعلى ما قال ابن عباس إنما قاله الشيطان على [لسان]^(٢) رسول الله ﷺ ولم يكن له من ذلك إحساس قبل كانت فتنة من الله لعباده المؤمنين والمشركين وهو قوله ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ أي محنة، والله أن يمتحن بما يشاء، واللام في قوله ليجعل متعلقة بقوله ألقى، أي: ليجعل الله ما يلقي فتنة ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق وذلك أنهم اقتنوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع، فزادوا عتوا، وظنوا أن محمد يقول الشيء من عند نفسه ثم يندم فيبطله، وكذلك المشركون ازدادوا شراً وضلالة وتكديباً وهو قوله ﴿والقاسية قلوبهم﴾، قال ابن عباس: يريد المشركين وهم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله ﴿وإن الظالمين﴾ يعني: أهل مكة ﴿لفي شقاقٍ بعيد﴾ لفي خلاف شديد ثم وصف حال المؤمنين في هذه الفتنة فقال: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ التوحيد والقرآن، وقال السدي: والتصديق بنسخ الله وهو قوله ﴿أنه الحق من ربك﴾ ان نسخ ذلك وابطاله حق من الله ﴿فيؤمنوا به﴾ فيصدقوا بالنسخ ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ ترق قلوبهم للقرآن فينقادوا لأحكامه بخلاف المشركين الذين قيل فيهم ﴿والقاسية قلوبهم﴾ ثم بين أن هذا الإيمان والاحبات إنما هو بلطف الله وهدايته إياهم فقال: ﴿وإن الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
 الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ يعني: المشركين ﴿في مرية منه﴾ في مرية منه ﴿في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ﴾ يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ يعني ساعة موتهم أي حتى يموتوا أو يقتلوا وهو قوله ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يعني: يوم بدر في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي: وسمى الله ذلك اليوم عقيماً لأنه لم تكن فيه للكفار بركة ولا خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، قاله الضحاك واختاره الزجاج.
 قوله ﴿الملك يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لله﴾ من غير منازع ولا مدع فلا مالك ولا ملك يومئذ إلا الله وحده ﴿يحكم بينهم﴾ مما ذكر من قوله ﴿فالذين آمنوا﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ ثم ذكر فضل المهاجرين^(٣) فقال:

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

(١) معنى لا يقارون على ذلك أي لا يوافقون على ذلك ولا يشتون عليه انظر اللسان: قرر.

وستتناول ذلك بالتفصيل في مبحث «الغرائق» إن شاء الله.

(٢) ساقط من د.

(٣) في د: المجاهدين.

﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين﴾ قال السدي : هو رزق الجنة ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾ لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلد العين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المصدر وبمعنى المكان فإذا كان بمعنى المصدر فالمراد به إدخالاً يكرمون به فيرضونه وقرىء مدخلاً بفتح الميم^(١) على تقدير : فيدخلون مدخلاً يرضونه ﴿وإن الله^(٢) لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ عن عقابهم ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ثم قال ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن : بمعنى : قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثم بغى عليه﴾ أي ظلم بإخراجه من^(٣) منزله يعني : ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حين أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم قاتلوا المشركين دفعاً لهم عن أنفسهم ثم أخرجوا من ديارهم فوعدهم الله النصر بقوله ﴿لينصرنه الله﴾ يعني المظلوم الذي^(٤) بغى عليه ﴿[إن الله]^(٥) لعفو غفور﴾ قال ابن عباس : عفا من مساوىء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

﴿ذلك﴾ أي ذلك النصر ﴿بأنه﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته انه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع﴾ لدعاء المؤمنين ﴿بصير﴾ بهم حيث جعل فيهم البر والتقوى والإيمان ﴿ذلك﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿بأن الله هو الحق﴾ ذو الحق في قوله وفعله فدينه حق وعبادته حق ﴿وأن ما يدعون﴾ يعني : المشركين ﴿من دونه هو الباطل﴾ الذي ليس عنده ضر ولا نفع ﴿وأن الله هو العلي﴾ العالي على كل شيء بقدرته ﴿الكبير﴾ الذي يصغر كل شيء سواه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَفْلَكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

قوله : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ يعني : المطر ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ بالنبات ﴿إن الله لطيف﴾ بارزاق عباده واستخراج النبات من الأرض ﴿خبير﴾ بما في قلوب العباد عند تأخر المطر ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ عبداً وملكاً ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن عباده ﴿الحميد﴾ إلى أوليائه

(١) في هـ : وانه لعليم .

(٢) فيما عدا ج، هـ عن .

(٣) في هـ : اخرجوهم .

(٤) تفسير ابن جرير ١٧ / ١٣٦ .

(٥) ساقط من جـ .

وأهل طاعته ﴿الم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد البهائم التي تتركب^(١) ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ وسخر لكم الفلك في حال جريها ﴿ويمسك السماء أن^(٢) تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من السماء حتى لا تقع عليهم فيهلكوا ﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث والحساب ﴿إن الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿لكفور﴾ لنعم الله حين ترك توحيد.

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿لكل أمة﴾^(٣) لكل قرن مضى ﴿جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾ قال ابن عباس: يريد شريعة هم عاملون بها ﴿فلا ينزع عنك في الأمر﴾ يعني: في الذبائح وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة وقالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم^(٤) قال الزجاج: ومعنى القول: فلا ينزع عنك أي لا تنازعهم أنت كما تقول لا يخاصمك فلان في هذا أي لا تخصصه وهذا جائز فيما يكون بين اثنين ولا يجوز لا يضربك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك ان المخاصمة لا تتم إلا باثنين فاذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هنالك^(٥) ﴿وادع إلى ربك﴾ إلى الإيمان به والعمل بما شرعه ﴿إنك لعلی هدى﴾ دين ﴿مستقيم وإن جادلوك﴾ خاصموك في امر الذبيحة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من التكذيب فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ تذهبون فيه إلى خلاف ما نذهب.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿الم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ قال ابن عباس: يريد قد علمت وأيقنت ذلك وهذا استفهام يراد به التقرير ﴿إن ذلك في كتاب﴾ يعني: ما يجري في السماء والأرض كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك ان علمه بجميع ذلك﴾ على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه العلم به.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ

(١) تسخير الله لا يقتصر على البهائم وحدها وإنما تشمل كل ما على وجه الأرض ينتفع به الإنسان ولكنه في البهائم أوضح لانه لولا تسخير الله لها لما تمكن الإنسان من ركوبها والانتفاع بها وذلك لقوتها ووحشيتها.

(٢) في هـ: لتلا.

(٣) في أ: لكل أمة جعلنا وهي مكررة.

(٤) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة تفسير ابن جرير ١٣٩/١٧ ورواه السيوطي عن ابن المنذر موقوفاً على مجاهد تفسير الآية الدر

٧١٣/٦ ط دار الفكر.

(٥) فيما عدا ج: هناك.

يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعني: أهل مكة ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حجة ﴿وما ليس لهم به علم﴾ انها آية ﴿وما للظالمين من نصير﴾ وما للمشركين من مانع من العذاب قوله ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات﴾ يعني: القرآن ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ قال مقاتل: ينكرون القرآن أن يكون من الله والمنكر بمعنى: الإنكار، والتأويل أثر الإنكار من الكراهية والعبوس ﴿يكادون يسطون﴾ يقعون بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ^(١) ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي يكادون يسطون اليهم أيديهم بالسوء، يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف والشدة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تسمعون ثم ذكر ذلك فقال: ﴿النار﴾ أي هو النار ﴿وعذاب الله الذين كفروا﴾ أي يصيرهم إليها ﴿وبئس المصير﴾ هي، وقوله:

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَعْمُوا لَهُ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ قال الاخفش: إن قيل فأين المثل الذي ذكره الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى: ان الله قال ضرب لي مثل أي شبه بي الاوثان ثم قال ﴿فاستمعوا له﴾ لهذا المثل الذي جعلوه مثلاً وتأويلاً للآية جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها معي فاستمعوا حالها ثم بين ذلك فقال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام وكانت ثلثمائة وستين حول الكعبة ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ في صغره ومكته ﴿ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ مما عليهم، قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه فلا يقدر أن يسترده من الذباب ويستنقذه منه فذلك قوله ﴿لا يستنقذوه منه﴾^(٢) وقال السدي: كانوا يجعلون للأصنام طعاماً فيقع عليه الذباب فيأكل منه فلا يستطيع أن يستنقذه منه وقوله ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: الطالب الصنم والمطلوب الذباب وروي عنه على العكس من هذا، وهو ان الطالب الذي يطلب ما يسلب من الطيب على الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منع السلب وقال السدي: الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه وهذا معنى قول الضحاك العابد والمعبود ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له ﴿إن الله لقويٌّ عَزِيزٌ﴾ على خلقه ﴿عزیز﴾ في ملكه.

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ﴿ومن الناس﴾ يريد النبيين أخبر الله ان الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه فيجعلهم رسله وانبياءه ﴿إن الله سميع﴾ لمقاتلهم ﴿بصير﴾ بمن

(١) في هـ: الغيظ وهم... وليس لها موضع.

(٢) روى ذلك ابن جرير ١٧/١٤٠.

يتخذة رسولا ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس: ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ ما خلفوا وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم وما هم غافلون^(١) عنه مما لم يعملوا بعد^(٢)، قوله:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ قال المفسرون: يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا بحر^(٣) بن نصر^(٤)، قال قرأ علي ابن وهب: أخبرك بن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر قال: قلت لرسول الله ﷺ في سورة الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما^(٥) وقوله ﴿واعبدوا ربكم﴾ قال مقاتل: يقول: وحدوا ربكم، يعني: أن من أشرك بعبادته غيره لم يوحده^(٦) ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن عباس: يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، وقوله:

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْكُمْ ۗ إِِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ أكثر المفسرين حملوا الجهاد ها هنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى، وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى، وقال مقاتل بن حيان: هو أن يجتهدوا في العمل وقال مقاتل بن سليمان: نسختها الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٧) وحمله الضحاك على مجاهدة الكفار فقال: جاهدوا بالسيف من كفر بالله وان كانوا الآباء والابناء وروى عبد الله^(٨) بن المبارك: أنه حمله على مجاهدة الهوى والنفس ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم واصطفاكم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق فالمعنى: ما جعل من التوبة والكفارات جعلها الله مخرجاً من الذنوب فمن أذنب ذنباً لم يبق في ضيق ذلك الذنب وله منه مخرج إما بالتوبة أو القصاص أو بنوع كفارة أو

(١) في هـ: عاملون مما لم يعملوا.

(٢) أرى أن رأي ابن عباس هو الذي يستقيم مع المعنى المراد من قوله ما بين أيديهم وما خلفهم.

(٣) بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولاهم المصري ولد سنة ١٨٠ ت سنة ٢٦٧ التهذيب ١/٤٢٠.

(٤) في النسخة هـ: بصر بن نصر وهو تصحيف.

(٥) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٤/١٥١، ١٥٥ وأبو داود في كتاب الصلاة باب تفرغ أبواب السجود حديث ١٤٠٢/٢ ٣٥٤ ط الحلبي.

والترمذي أبواب السفر باب في السجدة في الحج حديث ٢٥٧٨/٤٧٠ ط الحلبي، الحاكم في المستدرک كتاب التفسير سورة الحج

وقتيبة بن لهيعة ٢/٣٩٠.

(٦) في هـ: يوحده.

(٧) التغابن: ١٦.

(٨) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ت سنة ١٨١ هـ عن ثلاث وستين سنة انظر التقريب ١/٤٤٥.

برد مظلمة فلم يتل المؤمنين بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرج، وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كالقصر^(١) والتيمم وأكل الميتة والإفطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبي واختيار الزجاج. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الإصر^(٢) والشدائد التي كانت عليهم وضعها الله تعالى على هذه الأمة وقوله ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ قال الاخفش والمبرد والفراء والزجاج: أي عليكم ملة أبيكم^(٣) والمعنى اتبعوها [واحفظوها]^(٤) والخطاب ان كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة وإن كان خطاباً عاماً فهو أبو المسلمين كلهم لأن حقه عليهم كحق الوالد وأمرنا باتباع ملته جملة^(٥) لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ وقوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ أي الله تعالى سماكم بهذا الاسم قبل إنزال القرآن في الكتب التي أنزلت قبله ﴿وفي هذا﴾ يعني: القرآن، وقال مقاتل: من قبل يعني: في أم الكتاب ﴿ليكون [الرسول]﴾^(٦) أي اجتباكم الله وسماكم المسلمين ليكون الرسول محمد ﷺ ﴿شهاداً عليكم﴾ يوم القيامة بالتبليغ ﴿وتكونوا﴾ انتم ﴿شهداء على الناس﴾ ان الرسل بلغتهم وهذا كقوله ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾^(٧) الآية وقوله ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قال مقاتل^(٨): فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله.

حدثنا المفضل بن اسماعيل، نا جدي الامام أبو بكر الإسماعيلي، أنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، نا زكريا بن يحيى^(٩) البلخي، نا عمر بن هارون، نا عثمان بن عطاء الخراساني^(١٠) عن أبيه^(١١) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة»^(١٢) وقوله ﴿واعتصموا بالله﴾ قال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره وقال الحسن: تمسكوا بدين الله وقال مقاتل: ثقوا بالله ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم والذي يتولى أموركم ﴿ونعم المولى﴾ هو لكم ﴿ونعم النصير﴾.

(١) فيما عدا هـ: كالقصر.

(٢) الإصر: الأثم والعقوبة، وأصله: من الضيق والحبس. النهاية لابن الأثير باب الهمزة مع الصاد.

(٣) في معاني القرآن للفراء: أي وسع عليكم ملة أبيكم ٣١/٢.

(٤) ساقط من ب.

(٥) ليث في هـ.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا أ.

(٧) البقرة: ١٤٣.

(٨) في ب، هـ: قتادة.

(٩) زكريا بن يحيى بن صالح بن سليمان البلخي أبو يحيى ت سنة ٢٣٣ عن ست خمسين سنة التقريب ٢٦٢/١.

(١٠) عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) شذرات الذهب ١/١٩٢، طبقات الحفاظ ص ٦٠ ولقد قال فيه

السيوطي: قال ابن حبان كان رديء الحفظ.

(١١) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف لضعف عطاء الخراساني وولده عثمان بن عطاء.

سورة المؤمنون

مكية وآياتها ثمانى عشرة ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الزعفراني، أنا أبو عمرو السجستاني^(١)، أنا أبو الفضل الأسدي، أنا أبو عبد الله الربوعي، نا سلام بن سليم، نا [هارون بن كثير]^(٢) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المؤمنین بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت»^(٣).

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

«حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري املاءً، أنا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد اليبوردي، نا عبد الرزاق نا يونس بن سليم عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عثمان^(٤) القاري قال سمعت عمر بن الخطاب^(٤) يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا [وأعطنا]^(٥) ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضّ عنا ثم قال لقد انزلت علينا عشر آيات من اقامهنّ دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون إلى عشر آيات» رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه^(٦) عن القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن

(١) في هـ: السخيتاني.

(٢) ساقط من ج، وفي د، هـ حدثنا سلام بن سليم الاسناد الذي ذكر عن أبي.

(٣) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم وأول الحج.

(٤) ساقط من ج، د وفي هـ عبد الرحمن عبد الهادي وهو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمي القاري تهذيب التهذيب

. ٢٢٧/٦

(٥) من: ب.

(٦) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣٤/١، والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون ٣٢٦/٥ ط الحلبي، والحاكم في المستدرک کتاب

التفسير سورة المؤمنون ٣٩٢/٢.

عبد الرزاق (١) فكأنني سمعت هذا الحديث من (٢) القطيعي، قال الفراء: قد ها هنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال قد يقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه ألا ترى أنهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها ويكون المعنى في الآية أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال (٣) قال ابن عباس: قد سعد المصدقون وبقوا في الجنة ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ساكتون متواضعون، قال ابن عباس: خشع من خوف الله فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره، وقال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فطأ رأسه (٤)» ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك بالله، وهو قول الضحاك، وقال الحسن: عن المعاصي، قال الزجاج: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يحمد من القول والفعل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي مؤدون فعبء عن التأدية بالفعل لأنه فعل. قال ابن عباس: للصدقة الواجبة مؤدون ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ قال الليث (٥): الفرج اسم يجمع سوءات الرجال والنساء فالقبلان وما حواليهما كله فرج، والمراد بالفروج ها هنا فروج الرجال خاصة قال الكلبي: يعني يعفون عما لا يحل لهم ﴿إلا على أزواجهم﴾ على ها هنا بمعنى من في قول الفراء (٦)، وقال الزجاج: المعنى: أنهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم، ودل على المحذوف ذكر اللوم في آخر الآية، قال مجاهد: يحفظ فرجه إلا من امرأته أو [من] (٧) أمته فانه لا يلام على ذلك ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي طلب سوى الأزواج والإماء المملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ وقرأ ابن كثير لأمانتهم (٨) واحدة وذلك أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثير وإن كان مفرداً في اللفظ والأمانة (٩) تختلف نحو الأمانة التي بين العبيد في حقوقهم كالودائع والبضائع وما تكون اليد فيه يد أمانة وتكون الأمانة التي بين الله وبين عباده كالصيام والاعتسال والصلاة ويجب على المؤمن الوفاء بجميع ضروب الأمانات وقوله ﴿وعهدهم راعون﴾ قال ابن عباس إذا عاهد رجلاً وفى له ومعنى: راعون حافظون ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ وقرىء صلاتهم (١٠) ومن أفرد فلأن الصلاة في الأصل مصدر ومن جمع (١١) فلأنه قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها ومعنى الآية والذين هم ﴿يحافظون﴾ على الصلوات المكتوبة فيقيمونها في أوقاتها (١٢)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحيري أبو بكر الصنعاني ت سنة ٣١١ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ١٥٤.

(٢) في هـ: عن.

(٣) وقال الزركشي في البرهان: واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا ان تكون جواباً لمتوقع، كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله. البرهان في علوم القرآن ٤/٣٠٥.

(٤) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون، وقال صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قال مرسل، وعقب الذهبي بأن الصحيح أنه مرسل. المستدرک ٢/٣٩٣.

(٥) في هامش النسخة أ: الفراء، ونص الليث في تهذيب اللغة للأزهري ١١/٤٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣١.

(٧) النشر في القراءات العشر ٢/٣٢٨ والسبعة ص ٤٤٤.

(٨) ليست في ج، د.

(٩) قراءة ﴿صلاتهم﴾ بالإفراد قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٢/٣٢٨.

(١٠) قراءة ﴿صلواتهم﴾ بالجمع قرأ بها. ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وحفص ويعقوب. انظر السبعة ص ٤٤٤ والنشر ٢/٣٢٨.

(١٢) وإن قيل لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلي له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلي له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها. انظر الكشاف للزمخشري ٣/٤٢ بيروت.

﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات ﴿هم الوارثون﴾ يرثون منازل أهل النار من الجنة أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان حدثني أبو العباس بن ماهان البشيري بها، أنا أحمد بن القاسم بن نصر الفرائضي، نا أبو همام الوليد^(١) بن شجاع، نا أبو معاوية، نا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله عز وجل: أولئك هم الوارثون^(٢) ثم ذكر ما يورثون فقال: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ قال ابن عباس: يريد خير الجنان وقال مجاهد: من حفظ عمل العشرة من سورة المؤمنين ورث الفردوس. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن العباس بن^(٣) أيوب، نا محمد بن أبي معشر، حدثني أبي عن عون بن عبد الله بن الحارث عن أخيه عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث قيل: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال الذي يقر السوء لأهله^(٤).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۚ ۝١٢ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۚ ۝١٣ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۚ ۝١٤ ثُمَّ إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۚ ۝١٥

قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ السلالة ما يسلم من الشيء أي ينزع ويستخرج يقال للنطفة سلالة وللولد سليل قال ابن عباس في رواية ابن يحيى الأعرج^(٥) السلالة صفو الماء وقال مجاهد: مني بني آدم وقال عكرمة [هو]^(٦) الماء يسلم من الظهر سلاً، والمراد بالإنسان ولد آدم وهو اسم الجنس يقع على الجميع، وقوله ﴿من طين﴾ يعني طين آدم والسلالة إنما تولدت^(٧) من طين خلق آدم كما قال الكلبي: يقول من نطفة سلت سلاً النطفة من طين والطين آدم ﴿ثم جعلناه﴾ يعني ابن آدم الذي هو الإنسان ﴿نطفة في قرار مكين﴾ يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هيء لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذي جعل له ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ مفسر في سورة الحج إلى قوله ﴿فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً﴾ وقرئ كلاهما عظماً على الواحد^(٨) قال الزجاج: التوحيد والجمع جائزان والواحد يدل على الجمع كما قال [الشاعر]^(٩)

في خلقكم عظم وقد شجينا^(١٠)

(١) أبو همام: الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس الكوفي الكندي ت سنة ٢٢٣ هـ التهذيب ١١/١٣٩.

(٢) في مجمع الزوائد هذا صحيح على شرط الشيخين مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة المؤمنون.

(٣) محمد بن العباس أيوب أبو جعفر الاصبهاني ت سنة ٣٠١ هـ تذكرة الحفاظ ٢/٧٤٧، العبر ١٢٠/٢ طبقات الحفاظ (٣١٥).

(٤) حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن أبا معشر أحد رواة متروك الحديث ولكن روى الإمام أحمد في مسنده حديث ثلاثة حرم الله

عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث. المسند ٢/١٣٤، ٦٩، ١٢٨.

(٥) أبو يحيى الأعرج: مصدع المعرقب الأعرج الأجرد عرقبه بن بشر بن مروان انظر كتاب الميزان ٦/٨٢٠.

(٦) ساقط من د. (٧) في هـ: يولد.

(٨) قراءة (عظماً) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على الأفراد، قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم أما قراءة الجمع (عظماً) فقد

قرأ بها باقي القراء انظر: السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٢/٣٢٨.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) هذا عجز بيت للمسيب بن زيد صدره لا تنكر القتل وقد سبينا.

يريد في خلقكم عظام، وقوله ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال ابن عباس: يعني: الروح فيه وذلك أنه كان عظماً ولحمًا مواتاً فلما جعل فيه الروح صار خلقاً آخر وهو قول السدي ومجاهد والشعبي وعكرمة والأكثرين وعن مجاهد أيضاً قال: هو أن يستوي شبابه وهو قول الضحاك، وقال قتادة: يعني نبات الشعر والأسنان، وقال الحسن: يعني: ذكر وأنتى، وقوله ﴿فتبارك الله﴾ أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ المصورين والمقدرين والخلق في اللغة: التقدير يقال: خلقت الاديم^(١) إذا قسته لتصنع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية يصنعون ويصنع^(٢) والله خير الصانعين يقال رجل خالق، أي صانع ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لمبعثون﴾ عند آجالكم ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ للجزاء والحساب قوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ قالوا كلهم يعني: سبع سموات كل سماء طريقة سميت لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وأنزلنا منها عليهم الماء وهو قوله:

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر يعلمه الله وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة ﴿فأسكناه في الأرض﴾ يريد ما يبقى في الغدران^(٣) والمستنقعات والدحلان^(٤) أقر الله الماء فيها لينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر اخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين النقيب، أنا جدي، أنا محمد بن الحسين البزار، نا عثمان بن سعيد، نا سعيد بن سابق الاسكندراني، نا مسلمة بن علي^(٥) عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «إن الله أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم فذلك قوله عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

= انظر المقتضب ١٧٠/٢ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(١) الاديم: الجلد المدبوغ. لسان العرب فصل الهمزة حرف الميم.

(٢) فيما عداه: ويصنع الله.

(٣) الغدران: جمع غدير وهي مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً اللسان مادة غدر.

(٤) الدحلان: جمع الدحل وهو الهوة تكون في الأرض وفي سافل الأودية فيها ضيق ثم تتسع الصحاح مادة دحل.

(٥) مسلمة بن علي بن خلف أبو سعيد الدمشقي ت قبل سنة ١٩٠ هـ التهذيب ١٠/١٤٦ ولقد بين ابن حجر في التقریب بأنه متروك

الحديث. التقریب ٢/٢٤٩. وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال وقال ليس بشيء وذكر روايته لهذا الحديث وبعد أن أورده

قال: رواه مسلمة عن مقاتل غير محفوظ بل هو منكر المتن، الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٢٣١٥.

الأرض) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة ويرفع كل ذلك إلى السماء^(١) وذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين هذا الحديث رواه الإمام أبو العباس الحسن^(٢) بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة أنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل، أنا أبو عمرو ومحمد بن أحمد الحيري، أنا الحسن بن سفيان قال وجدت فيما اجاز لي عثمان بن سعيد، أنا سعيد بن سابق الاسكندراني فذكر الحديث^(٣) ثم ذكر الله تعالى ما أنبت من السماء فقال: ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة﴾ عطف على قوله جنات والمفسرون كلهم يقولون يعني: شجرة الزيتون وخصت بالذكر لأنه لا يتعاهدها أحد بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة فذكرت النعمة فيها وقوله ﴿تخرج من طور سيناء﴾ قرى بفتح السين^(٤) وكسرهما^(٥) وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي اسم المكان الذي به هذا الجبل في اصح الأقوال^(٦) وسيناء في قول مجاهد اسم حجارة بعينها اضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقال الكلبي: طور سيناء الجبل المشجر، وقال عطاء يريد: الجبل الحسن وقوله ﴿تنبت بالدهن﴾ أي تنبت لأنه يعصر من الزيتون الزيت والباء في بالدهن للتعدي يقال: أنبتته ونبت به ومن قرأ تنبت بضم التاء^(٧) فإن جعلت أنبت بمعنى كقول زهير^(٨):

«حتى إذا أنبت البقل»

فهذه القراءة كالأول سواء وإن جعلت تنبت من الانبات الذي هو مضارع^(٩) أنبت فالباء في بالدهن زيادة كزيادتها

(١) في الدر المنثور اخرج ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر ٩٥/٦ دار الفكر ولكن في صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة. كتاب الجنة ونعيمها باب ما في الدنيا من أنهار الجنة. والإنزال هنا انزال مجازي لا حقيقي.

(٢) في ج ابن الحسن.

(٣) في الدر المنثور اخرج ابن مردويه والخطيب بسند ضعيف عن ابن عباس الدر المنثور ٩٥/٦ ط دار الفكر.

(٤) قراءة (سيناء) بفتح السين، قرأ بها: أبو جعفر وحمة والكسائي ويعقوب وخلف وابن عامر وعاصم. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٥) قراءة (سيناء) بكسر السين، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٦) على هامش النسخة (ب) هذه العبارة أضيفها: قطن بالمكان أقام به والجمع قطان وقاطنة وقطين أيضاً والقطن الخدم والأتباع والقطين سكن الدار يقال جاؤوا بقطينهم ومنه قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل.

(٧) قراءة (تنبت) بضم التاء وكسر الباء قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو أما باقي القراء فقد قرءوا (تنبت) بفتح التاء وضم الباء السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٨) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ت سنة ١٣ قبل الهجرة سنة ٦٠٩ م الاعلام للزركلي ٥٢/٣، الأغاني ٢٨٨/١٠ ط الدار وما ورد جزء من بيت في قصيدة من ديوانه يمدح بها سنان بن أبي حارثة يقول فيها:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل
شرح شواهد المغني للسيوطي ط لجنة التراث العربي ٣١٤/١ وديوان زهير ص ١١١ ومطلع هذه القصيدة:
صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالبقل

(٩) فيما عدا: مطاوع.

في قوله ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿وَصَيِّغْ لِلْأَكْلِينَ﴾ الصيغ والصباغ ما يصطبغ به من الأدم وذلك أن الخبز يلون بالصيغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت المغمس فيه للاتتماد به والمراد بالصيغ بالزيت في قول ابن عباس: فإنه يدهن به ويؤتمد، وقال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودهناً فالأدم الزيتون والدهن الزيت قوله: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ مفسرة في سورة النحل إلى قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من لحومها وأولادها والكسب عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يريد الإبل خاصة ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ﴾ قال الكلبي: ما في البحر فالسفن وما في البر فالإبل وهذا كقوله ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٢).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ٢٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ٢٥

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قال ابن عباس: يعزي نبيه ﷺ بأن غير أمته قد كذبوا الأنبياء وجحدوا البعث ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أطيعوه ووحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ما غيره رب ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [أفلا تتقونه]^(٣) بالطاعة والتوحيد ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يعني الاشراف والرؤساء وذوي الأمر منهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي أنه آدمي لا فضل له عليكم ﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يعبد شيء سواه ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ولم يرسل بشراً آدمياً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ في الأمم الماضية ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ انتظروا موته فتستريحوا منه.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ٢٦ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّوْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٨ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ٢٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ٣٠

﴿قال رب انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ بتكذيبهم والمعنى: انصُرْنِي بِأَهْلَاكِهِمْ جَزَاءَ لَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ مفسر في سورة هود إلى قوله: ﴿فاسلك فيها﴾ أي: أدخل في سفيتك ﴿وقل رب أنزلني منزلاً﴾ يجوز أن يكون المنزل بمعنى الإنزال، والمعنى: إنزالاً ﴿مباركاً﴾ قال مقاتل: يعني: بالبركة أنهم تولدوا وكثروا و[يجوز]^(٤) أن يكون المنزل موضعاً للإنزال كأنه قيل أنزلني مكاناً أو موضعاً؛ وهو قول الكلبي: منزلاً

(١) البقرة: ١٩٥، وقوله إن الباء في (بالدهن زيادة) هذا غير مسلم فإن الباء هنا متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تثبت ملتبسة به ومستصحبة له انظر: تفسير روح البيان ٧٦/٦.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) ليست في هـ.

(٤) ساقط من جـ.

مباركاً بالماء والشجر، وقرأ وعاصم منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي^(١) يعني: موضع نزول قال المفسرون: إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك الحمد لله وعند نزوله أنزلني منزلاً مباركاً ﴿وأنت خير المنزلين﴾ قال ابن عباس: يريد من السفينة ولذلك قيل له ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾^(٢) وهذا جواب دعائه ﴿إن في ذلك﴾ يعني في أمر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله ﴿لايات﴾ لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ وما كنا إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره، وقوله:

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ أَمْثَلًا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِحَّ نَدْمِيْنِ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ يعني: عاداً قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ هوداً وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿أيعدكم أنكم مخرجون﴾ [قال الزجاج: أنكم موضعها نصب على معنى أيعدكم أنكم مخرجون]^(٣) إذا تم فلما طال الكلام أعيد ذكرانه كما قال عز وجل ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾^(٤) المعنى: فله نار جهنم ﴿هيات هيات لما توعدون﴾ بعد الأمر جداً حتى امتنع وهو اسم سمي به الفعل وهو بعد كما قالوا صه بمعنى: اسكت ومه بمعنى: لا تفعل وليس له اشتقاق وفيه ضمير يقع عائد إلى قوله ﴿إنكم مخرجون﴾ الذي هو بمعنى الإخراج، والتقدير هيات هيات هو أي الإخراج، والمعنى: بعد إخراجكم للوعد الذي توعدون وهو بعد الموت استبعد اعداء الله إخراجهم ونشرهم لما كانت العدة به بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في قوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾^(٥) قال ابن عباس في هذه الآية ينفون أن ذلك لا يكون، وقال الكلبي: يقولون: بعيد بعيد ما وعدكم^(٦) ليوم البعث، قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت فقل هيهاه^(٧) يدل على [هذا]^(٨) ما

(١) قراءة منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي: هي قراءة عاصم في رواية ابن بكر أما حفص فقد روي عنه (منزلاً) بضم الميم وفتح الزاي كما قرأ بقية القراءة. انظر السبعة ص ٤٤٥ والنشر ٣٢٨/٢.

(٢) هود: ٤٨.

(٥) يس: ٧٩.

(٣) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: ما بعدكم.

(٤) التوبة: ٦٣.

(٧) وقف البزي والكسائي على هيات هيات الأولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على المرسوم كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرق لأبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الانصاري ص ٨٥.

(٨) ليست في هـ.

روي عن سيبويه أنه قال هي بمنزلة علقاه يعني في التأنيث^(١) وإذا كان كذلك كان الوقف بالهاء قال الفراء : كان الكسائي يختار الوقف بالهاء وأنا أختار التاء وعنده أن هذه التاء ليست بتاء^(٢) التأنيث، قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ قالوا ما الحياة إلا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التي تعدنا بعد البعث^(٣) ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ نهلك نحن ويبقى [أبناؤنا]^(٤) ويهلك أبناؤنا^(٥) ويبقى أبناؤهم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ما هو إلا مفتر كاذب^(٦) على الله في ذكر البعث^(٧) ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين فيما يقول ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ تقدم تفسيره^(٨) ﴿قَالَ﴾ الله ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان والوقت يعني : عند الموت أو عند نزول العذاب بهم ﴿لِيَصْبِحَ نَادِمِينَ﴾ على الكفر والتكذيب ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم بتصدع قلوبهم وقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ وهو ما جاء به السيل من نبات قد ييس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وحشيش وعيدان شجر فهو غثاء، والمعنى : صيرناهم هلكى فييسوا كما ييس الغثاء من نبات الأرض [فهمدوا]^(٩) ﴿فَبَعْدَ﴾ أي ألزمهم الله بعداً من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين المشركين وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله :

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [أي]^(١٠) بعضها في إثر بعض غير متصلين لأن بين كل نبين دهرًا طويلًا وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي^(١١) : يقال واترت الخبير أتبعته بعضه^(١٢) بعضاً وبين الخبرين هنيهة وهي كالدهوى والتقوى وأكثر العرب على ترك تنوينها وقرأ ابن كثير تترًا^(١٣) منونة وتترًا على هذه القراءة فعلاً والألف فيها كالألف في رأيت زيداً وعمراً فإذا وقفت كانت الألف بدلاً من التنوين وحققا أن تفخيم ولا تمال، قال المبرد : من قرأ تترى فهو مثل شكوى ومن قرأ تترى مثل شكوت شكوى وعلى القراءتين جميعاً التاء الأولى بدل من الواو وتترًا مصدرًا واسم قام مقام الحال لأن المعنى متواترة، وقوله ﴿كَلِمًا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ اهلكتنا الأمم بعضهم في أثر بعض ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ

(١) الكتاب لسيبويه ٢٩٠/٣ .

(٢) في هـ . بهاء والنص في معاني القرآن للفراء ٢٣٥/٢ .

(٣) في د بعد الموت البعث وفي هـ بعد الموت والبعث .

(٤) في هـ ويبقى أبناؤنا .

(٥) ساقط من هـ .

(٦) الأصمعي : عبد الملك بن قريش أبو سعيدت سنة ٢١٣ هـ .

انظر : نزهة الالباء للاباري ص ١٢١ ، طبقات المفسرين للدواوي ٣٥٤/١ .

(٧) في هـ : بعضها .

(٨) ليست قراءة ابن كثير وحده وإنما قرأ بها أيضاً : أبو جعفر وأبو عمرو . انظر السبعة ص ٤٤٦ ، والنشر ٢/٢٢٨ .

عَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

وقوله ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ يعني الدلائل التي كانت لهما ﴿وسلطان مبين﴾ وحجة بينة يعني: اليد والعصا ﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا﴾ قال ابن عباس عن عبادة الله تعالى، وقال مقاتل: تكبروا عن الإيمان بالله ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم وهو معنى قول ابن عباس: علوا على بني إسرائيل علواً كبيراً، وقال مقاتل: يعني متكبرين عن توحيد الله يدل عليه قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أنصدق إنسانين من لحم ودم ليس لهما علينا فضل ﴿وقومهما﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ قال ابن عباس: مطيعون قال أبو عبيدة: العرب تسمى كل من دان لملك عابده له^(١) وقال المبرد: العابد المطيع الخاضع ﴿فكذبوهما﴾ يعني موسى وهارون ﴿فكانوا من المهلكين﴾ بتكذيبهما ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا به من الضلالة، قال مقاتل: يعني بني إسرائيل لأن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه قوله:

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ هذا كقوله ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾^(٢) وقد تقدم وقوله ﴿وآويناها﴾ أي وجعلناها بأويان ويرجعان ﴿إلى ربوة﴾ وهي المكان المرتفع من الأرض، قال ابن عباس^(٣): يريد دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل ورواية^(٤) عكرمة عن ابن عباس، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال: وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً^(٥) وقال السدي: إنها أرض فلسطين وهو قول أبي هريرة وقوله ﴿ذات قرار﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار ﴿ومعين﴾ يعني: الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون.

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله ﴿يا أيها الرسل﴾ قال الحسن ومجاهد وقاتادة والسدي والكلبي ومقاتل: يعني محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذاي^(٦) أمروا، قوله ﴿كلوا من الطيبات﴾ قال ابن عباس من الحلال [وقال الضحاك: أمرهم الا يأكلوا الإحلالاً طيباً]^(٧) وقال الحسن اما والله ما عنى به أصفركم ولا

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٥٩/٢.

(٢) الانبياء: ٩١.

(٣) في هـ: قال عبد الله بن سلام: هي دمشق وهو قول إسماعيل بن المسيب ومقاتل... الخ.

(٤) في هـ، د في رواية وهذا القول من تفسير ابن جرير ٢٠/١٨.

(٥) تفسير ابن جرير ٢١/١٨ وإن كان في هذا القول نظر بعد ما ثبت كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس.

(٦) في هـ كما.

(٧) ساقط من د، هـ.

أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه ﴿واعملوا صالحاً﴾ [أي] (١) بما أمركم الله به وأطيعوه في أمره ونهيه ﴿إني بما تعملون عليم﴾ لا يخفى علي شيء (٢) من أعمالكم.

﴿وإن هذه أمتكم﴾ ان في قراءة من (٣) قرأ بفتح الألف معطوفة على الجار في قول الخليل وسيبويه التقدير: ولأن هذه أمتكم (٤) ﴿أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أي اتقون (٥) لهذا ومن قرأ بالتخفيف فإن هي (٦) المخففة من المشددة كقوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (٧) ومن كسر مع التشديد (٨) فهو على الاستثناف ومعنى الآية قال مقاتل: يقول هذه التي أنتم عليها ملة الإسلام، ملة واحدة عليها كانت الانبياء والمؤمنون الذين نجوا من العذاب، والمعنى: أنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهو قوله ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ والكلام في الاثنين قد تقدم، وقوله ﴿زيراً﴾ قال المبرد: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحداً زبور، هو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، قال الكلبي: يعني مشركي العرب [واليهود] (٩) والنصارى تفرقوا احزاباً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ بما عندهم من الدين راضون يرون أنهم على الحق ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ في [حيرتهم] (١٠) وغلقتهم وضلالتهم وجهالتهم قال مقاتل: يعني كفار مكة، وقوله ﴿حتى حين﴾ قال ابن عباس: يريد (١١) نزول العذاب بالسيف أو بالموت ﴿أيحسبون أنما﴾ (١٢) نمدهم به من مال وبنين ﴿أي: أيحسبون أن ما يعطيهم الله في هذه الدنيا من الأموال والبنين إنما يعطيهم ثواباً ومجازاة لهم لا بل هو استدراج لهم من الله وهو معنى قوله ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ ومعنى نسارع: نسرع [أي] (١٣) أيحسبون أنا نتعجل في تقديم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم حين بسطنا لهم الرزق وأكثرنا أولادهم ﴿بل لا يشعرون﴾ لا يعلمون أن ذلك شر لهم، ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ الإشفاق: الخوف، تقول: أنا مشفق من هذا الأمر أي خائف، والمعنى: أنهم لما هم عليه من خشية الله خائفون من عذابه ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ قال ابن عباس: يصدقون (١٤) بالقرآن أنه من

(١) لفظ أي ساقط من «ه».

(٢) في ه عليه.

(٣) قراءة (أن) بفتح الألف وتشديد النون قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٤) الكتاب لسيبويه ١٢٦/٣.

(٥) في ج: اتقوني.

(٦) في د، ه كان، وقراءة (أن) بفتح الألف وتخفيف النون قرأ بها ابن عامر انظر: السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٧) يونس: ١٠.

(٨) قراءة (إن) بكسر الهمزة مع التشديد قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٨/٢.

(٩) ساقط من هـ.

(١٢) في ج: يحسبون.

(١٣) ليست في هـ.

(١٠) ساقط من د.

(١٤) في هـ: مصدقون.

(١١) في هـ: يعني.

عند الله ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ لا يعبدون معه غيره ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي يتصدقون ويعملون الأعمال الصالحة ﴿وقلوبهم [وجلة]﴾^(١) خائفة أن لا يقبل منهم، قال مجاهد: المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل وقال الحسن: المؤمن جمع إحساناً وشفقة والمنافق جمع إساءة وأمناً وإيتاء المال في هذه الآية عبارة عن الأعمال الصالحة إذ هو الأفضل والأشق على النفس أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الله بن محمد الصوفي، أنا محمد بن أيوب، نا جرير عن ليث عن عمرة^(٢) عن عائشة قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...﴾ الآية فقال: يا ابنة الصديق الذي يصومون وهم يفرقون^(٣) أن لا يقبل منهم ويصلون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم ويتصدقون وهم يفرقون أن لا يقبل منهم^(٤) أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق، أنا أبو بكر القطيعي، نا إدريس بن عبد الكريم المقرئ، نا عاصم بن علي، نا أبو الأشهب^(٥) العطاري عن الحسن في قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ قال: كان^(٦) ما عملوا من أعمال البر يرون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله، قال الزجاج: قلوبهم خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون، قال صاحب النظم: فالوجل واقع على مضمر وقوله ﴿أنهم إلى ربهم﴾ سبب له على تأويل: وقلوبهم وجلة لا يقبل منهم لعلمهم أنهم إلى ربهم ﴿راجعون﴾ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله يخافون أن لا يقبل منهم قوله: ﴿وأولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون في الأعمال الصالحة ﴿وهم لها﴾ أي إليها ﴿سابقون﴾ قاله الفراء^(٧) والزجاج، وقال ابن عباس: ينافسون فيها أمثالهم من أهل البر والتقوى، وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى^(٨) الخيرات.

وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ ﴿١٣﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِمَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿١٤﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ ﴿١٥﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿١٦﴾

قوله ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي: إلا طاقتها من العمل فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فيصلح جالساً وقد سبق هذا في آخر سورة البقرة ﴿ولدينا كتاب﴾ يريد اللوح المحفوظ وفيه مكتوب كل شيء سبق في علم الله ﴿ينطق بالحق﴾ يبين^(٩) بالصدق ومعنى الآية: لا نكلف نفساً إلا ما اطاعت من العمل وتعلم ابن تيمية^(١٠)، لأننا قد اثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق به وبيته ﴿وهم لا يظلمون﴾ [أي]^(١١) لا ينقصون من ثواب أعمالهم، ثم عاد إلى ذكر الكفار فقال: ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ في غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة ﴿من دون ذلك﴾^(١٢)

(١) ساقط من هـ.

(٢) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية ت سنة ٩٨ هـ عن سبع وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٢/٣٢٨.

(٣) يفرقون: من الفرق بالتحريك وهو الخوف، أي يخافون.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند ٦/١٥٩، ٢٠٥ والترمذي في كتاب التفسير سورة المؤمنون بالفاظ متقاربة ٥/٣٢٧ ط الحلبي.

والحاكم في المستدرک کتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک ٢/٣٩٣

(٥) أبو الأشهب العطاري: جعفر بن صبان السعدي البصري ولد سنة ٧١ هـ الميزان ١/٤٠٥.

(٦) فيما عدا ج: كانوا.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٩.

(٨) أي: أي شيء تعمل.

(٩) في ج: بين.

(١٠) ليست في هـ.

(١٢) الكلام يقتضي حذفها.

أعمال المؤمنين التي ذكرها الله ﴿ هم لها عاملون ﴾ إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أن هذا اخبار عما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم أن يعملوها ﴿ حتى إذا أخذنا مترفيهم ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿ بالعذاب ﴾ بالسيف يوم بدر ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ يصيحون إلى الله ويصيحون ويقال لهم ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم لا تنصرون ﴾ لا تمنعون منا نزلت في الذين قتلوا ببدر^(١)، ثم ذكر أن اعراضهم عن القرآن أوجب أخذهم بالعذاب بقوله ﴿ لقد كانت آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني القرآن ﴿ فكنتم على أعقابكم تنكسون ﴾ تتأخرون عن الإيمان به ﴿ مستكبرين ﴾ الكناية تعود إلى البيت أو الحرم أو^(٢) البلد مكة في قول الجميع وهو كناية عن غير مذكور والمعنى : مستكبرين بالبيت والحرم لأنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف وقوله ﴿ سامراً ﴾^(٣) السامر الجماعة يسمرون بالليل أي يتحدثون ﴿ تهجرون ﴾ يجوز أن يكون من الهجران وهو قول الحسن ومقاتل واختيار المفضل، والمعنى تهجرون القرآن وترفضونه فلا تلتفتون إليه ولا تنقادون له كما قال ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾ ويجوز أن يكون من الهجر وهو قول القبيح يقال: هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق وهو قول السدي والكلبي ومجاهد وقتادة وكانوا إذا خلوا حول البيت سبوا النبي ﷺ والقرآن وقالوا فيهما سوء^(٤) ويقال في هذا المعنى أيضاً أهجر إهجاراً إذا أفحش في منطقه وهو قراءة ابن عباس ومجاهد^(٥) قال الله تعالى :

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق محمد ﷺ ﴿ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ قال ابن عباس: يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم فكذلك بعثنا محمداً إلى قومه^(٦) ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ قال ابن عباس: أليس هو محمد بن عبد الله يعرفونه صغيراً وكبيراً صادق اللسان يفي بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعدما عرفوا صدقه وأمانته ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ قال ابن عباس: يريدون^(٧) به جنون ترونها به ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ بالتنزيل الذي هو الحق، يعني القرآن ﴿ وأكثرهم للحق ﴾^(٨) كارهون ولو اتبع الحق

(٣) فيما عدا سامراً تهجرون وهي مكررة.

(١) ابن جرير عن مجاهد وابن جريج والضحاك ٢٩/١٨.

(٤) انظر تفسير ابن جرير ٣٢/١٨

(٢) في هـ والحرم والبلد انظر ابن جرير ٣٠/١٨.

(٥) قراءة ابن عباس ومجاهد (تهجرون) بضم التاء وكسر الميم قرأ بها أيضاً نافع وحده. انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٣٢٩/٢، ومعاني القرآن للفراء ٢٣٩/٢.

(٦) ساقط من د، هـ.

(٧) في هـ يريد أي جنون.

(٨) فيما عدا د: له.

أهواءهم ﴿ قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدي: الحق هو الله والمعنى: لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً ﴿ لفسدت السموات والأرض ﴿^(١) [أي ومن فيهن]^(٢) وقال الزجاج والفراء ويجوز أن يكون المراد بالحق القرآن أي لو نزل بما تحبون^(٣) من جعل شريكاً وثبات آلهة لفسدت السماوات والأرض ﴿ ومن فيهن ﴿^(٤) كقوله ﴿ لو^(٥) كان فيهما آلهة [إلا الله^(٦)] لفسدنا ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴿ أي بما فيه فخرهم وشرفهم، قال ابن عباس: هو كقوله ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه^(٧) ذكركم ﴿ ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴿ قال: يريد تولوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة ﴿ أم تسألهم ﴿ على ما جئتهم به من الإيمان والقرآن ﴿ خرجاً ﴿ أجراً ومالاً يعطونك ﴿ فخراج ربك خير ﴿ فما يعطيك الله من أجره وثوابه ورزقه خير لك ﴿ وهو خير الرازقين ﴿ أفضل من أعطى وآجر^(٨) ﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴿ وهو دين الإسلام ﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ بالبعث والثواب والعقاب ﴿ عن الصراط لناكبون ﴿ عن الذين مائلون عادلون يقال: نكب فلان عن الطريق تنكب نكوباً إذا عدل عنه ﴿ ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضرر ﴿ يعني: الجوع الذي أصابهم بمكة سبع سنين^(٩) ﴿ للرجوا في طغيانهم يعمهون ﴿ لتأدوا في ضلالتهم^(١٠) يترددون.

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ يعني الجوع ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ ما تواضعوا ولا^(١١) انقادوا ﴿ وما يتضرعون ﴾ وما يرغبون إلى الله في الدعاء ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي يعني يوم بدر وهو قول مجاهد واختيار الزجاج وقال في رواية عطاء: يريد الموت ﴿ إذا هم فيه مبسوتون ﴾ آيسون من كل خير.

(١) روى هذا الرأي ابن جرير في تفسيره ٣٣/١٨.

(٢) عن هـ.

(٣) فيما عدا هـ ما يحبون.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٩.

(٥) آية (٢٢) سورة الانبياء.

(٦) من د، هـ.

(٧) الانبياء: ١٠.

(٨) في هـ واجر عليهم.

(٩) يوضح ابن جرير معنى هذه الآية فيقول: ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب وضر الجوع والهزال (للرجوا في طغيانهم) يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم (يعمهون) يعني يترددون ثم يورد ما يؤيد هذا المعنى عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد اكلمنا العلهز يعني: الوبر والدم فانزل الله (ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) وفي حديث آخر عن عكرمة عن ابن عباس: أن أبا أنال الحنفي لما أتى النبي ﷺ وهو أسير فخلى سبيله فلق بمكة فجاء بين أهل مكة وبين الميرة: يعني القمح - من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى. فقال قد قتل الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله ولقد اخذناهم بالعذاب الآية جامع البيان للطبري ٣٤/١٨.

(١٠) في ج: اضلالهم.

(١١) في ج، د: وما.

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ خلق لكم ﴿السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ قال مقاتل يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم ويوحدونه ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ يحيي الولد في الرحم فيولد حياً ثم يميتة ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ قال الفراء: هو الذي جعلهما مختلفين^(١) يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ ما ترون من صنعه فتعتبرون ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ قال الكلبي: كذبت قريش بالبعث مثل ما كذب الأولون وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارِيهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ﴿سيقولون الله﴾ أي يقولون بأنها مخلوقة له ﴿قل أفلا تذكرون﴾ تفكرون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى، قوله ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله﴾ وقرئ^(٢) الله وكذلك ما بعده فمن قرأ الله فعلى ما يقتضيه اللفظ من جواب السائل لأنك إذا قلت من رب السموات فالجواب الله ومن قرأ الله فعلى المعنى لأن معنى من رب السموات لمن السموات فيقال لله كما يقال من مالك هذه الدار فيقال: لزيد لأن معناه لمن هذه الدار فإذا قالوا ذلك و﴿قل أفلا تتقون﴾ عبادة غيره ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ الملكوت الملك والتاء زيادة للمبالغة نحو جبروت ورهبوت ﴿وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ يقال: أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته وأجرت عليه إذا حميت عنه والمعنى: أنه يمنع من سوء من يشاء ولا يمنع منه من أراد بسوء وقوله ﴿فأنى تسحرون﴾ قال الفراء والزجاج: تصرفون^(٣) عن الحق وتخدعون، والمعنى: يخيل لهم الحق باطلاً والصحيح فاسداً ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما يضيفون إلى الله عن الولد والشريك ثم نفاهما عن نفسه فقال:

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ لا اعتزل^(٤) وانفرد بخلقه فلا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ولمنع^(٥) الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿ولعل بعضهم على بعض﴾ طلب

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤١.

(٢) قراءة (الله) قرأ بها أبو عمرو وحده في الأولى ﴿سيقولون الله... الله﴾ بالألف في الاخيرتين وقرأ بقية القراء في الثلاثة (الله... الله... الله). انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٢/٣٢٨.

(٣) في هـ: يصدقون والنص في معاني الفراء ٢/٢٤١.

(٤) في هـ ومنع

(٥) فيما عدا هـ: اعتزال.

بعضهم مغالبة بعض وهذا معنى قول المفسرين: لقاتل بعضهم بعضاً كما يفعل الملوك في الدنيا ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال [سبحانه^(١) وتعالى] ﴿سبحان الله عما يصفون عالم الغيب [والشهادة]^(٢)﴾ بالجر^(٣) من نعت الله والرفع على خبر ابتداء محذوف [يعني: ^(٤) هو عالم]^(٥)

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيَك مَا نَعَدُهُمْ لَقَدِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِآلِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾

﴿قل رب^(٦) إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ إن أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل ييدر ﴿رب فلا تجعلني [في القوم الظالمين]^(٧)﴾ أي مع القوم الظالمين ، قال الكلبي : مع الفئة الباغية، قال الزجاج: أي إن انزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم، ثم أخبر انه قادر على ذلك بقوله ﴿وإننا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ثم أمره بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ يعني بالأحسن: الإعراض والصفح، والسيئة: أذى المشركين إياه، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يكذبون ويقولون من الشرك أي إنا نجازيهم بما يستحقون، ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان ليسلم في دينه فقال ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أمتنع واعتصم بك ﴿من همزات الشياطين﴾ معنى الهمز في اللغة: الدفع، وهمزات الشياطين: دفعهم بالاغواء إلى المعاصي وهو معنى قول المفسرين نزعاتهم ووساوسهم، وذلك أن الشيطان إنما يدفع الناس إلى المعاصي بما يوسوس إليهم ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في أموري أي أن يصيبوني بالسوء لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء ثم أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال:

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ أي إلى الدنيا ردوني إليها وإنما قال: ارجعوني كما يقال للجماعة لأن الله عز وجل يخبر عن نفسه بما يخبر به عن الجماعة في نحو قوله ﴿إننا لنحن نحيي وتميت﴾^(٨) وأمثاله فكذلك جاء الخطاب في ارجعون في مقابلته، قوله ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما﴾

(١) ساقط من هـ.

(٢) قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر برفع الميم السبعة (٤٤٧) قراءة عالم بالجر قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٣) ساقط من هـ: قراءة (عالم) بالرفع، قرأ بها: نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر انظر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: رب يا رب.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) آية (٢٣) الحجر وفي النسخ (نحن نحيي) والتصحيح من المصحف.

تركت ﴿ قال ابن عباس: أشهد أن لا إله إلا الله، وقال قتادة: أما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة^(١) ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها وقوله ﴿فيما تركت﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري قال الله ﴿كلا﴾ لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها﴾ إن مسألة الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقوله ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ يعني أمامهم وبين أيديهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين، وهو هنا ما بين الموت والبعث قال مجاهد [حاجز^(٢)] حجاب^(٣) بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه ﴿إلى يوم يبعثون﴾

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير هي النفخة الأولى، وقال في رواية عطاء هي النفخة الثانية ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ قال: يريد لا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ﴿ولا يتساءلون﴾ كما يتساءل^(٤) العرب في الدنيا من أي قبيلة أنت، ولا بد من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ إنما يرتفع التواصل والتفاخر والتساؤل وهذه الآية لا تنافي قوله ﴿وأقبل بعضهم على بعض^(٥) يتساءلون﴾ لأن للقيامة أحوال ومواطن منها ما يشغلهم عظم الأمر عن المسألة ومنها حال يفقون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس في رواية المنهال عن عمرو ولما سئل عن الاثنين فقال هذه ثارات^(٦) يوم القيامة قوله ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ وهذه الآية والتي بعدها تقدم تفسيره قوله ﴿تلفح وجوههم النار﴾ اللفح: الاحراق يقال: لفتحته النار والسموم إذا أحرقتة ﴿وهم فيها كالحون﴾ الكلح: بدو الأسنان عند العبوس وقال الزجاج: الكالح الذي قد تشمرت شفتاه عن أسنانه نحو ما ترى رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه قال ابن مسعود ككلوح الرأس النضيج أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد، أنا محمد بن عبد الله [بن محمد^(٧) بن نظير] أنا محمد بن أيوب أنا [محمد^(٨)] بن الحماني نا عبد الله بن المبارك عن سعيد^(٩) بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته»^(١٠) رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن الحسن بن حكيم^(١١) عن أبي الموجه عن عبدان عن ابن المبارك. ويقال:

(١) في هـ: أهل وعشيرة.

(٤) في هـ: تساءلوا.

(٥) الصفات: ٢٧.

(٢) ليست في هـ.

(٦) أي أحوال يوم القيامة مرة بعد مرة ومفرد ثارات ثارة انظر اللسان ما: ثير.

(٣) في هـ: حجاز.

(٧) ساقط من هـ، ساقط من ج، د.

(٨) في د: اخا محمد بن نصير وفي هـ: ابن الجاني.

(٩) سعد بن يزيد الحميري القتباني أبو شجاع الاسكندراني ت سنة ١٥٤ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠١/٤ الجرح والتعديل ٧٣/٢.

(١٠) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة المؤمنون وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه المستدرک ٣٩٤/٢.

والترمذي بالفاظ متقاربة وقال حسن صحيح غريب كتاب التفسير سورة المؤمنون ٣٢٨/٥ ط الحلبي.

(١١) في هـ: حليم.

أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿ألم تكن آياتي﴾ يعني القرآن ﴿تتلى عليكم﴾ تخوفون بها ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وقرىء شقوتنا^(٢) ومعناها واحد وهما مصدران، قال مجاهد ومقاتل: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا في الدنيا فلم نهتد وهو قوله: ﴿وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها﴾ من النار قال ابن عباس: سألو الرجعة ﴿فإن عدنا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فإننا ظالمون﴾ قال:

قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴿١١١﴾

﴿اخسأوا فيها﴾ قال المبرد: الخسأ: إبعاد بمكروه وقال الزجاج: تباعدوا تباعد سخطوا وأبعدوا بعد الكلب ﴿ولا تكلمون﴾ في رفع العذاب عنكم اخبرنا أحمد بن إبراهيم المقرئ، أنا سعيب بن محمد البيهقي، أنا مكى بن عبدان^(٣)، نا أبو بكر الازهر، نا روح^(٤) نا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو^(٥) أن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاماً فلا يجيبهم ثم يقول: إنكم ماكنون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما يسمي القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق^(٦) وقال القرظي إذا قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم ودعاؤهم وأقبل بعضهم يقبح^(٧) في وجه بعض واطبقت عليهم ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ قال ابن عباس يريد المهاجرين ﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ وقرىء بكسر السين ها هنا وفي سورة ص^(٨) واتفقوا على الضم في سورة الزخرف يقال: سخر منه وسخر به سخرية وسخرياً إذا هزىء ومن السخرة التي هي بمعنى العبودية يقال اتخذت فلاناً سخرياً بالضم لا غيره ومن اتفقوا على الضم في الأخرى^(٩) لأنه من السخرة، قال أبو عبيدة: سخرياً يسخرون منهم وسخرياً يسخرونهم^(١٠) وقال يونس: سخرياً من السخرة [مضموم]^(١١) ومن الهزء سخري

(١) فيما عداها آياتي تتلى عليكم وهي مكررة.

(٢) قراءة (شقوتنا) بالالف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر النشر ٣٢٩/٢.

(٣) مكى بن عبدان التميمي ت سنة ٣٢٥ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٨٢٢/٣.

(٤) روح بن جناح الاموي أبو سعد (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٢٩٢/٣، وفي الكامل لابن عدي قال عن روح وربما اخطأ في الاسانيد وهو عن يكتب حديثه. الكامل ١٠٠٥/٣.

(٥) في أ، ب، بن عمرو

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٥.

(٧) في هـ: ينبع السبعة ص ٤٤٧، والنشر ٣٢٩/٢.

(٨) قراءة (سخرياً) بكسر السين قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر السبعة ص ٤٤٧ والنشر ٣٢٩/٢.

(٩) من قوله ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ الزخرف: ٣٢.

(١١) ساقط من جـ.

(١٠) مجاز القرآن لابي عبيدة ٦٢/٢ بتصرف.

وسخري وعلى القراءتين جميعاً هو مصدر وصف به ولذلك أفرد ابن عباس: يريد تستهزئون بهم وقال مقاتل: إن كفار قريش كانوا يستهزئون من عمار وبلال وخباب وصهيب^(١) وسلمان وسالم وقوله ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم وبالضحك منهم فنسب الانساء إلى عباده المؤمنين وأن لم يفعلوه لما كانوا السبب كقوله ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس^(٢)﴾ لما كانت سبباً في الاضلال نسب الاضلال إليها معنى قول المفسرين تركم الاستهزاء لا تؤمنون بالقرآن ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم واستهزائكم ﴿إنهم هم الفائزون﴾ [في موضع^(٣) المفعول الثاني لجزيت، والمعنى جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز ومن كسر^(٤) استأنف وأخبر فقال انهم هم الفائزون] أي الذين قالوا ما أرادوا قوله:

قَدْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

«قال كم لبتم في الأرض» قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبتم في الأرض يعني الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين﴾ وقرء قل^(٥) أي قل أيها الكافر المسئول عن قدر لبتهم في الدنيا ﴿قالوا لبتنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال ابن عباس: انساهم الله قدر لبتهم فيرون أنهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم لعظيم^(٦) ما هم بصدده من العذاب بسوء^(٧) ذلك قوله ﴿فاسأل العادين﴾ يعني الملائكة ﴿قال إن لبتهم﴾ أي قال الله تعالى: ما لبتم في الأرض إلا قليلاً لأن مكثهم في القبور وإن طال فإنه متناه قليل عند طول مكثهم في عذاب جهنم لأنه خلود ولا يتناهى وقوله ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أي قدر لبتكم^(٨) في الدنيا.

قوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ العبث في اللغة: اللعب يقال عبث عبثاً فهو عبث لا عبب بما لا يعنيه ومعناه للعبث^(٩) قال ابن عباس: يريد كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى^(١٠)﴾ أن يهمل كما تهمل البهائم والمعنى: أفحسبتم أنكم خلقتم للعبث فتعبثوا ولا تعملوا بطاعة الله ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ في الآخرة للجزاء ﴿فتعالى الله﴾ عما يصفه به الجهال من الشريك والولد ﴿الملك الحق﴾

(١) صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل الربعي النمري ت سنة ٣٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة. اسد الغابة ٣/٣٦، ط الشعب.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (أنهم) بكسر الهمزة قرأ بها حمزة والكسائي وخارجة عن نافع انظر: السبعة ص ٤٤٩، والنشر ٢/٣٢٩.

(٥) قراءة (قل) بغير ألف قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٤٤٩ والنشر ٢/٣٣٠.

(٦) في هـ: تعظيم.

(٧) في هـ: نسوا.

(٨) في هـ: أو.

(٩) في هـ: العبث.

(١٠) القيامة: ٣٦.

لأنه ملك غير مملك وكل ملك غيره فملكه مستعار لأنه يملك ما ملكه الله ثم وحد نفسه فقال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن، ثم أوعد من أشرك به فقال:

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ أي إلهاً لم ينزل بعبادته كتاب ولا بعث بها رسول ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي ان حساب عمله عند الله فهو يجازيه بما يستحق كما قال: ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾^(١) ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ لا يسعد من كذب ووجد، ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين فقال: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ أي أفضل رحمة من الذين يرحمون.

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الخفاف ملازم الجامع أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسلم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال لي رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي^(١). أخبرنا الاستاذ أبو منصور البغدادي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، نا محمد بن عبد الله بن مسلم^(٢) الحضرمي، نا محمد بن إبراهيم الشامي^(٣)، نا شعيب بن إسحاق^(٤) الدمشقي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور يعني النساء رواه^(٥) الحاكم (أبو عبد الله)^(٦) في صحيحه عن أبي علي الحافظ عن الباغندي عن عبد الوهاب^(٧) بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق ورواه الاستاذ أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره عن ابن فنجويه الدينوري عن [ابن أبي شيبه] عن محمد بن أحمد الكرايسي عن سليمان بن توبة^(٨) عن محمد^(٩) الشامي فكأنني سمعته ممن سمع منه شيخه.

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةٌ لَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿سورة أنزلناها﴾ قال الزجاج: هذه سورة أنزلناها ورفعها بالابتداء قبيح لأنها نكرة، وأنزلناها صفة لها ﴿وفرضناها﴾ أي فرضنا فرائضها أي الفرائض المذكورة فيها فحذف المضاف وحجة^(١٠) التخفيف قوله: ﴿إن الذي

(١) لم نعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٢) في ج، د: سليمان.

(٣) محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي الدمشقي السائح (كذاب) انظر الميزان ٤٤٦/٣.

(٤) شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الدمشقي الأموي ولد سنة ١١٨ هـ ٩ وتوفي سنة ١٨٩ هـ التهذيب ٤.

(٥) رواه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير سورة النور وقال صحيح الإسناد وعقب عليه الذهبي بقوله: بل موضوع وآفته عبد الوهاب أحد رواته قال أبو حاتم كذاب المستدرک مع التلخيص ٣٩٦/٢.

(٦) ساقط من ج.

(٧) عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان السلمي العرضي أبو الحارث ت سنة ٢٤٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٦.

(٨) سليمان بن توبة النهرواني أبو داود البغدادي ت ٢٦ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٧٦/٤.

(٩) لفظ محمد ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(١٠) قراءة (فرضناها) بالتخفيف، قرأ بها: ابن كثير وابن عامر انظر: السبعة ص ٤٥٤٢ والنشر.

فرض عليك القرآن^(١) والتشديد^(٢) في فرضها لكثرة ما فيها من الفرائض المذكورة في القرآن، وقال مجاهد يعني الأمر بالحلال والنهي عن الحرام وهذا يعود إلى معنى اوحيناها قوله ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ معنى الجلد ضرب الجلد يقال: جلده إذا ضرب جلده مثل رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه ومعنى الآية الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين ﴿فاجلدوهما مائة جلدة﴾ هذا يجب بنص الكتاب ويجب بالسنة تغريب^(٣). أخبرنا محمد بن إبراهيم الزكي، أنا محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل، نا موسى^(٤) بن هارون، نا قتيبة^(٥) عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله^(٦) بن عتبة عن ابن أبي هريرة وزيد^(٧) بن خالد الجهني أنها قالت: أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله انشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله فقال الخضم الآخر وهو افقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: ان ابني كان عسيفاً على هذا فزنا بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت [رجلاً^(٨)] من أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام واغد يا أنيس^(٩) على امرأة هذا فارجمها ان اعترفت قال فغدا إليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت رواه البخاري^(١٠) ومسلم كلاهما عن قتيبة وقوله ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ يقال: رأف رأفة ورأفة مثل النشأة والنشأة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة^(١١) ولعلها لغة، والمعنى لا تأخذكم الرأفة بهما فتعطلوا الحدود ولا تقيموها رحمة عليهما وشفقة بهما وهذا قول عطاء ومجاهد، وقال الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم قالوا: يوجع الزاني ضرباً ولا يخفف رأفة، وقوله: ﴿في دين الله﴾ قال ابن عباس في حكم الله كقوله ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾^(١٢) أي في حكمه ﴿إن كنتم تؤمنون بالله﴾ [وبالبعث^(١٣)] ﴿واليوم الآخر﴾ قال مقاتل: إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبالبعث الذي فيه جزاء الاعمال فلا تعطلوا الحدود وهذا يقوي القول الأول لأن هذا كالوعيد في ترك الحدود ﴿وليشهد عذابهما﴾ وليحضر ضربهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ نفر من المسلمين يكون ذلك نكالاً^(١٤) لهما وقال الحسن أمر أن يعلن ذلك.

(١) آية (٨٦) سورة القصص وفي د: لرادك إلى معاد تكملة للآية.

(٢) قراءة التشديد في (فرضها) قرأ بها: أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وعاصم انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٣٣٠/٢.

(٣) يرى أبو حنيفة عدم وجوب التغريب وأنه ليس من الخواتم هو تعزيز وسياسة فإذا رأى الإمام فيه مصلحة نفذه على قدر ما يرى وإلا فلا وانظر في ذلك تفسير الألوسي ٨١/١٨.

(٤) موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان أبو عمران ولد سنة ٢١٤ ت سنة ٢٩٤ هـ تذكرة الحفاظ ٦٦٩/٢٨ طبقات الحفاظ ص ٢٩٢.

(٥) قتيبة بن سعيد بن جميل بن ظريف الثقفي أبو رجاء البغدادي ت ٢٤٠ هـ التقريب ١٢٣/٢، التهذيب ٣٦٠/٨.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) زيد بن خالد الجهني أبو عبد الرحمن المدني الصحابي ت ٦٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٠/٣.

(٨) ليست في هـ.

(٩) أنيس بن الضحاك الأسلمي، انظر: اسد الغابة ١٦٣/١.

(١٠) رواه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود ٢٤٠/٣ ومسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(١١) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٢) والنشر ٣٣٠/٢.

(١٢) ساقط من جـ، د، هـ.

(١٣) ساقط من جـ، د، هـ.

(١٤) في هـ: نكالهما.

(١٢) يوسف: ٧٦.

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣

قوله ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك﴾^(١) على المؤمنين ﴿﴾ قال أكثر المفسرين: كانت بالمدينة نساء بغايا لهنّ علامات كعلامات البيطرة وكن مخاصيب الرجال^(٢) فلما قدم المهاجرون المدينة لم يكن لهن مساكن ولا عشائر فأرادوا أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم فنهوا عن ذلك ونزلت هذه^(٣) الآية ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا المعلنات، وذكر أن من فعل ذلك وتزوج بواحدة منهن فهو زانٍ فالتحريم كان خاصة على أولئك دون الناس، ومذهب سعيد بن جبير أن^(٤) هذه الآية منسوخة نسخها قوله ﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾^(٥) قال أبو عبيد مذهب مجاهد أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة ومذهب سعيد أن التحريم كان عاماً ثم نسخته الرخصة فإن تزوج امرأة تبين منها الفجور لم يكن ذلك تحريماً بينهما ولا طلاقاً ولكنه يؤمر بطلاقها ويخاف عليها الاثم في امساكها لأن الله تعالى إنما اشترط على المؤمنين نكاح المحصنات فقال ﴿والمحصنات من﴾^(٦) المؤمنات ﴿﴾^(٧) فأما حديث الاستمتاع الذي قال للنبي ﷺ ان امرأته لا تمنع يد لامس^(٨) فأمره النبي ﷺ بالاستمتاع بها وامساكها فهذا خلاف الكتاب والسنة لأن الله تعالى إنما أذن في نكاح المحصنات خاصة ثم أنزل في القاذف لامرأته آية اللعان وسنة رسول الله ﷺ التفريق بينهما فلا يجتمعان ابداً فكيف يأمر بالاقامة على عاهرة لا تمتنع ممن ارادها وفي حكمه أن يلاعن بينهما ولا يقرّ قاذفاً على حاله والحديث ليس يثبت عن النبي ﷺ إنما عبرته هارون بن رباب^(٩) عن عبد الله بن عبيد وعبرته عبد الكريم الجزري عن ابن الزبير^(١٠) وكلاهما يرسله فإن ثبت فإن تأويله أن الرجل وصف امرأته بالخرف وضعف الرأي وتضييع ماله فهي تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق وهذا أشبه بالنبي ﷺ وأجرى بحديثه هذا كله كلام أبي عبيد^(١١)، قوله:

(١) من د فقط.

(٢) في النسخ الرجال هو تصحيف فقد جاء في اللسان: الرجل إذا كان كثير خير المنزل يقال انه خصيب الرجل وعلى هذا يستقيم المعنى أي كان عندهن خير كثير.

(٣) في المستدرک للحاكم كلام قريب من هذا المعنى في كتاب التفسير سورة النور ٢/٣٩٦ وفي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن مقاتل كلام قريب من هذا الدر ٦/١٢٧.

(٤) في ح، د: المسيب.

(٥) النور: ٣٢.

(٦) النساء: ٣٤.

(٧) للألوسي في هذه الآية رأي خلاصته (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) تقييح لأمر الزاني أشد تقييح بأنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به أن ينكح العفيفة المؤمنة وإنما يليق به أن ينكح زانية هي في ذلك طبقة كما قيل: وافق شن طبقة أو مشركة هي أسوأ منه حالاً وأقبح أفعالاً (فلا ينكح) خبر مراد منه لا يليق به أن ينكح كما نقول السلطان لا يكذب أي لا يليق به أن يكذب نزل فيه عدم لياقة الفعل منزلة عدمه وهو كثير في الكلام ثم المراد اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنا يكون فيه من تقييح الزنا ما فيه ا. هـ. وانظر تفسير الألوسي فقد عرض هذه المسألة بسط واسهاب. روح المعاني ٤٨/١٨.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/١٣٨.

(٩) هارون بن رباب التميمي الاسيدي أبو بكر. تهذيب التهذيب ٤/١١.

(١٠) في ح، د، هـ: أبي.

(١١) في هـ: أبي عبيد.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يرمونهن بالزنا والاحصان المشروط في المقذوفة حتى يجب الحد على القاذف خمسة أوصاف البلوغ والعقل والاسلام والحرية والعفة عن الزنا، وقوله ﴿ثم لم يأتوا﴾ أي على ما رموهن به من الزنا ﴿بأربعة شهداء﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فاجلدوهم﴾ يعني الذين يرمون بالزنا ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ المحدود في القذف لا تقبل شهادته ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ العاصون في مقالته ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ يذهب (١) كثير من العلماء إلى أن هذا الاستثناء يعود إلى الفسق فقط وأما الشهادة فلا تقبل أبداً، وهذا قول شريح (٢) وإبراهيم (إسحاق) (٣) وقتادة واختيار أهل العراق وقالوا: قضاء من الله أن لا تقبل شهادته أبداً وإنما نسخت توبة الفسق وحده وقد رأى آخرون أنها نسخت الفسق وإسقاط الشهادة معاً وهو قول الزهري والقاسم بن محمد وعطاء وطاووس والشعبي وعكرمة ومجاهد وقول أهل الحجاز جميعاً واختيار الشافعي وقول ابن عباس في رواية الوالبي قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل، قال أبو عبيدة وكلا الفريقين تأول هذه الآية، فالذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله أبداً ثم استأنف فقال: ﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾ فأوقع التوبة على الفسق خاصة دون الشهادة، وأما الآخرون فذهبوا إلى أن الكلام معطوف بعبارة على بعض ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل كلام، والذي نختار هذا (٤) القول لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من راجها ولا خلاف في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب فالرامي أيسر جرماً إذا نزع وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر إذا أسلم وأصلح قبلت شهادته فالقاذف حقه أيضاً إذا تاب وأصلح أن تقبل شهادته وهذا معنى قول الشافعي إذا قبلتم توبة الكافر والقاتل عمداً فكيف لا تقبلون شهادة القاذف وهو أقل ذنباً وقد قال الشعبي: يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته وهذا إجماع الصحابة، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب المعقلي، أنا الربيع، أنا الشافعي، (٥) أنا سفيان بن عيينة قال: سمعت الزهري قال: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكره تقبل شهادتك أو إن تبت قبلت شهادتك فإن قيل فما الفائدة في قوله أبداً، قيل أيد كل إنسان مقدار مدته فيما يتصل بقضيته تقول: الكافر لا تقبل منه شيئاً أبداً معناه ما دام كافراً كذلك القاذف لا تقبل شهادته أبداً ما دام قاذفاً فإذا زال عنه الكفر زال أبداً، وإذا زال عنه الفسق زال أبداً، لا فرق بينهما في ذلك، (٦) قوله: ﴿وأصلحو﴾ قال ابن عباس: يريد إظهار التوبة وقال مقاتل: وأصلحو العمل ﴿فإن الله غفور﴾ لقذفهم ﴿رحيم﴾ بهم حيث تابوا. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان العسكري، نا أبو مالك عن جويبر عن

(١) فيما عداه: فذهب.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي ت سنة ٧٨ عن مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ١/٥٩، التهذيب ٤/٣٢٦/

شذرات الذهب ١/٨٥، ابن سعد ٦/٩٠.

(٣) ساقط من ح، د.

(٤) فيما عداه: نختار (من) هذا.

(٥) بين الشافعي في كتابه الأم هذه المسألة ببسط وتوضيح ٤١/٧ ط الشعب.

(٦) الام للشافعي ١٤١/٧ ط الشعب، أسد الغابة ٦/٣٨.

الضحك عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات الآية قال عاصم بن عدي^(١) يا رسول الله لو وجدت على بطن امرأتي رجلاً فقلت لها يا زانية اتجلدني بمائتين جلدة إلى أن آتي بربعة شهداء قد قضى الرجل منها حاجته ثم مضى! قال: كذلك أنزلت يا عاصم بن عدي فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع فقال ما وراءك، قال شر وجدت شريك بن سحماء^(٢) على بطن امرأتي خولة يزني بها وخولة بنت عاصم فقال هذا والله سؤالي النبي ﷺ أنفاً (فرجع إلى النبي ﷺ) فأخبره هلال بن أمية^(٣) بالذي كان فبعث إليها فقال ما يقول زوجك قالت يا رسول الله إن ابن السحماء كان يأتينا في منزلنا فيتعلم الشيء من القرآن وربما تركه عندي^(٤) وخرج زوجي ولم ينكر علي^(٥) ساعة من ليل ولا نهار فلا أدري أدركته الغيرة أو قل عليه بالطعام فأنزل الله تعالى آية اللعان: **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَدْرُؤُاَ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠**

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ الآيات فأقامه النبي ﷺ بعد العصر عن يمين النجم فقال: يا هلال أنت الشاهد أنك رأيتها تزني فقال: أشهد بالله لقد رأيتها^(٦) على بطنها يزني بها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما برئت منه ولا برىء منها وإني لمن الصادقين أشهد بالله ما قربتها منذ أربعة أشهر وإن حملها هذا الذي في بطنها من شريك بن سحماء^(٧) وإني من الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فقال القوم آمين فقال النبي ﷺ يا خولة ويحك إن كنت ألمت بذنب فأقري به فإن الرجم بالحجارة في الدنيا أيسر عليك من غضب الله في الآخرة، وإن غضبه عذاب فقالت يا رسول الله كذب فاقامها مقامه فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه لمن الكاذبين ما رآه على بطني يزني بي وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد برئت من الزنا ويرى شريك بن سحماء مني وإنه لمن الكاذبين أشهد بالله لقد قربني منذ أربعة أشهر وإن ما في بطني من هلال بن أمية وإنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما النبي ﷺ وقال لا يجتمعان أبداً إلى أن تقوم الساعة^(٨) فمعنى قوله: ﴿والذين يرمون﴾ أي الزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات﴾ ويقرأ أربع بالنصب^(٩) فقال الزجاج: من قرأ بالرفع^(١٠) فعلى خبر الابتداء المعنى فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القاذف أربع والدليل على هذا قوله: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات﴾ ومن نصب فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع

(١) عاصم بن عدي بن الجعد بن العجلان الأوسي الانصاري ت سنة ٤٥ هـ عن مائة وخمسة عشرة سنة انظر: أسد الغابة ١١٤/٣.

(٢) شريك بن سحماء وهي أمه، وأبوه عبده بن معتب بن الجعد بن العجلان البلوي. انظر أسد الغابة ٢/٢٢٢ ط الشعب.

(٣) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي. اسد الغابة ٥/٤٠٦.

(٤) في ج: عنده، (٦) في هـ: اني قد رأيتها.

(٥) في هـ: على. (٧) في ج: سمحاء وهو تصحيف.

(٨) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة النور ١٢٦/٦ باختصار، وكذلك مسلم في كتاب اللعان ١١٢٩/٢ وأبو داود في كتاب الطلاق

باب في اللعان حديث ٢٢٥٦ مختصراً، واحمد بن حنبل في المسند ١/٢٣٨ بلفظ مختلف، وابن جرير في تفسيره ٦٨/٨٠.

(٩) قراءة النصب في (أربع) قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ونافع. انظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/٣٣٠.

(١٠) قراءة (أربع) بالرفع قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف انظر: السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٢/٣٣٠.

شهادات قوله ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ قال ابن عباس وذلك إن الرجل يذكر أنه رأى مع امرأته رجلاً أربع مرات ثم يقول في الخامسة: اللهم العنه إن كان كذب عليها وقرأ نافع^(١) أن مخففة لعنة^(٢) بالرفع قال سيبويه لا تخفف في الكلام وبعدها الاسماء إلا وأنت تريد الثقيلة^(٣) وقال الأخفش لا أعلم الثقيلة إلا أجود في العربية لأنك إذا خففت فالأصل الثقيلة فتخفف وتضم الشان فأن تجيء بالأصل ولا تحذف شيئاً ولا تضم أجود ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أي ويدفع عنها الحد ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ تقول المرأة أربع مرات: اشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما قذفني به وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان من الصادقين فذلك قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾^(٤) وقرأ حفص: والخامسة^(٥) نصباً على المعنى كأنه قال: وتشهد الخامسة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي ستره ونعمته لولاها هنا محذوف الجواب قال الزجاج: المعنى: لولا فضل الله لنال الكاذب منهما عذاب عظيم أي لبين الكاذب من الزوجين فيقام عليه الحد ﴿وأن الله تواب﴾ يعود على من رجع عن معاصي الله إلى ما يجب بالرحمة ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الحدود.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرًا مِّنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ يعني: بالكذب على عائشة رضي الله عنها والإفك: أسوأ الكذب وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه والإفك هو الحديث المقلوب عن وجهه ومعنى القلب في هذا الحديث أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف الحساب^(٦) والنسب لا القذف [الذي رموها به]^(٧) فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح وكذب ظاهر وكانت قصة الإفك على ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الزنجاري، أنا الحسن بن عبد الله النحوي بعسكر مكرم، نا محمد بن عبد الرحمن بن صالح النماري، نا أبو الربيع^(٨) الزهراني، نا فليح بن سليمان^(٩) المدني عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن^(١٠) وقاص الليثي وعبيد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي ولد سنة ٧٠ هـ. وت. سنة ١٥٠ هـ طبقات القراء لابن الجزري ٢/٣٢٠.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٣) الكتاب لسيبويه ٣/١٦٣.

(٤) ويتبادر إلى الذهن سؤال: هل اللعان تفريق أم طلاق؟ ذهب أبو حنيفة إلى أنه طلاق وتقع به طلاقه بانه فلو كذب نفسه يحل له تزوجها وذهب الائمة الثلاثة إلى أنه تفريق تثبت به الحرمة كحرمة الرضاع فلا يجتمعان بعد ذلك ابدأ، انظر تفسير الالوسي ١٧/٢١٠.

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٣.

(٦) في ج، د، هـ، من المسيب.

(٧) ساقط من د، هـ.

(٨) أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٣٣٤ هـ انظر: تاريخ بغداد ٩/٣٨، تذكرة الحفاظ ص ٢٠٣.

(٩) فليح بن سليمان بن أبي المغيرة الخزاعي المدني انظر: تذكرة الحفاظ ٩١/٢٢٣، شذرات الذهب ١/٢٦٦ طبقات ابن سعد ٣٧/٥.

(١٠) علقمة بن وقاص الليثي توفي في خلافة عبد الملك بن مروان... انظر: تهذيب التهذيب ٧/٢٨٠، تذكرة الحفاظ ١١/٥٣ طبقات الحفاظ ص ١٦.

قال الزهري: فكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت امتصاصاً ووعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً وروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفيراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه قالت [عائشة] (١) فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ ذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوة وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل [فقمنا حين أذنوا بالرحيل] (٢) فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار (٣) قد انقطع فرجعت فالتصمت عقدي فحسبني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين [كانوا] (٤) يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه (٥) ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعوا إليّ وبيننا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى فأسبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأيته وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة (٦) فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي [بن] (٧) سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك فهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه [حين] (٨) أشتكى إنما كان يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا أشعر بالسسر (٩) حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن يتخذ الكنف وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح (١٠) وهي بنت أبي رهم وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بش ما قلت أتسيبن رجلاً قد شهد بدرا فقالت: أي هتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي أبوي قالت (١١): وأنا أريد حينئذ

(١) ليست في هـ.

(٢) ساقط من ب.

(٣) ظفار مدينة باليمن في موضعين احدهما قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري وبها كان مسكن ملوك حمير - معجم البلدان ٦٠/٤.

(٤) ساقط من.

(٥) في ج: حملوه.

(٦) أي في وقت الهجرة وقت توسط الشمس السماء. النهاية لابن الأثير باب الواو مع الغين.

(٧) ساقط من أ، د، ابن أبي له ذكر في ترجمة ولده عبد الله اسد الغابة ٢٩٦/٣.

(٨) ليست في هـ. (١٠) أم مسطح بنت أبي رهم القرشية التيمية. الاصابة ٤٩٦/٤.

(١١) في هـ: قال.

(٩) فيما عدا ج بالشر.

أن أتيقن الخبر من قبلها فأذن لي رسول الله فجئت أبوي فقلت يا أمه ما يتحدث الناس قالت أي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قال فقلت: سبحان الله أو قد^(١) تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب حين استلبت^(٢) الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك وما تعلم إلا خيراً وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة^(٣) فقال: يا بريرة هل رأيت شيئاً يريك من عائشة؟ قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت امرأة أغمطه قط عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال - وهو على المنبر - يا معشر المسلمين من يعذرن من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال يا رسول الله أنا أعذك [منه]^(٤) إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام سعد بن^(٥) عبادة، وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن حملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتلنه ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت [لعمر الله]^(٦) لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس^(٧) والخزرج^(٨) حتى هموا أن يقتلوا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنن أن البكاء فالتق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي أستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ وسلم ثم جلس [قالت ولم يجلس]^(٩) عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهراً لا يوحى إليه شيء في شأني قالت فتشهد رسول الله ﷺ ثم^(١٠) قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أملت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ [كلامه]^(١١) فلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبني رسول الله ﷺ قالت: والله ما أدري ما أقول [لرسول الله]^(١٢) [فقلت]^(١٣) وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن - والله لقد عرفت أنكم قد

(١) في د، ه: لقد.

(٢) استلبت: استفعل من اللبث وهو الإبطاء والتأخير النهاية لابن الأثير ٢٢٤/٤.

(٣) بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها انظر الإصابة ٢٥١/٤.

(٤) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الانصاري الخزرجي ت سنة ١٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٧٥/٣

(٦) ساقط من د.

(٧) قبيلة الأوس هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء بطن عظيم من الأزد من القحطانيين معجم قبائل العرب

٥٠/١.

(٨) والخزرج هم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن البهلول بن عمرو بطن من الأزد القحطانية وكانت العرب تطلق على الأوس والخزرج

اسم الخزرج معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣.

(٩) ساقط من ج.

(١٢) ساقط من د، هـ.

(١٠) ساقط من هـ.

(١٣) ساقط من ج، هـ.

(١١) ساقط من د وفي هـ مقاله.

سمعت هذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني [ولئن اعترفت لكم - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقوني] (١) والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ (٢) قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن - والله - ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني احقر في نفسي من أن يتكلم الله في بوحى (٣) يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله - ﷺ - مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه ﷺ وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء (٤) عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات فلما أنزل الله هذه الآيات في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً [أبدأ] (٥) بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب (٦) بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمت وما رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت حمئة بنت جحش (٧) تحارب لها فهلكت فيمن هلك (٨) رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي الربيع الزهراني فذلك قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ أي جماعة منكم أيها المؤمنون ذكرتهم عائشة فيما أخبرنا أبو حفص الماوردي، أنا عبد الله بن محمد الرازي، أنا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، أنا حماد بن سلمى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم أربعة حسان ابن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثانة وحمئة بنت جحش (٩)، قوله ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ لا تحسبوا الإفك شراً لكم، قال مقاتل: لأنكم تؤجرون على ما قيل لكم من الأذى ﴿بل هو خير لكم﴾ لأن الله يأجركم ويظهر براءتكم والخطاب لعائشة وصفوان فيما ذكر أهل التفسير، وقال الزجاج: يعني عائشة وصفوان ومن بسببهما [سب] (١٠) من النبي ﷺ وأبي بكر ويكون الخطاب لكل من رمى بسبب وذلك أن من سب عائشة فقد سب النبي ﷺ وسب أبا بكر وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: يريد خيراً لرسول الله ﷺ وبراءة لسيدة النساء أم المؤمنين وخيراً

(١) ساقط من د.

(٢) يوسف: ١٨.

(٤) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي: النهاية لابن الأثير باب الباء مع الراء.

(٣) فيما عدا جـ. بأمـر.

(٥) ساقط من د.

(٦) زينب بنت جحش الاسديّة أم المؤمنين ت سنة ٢٠ هـ عن خمسين سنة الاصابة ٤/٣١٣.

(٧) حمئة بنت جحش الاسديّة الاصابة ٤/٢٧٥.

(٨) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهم بعضاً وفي كتاب التفسير سورة النور ٦/١٢٧: ١٣٢، والايمان باب

التوحيد ٩/١٧٦ ط الشعب.

ومسلم كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/٢٩ ط الحلبي.

(٩) رواه مسلم في كتاب التوبة باب حديث الافك ٤/٢١٣٨.

رواه صاحب المسند ٦/٣٥ وأبو داود في كتاب الحدود باب القذف والترمذي في كتاب التفسير سورة النور حديث ٣٢٣١.

(١٠) ساقط من هـ.

لأبي بكر وأم عائشة ولصفوان بن المعطل وقوله ﴿لكل امرئ منهم﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ جزء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿والذي تولى كبره﴾ استبد بمعظمه وانفرد به، قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث وكبر الشيء: معظمه بالكسر وهو عبد الله بن أبي في قول مجاهد ومقاتل والسدي وعطاء عن ابن عباس وقوله ﴿منهم﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿له عذاب عظيم﴾ قال ابن عباس: يريد في الدنيا الجلد جلد رسول الله ﷺ ثمانين جلدة^(١) وفي الآخرة يصيره الله إلى النار ثم أنكر على الذين خاضوا في الإفك فقال:

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۚ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۚ

﴿لولا إذ سمعتموه﴾ هلا إذ سمعتم أيها العصبة الكاذبة قذف عائشة بصفوان ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات﴾ من العصبة الكاذبة يعني^(٢) حمئة بنت جحش وحسان ومسطحاً ﴿بأنفسهم خيراً﴾ قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ألا ترى إلى قوله ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾^(٣) قال الزجاج: ولذلك يقال [للقوم]^(٤) الذين يقتل بعضهم بعضاً إنهم يقتلون أنفسهم وقال المبرد: ومثله قوله ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾^(٥) وقالوا هذا إفك مبين ﴿هذا القذف كذب بين﴾ ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء يشهدون بأنهم عاينوا منها ما رموها به ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾ ثم ذكر الذين قذفوا عائشة فقال:

وَلَوْلَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۚ

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ في الدنيا والآخرة ولولا ما من الله به عليكم ﴿لمسكم﴾ لأصابكم ﴿فيما أفضتم فيه﴾ فيما^(٦) أخذتم وخضتم فيه من الكذب والقذف ﴿عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: عذاب لا انقطاع له، ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب لولا فضله فقال: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ قال مجاهد ومقاتل: بعضكم عن بعض، وقال [الكلبي وذلك]^(٧) أن الرجل منهم كان يلقي الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، قال الزجاج: معناه يلقيه بعضكم إلى بعض ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ من غير أن تعلموا أن الذي قلتم حق ﴿وتحسبونه هيناً﴾ تظنون أن ذلك القذف سهل لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الوزر ثم زاد في الإنكار عليهم فقال:

(١) قال الهيثمي روى الطبراني بسنده عن سعيد بن جبيرة. لهم عذاب أليم يعني وجيع في الدنيا والآخرة فكان عذاب عبد الله بن أبي في الدنيا الجلد وفي الآخرة النار، روي نحو هذا عن قتادة بأسناد جيد وعن مجاهد بأسنادين رجال أحدهما ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧٨/٧.

(٢) في هـ: غير.

(٣) آية (٢٩) النساء وفي د، هـ: ﴿ولا تلمزوا﴾ وهي آية أخرى من الحجرات (١١).

(٤) ساقط من.

(٥) آية (٥٢) البقرة.

(٦) في جـ: من.

(٧) ساقط من د، هـ.

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿ولولا إذ سمعتموه قلم ما يكون لنا﴾ ما يجل وما ينبغي لنا ﴿أن نتكلم بهذا﴾ سبحانك ها هنا معناه كقول الأعمش^(١):

[أقول لما جاءني فخره]^(٢) سبحان من علقمة الفاخر^(٣)

﴿هذا بهتان﴾ افتراء وكذب ﴿عظيم﴾ يتحير من عظمه ثم وعظ الذين خاضوا في الإفك فقال ﴿يعظكم الله﴾ قال ابن عباس: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد ينهاكم الله ﴿أن تعودوا لمثله أبدا﴾ لمثل هذا القذف ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني أن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة ﴿وبين الله لكم الآيات﴾ في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ بأمر عائشة ﴿حكيم﴾ حكم براءتها ثم هدد القاذفين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أن يفشو ويظهر الزنا ﴿في الذين آمنوا﴾ بأن ينسبوا إليهم ويقذفوهم بها ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ يعني الجلد ﴿والآخرة﴾ يعني عذاب النار ﴿والله يعلم﴾ سر ما خضتم فيه وما فيه من سخط الله ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك ثم ذكر فضله ومنتته عليهم بتأخير العقوبة فقال:

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴿يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لعاقبكم فيما قلم لعائشة وهذا جواب لولا وهو محذوف ﴿وأن الله﴾ [رؤوف رحيم]^(٤) ﴿رؤوف بكم ورحمكم فلم يعاقبكم في أمر عائشة﴾ [قال ابن عباس]^(٥) يريد مسطحاً وحنه وحسان، قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [قال مقاتل يعني تزوين الشيطان في قذف عائشة]^(٦) ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ قال ابن عباس بعصيان الله وكل ما يكره الله مما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم﴾ [من أحد]^(٧) قال مقاتل: ما صلح والزكاة تكون بمعنى: الصلاح يقال: زكى يزكو زكاة، وقال ابن قتيبة: ما ظهر والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح أحد وآخرون يقولون: هذا الخطاب للذين خاضوا في

(١) الأعمش: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني الشاعر انظر الاعلام ٣/٣١٢ ط دار العلم.

(٢) ساقط من ج، د، هـ.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه (٩٤) ط دار صادر بيروت وفيه فجره والفاجر بدلاً من فخره والفاخر، وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن

علائة ويمدح بن عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما، مطلعها:

شاققتك من قتلة أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر

وفي معنى سبحان واستعمالاتها يراجع اللسان مادة سبح.

(٤ + ٥ + ٦ + ٧) ساقط من هـ.

الإفك^(١)، والمعنى: ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم ﴿أبدأ ولكن الله يزكي من يشاء﴾ [قال^(٢) فقد شئت أن أتوب عليكم لأن الله يطهر من يشاء من الإنم بالرحمة والمغفرة فيوفقه [للتوبة]^(٣) ﴿والله سميع عليم﴾ علم ما في نفوسكم من الندامة والتوبة، قوله:

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا
وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿ولا يأتل﴾ قال جماعة المفسرين لا يحلف يقال ألى يؤلي إيلاءً ويألى يتألى تألياً وائتلى يأتلى ائتلاءً إذا حلف، وقوله: ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أولو^(٤) الغنى والسعة في المال وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حلف أن لا ينفق على مسطح^(٥) وكان ابن خالته ولا يصله بشيء أبدأ وذلك قوله ﴿أن يؤتوا﴾ قال الزجاج: أن لا يؤتوا فحذف لا ﴿أولي القربى والمسكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ يعني مسطحاً وكان من المهاجرين قال^(٦) [ابن عباس]^(٧) قال الله لأبي بكر قد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل والمعرفة بالله وصلته الرحم وعندك السعة فتعطف على مسطح فله قرابة وله هجرة وله مسكنة وقوله ﴿وليصفحوا وليعفوا﴾ قال مقاتل: قال النبي ﷺ لأبي بكر أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى قال فاعف واصفح قال قد عفوت وصفح لا أمنعه معروفى أبدأ بعد اليوم وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم وقالت عائشة لما نزلت هذه الآية فقال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأطلب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها [منه]^(٨) أبدأ^(٩).

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ
عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ العفاف ﴿الغافلات﴾ عن الفواحش كغفلة عائشة عما قيل فيها ﴿المؤمنات﴾ المصدقات بتوحيد الله وبرسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ عذبوا بالجلد ثمانين جلدة ويعذبون بالنار في ﴿والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ قال مقاتل: هذه الآية خاصة في عبد الله بن أبي المنافق ورميه عائشة وقال سعيد بن جبير هذا الحكم خاصة فيمن يقذف عائشة فمن قذفها كان من أهل هذه الآية، وقال الضحاك والكلبي: هذه الآية في

(١) في هـ: بالافك.

(٢+٣) ليست في هـ.

(٤) في هـ: أولى.

(٥) في هـ، د أن ينفق مسطحاً.

(٦) في هـ: قاله.

(٧) ساقط من ب.

(٨) ساقط من د ويليهما في نفس النسخة وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم فيما عدا ج ويقذف.

(٩) رواه البخاري مختصراً في كتاب التفسير سورة النور ٣٤/٦ ط الشعب والهيشمي في المجمع عن الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف

وليس فيه والله لا أنزعها منه ابدأ مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٧٩/٧.

عائشة وأزواج رسول الله ﷺ خاصة ليس فيها توبة ومن كذب امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة أخبرنا أحمد^(١) بن محمد بن إبراهيم أنا شعيب بن محمد أنا مكي بن عبدان، نا أبو الأزهر، نا روح، نا الثوري، نا خفيف^(٢) قال: قلت لسعيد بن جبير من كذب محصنة لعنه الله قال: لا، إنها في عائشة خاصة قوله ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ قال الكلبي: تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا [به من الفرية في كذب عائشة ﴿وأيدهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾]^(٣) قال ابن عباس: تتكلم الجوارح وتنطق بما عملت في الدنيا ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم الله جزاءهم الواجب ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين حيث لا ينفعه. قوله:

الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿الخبيثات للخبيثين﴾ أي الخبيثات من الكلام والقول للخبيثين من الناس ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ من الكلام والمعنى أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس وكل كلام إنما يحسن في أهله فيضاف شيء القول إلى من يليق به ذلك وكذلك الطيب من القول وعائشة لا يليق بها الخبيثات من الكلام فلا يصدق فيها لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين كذبوا عائشة بالخبيث ومدح للذين برأوها بالطهارة وقال ابن زيد الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين ﴿والطيبات﴾ من النساء ﴿للطيبين﴾ من الرجال ﴿والطيبون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقوله ﴿أولئك مبرءون﴾ يعني الطيبات والطيبين مبرءون ﴿مما يقولون﴾ أي الخبيثات والخبيثون ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ في الجنة، أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الاسماعيلي، أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، نا أبو العباس أحمد بن سهل الاشناني^(٤)، نا بشر^(٥) بن الوليد الكندي^(٦)، أنا عمر [بن] ^(٧) حفص عن سليمان^(٨) عن علي بن زيد جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة نزل جبريل بصورتها في راحته حين أمر النبي ﷺ أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرراً وما تزوج بكرراً غيري ولقد قبض وإن رأسه في حجرتي ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة ببيتتي وإن كان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وإني لمعه

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يزدن المقرئ الانباري أبو عبد الله ت سنة ٣٢٤ هـ الميزان ١/١٣٠.

(٢) خفيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحضرمي ت سنة ١٣٧ التهذيب ٣/١٤٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) أحمد بن سهل الاشناني النيسابوري الفقيه ت سنة ٢٩٦ تذكرة الحفاظ (٢٩٦).

(٥) في د: بشير.

(٦) بشير بن الوليد الكندي الفقيه ت سنة ٢٣٨ ميزان الاعتدال ١/٣٢٦.

(٧) في هـ، د: أبو حفص.

(٨) سليمان بن فيروز الكوفي الشيباني أبو إسحاق ت سنة ١٤١ هـ تذكرة الحفاظ ١/١٥٣، طبقات الحفاظ ص ٦٦.

في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عندي من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً^(١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ أي بيوتاً ليست لكم ﴿حتى تستأنسوا﴾ قال جماعة المفسرين حتى تستأذنون وقال ابن عباس أخطأ الكاتب حتى تستأنسوا إنما هي حتى تستأذنون^(٢) وقال أهل المعاني الاستئناس الاستعلام يقال أنست منه كذا أي علمت والمعنى: حتى تستعلموا وتظنروا وتعرفوا ﴿وتسلموا على أهلها﴾ هو أن يقول السلام عليكم أدخل ولا يجوز دخول بيت غيرك إلا باستئذان لهذه الآية ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي أفضل من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به قال عطاء: قلت لابن عباس أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال أيسرك أن ترى منهم عورة قلت: لا قال: فاستأذن ﴿فإن لم تجدوا فيها﴾ أي في البيوت أحداً ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ وإن وجدوها خالية لم يجز لها إذن أيضاً وإن أمر بالانصراف انصرف ولم يبق على باب البيت وهو قوله ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ أي خير وأفضل من القعود على الأبواب ﴿والله بما تعملون﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عليم﴾ فلما نزلت آية الاستئذان قالوا فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ قال المفسرون: يعني بيوتاً ليس فيها ساكن [فاليوت]^(٣) التي ينزلها المسافرون لا جناح أن يدخلها بغير استئذان^(٤) وقوله ﴿فيها متاع لكم﴾ أي منافع من اتقاء البرد والحر والاستمتاع بها.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

قوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ عما لا يحل وعن الفواحش هذا قول عامة المفسرين، وقال أبو العالية المراد بحفظ الفرج في هذه الآية حفظه عن الرؤية ووقوع البصر عليه ﴿ذلك﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿أزكى لهم﴾ خير لهم وأفضل عند الله ﴿إن الله خير بما يصنعون﴾ في الفروج والأبصار ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج فقال:

(١) قال الهيثمي رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره وفي اسناد أبي يعلى من لم أعرفهم مجمع الزوائد كتاب المناقب باب فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مجمع الزوائد ٢٤١/٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وفيه نظر فإن قراءة تستأنسوا هي المتواترة والاستئناس في الآية أبلغ من الاستئذان فليس فيه مجرد طلب الإذن وإنما فيه أن يأنس لك من في البيت وأيضاً لا يصح هذا القول (أخطأ الكاتب) عن ابن عباس فإنه روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهي أوهى الطرق واضعفا عن ابن عباس والكلبي متروك الحديث كما بينا من قبل.

(٤) انظر ابن جرير ٩٠/١٨.

(٣) ليست في هـ.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿[وقل]﴾^(١) للمؤمنات [بعضضن]^(٢) من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها
﴿يعني﴾: الوجه والكفين وهو قول سعيد بن جبير والضحاك، وقال مجاهد عن ابن عباس يعني: الكحل
والخاتم والقلب والخضاب، وقوله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخمر جمع الخمار وهي ما تغطي به
المرأة رأسها والمعنى: وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن [كما]^(٣) قال ابن
عباس: تغطي شعرها وصدرها وتراثيها وسوالفها ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني: الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في
الصلاة، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب والخمار إلا لازواجهن^(٤) وهو قوله ﴿إلا لبعولتهن أو آبائهن
أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نساتهن﴾ وقد جمع الله تعالى
في هذه الآية بين الأزواج والمحارم وبين الفريقين وفرق وهو أن الزوج يحل له النظر إلى جميع بدن امرأته سوى
الفرج^(٥) وليس للمحارم أن ينظروا إلى ما بين السرة والركبة من المرأة ومعنى ﴿أو نساتهن﴾ يعني المؤمنات فلا يجوز
لامرأة مؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها، وقوله ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ يعني المماليك
والعبيد،^(٦) ويجوز للمرأة أن تظهر لمملوكيها إذا كانوا عفيفين ما تظهر لمحارمها وقوله ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من
الرجال﴾ أكثر القراء على خفض غير بالصفة للتابعين^(٧) ومن نصب كان استثناءً والمعنى يبدين زينتهن للتابعين إلا

(١ + ٢) ساقط من جـ.

(٣) ليست في هـ.

(٤) الصحيح: لا يضعن عنهن الجلباب والخمار إلا أمام أزواجهن أو آبائهن . الخ .

(٥) في هذا نظر: فلقد قال ابن العربي في أحكام القرآن: اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج زوجه على قولين، أحدهما: يجوز لأنه إذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى وقيل لا يجوز، لقول عائشة في ذكر حالها مع رسول الله ﷺ «ما رأيت ذلك منه ولا رأيت مني» والأول أصح وهذا محمول على الأدب. أحكام القرآن ٣/١٣٧٠ وقال ابن الجوزي في كتابه أحكام النساء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ قط. أو ما رأيت فرج النبي ﷺ قط» رواه ابن ماجه في النكاح / ٦١٩ وابن حنبل في المسند ١٩٠/٦ والبيهقي ٩٤/٧ - وهذا عين الصواب فإن الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين فلاطلاع على بعض العيوب يقدر في المحبة فينبغي لهما جميعاً الحذر من ذلك ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح أ. هـ. أحكام النساء لعبد الرحمن بن الجوزي ص ٣٥١.

(٦) هذا في الاماء وأما العبيد فهم كلا جانب سواء بسواء ويراجع تفسير الألوسي ١٨/١٤٣.

(٧) قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب ونافع وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥، والنشر

ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا إربة والإرب الحاجة ومعنى التابعين غير أولي الإربة هم الذين لا حاجة لهم من النساء ولا يحملهم إربهم على أن يراودوا النساء وهذا قول مجاهد وعكرمة والشعبي، وقال قتادة هو الذي يتبعك فيصيب من طعامك ولا همة له في النساء وقال مقاتل: يعني: الشيخ الهرم والعين والحصي والمجبوب ونحوه وقال الحسن: هم قوم طبعوا^(١) على التخفيف وكل الرجال منهم يتبع الرجل يخدمه بطعامه ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا أصبغ^(٢)، أنا ابن وهب، أنا يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن هيثم^(٣) كان يدخل على أزواج النبي ﷺ وكانوا لا يعدونه من أولي الإربة من الرجال^(٤) وقوله ﴿أَوِ الْطِفْلِ﴾ يعني به الجماعة من الاطفال ﴿الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لم يقودا عليها ومنه قوله ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾^(٥) يعني: الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم ﴿ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجلها ليسمع قعقة الخلخال فيها فنهيت عن ذلك، وقال عطاء عن ابن عباس ولا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها أو يتبين لها خلخال ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ عما كنتم تعملون في الجاهلية، والمعنى: راجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه. أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا أبو عمرو بن مطر، أنا أبو خليفة، نا أبو الوليد، نا شعبة أخبرني عمرو بن مرة^(٦) سمعت أبا بردة يقول سمعت رجلاً من جهينة يقال الاغر^(٧) من أصحاب النبي ﷺ يحدث ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة^(٨) رواه مسلم عن أبي شيبة عن غندر^(٩) عن شعبة، وقوله ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن عامر بضم الهاء^(١٠) ومثله ﴿يا أيه الساحر﴾^(١١) ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(١٢) قال أبو علي الفارسي: وهذا لا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من أي فينبغي أن يكون المضموم^(١٣) آخر الاسم ولو جاز أن يضم^(١٤) الميم في اللهم لأنه آخر الكلمة وينبغي أن لا يقرأ بهذا ولا يؤخذ به.

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۖ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ۗ ۚ ۛ ۜ ۝ ٣١ ۚ وَلَيْسَتَّعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ

(١) في أ: طمعوا.

(٢) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع القرشي الاموي أبو عبد الله ت سنة ٢٢٥ هـ تذكرة الحفظ ٤٥٧/٢ تهذيب التهذيب ٣٦/١، شذرات الذهب ٥٦/٢.

(٣) في د، هـ، فختنا وهو مخنث يدعى هيثم تفسير القرطبي سورة النور.

(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٢٠٥/٧، ومسلم كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب ١٧١٥/٤.

(٥) الصف: ١٤.

(٦) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي ت سنة ١١٦ هـ تذكرة الحفظ ١٢١/١، التهذيب.

(٧) الاغر بن يسار الجهني، اسد الغابة ١/١٣٢.

(٨) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استجاب الاستغفار منه ٢٠٧٦/٤.

(٩) غندر بن محمد بن جعفر الهذلي البصري ت سنة ١٩٣ هـ تذكرة الحفظ ٣٠٠/١، التهذيب ٩٦/٩، شذرات الذهب ٣٣٣/١.

(١٠) لابن مجاهد ص ٤٥٥.

(١٢) سورة الرحمن: ٣١.

(١٤) في هـ، د الياء.

(١٣) في هـ: المظهر.

أَيْمَنَكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَكُمْ عَلَى إِلِغَاءِ
إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبِنْتِغَاؤِ عَرَضِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ يقال فلانة أيم إذا لم يكن لها زوج بكرة كانت أو ثيباً والجمع أيامى والأصل
أيام فقلبت ورجل أيم لا زوج له، قال السدي: من لم يكن له زوج من امرأة أو رجل فهو أيم، وهذا قول جماعة
المفسرين، والمعنى: زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم، وهذا الأمر ندب واستحباب
أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا عبد الوهاب بن عطاء عن
ابن جريج عن إبراهيم بن ميسرة^(١) عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال «من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي
النكاح^(٢)» أخبرنا أبو منصور البغدادي، نا محمد بن عبد^(٣) الله بن علي بن زياد، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد
البوشنجي، نا سعيد بن واقد،^(٤) نا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا
معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له
وجاء^(٥)». أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، نا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الجرجاني، نا عبد الله بن
زيدان البجلي، نا أبو كريب، نا المحاربي^(٦) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة
حجها فقال تزوجت؟ قلت لا. قال: فتزوج قال: ولقيني في العام المقبل فقال: [هل]^(٧) تزوجت؟ فقلت: لا فقال:
اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء يعني النبي ﷺ ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ قال مقاتل:
[يقول: زوجوا المؤمنين من عبادكم وإمائكم]^(٨) فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، فمعنى الصلاح: ها هنا الايمان ثم
رجع إلى الأحرار فقال ﴿إن يكونوا فقراء﴾ لا سعة لهم للتزوج ﴿يغنيهم الله من فضله﴾ [وعددهم أن يوسع عليهم عند
التزوج قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر وقال قتادة: ذكر [لنا]^(٩) أن عمر بن الخطاب كان
يقول ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة والله يقول إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله]^(١٠) ﴿والله واسع﴾
لخلقه ﴿عليم﴾ بهم، قوله ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما
ينكح به من صداق ونفقة ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ يوسع عليهم من رزقه ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يطلبون
المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والاماء يقال كاتب الرجل عبده وأمه مكاتبة وكتاباً فهو مكاتب والعبد مكاتب

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفي نزير مكة ثبت حافظ توفي سنة ١٣٢ هـ انظر التقريب ٤٤/١، تهذيب التهذيب ٤٢٣/٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح بألفاظ متقاربة ٢/٧.

(٣) في د، هـ عبيد الله.

(٤) سعيد بن واقد بن عبد الملك بن واقد الحراني. الميزان ١٥٠/٢.

(٥) رواه مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ١٠١٨/٢، رواه البخاري كتاب النكاح باب من لم يستطع
الباءة فليصم ٣/٧ ط الشعب.

(٦) المحاربي: عبد الرحمن بن محمد بن زيادة المحاربي الكوفي تذكرة الحفاظ ٣١٢/١، شذرات الذهب ٣٤٣/١، ابن سعد ٢٧٣/٦.

(٧) ساقط من أ، د، هـ.

(٨) ساقط من د.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من هـ من قوله: وعددهم أن يوسع عليهم.

وهو أن يقول: كاتبت على أن تعطيني كذا وكذا في نجوم معلومة فإذا أدى ذلك فالعبد حر ولا بد من التنجيم وأقله نجمان وصاعداً، ولا يصح جمعه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يصح والآية عليه لأن أصل الكتاب من الكتب وهو الضم والجمع، وأقل ما يقع عليه الضم والجمع نجمان، وهو أن العبد يجمع نجوم المال إلى مولاه، ولا يجوز أن يكتب عبداً غير بالغ ولا عاقل لقوله ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ ولا يصح الطلب من الأطفال والمجانين وعند أبي حنيفة: إذا كان العبد مراهقاً يجوز أن يكتب والآية حجة عليه، وقوله ﴿فكاتبوهم﴾ أمر ندب واستحباب في قول الجمهور وقال قوم إنه أمر إيجاب وهو قول عمرو بن دينار^(١) وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس وقوله ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أكثر المفسرين قالوا يعني: المال وهو قول مجاهد وعطاء والضحاك وطاووس والمقاتلين وقال الحسن إن كان عنده مال وكاتبه والا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح فيسألهم، وقال عبد لسلمان^(٢): كاتبني فقال مال؟ قال لا قال أفتطعمني أوساخ الناس فأبى عليه، وكان قتادة يكره أن يكتب العبد لا يكتبه^(٣) إلا ليسأل الناس، وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله إن علمتم فيهم خيراً قوة على الكسب وأداء المال هو قول ابن عمرو وابن زيد واختيار مالك والشافعي^(٤) والفراء والزجاج. قال الفراء: يقول إن رجوتهم عندهم وفاءً وتأدية للمال، وقال الزجاج: إن علمتم أنهم يكسبون ما يؤدونه وهذا القول أصح لأنه لو أريد بالخير المال لقليل إن علمتم لهم خيراً فلما قال عليهم كان الأظهر الاكتساب والوفاء وأداء الأمانة وقوله ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ يقول: حظوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً قال مجاهد: ^(٥) ربع المال وقال الآخرون لا يتقدر بشيء يحط عنه ما أحب أو يرد عليه شيئاً مما يأتيه به، أو يعطيه مما في يده شيئاً يستعين به على أداء المال وقال عطاء عن ابن عباس: يريد سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون، وقوله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ يعني إماءكم وولاتكم على الزنا نزلت في عبد الله بن أبي ^(٦) كان يكره جواري له على الكسب بالزنا^(٧) وقوله ﴿إن أردن تحصناً﴾ قال ابن عباس تعففاً وتزويجاً وإنما شرط إرادة التحسن لأن الإكراه لا يكون^(٨) إلا عند إرادة التحصن فإن لم ترد بغت بالطبع^(٩)، وقوله ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي من كسبهن وبيع أولادهن ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ يعني للمكرهات ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة من الحلال والحرام ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي شبهاً من حالهم بحالكم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة للمتقين﴾ نهياً للذين يتقون الشرك والكبائر.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الجمحي ت سنة ١٢٥ هـ عن ثمانين سنة انظر: تذكرة الحفاظ ١١٣/١ تهذيب التهذيب ٢٨/٨، ابن سعد ٣٥٣/٥، طبقات الحفاظ (ص ٤٣).

(٢) سلمان: سلمان الخير الفارسي أبو عبد الله ابن الاسلام ت سنة ٣٦ هـ تهذيب التهذيب ١٣٨/٤.

(٣) في هـ فقال لما يكتبه.

(٤) نص الشافعي على ذلك في كتاب الأم ٣٦٢/٧.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٥١/٢.

(٦) عبد الله بن أبي بن سلول: له ذكر في ترجمة ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي أسد الغابة ٢٩٦/٣.

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني والبخاري بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٨٣/٧.

(٨) في النسخ الأخرى لا يتصور.

(٩) ليس هذا الشرط لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونها على البقاء وهن يردن التعفف.

دَرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ لِأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويرى الأبصار حقيقة ما تراه، وورد النور في صفة الله تعالى لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما [يهتدون به] (١) من الضلالة قال ابن قتيبة: أي بنوره يهتدي من في السماوات والأرض (٢) وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين هادي أهل السماوات والأرض وقوله ﴿مثل نوره﴾ قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقال السدي: مثل نوره في قلب المؤمن وكذا هو في قراءة ابن مسعود وكان أبي يقرأ مثل نور المؤمن (٣) قال: وهو عبد قد جعل الإيمان والقرآن في صدره ﴿كمشكاة﴾ وهي كوة غير نافذة في قول الجميع ﴿فيها مصباح﴾ يعني السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل قال الزجاج: النور في الزجاج وضوء النار أبين منه في كل شيء يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاج فقال: ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ منسوب إلى أنه كالدر في صفاته وحسنه وقرأ أبو عمرو مكسورة الدال مهموزة (٤) وهو فعيل من الدر بمعنى الدفع والكوكب إذا دفع ورمي من السماء لرحم الشيطان (٥) يضاعف ضوءه، قال أبو عمرو لم اسمع أعرابياً يقول إلا كأنه كوكب دريء بكسر الدال أخذوه من درأت النجوم تدرأ إذا اندفعت وقرأ حمزة بضم الدال مهموزاً (٦) وأنكره الفراء والزجاج وأبو العباس قالوا هو غلط [لأنه ليس في الكلام فعيل قال الزجاج] (٧) والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا لأنه ليس في كلام العرب شيء على هذا الوزن قوله ﴿توقد﴾ مفتوحة التاء والدال قراءة أبي عمرو (٨) وهي البينة لأن المصباح هو الذي توقد وقرئ بضم الياء والدال (٩) أي المصباح وقرئ توقد (١٠) أي الزجاج، والمعنى: على مصباح الزجاجه ثم حذف المضاف [وقوله ﴿من شجرة مباركة﴾ أي من زيت شجرة مباركة بحذف المضاف] (١١) يدل ذلك على ذلك قوله ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون وهي كثيرة البركة وفيها أنواع المنافع لأن الزيت يسرج به، وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون وتقله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد زكريا الشيباني، (١٢) أنا بشر بن أحمد بن محمود، أنا أبو جعفر محمد بن موسى الحلواني، نا زهير بن محمد، أنا عبد

(١) ساقط من أ.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٢.

(٣) رواها ابن جرير بسنده عن أبي تفسير ابن جرير ١٨/١٠٥.

(٤) ابن مجاهد في السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٥) في ب، د: الشياطين.

(٦) قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر (دريء) بضم الدال مهموز، السبعة (٥٤٦).

(٧) ساقط من د، ه والنص في معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢.

(٨) السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(٩) قراءة يوقد بضم الياء والدال قرأ بها: نافع وابن عامر وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١٠) قراءة (توقد) بضم التاء والدال قرأ بها حمزة وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي انظر: السبعة ص ٤٥٥ والنشر ٢/٣٣٢.

(١١) ساقط من هـ.

(١٢) أبو بكرت سنة ٣٨٨ هـ عن اثنين وثمانين سنة، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٣، طبقات الحفاظ ص ٤٠١.

الرزاق، أنا معمّر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة»^(١) ثم فسرها فقال ﴿زيتونة﴾ وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أصفى وأضوأ وقوله ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب هي ضاحية للشمس لا يظلها^(٢) جبل ولا شجر ولا كهف وزيتها يكون أصفى، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي ونحوه قال قتادة والسدي والأثرون واختيار الفراء والزجاج، قال الفراء: الشرقية التي تأخذها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت لأن لها سترا والغربية التي تصيبها الشمس بالعشي ولا تصيبها بالغداة^(٣)، وقوله ﴿يكاد زيتها﴾ زيت الزيتون يعني دهنها يكاد يضيء المكان من صفائه من غير أن يصيبه النار بأن يوقد به وهو قوله ﴿ولو لم تمسه نار﴾ قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن فالمشكاة قلبه والمصباح هو الإيمان والقرآن والزجاجة صدره، ومعنى قوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار: يكاد^(٤) قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى قوله: ﴿نور على نور﴾ قال مجاهد: النار على الزيت وقال الكلبي: المصباح نور والزجاجة نور وهو مثل لإيمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الإيمان ونور القرآن وقوله ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال ابن عباس: لدينه الإسلام، وإن شئت قلت للقرآن ﴿ويضرب الله الأمثال﴾ يبين الله الأشياء للناس تقريبا إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك ﴿والله بكل شيء عليم﴾ [عالم]^(٥).

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قوله ﴿في بيوت﴾ يعني المساجد ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أمر الله أن تبنى والمراد برفعها بناؤها كقوله ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾^(١) وقال الحسن: ترفع تعظم والمعنى لا يتكلم فيها بالخنا^(٢) ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال مقاتل [وابن عباس]^(٣): يوحد الله فيها ﴿يسبح له فيها﴾ يصلي لله في قلب البيوت يعني الصلوات [المفروضة]^(٤) ﴿بالغدو والآصال﴾ بالبرك والعشايا وقرأ ابن عامر^(٥) يَسْبَحُ بفتح الباء أي يصلي لله فيها ثم فسر من يصلي فقال ﴿رجال﴾ وكأنه قيل من يسبح؟ فقيل: رجال ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ لا تشغلهم تجارة ﴿ولا بيع﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه^(٦) وخص قوم التجارة ها هنا بالشراء لذكر البيع بعدها ﴿عن ذكر الله﴾ عن حضور المساجد لإقامة الصلوات، قال الثوري: كانوا يشتررون ويبيعون ولا يدعون الصلوات في الجماعات في المساجد ﴿واقام الصلاة﴾ أداؤها لوقتها وتمامها وإنما ذكر إقامة الصلاة بعد قوله عن ذكر الله والمراد به الصلاة

(١) رواه الحاكم في المستدرک بلفظ كلوا... وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بأنه صحيح المستدرک كتاب التفسير سورة النور ٣٩٨/٢ ط بيروت.

(٢) في ب لا يضلها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٥٣/٢.

(٤) في هـ، يقال.

(٥) عن أ.

(٦) البقرة: ١٢٧.

المفروضة بياناً أنهم يؤدونها في وقتها لأن من آخر الصلاة عن وقتها لم يكن من مقيمي الصلاة وقوله ﴿وإيتاء الزكاة﴾ قال ابن عباس إذا حضر وقت الزكاة لم^(١) يجسوها عن وقتها ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب﴾ بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك ﴿والأبصار﴾ تتقلب من أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل قوله: ﴿ليجزئهم الله﴾ أي يسبحون الله ليجزيهم ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي ليجزيهم بحسناتهم ولهم مساويء من الأعمال لا يجزيهم بها ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ مفسر فيما تقدم، ثم ذكر الكفار وضرب المثل لأعمالهم فقال:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ مِّنْ بَعْضٍ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ عَلَيْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء ويكون نصف النهار والقيعة جمع قاع نحو جار وجيرة وهو ما انبسط من الأرض ويكون فيه السراب، وقوله ﴿الظمان ماء﴾ يعني الشديد العطش^(٢) يقال: ظمأ يظمأ ظمأ فهو ظمآن ﴿حتى إذا جاءه﴾ جاء إلى الشراب وإلى موضعه رأى أرضاً لا ماء فيها وهو قوله ﴿ولم يجده شيئاً﴾ أي شيئاً مما حسب وقدر، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أعمال الكفار إذا احتاجوا إليها مثل الشراب إذا رآه الرجل وقد احتاج إلى الماء فأتاه فلم يجده شيئاً فذلك مثل عمل الكافر يرى أن له ثواباً وليس له ثواب، قال ابن قتيبة: الكافر يحسب ما قدم من عمله نفعه كما يحسب العطشان الشراب من البعد ماء يرويه حتى إذا جاءه أي مات لم يجد عمله شيئاً لأن الله قد أبطله بالكفر ومحقه^(٣) وقوله ﴿ووجد الله عنده﴾ قال الفراء: وجد الله عند عمله يعني قدم على الله^(٤) ﴿فوفاه حساباً﴾ جازاه بعمله وهذا في الظاهر خبر عن الظمان والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم، وقوله ﴿والله سريع الحساب﴾ مفسر في سورة البقرة، قوله ﴿أو كظلمات﴾ قال الزجاج: أعلم الله أن أعمال الكافر إن مثلت بما يوجد فمثلها مثل الشراب وإن مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف وهذا قول عامة المفسرين إن التمثيل بالظلمات وقع لأعمال الكافر وقوله ﴿في بحر لجي﴾ اللجي^(٥) العظيم اللجة ومعناه كثرة الماء وقال ابن عباس والمفسرون: هو العميق الذي يبعد عمقه ﴿يغشاه موج﴾ أي يعلو^(٦) ذلك البحر اللجي موج ﴿من فوقه موج﴾ يعني موجاً^(٧) من فوق الموج ﴿من فوقه﴾ من فوق الموج ﴿سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج وفوق الموج ظلمة السحاب ومن قرأ ظلمات بالكسر والتنوين^(٨) جعلها بدلاً من الظلمات الأولى ومن أضاف السحاب إلى الظلمات^(٩) فارتفعت وقت تراكمها كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع وظهر في الوقت الذي يكون فيه المطر والرحمة، والمعنى أن الكافر يعمل في حيرة لا يهتدي لرشده فهو في جهله وحيرته كمن [هو]^(١٠) في

(١) فيما عداد، هـ، الصلاة.

(٦) في هـ يعملوا وهو تصحيف.

(٢) في أ، د من العطش.

(٧) في هـ فوقاً.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٤.

(٨) قرأ ابن كثير ظلمات بالكسر والتنوين، السبعة (٤٥٧) والنشر ٣٣٢/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٩) قراءة (سحاب ظلمات) بالاضافة رواها البزي انظر: النشر ٣٣٢/٢.

(١٠) ساقط من ج، د، هـ.

(٥) في هـ/ اللجة عظيم.

هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه مقلب في ظلمات وجهالة وقوله ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ تأكيد لشدة هذه الظلمات، قال الحسن لم يرها ولم يقارب (١) الرؤية قال الفراء: لأن أقل من الظلمات التي وصفها (٢) لا يرى فيه الناظر كفه (٣) ومعنى لم يكد يراها نفي المقاربة من الرؤية وقوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ قال ابن عباس والسدي ومقاتل: من لم يجعل [له] (٤) ديناً وإيماناً وهدى فما له من دين، قال الزجاج: من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لِمَنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لِمَنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره ﴿وَالطَّيْرِ﴾ أي ويسبح له الطير ﴿صَافَاتٍ﴾ باسقاط أجنحتها في الهواء وخص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض (٥) وقوله ﴿كُلُّ﴾ أي من الجملة التي ذكرها ﴿قَدْ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ﴾ قال مجاهد: الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ لا يخفى عليه طاعتهم وصلاتهم وتسبيحهم ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الكلبي: يعني خزائن المطر والرزق والنبات لا يملكها أحد غيره ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ مرجع العباد بعد الموت، قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه سوقاً رقيقاً ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ يضم بعضه إلى بعض أي يجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ يجعل بعضه يركب بعضاً ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ القطر والمطر، قال الليث: الودق المطر كله شديده وهينه (٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ جمع خلل وهو مخارج القطر وقوله ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أي من جبال [في السماء وتلك] (٧) الجبال من برد، قال ابن عباس: أخبر الله أن في السماء جبلاً من برد ومفعول الإنزال محذوف والتقدير: وينزل من السماء من جبال من

(١) فيما عداه: يقالب.

(٢) في هـ وضعها.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٤) ساقط من د.

(٥) وقيل: خص الطير بالذكر لاندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضع ابنائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي تسبيحه الطير حال كونها صافات أجنحتها. انظر روح المعاني للألوسي ١٨/١٨٧.

(٦) تهذيب اللغة للزهري ٩/٢٥١.

(٧) بياض في هـ ما بين القوسين.

برد فيها برداً فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه ومن الأولى لا ابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال [التي في السماء] (١) جنس البرد ﴿فيصيب به﴾ بالبرد ﴿من يشاء﴾ فيضره في زرعه وثمرته ﴿[ويصرفه عن من يشاء]﴾ (٢) فلا يضره في زرعه وثمرته ﴿يكاد سنا برقه﴾ يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ (٣) والسنا: الضوء، مثل سنا النار، وسنا البدر، وسنا البرق، وقال السدي: يكاد ضوء البرق يلتمع البصر فيذهب به قوله ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يعني: يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل ﴿إن في ذلك﴾ التقليل ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لدلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أنا محمد بن مكي، أنا أحمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، نا سفيان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال [قال رسول الله ﷺ] (٤) قال الله: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا (٥) الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار (٦).

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥)

قوله: ﴿والله خلق كل دابة﴾ يعني: كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل الجن والملائكة لأننا لا نشاهدهم (٧) وقوله ﴿من ماء﴾ أي من نطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والهوام والحيتان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانسان والطيور ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالبهائم والانعام قال المبرد: قوله: كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الأغلب لذلك قال: من لغير ما يعقل، ثم ذكر قدرته على خلق ما يريد فقال: ﴿يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ولقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعني: القرآن أي هو المبين للهدى والاحكام ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه [وجنته] (٨) ثم ذكر أهل النفاق وشكهم في الدين فقال

وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ (٤٩) أِفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) ساقط من د.

(٤) في هـ: وان.

(٥) البقرة: ٢٠.

(٦) رواه مسلم في كتاب الالفاظ من الادب باب النهي عن سب الدهر ٤/ ١٧٦٢.

(٧) وقيل بدخول الجن والملائكة في مضمون الآية وفي عموم الدابة والمقصود: كل ما دب على وجه الارض ويراجع في ذلك تفسير

الالوسي ١٨/ ١٩٣.

(٨) ساقط من جـ.

الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ويقولون﴾ يعني: المنافقين ﴿ءامنا بالله﴾ صدقنا بتوحيد الله ﴿وبالرسول﴾ [محمد] ^(١) ﴿وأطعنا﴾ هما فيما حكما ﴿ثم يتولى فريق﴾ ^(٢) يعرض عن طاعتها طائفة ﴿منهم من بعد ذلك﴾ من بعد قولهم ءامنا ﴿وما أولئك﴾ الذين يعرضون عن حكم الله ورسوله ﴿بالمؤمنين﴾ ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ إلى كتاب الله ^(٣) ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ الرسول فيما اختصموا فيه ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عما يدعوا إليه ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ مسرعين طائعين، قال الزجاج: الاذعان: الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحق أي طواعني فيما ^(٤) كنت ألتمس منه وصار يسرع إليه أخبر الله أن المنافقين يعرضون عن حكم الرسول لعلمهم بأنه يحكم بالحق فإذا كان لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً ثم أخبر بما في قلوبهم من الشك فقال: ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا﴾ شكوا في القرآن وهذا استفهام ذم وتوبيخ ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ الحيف الميل في الحكم فيقال: حاف في قضيته أي جار فيما حكم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي لا يظلم الله ورسوله في الحكم بل هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول ثم تعب الصادقين من إيمانهم فقال: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ ^(٥) أن يقولوا سمعنا وأطعنا قال مقاتل وابن عباس: يقولون سمعنا قول النبي وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضر بهم ثم أثنى على من أطعها فقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: يريد فيما ساءه وسره ﴿ويخشى الله﴾ في ذنوبه التي عملها ﴿ويتقاه﴾ فيما بعد لم يعصه. وقراءة العامة يتقيه موصولة بياء هو الوجه لأن ما قبل الهاء متحرك وحكمها إذا تحرك ما قبلها أن يتبعها الياء ^(٦) في الوصل وروى قالون بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء ^(٧) لأن حركة ما قبل الهاء ليست تلزم الا ترى أن الفعل إذا رفع... ^(٨) اختير حذف الياء بعد الهاء مثل عليه وقرأ أبو عمرو ويتقه ^(٩) جزءاً وذلك أن ما يلحق هذه الهاء من الواو والياء ^(١٠) زائداً فرد إلى الأصل وحذف الزيادة ^(١١) وقرأ حفص ساكنة القاف مكسورة ^(١٢) الهاء قال ابن الأباري وهو على لغة من يقول: لم أزيدا ولم اشترط طعاماً ما... ^(٨) يسقطون الياء للجزم ثم يسكنون الحرف الذي قبلها ومنه قول الشاعر ^(١٠):

قال سُلَيْمِي اشتر لنا دقيقا ^(١٣)

(١) من هـ فقط.

(٢) في، ب، هـ، فريق منهم.

(٣) في هـ إلى الله ورسوله وهي مكرره.

(٤) فيما عدا: لما.

(٥) ساقط من هـ.

(٦+٧) في هـ: الهاء.

(١٣) هذا صدر بيت وعجزه:

واشتركيما نتخذ خرديقا

أنشده الفراء كما في النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٠ ولسان العرب مادة خردق ولقد جاء هذا البيت برواية أخرى:

قالت سليمان اشترينا سويقا وهات خبز البر أو دقيقا

وقوله ﴿فأولئك هم الفاترون﴾ يعني: المطيعين لله ورسوله الخائفين المتقين الذين قالوا (١) ما طلبوا من رضا الله وقيل جنته ولما بين الله كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالجهاد والخروج من ديارنا وأموالنا لخرجنا فقال الله:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥٤﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ إلى الجهاد ﴿قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا وتم الكلام ثم قال ﴿طاعة معروفة﴾ أي طاعة حسنة للنبي ﷺ بنية خالصة، قال مقاتل بن سليمان: معناه ليكن منكم طاعة، وقال الزجاج: تأويله طاعة معروفة أحسن من قسمكم بما لا تصدقون فيه فحذف خبر الابتداء للعلم به وقوله ﴿إن الله خبير بما تفعلون﴾ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتمكم بالفعل ثم امرهم بالطاعة فقال ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ثم خاطبهم فقال ﴿فإن تولوا﴾ أي تولوا فحذف احدى التائين أي قال تعرضوا عن طاعتهما ﴿فإنما عليه﴾ على الرسول ﴿ما حمل﴾ من التبليغ واداء الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من الطاعة ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ تصيبوا الحق ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين لكم، وقوله:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٤

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ قال أبي بن كعب: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة أوتهم الأنصار ومنهم العرب عن قوس واحده وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا اترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية (٢) وقوله ﴿ليستخلفنهم﴾ [أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها] (٣) وقوله ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ قال مقاتل: يعني بني إسرائيل إذا اهلت الجابرة بمصر

= وهو للعذافري الكندي يقال: شار العسل ونحوه واشتاره إذا اجتناه وأخذه من مكانه، فقوله اشتر من الاشتيار، ويحتمل انه من الاشتراء وسكنت راؤه للضرورة أي طلب لنا سويقاً، وفي بقية الرجز انها طلبت منه لحما وخادما وصبيغا فقال:

باسم لو كنت لذا مطيقا ما كان عيسى عندكم ترنيقا

انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٩٧/٣ ومعنى ترنيقا: أي مدة ترنيق الطائر أي صف جناحه في الهواء.

(١) في هـ قالوا.

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الاوسط ورجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة النور ٨٣/٧.

(٣) ساقط من هـ.

وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وروى أبو بكر بن عياش^(١) استخلف بضم التاء وكسر اللام^(٢) ووجهه أنه يريد [به]^(٣) ما أريد باستخلف وإذا كان المعنى: كذلك فالوجه قراءة العامة، قوله ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها، ويظهر دينهم على جميع الأديان ﴿وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ قال مقاتل: يفعل بهم ذلك وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكن لهم الأرض وابدلهم أمناً من بعد خوف وبسط لهم في الأرض فقد أنجز الله مواعده لهم^(٤)، وقوله ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ استئناف كلام في الثناء عليهم ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ يعني بهذه النعم وليس يعني الكفر بالله، والمعنى من جحد حق هذه النعم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ قال ابن عباس: العاصون لله، قال المفسرون وأول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخواناً متحابين.

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله ﴿لا تحسبن الذين كفروا﴾ يعني: اهل مكة^(٥) ﴿معجزين في الأرض﴾ يعجزوننا ويفوتونا هرباً أي أن قدرة الله محيطة بهم ومن قرأ بالياء ففاعل الحسبان على هذه القراءة الذين كفروا^(٦) وكأنه قيل وتحسبن الذين كفروا^(٧) أنفسهم معجزين ثم أوعدهم فقال ﴿وما واهم النار ولبئس المصير﴾ قوله:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزِّنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِزِّنُوهُمَا كَمَا اسْتَعِزَّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

(١) أبو بكر بن عياش بن سالم الاسدي الكوفي المقرئ واسمه كنيته ت سنة ١٩٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٥، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٣٢٥، ابن سعد ٦/ ٢٦٩.

(٢) السبعة لابن مجاهد (ص ٤٥٨) والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٢.

(٣) ساقط من ج.

(٤) في هـ ففعل لهم بهم.

(٥) لا يخص هذا الحكم أهل مكة وحدهم وإنما ينطبق على كل من كفر بالله سواء كان من أهل مكة أو من غيرها والعبارة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٦) قراءة (لا يحسبن) بالياء، قرأ بها: ابن عامر وحزة وانظر السبعة ص ٤٥٩ والنشر ٢/ ٢٧٧.

(٧) ساقط من هـ.

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ أي في الدخول عليكم ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ يعني العبيد والاماء قال عطاء: ذلك على كل كبير وصغير ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من احراركم من الرجال والنساء ﴿ثلاث مرات﴾ يعني ثلاثة أوقات ثم فسرها فقال ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ وذلك إن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ يريد المقيبل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها أمر الله بالاستئذان في الأوقات التي يتخلى فيها الناس ويتكشفون، وفصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال ﴿ثلاث عورات لكم﴾ أي هذه الأوقات ثلاث عورات [لكم]^(١) وسمى هذه الأوقات عورات^(٢) لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عوراته ومن قرأ ثلاث [عورات]^(٣) بالنصب^(٤) جعله بدلاً من قوله ثلاث مرات، قال السدي: كان أناس من الصحابة يعجبهم أن يوافقوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجون إلى الصلاة فأخبرهم الله أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا في هذه الساعات الثلاثة قال موسى بن أبي عائشة قلت للشعبي في هذه الآية: أمسوخة هي قال: لا قلت: قد تركها الناس^(٥) قال الله المستعان وقوله ﴿ليس عليكم﴾ يعني المؤمنين الاحرار ﴿ولا عليهم﴾ يعني الخدم والغلمان ﴿جناح﴾ حرج ﴿بعدهن﴾ بعد مضي هذه الأوقات لا حرج في أن [لا]^(٦) تستأذنوا في غير هذه الأوقات ﴿طوافون عليكم﴾ يريد انهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات بغير اذن قال مقاتل: ينقلبون فيكم ليلاً ونهاراً ﴿بعضكم على بعض﴾ أن يطوف بعضهم^(٧) [وهم]^(٨) الممالك على بعض وهم الموالي قوله ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ يعني من الاحرار ﴿فليستأذنوا﴾ أي في جميع الأوقات في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الأوقات، والطفل والمملوك يستأذنان في الثلاث عورات، وقوله ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال، قال سعيد [بن المسيب]^(٩) ليستأذن الرجل على أمه فإنما انزلت هذه الآية في ذلك قوله ﴿والقواعد من النساء﴾ يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر قال الزجاج: القاعدة التي قعدت عن التزوج، وهذا معنى قوله ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ قال السدي: هن^(١٠) اللاتي تركزن الأزواج وكبرن ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ يعني الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والمراد^(١١) بالثياب ها هنا ما ذكر لا كل الثياب، وقوله ﴿غير متبرجات بزينة﴾ التبرج أن تظهر المرأة محاسنها من وجهها وجسدها من غير أن يدن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن قال مقاتل لها أن تضع الجلباب تريد بذلك أن تظهر قلائدها وقرطها وما عليها من الزينة ثم قال: ﴿وإن يستعفن﴾ فلا يضعن الجلباب ﴿خير لهن والله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبهم.

(١) ساقط من هـ.

(٢) ساقط من د، هـ، وساقط من هـ، أيضاً إلى لفظ عورات.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) قراءة (ثلاث) بالنصب، قرأها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٥٩، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٢.

(٥) في هـ الناس لا يعلمون بها.

(٦) ساقط من جـ.

(٧) في جـ، بعضكم على بعض وليس لها موضع.

(٨ + ٩) ساقط من جـ.

(١٠) في هـ: هي.

(١١) فيما عدا هـ والمراد.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ قال سعيد بن المسيب إن المسلمين كانوا إذا غزوا وخلفوا زمانهم^(١) وكانوا يدفعون إليهم مفاتيحهم أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتخرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غيب فنزلت هذه الآية رخصة لهم، ومعنى الآية نفي الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت أقاربهم أو بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو، وقوله ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي ليس عليكم حرج^(٢) أن تأكلوا من أموال عيالكم وازواجكم وبيت المرأة كبيت الرجل^(٣) وقال ابن قتبية: أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم^(٤) ثم ذكر بيوت القربان بعد الأولاد فقال ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم﴾ وهذه الرخصة في أكل مال القربان^(٥) وهم لا يعلمون ذلك كرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مر في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفاً بعباده ورجبة عن^(٦) دناءة الأخلاق وضيق النظر^(٧) وقوله ﴿أو ما ملكتم مفاتيحه﴾ يعني بيوت عبيدكم ومما يملكون وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفتاح معناها الخزان كقوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾^(٨) ويجوز

(١) الزمنى: جمع زمن، يقال رجل زمن أي مبتلى بين الزمانة وهي العاهة في الجسد. انظر اللسان مادة زمن.

(٢) في هـ: ليس عليكم حرج في أنفسكم أن تأكلوا.

(٣) في هـ الزوج.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتبية ص ٢٥٨.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: لهم.

(٧) كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ فقد قال القرطبي: إنها من قوله تعالى ﴿ولا على أنفسكم﴾ الآية، قال عبد الرحمن بن زيد: هذا شيء قد انقطع كانوا في أول الإسلام ليس على أبوابهم اغلاق وكانت الستور مرخاة فربما جاء الرجل فدخل على البيوت فيأكل منها في غياب أصحابها ثم اتخذت الأبواب فلا يجلب لأحد أن يفتحها فذهب هد وانقطع وقال ﷺ «لا يجتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه» خرج الائمة: هـ تفسير القرطبي ٣١٢/١٢ ط دار الكتاب العربي وذهب ذلك أيضاً فلقد قال كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ بقوله ﷺ: «لا يجلب مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وقوله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا﴾ الآية وقوله ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية فإنهم إذا منعوا من منزله ﷺ إلا بالشرط المذكور وهو إكرام الناس واقلهم جاهاً فغيره ﷺ يعلم بالطريق الأولى. تفسير الالوسي ٢٢٠/١٨

(٨) الانعام: ٥٩.

أن تكون التي يفتح بها، وهذا قول عطاء عن ابن عباس، وقال آخرون أمضى قوله ﴿أو ما ملكتم مفاتيحه﴾ ما خزنتموه لغيركم^(١)، قال ابن عباس: يعني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيقته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته، قال عكرمة^(٢): إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير، وقال السدي: الرجل يولى طعام^(٣) غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه، وقوله ﴿أو صديقكم﴾ قال المقاتلان انطلق رجل غازياً يدعي الحارث بن عمرو واستخلف^(٤) مالك بن زيد في أهله وخزائنه فلم يأكل من ماله شيئاً حتى صار مجهوداً فأنزل الله وصديقكم يعني الحارث بن عمرو وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم^(٥) بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية والمعنى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً^(٦) قال أكثر المفسرين نزلت في بني ليث بن بكر وهم^(٧) من كنانة^(٨) كان الرجل منهم لا يأكل، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما كانت معه الإبل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه^(٩) ومعنى أشتاتاً: متفرقين جمع شتت، وقوله ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على أهله ومن في بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه قال ابن عباس: هو المسجد إذا دخلته فقل^(٩) السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين^(١٠) أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد البغدادي أنا أبو بكر محمد بن المؤمل أنا الفضل بن محمد، نا ابن [أبي]^(١١) مريم، أنا ابن لهيعة حدثني أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً ما فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وإذا ذكر اسم الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدرتكم العشاء والمبيت»^(١٢) وقوله ﴿تحية من عند الله﴾ قال ابن عباس: أي هذه تحية حياكم الله بها، وقال الفراء: أي أن الله يأمركم^(١٣) بما تفعلونه طاعة له وقوله ﴿مباركة طيبة﴾ قال ابن عباس: حسنة جميلة وقال الزجاج: أعلم الله

(١) في ج: يغيركم.

(٢) عكرمة البربري مولى ابن عباس أبو عباس أو أبو عبد الله المدني ت سنة ١٠٥ هـ عن ثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ ص ٣٧ شذرات الذهب ١/١٣٠، تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣.

(٣) فيما عداه: طعامه.

(٤) الحارث بن عمرو بن ثعلبة بن غنم الباهلي أسد الغابة ١/٤٠٤ ط الشعب.

(٥) في هـ والمحترم.

(٦) بنو ليث بن بكر ذكر نسبهم كاملاً في جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي ص ٣٤٠ ط دار المعارف.

(٧) وكنانه قبيلة عظيمة من العدنانية وهم بنو كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياسر بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة ٣/٩٩٦.

(٨) تفسير ابن جرير عن قتادة وابن جريج وابن زيد تفسير ابن جرير ١٨/١٣١.

(٩) في هـ: دخلتم موضع فقل بياض.

(١٠) روى ابن جرير هذه الأخبار في تفسيره بالفاظ متقاربة ١٨/١٣٢.

(١١) ساقط من جـ.

(١٢) رواه الحاكم بالفاظ متقاربة وقال هذا حديث غريب الاسناد والتمن المستدرک كتاب التفسير سورة النور ٢/٤٠٢. وقال عنه الهيثمي رواه

الطبراني وفيه أبو الصبا عبد الغفور وهو متروك مجمع الزوائد كتاب الادب باب السلام عند دخول المنزل ٧/٣٨.

(١٣) في هـ: امركم.

أن السلام مبارك طيب لما فيه من الأجر والثواب وقوله ﴿كذلك﴾ أي كيانه في هذه الآية ﴿يبين الله لكم الآيات﴾
يفضّل الله لكم معالم دينكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا عن الله أمره ونهيه وقوله:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ
مِنْهُمْ ۖ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ أي على أمر طاعة يجتمعون^(١) عليها
نحو الجمعة والقطر والجهاد وأشباه ذلك ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنه﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا
صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ
حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم^(٢) قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده، وقال
الزجاج: أعلم الله أن المؤمنين إذا كانوا مع نبيه فيما يحتاج فيه^(٣) إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنه وكذلك ينبغي
أن يكونوا مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه في جمع من جموعهم الا بإذنه^(٤) وللإمام أن يأذنه وله أن لا يأذن على
ما ترى لقوله عز وجل ﴿فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله﴾ أي واستغفر لهم لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم
عذراً.

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ
لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

قوله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [علمهم الله فضل النبي ﷺ على سائر البرية في
المخاطبة وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعو بعضهم بعضاً قولوا: يا
رسول الله يا نبي الله^(٥) في لين وتواضع وخفض صوت وقوله ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا﴾ التسلل
الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من جملتهم واللواذ أن يستتر بشيء قال ابن عباس هو أن
يلوذ بغيره فيهرب وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون
من المسجد من غير^(٦) استئذان ومعنى ﴿قد يعلم الله﴾ التهديد بالمجازاة ثم حذرهم بالفتنة والعذاب فقال ﴿فليحذر
الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يعرضون عن أمره ودخلت عن لتضمن المخالفة معنى الإعراض أن تصيبهم فتنة قال

(١) في هـ: يجمعوا.

(٢) تفسير ابن جرير ١٣٥/١٨ والدر المنثور عن ابن أبي حاتم باختصار ٢٢٦/٦ ط دار الفكر.

(٣) ليست في هـ.

(٤) في هـ: باذنه.

(٥) ساقط من د.

(٦) في هـ بغير وقد روى ابن جرير هذا الخبر في تفسيره باختلاف يسير ١٣٤/١٨.

ابن عباس ضلالة يعني الكفر وقال مجاهد بلاء في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ثم عظم نفسه فقال:

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

﴿إلا إن لله ما في السموات والأرض﴾^(١) عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعني يوم البعث يعلمه الله متى هو ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر ﴿والله بكل شيء﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾.

(١) في ج: وما في الأرض.

سورة الفرقان

مكيّة وآياتها سبع وسبعون

أخبرنا أبو سعد محمد بن الخفاف، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك الأسدي نا أحمد بن يونس، نا سلام، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي [بن كعب] (١) قال: قال رسول الله ﷺ [من قرأ سورة الفرقان يبعث يوم القيامة وهو مؤمن] (٢) أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من القبور ودخل الجنة بغير حساب] (٣).

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿تبارك﴾ قال ابن عباس: تعالي عما يقول (٤) القائلون [فيه بسوء] (٥) وقد تقدم تفسيره ﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن (٦) الذي فرق الله [به] (٧) بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﴿ليكون﴾ محمد بالقرآن ﴿للعالمين﴾ يعني الجن والإنس ﴿نذيراً﴾ مخوفاً من عذاب الله ثم عظم نفسه فقال ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ يشاركه فيما خلق ﴿وخلق كل شيء﴾ مما يطلق في صفته المخلوقة ﴿فقدره تقديراً﴾ هياً لما يصلح له وسواه، قال المفسرون: قدر له تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ثم ذكر ما صنع المشركون فقال:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ يعني: الاصنام اتخذها أهل مكة ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي وهي مخلوقة ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً﴾ فيدفعونه عن أنفسهم ﴿ولا نفعاً﴾ فيجرونه إلى أنفسهم والمعنى: لا يملكون لأنفسهم دفع ضر ولا جر نفع لأنها جماد لا قدرة لها ﴿ولا يملكون موتاً﴾ أن تميت أحداً ﴿ولا حياة﴾ أن تحيي أحداً ﴿ولا﴾

(١) ساقط من د.

(٢) في هـ: يؤمن.

(٣) حديث لا أصل له وتراجع أول مريم والحج.

(٤) فيما عدا هـ قال.

(٥) ساقط من د.

(٦) فيما عدا هـ: الفرقان.

(٧) ساقط من هـ.

نشوراً ﴿ ولا بعثاً للأمم أي فكيف يعبدون من لا يقدر على أن يفعل شيئاً من هذا ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ثم أخبر عن تكذيبهم بالقرآن فقال:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۖ وَقَالُوا
أَسْطِيرُ الْأُولَىٰ ۖ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تَمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١

﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ محمد واختلقه من تلقاء نفسه ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قالوا أعان محمداً على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى^(١) ويسار غلام ابن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب^(٢) قال الله تعالى ﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾ أي فقد جاءوا شركاً وكذباً حين زعموا أن القرآن ليس من الله ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي ما سطره الأولون من أحاديث المتقدمين [وذلك أن النصر بن الحارث، قال هذا القرآن أحاديث الأولين]^(٣) مثل حديث اسفنديار ورستم ﴿اكتبتها﴾ انتسخها محمد من عداس وجبر ويسار ومعنى اكتب: أمر أن يكتب له ﴿فهي تملى عليه﴾ تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها لأنه لم يك كاتباً ﴿بكرة وأصيلاً﴾ غدوة وعشياً قالوا هؤلاء الثلاثة يعلمون محمداً طرفي النهار قال الله تعالى ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أنزله الذي يعلم السر﴾ أنزل القرآن الذي لا يخفى عليه شيء ﴿في السموات والأرض إنه كان غفوراً﴾ لأوليائه ﴿رحيماً﴾ ٣٣٥ .

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
نَذِيرًا ۖ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ
تَتَّبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ۚ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ
قُصُورًا ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۚ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَبَعُوا لَهَا
تَعِيظًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۚ

﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ أنكروا أن يكون

(١) حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود أسلم بعد الفتح وتوفي في آخر زمان معاوية عن مائة وعشرين سنة انظر: نسب قريش ص ٤٢٦ وأسد الغابة ٢/٧٥ ط الشعب.

(٢) رواه ابن جرير عن مجاهد بدون تحديد لأشخاص ١٨/١٣٧.

(٣) ساقط من هـ ولقد روى ابن جرير هذا الخبر عن محمد بن إسحاق بسند فيه من لا يعرف عن عكرمة عن ابن عباس. تفسير ابن جرير

الرسول بشر يأكل الطعام ويمشي في الطريق. كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة والمعنى: أنه ليس يملك ولا ملك وذلك أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يتبدلون فعجبوا [من ذلك] (١) أن يكون مثلهم في الحال [لا] (٢) يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال والله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله ﴿لولا أنزل إليه (٣) ملك فيكون معه نذيراً﴾ [وذلك] (٤) أنهم قالوا للنبي ﷺ سل ربك أن ينزل (٥) معك ملكاً يصدقك بما تقول حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً ويجعل لك جناناً وكنوزاً يغنيك بها عن طلب المعاش (٦) وهو قوله ﴿أو يلقي إليه كنز﴾ قال ابن عباس ومقاتل أو ينزل إليه مال من السماء ﴿أو تكون له جنة﴾ بستان ﴿يأكل منها﴾ من ثمارها من قرأ بالنون (٧) أراد أنه يكون له بذلك مزية علينا في الفضل بأن نأكل من جنته ﴿وقال الظالمون﴾ المشركون للمؤمنين ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ ما تتبعون إلا مخدوعاً مغلوباً على عقله ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني حين مثله بالمسحور وبالمحتاج المتروك والناقص عن القيام بالأمور ﴿فضلوا﴾ بهذا يعني الهدى ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ لا يجدون (٨) إلى الحق طريقاً وقال مقاتل: لا يجدون مخرجاً مما قالوا يعني: أنهم كذبوا فيما زعموا فلزمهم ذلك الكذب ولم يجدوا منه مخرجاً حجة أو برهان (٩) ثم أخبر الله تعالى أنه لو شاء لأعطى نبيه ﷺ من الدنيا خيراً مما قالوا فقال تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي قالوا أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا وهو قوله ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يعني في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه [إياها] (١٠) في الآخرة، وقوله ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ من قرأ بالجزم (١١) كان المعنى إن شاء يجعل لك قصوراً (١٢) قال الزجاج: أي سيعطيك الله في الآخرة أكثر مما قالوا ثم أخبر عن تكذيبهم بالبعث وأوعدهم على ذلك بالنار فقال: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ ناراً تلتظي (١٣) ثم وصف ذلك السعير فقال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ قال الكلبي والسدي [ومقاتل] (١٤) من مسيرة مائة عام ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي صوت تغيظ كالغضببان إذا غلا صدره من الغيظ وهو الغضب ﴿وزفيراً﴾ قال عبيد بن عمير (١٥) إن جهنم لتذفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك مقرب إلا خرّ لوجهه ﴿وإذا ألقوا منها﴾ من جهنم ﴿مكاناً ضيقاً﴾ قال المفسرون يضيق عليهم كما يضيق الزج (١٦) في الرمح وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية «والذي نفسي بيده إنهم يستكروهون في النار كما يستكروه التود في الحائط» (١٧) ﴿مقرنين﴾ قال مقاتل: موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك كما يقول القائل

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) ليست في هـ.

(٣) في ح: عليه.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: يبعث.

(٦) قراءة الجزم قرأ بها: أبو عمرو وأبو جعفر وحزمة والكسائي ونافع وحفص عن عاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٣٣٣/٢.

(٧) قراءة الرفع في (ويجعل) قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٢ والنشر ٣٣٣/٢.

(٨) ساقط من هـ.

(٩) فيما عدا هـ: تلتظي.

(١٠) ليست في هـ.

(١١) عبيد بن عمير مولى ابن عباس انظر تهذيب التهذيب ٧/٧٢ وفي د: عبيد بن بن عمر وهو خطأ.

(١٢) الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح والجمع زججة بوزن عنية الصحاح زجج.

(١٣) رواه ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد الدر المنثور ٦/٢٤٠ ط دار الفكر.

واهلكاه أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا إسماعيل بن نجيد، أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، نا عبيد الله بن محمد العسبي، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد (بن) جدعان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار يضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول واثوراه وهم ينادون يا ثورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثوراه وينادون يا ثورهم فيقول الله عز وجل: لا تدعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً»^(١) قال الزجاج: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال:

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۚ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۚ

﴿قل أذلك خير﴾ يعني: السعير خير ﴿أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ وهذا على التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خير وقوله ﴿كانت لهم جزاء ومصيراً﴾ أي ثواباً ومرجعاً ﴿لهم فيها﴾^(٢) أي أن في جنة الخلد ﴿ما يشاؤون﴾ [أي القدر الذي يشاؤون]^(٣) ﴿خالدين﴾^(٤) كان ذلك الخلود [والدخول]^(٥) ﴿على ربك وعداً مسئولاً﴾ وذلك أن الله وعد المؤمنين الجنة على لسان الرسل فسألوه ذلك الوعد في الدنيا فقالوا: ﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك﴾^(٦) وقال القرظي إن الملائكة تسأل لهم ذلك وهو قوله ﴿ربنا وأدخلهم جنات (٧) عدن... الآية﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۚ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَطْلِمَ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۚ

﴿ويوم يحشرهم﴾ يجمعهم: يعني كفار مكة والمشركين ومن كان يعبد غير الله ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ قال مجاهد: [يعني: عيسى وعزيراً والملائكة]^(٨) وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني: الاصنام ثم يأذن لها في الكلام ويخاطبها ﴿فيقول﴾ أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء ﴿أنتم أمرتهم بعبادتهم﴾ أم هم أضلوا السبيل ﴿أم هم أخطأوا الطريق﴾ قالوا سبحانك ﴿نزهوا الله من أن يكون معه إله﴾ ما كان ينبغي لنا [أن نتخذ من دونك من أولياء] ما كان ينبغي لنا^(٩) أن نعبد غيرك ونتخذ غيرك ولياً ومعبوداً [أي]^(١٠) فكيف ندعو إلى عبادتنا إذا كنا نحن لا نعبد غيرك فذكر

(١) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١٥٣/٣ وقال عنه الهيثمي رواه أحمد والبخاري ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق المجمع باب صفة النار في أهل النار.

(٢) في هـ موضع هذه العبارة خالدين فيها.

(٣) في حـ موضع هذه العبارة الذي يشتهون وفي هـ يشاؤون من الوقت.

(٤) ساقط من د. هـ.

(٥) ساقط من حـ.

(٦) آل عمران: ١٩٤.

(٧) غافر: ٨.

(٨) تفسير ابن جرير ١٨/١٤٢.

(٩) ساقط من هـ.

من جواب المعبودين ما دل على أنهم لم يأمرهم بعبادتهم، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان بالله بقولهم ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ قال ابن عباس: أطلت لهم العمر وأفضلت عليهم ووسعت لهم في الرزق ﴿حتى نسوا الذكر﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ فاسدين هالكين قد غلب عليهم الشقاء والخذلان يقال: رجل باثر وقوم بور، وهو الفاسد الذي لا خير فيه فيقال للكفار حينئذ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أن: كذبكم المعبودون بقولهم لكم أنهم آلهة شركاء لله، ومن قرأ بالياء^(١) كان المعنى: كذبوكم بقولهم (سبحانك ما كان ينبغي لنا... الآية) وقوله ﴿فما يستطيعون صرفاً﴾ أي ما يستطيع المعبود صرف العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء^(٢) فالمعنى: ما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرفاً ﴿ولا نصراً﴾ من العذاب لأنفسكم ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب، وعلى قراءة العامة^(٣) وإلا أن ينصروكم من عذاب الله وبدفعه عنكم ﴿ومن يظلم منكم﴾ يشرك بالله ﴿نذقه﴾ في الآخرة ﴿عذاباً كبيراً﴾ شديداً ثم رجع إلى مخاطبة النبي ﷺ يعزيه فقال:

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام﴾ كما تأكل أنت ﴿ويمشون في الأسواق﴾ قال الزجاج: هذا احتجاج عليهم في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ فقيل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد دعاً منهم وقوله ﴿وجعلنا بعضهم لبعض فتنة﴾ بلية أبتلي الشريف بالوضيع والعربي بالمولى فإذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال: أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض^(٤) وهذا قول الكلبي واختيار الفراء والزجاج وقال مقاتل: هذا في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون (انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من مواليها^(٥)) وذالينا فقال الله لهؤلاء الفقراء^(٦) ﴿أتصبرون﴾ على الأذى والاستهزاء. ﴿وكان ربك بصيراً﴾ أن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾^(٧) ﴿وكان ربك بصيراً﴾ عمن يجزع وعمن يصبر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۚ يَوْمَ يُرَوَّنَ الْمَلَائِكَةُ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ۚ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۚ﴾

(١) قراءة (بما يقولون) بالياء قرأ بها قبل عن أبي عزة عن ابن كثير. انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٢/٣٣٤.

(٢) قراءة (تستطيعون) بالتاء قرأ بها حفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٣ والنشر ٢/٣٣٤.

(٣) قراءة العامة (يستطيعون) بالياء قرأ بها جميع القراء عدا رواية حفص عن عاصم المتقدمة.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٥.

(٥) تفسير ابن جرير عن ابن عباس ١٨/١٤٥.

(٦) المؤمنون: ١١١.

(٧) ساقط من ج.

قوله ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يخافون البعث ﴿لولا﴾ [هلا] ^(١) ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا أنك رسوله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ تكبروا حيث سألوا من الآيات ما لم تسأله آية ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ غلوا في القول غلواً شديداً حين قالوا نرى ربنا وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم طلبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتها والعتو مجاوزة القدر في الظلم ثم أعلم الله أن الموقف ^(٢) الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وأن الله قد حرمهم البشري في ذلك اليوم فقال: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يعني يوم القيامة ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ لا بشارة لهم في الجنة والثواب، قال الزجاج: والمجرمون في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً ^(٣) عليكم [أيها المجرمون أن تكون لكم البشرية كما يبشر المؤمنون قوله] ^(٤) ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ أي قصدنا وعمدنا، قال ابن عباس: لم يكن الله غائباً عن أعمالهم، ولكن يريد وعمدنا إلى أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ قال ابن شميل: الهباء التراب الذي تطيره الريح كأنه دخان، وقال الزجاج: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وهذا قول المفسرين والمثور المرفق والمعنى: ان الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور ثم ذكر فضل أهل الجنة على أهل النار فقال: ﴿أصحاب الجنة يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿خير مستقراً﴾ أفضل منزلاً في الجنة ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قائلة قال الأزهرى: القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها ^(٥) قال ابن مسعود وابن عباس: لا يتتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ^(٦).

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنَزَلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ۚ ٢٥ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۚ ٢٦ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ ٢٧ يَوَلَّيْتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ۚ ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ۚ ٢٩

قوله ﴿ويوم تشقق السماء﴾ عطف على قوله يوم يرون الملائكة وفي تشقق قراءةان بتشديد الشين وتخفيفها فمن شدد أدغم التاء في الشين ^(٧) والاصل تشقق ومن خفف ^(٨) حذف ولم يدغم وقوله ﴿السماء بالغمم﴾ قال أبو علي الفارسي ^(٩): تشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وإنما تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء

(١) فيما عدا هـ: القدر.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد أبو منصور سنة ٣٧٠ هـ ٣٠٦/٩.

(٤) تفسير ابن جرير ٣/١٩.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره ٤/١٨.

(٦) قراءة (تشقق) بتشديد الشين، قرأ بها ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٣٣٤/٢.

(٧) قراءة (تشقق) بتخفيف الشين، قرأ بها أبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي انظر: السبعة ص ٤٦٤ والنشر ٣٣٤/٢.

(٨) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ولد سنة ٣٨٨ هـ وت سنة ٣٧٧ انظر وفيات الأعيان ١/١٣١، نزهة الألباء

التي قبلها^(١) ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة، قال ابن عباس: يريدون أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ عسر عليهم ذلك اليوم لشدة ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلوا في دار الدنيا وفي الآية تبشير للمؤمنين حيث خص الكافرين بشدة ذلك اليوم قوله ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه﴾ قال مجاهد: ان عقبة بن^(٢) أبي معيط دعا مجلساً فيهم النبي ﷺ لطعام فأبى النبي ﷺ أن يأكل وقال لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فشهد بذلك عقبة فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له فقال صبوت يا عقبة فقال لا والله ما صبوت وإن أخاك على ما تعلم ولكني صنعت طعاماً فأبى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فأنزل الله ﴿ويوم يعرض الظالم﴾ يعني: عقبة على يديه تحسراً وندماً قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبها إلى المرفقين ثم تتبان لا يزال هكذا كلما نبت يده أكلها ندامة على ما فعل^(٣) ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ ليتني اتبعت محمداً واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني أياً ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ صرفني وردني عن القرآن والإيمان به بعد إذ جاءني مع الرسول وتم الكلام ها هنا ثم قال الله تعالى ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ يعني: الكافر يتبرأ منه يوم القيامة قوله:

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۚ

﴿وقال الرسول﴾ يعني محمداً ﷺ، يشكو قومه إلى الله ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ قال ابن عباس: هجروا القرآن وهجروني وكذبوني وقال مقاتل: تركوا الإيمان بالقرآن^(٤) وجانبوه، والمعنى: جعلوه مهجوراً متروكاً لا يستمعونه ولا يفهمونه، فعزاه الله عز وجل فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه، قال مقاتل: يقول لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك [قد]^(٥) لقيت هذا التكذيب من قومهم ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ هادياً لك وناصراً لك على أعدائك. قوله:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۚ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۚ

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال الكفار لرسول الله ﷺ: هلا أتيتنا بقرآن

(١) روى هذا الخبر ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس عن يوسف بن مهرا عن علي بن جدعان وعلي بن جدعان ضعيف الحديث تفسير ابن جرير ٥/١٨.

(٢) عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قتل صبياً يوم بدر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي (١١٤).

(٣) رواه ابن جرير موقوفاً على مجاهد تفسير ابن جرير ٧/١٩ - رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم الدر المنثور ٢٥٢/٦ ط دار الفكر.

(٤) في د: بالقول.

(٥) ليست في هـ.

جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور، والمعنى: هلا نزل عليه القرآن في وقت واحد قال الله تعالى ﴿كذلك﴾ أي أنزلناه متفرقاً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ لتقوي به قلبك فيزداد بصيرة وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوى لقلبه ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ قال ابن عباس: بيناه تبييناً وقال السدي: فصلناه تفصيلاً وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض، قال ابن الأعرابي ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين^(١) قوله ﴿ولا يأتونك﴾ يعني المشركين ﴿بمثل﴾ يضربونه لك في إبطال أمرك ومخاصمتك ﴿إلا جئناك بالحق﴾^(٢) بالذي هو الحق لترد به خصومتهم وتبطل به كيدهم ﴿وأحسن تفسيراً﴾ مما أتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً، والتفسير: تفصيل من الفسر، وهو كشف ما غطي قوله ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ قال مقاتل: هم كفار مكة وذلك أنهم قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: هم شر خلق الله فقال الله ﴿أولئك شر مكاناً﴾ منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي^(٣) نا محمد بن إبراهيم المجامعي أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا أحمد بن حنبل، نا يونس بن محمد، نا شيبان عن قتادة عن أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على رجله في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة^(٤) رواه البخاري عن عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۚ فَقُلْنَا اذْهَبْ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ۚ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۚ وَكُلًّا صَبَّأْنَا لَهُ الْآمْتَلَّ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ۚ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوَاءَ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَضُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۚ

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ قال مقاتل والكلبي: معيناً على الرسالة ﴿فقلنا اذها إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني فرعون وقومه، وذلك أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكتناهم بالعذاب إهلاكاً ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ قال الزجاج: من كذب نبياً فقد كذب جميع الأنبياء ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم للناس﴾ من بعدهم ﴿آية﴾ عبرة ودلالة على قدرتنا قال ابن عباس: وهذا تعزية للنبي ﷺ وتخويف للمشركين ﴿وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ سوى ما حل بهم في الدنيا وقوله ﴿وعاداً وثمود﴾ تقدم تفسيره ﴿وأصحاب الرس﴾ قال السدي: هو بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيياً النجار فانسوا إليها وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة قال سألته عن أصحاب الرس فقال هم الذين قتلوا صاحب ياسين الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين ورسوه

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٨/١٤.

(٢) ساقط من د، ح، هـ.

(٣) في هـ.. النصر آبادي، نا محمد بن إبراهيم النصر آبادي، نا محمد بن إبراهيم... الخ.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الفرقان ٣٧/٦ ط. الشعب، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب يحشر الكافر على

في بئر لهم يقال له الرس أي دسوه فيها وقال قتادة: حدثنا أن أصحاب الرس كانوا أهل فلج باليمامة^(١) وأبار كانوا عليها وقال وهب: كانوا أهل بئر نزولا عليها وأصحاب مواشي فكذبوا شعيباً فانهارت البئر بهم وبمنازلهم فهلكوا جميعاً^(٢) وقوله^(٣) ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ أي وأهلكنا قروناً بين عاد إلى أصحاب الرس ﴿وكلاً ضربنا له الامثال﴾ قال مقاتل: وكلاً بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وكلاً تبرنا تبيراً﴾ أهلكنا بالعذاب إهلاكاً، قال الزجاج: وكل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته ﴿ولقد أتوا﴾ يعني كفار مكة ﴿على القرية﴾ يعني قرية لوط ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: الحجارة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا ثم أخبر أن الذي جرأهم على التكذيب أنهم لا يصدقون بالبعث فقال ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ لا يخافون بعثاً ولا يصدقون به، قوله:

وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا
لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنَ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
إِلَهِهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

﴿وإذا رأوك إذا هزوا﴾ وما يتخذونك إلامهزوا به ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء فقال ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ أي إذا رأوك قالوا هذا الذي بعثه الله [إلينا]^(٤) رسولا ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ قال ابن عباس لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي على عبادتها قال الله ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ في الآخرة عياناً ﴿من أضل سبيلاً﴾ من أخطأ طريقاً عن الهدى؟ أمهم أم المؤمنون؟ ثم عجب نبيه ﷺ من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى فقال ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ قال عطاء عن ابن عباس أرأيت من ترك عبادة إلهه وخالفه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي؟ قال مقاتل: وذلك ان الحارث بن قيس السهمي هوى حجراً فعبده، وقال سعيد بن جبير كان أهل الجاهلية ليعبدون الحجر فإذا رأوا أحسن منه أخذوه وتركوا الاول^(٥) وقال الحسن: يقول لا يهوى شيئاً إلا اتبعه، وقال ابن قتبية: يقول يتبع هواه ويدع الحق فهو كالإله له^(٦) والمعنى: أنه أطاع هواه وركبه فلم يبال^(٧) عاقبة ذلك وقوله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي أفأنت عليه كفيل حافظ يحفظه عليه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله أي لست^(٨) كذلك قال الكلبي نسختها آية القتال ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [٩].

(١) اليمامة: كان اسمها قديماً «جوت» فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم أحد الملوك وبين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام للراكب على الجمال معجم البلدان ٤٤٢/٥ لياقوت الحموي.

(٢) روى ابن جرير كل هذه الاخبار في تفسيره ثم عقب عليها بقوله: والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر
سبقت إلى فرط بأهل... تنابله يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الاخدود فإن يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا بنبيهم في حفرة اهد تفسير ابن جرير ١١/١٩. (٣) ساقط من هـ.

(٤) ساقط من جـ. (٦) تفسير غريب القرآن لابن قتبية ص ٣١٣. (٨) في هـ: ليست.

(٥) تفسير ابن جرير ١١/١٩. (٧) في هـ: ينال. (٩) ساقط من أ، ج، هـ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنُّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

قوله ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ قال مقاتل: ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف وقال الزجاج: ألم تر ألم تعلم وهذا من رؤية القلب، وذكر أن هذا على القلب بتقدير ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت الإسفار إلى طلوع الشمس وهو ظل لا شمس معه فهو ظل ممدود ﴿ولو شاء﴾ الله ﴿لجعله ساكناً﴾ دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس ومعنى ساكناً مقيماً كما يقال فلان يسكن بلد كذا إذا قام به وقوله ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ قال ابن عباس: تدل الشمس على الظل يعني: أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة فكل الأشياء تعرف بأضدادها وقوله ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ قال الكلبي: إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً خفياً والمعنى: ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ يعني: أن ظلمته تلبس كل شخص وتغشاه كاللباس الذي يشتمل على لابس، والله تعالى ألبسنا الليل وغشانا لنسكن فيه كما قال ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾^(١) وقوله ﴿والنوم سباتاً﴾ قال الزجاج: السبات أن تنقطع عن الحركة والروح في يديه أي جعلنا نومكم راحة لكم ﴿وجعل﴾^(٢) النهار نشوراً﴾ قال ابن عباس ومقاتل: ينتشرون فيه لا ابتغاء الرزق والنشور ها هنا معناه التفرق والانبساط في التصرف.

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً﴾ [بين يدي رحمة] ﴿^(٣) سبق الكلام فيه في سورة الاعراف وقوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ قال الأزهري: الطهور في اللغة الطاهر المطهر والظهور ما يتطهر به كالوضوء الذي يتوضأ به والفظور ما يفطر عليه ومنه الحديث (هو الطهور ماؤه)^(٤) قال ابن عباس: [يريد] ^(٥) المطر وقال مقاتل طهوراً للمؤمنين ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت، قال ابن عباس: لنخرج به النبات والثمار وإنما قال ميتاً لأنه أريد بالبلدة المكان ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي ونسقي من ذلك الماء أنعاماً وبشراً كثيراً وهو قوله ﴿وأناسي كثيراً﴾ واحداً إنس ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي صرفنا الماء المنزل من السماء مرة لبلدة ومرة لبلدة أخرى قال ابن عباس: ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية وهذا كما روي أن النبي ﷺ قال: «ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم

(١) يونس: ٦٧.

(٢) في هـ: والنهار نشوراً.

(٣) ساقط من ب.

(٤) رواه ابن حنبل في المسند ١٥/٣، وأبو داود في كتاب الطهارة باب ما جاء في بثر بضاعة ٢٤/١ والترمذي في أبواب الطهارة باب ما جاء

أن الماء لا ينجسه شيء ٩٥/١ ط الحلي، والحديث ونص الأزهري في تهذيب اللغة ١٧٢/٦ للأزهري.

(٥) ساقط من جـ.

بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار^(١) وقوله ﴿ليذكروا﴾ أي ليتفكروا في قدرة الله وموضع النعمة منه بما أحيا بلادهم به من الغيث ويحمدوه على ذلك ومن قرأ بالتخفيف^(٢) فمعناه: ليذكروا موضع النعمة به فيشكروه ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ إلا كفراً بالله وبنعمته وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا^(٣) وقوله:

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾
 وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسلاً لعظم كرامتك لدينا^(٤) ﴿فلا تطع الكافرين﴾ وذلك حين دعي إلى دين آبائهم ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ تاماً شديداً.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أرسلهما في مجاريهما أو خلاهما كما ترسل الخيل في المرح وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني أحد البحرين ﴿عذب﴾ طيب يقال: عذب عدوية فهو عذب ﴿فرات﴾ الفرات أعذب المياه يقال: فرت الماء يفرت فروة إذا عذب فهو فرات ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ حاجزاً من قدرة الله ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ خلق من النطفة إنساناً ﴿فجعله^(٥) نسباً وصهراً﴾ الصهر حرمة الختونة^(٦) والمعنى: فجعله ذا نسب وصهر، قال المفسرون: النسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿وأمهات نسائكم﴾^(٧) ومن هنا إلى قوله ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ تحريم الصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح كالنسب المحرم حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر ستة في الآية التي ذكر فيها المحرمات والسابقة في قوله ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾^(٨) ﴿وكان ربك قديراً﴾ على ما أراد. قوله:

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
 مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ

(١) رواه الحاكم موقوفاً على ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين المستدرک کتاب التفسیر سورة الفرقان ورواه ابن جریر فی تفسیره عن ابن عباس وابن مسعود أيضاً. تفسیر ابن جریر ١٥/١٩.

(٢) قراءة (ليذكروا) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها، قرأ بها حمزة والكسائي وخلف انظر: السبعة ص ٤٦٥ والنشر ٣٠٧/٢.

(٣) النوء: النجم إذا مال للمغيب كانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فتقول مطرنا بنوء كذا. اللسان نوء.

(٤) في هـ: لدينك.

(٥) في هـ وجعله.

(٦) والختونة المصاهرة بين الرجل والمرأة فأهل بيت المرأة أختان أهل بيت الزوج وأهل بيت الزوج أختان المرأة وأهلها اللسان. فصل الخاء حرف النون.

(٧) النساء: ٢٣.

(٨) النساء: ٢٢.

الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم﴾ أن عبوده ﴿ولا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ الظهير: العون المعين، قال الحسن: عوناً للشيطان على ربه بالمعاصي، وقال الزجاج: لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان، قال المفسرون: عني بالكافر أبا جهل^(١) ﴿وما أرسلنا إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿قل ما أسئلكم عليه﴾ على القرآن وتبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على دعائهم إلى الله شيئاً من أموالهم لقالوا: إنما تطلب^(٢) أموالنا وقوله ﴿إلا من شاء﴾ معناه لكن من شاء ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ما له فعل ذلك والمعنى: لا أسئلكم لنفسي أجراً ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى مرضاة الله قوله ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ تفسير هذه الآية ظاهر وقوله: ﴿الذي خلق السموات﴾ مفسر في سورة الاعراف إلى قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾ قال الكلبي: يقول^(٣) فاسأل الخبير بذلك يعني بها: ذكر من خلق السماوات والارض والاستواء على العرش، وهذا الخطاب ظاهره للنبي ﷺ والمراد به غيره كقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾^(٤) الآية قوله ﴿وإذا قيل لهم﴾ [لكفار مكة]^(٥) ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة قال الزجاج: الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب الأولى ولكنهم لم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فلما سمعوه أنكروه فـ ﴿قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ استفهام إنكاري أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ومن قرأ بالياء^(٦) بالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له ﴿وزادهم نفوراً﴾ قال مقاتل: زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان قوله:

نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد بروج النجوم يعني منازلها الاثني عشر وقال الحسن ومجاهد: هي النجوم الكبار، وهو قول قتادة سميت بروجاً لظهورها ﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ يعني الشمس كقوله ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾^(٧) سراجاً ﴿وقرأ حمزة سراجاً﴾^(٨) قال الزجاج أراد بالشمس

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس: تفسير ابن جرير ١٩/١٨.

(٢) في هـ: يطلب.

(٣) فيما عدا ب، هـ: يقال.

(٤) يونس: ٩٤.

(٥) ساقط من ب، د، هـ.

(٦) قراءة (يأمرنا) بالياء قرأ بها حمزة والكسائي انظر النشر ٢/٣٣٤.

(٧) نوح: ١٦.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف (سرجا) بضم السين والراء من غير ألف على الجمع انظر النشر ٢/٣٣٤.

والكواكب معها ومن حجة هذه القراءة قوله ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾^(١) ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه﴾ قال أبو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفه للنهار والنهار خلفه لليل لأن أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده قال الفراء: يقول: يذهب هذا ويحيى هذا وقال ابن زيد يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان، وقال قتادة: إن المؤمن قد ينسى بالليل ويتذكر^(٢) بالنهار وينسى بالنهار ويتذكر بالليل وقال الحسن: جعل أحدهما خلفاً للآخر فإن فات رجلاً من النهار شيء أدركه بالليل وإن فاته شيء بالليل أدركه بالنهار وهو قوله ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ وقرأ حمزة مخففاً^(٣) على معنى أنه يذكر الله بتسبيحه^(٤) فيهما قال الفراء ويذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى ﴿واذكروا﴾^(٥) ما فيه ﴿وفي حرف عبد الله وتذكروا ما فيه﴾^(٦) وفي جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما صاحبه اعتبار واستدلال على قدرته وتمتع لذكرك وطاعته أيضاً وقوله ﴿أو أراد شكوراً﴾ يقال شكر يشكر شكوراً وشكراً ومنه قوله ﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾^(٧) قال ابن عباس يريد لمن أراد أن يتعظ ويطيعني وقال مجاهد: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝٦٧

قوله ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ الهون: مصدر الهين في السكينة والوقار يقال: هو يمشي هوناً، قال الحسن وعطاء والضحاك ومقاتل: حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد وقال قتادة: تواضعاً لله لعظمته ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعني السفهاء ﴿قالوا سلاماً﴾ قال ابن عباس: لا يجهلون مع من يجهل وقال الحسن: يقول إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا وقال قتادة: كانوا لا يتجاهلون أهل الجهل وقال مقاتل بن حيان: قالوا سلاماً: أي قولاً يسلمون فيه من الاثم قال الحسن: هذا صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحن بين أطرافهم وهو قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات يبيت نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقاً، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجداً وقياماً وذكر الكلبي عن ابن عباس قال: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجداً وقائماً ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ الغرام: العذاب اللازم أو الشر اللازم، قال مقاتل: إن عذابها لازم كلزوم الغريم للغريم. وقال الزجاج: الغرام أشد العذاب ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ إن جهنم بش موضع قرار

(١) الملك: ٥.

(٢) فيما عدا جـ يذكر.

(٣) قرأ حمزة وخلف بتخفيف الذال مسكنة وتخفيف الكاف مضمومة انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٤) في هـ بتسيح.

(٥) البقرة: ٦٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧١ وفيه وفي قراءتنا (واذكروا ما فيه) بدلاً من قال الله تعالى.

(٧) الانسان: ٩.

وإقامة هي ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ يقال قتر الرجل على عياله يقتري وقر قترأ وأقر اقتاراً^(١): إذا ضيق ولم ينفق إلا قدر ما يمسك الرمق قال أبو عبيدة وهي: ثلاث لغات معناها لم يضيقوا في الإنفاق ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي كان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار لا إسرافاً يدخل في حد التبذير ولا تطبيقاً يصبر به في حد المانع لما يجب، وهذا هو المحمود من النفقة وعد عمر رضي الله عنه من الإسراف أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا أكله وقال كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كلما يشتهي وقال قتادة: الإسراف النفقة في معصية الله والاعتدال الإمساك عن حق الله والقوام من العيش ما أقامك وأغناك قوله:

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ روى^(٢) سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا وزنوا وأكثروا ثم أتوا النبي ﷺ فقالوا إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى نا والدي، أنا محمد بن إسحاق الثقفي، نا إسحاق^(٣) بن إبراهيم الحنظلي، نا جرير عن منصور بن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال: قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون^(٤) رواه البخاري ومسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير وقوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل هذه الخصال جميعاً ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء أثمه الله إثماً وأثاماً أي جزاءه جزاء الإثم^(٥) وقال المفسرون: أثام واد في جهنم من دم وقيح ثم ذكر ما يجازى به وفسر لقي الأثام بقوله: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ ومن رفع (يضاعف ويخلد)^(٦) استأنف وقطعه مما قبله قوله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾^(٧) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون قالوا: ما يعني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وآتينا الفواحش فنزلت هذه الآية. أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا أبو الحسن السراج، نا محمد بن عبد الله الحضرمي، نا إبراهيم بن محمد بن عباس

(١) في جـ واقتار اقتاراً.

(٢) في أ، ب: رواه والخبر رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الزمر باب قوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحافظ الحنظلي أبو يعقوب ت سنة ٣٣٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١/١٨٢.

(٤) رواه البخاري باختلاف يسير في كتاب التفسير سورة البقرة ٦/٢٢ ط الشعب ومسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ٤/٩٠ ط الحلبي.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٦٠.

(٦) قراءة (يضاعف، ويخلد) بالرفع قرأ بها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم انظر: النشر ٢/٣٣٤.

(٧) ساقط من جـ، هـ.

الشافعي، نا عبد الله بن رجاء^(١) عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قرأنا على عهد رسول الله ﷺ سنتين والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله... الآية^(٢) ثم نزلت إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها وبإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً^(٣) قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قال التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقال الحسن: أبدلهم بالعمل السيء العمل الصالح والشرك إخلاصاً وإسلاماً وبالفجور إحصاناً، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي يبدل الله سيئاتهم يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشرك إيماناً [وبقتل النفس التي حرم الله^(٤)] قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة^(٥) وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول^(٦) وعمر بن ميمون واحتجوا بالحديث الصحيح الذي أخبرناه أبو منصور بن طاهر التميمي، أنا أبو عمر بن مطر، نا إبراهيم بن علي الذهلي، نا يحيى بن يحيى، أنا وكيع عن الأعمش عن المعرور بن سويد^(٧) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي [كبار] ^(٨) ذنوب ما أراها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه^(٩) رواه مسلم عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن بطة، نا أبو القاسم ابن بنت منيع، أنا محمد بن هارون الجدي، نا أبو المغيرة الحمصي، نا صفوان بن عمرو، نا عبد الرحمن بن جبير أن رجلاً أتى النبي ﷺ طويل شطب ممدود فقال رأيت رجلاً عمل الذنوب كلها فلم يترك منها وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه فهل لذلك من توبة قال هل أسلمت قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسول الله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرط يجعلهن الله لك خيرات قال وغدراتي وفجراتي قال نعم فقال^(١٠) الله أكبر فما زال يكبر^(١١) حتى توارى^(١٢) قوله ﴿ومن تاب وعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء ومن آمن يعني ممن لم يقتل ولم يزن وعمل

(١) عبد الله بن رحاب المكي أبو عمرو البصري ت سنة ٢١٩ هـ انظر. طبقات الحفاظ (١٧٢)، التهذيب ٢٠٩/٥، طبقات ابن سعد ٣٦٦/٥.

(٢) في هـ: التي.

(٣) قال الهيثمي رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران قد وثقا وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة الفرقان ٨٤/٧.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٥) في هـ، جـ: وبقتل المؤمنين موضع هذه العبارة.

(٦) مكحول الدمشقي أبو عبد الله الفقيه ت سنة ١١٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١٠٧/١، شذرات الذهب ١٤٦/١، التهذيب ٢٧٩/١٠.

(٧) المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي عاش مائة وعشرين سنة تذكرة الحفاظ ٦٧/١ التهذيب ٢٣٠/١٠ طبقات ابن سعد ٨٠/٦.

(٨) ساقط من جـ، د، هـ.

(٩) رواه مسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٧٥/١ ط الحلبي بالفاظ متقاربة.

(١٠) في هـ: قال قال...

(١١) في هـ: أكبر.

(١٢) رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٥٢٥/١ ط الشعب. وقال عنه الهيثمي رواه الطبراني والبخاري بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير =

صالحاً يريد الفرائض فإنه يتوب إلى الله متاباً قال: يريد أني فضلتهم وقدمتهم على من قاتل نبيي واستحل محارمي وعلى هذا معنى الآية ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً ولم يكن من القبيل الذين زنوا وقتلوا فإنه يتوب إلى الله أي يعود إليه بعد الموت متاباً حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

وقوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أكثر المفسرين على أن الزور هنا بمعنى الشرك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله^(١) وقال قتادة: لا يشهدون الزور لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية: لا يشهدون الزور اللغو والغناء وقال علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور^(٢) وقوله ﴿وإذا مروا باللغو﴾ يعني بالمعاصي كلها قاله^(٣) الحسن والكلبي ﴿مروا كراماً﴾ مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلبون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله، يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه والمعنى: مروا منزهين أنفسهم معرضين عنه ويكون التقدير وإذا مروا بأهل اللغو وذوي^(٤) اللغو مروا كراماً فلم يجاوروهم فيه ولم يخوضوا معهم فيه ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ قال مقاتل: إذا وعظوا^(٥) بالقرآن ﴿لم يخروا عليها صمًّا وعمياناً﴾ يقول لم يقعوا عليها صمًّا لم يسمعوها وعمياً لم يبصروها ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا بها وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها^(٦) وقال الحسن: كم من قارىء يقرأها يخبر عليها أصم أعمى ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا﴾ الذرية تكون واحداً وجمعاً فكونها للواحد قوله ﴿رب هب لي من لدنك ذرية﴾ طيبة ﴿وكونها للجمع قوله:﴾ ذرية^(٨) ضعافاً ﴿فمن أفرد^(٩) في هذه الآية استغنى عن جمعها لما كانت للجمع ومن جمع^(١٠) فلأن الاسماء التي للجمع قد تجمع نحو قوم وأقوام ورهط وأرهاط وقوله ﴿قرة أعين﴾ القرة: مصدر يقال:

= محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة .

مجمع الزوائد كتاب التوبة باب فيمن يعمل الحسنات بعد السيئات ٢٠١/٩ وأراد بقوله حاجة ولا داجة: الحاجة: الصغيرة من الذنوب والداجة الكبيرة لسان العرب باب الدال حرف الجيم .

(١) ساقط من جـ .

(٢) روى ابن جرير كل هذه الأقوال في تفسيره ٣١/١٩ .

(٣) في هـ: قال .

(٤) ساقط من جـ .

(٥) ساقط من جـ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٥ .

(٧) آل عمران: ٣٨ .

(٨) النساء: ٩ .

(٩) قراءة ذريتنا بالافراد قرأ بها: ابن كثير ويعقوب وابن عامر والمدنيان وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٣٣٤ .

(١٠) قراءة (ذرياتنا) بالجمع، قرأ بها: ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص انظر السبعة ص ٤٦٧ والنشر ٢/٣٣٤ .

قرت عينه قره قال ابن عباس: يريد أبراراً أتقياء وقال مقاتل يقولون: اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك وقال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله، وقوله ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي يقتدى بنا في الخير، قال مكحول: أئمة في التقوى يقتدى بنا المتقون، وقال قتادة: قادة في الخير قال الفراء: إنما قال إماماً ولم يقل أئمة كما قال ﴿أنا رسول رب العالمين﴾^(١) للثنين^(٢) يعني: أنه من الواحد الذي أريد به الجمع قال مقاتل: أخبر الله تعالى عن أعمالهم ثم أخبر عن ثوابهم فقال:

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ وهي كل بناء عال مرتفع قال مقاتل يعني غرف الجنة وقال عطاء: يريد غرف الزبرجد والدر والياقوت ﴿بما صبروا﴾ أي على دينهم وعلى أذى المشركين وقال مقاتل: على أمر الله ﴿ويلقون فيها﴾ وقرىء بالتخفيف^(٣) فمن شدد فحجته قوله ﴿ولقاهم نضرة﴾^(٤) ومن خفف فحجته قوله ﴿فسوف يلقون غيا﴾^(٥) وقوله ﴿تحية وسلاماً﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب تعالى بالسلام قوله ﴿خالدين﴾ مقيمين ﴿فيها﴾ من غير موت ولا زوال ﴿حسنت﴾ الغرف^(٦) ﴿مستقراً ومقاماً﴾.

قوله ﴿قل ما يعبا بكم ربي﴾ العبوء قلة المبالاة^(٧) يقال عبأ عبثاً ومعاباة قال أبو عبيدة: يقال ما عبأت به شيئاً^(٨) أي لم أعره اهتماماً فوجوده وعدمه عندي سواء وقال الزجاج: تأويل ما يعبا بكم: أي وزن يكون لكم عنده، وقال مجاهد ما يفعل بكم ربي وقال ابن عباس: ما يصنع بكم ربي ﴿لولا دعاؤكم﴾ لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ومعنى الآية أي مقدار ووزن لكم عند الله لولا أنه خلقكم لتعبده وتطيعوه وهذا معنى قول ابن عباس أي انما أريد منكم أن توحّدوني وقال مقاتل والكلبي والزجاج لولا عبادتكم وتوحيدكم إياه وفيه دليل على أن من لا يعبد الله ولا يوحدّه ولا يطيعه لا وزن له عند الله. وقوله ﴿فقد كذبتم﴾ الخطاب لأهل مكة أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيدِهِ وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوا دعوته ﴿فسوف يكون لزاماً﴾^(٩) تهديد لهم، قال الزجاج: تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم فلا تعطون التوبة والمفسرون يقولون هي تفسير اللزام أنه يوم بدر والمعنى أنهم قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم فلحقهم الوعيد الذي ذكر الله ببدر^(١٠).

(١) الشعراء: ١٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٤.

(٣) قراءة (يلقون) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف قرأ بها: حمزة والكسائي وابن عامر وخلف وأبو بكر عن عاصم. انظر السبعة ص ٤٤٦ والنشر ٥/ ٣٣٥ وقراءة (يلقون) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٤٦٦.

(٤) ساقط من جميع النسخ جـ.

(٤) الانسان: ١١.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٢.

(٥) مريم: ٥٩.

(٦) في أ: لزاماً مكررة وفي هـ لزاماً: لازماً.

(٦) في هـ الغرفة.

(١٠) روى ذلك ابن جرير في تفسيره: عن ابي بن كعب، وابن مسعود، وقاتادة وغيرهم وذكر في معنى اللزام أقوالاً أخرى منها: أنه بمعنى فقال أي فسوف يكون فقالا أو بمعنى الموت أو بمعنى فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير وشر تفسير ابن جرير

سورة الشعراء

مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

أخبرنا أبو عثمان الزعفراني، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود^(١) وشعيب وصالح وإبراهيم وبعده من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ أجمعين»^(٢).

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿طسّم﴾ قال الوابي عن ابن عباس طسم قسم وهو من أسماء الله عز وجل وقال مجاهد هو اسم للسورة، وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقال القرظي: قسم الله بطوله وسنائه وملكه وباقي الآية وقد تقدم تفسيره ﴿لعلك﴾ باخع نفسك فسرناه في سورة الكهف. قال المفسرون: لما كذبت قريش رسول الله ﷺ شق ذلك عليه وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله هذه الآية وهي كالإنكار عليه وذلك أنه كان يعلم إن الله [إن]^(٣) لم يهدم لم يهتدوا فما يغني عنهم حرصه، ومعنى الآية لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان ثم أعلم أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك فقال: ﴿وإن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ قال ابن جريج: لو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية، وقال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله، وذلك قوله ﴿ظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ [جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين]^(٤) للرجال وذلك أن الأعناق إذا خضعت فأصحابها خاضعون، قال الأخفش: يجعل الخضوع مردوداً على المضمر الذي، أضيفت^(٥) الأعناق إليه، وقال جماعة من المفسرين المراد بالأعناق الجماعات يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات جماعات [قوله]^(٦) ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ أي وعظ وتذكير من الله يعني القرآن

(٤) ساقط من أ، هـ.

(٥) فيما عدا: أضيف

(٦) ليست في هـ

(١) في أ، ج، د: هارون

(٢) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٣) ساقط من هـ، وانظر تفسير بن جرير ٣٧/١٩

﴿محدث﴾ في الوحي والتنزيل، قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول وقوله ﴿فقد كذبوا فسيأتتهم آتاء ما كانوا به يستهزءون﴾ الآية مفسرة في سورة الأنعام، ثم ذكر ما يدلهم على قدرته فقال ﴿أو لم يروا إلى الأرض﴾ يعني المكذبين ﴿كم أبتنا فيها﴾ بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿من كل زوج كريم﴾ من كل صنف وضرب حسن في المنظر مما يأكل الناس والأنعام، قال الزجاج: معنى زوج نوع، وكريم محمود فيما يحتاج إليه، والمعنى: من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين ﴿إن في ذلك﴾ يعني ما ذكر من الإنبات في الأرض ﴿آية﴾ تدل على أن الله قادر لا يعجزه شيء ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في علم الله يقول: قد سبق في علمي أن أكثرهم لا يؤمنون ﴿وإن ربك لهُ العزيز﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه.

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٤﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٦﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢١﴾ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾

﴿وإذ نادى﴾ وائل على قومك إذ نادى الله ﴿موسى﴾ (١) حين رأى الشجرة والنار بأن قال له يا موسى ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعني: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب، ثم أخبر عنهم فقال: ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ الا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني أخاف أن يكذبون﴾ بالرسالة، ويقولون: لست من عند الله ﴿ويضيق صدري﴾ بتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطق لساني﴾ لا ينبعث بالكلام (٢) للعلة التي كانت بلسانه ﴿فأرسل إلى هارون﴾ جبريل ليكون معي معيناً ﴿ولهم علي ذنب﴾ قتلت منهم قتيلاً يعني الرجل الذي وكزه ففضى عليه، والمعنى ولهم علي [دعوى] ذنب ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ (٣) ﴿قال﴾ الله ﴿كلا﴾ لن يقتلوك به لأنني لا أسلطهم عليك ﴿فاذهبا﴾ أنت وأحوك ﴿بآياتنا﴾ أي ما أعطاهما (٤) من المعجزة ﴿إننا معكم مستمعون﴾ قال ابن عباس: يريد نفسه وهذا كما قال ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ (٥) وإنما قال معكم لأنه أجراهم مجرى (٦) الجماعة، والمعنى: نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به ﴿فأتيا فرعون فقولا إننا رسول رب العالمين﴾ الرسول واحد في موضع الثنية ها هنا كما قال ﴿وهم لكم عدو﴾ (٧) ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي بأن أرسلهم وأطلقهم من الاستعباد وحل عنهم فأتياه وبلغاه الرسالة فقال: ﴿قال ألم نربك فينا وليداً﴾ صبيّاً صغيراً وذلك أنه ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً وهو قوله (٨) ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ قال ابن عباس: ثمانية عشر سنة، وقال

(٥) طه: ٤٦

(٦) في هـ: معكما، وأجراهما

(٧) آية: ٥٠

(٨) ما بين القوسين [] ساقط من أ

(١) ساقط من هـ

(٢) فيما عدا هـ الكلام

(٣) في النسخ يقتلونى والتصحيح من المصحف.

(٤) في هـ أعطاهما

مقاتل: ثلاثين سنة، وقال الكلبي: أربعين سنة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ قال الحسن والسدي: أي بإلهك كنت معنا على ديننا الذي تصيب وقال الفراء: وأنت من الكافرين لنعمتي ولتربيته، وهذا قول مقاتل وعطاء وعطية ﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ أي فعلت تلك الفعلة وأنا من الجاهلين لم يأتي من الله [شيء] ^(١) ﴿ففررت منكم﴾ ذهبت من بيتكم حذراً على نفسي إلى مدين ﴿لما خفتكم﴾ أن تقتلونني بمن قتلته ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ نبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ يقال: استعبدت فلاناً وأعبدته وتعبدته وعبدته أخذته عبداً، قال الزجاج: المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار أن يكون ما ذكر فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ خير وفيه تبييت للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكنت أمة مستغنية عن قذفي في اليم فكيف تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له، وزاد الأزهري هذا بياناً فقال: إن فرعون لما قال لموسى ألم نريك فينا وليداً فاعتد عليه بأن ربه وليداً منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى له وتلك نعمة تعتد بها علي لأنك عبدت بني إسرائيل ولو لم تتعبدهم لكفني أهلي ^(٢) ولم يلقوني في اليم أي وإنما صارت لك نعمة علي لما أقدمت عليه من ما حظره الله عليك ^(٣) قال المبرد يقول التربية كانت بالسبب ^(٤) الذي ذكر من التعبد أي تربيتك إياي كانت لأجل التملك والقهر لقومي.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ^{٢٣} قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ^{٢٤} قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ^{٢٥} قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ^{٢٦} قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ^{٢٧} قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ^{٢٨}

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ قال محمد بن إسحاق: يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه أي ما إلهك هذا فأجابه موسى بما يدل عليه من خلقه ما يعجز المخلوقون على أن يأتوا بمثله ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ أنه خلق ذلك فلما قال موسى ذلك تحير فرعون ولم يرد جواباً ينقض به هذا القول ف ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون﴾ قال ابن عباس: يريد ألا تستمعون مقالة موسى. فزاد موسى في البيان ف ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي الذي خلق آباءكم الأولين وخلقكم من آبائكم فلم يجبه فرعون أيضاً بما ينقض قوله وإنما قال ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أي ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن له إلهاً غيري فلم يشتغل موسى بالجواب عما نسبته إليه من الجنون ولكنه اشتغل بتأكيد الحججة والزيادة في الإبانة ف ﴿قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ توحيد الله وقال أهل المعاني: إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول فلم يجبه فرعون في هذه الأشياء بنقض لحجته بل

قَالَ لِيِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ^{٢٩} قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ^{٣٠} قَالَ فَاتَّ بِهٖٓ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ^{٣١} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ^{٣٢} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ^{٣٣} قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ^{٣٤} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ^{٣٥} قَالُوا

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٢/٢

(٤) في هـ: السبب

(١) ليست في هـ

(٢) في هـ فلم

أَرْجَمَهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٣٦ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ٣٧

﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ أي: لأحبسك مع من حبسته في السجن ف﴿قال﴾ موسى حين توعده بالسجن ﴿أو لو جئت بك بشيء مبين﴾ يعني أتسجنني ولو جئت بك بأمر ظاهر تعرف فيه صدقي وكذبك، وبعد هذا مفسر في سورة الأعراف إلى قوله:

فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ
الْغَالِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ
الْمُقْرَبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٤٣ فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ٤٤ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٤٥ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجِّدِينَ ٤٦ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ٤٨

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم عيدهم يوم الزينة ﴿وقيل للناس﴾ لأهل مصر ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ لتنتظروا ما يفعل الفريقان ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ على أمرهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ لموسى وأخيه وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

قَالَ ءَأَمَّنْتَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكَ إِنَّهُمْ لَكَبِيرٌ كَمَا الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ لَأَفْطَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ٤٩ قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن
كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٥١

﴿لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا بالمغفرة ﴿إننا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون في الآخرة ﴿إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ مفسر في سورة طه ﴿أن كنا﴾ لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ بآيات موسى من جملة السحرة وغيرهم وفي هذا الحال.

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ إنكم متبعون ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ إن هؤلاء لشرذمة
قليلون ﴿وإيهم لنا لغايطون﴾ وإنا لجمع حذرون ﴿فأخرجناهم من جنت وعيون﴾ وكنوز ومقام
كريم ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ مفسر في سورة طه ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يحشرون الناس ويجمعون له الجيش وقال فرعون ﴿إن هؤلاء﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لشرذمة﴾ عصابة، قال المبرد: الشرذمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها الشرادم وقوله ﴿قليلون﴾ قال الفراء: يقال عصابة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون^(١)

قال المفسرون: وكان الشردمة الذين ملكهم فرعون ستمائة ألف^(١) ولا يحصى عدد أصحاب فرعون قوله ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ يقال غاظه وأغاظه وغيظه: إذا اغضبه والغيظ الغضب، ومنه قوله تعالى ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾^(٢) قال مقاتل وإنهم لنا لغائظون بقتلهم أبقارنا ثم هربهم منا، وقال غيره أي بما أخذوه من العواري التي اتخذوها في الحلي وخرجهم من أرضنا على مخالفة لنا ﴿وإننا لجميع حذرون﴾ وقرئ حاذرون^(٣) قال الفراء: الحاذر الذي يحذر الآن والحذر^(٤) المخلوق كذلك لا تلقاه^(٥) إلا حذراً^(٦) وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ، وقال أبو عبيدة رجل حذر وحذر^(٧) وحاذر وأهل التفسير يقولون في تفسير حاذرون مؤدون مقوون أي ذوو أداء وقوة مستعدون شاكرون ومعنى حذرون: خائفون شرهم ﴿فأخرجناهم﴾ يعني فرعون وقومه ﴿من جنات﴾ قال مقاتل: يعني البساتين ﴿وعيون﴾ أنهار جارية ﴿وكنوز﴾ يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة سمي كنزاً لأنه لم يعط حق الله منها^(٨) وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً ﴿ومقام كريم﴾ قال المفسرون: هو المجلس الحسن من مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف^(٩) بها الاتباع ﴿كذلك﴾ كما وصفنا ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ وكذلك إن الله رد بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الأموال والعقار والمساكن وقوله:

فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأُنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

﴿فاتبعوهم مشرقين﴾ يعني: قوم فرعون أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس وذلك قوله ﴿فلما ترائى الجمعان﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهم صاحبه، قال مقاتل: عاين بعضهم بعضاً ﴿قال أصحاب موسى إننا لمدركون﴾ أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿قال﴾ موسى ثقة بنصر الله ﴿كلا﴾ لن يدركونا ﴿إن معي ربي﴾ ينصرتي ﴿سيهدين﴾^(١٠) سيدلني على طريق النجاة ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ أي فضرب فانفلق فانشق الماء اثني عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم فذلك قوله ﴿فكان كل فرق﴾ أي كل قطعة من البحر ﴿كالطود﴾ كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم، قال مقاتل قربنا فرعون وجنوده في مسلك بني إسرائيل إلى الغرق وذلك أنه لما تتابع^(١١) آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل من البحر أمر البحر فانطبق عليهم^(١٢) فذلك قوله ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية ﴿إن في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم﴾ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿لم يكن أكثر أهل مصر﴾^(١٣) مصدقين

(١) تفسير ابن جرير ٤٧/١٩

(٢) الملك: ٨

(٣) قراءة (حاذرون) بألف بعد الحاء قرأ بها: عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧١ والنشر ٢/٣٣٥

(٤) في هـ: ويحذر (٨) في هـ: منه

(٥) في هـ: يلقاه (٩) في هـ: تحف

(٦) معاني القرآن ٢/٢٨٠. (١٠) في هـ: سيهد بني وهو تحريف

(٧) مجاز القرآن ٢/٨٦ (١١) فيما عدا هـ: تتابع (١٢) تفسير ابن جرير ٤٩/١٩

(١٣) في هـ: المصر

بتوحيد الله، ولم يكن آمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون وخربيل المؤمن ومريم بنت موسى^(١) التي دلت على عظام يوسف^(٢) ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في انتقامه من أعدائه حين انتقم منهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين حين انجاهم من العذاب.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

قوله ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ حدث قومك حديثه وأخبرهم خبره ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنزل لها عافيتهم﴾ فقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها ﴿قال هل يسمعونكم﴾ أي يسمعون دعاءكم ﴿إذ تدعون أن ينفعونكم أو يضرون﴾ قال ابن عباس: يريد هل يرزقوكم أو يكشفون عنكم الضر أو يملكون لكم ضرراً والمعنى: هل ينفعونكم بشيء إن عبدتموهم أو يضرونكم إن لم تعبدوهم ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك﴾ كما فعله ﴿يفعلون﴾ وهذا اخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام وترك الاستدلال ﴿قال﴾ لهم إبراهيم مبتدئاً ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأقدمون﴾ يعني الماضين الأولين ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي أعاديهم وأتبرأ منهم ﴿إلا رب العالمين﴾ لكن رب العالمين أعبده ولا أتبرأ منه ثم ذكر نعمة الله عليه فقال: ﴿الذين خلقني فهو يهدين﴾^(٣) إلى الدين والرشد لا ما تعبدون أخبر أن الذي يهدي هو الله الذي خلق ﴿والذي هو يطعمني ويسقيني﴾ أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾^(٤) وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي^(٥) وهو الله عز وجل ولم يقل وإذا أمرضني لأنه يقال مرضت وإن كان المرض بخلق الله وقضائه، ولا يقال: أمرضني الله ﴿والذي يميتني﴾ في الدنيا ﴿ثم يحييني﴾ للبعث، قال صاحب النظم: كانوا لا يدفعون الموت إلا أنهم يجعلون له سبباً سوى الله ويكفرون بالبعث فأعلم إبراهيم: أنه هو الذي يميت ويحيي ﴿والذي أطعم﴾ قال مقاتل أرجو وهذا تطف من إبراهيم في حسن الاستدعاء وخضوع لله تعالى وقوله ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ المفسرون يقولون: يعني الكذبات الثلاث قوله ﴿إني سقيم﴾^(٦) وقوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾^(٧) وقوله لسارة هي أختي، وزاد الكلبي والحسن قوله - للكواكب - هذا ربي وقال الزجاج: إن الأنبياء بشر ويجوز أن تقع عليهم الخطيئة إلا أنهم لا يكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون وقوله ﴿يوم الدين﴾ يريد يوم الجزاء

(١) في هـ: ناموسا

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٤٩/١٩.

(٣) في هـ: يهديني

(٤) (٥-٤) في هـ: يشفيني

(٦) الصافات: ٨٩

(٧) آية ٦٣ الأنبياء ولقد خرجنا هذا الحديث في سورة الأنبياء عند الحديث عن إبراهيم.

والحساب أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرآبادي أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، نا أبو بكر بن أبي شيبة، نا حفص بن غياث بن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن ابن^(١) جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه؟ قال: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم^(٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة قوله:

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ^{٨٣} وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ^{٨٤} وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
جَنَّةِ النَّعِيمِ^{٨٥} وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ^{٨٦} وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَبُونَ^{٨٧} يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ^{٨٨}
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^{٨٩}

﴿رب هب لي حكماً﴾ قال ابن عباس: معرفة بالله وحدود أحكامه، وقال مقاتل: يعني الفهم والعلم
﴿والحقني بال صالحين﴾ يعني: المتقين، قوله ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ يعني ثناءً حسناً ﴿في
الآخرين﴾ في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ من الذين يرثون
الفردوس ﴿واغفر لأبي إنه كان من الظالمين﴾ المشركين، وهذا إنما قاله قبل أن يتبرأ منه ذكرنا ذلك في آخر
سورة براءة ﴿ولا تخزني﴾ قال مقاتل والكلبي: لا تعذبني ﴿يوم يعثون﴾ يوم يبعث الخلق ثم فسر ذلك اليوم فقال
﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ يعني لا ينفع المال والأولاد أحد ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ سلم من الشرك والنفاق،
قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن، وقلب الكافر والمنافق مريض، وقوله:

وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ^{٩٠} وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ^{٩١} وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ^{٩٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ
يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ^{٩٣} فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ^{٩٤} وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ^{٩٥} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ^{٩٦}
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^{٩٧} إِذْ سُوِّيَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ^{٩٨} وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ^{٩٩} فَمَا لَنَا مِنْ
شَفِيعِينَ^{١٠٠} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ^{١٠١} فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^{١٠٢} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ^{١٠٣} وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^{١٠٤}

﴿وأزلت الجنة للمتقين﴾ قربت الجنة لأولياء الله حتى نظروا إليها ﴿وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت وكشف الغطاء
عنها ﴿للغاوين﴾ الضالين عن الهدى ﴿وقيل لهم﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ ﴿آين ما كنتم تعبدون من دون الله هل
ينصرونكم﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿أو يتصرون﴾ يمتنعون منه ثم يؤمر بهم فيلقون في النار فذلك قوله: ﴿فككبوا
فيها﴾ قال الزجاج: طرح بعضهم على بعض، وقال ابن قتيبة: ألقوا على رؤوسهم^(٣)، وقال مقاتل: قذفوا فيها ﴿هم
والغاوون﴾ قال السدي: يعني الآلهة والمشركين، وقال عطاء: هم وما يعبدون من دون الله ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾
يعني ذرية إبليس كلهم ﴿قالوا﴾ [يعني الغاوين] ﴿وهم فيها يختصمون﴾ مع معبوديهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ

(١) ابن جدعان: عبد الله بن جدعان التميمي، خزانة الأدب ٥٣٧/٣ التبيين في أنساب القرشيين / ٣٠٢ لابن قدامة المقدسي.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً ١٩٥/١ ط الحلبي.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣١٨)

نسويكم برب العالمين ﴿١﴾ [والله ما كنا إلا في ضلال حيث سويناكم بالله فأعظمتناكم وعدلناكم به ﴿وما أضلنا﴾ عن الهدى ﴿إلا المجرمون﴾ قال مقاتل: الشياطين، وقال الكلبي: إلا أولونا الذين اقتدنا بهم ﴿فما لنا من شافعين﴾ من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين حيث يشفعون لأهل التوحيد ﴿ولا صديق حميم﴾ ذي قرابة يهمله أمرنا والحميم القريب الذي توده ويودك قال ابن عباس: ان المؤمن يشفع يوم القيامة للمؤمن المذنب: أخبرنا أحمد بن (٢) محمد بن إبراهيم أنا الحسين بن محمد بن الحسن الثقفي، نا محمد بن الحسن بن علي اليقطي، أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي، نا صفوان بن صالح، نا الوليد بن مسلم نا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه الحميم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (٣) ثم قالوا ﴿فلوا أنا لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ المصدقين بالتوحيد أي لتحل لنا الشفاعة كما حلت لأهل التوحيد ﴿إن في ذلك﴾ فيما أخبر من قصة إبراهيم ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم والباقي قد تقدم تفسيره إلى قوله:

كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْأُمْرُسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنَقِّوْنَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قال الزجاج: دخلت التاء وقوم مذكرون (٤) لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة قوم نوح المرسلين لأن من كذب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ ابن أبيهم والأخوة كانت من جهة النسب لا من جهة الدين ﴿ألا تتقون﴾ عذاب الله بتوحيده وطاعته ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم ﴿فاتقوا الله﴾ بطاعته وعبادته ﴿وأطيعوا﴾ فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد ﴿وما أسألكم عليه﴾ على الدعاء إلى التوحيد ﴿من أجر إن أجري﴾ ما أجري (٥) وثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ والرسل إذا لم يسألوا أجراً كانوا أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة.

﴿قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأردلون﴾ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴿١١٠﴾ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرونا ﴿١١١﴾ وما أنا بطاريد المؤمنين ﴿١١٢﴾ إن أنا إلا نذير مبين ﴿١١٣﴾

﴿قالوا أنؤمن لك﴾ أنصدق لقولك ﴿واتبعك الأردلون﴾ قال عطاء: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز وقال الضحاک وعكرمة: يعنون الحماكة والاساكفة قال الزجاج: والصناعات لا تضر في باب الديانات ﴿قال﴾ نوح ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي ما أعلم أفعالهم وصناعاتهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن ادعوهم ﴿إن حسابهم﴾ ما حسابهم فيما يعملون ﴿إلا على

(١) ساقط من هـ

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله المقرئ الأنباري، الميزان ١/ ١٣٠.

(٣) وردت أحاديث في شفاعة الرجل للرجل في مجمع الزوائد تدور حول هذا المعنى بأسانيد مختلفة بعضها صحيح وبعضها فيه كلام مجمع الزوائد كتاب البعث باب شفاعة الصالحين ١٠/ ٣٨١ أما هذا الحديث فإن في سنده انقطاعاً بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير

(٤) في هـ: والقوم مذكر

(٥) في هـ: ما جزائي

ربي لو تشعرون ﴿ لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم ﴾ ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ ما أنا بالذي لا يقبل (١) الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأزدلون عندكم ﴿ إن أنا إلا نذير مبين ﴾ أنذركم النار وأبين لكم ما يقربكم من الله .

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْطَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴿ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ قال مقاتل والكلبي : من المقتولين بالرجم (٢) ، وقال الضحاك من المشتمين ، وقال قتادة من المضروبين بالحجارة ﴾ قال ﴿ نوح ﴾ ﴿ رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ فاقض بينهم قضاء يعني العذاب لأنه قال ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ أي من ذلك العذاب ﴿ فأنجيناها ومن معه في الفلك المشحون ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : الذي قد ملئ من الناس والطير والحيوان كلها ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ بعد نجاته نوح ومن معه ﴿ الباقين ﴾ قوله :

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ القبيلة لأنه أريد بعاد قبيلة عاد والباقي مفسر إلى قوله ﴿ أتبنون بكل ريع آية ﴾ وهو المكان المرتفع قال أبو عبيدة : الريع الارتفاع جمع ريع (٣) ، قال الواليبي عن ابن عباس : يعني بكل شرف ، وقال مقاتل والكلبي والضحاك : بكل طريق ﴿ آية ﴾ بنياناً وعلماً ﴿ تعبثون ﴾ بمن يمر بالطريق ، والمعنى أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرون منهم (٤) ويعبثون بهم وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالوا هذا في بنين [بروج] (٥) الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً ، وقال عطاء عن ابن عباس يريد : يبنون ما لا يسكنون وعلى هذا القول جعل هو بناءهم ما يستغنون عنه ولا يسكنونه عبثاً منهم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطوعي ، أنا محمد بن أحمد بن علي المقرئ ، أنا أحمد ابن المثني ، نا أبو بكر بن أبي شيبة ، نا الفضل بن دكين (٦) عن زهير عن عثمان بن حكيم عن

(١) فيما عدا هـ أقبل

(٢) يؤيد هذا القول ما جاء في لسان العرب مادة (رجم) ان الرجم يأتي بمعنى : القتل ، والشتم ، واللمس ، والطرود .

(٣) هامش معاني القرآن للفراء ٢٨١/٢

(٤) في هـ : فيسخرُوا... ويعبثُوا

(٥) ساقط من هـ

(٦) الفضل بن دكين : عمرو بن حماد الملائي الكوفي أبو نعيم ت سنة ٢١٨ هـ انظر : تاريخ بغداد ٢/٣١٦ ، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٢ ،

إبراهيم بن محمد بن حاطب عن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه هذا لرجل من الانصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ فسلم على الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال والله [إني] (١) لأنكر نظر (١) رسول الله ﷺ ما أدري ما حدث في وما صنعت قالوا: خرج رسول الله ﷺ فرأى قبتك فقال: لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة [فقال ما فعلت القبة] (٢) التي كانت ها هنا قالوا شكنا إيلنا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، قال إن كل بناء يبني وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه (٣) قوله ﴿وتتخذون مصانع﴾ المصانع التي يتخذها الناس من الأبنية والآبار قال أبو عبيدة كل قباء مصنعة (٤)، قال ابن عباس: هي الأبنية، وقال مجاهد وقتادة والكليبي هي القصور والحصون ﴿لعلكم تخلصون﴾ أي كأنكم تخلصون قاله (٥) أكثر المفسرين والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم يخلصون فيها ولا يموتون (٦) ولعل يأتي في الكلام بمعنى كان قال يونس في قوله ﴿لعلك باخع نفسك﴾ (٧) معناه كأنك فاعل ذلك إن لم يؤمنوا ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ قال ابن عباس يريد الضرب بالسياط ضرب الجبارين والقتل بالسيف بغير حق، والمعنى إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم قتلتم ومعنى الجبار ها هنا القتال على الغضب بغير حق، وقال الزجاج: وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم فأما في الحق فالبطش بالسيف والوسط جائز وقوله ﴿واتقوا الذي أمدمكم﴾ بما تعلمون (٨) أي أعطاكم ما تعلمون من الخير ثم أخبرنا بالذي أعطاهم فقال ﴿أمدمكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم﴾ قال ابن عباس: يريد إن عصيتموني ﴿عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة يريد الذي أهلكوا به.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ قال الكليبي نهيتنا أو لم تكن من الناهين لنا ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قال مقاتل: قالوا ما هذا العذاب الذي تقول يا هود إلا كذب الأولين وهو قول ابن مسعود ومجاهد، والخلق والاختلاق: الكذب، ومنه قوله ﴿وتخلقون إفكاً﴾ (٩) وقرئ: خلق الأولين (١٠) بضم الخاء واللام أي عادة الأولين، والمعنى: ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما فعل ﴿فكذبوه﴾ بالعذاب في الدنيا فأهلكناهم بالريح وما بعد هذا مفسر في السورة إلى قوله:

(١) ساقط من هـ ولفظ: نظر بعدها ساقط من هـ

(٦) في هـ فلا

(٢) ساقط من هـ

(٧) الشعراء: ٣

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب في البناء والخراب بالفاظ مختلفة ١٣٩٣/٢

(٨) ساقط من هـ

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٨

(٩) العنكبوت: ١٧

(٥) في هـ: قال

(١٠) قراءة (خلق) بضم الخاء واللام، قرأ بها ابن عامر وحزمة وعاصم ويعقوب وخلف انظر النشر ٣٣٦/٢ والسبعة ص ٤٧٢

أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّونَ مِنَ
الْجِبَالِ بَيْوتًا فَرَهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿اتركون فيما هنا﴾ قال مقاتل: يعني فيما أعطاهم الله من الخير ﴿آمين﴾ من الموت والعذاب ثم أخبر عن ذلك فقال ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعا هاضم﴾ يعني: ما يطلع منها من الثمر والهضم النضيج الرخص^(١) اللين اللطيف اليبان، كل هذا من ألفاظهم ﴿وتنحون من الجبال بيوتاً فرهين﴾ حاذقين بنحتها وهو من قولهم: فره الرجل فراهة فهو فاره وقرىء فرهين^(٢) قال أبو عبيدة أشرين بطرين والهاء من فرهين بدل من الحاء والفرح في كلام العرب بالحاء الأشر البطر ومنه قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾^(٣)، قوله ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ قال ابن عباس: [المسرفين، وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقرو الناقة^(٤) وهم الذين يفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ لا يطيعون الله فيما أمرهم به

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿قالوا﴾ لصالح ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أي ممن سحروا مرة بعد مرة وقال ابن عباس^(٥): من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب والمعنى: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا، قال مقاتل: قالوا إنما أنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء لست بملك ولا رسول ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ أنك رسول الله إلينا، قال ابن عباس: إنهم قالوا: إن كنت صادقاً فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً^(٦)، فخرج بهم إلى هضبة من الأرض [فإذا]^(٧) [هي]^(٨) تخض كما يخض الحامل فانشقت عن الناقة^(٩) قال: ﴿هذه ناقة لها شرب﴾ حظ ونصيب من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ قال قتادة: إذ كان يوم شربها شربت مائهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله:

(١) الرخص: بتسكين الخاء: الناعم يقال: هو رخص الجسد بين الرخاسة والرخوصة مختار الصحاح مادة رخص.

(٢) قراءة فرهين بغير ألف: قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٧٢ والنشر ٣٣٦/٢.

(٣) آية (٧٦) القصص والنص في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة/٣١٩.

(٤) تفسير ابن جرير ٦٣/١٩

(٧) ساقط من د

(٨) ساقط من د، هـ

(٥) ساقط من هـ

(٩) انظر تفسير ابن جرير ٦٣/١٩ الدر المنثور ٩٢/٥

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢

أَتَاتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرُجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿أتاتون الذكران﴾^(١) وهو جمع الذكر ضد الأنثى، قال مقاتل: يعني نكاح الرجال ﴿من العالمين﴾ من بني آدم ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني فروج نسائهم قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ﴿قالوا لئن لم تنته لئن لم تسكت﴾ [يا لوط] ^(٢) لتكونن من المخرجين ﴿من بلدتنا﴾ قال إني لعملكم ﴿يعني﴾^(٣) إتيان الرجال ﴿من القالين﴾ المبغضين، يقال: قليتة أقلية قلى ثم دعا فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ أي من عذاب ما يعملون قال المفسرون: عقوبة صنيعهم ﴿فنجيناها وأهله﴾ قال ابن عباس: يعني بناته ﴿إلا عجوزاً﴾ يعني امرأته ﴿في الغابرين﴾ الباقين في العذاب ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ اهلكناهم بالخسف والحصب وهو أن الله خسف بقراهم وارسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية وهو قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ فبئس مطر الذين أنذروا بالعذاب.

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

قوله ﴿كذب أصحاب الميرسلين﴾ قال ابن عباس: يريد شعيباً وحده والأيك^(٤) شجر الدوم وهو المقل وكان أكثر شجرهم الدوم^(٥)، وقال مجاهد: الأيكة الغيضة من الشجر الملتف، وقرأ الحجازيون أصحاب ليكة ها هنا وفي ق بغير همز والهاء مفتوحة^(٦) قال أبو علي الفارسي: الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفها وألقيت حركتها على اللام فقلت ليكة كما قالوا: لحرمر، وقول من قال أصحاب ليكة مشكل لأنه فتح التاء مع إلحاق الألف واللام الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال: مررت بلحمر فتح الآخر مع إلحاق لام المعرفة وقوله:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا

(١) في هـ: الذكران من العالمين وهي مكررة

(٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: مضى.

(٤) في هـ: الأيكة

(٥) من ضخام الشجر ولها حوص كحوص النخل وتخرج أقناء كأقناء النخل لسان العرب فصل الدال حرف الميم.

(٦) قراءة (ليكة) بلام مفتوحة من غير ألف وصل فيها ولا همزة بعدها ويفتح تاء التانيث في الوصل قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن عامر انظر:

أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَّٓ عَلَّمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكٰذِبُوهُ فَاخٰذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهٗوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن يقال: أخسرت الكيل والوزن أي أنقصته، ومنه قوله تعالى ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾^(١) وقوله ﴿والجبله الأولين﴾ الجبله: الخليقة يعني الأمم المتقدمين قبلهم، ولما أمرهم بإتمام الكيل والوزن وتقوى الله كذبوه وسألوه العذاب إن كان صادقاً وهو قوله ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾ ومضى تفسير هذا ﴿قال﴾ شعيب ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ أي من نقصان الكيل والوزن، والمعنى: إنه أعلم به فهو مجازيكم ومعذبكم إن شاء وليس عندي العذاب ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ قال المفسرون: بعث الله عليهم حرّاً شديداً أخذ أنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرباً^(٢) إلى البرية فبعث الله عليهم سحاباً أظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ونادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً^(٣) فذلك قوله ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ ومعنى الظلة ها هنا: السحاب التي قد أظلتهم.

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

قوله ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ نزل الله بالقرآن جبريل وهو أمين الله [فيما بين الله وبين أنبيائه فيما استودعه الله]^(٤) من الرسالة إليهم، وقوله ﴿على قلبك﴾ أي تلاه عليك حتى وعيته بقلبك ﴿لتكون من المنذرين﴾ [ممن أندر بآيات الله المكذبين]^(٥) ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس: بلسان قريش لتفهموا ما فيه فلا يقولوا لانفسهم ما يقول محمد.

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰٓءُ بَنِي إِسْرٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

﴿وإنه﴾ وإن ذكر القرآن وخبره ﴿لفي زبر الأولين﴾ لفي كتبهم يعني أن الله أخبر في كتبهم عن القرآن وأنزله على النبي المبعوث في آخر الزمان، قال مقاتل: وإن أمر محمد ونعته وذكره لفي كتب الأولين وهذا كقوله ﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾^(٦) قوله ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء

(١) المطففين: ٣

(٢) في هـ: هرباً

(٣) انظر تفسير ابن جرير ٦٧/١٩

(٤) ساقط من د، هـ

(٥) ساقط من أ

(٦) الأعراف: ١٥٧

بني إسرائيل ﴿ قال الزجاج: أن يعلمه اسم كان وآية خبره والمعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن محمداً نبي حق علامة ودلالة على نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، قال عطية^(١) وكانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد^(٢) وأسيد^(٣)، وقرأ ابن عامر تكن بالتاء^(٤) رفعاً قال الفراء والزجاج: جعل آية هي الاسم وأن يعلمه خبر تكن^(٥) ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول لو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان ﴿فقرأ عليهم﴾ بغير لغة العرب ما آمنوا به وقالوا ما نفقه هذا فذلك قوله ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ قال ابن عباس والحسن وغيرها: سلك الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين، قال مقاتل: يعني مشركي مكة أخبر الله أنه أدخل الشرك وجعله في قلوبهم فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم وهو قوله ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني عند الموت ﴿فيأتيهم﴾^(١) يعني العذاب ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ به في الدنيا فيتمنى الرجعة والنظرة وهو قوله ﴿فيقولوا هل نحن منظرُونَ﴾ أي لنؤمن ولنصدق، قال مقاتل: فلما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا فمتى العذاب تكديماً به فقال الله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون أفأريت﴾ يا محمد ﴿إن متعناهم﴾ يعني: كفار مكة ﴿سنين﴾ قال عطاء: يريد منذ [أن]^(٢) خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي، وقال الكلبي: يعني مدة أعمارهم ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ به في تلك السنين، المعنى: أنهم^(٣) وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئاً ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إلا لها مندرُونَ﴾ يعني ولا يندرونهم بالعذاب أنه نازل بهم ﴿ذكرى﴾ موعظة وتذكيراً ﴿وما كنا ظالمين﴾ فعذب على غير ذنب ونعاقب من غير تذكير وإنذار.

وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾

(١) عطية العوفي

(٢) أسد بن سعية القرظي أسد الغابة ٩٣/١

(٣) وأسيد بن عبيد من بني هلال بني عم بني قريظة أسلموا بعد الأحزاب أسد الغابة ٩٣/١

(٤) في هـ: آية رفع وانظر السبعة لابن مجاهد (٤٧٣) والنشر ٣٣٦/٢

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٨٣/٢ بتصرف

(٦) في هـ: فيأتيهم [بغتة] وهي مكررة.

(٧) ساقط من هـ

(٨) في هـ: أنه.

﴿وما تنزلت به﴾ [أي القرآن] ^(١) ﴿الشياطين﴾ [قال مقاتل] ^(٢) قالت قريش: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد فأنزل الله ﴿وما تنزلت به﴾ أي بالقرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به ﴿وما يستطيعون﴾ وما يقدر أن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينه وبين السمع بالملائكة والشهب وهو قوله ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ قال عطاء: عن استماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرحمون بالنجوم.

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ^(٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ^(٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ^(٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ^(٢١٧) الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ^(٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ^(٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٢٢٠)

﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ وذلك حين دعي إلى دين آباؤه فقال الله لا تعبد معه إلهاً آخر ﴿فتكون من المعذنين﴾ قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك قوله ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ أي رهطك الأدين وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة أخبرنا أبو عبيد ^(٣) الله محمد بن عبد الله الفارسي، نا أبو الفضل محمد بن عبيد الله الهروي، أنا علي بن محمد الخزامي، نا أبو اليمان اخبرني شعيب ^(٤) عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد ^(٥) الرحمن أن أبا هريرة قال قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل الله وأندر عشيرتك الأقربين فقال «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئاً [يا بني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً] ^(٦) يا عباد بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً [يا صفة عمه رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً] ^(٧) يا فاطمة ^(٨) بنت محمد سليني ما شئت لا أعني عنك من الله شيئاً» رواه البخاري ^(٩) عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة عن وهب عن يونس عن الزهري أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد الخلامي، أنا عبد الله بن زيدان [بن يزيد] ^(١٠) البجلي، نا أبو كريب، نا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما نزلت وأندر عشيرتك الأقربين صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال أرايتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوني قالوا بلى.

(١) - ٢) ساقط من هـ

(٣) في هـ: أبو عبد الله بن محمد

(٤) شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشر توفي سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/٢٢١، شذرات الذهب ١/٢٥٧، طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ت سنة ٩٤ هـ عن اثنين وسبعين سنة تذكرة الحفاظ ١/٦٣ تهذيب التهذيب

١١٥/١٢ شذرات الذهب ١/١٠٥

(٦) من د فقط.

(٧) صفة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه انظر الإصابة ٤/٣٤٨ وما بين القوسين ساقط

من (ج)

(٨) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ توفيت سنة ١١ هـ الإصابة ٤/٣٧٧.

(٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الشعراء ٦/١٤٠، ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) بالفاظ

مقاربة ١/١٩٤ ط الحلبي

(١٠) ساقط من هـ

[قال] إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب^(١): تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخرها^(٢) رواه مسلم عن أبي كريب ورواه البخاري عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الاعمش قوله ﴿واخفض جناحك﴾ ألن جانبك ﴿لمن اتبعك من المؤمنين﴾ قال ابن عباس يريد أكرم من اتبعك من المصدقين بتوحيد الله وألزمهم القول أظهر لهم المحبة والكرامة ﴿فإن عصوك﴾ يعني عشيرتك ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ من الكفر وعبادة غير الله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ فوض إليه جميع أمرك وثق بالله العزيز في نعمته الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى الصلاة في قول ابن عباس ومقاتل، وقال مجاهد يراك حين تقوم أينما كنت ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي ويرى ركوعك وسجودك وقيامك مع المصلين في الجماعة، والمعنى: يراك إذا صليت وحدك ويراك إذا صليت في الجماعة راعياً وساجداً وقائماً هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة يريد في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة وما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الانبياء حتى ولدته أمه^(٣) ﴿إنه هو السميع﴾ لقولك ﴿العليم﴾ بما في قلبك من الإيمان ثم قال لكفار مكة:

هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ ثم أخبر فقال ﴿تنزل على كل آفاك أثيم﴾ على كل كذاب فاجر، قال قتادة: هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون إلى أوليائهم من الأنس وهو قوله ﴿يلقون السمع﴾ أي يلقون ما سمعوه إلى الكهنة ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً وهذا كان قبل أن يوحى إلى النبي ﷺ وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. قوله ﴿والشعراء﴾ قال ابن عباس يريد شعراء المشركين، وذكر مقاتل أسماءهم فقال: منهم عبد الله بن الزبير السهمي وأبو سفيان بن الحارث بن المطلب وهبيرة^(٤) بن أبي وهب المخزومي ومسافع^(٥) بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة^(٦) عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأميرة بن أبي الصلب الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد، وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويرددون عنهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه فذلك قوله ﴿يتبعهم الغاوون﴾ يعني الذين يرددون هجاء المسلمين،

(١) أبو لهب: عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم نسب قريش ٨٩

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) ٢٢١/٦ وسورة الشعراء ١٤٠/٦ ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ١٩٤/١ بالفاظ متقاربة.

(٣) روى الهيثمي عن ابن عباس: (وتقلبك في الساجدين) من صلب نبي إلى صلب نبي حتى حدث نبياً رواه البزار ورجاله ثقات كتاب علامات النبوة باب في كرامة أصله ﷺ ٢١٤/٨

(٤) هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي مات كافراً هارباً بنجران نسب قريش (٣٤٤)

(٥) مسافع بن عبد مناف الشاعر الجمحي نسب قريش ص ٢٩٨.

(٦) أبو عزة الشاعر: عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحي قتل صبياً بعد أحد في حمراء الأسد نسب قريش ص ٣٩٨.

وسب الصحابة والنبي ﷺ، وقال قتادة ومجاهد: الغاوون الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ يقال: هام يهيم هيماناً وهيماً إذا ذهب على وجهه قال ابن عباس: في كل فن من الكذب يتكلمون، وفي كل لغويخوضون، وقال قتادة يمدحون بباطل ويشتمون بباطل قالوا ذي يمثل الفنون من الكلام^(١) وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو باطل وغلوا في مدح أو ذم ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال مقاتل: يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة ثم استثنى شعراء المسلمين فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال الكلبي ومقاتل: هم عبد الله بن رواحة وكعب^(٢) بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردوا هجاء من هجاه أخبرنا محمد بن أحمد بن شاذان الصيدلاني، نا محمد بن يعقوب الأموي، نا العباس بن الوليد بن جزيدي، نا أبي، نا الأوزاعي، نا يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل» أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن بشر، نا عبد الله بن محمد بن ناجية، نا محمد بن عبد الله بن نافع عن يزيد بن زريع، نا شعبة عن عدي بن ثابت نا البراء سمعت حسان بن ثابت يقول: قال رسول الله ﷺ: «اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك»^(٣) رواه البخاري عن حفص بن عمرو^(٤) رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه كلاهما عن شعبة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطان، نا إسحاق بن خالويه نا علي بن يحيى القطان، نا هشام^(٥) عن معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد^(٦) الرحمن عن^(٧) مروان بن الحكم عن عبد الرحمن بن الأسود^(٨) بن عبد يغوث عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: ان^(٩) من الشعر حكمة أخبرنا أبو محمد الفارسي، أنا محمد بن عبد الله بن الفضل، أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، أنا أحمد بن شبيب^(١٠) بن سعيد، نا أبي عن^(١١) يونس قال: قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت أشعاراً منها القصيدة أربعون ودون ذلك. أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا محمد بن أحمد بن معدان، نا علي بن مسلم الطوسي، نا هشيم^(١٢)، أنا عمر بن^(١٣) أبي زائدة عن الشعبي^(١٤) قال كان أبو بكر

(١) في هـ: مثل لفنون الكلام

(٢) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله. أسد الغابة ٤/٤٨٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٤/١٣٦ ط الشعب ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت

(٤) حفص بن عمر بن الحارث ت سنة ٢٢٥ هـ طبقات الحفاظ ص ١٧٢ تذكرة الحفاظ ١/٤٠٥

(٥) هشام بن يونس الصنعاني أبو عبد الرحمن الأنباري ت سنة ١٩٧ هـ التهذيب ١١/٥٧.

(٦) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن الصغيرة ت سنة ٩٣ هـ التهذيب ١٢/٣٠

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الملك ت سنة ٦٥ هـ التهذيب ١٠/٩٢.

(٨) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري سنة ٩٦ هـ التهذيب ٦/١٣٩ وما بين القوسين ساقط من هـ

(٩) قال الهيثمي رواه البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن حرب الموصلية وهو ثقة مجمع

الفوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الهجاء ٨/١٢٣

(١٠) أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٢٩ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/٣٦، الجرح والتعديل ١/٥٤.

(١١) شبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد البصري ت سنة ٨٦ هـ تهذيب التهذيب ٤/٣٠٦، الجرح والتعديل ٢/٣٥٩.

(١٢) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمية أو معاوية ت سنة ١٨٣ هـ التهذيب ١١/٦٢

(١٣) عمر بن أبي زائدة الهمداني الكوفي التهذيب ٧/٤٤٨

(١٤) الشعبي عامر بن شراحيل أبو عمرو ت سنة ١٠٣ هـ تاريخ بغداد ١٢/٢٢٩، تذكرة الحفاظ ١/٧٩، التهذيب ٥/٦٥

رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله عنه يقول الشعر وكان^(١) علي رضي الله عنه أشعر الثلاثة وقوله ﴿وذكروا الله كثيراً﴾^(٢) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال مقاتل: انتصروا من المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء ثم أوعد شعراء^(٣) المشركين فقال ﴿وسيعلم الذي ظلموا﴾ أي أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ قال ابن عباس يعني أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يخلدون فيها.

(١ - ٢) بياض في هـ

(٣) في هـ: ذكر شعر...

سورة النمل

مكية وآياتها ثلاث وتسعون

أخبرنا الاستاذ سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي، أنا أبو إسحاق الاسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا سلام المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ «ومن قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذبه وهود أو شعيباً وصالحاً وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله»^(١).

طسَ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلَّذِي لَقِيَ الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

[قوله]^(٢) ﴿طس﴾ قال ابن عباس: هو اسم من اسماء^(٣) الله تعالى أقسم الله به، وقال قتادة: إنه اسم من أسماء^(٤) القرآن وقال مجاهد: هو من الحروف المقطعة التي هي فواتح يفتح الله بها القرآن وليست من اسمائه ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ تقدم تفسيره ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ بيان من الضلالة لمن عمل به وبشرى بما فيه من الثواب للمصدقين به انه من عند الله ثم نعتهم^(٥) فقال ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ لا يصدقون بالبعث ﴿زيننا لهم أعمالهم﴾ قال ابن عباس ومقاتل: يعني ضلالتهم حتى رأوها حسنة ﴿فهم يعمهون﴾ يترددون فيها متحيرين ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أشده ﴿وهم في الآخرة هم الآخسرون﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار ﴿وإنك لالذي لقي القرآن﴾ قال السدي: يلقي عليك القرآن وحياً من عند الله الحكيم أي أنزله عليك بعلمه وحكمته.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ۖ إِنِّي ءَأَنْتُمْ نَارًا سَاءَتِ كُفْرُهَا مِنْهَا بَخْرٌ ۖ أَوْ ءَأَتَيْكُمْ بِسَحَابٍ مِّمَّنْ سَاءَ لَكُمْ تَصْطَلُوتُمْ ۖ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۖ ۙ يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ ۗ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۖ ۙ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۖ ۙ إِلَّا مَنْ

(٣ - ٤) فيما عدا هـ: أسامي

(٥) في هـ: بعثهم

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) ساقط من هـ

ظَلَمْتُكُمْ بِدَلِّ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسَعِ آيَاتِ
إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

قوله ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ قال الزجاج: موضع إذ نصب والمعنى: اذكر إذ قال موسى أي اذكر قصته إذ قال لأهله لامراته ﴿إني آنست ناراً﴾ أبصرتها ﴿سأتيكم منها بخبر﴾ عن الطريق وكان قد تحير. وترك الطريق فإن لم أجد أحداً يخبرني عن الطريق آتيكم بشعلة نار، وهو قوله ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ والشهاب أصل خشبة فيها نار ساطع وتفسير القبس قد سبق وقرئ بشهاب قبس بالتونين^(١) والإضافة، قال الزجاج: من نون جعل قبس من صفة الشهاب ومن أضاف فقال الفراء: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الاسماء كقوله ﴿والدار الآخرة﴾^(٢) وقوله ﴿لعلكم تصطلون﴾ لكي تصطلوا من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء يقال: صلي بالناء واصطلى بها إذا استدفأ ﴿فلما جاءها نوذي أن بورك من في النار﴾ أي بورك على من في النار أو فيمن في النار قال الفراء: العرب تقول باركه الله وبارك عليه وبارك فيه بمعنى واحد^(٣) والتقدير من في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة [كما حيا إبراهيم]^(٤) بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾^(٥) ومذهب المفسرين أن المراد بالنار هو النور وذلك أن موسى رأى نوراً عظيماً فظنه ناراً لذلك ذكر بلفظ النار ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقدیس^(٦) ﴿ومن حولها﴾ هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها والله تعالى نادى موسى لما توجه إلى النار بأنه قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور الذي رآه ثم نزه نفسه فقال ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ ثم أخبر الله موسى عن نفسه وتعرف إليه بصفاته. وذاته فقال ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ والكناية [في]^(٧) إنه للشأن والأمر أي إن الشأن والأمر أن المعبود أنا وقال الفراء: هذه الهاء عماد وهو اسم لا يظهر^(٨)، ثم أراه آية على قدرته ليشاهد من قدرة الله ما لم يشاهده قبل وهو قوله ﴿وألق عصاك فلما رءاها تهتز﴾ وفي الآية محذوف تقديره فألقاها فصارت حية فلما رءاها تهتز ﴿كأنها جان﴾ قال الزجاج: صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية الأبيض وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها وشبهها في موضع آخر بالثعبان لعظمتها وقوله ﴿ولى مدبراً﴾ أي من الخوف من الحية ﴿ولم يعقب﴾ [يرجع]^(٩) يقال: عقب فلان إذا رجع وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت فقال الله: ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ قال ابن عباس: لا يخاف عندي من ارسلته برسالتي والمعنى: لا يخيف الله الانبياء أي إذا منهم لا يخافونه فكيف تخاف الحية نهي عن الخوف من الحية ونبه على آمن المرسلين^(١٠) عند الله ليعلم أن من آمنه الله من عذابه بالنبوة لا يستحق أن يخاف الحية ثم قال ﴿إلا من ظلم﴾ يعني أذنب وظلم نفسه

(١) قراءة (بشهاب قبس) بالتونين والإضافة، قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٧٨ وانشر ٣٣٧/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٦ وفيه اسم بدلاً من نفسه (والدار الآخرة) في يوسف ١٠٩

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة بتصرف

(٧) ساقط من هـ

(٤) ساقط من جـ

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٧

(٩) ساقط من جـ

(٥) هود: ٧٣

(١٠) في هـ: المسلمین.

(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩/٨٢

بالمعصية ﴿ثم بدل حسناً﴾ أي توبة وندماً ﴿بعد سوء﴾ عمله وفي هذا إشارة إلى أن موسى وإن ظلم نفسه بقتل القبطي وخاف من ذلك فإن الله يغفر له لأنه ندم على ذنب وتاب عنه حين قال ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾^(١) وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى لكن من ظلم ثم تاب ﴿فإني غفور رحيم﴾ إني لا يخاف لدي الانبياء والتائبون، وقوم يقولون: إلا ها هنا بمعنى ولا كأنه قال ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ثم أراه آية أخرى فقال ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ الجيب: حيث جيب من القميص أي قطع من [الجيب]^(٢) قال ابن عباس: كانت عليه جبة زربقانية من صوف كماها إلى مرفقيه ولم يكن لها أزرار وأدخل يده في جيبها فأخرجها وإذا هي تبرق مثل البرق فذلك قوله ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ من غير برص ﴿في تسع آيات﴾ وقد فسرناها في سورة بني إسرائيل ﴿إلى فرعون وقومه﴾ أي مبعوثاً إليهم أو مرسلأً ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ بينة واضحة كقوله ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾^(٣) وقد مر ﴿قالوا هذا﴾ أي هذا الذي نراه عياناً ﴿سحر مبين وجحدوا بها﴾ أنكروها ولم يقروا بأنها من عند الله ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ انها من عند الله وانها ليست بسحر ﴿ظلماً وعلوا﴾ قال الزجاج: التقدير وجحدوا بها ظلماً وعلوا أي شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون^(٤) انها من عند الله ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ في الأرض بالمعاصي.

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا تَوَاتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّعْمِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَاءَتِيهَا النَّعْمُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

قوله ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ قال ابن عباس: علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالنبوة والكتاب والآلة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود﴾ نبوته وعلمه وملكه، قال قتادة كان لداود تسعة عشر ذكراً فورث سليمان ملكه من بينهم ونبوته أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطبري قراءة عليه بجرجان أنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم الأندوني^(٥)، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوريزي، نا داود بن الحسين^(٦) البيهقي، نا محمد بن سهل السمرقندي، نا إسحاق بن^(٧) الصلت، نا عبد الله بن عرادة^(٨) الشيباني عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي

(١) آية (١٦) سورة القصص وما بين القوسين ساقط من هـ.

(٢) من أ.

(٤) فيه: يعلم

(٥) في هـ: الأندوني

(٣) الإسراء: ٥٩

(٦) داود بن الحسيس بن عقيل البيهقي الخسروجدي ت سنة ٢٩٣ هـ تاريخ الإسلام ٣٠٦/١٥

(٧) إسحاق بن الصلت قال عنه صاحب الميزان منكر الحديث انظر ميزان الاعتدال ١٩٢/١

(٨) عبد الله بن عرادة بن شيبان السدوسي أبو شيبان البصري تهذيب التهذيب ٣١٩/٥.

هريرة رضي الله عنه قال نزل كتاب من السماء إلى داود فغتم فيه [عشر]^(١) مسائل ان سل ابنك سليمان فإن هو أخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود سبعين فساد وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني نزل كتاب من السماء فيه عشر مسائل امرت أن أسألكنه فإن أنت أخرجتهن فأنت الخليفة من بعدي قال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله، قال اخبرني يا بني ما أبعد الأشياء وما أقرب الأشياء وما آنس الأشياء وما أوحش الأشياء [وما أحسنها وما أقبحها وما أقلها وما أكثرها وما الساعيان والمشتركان]^(٢) وما القائمان وما المختلفان وما المتباغضان وما الأمر إذا ركبته الرجل حمد آخره وما الأمر إذا ركبته الرجل ذم آخره؟ فقال سليمان: أما أقرب الأشياء فالآخرة وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه وأما القائمان فالسما والأرض وأما الساعيان فالشمس والقمر والمشتركان الليل والنهار^(٣) وأما المختلفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة كل واحد يبغض صاحبه، وأما الأمر إذا ركبته الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره فالعدة على الغضب، قال ففك الخاتم فإذا هذه المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والاحبار لن نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال: سلوه قال سليمان: سلوني وما توفيقي إلا بالله قالوا: ما الشيء إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه؟ قال سليمان هو القلب إذا صلح صلح كل شيء منه وإذا فسد فسد كل شيء منه فقالوا صدقت أنت الخليفة بعده ودفع إليه داود عليه السلام قضيب الملك ومات من الغد^(٤) أخبرنا أبو الحسن المؤمن بن محمد السوادى، أنا محمد بن عبد الله^(٥) بن نعيم، أنا أبو سعيد الأحمشي، نا الحسن بن حميد، نا الحسين بن علي السلمي، نا محمد بن حسان عن محمد بن جعفر بن^(٦) محمد عن أبيه قال: اعطي سليمان بن داود عليه السلام ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطيور والسباع واعطي علم كل شيء وملك كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله ﴿علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن علي الحافظ، أنا محمد بن علي بن الحسين بالكوفة، نا حامد بن بلال بن الحسن البخاري، نا داود بن طلحة، نا عمر بن علي الخليل، نا موسى بن إبراهيم، نا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي قالوا: فما يقول الديك إذا صاح قال: يقول: اذكروا الله يا غافلين^(٧)، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله بن زكريا الشيباني أنا أبو سهل بن بشر، نا سحابة بنت حمدان بن موسى الأنبارية بالأنبار^(٨) قالت، نا أحمد بن عيسى بن العسكري^(٩)، نا

(١) ساقط من هـ

(٢ - ٣) ساقط من هـ

(٤) هذا خبر منكر وذلك لأن إسحاق بن الصلت منكر الحديث

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري ت سنة ٤٠٥ هـ انظر طبقات الحفاظ ص ٤٠٩ تذكرة الحفاظ ١٠٤٣/٣

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمي الحسيني ت سنة ٢٠٣ الميزان ٥٠٠/٣

(٧) قال عنه ابن جوزي في كتابه لا يصح متن الحديث ولا إسناده، وبين أن في سنده انقطاعاً كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٥/٣

(٨) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد كانت تسمى في أيام الفرس فيروز سابو معجم البلدان ٢٢١/٢

(٩) في هـ: ابن عسكري وهو: أحمد بن عيسى بن حسان المصري أبو عبد الله العسكري المعروف بالتستري ت سنة ٢٤٤ تهذيب التهذيب ٦٥/١ وهو ضعيف الحديث.

أحمد بن كثير الواسطي، نا أحمد بن صالح عن علي بن الحسن عن سهل عن أبيه عن ابن عباس: قام: قوم من أهل العراق فقالوا: أنت ابن عباس قال فقلت: نعم قالوا: أنت ابن عم الذي يزعم أنه رسول الله والسفير فيما بينه وبين الله جبريل قال: نعم وأنا على ذلك من الشاهدين قالوا: فإننا قوم قد قرأنا الكتب وعرفنا ما فيها ونحن سائلون عن سبعة أشياء فإن أنت أخبرتنا بما آمنا وصدقنا قال سلوني تفقهاً ولا تسألوني تفناً فإن رسول الله ﷺ دعا لي فقال: «اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل» فعلمت أن دعوة رسول الله ﷺ تلحقني سلوني عما شئتم قالوا أخبرنا ما يقول القنبر^(١) في صفيهِه والزرزور^(٢) والدراج^(٣) والديك في صقيعه^(٤) والحمار في نهيقه والضفدع في نقيقه والفرس في صهيله قال نعم أخبركم أما القنبر فإنه يقول في صفيهِه: اللهم العن مبغضِي محمد وآل محمد، وأما الزرزور فإنه يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق وأما الدراج فيقول الرّحمن على العرش استوى وأما الديك فإنه يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فإنه يقول في نقيقه: سبحان المعبود في لجج البحار، وأما الحمار فإنه يقول في نهيقه: اللهم العن العشار، وأما الفرس فإنه يقول في صهيله إذا التقت الفتان ومشى بعضهم إلى بعض: سبح قدوس رب الملائكة والروح قالوا: يا ابن عباس نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأسلموا وحسن إسلامهم، قال الفراء: منطق الطير كلام الطير فجعله كمنطق الرجل إذا فهم وانشد قول حميد بن ثور^(٥):

عجبت^(٦) أنى يكون عناؤها فصيحاً ولم يقرب بمنطقها فما^(٧)

ومعنى الآية فهمنا ما تقول الطير ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال ابن عباس يريد من أمر الدنيا والآخرة، وقال مقاتل: يعني الملك والنوبة والكتاب وتسخير الرياح وسخرة الجن والشياطين ونطق الطير ﴿إن هذا﴾ الذي أعطينا ﴿لهو الفضل المبين﴾ الزيادة الظاهرة على ما اعطينا غيره قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة يدل عليه قوله ﴿من الجن والإنس والطير﴾ قال المفسرون: كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع طوائف من هؤلاء الجنود على بساط واحد ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، والمعنى: وجمع لسليمان جنوده في مسير له، قال محمد بن كعب: بلغنا أن سليمان بن داود عسكره مائة فرسخ^(٨) خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوابر على الخشب فيها ثلثمائة كتيبة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو

(١) القنبر أو القبر جنس من الطير ومن فصيلة القنبريات. المعجم الوسيط باب القاف.

(٢) الزرزور طائر من رتبة العصفوريات أكبر قليلاً من العصفور المعجم الوسيط باب الزاي

(٣) الدراج: نوع من الطيور يدرج في مشيه المعجم باب الدال.

(٤) والسقيع صوت الديك وصياحه. المعجم باب الصاد

(٥) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري أبو المثنى ت نحو سنة ٣٠ هـ انظر: الإصابة الترجمة ١٨٣ الأعلام ٢٨٣/٢.

(٦) عن هـ فقط عجبت لها وفي النسخ الأخرى عجبت أنى... الخ.

(٧) في معاني القرآن للفراء:

عجبت أنى يكون عناؤها رفيعاً ولم تقنع بمنطقها فما

وفي الهامش البيت في ديوان حميد بن ثور في الحديث عن حمامة تغرد ص ٢٧ معاني القرآن للفراء ٢٨٩/٢ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر والبيت في ديوان حميد من قصيدة مطلعها:

سل الريح أنى يممت أم سالم وهل عادة للريح أن يتكلما

(٨) الفرسخ مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال المعجم الوسيط باب الفاء.

يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك به^(١) وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: على صنف من جنوده وزعة ترد أولاهم على أخراهم يعني ليجتمعوا ويتلاحقوا وهو من الوزع الذي هو الكف يقال وزعته أزعه وزعا والشيب وزع أي مانع، قال الليث: والوزع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم^(٢) ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ أي أشرفوا عليه، قال كعب هو بالطائف^(٣)، وقال قتادة ومقاتل هو بالشام ﴿قالت نملة﴾ أي صاحت بصوت خلقه الله لها، ولما كان ذلك الصوت مفهوماً لسليمان عبر عنه بالقول، قال أهل المعاني ومعرفة النملة سليمان معجزة له ألهمها الله معرفته حتى عرفته وحذرت النمل حطمه وهو قولها: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ والنمل تعرف كثيراً من منافعها من ذلك انها تكسر الحبة بقطعتين لثلاث تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرهما بأربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت بقطعتين فالذي هداها إلى هذا هو الذي ألهمها معرفة سليمان ومعنى لا يحطمنكم لا يكسرنكم والحطم الكسر والحطام ما تحطم وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي يحطمكم ووطئكم قال مقاتل: قد علمت النملة انه ملك لا بقي فيه وانه إن علم بها قبل إن يغشاها لم يتوطأها لذلك قالت ﴿وهم لا يشعرون﴾ وهذا يدل على ان سليمان وجنوده كانوا ركبناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يتوطأها بأرجلهم، ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان، قال المفسرون: طارت الريح بكلام النملة فادخلته أذن سليمان فلما سمع كلامها تبسم، وذلك قوله: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ قال الزجاج: أكثر ضحك الانبياء عليهم السلام التبسم، وضاحكاً حال ومعناه متبسماً، وليس المراد بلفظ الضحك أكثر من التبسم وسبب ضحك سليمان عليه السلام من قول النملة التعجب وذلك ان الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقال مقاتل ثم حمد ربه حين علمه منطلق كل شيء وسمع كلام النملة ﴿وقال رب أوزعني﴾ أي ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي﴾ يقال: فلان موزع بكذا أي مولع^(٤) به وقوله ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرنني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، قوله:

وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٢١﴾

﴿وتفقد الطير﴾ التفقد: طلب ما غاب عنك والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير ﴿فقال ما لي لا أرى الهدهد﴾ أي ما للهدهد لا أراه يقول العرب ما لي اراك كثيراً؟ معناه ما لك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى والهدهد طائر معروف قال مجاهد: سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير فقال: إن سليمان نزل منزلاً ولم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد يدله على الماء إذا أراد أن ينزل فلما فقدته سأل عنه وذلك أن الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن حيان، نا محمد بن الصباح نا عبد الله بن عمر نا سالم بن نوح، نا أبو المعلى

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٨٧ عن محمد بن كعب عن أبي معشر وأبو معشر ضعيف الحديث انظر تقريب التهذيب ٢/٢٩٨.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣/٩٩.

(٣) الطائف مدينة ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه على بعد أميال من مكة معجم البلدان ٤/٨.

(٤) يراجع اللسان مادة وزع فلقد فسر الوزع يعني الإلهام والولوع

الطار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه ذكر الهدهد فقال إن سليمان طلبه لأنه كان يعلم مسقاة الماء وإن الصبي يضع له الفخ فيغطي عليه بشيء من التراب فيجيء فيقع فيه فقال ويحك أما علمت أن القدر يحول دون البصر وأخبرنا أبو بكر أنا عبد الله، أنا أبو الجريش أحمد بن عيسى الكلابي، نا عبد الوهاب بن فليح المكي، نا اليسع بن طلحة عن ابيه عن ابن عباس قال: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر^(١) وقوله ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ قال الزجاج: معناه بل كان [من الغائبين]^(٢) وقال المبرد: لما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فقال ما لي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع^(٣) حيث لم يره فقال ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي بل أكان^(٤) من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول واستفهم عن حال غيبته ثم أوعده فقال ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال المفسرون تعذيبه إياه أن ينتف ريشه ثم يلقيه في الشمس فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض^(٥) ﴿أَوْ لَأَذِيبَنَّكَ﴾ [لا]^(٦) قطعن حلقة ﴿أُولَئِكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بينة في غيبته أصله ليأتيني بنونين كما يقرأ ابن كثير^(٧) ولكن حذف النون التي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات^(٨).

فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦

﴿فمكت غير بعيد﴾ أي لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء الهدهد ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي علمت [شيئاً من جميع جهاته]^(٩) [ما لم تعلم]^(١٠) قال ابن عباس فاتاه الهدهد بحجة فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وقال مقاتل: قال الهدهد علمت ما لم تعلم وجئتك بأمر لم تعلم وجئتك بأمر لم تخبرك به الجن ولم تعلمك به الإنس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله ﴿وجئتك من سبأ﴾ وقرئ من سبأ بالتونين^(١١) قال الزجاج: من لم يصرف فلأنه اسم مدينة تعرف بمأرب^(١٢) من اليمن بينها وبين صنعاء^(١٣) مسيرة ثلاثة أيام من صرف ثلاثة اسم البلد فيكون منكراً سمي به مذكر وروي في الحديث أن النبي ﷺ سئل

(٤) في هـ: كان

(١) انظر ابن جرير ٩١/١٩

(٥) تفسير ابن جرير ٩١/١٩

(٢) ساقط من د، هـ

(٦) ساقط من هـ

(٣) في هـ: الجميع

(٧) ابن كثير: عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد ولد سنة ٤٥ هـ وت سنة ١٢٠ هـ انظر وفيات الأعيان ١/٢٥٠، الأعلام ٤/١١٥ دار العلم.

(٨) قراءة ابن كثير (ليأتيني) بنونين الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة، السبعة ص ٤٧٩ النشر ٣٣٧/٢

(٩) ساقط من د، هـ

(١٠) ساقط من هـ

(١١) قراءة (من سبأ) بالتونين والتخفيف قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وابو عمرو والميري فقد قرأ من (سبأ) بفتح الهمزة من غير تونين انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٣٣٧/٢

(١٢) وهي بلاد الأزدي قديماً معجم البلدان ٥/٣٤

(١٣) صنعاء: قصبة اليمن وأحسن بلادها وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً معجم البلدان ٣/٤٢٦

عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشر من البنين»^(١) وقد تكلمت العرب فيه الأجواد وغير الأجواد وقال جرير:
الواردون وتيم في ذرى سبأ^(٢)

وقال آخر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما^(٣)

وقوله: ﴿بنياً يقين﴾ قال ابن عباس: الخبر الصادق، فقال سليمان وما ذاك؟ فقال الهدهد: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني بلقيس ملكة سبأ، قال مجاهد: كان تحت يدها اثنا عشر ألف قيل والقيل بلغتهم: الملك تحت يدي كل قيل ألف مقاتل^(٤) ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال عطاء: من زينة الدنيا من المال والجنود والعلم ﴿ولها عرش عظيم﴾ قال: يريد سريراً من ذهب طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً مضروب بالذهب مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر قوائمه من زبرجد أخضر^(٥) أخبر الهدهد أنها وقومها على غير دين الله وهو قوله تعالى ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ الآية إلى قوله ﴿ألا يسجدوا﴾ ومن قرأ بالتشديد^(٦) كان المعنى فقدهم عن السبيل لثلاث يسجدوا ثم حذفت قاله الزجاج، وقال الفراء: زين لهم الشيطان [أعمالهم]^(٧) لثلاث يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: ألا يا قوم أو يا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السماوات والأرض خلافاً عليهم وحداً لله لمكان ما هداكم لتوحيدهم فلم تكونوا مثلهم في الطغيان والكفر وعلى هذه القراءة هذا كلام معترض من غير القصة إما من الهدهد وإما من سليمان وقال أبو عبيدة هذا أمر من الله^(٨) مستأنف يعني ألا يا أيها الناس: اسجدوا لله قرأه العامة لثلاث تنقطع القصة بما ليس فيها وقوله ﴿يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ يقال: خبأت الشيء أخبأه خبأً والخبء ما خبأته لوقت قال الزجاج: جاء في التفسير ان الخبأ ها هنا من السماء والنبات من الأرض وعلى هذا في تكون بمعنى [من]^(٩) وكذا هو في قراءة عبد الله^(١٠) ويجوز أن يكون يعني الخبأ الغيب فيكون المعنى يعلم الغيب في السموات والأرض. وهذا قول قتادة ويعلم ﴿ما يخفون﴾ في قلوبهم ﴿وما

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة سبأ وقال حسن غريب، وقال الهيثمي فيه ابن لهيعة وفيه ضعف وقد رواه الطبراني وأحمد وبقية رجالهما ثقات مجمع الزوائد ٩٤/٧.

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٠ من غير أن ينسبه إلى قائل وعجزه قد عض أنيابهم جلد الجواميس وأما جرير فقد قاله في ديوانه ص ٢٥٢ بلفظ. تدعوك تتم وتم في قرى سبأ. . قد عض أنيابهم جلد الجواميس.

(٣) نسبه صاحب كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١١٧/٣) إلى الأعشى وليس في ديوانه وفي لسان العرب أنشد ابن بري للجعدي. لسان العرب فصل العين حرف الميم وفي هامش مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٧/٢) اختلفوا في عزو هذا البيت بعضهم نسبه إلى النابغة الجعدي وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت وهو في ديوانه رقم ٥١ وفي ملحق ديوان الأعشى ص ٢٥٨

(٤) تفسير ابن جرير ٩٧/١٩.

(٥) في هـ: الأخضر، وانظر ابن جرير في تفسيره ٩٣/١٩

(٦) (ألا تسجدوا) كلهم شدد اللام في ألا يسجدوا غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن ووقف على (الا) ثم ابتدأ (اسجدوا) السبعة ص ٤٨٠

(٧) ساقط من هـ ومن كتاب معاني الفراء أيضاً ٢/٢٩٠.

(٨) مجاز القرآن ٩٣/٢ بلفظ مختلف

(٩) ساقط من هـ

(١٠) قراءة عبد الله يقصد: عبد الله بن مسعود وقد نص عليها الفراء في: (يخرج الخبء من السموات والأرض) معاني القرآن ٢/٢٩١.

يعلنون ﴿بألستهم وقرأ الكسائي^(١) بالتاء لأن أول الآية خطاب على قراءته بتخفيف الآيات اسجدوا كذلك آخر الآية ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ أي هو الذي يستحق العبادة لا غيره وهو رب العرش العظيم لا ملكة سبأ لأن عرشها وإن كان عظيماً لا يبلغ عرش الله في العظمة فلما فرغ الهدهد من كلامه

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢٧ ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢٨ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ ٢٩ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣٠ ﴿أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ٣١

﴿قال﴾ سليمان للهدهد ﴿سننظر﴾ فيما حدثنا من هذا القصة ﴿أصدمت﴾ فيما قلت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فذلك قوله تعالى فيما قلت ﴿أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ثم تول عنهم﴾ قال مقاتل: يغرب عنهم وهذا على التقديم والتأخير والتقدير فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب ومعنى ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ ماذا يردون من الجواب. فمضى الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم فقالت ﴿يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم﴾ قال قتادة: أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وأخبرت قومها وقالت ألقى إلي كتاب كريم قال عطاء والضحاك سمته كريماً لأن كان محتوماً وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير يدل على صحة هذا التفسير ما أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن حمدان أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم السليطي حدثنا محمد^(٢) بن إسحق الثقفي حدثنا يحيى^(٣) بن طلحة اليربوعي حدثنا محمد بن مروان السدي عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إكرام الكتاب ختمه^(٤) وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم: حسن وهو اختيار الزجاج قال: حسن ما فيه ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿إنه من سليمان﴾ أي أن الكتاب من عنده وإنما^(٥) وإن المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ﴾ قال ابن عباس: لا تتكبروا علي، والمعنى لا تترفعوا علي وأتوني مسلمين منقادين طائعين قال قتادة: وكذلك كانت الانبياء تكتب جملاً لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله كان كتاب سليمان ثم أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها فاستشارتهم.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ ٣٢ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ٣٣ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً

(١) قراءة (تخفون، وتعلنون) قرأ بها الكسائي وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٤٨١ والنشر ٢/٣٣٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي أبو العباس ولد سنة ٢١٦ هـ وت سنة ٣١٣ البداية والنهاية ١١/١٥٣، تذكرة الحفاظ ٢/٧٣١ شذرات الذهب ٢١/٢٦٨.

(٣) يحيى بن طلحة بن أبي كثير اليربوعي أبو زكريا الكوفي تهذيب التهذيب ١١/٢٣٣.

(٤) رواه الهيثمي عن الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير هو متروك مجمع الزوائد كتاب الأدب باب في كتابة الكتب وختمها.

(٥) ساقط من ب، ج، هـ.

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

و ﴿قالت يا أيها الملأ﴾ تعني الأشراف وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً وهم أهل مشورتها ﴿أفتوني في أمري﴾ أشيروا علي وبينوا لي ما أعمل ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ فاعلته وقاضيته ﴿حتى تشهدون﴾ تحضروني [أي] (١) إلا بحضوركم ومشورتكم ﴿قالوا﴾ مجيبين ﴿نحن أولو قوة﴾ أي في الابدان في [معنى] (٢) قول ابن عباس وفي قول مقاتل ارادوا كثرة العدد ﴿وأولو بأسٍ شديد﴾ يعني الشجاعة في الحرب ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم وهذا تعريض منهم بالقتال إن امرتهم بذلك ثم قالوا ﴿والأمر إليك﴾ أي في القتال وتركه ﴿فانظري﴾ من الرأي ﴿ماذا تأمرين﴾ ماذا تشيرين علينا قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ قال الزجاج: أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة أفسدوها [أي] (٣) أهلكوها وخربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت، فقال ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي وكما قالت هي يفعلون ثم قالت ﴿وإني مرسله إليهم بهدية﴾ قال السدي نختبر بذلك سليمان لتعرف أملك هو أم نبي فبعثت إليه بغلمان وجوار في قول أكثر المفسرين قال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مقاتل ومجاهد مائتي غلام ومائتي جارية وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت بلبنة من ذهب في حرير وديباج (٤) ﴿فناظرة بما يرجع المرسلون﴾ بقبول أم رد (٥).

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلْ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿فلما جاء سليمان﴾ أي جاء الرسول سليمان ﴿قال أتمدونن بمال﴾ أي أنزidonني مالاً وهذا استفهام إنكار يعني انه لا يحتاج إلى مالهم لأن الله اعطاه ما هو خير من ذلك وهو قوله ﴿فما آتاني الله﴾ أي من الاسلام والنبوة والملك ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ يعني إذا أهدى بعضهم إلى بعض وأما أنا فلا أفرح بها [ثم] (٦) قال سليمان للرسول ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي لا طاقة لهم بها ﴿ولنخرجنهم منها﴾ من سبأ وهي قريتهم ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ فلما رجع إليها الرسول قالت قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فتجهزت للمسير (٧) إليه وأخبر جبريل سليمان انها خرجت من اليمن مقبلة إليه.

قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتَيْتَنِي بِعَرَشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ لَجِنَ أَنَا أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من د، هـ

(٣) ساقط من هـ

(٤) في هـ: رده

(٥) ساقط من جـ

(٦) في هـ: المسير

(٧) انظر تفسير ابن جرير ٩٧/١٩

﴿قال﴾ سليمان ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾^(١) وإنما قال هذا سليمان بعد أن قربت منه وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان وأحب أن يأخذ عرشها قبل أن تسلم فلا يحل له أخذ ما لها وذلك قوله ﴿قبل أن يأتيوني مسلمين﴾ منقادين طائعين ﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي الغليظ الشديد ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ يعني من مجلسك الذي تقضي فيه وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار قال مقاتل: قال العفريت: أنا اضع قدمي عند منتهى بصري فليس شيء أسرع مني ﴿وإني عليه﴾ أي على حمله ﴿لقوي أمين﴾ على ما فيه من الذهب والجواهر^(٢) فقال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف بن برخيا وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهذا قول أكثر المفسرين في الذي عنده علم من الكتاب^(٣) ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سعيد بن جبير: قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه^(٤) والمعنى حتى يعود إليك طرفك بعد مدة إلى السماء وقال مجاهد معنى ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد إليه طرفه خاسئاً وعلى هذا معنى الآية أن سليمان يمد بصره إلى اقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيراً يكون قد أتى بالعرش قال محمد بن إسحاق^(٥) انخرق مكان العرش حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان^(٦) ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس: قال جرى تحت الأرض حتى نبع بين يدي سليمان^(٧) وقال الكلبي: خر آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان، وقال أهل المعاني لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون كرامة للولي ومعجزة للنبي، واختلفوا في ذلك الذي دعا به آصف فقال مقاتل ومجاهد: هذا يا ذا الجلال والإكرام وقال الكلبي: يا حي يا قيوم اخبرنا محمد بن موسى بن الفضل، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا ابن ابي الدنيا، أنا عبيد الله بن عمير الخيشمي^(٨) عن المنهال بن عيسى عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله قال: قال سليمان بن داود لصاحب العرش قد رأيتك ترجع شفيتك فما قلت قال: قلت إلهي وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائت به وقوله ﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾ في الآية محذوف تقديره فدعا الله فأتى به فلما رآه مستقراً عنده ثابتاً بين يديه ﴿قال هذا من فضل ربي﴾ أي هذا التمكين من حصول المراد من فضل الله وعطائه، قال قتادة: والله ما جعله فخراً ولا بطراً ولكنه جعله منة لله وفضلاً منه ﴿ليبلوني﴾ ليختبرني ﴿أأشكر﴾ الله فيما أعطاني من نعمة ﴿أم أكفر ومن شكر﴾ ربه ﴿فإنما يشكر لنفسه﴾ لأجل لنفسه يفعل ذلك لأن ثواب شكره يعود إليه ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بالإفضال على من يكفر نعمة، قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتذكير عرشها^(٩) فذلك قوله:

(١) في هـ: بعرشها قبل وهي مكورة

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/١٠٣

(٣) تفسير ابن جرير عن ابن إسحاق ١٩/١٠٣ .

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو عبد الله المطلي انظر تهذيب التهذيب ٩/٣٨

(٦) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق عن وهب بن منبه بسند فيه مجهولين ١٩/١٠٣

(٧) تفسير ابن جرير ١٩/١٠٤

(٨) في هـ: الجسمي .

(٩) رواه ابن جرير عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ١٩/١٠٦

قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي ۖ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ التكرير التغيير يقول غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: وهو أن يزداد فيه أو ينقص ﴿نظرت أهتدي﴾ لمعرفة ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ [أي من القوم الذين لا يهتدون] (١) ولا يعرفون ﴿فلما جاءت﴾ المرأة ﴿قيل﴾ ﴿أهكذا عرشك﴾ قال مجاهد جعلت تعرف وتنكر وعجبت من حضور عرشها عند سليمان ف ﴿قالت كانه هو﴾ وقال مقاتل: عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولوقيل لها: أهذا عرشك لقلت: نعم، وقال عكرمة: كانت حكيمية قالت لئن قلت هو هو خشيت أن أكذب وإن قلت: لا خشيت أن أكذب فقالت: كانه هو شبهته به قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقال ﴿وأويتنا العلم﴾ لصحة النبوة ﴿من قبلها﴾ من قبل الآية في العرش ﴿وكنا مسلمين﴾ طائعين منقادين لأمر سليمان ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ أي منعها من التوحيد الذي [كانت] (٢) تعبد من دون الله وهو الشمس، قال الفراء: معنى الكلام وصددها من أن تعبد الله ما كانت تعبد (٣) ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ استثناء خبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت فيما بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس واراد سليمان أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها إذ قيل له: إن رجلها كحافر الحمار فأمر أن يهيا لها بيت من قوارير فوق الماء ووضع سرير سليمان في صدر البيت و ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ قال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير (٤) وجعل تحته ماء وسمك (٥) ونحو هذا قال الزجاج في الصرح: إنه الصحن يقال هذه مساحة الدار وصرحة الدار ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ وهي معظم الماء ﴿وكشفت عن ساقها﴾ لدخول الماء قال ابن عباس: لما كشفت عن ساقها رأى سليمان قدماً لطيفاً وساقاً حسناً خدلجاً (٦) أرب فقال لناصحه من الشياطين كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة للجسد فعلمه عمل النورة (٧) فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما رأى ساقها وقدمها ناداها سليمان ف ﴿قال إنه صرح ممرد من قوارير﴾ أي من الزجاج وليس بماء، قال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله ف ﴿قالت: رب إنني ظلمت نفسي﴾ بعبادة غيرك ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ اخلصت له التوحيد، قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتيبة فسأله هل تزوجها سليمان قال: عهدي بها أن قالت [وأسلمت] (٨) مع سليمان [لله رب العالمين] (٩) يعني انه لا يعلم ذلك وان آخر ما سمع من حديثها وأسلمت مع سليمان.

(١) ساقط من هـ

(٤) ساقط من هـ

(٢) ساقط من د، هـ

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢

(٦) جاء في لسان العرب الخدلجة بتشديد اللام المثلثة الذراعين والساقين اللسان فصل الخاء حرف الجيم والأزب: الساق دقيق المفاصل لسان العرب فصل الهمزة حرف الباء

(٧) رواه ابن جرير عن أبي صالح انظر تفسير ابن جرير ١٧/١٩

(٩) ساقط من ج، د

(٨) ساقط من جـ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ
 سَتَعَجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ
 مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾^(١) أي مؤمنون وكافرون كل فريق يقول الحق معي فقال صالح للفريق المكذب ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة أي لم قلم إن كان ما تأتينا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾ هلا ﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون في الدنيا ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ تشاء منا بك وبمن على دينك وذلك انهم قحط المطر عنهم، وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك^(٢) وشؤم أصحابك فقال لهم صالح: ﴿طائرکم عند الله﴾ قال ابن عباس الشؤم أتاكم من عند الله بكفرکم، وهذا كقوله ﴿يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾^(٣) وقوله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ
 وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا
 مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وكان في المدينة﴾ يعني التي بها صالح وهي الحجر^(٤) ﴿تسعة رهط﴾ وهم غواة قوم صالح ﴿يفسدون في الأرض﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ ولا يطيعون الله ﴿قالوا﴾ فيما بينهم ﴿تقاسموا بالله﴾ احلفوا بالله ﴿لنبيئته﴾ لنقتلن صالحاً ﴿وأهله﴾ بيئاتاً ومن قرأ بالنون^(٥) كأنهم قالوا أقسموا [بالله]^(٦) لنفعلن كذا والأمر بالقسم في القراءتين دخل في الفعل معهم ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي لذي رحم صالح إن سألنا عنه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ ما قتلناه وما ندرى من قتله وأهله والمهلك يجوز أن يكون مصدرأ بمعنى الاهلاك ويجوز أن يكون الموضع وروى عاصم بفتح الميم واللام^(٨) يريد الهلاك يقال: هلك [هلاكاً]^(٩) يهلك مهلكاً وروى

(١) في هـ: ولقد أرسلنا إلى قومه فإذا فريقان يختصمون وهو تحريف.

(٢) في هـ: بشؤمنا

(٣) آية (١٣١) سورة الأعراف

(٤) الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام معجم البلدان ٢١/٢٢١

(٥) قراءة (لنبيئته) بالنون قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وخلف فقد قرأوا (لنبيئته) بالتاء انظر السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٣١١/٢

(٦) ساقط من ج، د، هـ

(٧) قراءة عاصم في السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٣ والنشر ٣١١/٢

(٨) ساقط من جميع النسخ عدا د، وفي هـ: هلك يهلك هلاكاً ومهلكاً.

حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام^(١) وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانه قال الزجاج وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله ثم ينكروا عند أوليائه أنهم فعلوا ذلك أو رأوه وكان هذا مكر عزموا عليه قال الله عز وجل ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ جازينهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بمكر الله بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم﴾ وقرئ: أنا بالفتح قال الزجاج^(٢) والفراء من كسر استأنف فهو^(٣) يفسر به ما كان قبله مثل قوله: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا﴾^(٤) ومن فتح رده على اعراب ما قبله جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال: العاقبة أنا دمرناهم^(٥)، قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم، وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم^(٦) وقوله ﴿وقومهم أجمعين﴾ يعني بصيحة جبريل ﴿فلنك بيوتهم خاوية﴾ قال الزجاج: نصب خاوية على الحال والمعنى فانظر إلى بيوتهم خاوية ﴿بما ظلموا﴾ بظلمهم وشركهم بالله أهلكتهم حتى صارت منازلهم خاوية خالية ساقطة على عروشها ﴿إن في ذلك﴾ في هلاكهم ﴿لآية لقوم يعلمون﴾ لبرة لمن علم توحيد الله وقدرته ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صدقوا صالحاً من العذاب ﴿وكانوا يتقون﴾ الشرك.

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۖ ﴿٥٤﴾ أَيَّتُكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۖ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرَبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنظَهُرُونَ ۖ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۖ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ۖ ﴿٥٨﴾

﴿ولوطاً﴾ واذكر لوطاً ﴿إذ قال لقومه﴾ الذين ارسل إليهم ﴿أتأتون الفاحشة﴾ يعني اللواط في قول الجميع ﴿وأنتم تبصرون﴾ وأنتم تعلمون أنها فاحشة وهو من البصر الذي هو العلم وهذه الآيات التي في هذه القصة مفسرة في سورة الأعراف، وقوله ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ قال ابن عباس تجهلون القيامة^(٧) وعاقبة العصيان وقوله ﴿قدرنا من الغابرين﴾ جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها انها من الباقيين في العذاب وما بعد هذا مفسر في سورة الشعراء قوله:

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ۖ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ مَعَهُ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۖ ﴿٦٠﴾

(١) انظر: السبعة ص ٤٨٣ والنشر ٣١١/٢

(٢) قراءة (أنا) بالفتح قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٣٣٩/٢

(٣) قراءة (إننا) بالكسر قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٤٨٤ والنشر ٣٣٩/٢

(٤) سورة عيسى: ٢٤، ٢٥

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٦ بتصرف

(٦) انظر تفسير ابن جرير ١٩: ١٠٧

(٧) في هـ: القيامة وهو تصحيف

﴿قل الحمد لله﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال مقاتل هم الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد ابن عبد الله ﷺ، وقال في رواية عطاء هم الذين وحدوه وآمنوا به وقال في رواية الكلبي: هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته ومعنى السلام عليهم أنهم سلموا مما عذب به الكفار ثم قال مخاطباً المشركين ﴿الله خير أما يشركون﴾ يا أهل مكة أي الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها إلزام للحجة على المشركين قيل لهم بعدما ذكر هلاك الكفار الله خير أم الأصنام، والمعنى أن الله نجى من عبده من الهلاك والأصنام لم تُغْنِ عن عابديها عند نزول العذاب، وكان المشركون يتوهمون في الاصنام وفي عبادتها خيراً فليل لهم احتجاجاً: الله خير أما تشركون.

قوله ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ تقدير الكلام أما تشركون خيراً من خلق السموات والأرض ﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأنبتنا به حقائق﴾ جمع حديقة وهي كل روضة وحائط وبستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لا يقال حديقة ﴿ذات بهجة﴾ ذات منظر حسن والبهجة الحسن يتهج به من رآه ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليها ثم قال مستفهماً منكراً عليهم ﴿ءإله مع الله﴾ أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه ﴿بل﴾ ليس معه إله ﴿هم قوم﴾ يعني كفار مكة ﴿يعدلون﴾ يشركون بالله غيره.

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ ﴿١١﴾

﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ مستقراً لا يمد بأهلها ﴿وجعل خلالها﴾ فيما بينها ﴿أنهاراً﴾ كقوله ﴿وفجرنا خلالها نهراً﴾^(١) ﴿وجعل لها رواسي﴾ جبالاً ثابتة أثبت بها الأرض ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ مانعاً من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ توحيد ربهم وسلطانه وقدرته.

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿أم من يجيب المضطر﴾ المكروب المجهد ﴿إذا دعاه﴾ فيكشف ضره وهو قوله ﴿ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله والمعنى: يهلك قرناً فينشئ آخرين ﴿ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ قال ابن عباس: قليلاً ما تتعظون ومن قرأ^(٢) بالياء فالمعنى: قليلاً تذكر هؤلاء المشركين.

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ ﴿١٣﴾

﴿أمن يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ [وهذا كقوله ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾]^(٣).

(١) الكهف: ٣٣

(٢) قراءة (يذكرون) بالياء قرأ بها أبو عمرو وهشام انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٢/٣٣٩.

(٣) آية (٩٧) سورة الأنعام والآية ساقط من من هـ

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

﴿أمن يبدأ الخلق﴾ في الارحام من نطفة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ المطر ﴿ومن الارض﴾ النبات ﴿ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ [حجتكم] (١) ﴿إن كنتم صادقين﴾ ان لي شريكاً صنع من هذه الاشياء.

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَاكُ عِلْمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مَنَّا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وءَابَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ يعني الملائكة ﴿والأرض﴾ يعني الناس ﴿الغيب﴾ ما غاب عن العباد ﴿إلا الله﴾ وحده ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ولا يعلمون متى يكون البعث والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى البعث لا غيره ﴿بل ادراك علمهم في الآخرة﴾ ادراك معناه تدارك أي تتابع وتلاحق ومنه قوله ﴿حتى إذا ادركوا فيها جميعاً﴾ (٢) وقرأ ابن كثير بل أدرك (٣) أي بلغ ولحق كما تقول أدركه علمي أي بلغه ولحقه، قال ابن عباس: يريد ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة، وقال السدي: اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا، وقال مقاتل [يقول] (٤): بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله ﴿بل هم في شك منها﴾ بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة ﴿بل هم منها عمون﴾ جمع عم وهو الأعمى القلب، قال الكلبي: يقول هم جهلة بها وما بعد هذا مفسر في سورة المؤمنين إلى قوله:

لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ والآية ظاهرة ﴿ولا تحزن عليهم﴾ على كفار مكة، والمعنى: على تكذيبهم إياك واعراضهم عنك ﴿ولا تك في ضيق﴾ وقرئ في ضيق بكسر الضاد (٥) وهما لغتان، قال ابن السكيت: يقال في صدر فلان (٦) ضيق أو ضيق وهو ما يضييق عنه الصدر وهذه الآية مفسرة في آخر سورة النحل.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

(١) ساقط من ب

(٢) الأعراف: ٣٨

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بل أدرك انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٨٥ والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩

(٤) ساقط من ب

(٥) قراءة (في ضيق) بكسر الضاد قرأ بها: ابن كثير ورواية عن نافع انظر السبعة ص ٤٨٥ والنشر ٢/٣٠٥

(٦) ساقط من د، والنص في: إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٢ ط الثالثة.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٣﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

ويقولون متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد من العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأنه يكون ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ يقال: ردف الرجل وأردفته إذا ركبته خلفه قال ابن عباس ﴿ردف لكم﴾ قرب لكم، وقال السدي: أقرب لكم وقال قتادة: أرف لكم، والمعنى: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقول للذين يستعجلون العذاب قدرنا ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فكان بعض الذي نالهم بيدرساثر العذاب لهم فيما بعد الموت ثم ذكر فضله في تأخير العذاب فقال ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ذلك ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفي وتستر صدورهم ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من عداوتك والخلاف عليك أي إنه يعلم ذلك فيجازيهم به.

قوله ﴿وما من غائبة﴾ أي جملة غائبة ﴿في السماء والأرض﴾ قال المفسرون: ما من شيء غائب وأمر يغيب عن الخلق ﴿في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ إلا هو بين في اللوح المحفوظ، قال مقاتل يريد علم ما تستعجلون من العذاب هو مبين عند الله ولئن^(١) غاب عن الخلق.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ قال الكلبي إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً وشيعاً يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من دين بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه إن أخذوا به وأسلموا ﴿وإنه﴾ وإن القرآن ﴿لهدي﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب لمن آمن به ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ قال مقاتل والكلبي: بين أهل الكتاب يقضي بينهم يوم القيامة ﴿بحكمه وهو العزيز﴾ الغالب فلا يمكن رد قضاؤه ﴿العليم﴾ بما يحكم فهو يقضي بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد ﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ على الدين البين أي إن العاقبة لك بالنصر ثم ضرب للكفار مثلاً فقال ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ شبه كفار مكة بالأموات يقول كما لا يسمع^(٢) الميت النداء كذلك لا يسمع^(٣) الكافر النداء ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾^(٤) قال قتادة لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون إليه من التوحيد كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالصم الذين لا يسمعون ثم ضرب العمى مثلاً لهم أيضاً فقال: ﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾ أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، وقرأ حمزة تهدي العمى على^(٥)

(١) في هـ: وإن

(٢) - (٣) - (٤) عدا هـ: تسمع، في هـ: يسمع

(٥) انظر النشر ٢/٣٣٩ والسبعة ص ٤٨٦ في قراءة حمزة (تهدي) بإسكان الهاء وفتح التاء

الفعل وحجته قوله ﴿أفأنت تهدي العمي﴾^(١) والمعنى: أنك لا تهديهم ﴿عن ضلالتهم﴾ لشدة عنادهم ﴿إن تسمع﴾ ما تسمع سماع إفهام ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ قال مقاتل: إلا من صدق بالقرآن انه من الله ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله قوله:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٨٢)

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ قال ابن عباس: حق العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم والمعنى: حق ووجب أن ينزل بهم ما قال الله وحكم به من عذابه وسخطه عليهم أي على الكفار الذين تخرج الدابة عليهم وهو قوله ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقال مخلد بن الحسين: لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن، قالوا وتخرج الدابة من صدر الصفا أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن التاجر، نا أبو الحسن علي بن عمر الختلي، نا أحمد بن الحسن^(٣) بن عبد الجبار، نا يحيى^(٤) بن معين، نا هشام بن يوسف عن رباح^(٥) بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه^(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بئس الشعب جياذ مرتين أو ثلاثاً قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعاها من بين الخافقين»^(٧) أخبرني أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز في كتابه، أنا أبو الفضل الحدادي، أنا أبو يزيد الخالدي^(٨)، أنا إسحاق بن إبراهيم أنا عمر بن هارون، نا سواده قال كنت مع ابن عباس في مكة وهو على الصفا إذ قرع الصفا بعصاه وهو محرم قد عصب رأسه بشراك وهو يقول: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وأخبرنا أبو عمرو، أنا أبو الفضل، أنا أبو يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الرزاق، نا معمر عن قتادة قال: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم وبهذا الاسناد عن إسحاق أخبرنا النضر بن شميل، نا حماد بن سلمة، نا علي بن زيد، نا أوس^(٩) بن خالد عن أبي هريرة قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم^(١٠) وجه الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان يجتمعون يقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر^(١١) وقوله: ﴿تكلمهم﴾ قال مقاتل:

(١) يونس: ٤٣

(٢) مخلد بن الحسين الأزدي أبو محمد البصري ت سنة ١٩١ هـ تهذيب التهذيب ٧٢/١٠.

(٣) ساقط من هـ

(٤) يحيى بن معين بن عون العطفاني ت سنة ٢٠٣ هـ عن سبع وسبعين سنة انظر تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢، العبر ٤١٥/١، طبقات الحفاظ ص ١٨٥

(٥) رباح بن عبيد الله العمري ميزان الاعتدال ٣٧/٢

(٦) ساقط من ب

(٧) قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه رباح بن عبيد الله بن عمر وهو ضعيف مجمع الزوائد كتاب الفتن باب خروج الدابة ٦/٧ ولقد قال صاحب ميزان الاعتدال عن رباح أنه منكر الحديث ونص على حديث (بئس الشعب جياذ...) الميزان ٣٧/٢.

(٨) ساقط من جـ

(٩) أوس بن خالد أبو خالد الحجازي تهذيب التهذيب ٣٨٢/١

(١٠) في د: وتخطم

(١١) رواه ابن جرير في تفسيره. ١٠/٢ وأيضاً رواه ابن ماجه مرفوعاً في كتاب الفتن باب دابة الأرض ١٣٥١/٢ والترمذي في كتاب التفسير سورة النمل وقال حسن غريب ٣٤٠/٥ ط الحلي وأبو داود في منحة المعبود باب خروج الدابة كتاب الفتن ٢٢١/٢ ولكن في سند هذا الحديث علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف الحديث

تكلمهم بالعربية فتقول ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ تخبر الناس ان أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث والثواب والعقاب وقرئ أن الناس بفتح الهمزة وكسرهما (١) فمن فتح (١) اراد تكلمهم الدابة بأن الناس ومن كسر فلأن معنى تكلمهم تقول لهم إن الناس والكلام قول.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي
وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوهُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾ الفوج الجماعة من الناس كالزمرة وإنما يريد الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لاقامة الحجة عليهم وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ مفسر في هذه السورة ﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقف الحشر (٣) ﴿قال﴾ الله لهم ﴿أكذبتهم بآياتي﴾ هذا استفهام معناه الانكار عليهم والوعيد لهم، قال ابن عباس كذبتهم أنبيائي، وجحدتم فرائضي وحدودي ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾ قال ابن عباس: ولم تختبروا حتى تفقهوا وتسمعوا، وقال مقاتل ولم يحيطوا علماً انها باطل ومعنى هذا أكذبتهم غير عالمين [بها] (٤) يعني (٥) ولم تفكروا فيها ﴿وقع القول﴾ وجب العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ بما اشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ بحجة عن أنفسهم ثم احتج عليهم بقوله ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ يبصر فيه أي ليبنى فيه الرزق ﴿إن في ذلك﴾ فيما جعلنا ﴿آيات لقوم يؤمنون﴾.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهٌ دَخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ
تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى ﴿ففزع من في السموات و[من في] الأرض﴾ (٦) أي ماتوا لشدة الخوف كقوله ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ (٧) والمعنى يبلغ (٨) منهم الفزع إلى أن يموتوا وقوله ﴿إلا من شاء الله﴾ قال ابن عباس: يريد الشهادة وهم [أحياء] (٩) عند ربهم يرزقون وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت (١٠) وقوله ﴿وكل﴾ أي من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا ﴿آتوه﴾

(١) قراءة (إن الناس) قرأ بها: ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٢) ساقط من هـ، وقراءة (أن الناس) بفتح الهمزة قرأ بها: عاصم وحمره والقسائي انظر السبعة ص ٤٨٧.

(٣) في هـ، د: الحساب

(٤) ساقط من د، هـ

(٥) في هـ: بمعنى

(٦) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا الخبر عن أبي هريرة مرفوعاً بسند فيه مجهولين انظر تفسير ابن جرير ١٣/٢٠.

(٧) رواه ابن جرير مرفوعاً بسند فيه ابن إسحاق انظر تفسير ابن جرير ٢٠/٢٤

يأتون الله يوم القيامة وقرأ حمزة^(١) أتوه على الفعل ﴿داخرين﴾ صاغرين وقد تقدم ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ واقفة في مكانها لا تسير ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ حتى تعلق على الأرض فتستوي بها ﴿صنع الله﴾ أي صنع الله ذلك ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أبرم خلق واحكمه ومعنى الاتقان في اللغة الاحكام للأشياء ﴿إنه خبير بما يفعلون﴾ بما يفعل اعداؤه من المعصية والكفر وبما يفعل أولياؤه من الطاعة ومن قرأ بالتاء^(٢) فهو خطاب للكافة^(٣) وقوله ﴿ومن جاء بالحسنة﴾ بكلمة الاخلاص شهادة أن لا إله إلا الله والمعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه والمعنى له من تلك الحسنه خير يوم القيامة وهو الثواب والنجاة من العذاب، وخير منها هنا اسم من غير تفضيل ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قرئ بالتنوين والاضافة^(٤) قال أبو علي الفارسي إذا نون يجوز أن يعنى به فزع واحد ويجوز أن يعنى به الكثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله ﴿إن أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾^(٥) وكذلك إذا اضيفت يجوز أن يعنى به مفرد ويجوز أن يعنى به كثرة وعلى هذا القراءتان سواء لا فضل بينهما فإن أريد به الكثرة فهو شامل لكل فرع وإن أريد به واحد فتفسيره ما ذكرنا في قوله ﴿الفرع الأكبر﴾^(٦) وقال الكلبي: إذا اطبقت النار على أهلها فزعا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفرع ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعنى بالشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ يقال كبيت الرجل إذا قيته لوجهه فانكب وأكب، وتقول لهم الخزنة ﴿هل تجزون إلا﴾ جزء ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل، أنا عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، نا محمد بن القاسم العتكي، نا أبو عبد الله محمد بن موسى المسلي، نا حفص بن عبد الله، نا إبراهيم^(٧) بن طهمان عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان^(٨) بن عسال المرادي قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك مجتمعان بين يدي الرب عز وجل فيقول الله للإيمان انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك إلى النار قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ من جاء بالحسنة فله خير منها يعنى قوله لا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك فكبت وجوههم في النار»^(٩) قوله:

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ ءَأَيُّنَّهٖ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(١) قرأ حمزة وخلف وعاصم بفتح وقصر الهمزة انظر السبعة ص ٤٨٧ النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩

(٢) قراءة (تفعلون) بالتاء قرأ بها: حمزة والكسائي ونافع وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٤٨٧

(٣) في هـ، د للكافرين.

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (من فرع يومئذ) بفتح الميم ولا يجوز مع التنوين إلا فتح الميم فإذا لم تنون جاء الفتح والكسر انظر السبعة

(٤٨٧) والنشر ٢/٣٣٩

(٥) لقمان: ١٩

(٦) الأنبياء: ١٠٣

(٧) إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد الهروي ت سنة ١٦٨ تاريخ بغداد ٦/١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/٢١٣، تهذيب التهذيب

١/١٢٩، طبقات الحفاظ

(٨) صفوان بن عسال المرادي الجملي. تهذيب التهذيب ٤/٤٢ أسد الغابة ٣/٢٧

(٩) رواه ابن مردويه بلفظ الإخلاص الدر المنثور ٦/٣٨٢ رواه الحاكم في الكنى انظر الدر المنثور.

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها﴾ وهي مكة جعلها الله حرماً آمناً من القتل فيها والسبي والظلم^(١) فلا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ﴿وله كل شيء﴾ لأنه خالقه ومالكه ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المخلصين لله بالتوحيد ﴿وأن أتلو القرآن﴾ عليكم يا أهل مكة يريد تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ له ثواب اهتدائه ﴿ومن ضل﴾ عن الإيمان بالقرآن وخطأ طريق الهدى ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ من المخوفين فليس علي إلا البلاغ وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿وقل الحمد لله﴾ على نعمه^(٢) ﴿سيركم آياته﴾ قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا والقتل بيدر ﴿فتعرفونها﴾ حين تشاهدونها^(٣) على نعمة النبوة ثم أراهم ذلك وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله إلى النار ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

(١) في هـ الكلم وهو تصحيف.

(٢) ساقط من جـ

(٣) في هـ: تشاهدونها ثم أراهم... الخ.

سورة القصص

مكيّة وآياتها ثمان وثمانون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف، نا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن مسيلم المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «ومن قرأ طسم القصص لم يبق ملك في السماوات والارض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»^(١).

طَسَمَ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۚ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ تقدم تفسيره قال قتادة: مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان^(٢) بمعنى ظهر، وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وهذا من آيات بمعنى أظهر ﴿نتلوا عليك﴾ قال ابن عباس: نوحى إليك ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾ من خبرهما وحديثهما [﴿بالحق﴾]^(٣) بالصدق الذي لا ريب فيه ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بالقرآن ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ قال المفسرون: استكبر وتجبر وبغى وتعظم^(٤) في أرض مصر، قال الليث: العلو العظمة والتجبر يقال علا الملك علواً إذا تجبر ومنه قوله ﴿لا يريدون علواً في الأرض﴾^(٥) ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فرقاً وأحزاباً في الخدمة والتسخير ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعني بني إسرائيل ثم فسر ذلك فقال ﴿يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم﴾ بترك البنات فلا يقتلن ويقتل الابناء وذلك لأن بعض الكهنة قال له^(٦): إن

(١) لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم، والحج.

(٢) في هـ: إيمان.

(٣) ساقط من جـ.

(٤) فيما عدا جـ: تعظم.

(٥) آية (٨٣) القصص والنص في تهذيب اللغة للازهري ١٨٣/٣ بدون ذكر لليث.

(٦) في هـ: قالوا.

مولوداً يولد في بني إسرائيل [يكون] ^(١) سبب ذهاب ملكك ^(٢) قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون إن كان هذا الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القتل وإن كان كاذباً فما معنى القتل وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [أي ننعيم عليهم] ^(٣) وهم بنو إسرائيل ﴿وَنَجْعَلُ لَهُمْ أُمَّةً﴾ يقتدى بهم في الخير، وقال قتادة: ولاية وملوكاً، وقال مجاهد: دعاء إلى الخير ﴿وَنَجْعَلُ لَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك فرعون يخلفونه بعده في مساكنه ﴿وَنُمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: نملكهم ما كان يملك فرعون ﴿وَقَوْمَهُ وَنُرِي فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ ^(٤) أي ما كانوا يخافونه من المولود الذي يذهب ملكهم على يده وقرأ حمزة ^(٥) ويرى بالياء فرعون وما بعده رفعاً والاختيار قراءة العامة ليكون الكلام من وجه واحد، قوله:

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَّ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ قال قتادة: قذفنا في قلبها وليس بوحى إرسال، وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك. أخبرنا أبو الحسن بن أبي نصر السوادى، أنا محمد بن عبد الله بن [محمد] ^(٦) بن نعيم، أنا الحسن بن محمد الإسفرايينى، نا محمد بن البراء ^(٧)، أنا عبد المنعم بن ادريس ^(٨) عن أبيه ^(٩) عن وهب بن منبه قال: لما حملت أم موسى بموسى عليه السلام كتمت أمرها [من] ^(١٠) جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ففتش النساء تفتيشاً لم يفتشه قبل ذلك وحملت أم موسى بموسى فلم يَنْمُ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا يعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه ﴿فألقيه في اليم﴾ قال فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقتة في البحر ليلاً كما أمرها الله فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت فقال لمن حوله من خدمه إيتوني بهذا التابوت فأتوه به فلما وضع بين يديه فتحوه فوجد فيه موسى عليه السلام فلما نظر إليه فرعون قال عبراني ^(١١) من الاعداء فغاظه ذلك فقال كيف أخطأ هذا

(١) ساقط من هـ.

(٢) رواه ابن جرير عن السدي ١٨/٢.

(٣) من جـ.

(٤) قراءة (ويرى) بالياء وفتحها وإمالة فتحة الراء بعدها قرأ بها حمزه والكسائي وخلف انظر النشر ٢/٣٤١.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) في هـ: القراءة.

(٧) عبد المنعم بن ادريس قصاص مشهور. ت سنة ٢٢٨ هـ ميزان الاعتدال ٢/٦٦٨.

(٨) ادريس بن سنان اليماني أبو الياس الصنعاني تهذيب التهذيب ١/١٩٤.

(٩) ساقط من هـ.

(١٠) يقصد به اسراييلي من نسل يعقوب حيث يطلق عليهم العبرانيين.

الغلام الذبح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أمماً للمسلمين وترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه (١) هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وومقه وألقى الله عليه محبته ورافته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب قال ابن عباس: لو أن [عدو] (٢) الله قال في موسى كما قالت امرأته آسية ﴿عسى أن ينفعنا﴾ لنفعه الله به ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه وحرم الله موسى المراضع ثمانية أيام ولياليهن كلما أتى بمرضعة لم يقبل ثديها فرق له فرعون ورحمه وطلب له المراضع وذكر وهب حزن أم موسى وبكاءها عليه حتى كادت أن تبدي به ثم تداركها الله برحمته وربط على قلبها وقالت لأختة تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به فدخلت اخته مع القوابل على آسية بنت مزاحم فلما رأته وجدتهم بموسى وحبهم له ورفقتهم عليه قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه له وهم له ناصحون إلى أن رد إلى أمه فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته ثم ردتته فنشأ موسى (٣) في حجر فرعون وامرأته يربيهما بأيديهما واتخذاه ولداً فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون ويديه قضيبي به إذ رفع القضيبي فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير (٤) من ضربه حتى هم بقتله فقالت آسية [بنت مزاحم] (٥) لا تغضب ولا يشقن عليك فإنه صبي صغير لا يعقل جربه إن شئت اجعل في هذا الطشت جمرًا وذهبًا فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً فكف عنه فرعون وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى [إنه] (٦) أثر تلك التي التقمها» (٧).

وقوله ﴿ولا تخافي ولا تحزني﴾ قال مقاتل: قالت المرأة رب إني قد علمت أنك قادر على ما تشاء ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر وبطن الحيتان فأوحى الله إليها لا تخافي عليه الضيعة فإني أوكل به ملكاً يحفظه في اليم ولا تحزني لفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ لتمام رضاعه لتكوني أنت ترضعينه (٨) ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ إلى أهل مصر ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط إصابة الشيء من غير طلب والمراد بآل فرعون الذين أخذوا تابوت موسى من البحر ﴿ليكون لهم [عدواً] وحزناً﴾ (٩) وقرىء وحزناً (١٠) وهما لغتان مثل السقم والسقم وبابه ومعنى ليكون ليصير الامر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كما تقول للذي كسب مالاً فأداه ذلك إلى الهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال طلباً للحتف ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ مضى تفسيره إلى قوله (١١) ﴿أو تتخذه ولداً﴾ قال المفسرون: كانت لا

(١) في هـ جنبها.

(٢) ساقط من أ، جـ.

(٣) في هـ: فنشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون عليه اللعنة.

(٧) هذا من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب وتجوز روايتها طالما لم تخالف امراً من أمور العقيدة الإسلامية.

(٨) في ب: مرضعته.

(٩) ساقط من جـ.

(١٠) قرأ حمزه والكسائي وخلف بضم الحاء واسكان الزاي وقرأ الباقون بفتحها السبعة ٤٩٢ والنشر ٣٤١/٢.

(١١) أي في سورة طه.

(٤) أي تشاء.

(٥) ساقط من ب، د.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا د.

تلد فاتخذت موسى ولدًا لها وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أخبر الله أن هلاكهم بسببه^(١) وهم لا يشعرون بذلك .

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهٖ فَبَصَّرَتْ بِهِ ۚ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمُ النَّصِیْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۚ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي خالياً من الصبر والحزن لشدة الوجد به والخوف عليه^(٢)، والمفسرون يقولون: فارغاً من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها^(٣) لم تهتم لشيء مما يهتم به الحي إلا لأمر ولدها ﴿إن كادت لتبدي به﴾ كادت تخبر أن هذا الذي وجدتموه في التابوت هو ابني وقال سعيد بن جبیر: كادت تقول: وإبناؤه من شدة الجزع، وقال مقاتل: كادت تصيح شفقة عليه من الفرق والمعنى: أنها همت أن تشعر أهل مصر بأن موسى ولدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر واليقين، قال الزجاج: ومعنى الربط على القلب إلهام الصبر وتقويته ذكرنا ذلك عند قوله ﴿وليربط على قلوبكم﴾^(٤) ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إنا رادوه إليك﴾ ﴿وقالت لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره وانظري أين وقع وإلى من صار واعلمي^(٥) علمه يقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره متعرفاً حاله قصاً وقصصاً ﴿فبصرت به﴾ أبصرته ﴿عن جنب﴾ عن بعد تبصره ولا تتوهم أنها تراه، قال الفراء كانت على شاطئ البحر حين رأت آل فرعون قد التقطوه وهم لا يعلمون أنها أخته وأنها ترقبه^(٦)، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة تأخذه منها فكلما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ وهي جمع مرضعة قال سعيد بن جبیر: لا يؤتى بمرضع فيقبلها وقوله ﴿من قبل﴾ أي من قبل أن يرده إلى أمه ومن قبل أن تأتيه أمه وذلك أن الله تعالى أراد أن يرده إلى أمه فمنعه من قبول ثدي المراضع فلما تعذر عليهم رضاعته ﴿فقال﴾ أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي يضمنون لكم القيام به ورضاعه ﴿وهم له ناصحون﴾ يشفقون عليه وينصحونه قالوا لها: من؟ قالت: أمي! قالوا: ولأمك لبن؟ قالت نعم لبن هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا صدقت فدلتهم على أم موسى فدفع إليها تربيته فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وأتم الله لها ما وعدها وهو قوله ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ بولدها ﴿ولا تحزن﴾ لفراقه^(٧) ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ برد ولدها إليها ﴿حق﴾ علم وعيان^(٨) ومشاهدة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله وعدها رده إليها .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذٰلِكَ نَجْرِي الْمَحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هٰذَا مِنْ شِيعَةِ هٰذَا مِنْ شِيعَةِ هٰذَا ۚ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ ۗ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ ۗ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

(١) في د، هـ في سببه .

(٢) في هـ، جـ، والحزن .

(٣) في جـ، فإنها .

(٤) الانفال: ١١ .

(٥) في هـ: واعلي .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٣ .

(٧) في ب، د، على فراقه وفي هـ . على فراقها .

(٨) فيما عدا هـ: وعيان .

فَاعْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً
لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿واستوى﴾ استواؤه: أربعون سنة وهو قول ابن عباس وقتادة: ﴿آتيانه حكماً وعلماً﴾ يعني الفقه والعقل والعلم في دينه ودين آبائه فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف ﴿وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة﴾ قال السدي: ركب فرعون وموسى غير شاهد^(١) فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب مركب في أثره فأدرکه المقييل بأرض يقال لها منف^(٢) وهو قوله ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ قال ابن عباس: في الظهيرة عند المقييل وقد خلت الطريق ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فاستنصر الإسرائيلي^(٣) موسى على القبطي ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز: الضرب بجميع الكف ﴿ففضى عليه﴾ أي قتله وكل شيء فرغت منه وأتممته فقد قضيت عليه وقضيته وكان موسى شديد البطش وكز القبطي وكزه قتلها وهو لا يريد قتله ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ أي هيج غضبي حتى ضربت هذا ﴿إنه عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل﴾ [له]^(٤) ﴿مبين﴾ عداوته وكان ذلك قتل خطأ لأنه لم يقصد القتل وندم على ما فعل لأنه لم يؤمر به ثم استغفر ف ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي﴾ بالمغفرة ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ قال ابن عباس: عوناً للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل، وقال قتادة: لن أعين بعدها على فجرة.

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

﴿فأصبح في المدينة﴾ يعني: تلك المدينة التي فعل فيها ما فعل من قتل القبطي ﴿خائفاً يترقب﴾ ينتظر سوءاً يناله منهم والترقب: انتظار المكروه وقال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يقاتل فرعونياً يريد أن يسخره وهو يستغيث بموسى عليه السلام والاستصراخ: الاستغاثة ف ﴿قال له [موسى] إنك لغوي مبين﴾^(٥) قال ابن عباس ومقاتل لمضل بين قتلت أمس بسببك^(٦) رجلاً وتدعوني اليوم على آخر وعلى هذا الغوي فعيل بمعنى المغوي كالوجيع والأليم، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي أي إنك غاوي في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك ثم أقبل موسى

(١) في هـ: ركب موسى وفرعون غير شاهد.

(٢) منف: مدينة فرعون بمصر بينها وبين الفسطاط تسعة أميال وبينها وبين عين شمس أحد عشر ميلاً معجم البلدان ٥/ ٢١٤.

(٣) في ج، فاستظهر.

(٤) ساقط من هـ.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في أ، ب: في سببك وفي هـ: قتلت في سببك.

إليهما وهم أن يبطش الثانية بالقبطي وهو قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ أي بالقبطي الذي هو عدو لموسى الإسرائيلي ظن الإسرائيلي أن موسى يريد أن يبطش به لقوله ﴿إنك لغوي مبين﴾ ف ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ ولم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس حتى أفشى عليه الإسرائيلي وسمع القبطي ذلك فأتى فرعون فأخبره، وقوله ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي تريد إلا أن تكون قتالاً بالظلم، قال الزجاج: الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لأمر الله والقاتل بغير حق جبار لما علم فرعون أن موسى قتل القبطي أمر بقتل موسى عليه السلام وعلم بذلك رجل من شيعة موسى فاتاه فأخذه وهو قوله:

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

﴿وجاء رجل﴾ [رجل] (١) من أقصى المدينة ﴿يسعى﴾ (٢) أي من آخرها وأبعدها ﴿يسعى﴾ على رجليه، قال ابن عباس هو: خربيل مؤمن آل فرعون (٣) ﴿قال يا موسى إن الملأ يأترون بك﴾ قال أبو عبيدة: يتشاؤون فيك ليقتلوك (٤)، يعني أشراف قوم فرعون، وقال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ﴿فاخرج﴾ من القرية ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ مر تفسيره ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ يعني المشركين أهل مصر.

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي قصدتها ونحوها، قال الزجاج: أي [سلك] (٥) [سبيلاً] (٦) في الطريق الذي يلقي مدين فيها وكان قد خرج بغير زاد ولا حذاء ولا ظهر (٧) وهو على مسيرة ثمانية أيام من مصر ولم يكن له بالطريق علم ف ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي يرشدني قصد الطريق إلى مدين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ قال ابن عباس: ورده وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال ﴿وجد﴾ [عليه] (٨) على ذلك الماء ﴿أمة﴾ جماعة ﴿من الناس﴾ وهم الرعاة ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ من سوى الأمة ﴿امراتين﴾ وهما ابنتي شعيب ﴿تذودان﴾ تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلوا لهما البئر هذا قول المفسرين ومعنى الذود في اللغة الدفع (٩)

(١) ساقط من جـ.

(٢) في أ: من أقصى المدينة يسعى. وهي مكررة.

(٣) وقيل شمعون بن إسحاق ولكن لم يرد بهذا حديث مرفوع يعتمد عليه انظر تفسير الألوسي ٥٨/٢٠.

(٤) مجاز القرآن لابي عبيدة ١٠٠/٢.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من هـ.

(٧) في هـ، ولا ظهير. والظهير يقصد به ما يركب من ناقة أو جمل أو نحوها.

(٨) ساقط من جـ.

(٩) في أ، د، والرفع.

والطرد والكف ومعنى تذودان تدفعان [وتكفان] ^(١) ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾ ما شأنكما ألا تسقيان ﴿قَالْتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ﴾ أي حتى يصدر مواشيهم من ورآدهم فيخلوا لنا الموضع وقرىء يصدر من ^(٢) صدر وهو ضد ورد والمعنى حتى يرجعوا من سقيهم والرعاء جمع راع قال ابن عباس ^(٣): قالتا نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر فلذلك ^(٤) احتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم فقال لهما موسى أين الماء فانطلقتا [به] ^(٥) إلى الماء فإذا هو بحجر على رأس البئر لا يزيله إلا عصابة من الناس فرفعه موسى بيده وحده ثم أخذ الدلو فأدلى دلوا واحداً فأفرغه في الجومن ثم دعا بالبركة فسقى الغنم فرويت فذلك قوله ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ثم انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس: سأل نبي الله فلق خبز ^(٦) يقيم صلبه وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: لقد قال موسى رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمره، ولقد أصابه الجوع، وقال مجاهد: ما سأله إلا الخبز واللام في قوله لما أنزلت إلي معناها إلى، قال الاخفش: يقال هو فقير له وإليه، قال محمد بن اسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألتهما فأخذتا الخبز فقال لإحدهما علي به فرجعت الكبرى إلى موسى عليه السلام لتدعوه فذلك قوله:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^{٢٥} قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِبِ اسْتَعْجَرَهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَعْجَرَتِ الْفَوِيءُ الْأَمِينُ ^{٢٦} قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ^{٢٧} قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ^{٢٨}

﴿فجاءته إحدهما تمشي على استحياء﴾ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل، أنا عبد المؤمن ^(٧) بن خلف النسفي، نا محمد بن حميد ^(٨)، نا يحيى بن المغيرة، نا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن أبي حازم قال: لما رجعتا إلى أبيهما أخبرناه خبره

(١) ساقط من جـ.

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو وفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال السبعة لابن مجاهد (٤٩٢).

(٣) في ب، د، هـ: ابن إسحاق.

(٤) فيما عدا هـ أي فلذلك.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) بياض في هـ.

(٧) عبد المؤمن بن خلف بن طفيل التميمي النسفي ولد سنة ٢٥٩، ت سنة ٣٤٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٤، العبر ٣/٢٦٥، طبقات الحفاظ ص ٣٥٤.

(٨) في أ: محمد بن عبد بن حميد وهو تحريف وهو محمد بن حميد بن حبان التميمي الرازي أبو عبد الله الحافظ. لسان الميزان ٦/٨٢٣.

فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام ينبغي أن يكون هذا رجلاً جائعاً ثم قال لإحدهما اذهبي فادعيه لي فلما أتته غطت وجهها ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ فلما قالت أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا^(١) يتبعها ولم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزاها وكانت ذات عجز فجعل موسى يعرض عنها مرة وبعض مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني السم^(٢) بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء يهياً فقال له شعيب عليه السلام: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله فقال له شعيب^(٣) ولم ذاك ألتست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنما من أهل بيت لا ينبع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتني وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال: فجلس موسى يأكل أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز كتابة^(٤)، أنا محمد بن الحسن الحدادي، أنا محمد بن يزيد، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا النضر بن سهيل، أنا إسرائيل، أنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [في قوله]^(٥) فجاءته إحداها تمشي على استحياء قال^(٦): ليست بسلفع من^(٧) النساء خراجه ولا جة جاءته على استحياء قائلة بثوبها على وجهها أي مستترة بكم درعها وقوله ﴿فلما جاءه﴾ أي جاء موسى شعيباً عليهما السلام ﴿وقص عليه القصص﴾ يعني أمره أجمع من قتله القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه ﴿قال﴾ له شعيب ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي لا سلطان له بأرضنا ولسنا مملكته ﴿قالت إحداها﴾ وهي الكبرى ﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه أجيراً ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ إن خير من استعملته من قوي على العمل وأداء الأمانة قال عمر رضي الله عنه بالإسناد الذي ذكرنا لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فإنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا كذا، وأما أمانته [فإنه]^(٨) قال لي امشي خلفي فإنني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك وقال مجاهد: القوي في نزعه الحجر عن فم البئر وكان لا يستطيعه إلا النفر الأمين في غض طرفه عنها حين سقى لهما فصدرا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه فـ ﴿قال أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ أي أزوجكها ﴿على أن تأجرني ثمانين حجج﴾ على أن تكون أجيراً لي ثمانين سنين، قال الفراء: يقول أن تجعل ثوابي أن ترعى علي غنمي ثمانين حجج^(٩) ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ أي ذلك تفضل^(١٠) منك ليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ في العشر ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ قال عمر رضي الله عنه أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. أخبرنا أبو الفتح محمد بن عمر الكوفي أنا علي بن الحسن^(١١) بن بندار، أنا أبو عبيد الله محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار،

(١) ساقط من جـ.

(٢) السم: السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس وسمت الطريق قصده. اللسان فصل السين حرف التاء.

(٣) بياض في هـ.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا جـ.

(٦) في هـ: قالت.

(٤) فيما عدا جـ: في كتابه.

(٧) السلفع: البذينة الفحاشة قليلة الحياء الجريئة على الرجال اللسان فصل السين حرف العين.

(٨) ساقط من حـ.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٥.

(١٠) في ب: بتفضل.

(١١) علي بن الحسن بن بندار الاسترأبادي ميزان الاعتدال ٣/١٢١.

في د: يحيى بن سعيد وهو بجير بن سعيد الحولي أبو خالد الحمصي تهذيب ١/٤٣١.

نا إسماعيل بن عباس، نا يحيى بن سعيد^(١) عن خالد بن معدان عن شداد^(٢) بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب النبي ﷺ من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء، أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت^(٣) حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي بالذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي، يا شعيب: لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي ﴿قال﴾ موسى لشعيب ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أي ذلك الذي وضعت وشرطت علي ملكك وما شرطت لي من تزوج إحداهما فلي فالأمر بيننا، وتم الكلام ثم قال: ﴿أيما الأجلين﴾ من الثماني إلى العشر ﴿قضيت﴾ أتممت وفرغت منه ﴿فلا عدوان علي﴾ لا ظلم علي بأن أكلف أكثر منه أو أطالب بالزيادة عليه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۚ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُكَ الْإِنْفِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُكُ الْقَيْلَ وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۚ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۗ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۚ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد، أنا محمد بن [محمد]^(٤) ابن الفضل التاجر، أنا أحمد بن [عبد الله بن]^(٥) الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا موسى^(٦) عبد العزيز القنباري، نا الحكم بن^(٧) أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال «سئل رسول الله ﷺ أي الأجلين قضى موسى؟ قال أوفاهما وأطيهما»^(٨) أخبرنا أحمد بن^(٩) إبراهيم الأصفهاني، أنا أبو الحسن النجار، نا سليمان بن أيوب الطبراني، نا محمد بن محمد بن أحمد بن^(١٠) جعفر الرازي، نا الوليد بن^(١١) شجاع، نا

(١) فيما عدا د بجير بن سعد وهو تصحيف وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة ت سنة ١٤٣ هـ تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ وإسماعيل بن عباس بن سلم العنسي أبو عنبه الحمصي ت سنة ١٨١ هـ ضعف تهذيب التهذيب ١/٣٢٥ وخالد بن معدان بن

أبي كريب الكلاعي أبو عبد الله الشامي الحمصي ت سنة ١٠٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/١١٩.

(٢) شداد بن أوس بن ثابت الانصاري البخاري أبو يعلى المدني ت سنة ٥٨ هـ عن خمس وسبعين سنة تهذيب التهذيب ٤/٣١٥.

(٣) في هـ عقدت، وحديث بكاء شعيب هذا لم أعثر له على أصل.

(٤ + ٥) ساقط من د وفي هـ: أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ.

(٦) موسى بن عبد العزيز اليماني العدني ت سنة ١٥٤ هـ عن أربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٢/٤٢٣.

(٧) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى ت سنة ١٥٤ هـ عن أربع وثمانين سنة انظر تهذيب التهذيب ٢/٤٢٣.

(٨) في هـ: أباهما وقد روى البخاري هذا الخبر في كتاب الشهادات باب من أمر بانجاز الوعد وفعله الحسن ٣/٢٣٦ ط الشعب موقفاً على ابن عباس، وقد رفعه الحاكم إلى النبي ﷺ بلفظ أبدهما المستدرك كتاب التفسير سورة القصص.

(٩) أحمد بن إبراهيم بن محمد الاصبهاني ت سنة ٤٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٥.

(١٠) ساقط من هـ.

(١١) الوليد بن شجاع أبو همام بن أبي بدر السكوني الكوفي توفي سنة ٢٤٣ هـ انظر ميزان الاعتدال ٤/٣٣٩.

عوبد بن (١) أبي عمران الحوفي عن أبيه عن عبد الله بن الصامت (٢) عن أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ «إذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره» (٣) وقوله ﴿وسار بأهله﴾ قال مقاتل: استأذن صهره في العودة إلى مصر لزيارة والدته [وأخيه] (٤) فأذن له فسار وهذه الآية مفسرة في سورتي طه والنمل ﴿أنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة (٥) من النار لعلكم تصطلون﴾ جذوة فيها ثلاث قراءات فتح الجيم وضمها وكسرها وهي كلها لغات، قال أبو عبيدة الجذوة القطعة الغليظة من الخشب (٦) فيها لهب، قال ابن عباس: قطعة فيها نار وقوله ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى موسى النار ﴿نودي من شاطيء الوادي﴾ وهو جانبه ﴿الأيمن﴾ الذي عن يمين موسى ﴿في البقعة المباركة﴾ البقعة القطعة من الأرض المباركة لموسى عليه السلام لأن الله كلمه هناك وبعثه نبياً، وقال عطاء: يريد المقدسة وقوله ﴿من الشجرة﴾ أي من ناحية الشجرة أو عند الشجرة وهي العناب في قوله ابن عباس وقال مقاتل والكلبي هي عوسجة (٧) وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله ﴿إنك من الأمنين﴾ أي من أن ينالك مكروه ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ قال المفسرون: لما ألقى موسى عصاه فصارت جنا رهب وفرغ فأمره الله أن يضم إليه جناحيه ليذهب عنه الفرع، قال مجاهد كل من فرع فضم إليه جناحيه ذهب عنه الفرع وقرأ هذه الآية وجناح الانسان عضده ويقال اليد كلها جناح وقرىء من الرهب (٨) وهو بمعنى الرهب كالرشد والرشد، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك والمعنى: أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقوله ﴿فذاذك برهانان من ربك﴾ يعني اليد والعصا حجتان من الله لموسى عليه السلام على صدقه وكان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد (٩) ويحكي أنه لغة قريش قال الزجاج: التشديد تشية ذلك والتخفيف تشية ذاك جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في ذاك ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ عاصين.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَنَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنُنَادُّكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ٣٥

(١) عوبد بن أبي عمران الحوفي البصري ميزان الاعتدال ٣/٣٠٤.

(٢) عبد الله بن الصامت الغفاري البصري ت سنة ٧٥ هـ تهذيب التهذيب ٥/٢٦٤.

(٣) قال الهيثمي رواه البزار وفيه إسحاق بين ادريس وهو متروك ورواه الطبراني في الصغير والاوسط أطول واسناده احسن مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص ٧/٨٨.

(٤) ساقط من ب وموشع إلى مصير: بياض في هـ وأخيه ساقط من هـ.

(٥) قرأ عاصم بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف بضمها وقرأ الباقون بكسرها السبعة ص ٤٩٣ النشر ٢/٣٤١.

(٦) في هـ: ليس فيها لها وهو نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٠٢.

(٧) العوسج: شجر من الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق اللسان مده عسج.

(٨) قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بفتح الراء ورواه حفص عن عاصم بفتح الراء واسكان الهاء وقرأ الباقون بضم الراء واسكان الهاء السبعة ص ٤٩٣ والنشر ٢/٣٤١.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فذاذك) مشددة النون السبعة ٤٩٣.

﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني قتلت منهم نفساً﴾ يعني القبطي الذي قتله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به
 ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أحسن بياناً وكان في لسان موسى عقدة ولذلك قال فرعون
 ﴿ولا يكاد يبين﴾^(١) ﴿فأرسله معي رداً﴾ عوناً يقال فلان رداً لفلان إذا كان ينصره ويشد ظهره يقال
 أردأت فلاناً إذا أعتته وقوله ﴿يصدقني﴾ قرىء بالرفع^(٢) والجزم فمن رفع فهو صفة للنكرة وتقديره رداً
 مصدقاً ومن جزم كان على جواب الأمر أي إن أرسلته معي صدقني^(٣) والتصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل
 لكي يصدقني فرعون ﴿إنني أخاف أن يكذبون﴾ قال الله لموسى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ أي سنعينك ونقويك وشد
 العضد كناية عن التتوية ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ حجة تدل على النبوة، قال الزجاج: والسلطان أبين الحجج ﴿فلا
 يصلون إليكما﴾ بقتل وسوء ولا أذى وقوله ﴿بآياتنا﴾ موضعه التقديم لأن المعنى: ونجعل لكما سلطاناً^(٤) بآياتنا أي مما
 نعطيكما من المعجزات ثم أخبر أن الغلبة لهما ولمن اتبعهما فقال: ﴿أتتبا ومن اتبعكما الغالبون﴾.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
 الْأَوَّلِينَ ٣٣ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ ٣٤

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ أي ما هذا الذي جئنا به إلا سحراً افتريته من قبل نفسك
 لم تبعث به ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿في آبائنا الأولين قال موسى ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾
 أي هو أعلم بالحق منا ومن الذي جاء بالبيان من عنده أي إن الذي جئت بالهدى من عند الله ﴿ومن تكون له عاقبة
 الدار﴾ أي وهو أعلم بمن تكون له الجنة ﴿إنه يفلح لا الظالمون﴾ لا يسعد من أشرك بالله ثم قال:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي الْطِينِ فَاجْعَلْ لِي
 صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٣٥ وَأَسْتَكَبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٣٦ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ
 كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٣٧ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَىٰ التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا
 يُنصَرُونَ ٣٨ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ٣٩

﴿وقال فرعون﴾ منكرأ لما أتى به موسى عليه السلام من توحيد الله وعبادته ﴿يا أيها الملأ ما علمت
 لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ يقول أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن
 أجراً^(٥) والمعنى اعمل لي الأجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي قصرأً عالياً مرتفعاً ﴿لعلي أطلع إلى إله
 موسى﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه وهذا إيهام من فرعون أن الذي يدعوه إليه موسى يجري مجراه في
 الحاجة إلى المكان والجهة ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ في ادعائه إلهاً غيري وأنه رسوله ﴿واستكبر هو وجنوده﴾^(٦)

(١) الزخرف: ٥٢.

(٢) قرأ عاصم وحمة بضم القاف وقرأ الباقون بالجزم السبعة ٤٩٣.

(٣) في هـ: يصدقني.

(٤) فيما عدا هـ: سلطاننا.

(٥) أي يصير.

(٦) في أ وجنوده في الأرض وهي مكررة.

تعظموا عن الإيمان ولم يتقادوا للحق ﴿ففي الأرض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ بالباطل والظلم ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ لا يردون إلينا بالبعث [لحساب] (١) والجزاء، ثم ذكر إهلاكه إياهم بالغرق فقال ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ فطرحناهم في البحر قال عطاء: يريد البحر المالح بحر القلزم (٢)، وقال قتادة هو بحر من وراء مصر غرقهم الله فيه ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ حتى صاروا إلى الهلاك ﴿وجعلناهم﴾ أي في الدنيا ﴿أئمة﴾ قال ابن عباس: أئمة ضلالة، وقال الكلبي ومقاتل: [قادة] (٣) في الكفر والشرك يقودون الناس إلى الشرك بالله وهو قوله ﴿يدعون إلى النار﴾ لأن من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ لا يمنعون من العذاب ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ مفسر في موضعين في سورة هود ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المبعدين الملعونين من القبح وهو الابعاد قال أبو زيد قبح الله فلاناً قبحاً وقبحاً أي أبعده من كل خير قال الكلبي: يعني سواد الوجه وزرقة العين وعلى هذا المقبوحين يكون بمعنى المقبحين.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يعني نوحاً وعباداً وشمود وغيرهم كانوا قبل موسى ﴿بصائر للناس﴾ أي ليتبصروا بذلك الكتاب وليهتدوا به وهو قوله ﴿وهدى ورحمة﴾ [أي من الضلالة] (٤) لمن عمل به ورحمة لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كي يتذكروا ما فيه من المواعظ والبصائر أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبيد (٥) الله بن علي العمراني أنا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا أبو شيبعة عبد العزيز بن جعفر الخوارزمي، نا محمد (٦) بن مرزوق، نا روح بن عبادة، نا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسحوا قرده ألم تر أن الله تعالى قال: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ (٧) قوله:

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن

(١) ساقط من د، هـ.

(٢) بحر القلزم: خليج السويس حالياً.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ وهدى من الضلالة لمن عمل به رحمة لمن آمن به.

(٥) في هـ عبد الله.

(٦) محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي أبو عبد الله البصري ت سنة ٢٤٨ هـ انظر تهذيب التهذيب ٤٣٢/٩.

(٧) روى الرازي نحوه وقال عنه الهشمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة القصص، روى

الحاكم نحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرک كتاب التفسير سورة القصص.

نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ الخطاب لرسول ﷺ أي حاضراً قال قتادة والسدي يعني جبلاً غربياً وهو اختيار الزجاج قال: وما كنت بجانب الجبل الغربي، وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد حيث ناجى موسى ربه وهو قوله: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك الأمر ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ خلقنا أمماً من بعد موسى ﴿فتناول عليهم العمر﴾ طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا أمره، قال صاحب النظم: هذا الكلام يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والإيمان به فلما طال [عليهم] (١) العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وقوله ﴿وما كنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في أهل مدين﴾ كمقام موسى وشعيب عليهما السلام فيهم ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ تذكروهم بالوعد والوعيد قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج: المعنى أنك لم تشاهد قصص الأنبياء وتليت عليك ولكننا أوحيناها (٢) إليك وقصصناها عليك ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿إذ نادينا﴾ قال ابن عباس: إن الله تعالى نادى يا أمة محمد [قد] (٣) أجبتمكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ ولكن رحمتك رحمة يرسلها والوحي إليك ﴿لنتذرع قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ﴿ولولا أن تصيهم مصيبة﴾ قال مقاتل يعني العذاب في الدنيا ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ هلا أرسلت إلينا رسولا ﴿فتتبع آياتك﴾ يعني القرآن ﴿ونكون من المؤمنين﴾ المصدقين بتوحيد الله والمعنى: لولا أنهم يحتجون بترك (٤) الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وجواب لولا محذوف تقديره ما ذكرنا.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ محمد والقرآن ﴿قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ هلا أوتي محمد من الآيات مثل ما أوتي موسى من العصا واليد فاحتج الله عليهم بقوله ﴿أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾

(١) ساقط من هـ.

(٢) أ، د: بذلك.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في جأ أوحينا.

تعاونوا على السحر والضلالة يعنون موسى ومحمداً ومن قرأ سحران^(١) فقال مقاتل: يعنون التوراة والقرآن وهو قول عكرمة والكلبي والمعنى: كل سحر منهما يقوي الآخر فنسب التظاهر إلى السحريين على الاتساع ﴿وقالوا إنا بكل﴾ من التوراة والقرآن ﴿كافرون﴾ قال الله لنبية ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾ أنهما ساحرين ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ قال الزجاج فاعلم أن ما ركبه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان من الله ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يجعل جزاء المشركين الجاحدين أن يهديهم إلى دينه .

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ قال الفراء: أنزلنا القرآن يتبع بعضه^(٢) بعضاً وقال قتادة وصل لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وقال مقاتل يقول لقد بينا لكفار مكة بما في القرآن [من]^(٣) خبر الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتعظوا ويخافوا فيؤمنوا .

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنَ الْقَبْلَةِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ بمحمد ﷺ قال السدي: يعني مسلمي اليهود عبد الله بن سلام ومن أسلم منهم وقال مقاتل: يعني مسلمي أهل الإنجيل وهم الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ثم وصفهم الله فقال ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا﴾ يعني القرآن ﴿قالوا آمنا به﴾ صدقنا^(٤) بالقرآن ﴿إنه الحق من ربنا﴾ وذلك أن ذكر النبي كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فلم يعاندوا .

هؤلاء قالوا للقرآن ﴿إنه الحق من ربنا﴾^(٥) إنا كنا من قبله ﴿من قبل القرآن﴾ مسلمين ﴿مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد أنه نبي حق، ثم أتى عليهم خيراً فقال: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ مرة بتمسكهم بدينهم حتى إذا أدركوا محمداً ﷺ آمنوا به ومرة بإيمانهم به، وقال قتادة: بما صبروا على الكتاب الأول والكتاب الثاني ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال مقاتل: يدفعون ما يسمعون من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ﴿ومما رزقناهم﴾ من الاموال ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ الباطل والشتم من المشركين وذلك أنهم شتموهم حين آمنوا [بمحمد عليه السلام]^(٦)

(١) قرأ عاصم وحزرة والكسائي سحران بكسر السين واسكان الحاء من غير ألف قبلها وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء السبعة لابن مجاهد (٤٩٥) والنشر في القراءات العشر ٢/٣٤١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٧ .

(٣) ساقط من هـ .

(٤) في هـ صدقوا .

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ، ب، ولفظ (ذكر النبي) بياض في هـ .

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا، د، هـ .

﴿أعرضوا عنه﴾ فلم يردوا ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ قال مقاتل: لنا ديننا ولكم دينكم، وذلك أنهم غيرهم بترك دينهم، وقال السدي: لما أسلم عبد الله بن سلام جعل اليهود يشتمونه وهو يقول ﴿سلام عليكم لا نبغى الجاهلين﴾ قال الزجاج: لم يرد والتحية والمعنى: أنهم قالوا: بيننا وبينكم المصارفة والسلام^(١) وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال، وكأنهم قالوا: أسلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ومعنى قوله ﴿لا نبغى الجاهلين﴾ قال مقاتل: لا نريد أن تكون من أهل الخيل والسفه، وقال الكلبي: لا تحب الذي أنتم عليه ويكون التقدير لا نبغى دين الجاهلين قوله:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أخبرنا أبو عبد الله الهروي^(٢) أنا علي بن محمد الخزازي، نا أبو اليمان الحكم بن نافع نا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أنا سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن [أبي]^(٣) أمية بن المغيرة فقال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاودانه تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله فأنزل الله تعالى في أبي طالب وقال لرسول الله ﷺ:

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي﴾ من يشاء رواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرمة^(٤) عن ابن وهب عن يونس الزهري حدثنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، نا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني أنا أحمد بن الحسن الحافظ، نا عبد الرحمن بن بشر، نا يحيى ابن سعيد عن يزيد بن كيسان، نا أبو حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني نساء قريش تقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل عز وجل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء رواه مسلم^(٥) عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وهذا قول جماعة المفسرين أجمعوا أن الآية نزلت في أبي طالب، قال الزجاج: ابتداء نزولها بسبب أبي طالب وهي عامة لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ولا يرشد ولا يوفق إلا هو وقوله ﴿من أحببت﴾ يكون على معنيين أحدهما للقربة والآخر أحببت أن يهدي ﴿ولكن الله يهدي﴾ [يرشد]^(٦) ﴿من يشاء﴾ لدينه ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ قال مجاهد ومقاتل: ممن قدر له الهدى.

(١) في هـ: والتسلم.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه بن نعيم ولد سنة ٣٢١ هـ توفي سنة ٤٠٥ هـ تذكره الحفاظ ٣/١٠٣٧، شذرات الذهب ٣/١٧٥، طبقات الحفاظ ص ٤٠٩.

(٣) ساقط من.

(٤) رواه البخاري في باب قصة إيمان أبي طالب ٦٥/٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ٥٥/١.

(٦) ساقط من جميع النسخ عدا أ.

وقوله ﴿وقالوا﴾ إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴿١﴾ قال المفسرون: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب على أنفسنا أن يخرجونا من أرضنا مكة إن تركنا ما يعبدون ومعنى التخطف الانتزاع بسرعة قال الله تعالى ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ ذا أمن يأمن فيه الناس وذلك أن العرب كانت تغير بعضهم على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسيبي والغزو أي فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن [كما قال] ﴿٢﴾ أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ﴿٣﴾ قال الفراء: يقول أو لم نسكنهم حرماً يخاف من دخله فكيف يخافون العرب ﴿٤﴾، ومعنى أو لم نمكن لهم ﴿٥﴾ حرماً أو لم نجعله مكاناً لهم وقوله ﴿يجبى إليه﴾ يجمع من قولك جبيت الماء في الحوض أي جمعت وقرىء تجبى بالياء ﴿٦﴾ لحيلولة الحرف بين الاسم المؤنث والفعل كقولهم حضر القاضي اليوم امرأة قال مقاتل: يحمل إلى الحرم ﴿ثمرات كل شيء﴾ من مصر والشام واليمن والعراق ﴿رزقاً من لدنا﴾ رزقناهم رزقاً من عندنا ﴿ولكن أكثرهم﴾ يعني أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ أنا فعلنا ذلك ثم خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَمَّا مَسَكْنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال الزجاج: البطر الطغيان عند النعمة والمعنى بطرت في معيشتها، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وقوله ﴿فلك مسكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطرق يوماً، أو ساعة، والمعنى لم تسكن من بعدهم إلا سكناً قليلاً ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ يعني لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم فبقيت خراباً غير مسكونة كقوله ﴿إنا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ ﴿٧﴾ وقد مر، قوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ يعني القرى الكافر ﴿٨﴾ أهلها ﴿حتى يبعث في أمها﴾ في أعظمها ﴿رسولاً﴾ ينذرهم وخص الأعظم ببعثه الرسول فيها لأن الرسول إنما يبعث إلى الأشراف وأشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها وقوله ﴿يتلوا عليهم آياتنا﴾ قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ قال عطاء: يريد بظلمهم أهلكتهم وظلمهم شركهم.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

﴿وما أوتيتم من شيء﴾ الخطاب لكفار مكة يقول: ما أعطيتم من خير ومال ﴿فمتاع الحياة الدنيا

(١) ساقط من هـ.

(٥) في هـ: مكين.

(٢) ساقط من.

(٦) قرأ عاصم وحده تجبى بالياء السبعة (ص ٤٩٥).

(٧) مريم: ٤٠.

(٣) العنكبوت: ٦٧.

(٨) في هـ الكافرة.

(٤) في هـ: من العرب معاني الفراء ٣٠٨/٢.

وزينتها ﴿ تتمتعون به أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير وأبقى ﴾ أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتهم في الدنيا ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أن الباقي أفضل من الفاني الذاهب ﴿ أؤمن وعدناه وعداً حسناً ﴾ يعني الجنة يقول أؤمن وعدنا على إيمانه وطاعته الجنة والثواب الجزيل ﴿ فهو لاقية ﴾ مدركه ومصيبه ﴿ كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ﴾ كمن هو ممتع بشيء يفنى ويزول عن قريب ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ النار فقال قتادة: يعني المؤمن والكافر فالمؤمن سمع كتاب الله فصدقه وآمن بموعود الله فيه وليس كالكافر الذي يتمتع بالدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين في عذاب الله أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو الشيخ الحافظ، أنا محمد بن سليمان، نا عبد الله بن حازم، نا بدل بن المحبر^(١)، نا شعبة عن أبان عن مجاهد في قوله ﴿ أؤمن وعدناه وعداً حسناً ﴾ الآية. قال: نزلت في علي وحزمة وأبي جهل. وقوله:

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ ويوم يناديهم ﴾ ينادي الله المشركين يوم القيامة ﴿ فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ [في الدنيا]^(٢) أنهم شركائي ﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ حقت عليهم كلمة العذاب يعني رؤساء الضلالة ﴿ ربنا هؤلاء الذين أغوينا ﴾ يعنون الاتباع ﴿ أغويناهم كما غوينا ﴾^(٣) أضللناهم كما ضللنا ﴿ تبرأنا إليك ﴾ منهم قال الزجاج: برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال عز وجل ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾^(٤) ﴿ وقيل ﴾ لكفار بني آدم ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ استغيثوا بالهتكم التي كنتم تعبدونها ليخلصوكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ لم يجيبوهم إلى نصرهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ جواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون [أي في الدنيا ما رأوا العذاب]^(٥) ﴿ ويوم يناديهم ﴾ يعني يسأل الله [الكفار]^(٦) ﴿ فيقول ماذا أجبت المرسلين ﴾ ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين ﴿ فعميت ﴾ خفيت واشتبهت ﴿ عليهم الأنباء ﴾ قال مجاهد ومقاتل: الحجج وسميت حججهم أنباء لأنها أخبار يخبرونها وهم لا يجتنبون ولا ينطقون بحجة لأن الله أدهض حججهم وكلل ألسنتهم، قال الفراء جاء في التفسير عميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فذلك قوله ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾^(٧) لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج ﴿ فأما من تاب ﴾ عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ وصدق بتوحيد الله ﴿ وعمل صالحاً ﴾ أدى الفرائض ﴿ فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ من الناجحين الفائزين وعسى من الله واجب قوله:

(١) بدل بن المحبر بن المنية التميمي اليربوعي أبو المنير البصري انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٨٣، تهذيب التهذيب ١/٤٢٣ طبقات الحفاظ

ص ١٦٤.

(٥) ساقط من هـ. ومن قوله جواب لو. . إلى يهتدون ساقط من د.

(٢) ساقط من جـ.

(٦) ساقط من جـ.

(٣) في هـ أغويناهم كما قال الله عز وجل.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٩.

(٤) الزخرف / ٦٧.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾
 وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ
 وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ قال المفسرون نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا ﴿لو نزلنا هذا القرآن على رجل﴾ (١) . . . الآية ومعناه ويختار من يشاء لنبوته ورسالته أي فكما أن الخلق إليه ما يشاء فكذلك الاختيار إليه في جميع الأشياء فيختار مما خلق ما يشاء ومن يشاء ثم نفى الاختيار عن المشركين وذلك أنهم اختاروا الوليد بن المغيرة من مكة أو عروة بن مسعود (٢) من الطائف فقال ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي الاختيار أي ليس لهم أن يختاروا على الله قال ابن قتيبة: أي لا يرسل على اختيارهم (٣) والخيرة اسم من الاختيار تقام مقام المصدر والخيرة: اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله [من خلقه أي مختاره ويجوز التخفيف فيها ثم نزه نفسه عن شركهم] (٤) فقال: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ ثم أخبر بنفوذ علمه فيما خفي وظهر فقال: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ مما تستر قلوبهم من الكفر والعداوة لله ورسوله ﴿وما يعلنون﴾ بألسنتهم من الكفر والمعاصي ثم وحد نفسه فقال ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾ يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة ﴿وله الحكم﴾ الفصل بين الخلائق قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ثم قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿قل﴾ أي لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ معناه: أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ لانهار معه ﴿من إله غير الله يأتكم بضياء﴾ بنور تطلبون فيه المعيشة ونهار تبصرون فيه ﴿أفلا تسمعون﴾ سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على توحيد الله وقوله ﴿تسكنون فيه﴾ أي تستريحون فيه من الحركة والنصب ﴿أفلا تبصرون﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلال ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه فقال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ لتلتمسوا في النهار من فضل الله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله الذي أنعم (٥) عليكم بها.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) عروة بن مسعود بن معبد الثقفي الصحابي ت سنة ٩ هـ الإصابة ترجمة ٥٥٢٨.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٤.

(٤) ساقط من أ، ج.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا ب.

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وقد مر تفسيرها وإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريباً لهم بعد تقريب ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ وأخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم وهذا كقوله ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ (١) الآية وقوله ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ (٢) وقوله ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ قال مجاهد: حجتكم بما كنتم تعبدون وقال مقاتل: حجتكم بأن معي شريكاً [﴿فعلموا أن الحق﴾ التوحيد لله وضل عنهم﴾ زال وبطل في الآخرة ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من أن مع الله شريكاً] (٣).

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: كان من بني إسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته، وقال قتادة ومقاتل: كان ابن عمه لحياناً لأنه كان قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث وقوله ﴿فبغى عليهم﴾: أي بكثرة ماله جاوز الحد في التكبر والتجبر عليهم وقال شهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شبراً والمعنى أنه تكبر عليهم وطول الثياب من علامات التكبر ولذلك نهي عنه وقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ قال عطاء: أصاب كنزاً من كنوز يوسف فكان كما ذكره الله تعالى ﴿ما إن مفاتحه﴾ أي خزائنه في قول الأكثرين كقوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ (٤) وهو اختيار الزجاج فإن الأشبه في التفسير أن مفاتحه خزائن ماله وقال آخرون هي جمع مفاتيح وهو ما يفتح به الباب وهذا قول قتادة ومجاهد وروى الأعمى عن خيشمة (٥) قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفاتيح مثل الإصبع مفاتيح كل خزانة على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً وهو قوله ﴿لتنوء بالعصبة أُولَى الْقُوَّةِ﴾ يقال ناء بحمله إذا نهض به مثقالاً قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه الأربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال والمعنى: تثقلهم حمل المفاتيح يقال نأى الحمل إذا أثقلت فجعلت تنوء به ﴿إذ قال له قومه﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لا تفرح﴾ قال المفسرون لا تأثر ولا تفرح ولا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ واطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن يقوم بشكر الله فيما أنعم عليه وينفقه في رضا الله ﴿ولا تنسى نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن يعمل في الدنيا لآخرته هذا قول أكثر المفسرين (٦) واختيار الزجاج، قال: معناه لا تنسى أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا

(١) النساء: ٤١

(٢) النحل: ٨٤.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) الانعام: ٥٩.

(٥) خيشمة بن سليمان بن حيدة القرشي الطرابلسي أبو الحسن ولد سنة ٢٥٠ هـ ت سنة ٣٤٣ هـ شذرات الذهب ٢/٣٦٥.

(٦) في هـ - ب الأكثرين.

الذي يعمل به لآخرته وقال الحسن: أمر أن يقدم الفضل وأن يمسك ما يغنيه ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أطع الله وابعده لما أنعم عليك وأحسن العطية في الصدقة والخير ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ لا تبغ بإحسان الله إليك أن تعمل في الأرض بالمعاصي.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ قال عطاء: فكفر لما رأى أن المال حصل له بعلمه ولم يعتبره من عطاء الله فكأنه أراد بعلمه في التصرف وأنواع المكاسب، وقال آخرون: معناه إنما أوتيته على خير علمه الله عندي فكنت أهلاً لما أعطيته لفضل علمي، وقال الكلبي: على علم عندي بصناعة الذهب قال الله ﴿أو لم يعلم﴾ قارون ﴿أن الله قد أهلك﴾ بالعذاب ﴿من قبله من القرون﴾ في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ للأموال ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ قال قتادة: إنهم يدخلون النار بغير حساب وأما قوله ﴿فوربك لنسألنهم﴾^(١) فإنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ كما قال الحسن لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم وإنما سئلوا سؤال تقريع وتوبيخ قوله:

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِثُنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿فخرج على قومه في زينته﴾ قال السدي: خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان^(٢) على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب وقال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعهم ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب وقال ابن زيد: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وهذا معنى قول الحسن: في ثياب صفر أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي أنا أبو بكر محمد بن إسماعيل الشاشي، نا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، نا جدي، نا عثمان^(٣) بن عبد الرحمن الطرائفي، نا علي بن^(٤) عروة الدمشقي عن سعيد^(٥) بن أبي سعيد عن أبيه^(٦) عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أربع خصال من قوم قارون: جرنصال السيوف في

(١) الحجر: ٩٢.

(٢) الأرجوان: الثوب المصبوغ فيه المعجم الوسيط باب الهمزة.

(٣) عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ابن مسلم الحراني أبو عبد الرحمن الطرائفي ت سنة ٢٠٣ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٣٤/٧ وقال ابن حجر في التقريب أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل. تقريب التهذيب ١٢/٢.

(٤) علي بن عروة الدمشقي (ضعيف الحديث) تهذيب التهذيب ٣٦٥/٧ وقال ابن حجر في التقريب: متروك وقال ابن حبان يضع الحديث التقريب ٤١/٢.

(٥) سعيد بن أبي سعيد كيسان بن سعيد المقبري أبو سعد المدني تغير قبل موته باربع سنين تهذيب التهذيب ٣٨/٤، التقريب ٢٩٧/١.

(٦) أبو سعيد كيسان بن سعيد المقبري المدني مولى أم شريك ت سنة ١٠٠ هـ وهو ثقة التقريب ١٣٧/٢.

الأرض ولباس الخفاف المقلوبة ولباس الأرجوان وكان أحدهم لا ينظر في وجه خادمه [إلا] (١) تكبراً (٢) قال الزجاج: الأرجوان في اللغة صبغ أحمر وهو ما روي أنه كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر قال مقاتل: فلما نظر مؤمنو أهل ذلك الزمان في تلك الزينة والجمال تمنوا مثل ذلك وهو قوله ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ (٣) نصيب آخر من الدنيا ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل: بما وعده الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون ﴿ويلكم ثواب الله﴾ ما عند الله من الثواب والجزاء ﴿خير لمن آمن﴾ وصدق بتوحيد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ وقام بالفرائض مما أعطي قارون في الدنيا ﴿ولا يلقاها﴾ قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة ودل عليها قوله ﴿وعمل صالحاً﴾ وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة ﴿إلا الصابرون﴾ على أمر الله يعني الجنة ودل عليه (٤) قوله ثواب الله قوله:

فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۗ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَاتِبُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فنسفننا به وبداره الأرض﴾ قال السدي: دعا قارون امرأة من بني إسرائيل بغياً فقال لها إني أعطيك ألفين على أن تحيي غداً إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقول لي يا معشر بني إسرائيل ما لي ولموسى قد آذاني قالت: نعم فأعطاها خريطتين عليها خاتمه فلما جاءت المرأة بيتها ندمت وقالت يا ويلها قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت على بني إسرائيل فقالت: إن قارون أعطاني هاتين الخريطتين على أن آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يريدني على نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خواتم قارون فغضب موسى عليه السلام فدعا الله عليه فأوحى الله تعالى إليه اني قد أمرت الأرض أن تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى: يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى ذلك قارون ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم قال خذيه فأخذته حتى غيبت حقويه [وهو] (٥) يناشده الرحم فقال: خذيه فأخذته حتى غيبته فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيبه لو إياي دعا أو استغاثني (٦) لأغثته أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، نا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، نا محمد بن يحيى، نا سعيد بن أبي مريم، أنا الليث أنا عقيل عن ابن شهاب عن عبد الله بن عوف القاري [من بني قارة] (٧) أنه بلغه أن الله - تعالى - أمر الأرض أن تطيع موسى في قارون فلما لقيه

(١) ساقط من هـ.

(٢) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه حيث أن فيه علي بن عروة الدمشقي وهو متروك.

(٣) ساقط من هـ.

(٥) ساقط من ب.

(٤) في هـ، د: عليها.

(٦) في هـ استغاثني وهو تصحيف. ولم اعثر في طاعة الأرض لموسى على أثر صحيح والسدي معروف بضعفه بين رجال الحديث.

(٧) بنو قارة: هم بنو الديش بن محلم بن غالب بن عائذة بن بليح بن الهون بن خزيمة بن مدركة. الجمهرة (١٧٩)، نهاية الأرب (ص ١٥٥).

موسى قال للأرض: أطيعي فأخذته إلى الركبتين ثم قال لها أطيعي فأخذته إلى الحقوين وهو في ذلك يستغيث بموسى، ثم قال: أطيعي فوارته في جوفها فأوحى الله إليه يا موسى ما أغلظ قلبك أما وعزتي وجلالي لو بي استغاث لأغثته، قال: رب غضباً لك فعلت، قال قتادة ومقاتل: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: لم يكن له خير يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾ من الممتنعين مما نزل من الخسف ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني وهو قوله ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية. قال الكسائي: ويكأن في التأويل: ذلك أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وقال أبو عبيدة: سبيلها سبيل ألم تر^(١)، وقال مجاهد وقتادة ألم تعلم وقال الخليل والفراء: وي مفضولة من كان وذلك أن القوم تنهبوا^(٢) فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكل من تندم فإظهار ندامته أن يقول وي وكأن في مذهب الظن والعلم^(٣) قوله ﴿لَوْلَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي بالعافية والرحمة والإيمان ﴿لَخَسَفَ بَنَّا﴾ أي الله ومن ضم الخاء^(٤) فإنه يؤول في المعنى إلى الأول ﴿ويكأنه﴾ معناه ألم تر أنه وأما ترى أنه ﴿لا يفلح الكافرون﴾ لا يسعد من يكفر بالله ومعنى ويكأنه تنبيه.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِمَجْعَلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ٨٤

وقوله ﴿تلك الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ قال عطاء علواً على خلقي في الأرض قال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانهم وقال الكلبي ومقاتل استكباراً عن الإيمان أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو عباس أحمد بن محمد الجمال، نا إسماعيل بن يزيد، نا قتيبة بن مهران عن أبي الصباح عبد الغفور عن أبي هاشم عن زاذان^(٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس أخبرني الحاكم أبو عمرو المروزي كتابة أن أبا الفضل الحدادي أخبرهم عن محمد بن يزيد الخالدي، أنا إسحاق^(٦) بن إبراهيم، أنا وكيع عن أشعث الشامي عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية.

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ يعني أن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض وقوله ﴿ولا فساداً﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله وقال مقاتل عملاً بالمعاصي، وقال عكرمة ومسلم البطين^(٧): هو أخذ المال بغير حق ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء الفرائض واجتناب معاصيه قوله ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات﴾ قال

(١) مجاز القرآن ١٢/٢ بتصرف.

(٢) معاني القرآن ٣١٢/٢، والكتاب لسبويه ١٥٤/٢.

(٣) فيما عدا د تندما.

(٤) قراءة الضم في (لخسف) قرأ به جميع القراء عدا يعقوب وحفص فقد قرأوا بفتح الخاء النشر ٣٤٢/٢.

(٥) زاذان أبو عبد الله الكندي الكوفي الضرير سنة ٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٢٢.

(٦) إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي (ثقة) الجرح والتعديل ١/٢١١.

(٧) ساقط من جميع النسخ عدا ب لفظ مسلم وهو مسلم بن عمران أبو عبد الله الكوفي تهذيب التهذيب ١٠/١٣٤، التقريب ٢/٢٤٦.

ابن عباس: يريد الذي أشركوا ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا جزء ما كانوا يعملون من الشرك وجزاؤه النار.
 إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ قال المفسرون: أنزل عليك القرآن قال الزجاج: فرض عليك العمل بما يوجهه القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائض القرآن ﴿لرأذك إلى معاد﴾ يعني مكة. قال المفسرون: لما نزل النبي ﷺ الجحفة^(١) في مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبريل فقال: اشتاق إلى بلدك ومولدك فقال: نعم فقال جبريل: فإن الله يقول ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرأذك إلى معاد﴾^(٢) يعني إلى مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست مكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده إليها وتم الكلام ثم ابتدأ كلاماً آخر فقال ﴿قل ربي أعلم بمن جاء بالهدى﴾ وهو جواب لكفار مكة لما قالوا لمحمد ﷺ إنك في ضلال فقال الله قل لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى يعني نفسه ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعني المشركين والمعنى الله أعلم بالفريقين، وقد علم أنني قد جئت بالهدى وأنكم في ضلال ثم ذكره نعمه فقال ﴿وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب﴾ أن يوحى إليك القرآن بأن تكون نبياً ﴿إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة إلا أن ربك رحمك وأراد بك الخير^(٣) ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ معيناً لهم على دينهم قال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين آباؤه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرهم على ما كانوا عليه وأمره بالتحرز منهم بقوله ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك﴾ إلى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: الخطاب له في الظاهر والمراد به أهل دينه أي تظاهروا الكفار ولا توافقوهم وكذلك قوله ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ لا تعبد معه غيره ثم وحد نفسه فقال ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٤) إلا ما أريد به وجهه وهو قول الكلبي قال: كل عمل لغيره فهو هالك إلا ما كان له وقال سفيان رحمه الله: إلا ما أريد به وجه الله من الأعمال وهو اختيار الفراء وانشد:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل^(٥)

أي إليه أوجه العمل وعلى هذا وجه الله ما وجه إليه من الأعمال ﴿له الحكم﴾ أي الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

(١) الجحفة: قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل معجم البلدان ١١٠/٢.

(٢) ذكرها البخاري تفسيراً لابن عباس لرأذك إلى معاد إلى مكة في كتاب التفسير سورة القصص ١٤٢/٦ ط الشعب ومعاني القرآن للفراء ٣١٣/٢.

(٤) في هـ. موسى.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣١٣/٢ بتصرف.

(٥) هذا البيت من أبيات سيويه الخمسين التي لا يعرف قائلها انظر خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي واللسان مادة غفر ومعاني القرآن للفراء ٢٨٩/٢ تحقيق محمد على النجار.

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون

أخبرنا أبو سعد الخفاف مجاور الجامع، أنا أبو عمرو بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ (١): «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال الشعبي أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب نبي الله ﷺ أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فأذوهم فنزلت فيهم (٢) هذه الآية قال ابن عباس يريد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن (٣) هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد (٤) بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم (٥)، قال الزجاج: [المعنى] (٦): أحسبوا أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يبين به حقيقة إيمانهم وهو قوله ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ قال السدي ومجاهد وقتادة: لا يتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب [والضرب] (٧) ثم أخبر عن فتنة من قبل هذه الأمة من المؤمنين فقال: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ قال ابن عباس: منهم إبراهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده

(١) لم نعث له على أصل ويراجع أول مريم والحج.

(٢) تفسير الطبري عن الشعبي ٨٣/٢.

(٣) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو هشام الصحابي ت سنة ١٤ هـ انظر الاصابة ترجمة (٣٣٩٦) تهذيب التهذيب ابن عساکر ٢٣٤/٦.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد: أسد الغابة ٥٤٤/٥.

(٥) ويؤيد هذا ما رواه البخاري في كتاب الاكراه من صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف انظر البخاري ٢٥/٩ ط الشعب.

(٦) من هـ.

(٧) من أ، وفي هـ: النقصان موضع الضرب.

نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه (١) وقال غيره: يعني بني إسرائيل ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب وقوله ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ [في إيمانهم] (٢) فيشكوا عند البلاء، ثم أوعد كفار العرب فقال ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني الشرك، قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة (٣)، وأبا جهل والأسود والعاصي بن هشام وغيرهم ﴿أن يسبقونا﴾ يفوقونا ويعجزونا ﴿ساء ما يحكمون﴾ بش ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك.

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ

قوله ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ من كان يخشى البعث ويخاف الحساب والرجاء بمعنى: الخوف كثير، قال سعيد بن جبیر: من كان يطمع في ثواب الله واختار الزجاج فقال معناه من كان يرجو ثواب لقاء الله أي ثواب المصير إليه والرجاء على هذا القول معناه الأمل ﴿فإن أجل الله لآت﴾ أي الأجل المضروب للبعث يأتي قال مقاتل: يعني يوم القيامة [آت] (٤) والمعنى: فليعمل لذلك اليوم كقوله ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ (٥) روى مكحول أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية يا علي ويا فاطمة إن الله قد أنزل من كان يرجو لقاء الله [فإن أجل الله لآت]. وإن حقيقة رجاء لقاء الله (٦) أن يستعد الإنسان لأجل الله إذا كان آتياً باتباع طاعته واجتناب معصيته (٧) وهو يعلم أن الله يسمع (٨) ما يقول ويعلم ما يعمل ولذلك قال ﴿وهو السميع العليم﴾.

قوله ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ قال مقاتل: يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ عن أعمالهم وعبادتهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ لنبتلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل ﴿ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ولا يجزيهم بمساوية أعمالهم، قوله:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۖ

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي برأ وعتفاً عليهما، قال الزجاج معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما

(١) يؤيد هذا القول ما جاء في البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوصد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا ألا تستغفر لنا ألا تدعو لنا فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيعمل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. كتاب الاكراه ٢٥/٩ من صحيح البخاري.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نسب قريش ص ٣٠٢.

(٤) ساقط من جـ.

(٥) ساقط من هـ.

(٦) في هـ: معاصيه.

(٧) في هـ: ليسمع.

(٨) الكهف: ١١٠.

يحسن ﴿وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي ﴿فلا تطعهما﴾ أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أنا أبو يعلى، نا أحمد^(١) بن أيوب بن راشد الضبي، نا مسلمة^(٢) بن علقمة، نا داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن مالك قال نزلت في هذه الآية وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم قال: كنت رجلاً برأ بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه قلت لا تفعلني يا أمه إني لا أدع ديني هذا لشيء قال: فمكثت يوماً لا تأكل وليلة فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأيت ذلك [مني]^(٣) أكلت فأنزل الله هذه الآية ﴿وإن جاهدك﴾^(٤) ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي أخبركم بمآل أعمالكم وسيئها لأجازيكم عليها ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الأنبياء والأولياء.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۚ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ قال مجاهد: نزلت في أناس يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا فجعلوا^(٥) ذلك كعذاب الله في الآخرة وهو قوله ﴿فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس﴾ ما يصيبهم من عذابهم ﴿كعذاب الله﴾ أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فإطاع الناس كما يطيع الله من خاف من عذابه وهذا قول السدي وابن زيد قالوا: هو المنافق إذا أوذى في الله رجع عن الدين فكفر، قال الزجاج: وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾^(١) ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ يعني دولة للمؤمنين ونصر لأولياء الله ﴿ليقولن﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إنا كنا معكم﴾ على عدوكم فكذبهم الله قال ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ من الإيمان والنفاق وغير ذلك أي لا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا إنا كنا معكم على عدوكم ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ قال مقاتل والكلبي: وليرين الله الذين صدقوا عند البلاء فثبتوا على الإسلام ﴿وليعلمن المنافقين﴾ بالشك عند البلاء وترك الإيمان. قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ

(١) أحمد بن أيوب بن راشد الضبي (ثقة) تهذيب التهذيب ١٧/١ الجرح والتعديل ٤٠/١.

(٢) مسلمة بن علقمة المازني أبو محمد البصري انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(٣) ساقط من ج، ب، هـ.

(٤) رواه مسلم مختصراً في كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل سعد بن أبي وقاص ٤/١٨٧٥ ط الحلبي. وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي الدر المنثور ٥/١٦٥.

(٥) في هـ: فجعل.

(٦) النساء: ٩٧ وانظر تفسير ابن جرير ١٠/٨٦.

مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾^(١) اتبعوا سبيلنا، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم قالوا لهم لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فإن كان عليكم شيء فهو علينا ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل: إن أبا سفيان قال لمن آمن من قريش: اتبعوا ديننا ملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿ولنحمل خطاياكم﴾^(٢) وهو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك قال الله تعالى ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ فيما ضمنوا من حمل خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني: أوزارهم التي عملوها ﴿وأنقالات مع أثقالهم﴾ أوزاراً مع أوزارهم لقولهم^(٣) للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وهذا كقوله ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾^(٤) ونحو هذا ما روي أن النبي ﷺ قال «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»^(٥) ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عما كانوا يفترون﴾ قال ابن عباس: يقولون على الله الكذب، وقال مقاتل: يعني قولهم نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله ثم عزى نبيه بما ابتلي به النبيون من قبله من قومهم. فقال:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَجْنَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم﴾ أقام فيهم يدعوهم إلى الله ﴿ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الصوفي، أنا محمد بن أيوب، أنا هدبة، أنا حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن يوسف^(١) بن مهران عن ابن عباس: قال: بعث نوح بعد أربعين سنة عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا^(٢) وقوله ﴿فأخذهم الطوفان﴾ قال مقاتل: يعني الماء طفا فوق كل شيء فغرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ قال ابن عباس: مشركون ﴿فأجنيناه﴾^(٣) يعني نوحاً من الغرق ﴿وأصحاب السفينة﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وجعلناها آية للعالمين﴾ تركنا السفينة عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسولهم فعلنا بهم مثل ذلك.

(١) ساقط من هـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري هذا الخبر قولاً لمجاهد من غير تعيين قائل ٨٦/٢٠.

(٣) فيما عدا ب، هـ بقولهم.

(٤) النحل: ٢٥.

(٥) رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة حديث ٢٠١/٤٦٠٩ وابن ماجه في المقدمة باب من سن سنة حسنة أو سيئة حديث ٧٥/١٢٠٦، وابن حنبل ٣٩٧/٢.

(٦) يوسف بن مهران: ثقة ميزان الاعتدال ٤٧٤/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم وابن مردويه وابن أبي حاتم - انظر الدر المنثور ١٤٣/٥.

(٨) في هـ: فأجنيانهم وهو تصحيف.

وإِذْ هَبَسَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ
اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

﴿وإبراهيم﴾ عطفاً على نوح، المعنى: وأرسلنا إبراهيم ﴿إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ أطيعوا
الله وخافوه ﴿ذلكم﴾ يعني عبادة الله ﴿خير لكم﴾ من عبادة الأوثان ﴿إن كنتم تعلمون﴾ (١) ولكنكم
لا تعلمون ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ قال ابن عباس: يريد الاصنام التي تتخذ من الحجارة
والخشب ﴿وتخلقون إفكاً﴾ قال السدي: تقولون كذباً يعني زعمهم أنها آلهة ثم ذكر عجز الآلهة عن رزق
عابديها فقال ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ (٢) لا يقدر أن يرزقكم ﴿فابتغوا عند الله
الرزق﴾ فاطلبوا الرزق مني فأنا القادر على ذلك وما بعدها هذا ظاهر إلى قوله:

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن
دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَسُوءُ مِن رَّحْمَتِي
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿أو لم يروا﴾ يعني كفار مكة ومن قرأ بالتاء (٣) فهو خطاب لهم ﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ كيف
يخلقهم الله ابتداءً من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى تمام الخلق ﴿ثم يعيده﴾ في الآخرة
عند البعث ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ قال ابن عباس: يريد الخلق الأول والخلق الآخر ﴿قل سيروا
في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أي ابحثوا وانظروا هل تجدون خالقاً غير الله فإذا علموا أنه لا خالق
ابتداءً إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ أي ثم الله الذي خلقها وبدأ
خلقها [ينشئها] (٤) نشأة ثانية وقرأ أبو عمرو (٥) بالمد [٦] قال الفراء: وهو مثل الرأفة [والرافة] (٧) والكأبة والكأبة كل
نواب (٨) ﴿إن الله على كل شيء﴾ من البدء والإعادة ﴿قدير﴾ قوله ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ قال

(١) في هـ: لا تعلمون.

(٢) في هـ: تدعون وهو تحريف.

(٣) قراءة (تروا) بناء الخطاب، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف ورواية عن أبي بكر انظر السبعة ص ٤٩٨ والنشر ٢/٣٤٣.

(٤) بياض من هـ.

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير النشأة بالمد انظر النشر ٢/٣٤٣، والسبعة ٤٩٨.

(٦-٧) بياض في هـ.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٥.

قطرب^(١): معناه ولا في السماء لو كنتم فيها كقولك ما يفوتني فلان ها هنا ولا بالبصرة لو صار إليها وهذا معنى قول مقاتل^(٢) وما أنتم يا كفار مكة بسابقي الله ففتوتونه في الأرض كنتم أو في السماء كنتم أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم مني ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذابي ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ بالقرآن والبعث بعد الموت ﴿أولئك يتسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم﴾ يعني من جنتي ثم عاد الكلام إلى قصة ابراهيم وهو قوله:

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ٢٥

﴿فما كان جواب قومه﴾ يعني حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن عبادة الأصنام ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ وفي هذا تسفيه لهم حين أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق ﴿فأنجاه الله من النار﴾ قال مقاتل: فقدفوه في النار فأنجاه الله [من ذلك] ^(٣) ﴿إن في ذلك﴾ أي إن في إنجاء الله إبراهيم من النار حتى لم تحرقه ﴿آيات لقوم يؤمنون﴾ بتوحيد الله وقدرته ﴿وقال﴾ ابراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾ قال الزجاج ^(٤) ترفع مودة على اضممار هي كأنه قال تلك ^(٥) مودة بينكم أي ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودة بينكم ﴿في الحياة الدنيا﴾ وقرأ عاصم مودة بالرفع والتنوين بينكم ^(٦) نصباً ^(٧) وهذه القراءة كالأولى إلا أنه لم يضيف المودة ونصب بينكم على الظرف، وقرأ حمزة مودة نصباً من غير تنوين بينكم خفضاً ^(٨) جعل ما مع أن كافة ولم يجعلها بمعنى الذي ونصب مودة على أنه مفعول له أي اتخذتم الأوثان للمودة ثم أضافها إلى بينكم كما أضاف من وقع وقرأ نافع وابن عامر مودة بالنصب والتنوين بينكم بالنصب وهذه القراءة كقراءة حمزة ^(٩) في المعنى إلا أنه لم يضيف المودة قال المفسرون: يقول ^(١٠) انكم جعلتم الأوثان تتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها في الحياة الدنيا ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ يتبرأ القادة من الاتباع ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ يلعن الاتباع القادة لأنهم زينوا لهم الكفر ﴿ومأواكم﴾ ومصيركم جميعاً ﴿النار وما لكم من ناصرين﴾ مانعين منها.

﴿فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاطَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ٢٧﴾

(١) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي ت سنة ٢٠٦ هـ بغية الوعاة ١٠٤ وفيات الأعيان ١/٤٩٤، تاريخ بغداد ٣/٢٩٨.

(٢) في هـ قوله المقاتل يقول.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا ب.

(٤) في أ: قال الزجاج: مودة بينكم ترفع مودة... الخ.

(٥) فيما عداد، هـ ذلك.

(٦) في أ بينك.

(٧) في د بالنصب وانظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(٨) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(٩) انظر السبعة ص ٤٩٩ والنشر ٢/٣٤٣.

(١٠) في هـ: يقولون.

﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ صدق بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه^(١) ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مَهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ هاجر من كوثا وهو سواد العراق^(٢) إلى الشام وهجر قومه المشركين والمعنى: إلى حيث أمرني ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ من بعد اسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من اسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وذلك أن الله لم يعث نبياً من بعد إبراهيم إلا من صلبه ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني الثناء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويتولونه، وقال السدي: هو أنه أرى مكانه في الجنة ثم أعلم أن له مع^(٣) ما أعطي في الدنيا الدرجات العلى بقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال ابن عباس مثل آدم ونوح أي أنه في درجتهم وقد قال الله ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾^(٤).

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ أَفْجَحُشَّةٌ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأَنْتُمْ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

وما بعد هذا مفسر إلى قوله ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فلما فعلوا ذلك ترك الناس الممر بهم، قال الفراء: كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملمهم الخبيث^(٥) ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ النادي والندى والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم، قال ابن عباس ومجاهد: هو إتيانهم الرجال واستمكنت تلك الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس وقال القاسم بن محمد: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم^(٦) أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبيد الله بن حمشاد العدل أنا حمد بن الفضل بن محمد^(٧) السلمي، أنا جدي، نا بشر بن معاذ، نا يزيد بن زريع، نا زريع، نا حاتم بن^(٨) أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح عن أم هانئ^(٩) بنت أبي طالب قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: كانوا يجذفون أهل الطريق ويسخرون منهم^(١٠) رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن أبي بكر بن^(١١) اسحاق عن موسى بن إسحاق^(١٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن حاتم، قال الزجاج: وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزء والمناهي ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاء: ﴿أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ أن العذاب نازل بنا وعند

(١) في أ، د أخته، وهو لوط بن هارون بن تارح قصص الانبياء لابن كثير ص ١٩٢ كثير.

(٢) معجم البلدان ٤/٤٧٨.

(٣) في هـ أنه معما.

(٤) طه: ٧٥.

(٥) في ج. د، هـ: محمد.

(٦) حاتم بن أبي صغيرة مسلم القشيري البصري أبو يونس تهذيب التهذيب ٢/١٣٠.

(٧) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ عاشت بعد خلافة علي. الاصابة ٤/٥٠٣ ط أولى.

(٨) رواه الحاكم في كتاب التفسير سورة العنكبوت وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ١/٤٠٩.

(٩) أبو بكر اسحاق بن يسار المظلي مولا هم تهذيب التهذيب ٢٣/١٢.

(١٠) في أ عن أبي بكر بن اسحاق مكررة.

ذلك ﴿قال﴾ لوط ﴿رب انصرنني﴾ أي بتحقيق قولي في العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب (١) الله دعاءه فبعث (٢) جبريل ومعه الملائكة لتعذيب قومه وهو قوله:

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قالوا﴾ (٣) إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴿يعنون قرية لوط﴾ إنا أهلها كانوا ظالمين ﴿يعني مشركين، وما بعد هذا مفسر في سورة هود إلى قوله﴾ إنا منجوك وأهلك ﴿يعني بناته قال المبرد: الكاف في منجوك مخفوضة ولم يجز عطف الظاهر على الضمير المخفوض فحمل الثاني على المعنى وصار التقدير وننجي أهلك ومنجون أهلك قوله﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء ﴿قال مقاتل: يعني الخسف والحصب﴾ بما كانوا يفسقون ﴿جزاء لفسقهم﴾ ولقد تركنا منها آية بينة ﴿يعني آثار منازلهم الخربة، وقال قتادة: هي الحجارة التي أبقاها الله فأدركها أوائل هذه الأمة، وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض، وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ قال مقاتل: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال وقوله:

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٤٠﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾

(١ - ٢) فيما عدا هـ واستجاب، وبعث.

(٣) في هـ: قال.

﴿وعاداً وثمود﴾ قال مقاتل والزجاج: وأهلكنا عاداً وثمود ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر والحجاز واليمن آية في هلاكهم، وقوله: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ يقال استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة، قال قتادة والكلبي انهم كانوا مستبصرين في دينهم وضلالتهم معجيين بما يحسبون أنهم على هدى ويرون أن أمرهم حق، والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين فيما كانوا عليه من الضلالة قوله: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ أي عاقبنا^(١) بتكذيبه الرسل ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ يعني قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعني ثموداً ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ ليعذبهم^(٢) على غير ذنب ثم ضرب لهم مثلاً فقال:

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ
الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: الأصنام يتخذونها أولياء، يرجون ضرها ونفعها ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ وبيتها لا يغني عنها في حر ولا قر ولا مطر كذلك آلهتهم لا ترزقهم شيئاً ولا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴿وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت﴾ لا بيت أضعف منه فيما يتخذه الهوام ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ان اتخذهم [الأولياء]^(٣) كاتخاذ العنكبوت بيتاً ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ أي أنه عالم بما عبدتموه من دونه لا يخفى على^(٤) الله ذلك فهو يجازيكم على كفركم ﴿وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال﴾ يعني أمثال القرآن وهي التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة ﴿نضربها للناس﴾^(٥) قال مقاتل: نبينها^(٦) لكفار مكة ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله.

حدثنا الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي، أنا محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن إبراهيم القطان^(٧)، نا الحارث^(٨)، نا داود بن^(٩) المحبر نا عباد عن ابن جريج عن عطاء وأبي^(١٠) الزبير عن جابر أن النبي ﷺ «تلا هذه الآية وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال: العالم الذي عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه»^(١١) قوله:

(١) في هـ: عاقبتنا.

(٢) في هـ: فيعذبهم.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ: عليه.

(٥) الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي تقدم.

(٦) داود بن المحبر بن محزم بن سليمان الطائي أبو سليمان البصري ت سنة ٢٠٦ هـ قال عنه ابن حجر: متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنعه موضوعات وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الحديث تهذيب التهذيب ٣/١٩٩، التقريب ٣٢٤/١، الضعفاء والمتروكين ص ٢٠٢ ط الريان.

(٧) في ج، د ابن والصحيح أبو الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس الاسدي المكي ت سنة ١٢٨ هـ صدوق إلا أنه بدلس تذكره الحفاظ ١/١٢٥، تهذيب التهذيب ٥/٢٠١.

(٨) من سند الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف داود بن المحبر أحد رواة ويكفي قول ابن حجر فيه متروك وأكثر كتاب العقل الذي وضعه موضوعات.

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق ﴿إن في ذلك﴾ في خلقها ﴿آية المؤمنين﴾ لدلالة على قدرة الله وتوحيده ﴿أتل ما أوحى إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ الفحشاء ما قبح من العمل والمنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة قال ابن عباس: في الصلاة منتهى ومزجر عن معاصي الله فمن لم تنته صلته عن المعاصي لم يزد إلا بعداً وهذا قول الحسن وقتادة قالوا: من لم تنته صلته عن الفحشاء والمنكر فليس صلته بصلاة وهي وبال عليه، أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن عيسى بن السكين، نا هاشم بن القاسم الحرافي، نا عثمان^(١) بن عبد الرحمن نا عمر^(٢) بن شاعر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (من لم تنته صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً) أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا عبد الرحمن بن^(٣) محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا [أبو مالك]^(٤) عن جوير^(٥) عن الضحاك عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يطبع الصلاة وطباعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(٦) ومعنى هذا أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلته بالصفة التي وصفها الله فإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة فإن تاب يوماً وترك معاصيه تبينا أن ذلك من نهي الصلاة، وأن صلته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان، وقوله ﴿ولذکر الله أكبر﴾ يعني مما سواه وأفضل من كل شيء قال قتادة: ليس أفضل من ذكر الله، والمعنى أن العبد إذا كان ذاكراً لله لم يجر عليه القلم بمعصية لأنه إذا ذكر الله ارتدع عما يهيم به من السوء ولهذا قال الفراء وابن قتيبة: ولذكر الله هو التسبيح والتهليل يقول هو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر أي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهيه عن الفحشاء والمنكر^(٧) أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصغاني، نا حسن بن موسى^(٨) الأشيب نا حماد عن ثابت^(٩) البناني أن رجلاً أعتق أربع رقاب فقال آخره سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التميمي (ثقة) تهذيب التهذيب ١٣٣/٧.

(٢) عمر بن شاعر البصري قال ابن حجر في التهذيب يروي عن أنس المناكير ٤٥٩/٧ وفي التقريب ضعيف الحديث ٥٧/٢ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢، طبقات المفسرين للداودي ٢٨٢/١ طبقات الحفاظ (ص ٣٠) وقد بين الشيخ ناصر الألباني بأن هذا الحديث غير صحيح الإسناد إلى النبي ﷺ وإنما صح من قول ابن مسعود والحسن البصري وروي عن ابن عباس سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤/١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي ت سنة ٢٩١ تذكرة الحفاظ ٦٩٠/٢.

(٤) ساقط من ج.

(٥) جوير بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي ت ما بين الاربعين والخمسين ومائة في تهذيب التهذيب: يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة و١٢٤/٢ وذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين وبين أنه متروك الضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ١٧١.

(٦) من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم بأنه حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جوير بن سعيد أحد رواة.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢ بتصرف، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٨.

(٨) حسن بن موسى الأشيب أبو علي البغدادي تاريخ بغداد ٤٢٦/٧، تذكرة الحفاظ ٣٦٩/١، طبقات الحفاظ ص ١٥٥.

(٩) ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري تهذيب التهذيب ٣/٢، التقريب ١٥/١.

المسلمي فقال: ما تقول في رجل أعتق أربع رقاب وأني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها أفضل فنظروا هنيهة فقالوا: ما نعلم شيئاً أفضل من ذكر الله وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه قال مقاتل: إذا صليت لله فقد ذكرته فيذكرك الله بخير وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه. أخبرنا أبو نعيم المهرجاني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا علي^(١) بن الجعد، نا فضيل بن^(٢) مزروق عن عطية العوفي [عن أبي]^(٣) في قوله «ولذكر الله أكبر» قال: أكبر من ذكر العبد لله. أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن^(٤) عبد الله بن ربيعة قال: قال ابن عباس: رأيت قول الله عز وجل ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها، قال ابن عباس: لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كما قلت ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخبرنا محمد بن عبد العزيز المروزي فيما أجاز لي روايته عنه أنا محمد بن الحسين^(٥) الحدادي أنا محمد بن يحيى، نا أسحاق بن إبراهيم، نا عبد الأعلى عن داود بن أبي هند عن محمد^(٦) بن أبي موسى: اني كنت قاعداً عند ابن عباس فجاء رجل فسأله عن ذكر الله أكبر فقال: الصلاة والصوم ذلك ذكر الله فقال الرجل: إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك وقوله: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ قال عطاء: يريد لا يخفى على الله شيء، قوله:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ إلا من أبي أن يقر بالجزية ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وقولوا﴾ لمن قبل الجزية منهم إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ

(١) علي بن عبيد الجوهري البغدادي ت سنة ٢٣٠ هـ عن ست وتسعين سنة انظر تاريخ بغداد ١١/٢٦٠، تذكرة الحفاظ ١/٣٩٩، شذرات الذهب ٢/٦٨.

(٢) فضيل بن مزروق الاغر الرقاشي الكوفي أبو عبد الرحمن ت سنة ١٦٠ هـ انظر تهذيب التهذيب ٨/٢٩٩.

(٣) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٤) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمى الكوفي. انظر تهذيب التهذيب ٥/٢٠٩.

(٥) في د، هـ: الحسن.

(٦) محمد بن أبي موسى له ذكر في تهذيب التهذيب ٩/٤٨٣.

﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ وكما أنزلنا عليهم الكتاب أنزلنا إليك^(١) الكتاب ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني كفار مكة ﴿من يؤمن به﴾ يعني من أسلم منهم ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي بعد المعرفة ﴿إلا الكافرون﴾ من اليهود وذلك أنهم عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجدوا وتنكروا ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب﴾ وما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً أي ما كنت قارئاً ولا كاتباً قبل الوحي وهو قوله ﴿ولا تخطه يمينك﴾ وكذا كان صفته في التوراة والإنجيل أمي لا يقرأ ولا يكتب وقوله ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ ولو كنت قارئاً كاتباً لشك اليهود فيك وقالوا إن الذي نجده في التوراة أمي لا يقرأ الكتاب وما كانوا يرتابون في نبوة محمد لما يجدونه من نعتة ولكنهم جحدوا نبوته بعد اليقين فلو كان كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي عرفوه فكانوا يشكون والمبطل الذي يأتي بالباطل وكل من ادعى ديناً غير الاسلام فهو مبطل، قوله: ﴿بل هو آيات بينات﴾ قال الحسن: القرآن [آيات بينات]^(٢) ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده وقال قتادة ومقاتل: بل يعني محمداً ﷺ و [هو آيات]^(٣) بينات أي ذو آيات بينات في صدور [أهل]^(٤) العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ يعني كفار اليهود.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وقالوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ هلا أنزل على محمد آية من ربه كما كانت الأنبياء يجيء بها إلى قومهم وقرىء آيات على الجمع وقد تقع آية على الكثرة وإن كانت على لفظ الواحد فالقراءتان معناهما واحد ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ هو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي ولما سألوا الآيات قال الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أولم يكفهم من الآيات القرآن ﴿يتلى عليهم﴾ فيه خبر ما بعدهم وما قبلهم ﴿إن في ذلك﴾ في إنزال الكتاب عليك ﴿لرحمة﴾ لمن آمن وعمل به ﴿وذكري﴾ وتذكير أو موعظة ﴿لقوم يؤمنون﴾ قال مقاتل: فكذبوا بالقرآن فنزل ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ أي بالله شاهداً بيناً أي رسوله وكفى هو شاهداً ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ وشهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ قال ابن عباس: بغير الله وقال مقاتل: بعبادة الشيطان ﴿وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ بالعقوبة وفوت الثبوة.

(١) في هـ: عليك.

(٤) ساقط من هـ.

(٢) (٣ - ٢) بياض في هـ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ استهزاء وتكديباً منهم بذلك ﴿ولولا أجل مسمى﴾ لعذابهم وهو يوم القيامة وقال الضحاك: يعني مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب ﴿لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ جامعة لهم ﴿يوم يغشاهم﴾ يعلوهم ﴿العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ (١) ﴿ويقول﴾ بالياء يعني (٢) الموكل بعذابهم يقول لهم ﴿ذوقوا﴾ ومن قرأ بالنون (٣) فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينصب، ومعنى ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله:

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَعْجَبُوا الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿يا عبادي الذي آمنوا إن أرضي واسعة﴾ قال مقاتل: نزلت في ضعفاء المسلمين (٤) بمكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها قال الزجاج: أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتبهاً له أن يعبد الله حق عبادته (٥) ثم خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة فقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي كل أحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم ثم ذكر ثواب من هاجر فقال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني المهاجرين ﴿لننبوئنهم من الجنة غرفاً﴾ قال ابن عباس: لنسكنهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة، وقرأ حمزة لثوئتهم (٦)، قال الزجاج: يقال ثوى الرجل إذا أقام وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه (٧) قال الأخفش ولا تعجبني هذه القراءة لأنك لا تقول أثويته الدار بل تقول في الدار وليس في الآية (٨) حرف جر في المفعول الثاني، وقال أبو علي الفارسي: هو على إرادة حرف الجر ثم حذف كما يقال: أمرتك الخير أي بالخير ثم وصف تلك الغرف، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لا يموتون ﴿ونعم أجر العاملين﴾ لله الغرف، ثم وصفهم فقال: ﴿الذين صبروا﴾ على دينهم فلم يتركوه لشدة لحقتهم ﴿وعلى﴾

(١) الاعراف: ٤٢.

(٢) قراءة (ويقول) بالياء، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة والكسائي. انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٣٤٣/٢.

(٣) قراءة (وتقول) بالنون، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وخلف انظر السبعة ص ٥١ والنشر ٣٤٣/٢.

(٤) في هـ: مسلمة مكة. (٥) انظر تفسير ابن جرير ٧/٢١.

(٦) قرأ حمزة والكسائي (لثوئتهم) بالياء، وقرأ الباقون (لنبوئنهم) بالياء السبعة (٥٠٢) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٢ والنشر ٣٤٣/٢.

(٧) في ب: منزلاً يقيم فيه لا يقيم فيه وليس لها موضع. (٨) في هـ للآية.

ربهم يتوكلون ﴿٦١﴾ قال ابن عباس: وذلك أن المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم، وقال مقاتل: إن أحدهم كان يقول بمكة كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فقال الله ﴿وكأين من دابة﴾ (١) وهي كل حيوان يدب على (٢) الأرض مما يعقل ولا يعقل والمعنى: من نفس دابة ﴿لا تحمل رزقها﴾ لا ترجع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد ﴿الله يرزقها﴾ حيث ما توجهت ﴿وإياكم﴾ يرزق إن خرجتم إلى المدينة ولم يكن لكم زاد ولا نفقة، قال سفيان: وليس شيء مما خلق الله يجيء ويدخر إلا الإنسان والفأرة والنملة وقوله: ﴿وهو السميع﴾ أي لقولكم إننا لا نجد ما ننفق بالمدينة ﴿العليم﴾ بما في قلوبكم أخبرنا أبو بكر التميمي (٣) أنا أبو محمد بن حيان، أنا أحمد بن جعفر الجمال، نا عبد الواحد بن محمد البجلي، نا يزيد بن هارون الجراح بن منهال عن الزهري وهو عبد الرحيم بن عطاء عن ابن عمر قال خرجت (٤) مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال: يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا أستهيه يا رسول الله قال: ولكنني أستهيه وهذه صبح رابعة مذ لم أذق طعاماً ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبأون رزق ستمهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية (٥).

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

قوله ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني كفار مكة ﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ أي الله خلقها يقرن بأنه خالق السماوات والأرض ﴿قل الحمد لله﴾ أي احمد الله على إقرارهم لأن ذلك يلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد ثم قال: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خلق الأشياء وأنزل المطر والمراد بالأكثر الجميع.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله: ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ يعني الحياة في هذه الدار ﴿إلا لهو ولعب﴾ باطل وغرور وعبث تنقضي عن قريب ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ قال أبو عبيدة وابن قتبية: الحيوان الحياة (٦) وهو قول

(١) في هـ: من دابة لا تحمل رزقها في الأرض.

(٢) في هـ: من.

(٣) في هـ: التميمي.

(٤) في هـ: خرجنا.

(٥) رواه السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وقال ابن كثير بسند ضعيف الدر المنثور ١٤٩/٥ طهراون وقد نبه ابن الجوزي أن قوله كيف بك يا ابن عمر... الخ حديث موضوع الموضوعات لابن الجوزي: ٢٨٢/٢.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتبية ص ٣٣٩.

المفسرين ذهبوا إلى أن معنى الحيوان ها هنا الحياة وأنه مصدر بمنزلة الحياة ويكون كالثوران^(١) والغليان ويكون التقدير وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان والمعنى: إن حياة الدار الآخرة هي الحياة لأنه لا تنغيص فيها ولا نفاذ لها ولا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار وهذا معنى قول جماعة المفسرين، وقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني لو علموا لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ولكنهم لا يعلمون قوله: ﴿إذا ركبوا في الفلك﴾ يعني المشركين ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أفردوا الله بالطاعة وتركوا شركاءهم فلا يدعونهم لإنجائهم ﴿فلما نجاهم﴾ الله من أهوال البحر وأفضوا ﴿إلى البر إذا هم يشركون﴾ به وهذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يعلمون أن القادر على كشفها الله وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا يا خذاي، قوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هذه لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾^(٢) ﴿واستفز من استطعت منهم﴾^(٣) والمعنى: ليجحدوا نعمة الله ﴿وليتمتعوا﴾ بباقي عمرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم ومن كسر اللام [في]^(٤) وليتمتعوا جعل اللام في ليكفروا لام كي^(٥) والمعنى: إذا هم يشركون ليكفروا، والمعنى: لا فائدة لهم في الاشراك إلا الكفر والتمتع بما تستمتعون به في العاجلة من غير نصيب [لهم]^(٦) في الآخرة.

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿أولم يروا﴾ يعني كفار مكة ﴿أنا جعلنا حراماً آمناً﴾ يعني مكة وذكرنا تفسير هذه الآية في سورة القصص ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ يعني العرب يسبي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعني الشيطان ﴿وبنعمة الله﴾ بمحمد والإسلام ﴿يكفرون﴾ ثم ذكر أنهم أظلم الخلق فقال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ لا أحد أظلم ممن زعم أن الله شريكاً^(٧) وأنه أمر بالفواحش ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ بمحمد والقرآن ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ أما لهذا الكافر المكذب مأوى^(٨) في جهنم وهو استفهام معناه التقرير، قوله ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين والانصار وقال ابن زيد: والذين جاهدوا هؤلاء المشركين وقتلوهم في نصره ديننا ﴿لنهديهم سبلنا﴾ لنوقفنهم لإصابة الطرق المستقيمة والأولى أن يكون معنى الهداية ها هنا الزيادة منها والتثبيت عليها، قال الزجاج: أعلم الله أنه يزيد المجاهدين هداية كما أنه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة كما قال ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾^(٩) ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بالنصرة والعون قال عطاء عن ابن عباس يريد بالمحسنين الموحدين.

(١) في هـ كالنزوان .

(٢) فصلت: ٤٠ .

(٣) الاسراء: ٦٤ .

(٤) ساقط من هـ .

(٥) قراءة (وليتمتعوا) بكسر اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ونافع ويعقوب انظر السبعة ٥٢ والنشر ٣٤٤/٢ .

(٦) ساقط من جميع النسخ عداد، هـ .

(٨) في جـ ما ذكر .

(٩) آية (١٧) سورة محمد ﷺ .

(٧) في هـ: الله .

سورة الروم

مكية وآياتها ستون

أخبرنا سعيد بن محمد الحيري، أنا محمد بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي (١) بن كعب قال قال لي رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع يومه وليلته» (٢)

الْمَ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ ذكرنا تفسيره ﴿غلبت الروم﴾ قال أهل التفسير: غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا (٣): الذين ليس لهم كتاب غلبوا (٤) الذين لهم كتاب وافتخروا على المسلمين وقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وقوله: ﴿في أدنى الأرض﴾ يريد الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس. وقال عكرمة: يعني أذرعات (٥) وكسكر (٦) [وهما] (٧) من بلاد الشام يعني الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ من بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة: لغتان ﴿سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين﴾ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة وقد مر، أخبر الله أن الروم بعد ما غلبوا سيغلبون ثم التقى الروم وفارس في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم فغلبتهم الروم فجاء جبريل عليه السلام بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ووافق ذلك يوم [بدر] (٨) ﴿الله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي من قبل أن غلبت الروم ومن [بعد] (٩) ما

(١) ابي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي ت سنة ١٦ أسد الغابة ٦١/١، الاصابة ٣١/١، تذكرة الحفاظ ١٦/١، شذرات الذهب ٣١/١

(٢) حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج.

(٣+٤) في (و) قال وغلبت.

(٥) اذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء جمع اذرعة وهي بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. انظر معجم البلدان ٣٠/١.

(٦) كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى ومعناه عامل الزرع. وهي منطقة واسعة على نهر دجلة بالعراق انظر معجم البلدان ٤٦١/٤.

(٧) عن د فقط.

(٨) ساقط من هـ، ولقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٥ هذا الحديث قولاً لأبي سعيد الخدري وليس فيه مجيء جبريل.

(٩) ساقط من جـ.

غلبت يعني أن غلبة أحد الفريقين الآخر أيهما كان الغالب أو المغلوب فإن ذلك كان بأمر الله وإرادته وقضائه وقدرته ﴿ويومئذ﴾ يعني يوم تغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ الروم على فارس قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك [بنصر الله] (١) ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين، قال الزجاج: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله لأنه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد بن عمر (٢) الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا محمد بن سليمان [بن لوين] (٣)، نا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن دينار بن (٤) مكرم - وكانت له صحبة قال - لما نزلت الم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبك قال: الله أنزل هذا وكانت [فارس] (٥) قد غلبت الروم فاتخذوهم شبه العبيد وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس لأنهم أهل جحد وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس قال أبو بكر البضع ما بين الثلاث إلى التسع قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر قال فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالوا بئس ما صنعت ألا أقررتها كما قال الله لو شاء الله أن يقول (٦) ستاً (٧) لقال فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس فأخذوا الرهان فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس (٨) فذلك قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ قوله ﴿وعد الله﴾ أي وعد الله ذلك وعداً ﴿لا يخلف الله وعده﴾ في ظهور (٩) الروم على فارس ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس ثم وصف كفار مكة فقال ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ يعني معاشهم وما يصلحهم وقال الحسن يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم وروي عنه أنه قال بلغ - والله - من علم أحدهم بالدنيا أنه يتقده (١٠) الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وقال الضحاك: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها وقال الزجاج: يعلمون معاش الحياة لأنهم كانوا يعالجون التجارات فأعلم الله مقدار ما يعلمون ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ حين لم يؤمنوا بها ولم يعدوا لها، ثم وعظهم ليعتبروا فقال:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ١٠ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

(١) عن ج، انظر تفسير ابن جرير ٢١/١٥.

(٢) في ج، د، هـ: محمد.

(٣) عن ب، هـ.

(٤) دينار بن مكرم الاسلامي له صحبة ورواية. أسد الغابة ٤٥٤/٥، تهذيب التهذيب ٤٩٣/١٠.

(٥) عن ج.

(٦) في هـ: يكون.

(٧) فيما عدا ب شيئاً.

(٨) اخرج الحاكم نحوه عن ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه انظر المستدرک کتاب التفسیر سورة الروم ٤١٠/٢

وتفسير ابن جرير ٢١/١٥.

(٩) في هـ: يظهر.

(١٠) فيما عدا ب، هـ ينقر.

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ في خلق الله إياهم [ولم يكونوا شيئاً] ^(١) فيعلموا ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ قال الفراء: إلا للخلق يعني الثواب والعقاب ^(٢) ﴿وأجل مسمى﴾ قال مقاتل للسموات والأرض أجل تنتهيان إليه وهو يوم القيامة والمعنى: أو لم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئاً فيعلموا أن خلق السموات والأرض ^(٣) لأمر وأن لهما أجلاً وهو يوم القيامة ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ يعني: كفار مكة ﴿بلقاء ربهم﴾ بالبعث بعد الموت ﴿لكافرون﴾ لا يؤمنون بأنه كائن، ثم خوفهم فقال ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أو لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم ويعلموا أنهم أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا ثم وصف تلك الأمم فقال ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أعطوا ^(٤) من القوة ما لم يعطها هؤلاء ﴿وأثاروا الأرض﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس ﴿وعمروها﴾ أي ^(٥) كفار مكة لأنهم كانوا أطول عمراً وأكثر عدداً ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ [بالدلائل] ^(٦) والحجج وأخبروهم بأمر العذاب ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والتكذيب ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكهم الله ^(٧)، ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ في السوأى قولان أحدهما: أنها النار ضد الحسنى وهي الجنة وهذا قول الفراء ^(٨) والزجاج والأكثرين قال ابن قتيبة: السوأى جهنم ضد الحسنى ^(٩) وهي الجنة، وإنما سميت سوأى لأنها يسوء صاحبها ومعنى أساءوا أشركوا، قاله ^(٩) ابن عباس ومقاتل وفي ﴿عاقبة الذين﴾ قراءة تان النصب ^(١٠) والرفع ^(١١) فمن نصب جعلها خبر كان ونصبها مقدمة كما قال ﴿وكان علينا نصر المؤمنين﴾ ^(١٢) وتقدير الكلام ثم وكان السوء عاقبة الذين أساءوا ويكون أن في قوله ﴿أن كذبوا﴾ مفعولاً - له أي لأن كذبوا، قال الزجاج المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم، القول الثاني في السوأى أنها مصدر بمنزلة الإساءة ويكون المعنى ثم كان التكذيب آخر أمرهم أي ماتوا على ذلك فكأن ^(١٣) الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب والشرك عقاباً لهم بذنوبهم أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، نا محمد بن يحيى نا أحمد ^(١٤) بن منصور المروزي، نا

(١) ساقط من أ، د، هـ.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) فيما عدا أ: أعطواهم... وفي هـ: اعطوهم.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٥٥/٢

(٥) ساقط من ج، د، هـ.

(٦) في ب، ج، هـ فأهلكوا.

(٧) معاني القرآن ٣١٢/٢.

(٨) في هـ: والحسنى الجنة والنص من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٠.

(٩) في هـ: قال.

(١٠) قراءة (عاقبة) بالنصب قرأ بها: حمزة وعاصم وابن عامر وخلف انظر السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٣٤٤/٢.

(١١) قراءة (عاقبة) بالرفع، قرأ بها: أبو عمرو ونافع وابن كثير والكسائي ويعقوب انظر السبعة ص ٥٠٦ النشر ٣٤٤/٢.

(١٢) الروم: ٤٧.

(١٣) فيما عدا هـ: كأن.

(١٤) أحمد بن منصور بن راشد الحنظلي أبو صالح المروزي ت سنة ٢٦٠ هـ تهذيب التهذيب ٨٣/١، الجرح والتعديل ٧٨/١.

محمد^(١) بن عبد الله بن بكير سمعت ابن^(٢) عيينة يقول في قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله إن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوء القلب كله فيصير كافراً .

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله ﴿الله يبدء الخلق﴾ أن يخلقها أولاً ﴿ثم يعيده﴾^(٣) ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا ﴿ثم إليه يرجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم والخلق هم المخلوقون^(٤) في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله يرجعون على المعنى ووجه قراءة من قرأ بالتاء أنه صار من الغيبة إلى الخطاب^(٥)، قوله ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ قال الكلبي: يئس المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم^(٦) وذكرنا تفسير الإبلاس عند قوله ﴿فإذا هم مبلسون﴾^(٧) ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ أوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم ﴿شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين﴾ يتبرءون منها وتبرأ منهم ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ تظهر القيامة ﴿يومئذ يتفرقون﴾ قال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً، وقال الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل سافلين وهو قوله ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾ ينعمون ويسزون والخبرة والحبر السرور قال ابن عباس والمفسرون: في رياض الجنة ينعمون ثم أخبر عن حال الكافرين بقوله ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك في العذاب محضرون﴾ وهي ظاهرة ثم ذكر ما يدرك به الجنة فقال:

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ قال المفسرون: فصلوا الله على تأويل فسبحوا الله قال ابن عباس جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشياً العصر

(١) محمد بن عبد الله بن بكير بن سليمان الخزازي أبو الحسن الصنعاني خلاصة تهذيب الكمال (٢٤٤).

(٢) ابن عيينة: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ت سنة ١٩٨ هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢، ابن سعد ٣٦٤/٥، طبقات الحفاظ ص ١١٣.

(٣) ساقط من هـ.

(٤) في هـ: المخلوق.

(٥) قراءة (ترجعون) بالتاء قرأ بها ابن عامر وابن كثير وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٥٠٦ والنشر ٢/٣٤٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٢.

(٧) الأنعام: ٤٤.

وحين تظهرون الظهر^(١)، ومعنى تمسون تدخلون في وقت المساء ومثله تصبحون وتظهرون في الوقتين جميعاً واعترض بين [ذكر]^(٢) الأوقات قوله ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ويصلون له ويسبحون ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ مفسر فيما تقدم ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ يجعلها تنبت وذلك حياتها بعد ان كانت لا تنبت ﴿وكذلك تخرجون﴾ من الأرض يوم القيامة وقرأ حمزة تخرجون^(٣) بفتح التاء أضاف الخروج إليهم كقوله ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾^(٤).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله ﴿ومن آياته﴾ دلائل قدرته ﴿أن خلقكم من تراب﴾ يعني: آدم أبا البشر ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من لحم ودم يعني ذريته ﴿تنتشرون﴾ تنبسطون في الأرض ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ جعل لكم أزواجاً من مثل خلقكم ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما من شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من صنعه ﴿آيات لقوم يفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته.

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَالِدِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ على عظمتها وكثافتها وكثرة أجزائها^(٥) ﴿واختلاف ألسنتكم﴾^(٦) يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية ﴿والوالدين﴾ لأن الخلق من بين أسود وأبيض وأحمر وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إن في ذلك آيات للعالمين﴾ للبر والفاجر والإنس والجن، وقرأ حفص بكسر اللام^(٧) قال الفراء: وهو وجه جيد لأنه قد قال: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ و﴿آيات لأولي الأبواب﴾^(٨) ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله﴾ [التقدير: منامكم بالليل وابتغاءكم من فضله بالنهار]^(٩) هذا يعني تصرفكم في طلب المعيشة ﴿إن في ذلك آيات لقوم يسمعون﴾ سماع اعتبار وتدبر.

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

(١) تفسير ابن جرير ٢٠/٢١.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٦ وفي النسخة هـ: تخرج.

(٤) المعارج: ٤٤.

(٥) آية (١٩٠) آل عمران والنص من معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣.

(٦) في هـ: ألسنتكم والوالدكم وهي مكررة.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) آية (١٩٠) آل عمران والنص من معاني القرآن للفراء ٢/٣٢٣.

(٩) ساقط من هـ.

﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وطمعا﴾ للحاضر المقيم في المطر ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ قال ابن مسعود قامتا بغير عمد^(١) بأمره وقال الفراء: يقول أن تدوما قائمتين بأمره^(٢) يدعو اسرافيل من صحرة بيت المقدس حين ينفخ في الصور بأمر الله للبعث بعد الموت ثم ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ من الأرض.

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَنُوتُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ
وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ٢٧

﴿وله من في السموات والأرض﴾ عبداً وملكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً، وقال ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة، وهذا مفسر في سورة البقرة.

قوله ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يخلقهم أولاً ثم يخلقهم ثانياً للبعث^(٣) ﴿وهو أهون عليه﴾ أي هين عليه الإعادة وما شيء عليه بعزير ويحييء أفعل بمعنى المفاعل كقول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَىٰ لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعْزَىٰ وَأَطْوَلُ

أي عزيزة طويلة، وهذا قول الحسن والربيع وقتادة والكلبي. وقال مقاتل: يقول: البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار من الخلق الأول قال المبرد: وهو أهون عليه عندكم لأنكم^(٤) أفرتم بأنه بدأ الخلق وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه، واختار الزجاج هذا القول فقال إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء [والكناية في قوله وهو تعود إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله يعيده والفعل يدل على المصدر]^(٥)، وقوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ الصفة العليا وهي أنه لا إله غيره ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ۚ ٢٨

﴿ضرب لكم﴾ أيها المشركون ﴿مثلاً من أنفسكم﴾^(٦) أي بين لكم شبيهاً لحالكم ذلكم^(٧) المثل فقال: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾ من عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من المال والعييد والأهل أي: هل يشاركونكم في أموالكم وهو قوله ﴿فأنتم فيه سواء﴾ أي أنتم وشركاؤكم من

(١) في هـ على غير عمد.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٢٣/٣.

(٣) في النسخة (هـ) وردت في هذا الموضع عبارة [والكناية في قوله يعيده إلى الإعادة وهو مصدر فأجري على التذكير ودل عليه الفعل وهو قوله ثم يعيده والفعل يدل على المصدر] وهي في النسخ الأخرى تأتي بعد ذلك.

(٤) في هـ: لكم.

(٦) في هـ: ضرباً.

(٧) في ب، د، هـ: ذلك.

(٥) هذه العبارة وردت في هـ قبل ذلك وقد نبهنا عليها في موضعها.

عبيدكم فيما رزقناكم شرع سواء ﴿تخافونهم﴾ أي يشاركونكم ^(١) فيما ترثونه من آبائكم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه [دونه] ^(٢) بأمر فكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يحب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه كما ^(٣) أن يرثه عصبته من ذريته يعني أن هذه الخيفة لا تكون بين المالكين والمملوكين كما بين الأحرار ومعنى أنفسكم ها هنا أمثالكم من الأحرار كقوله ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ ^(٤) وكقوله ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ ^(٥) أي [بأمثالهم] ^(٦) من المؤمنين قال صاحب النظم: وهذا مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه سواء يخافه كما يخاف غيره من شريك لو كان له [فيه شركه] ^(٧) فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فجعلتموهم ^(٨) شركاء لي ﴿كذلك﴾ كما بينا في ضرب المثل من أنفسكم ﴿نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ عن الله ثم بين ^(٩) لهم أنهم إنما اتبعوا فيما أشركوا به الهوى فقال: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله ﴿أهواءهم﴾ في الشرك ﴿بغير علم﴾ يعلمونه جاءهم من الله ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ ^(١٠) أي لا هادي لمن أضله الله وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا باضلال الله إياهم عن الحق ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب ^(١١) الله، قاله مقاتل. ثم أمر النبي ﷺ بتوحيده فقال:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِن كَثُرَ الْكُفُورُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿فأقم وجهك للدين﴾ أي أخلص دينك وهو قول سعيد بن جبير، وقال غيره: سدد عملك والوجه: ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه ما يتوجه إليه ^(١٢) لتسديده وإقامته ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إليه مستقيماً عليه لا ترجع عنه إلى غيره وقوله ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ فطرة الله: الملة، وهي الإسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المؤمنين هذا قول المفسرين في فطرة الله، والمراد بالناس ها هنا المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام لأن المشرك لم يفطر على الإسلام ولفظ الناس عام والمراد به الخصوص وانتصابها بالأغراء وهو قول الزجاج قال: فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ قال مجاهد وإبراهيم: لا تبديل للدين الله وهي نفي معناه النهي أي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر ﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: التوحيد وهو الدين المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ توحيد الله قوله ﴿منيبين إليه﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وجوهكم منيبين لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل فيها ^(١٣) الأمة والدليل على ذلك قوله

(١) في هـ: يشاركونكم وهو تجديف.

(٢) ساقط من أ، ج.

(٣) في هـ: وكما يقول يخاف.

(٤) الحجرات: ١١.

(٥) النور: ١٢.

(٦) ساقط هـ.

(٧) ساقط من ج، د.

(٨) في هـ: فجعلتموه.

(٩) هـ: ثم بين أنهم.

(١٠) في هـ: أضله وهو تحريف.

(١١) في هـ: عقاب.

(١٢) في هـ: عما يتوجه الإنسان إليه لتسديده.

(١٣) في هـ: يدخل معه فيه.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾^(١) فقله تعالى ﴿فأقم وجهك﴾ معناه: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ ثم أخبر انه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ تقدم تفسيره في آخر سورة الأنعام ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ قال مقاتل: كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٣٣
لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٤ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ
يُشْرِكُونَ ٣٥ وَإِذَا أَدَّاهُمْ النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ٣٦
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣٧

قوله ﴿وإذا مس الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿ضر﴾ وقحط وسنة ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى أوثانهم التي يعبدونها مع الله إنما يرجعون في دعائهم إلى الله وحده ﴿ثم إذا أداهم منه رحمة﴾ إذا أعطاهم من عنده المطر ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ تركوا توحيد ربهم في الرخاء وقد وحدوه في الضر ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة العنكبوت. ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا [هذا]^(٢) خطاب تهديد بقوله ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ حالكم^(٣) في الآخرة ﴿أم أنزلنا عليهم﴾ على هؤلاء ﴿سلطاناً﴾ حجة وكتاباً من السماء ﴿فهو يتكلم﴾ [بما كانوا] به يشركون^(٤) يقولون من الشرك يعني يأمرهم به وهذا استفهام إنكار أي ليس الأمر على هذا ثم ذكر بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة بقوله ﴿وإذا أدقنا الناس رحمة فرحوا بها﴾ يعني فرح البطر وترك الشكر ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ شدة وبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بما عملوا من السيئات ﴿إذا هم يقنطون﴾ قنطوا من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ثم وعظهم فقال ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ والآية ظاهرة.

فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٣٨ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ ٣٩ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٠

قوله: ﴿فات ذا القربى حقه﴾ أي من الصلة والبر ﴿والمسكين﴾ قال مقاتل: حقه [أن يتصدق]^(٥) عليه ﴿وابن السبيل﴾ يعني الضيافة ﴿ذلك خير﴾ اعطاء الحق ﴿خير﴾^(٦) وفضل من الامساك ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ يطلبون

(٤) من أ ولفظه به يشركون ساقط من هـ.

(٥) ساقط من جـ.

(٦) ساقط من دـ.

(١) الطلاق: ١.

(٢) ساقط من هـ.

(٣) في هـ مالكم.

بما يعملون ثواب الله ثم نعتهم بقوله ﴿أولئك هم المفلحون﴾ قوله ﴿وما آتيتم من ربا﴾ قال السدي: الربا في هذا الموضوع الهدية يهديها الرجل لآخيه يطلب المكافأة فإن ذلك لا يراد عند الله لا يؤجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وروى قتادة عن ابن عباس قال: هي هبة الرجل يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، وهذا قول جماعة المفسرين^(١) قال الزجاج: يعني دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، وذلك ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لأن الذي يهبه يستدعي [رد]^(٢) ما هو أكثر منه وقرأ ابن كثير: آتيتم مقصوراً^(٣) وهو يؤول في المعنى إلى قول من^(٤) مد كأنه قيل وما جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له كما تقول آتيت خطأ وآتيت صواباً وآتيت قبيحاً وإنما هو فعل له وسمي المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا لأن غرضه فيه الاستزادة على ما أعطى فسمي باسم الزيادة وقوله ﴿ليربو في أموال الناس﴾ أي في اجتلاب^(٥) أموال الناس واجتذابها وقرأ نافع^(٦) لُتُربوا بالتاء وضمها أي لتصير ذوي زيادة من أموال الناس بما آتيتم وهو من الربى أي صار ذا زيادة ﴿فلا يربو عند الله﴾ لأنكم قصدتم إلى زيادة العوض ولم تقصدوا البر والقربة ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يضاعف لهم الثواب يعطون الحسنة عشر أمثالها والمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، ثم ذكر ما أصاب الناس بترك التوحيد فقال:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ظهر الفساد﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات ﴿في البر﴾ حيث لا يجري نهر وهو البوادي ﴿والبحر﴾ وهو كل قرية على ماء قال ابن عباس: البحر ما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من المعاصي يعني كفار مكة ﴿ليذيقهم﴾ الله بالجوع في السنين السبع^(٧) ﴿بعض الذي عملوا﴾ أي جزاء ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان وهذا كقوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾^(٨) الآية وليس المراد بالبر والبحر في هذه الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر هناك

(١) روى ابن جرير هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وذكر في الآية رأياً آخر فقال: إنما عني بهذا الرجل يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه ويخدمه ويعود عليه نفقة لا لطلب أجر من الله تفسير ابن جرير ٣٠/٢١.

(٢) ساقط من أ، ج وفي هـ يستدعي به ما هو أكبر منه.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٧.

(٤) في هـ إلى قول مركانه.

(٥) في هـ: اجتذاب.

(٦) قراءة (لتربوا) بضم التاء وإسكان الواو لم يقرأ بها نافع وحده، وإنما قرأ بها أيضاً: أبو جعفر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٧ والنشر ٣٤٤/٢.

(٧) يقصد بذلك ما حدث لأهل مكة من المجاعة والفاقة: فقد روى البخاري في كتاب التفسير سورة آل عمران عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف صحيح البخاري ٤٨/٦ ط الشعب وفي باب الاستسقاء يروي عن ابن مسعود أيضاً أن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدياراً قال: اللهم سبع كسيع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع فاتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. باب الاستسقاء باب دعاء النبي ﷺ: اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ٣٣/٢ ط الشعب.

(٨) الاعراف: ١٣٠.

القحط بدعاء النبي ﷺ^(١) ثم خوفهم فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ لتروا مساكنهم ومنازلهم خاوية وقوله ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي كانوا مشركين فأهلكوا بكفرهم .
فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ^(٢) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ^(٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ^(٤)

﴿فاقم وجهك﴾ قال الزجاج: اجعل جهتك اتباع الدين القيم وهو الاسلام المستقيم ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ [من الله] ﴿يعني﴾ [يوم] ﴿القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم﴾ [يومئذ يصدعون] يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿ومن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطنون لأنفسهم منازلهم، يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيأته ووطأته ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ لا يشيهم ولا يثني عليهم [قوله] ﴿٤﴾.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٦)

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني الغيث والخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿بأمره ولتبتغوا﴾ في البحر ﴿من فضله﴾ يعني الرزق بالتجارة وكل هذا بالرياح ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم فتوحدونه ثم عزى نبيه فقال: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿فانتقمنا من الذين أجمروا﴾ عذبا الذين كذبوهم وكفروا بآياتنا ﴿وكان حقاً علينا﴾ واجباً وجوباً هو أوجهه على نفسه ﴿نصر المؤمنين﴾ إنجأوهم مع الرسل من عذاب الأمم وفي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على من كذبه ثم أخبر عن صنعه ليعرفوا توحيده فقال:

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون^(٧) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ

(١) لا نوافق الواحدي على هذا الرأي، ولا ابن جرير رأي في هذه الآية أذكره لما فيه من الفائدة يقول: بعد أن ذكر عدة آراء وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبر عند العرب الأرض القفار، والبحر: بحران: بحر ملح وبحر عذب فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه - الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذاً إذا كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس. ١. هـ. ابن جرير ٣٢/٢١.

(٢) ساقط من جـ.

(٣) ساقط من أ، جـ، هـ.

(٤) ساقط من هـ.

لَمَبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنْحَىٰ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو ﴿فيسطه﴾ الله ﴿في السماء كيف يشاء﴾ إن شاء بسطه^(١) مسيرة يوم أو يومين ﴿ويجعله كسفاً﴾ بعد أن بسطه يجعله^(٢) قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ مفسر في سورة النور ﴿فإذا أصاب به﴾ بالودق ﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون بنزوله ﴿وإن كانوا﴾ وما كانوا ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله﴾ كرهه للتأكيد ﴿لمبلسين﴾ آيسين قانطين من المطر، قوله ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله﴾ بعد^(٣) إنزال المطر انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ويقراً آثار على الجمع فمن أفرده^(٤) فلائنه مضاف إلى مفرد، ومن جمع^(٥) جاز لأن رحمة الله يجوز أن يراد^(٦) بها الكثرة كما قال ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾^(٧) قال مقاتل: أثر رحمة الله هو النبت وهو أثر المطر والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه وقوله ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ أي كيف يجعلها تنبت بعد أن لم تكن فيها نبت ﴿إن ذلك﴾ الذي فعل ما ترون وهو الله تعالى ﴿لمحيي الموتى﴾ في الآخرة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ البعث والموت، ثم عاب كافر النعمة والجاهل بأن الله يفعل ما يشاء فقال ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ باردة مضرّة، والريح إذا أتت بلفظ الأفراد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب^(٨) الريح: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً^(٩).

قوله ﴿فأروه﴾^(١٠) يعني النبت والزرع الذي كان من أثر رحمة^(١١) الله ﴿مصفراً﴾ من البرد بعد الخضرة ﴿لظلوا﴾ لصارو ﴿من بعده﴾ من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلنا^(١٢) عذاباً على زرعهم كفروا نعمي وليس كذا حال المؤمن لأنه لا يستشعر الخيبة والكفران عند الشدة والمنة.

فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

(١) فيما عدا هـ: يبسطه.

(٢) فيما عدا هـ: فجعله.

(٣) في هـ: يعني.

(٤) قراءة (أثر) بالافراد قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر والكسائي ويعقوب انظر النشر ٣٤٥/٢ والسبعة ص ٥٠٨.

(٥) قراءة (أثار) على الجمع قرأ بها حمزة وابن عامر وخلف وحفص عن عاصم انظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٣٤٥/٢.

(٦) في هـ: به.

(٧) آية (١٨) سورة النمل وآية ١٣٤ إبراهيم.

(٨) في هـ: هبوط.

(٩) قال الهيثمي رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بخيس وهو متروك وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد كتاب الاذكار ما يقول إذا هاجت الرياح ١٣٥/١٠.

(١٠) في هـ: قرأوه مصفراً وهي مكررة.

(١١) في هـ: آثار.

(١٢) في هـ: ارسلت.

قوله: ﴿فإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ هذه الآية والتي بعدها مفسرتان في سورة النحل، ثم أخبر عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث في خلق نفسه فقال ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ قال المفسرون: يعني من نطفة والمعنى خلقكم من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾^(١) ومعنى ضعف ذلك الماء: أنه قليل، وقرئ بفتح الضاد^(٢) قال الفراء: الضم: لغة قريش، والفتح: لغة تميم^(٣) والاختيار الضم لما أخبرنا: أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد الحافظ، قال: أنا أبو يحيى الرازي قال: أنا سهل بن عثمان قال، أنا يحيى بن أبي بكير^(٤) عن فضيل بن مرزوق عن عطية^(٥) قال: قرأت على عبد الله بن عمر: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة^(٦) فقال ابن عمر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً، قرأتها على رسول الله ﷺ - كما قرأتها فأخذها علي كما أخذتها عليك^(٧)، وقوله:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٨)

﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾^(٨) يعني: ضعف الطفولة ﴿قوة﴾ الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ يعني عند الكبر والهرم ﴿وشيبة﴾ وهو مصدر كالشيب ﴿يخلق ما يشاء﴾ أي من ضعف وقوة شيبة وشباب ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء، قوله:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
فِيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور ﴿غير ساعة﴾ الا ساعة واحدة قال الله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ يقال: أفك فلان إذا صرف عن الصدق والخير، قال الكلبي: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا، وقال مقاتل: يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث كما كذبوا

(١) المرسلات: ٢٠.

(٢) قراءة (ضعف) قرأ بها عاصم وحزمة بفتح الضاد عن المواطن الثلاثة وخالف حفص عاصماً فقد قرأ بضم الضاد كما يقرأ باقي القراء انظر السبعة ص ٥٠٨ والنشر ٣٤٥/٢.

(٣) بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عدنان. نهاية الأرب ص ١٨٨ ونص الفراء غير موجود في كتابه المعاني.

(٤) في أ: مرزوي وهو تحريف، وهو: يحيى بن ابي بكير نصر الاسدي القيسي أبو زكريا الكرمانى الكوفي ت سنة ٢٠٩ انظر تهذيب التهذيب ١١/١٩٠.

(٥) عطية العوفي وقد مرت ترجمته.

(٦) ساقط من ب.

(٧) رواه أحمد بن المسند ٥٨/٢، ٥٩، وابو داود في كتاب الحروف حديث رقم (٣٩٧٨) ٣٢/٤ والترمذي في أبواب القرآن باب من سورة الروم وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.

أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة، وقال ابن قتيبة: أي كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل^(١)، والمعنى: أراد [الله تعالى]^(٢) أن بعضهم خلقوا على شيء يتبين لأهل الجمع من المؤمنين أنهم كاذبون في ذلك ويستدلون بكذبهم هناك على كذبهم في الدنيا وكان ذلك من قضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿يُؤفكون﴾ أي يصرفون يعني: كما صرفوا عن الصدق في خلقهم حين حلفوا كاذبين صرفوا في الدنيا عن الإيمان، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم بقوله ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ أي لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من اللبث إلى يوم البعث، وقال الزجاج في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، والمفسرون حملوا هذا على التقديم [على تقدير]^(٣) ﴿قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله﴾ وهم الذين يعلمون كتاب الله وقرأ قوله ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٤) وقوله ﴿فهذا يوم البعث﴾ أي اليوم الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون^(٥) به ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن يدل على هذا المعنى قوله: ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ قال ابن عباس لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا عتاب ولا توبة ذلك اليوم وقرىء لا ينفع بالياء^(٦) لأن التأنيث ليس بحقيقي في المعذرة وقد وقع الفصل بين الفاعل وفعله فقوي التذكير وقوله ﴿ولا هم يستعجبون﴾ لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ احتجاجاً عليهم وتنبهاً لهم ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ مثل العصا واليد ﴿ليقولن الذين كفروا إن أنتم﴾ ما أنتم يا محمد واصحابك ﴿إلا مبطلون﴾ أصحاب اباطيل وهذا إخبار عن عنادهم وتكذيبهم ثم ذكر سبب ذلك فقال ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي كالذي طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون بآية يحتم^(٧) الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فكل من لم يعلم توحيد الله فذلك لأجل طبع الله على قلبه ثم أمر نبيه بالصبر إلى وقت النصر بقوله ﴿فأصبر إن وعد الله﴾ بنصر دينك واطهارك على عدوك ﴿حق ولا يستخفئك﴾ [الذين لا يؤمنون]^(٨) يقال استخف فلان فلاناً إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه والمفسرون يقولون: لا يستخفن^(٩) رأيك وعلمك ﴿الذين لا يوقنون﴾ بالبعث والحساب أي هم ضلال شاكون.

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٣.

(٢) ساقط من ب.

(٣) ساقط من هـ وقد روى ابن جرير هذا القول عن قتادة ٣٧/٢١.

(٤) المؤمنون: ١٠٠.

(٥) في هـ: وتكذبونه.

(٦) قراءة (لا ينفع) بالياء، قرأ بها عاصم وحزمة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٥٠٩ والنشر ٣٤٦/٢.

(٧) في هـ بان.

(٨) ساقط من جميع النسخ عدا هـ.

(٩) في هـ لا يستخفئك.

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون

أخبرنا سعيد بن محمد بن إبراهيم الحيري أنا أبو عمرو بن مطر^(١)، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، أنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: « من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيحاً يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرأ بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر»^(٢)

الْمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ تقدم تفسيره ﴿هدى ورحمة﴾ القراءة بالنصب على الحال، قال الزجاج: المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية الرحمة، وقرأ حمزة بالرفع على إضمار هو^(٣)، قال ابن عباس بيان من الضلالة ورحمة من العذاب للموحدين من أمة محمد ﷺ وما بعد هذا مضى فيما تقدم، قوله:
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقَفَى فِي الْأَرْضِ رَوْسَى أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٥﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ نزلت في النضرين الحارث^(٤) كان يأتي الحيرة^(٥) فيشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود

(١) - في هـ أبو عمرو ومحمد بن جعفر المؤذن

(٢) - حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج ٤٠ .

(٣) - انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٦، السبعة (٥١٢)

(٤) - رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس الدر المنثور ٥/١٥٨ .

(٥) - الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف معجم البلدان ٢/٣٢٨ وقد روى البيهقي خبر النضر في =

وأنا أحدثكم حديث فارس والروم وأقرأ عليكم كما يقرأ عليكم محمد أساطير الأولين، ومعنى لهو الحديث باطل الحديث، هذا قول الكلبي ومقاتل وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي، أنا علي بن أحمد بن محمد [بن أحمد بن عطية، نا الحارث بن^(١) أبي أسامة، نا إسماعيل^(٢) بن عباس عن مطر بن يزيد الكتاني عن عبيد^(٣) الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمانهن حرام ولقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى إلا ارتدفه شيطانان يضربان بأرجلهما على ظهره وصدره حتى يسكت^(٤) وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن مسعود قالوا هو - والله - الغناء واشتراء المغني والمغنية بالمال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصرآبادي الصوفي أنا إسماعيل بن نجيد أنا محمد بن الحسن بن الخليل، نا هشام بن عمار، نا محمد بن القاسم ابن سميع أنا ابن أبي الزعيزعة^(٥) عن نافع^(٦) عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال: باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به^(٧) قال أهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء^(٨) والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ ورد بالاشتراء لأن هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيراً أخبرنا أبو منصور البغدادي أنا أبو سعيد الخلال، أنا محمد بن الحسن بن قتيبة^(٩)، نا إبراهيم^(١٠) بن محمد الفريابي، نا عبد المجيد^(١١) بن عبيد الأنصاري، نا حماد^(١٢) بن عمرو عن أبي موسى من

= شعب الإيمان عن ابن عباس انظر الدر المنثور ١٥٨/٥.

- (١) - عن ج ٩ - الحارث بن أبي أسامة محمد بن أبي أسامة أبو محمد التميمي ولد سنة ١٨٦ وت سنة ٢٨٢ تاريخ بغداد ١١/١٧٠، تذكرة الحفاظ ٢/٦١٠، طبقات الحفاظ (٢٧٢)
- (٢) - إسماعيل بن عباس بن سليم الحمصي العسبي أبو عتبة ولد سنة ١٢ هـ وت سنة ١٨١ هـ تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣، طبقات الحفاظ (١٥٨).

(٣) - فيما عدا ج، هـ: عبد الله وهو تصحيف وفي هـ: زهر وعبيد الله بن زحر الضمري الافريقي تهذيب التهذيب ٧/١٢.

- (٤) - رواه الطبري في تفسيره ٢١/٣٩، والترمذي في كتاب التفسير سورة لقمان وليس فيه «والذي نفسي بيده... الخ» وقال حديث غريب الترمذي ٥/٣٤٥ ط الحلبي، وقد روى هذه الزيادة صاحب الدر المنثور عن ابن أبي الدنيا وابن مردويه الدر ٥/١٥٩.
- وقال الهيثمي عن مثله رواه الطبراني بأسانيد ورجال وثقوا وضعفوا يجمع الزوائد كتاب الأدب باب ما جاء في الشعر والشعراء ولقد قال الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمشركون» نسخة عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد نسخة باطلة، وبين ابن حجر بأن علي بن زيد متروك الحديث الضعفاء والمتروكون (٣١٢)، التقريب ٢/٤٦.

(٥) - ابن أبي الزعيزعة: محمد بن أبي الزعيزعة من اذرعات منكر الحديث جداً لا يكتب حديثه انظر الكامل لابن عدي ٦/٢٢١١، ولسان الميزان ٥/١٦٥.

(٦) - نافع المدني أبو عبد الله مولى ابن عمر ت سنة ١١٧ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠/٤١٢ وتاريخ الإسلام ٥/١٠.

(٧) - حديث ضعيف ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال من حديث محمد بن أبي الزعيزعة وهو منكر الحديث انظر الكامل ٦/٢٢١١.

(٨) - في ب: واللعب.

(٩) محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني أبو العباس ت سنة ٣١٠ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٤، طبقات الحفاظ ص ٣٢١.

(١٠) - إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي نزول بيت المقدس انظر الجرح والتعديل ١/١٣١.

(١١) - في ج: عبد المجيد

(١٢) - حماد بن عمرو أبو إسماعيل النصيبي متروك الحديث انظر: ميزان الاعتدال ١/٥٩٨ والضعفاء للدارقطني ترجمة رقم ١٦٤، والكامل

لابن عدي ٢/٦٥٧.

ولد أبي هريرة عن^(١) أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ من لها بالغناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل: وما الروحانيون يا رسول الله قال: قراء أهل الجنة^(٢) قوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ قال الزجاج: من قرأ [ليضل]^(٣) بضم الياء^(٤) فمعناه ليضل غيره وإذا أضل غيره فقد ضل، ومن قرأ بفتح الياء فمعناه ليصير أمره إلى الضلال وهو إن لم يكن بمشتر^(٥) لضلالة فإنه يصير أمره إلى ذلك قال قتاده بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث [الحق]^(٦) ومعنى قوله ﴿بغير علم﴾ أي أنه جاهل فيما يفعل لا يفعله عن علم ﴿ويتخذها﴾ بالرفع^(٧) عطف على يشتري وبالنصب^(٨) على ليضل والكناية تعود إما إلى الآيات المذكورة في أول السورة أي ويتخذ آيات القرآن هزواً وإما إلى سبيل الله والسبيل تؤنث كقوله ﴿قل هذه سبيلي﴾^(٩) وما بعد هذا مفسر في مواضع فيما تقدم إلى قوله:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۚ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۚ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُ اللَّهِ فِي عَمَيِّنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۚ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۚ يَا بُنَيَّ اقْرَأِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۚ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۚ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۚ

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أكثر العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً، وقال عكرمة والسدي والشعبي: كان نبياً وفسروا الحكمة ها هنا بالنبوة، قال مجاهد الحكمة ها هنا الفقه والعقل والإصابة في القول وقوله ﴿أن اشكر﴾

(١) - من د فقط .

(٢) - حديث ضعيف من هذا الوجه ففي سننه حماد بن عمرو وهو متروك الحديث عند علماء الجرح والتعديل

(٣) - من هـ .

(٤) - قراءة (ليضل) بضم الياء قرأ بها جميع القراء عدا ابن كثير وأبا عمرو فقد قرءا (ليضل) بفتح الياء انظر النشر ٢/٢٩٩ .

(٥) - في هـ يشتري .

(٦) - ساقط من جـ

(٧) - في هـ (ويتخذها هزواً) يتخذها رفع، وفيما عدا ب(ويتخذها)رفع وقراءة (يتخذها) بالرفع، قرأ بها - نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو

جعفر وأبو بكر عن عاصم وابن عامر انظر: النشر ٢/٣٤٦ .

(٨) - قراءة (يتخذها) بالنصب قرأ بها يعقوب والكسائي وخلف وحفص من عاصم . انظر النشر ٢/٣٤٦

(٩) - يوسف: ١٠٨

﴿ قال مقاتل: قلنا (١) له أن اشكر الله فيما أعطاك من الحكمة ﴾ ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ ﴿ومن يطع الله فإنما يعمل لنفسه﴾ ﴿ومن كفر﴾ النعمة فلم يوحده ﴿فإن الله غني﴾ عن عبادة خلقه ﴿حميد﴾ عند خلقه ثم ذكر معنى إعطاء الحكمة فقال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ أي ولقد آتينا الحكمة إذ قال ﴿وهو يعظه﴾ قال ابن عباس: في الله ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ يقول ليس شيء من الذنوب أعظم من الشرك بالله، وقوله ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ تقدم تفسيره ونزوله (٢) ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ قال الزجاج لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة ﴿وفصاله في عامين﴾ الفصال: الفطام، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع وهو ابتداء وخبره في الظرف على تقدير: وفصاله يقع في عامين أن في انقضاء عامين، والمعنى: ذكر مشقة الوالدة بارضاع الولد بعد الوضع عامين ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ قال ابن عباس [المعنى] (٣) أتعني وأطع والديك، وقال مقاتل: أن اشكر لي إذ هديتك للإسلام ولوالديك بما أولياك من النعم والمعنى: ووصينا بشكرنا وشكر والديه ﴿إلي المصير﴾ المرجع والمنقلب أي فأجزيك بعملك ﴿وإن جاهداك﴾ مفسر في سورة العنكبوت إلى قوله ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ أي اصحبها في الدنيا بالمعروف وهو المستحسن ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر (٤) رضي الله عنه وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له أمنت وصدقت محمداً فقال: نعم فأتوا رسول الله ﷺ فأمّنوا وصدقوا فأنزل الله تعالى يقول واتبع سبيل من أناب إلي يعني أبا بكر رضي الله عنه قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ قال السدي: قال ابن لقمان لأبيه رأيت لو كان حبة من خردل في مقل البحر (٥) أكان الله يعلمها فقال: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ قال الزجاج: المعنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿قرىء مثقال بالرفع والنصب (٦) فمن نصب فاسم كان مضمراً على تقدير إن تكن التي سألت مثقال حبة من خردل ومن رفع مع تأنيث تكن فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردله فهو بمنزلة إن تكن حبة من خردل وتك ها هنا بمعنى يقع ولا خبر له وقوله ﴿فتكن في صخرة﴾ قال السدي: هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض هي تحت سبع (٧) أرضين عليها ملك قائم، وقال قتادة: فتكن في صخرة أي في جبل ﴿يأت بها الله﴾ قال الزجاج: هذا مثل لأعمال العباد وأن الله يأتي بأعمالهم مكتوبة يوم القيامة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (٨) وقد قال مقاتل: قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت رأيت إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمه الله فرد عليه لقمان ما أخبر الله عنه فيكون المعنى: إن تكن الخطيئة مثقال حبة من خردل يأت بها الله للجزاء عليها ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأمر بالمعروف﴾ بالإيمان بالله وطاعته واتباع

(١) - في هـ: فقلنا.

(٢) - أي سبب نزوله

(٣) - ساقط من هـ

(٤) - أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التميمي سنة ١٣ هـ انظر أسد الغابة ٣/٢٩٩ ط الشعب.

(٥) - مقل البحر: موضع المغاص من البحر الذي يغمره الماء لسان العرب فصل الميم حرف اللام.

(٦) - قراءة (مثقال) بالنصب قرأ بها: جميع القراء عدا نافع فلقد قرأ (مثقال) بالرفع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٥٤. ولفظ النصب

بياض في هـ.

(٧) - في هـ: سبعة

(٨) - الزلزلة: ٧، ٨

أمره ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك والظلم ومعاصي الله ﴿واصبر على ما أصابك﴾ فيهما من الأذى ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ أي الأمر^(١) بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من حق [عزم]^(٢) الأمور إلى الله بها أي هو الذي يعزم عليها لوجوبها ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ وقرىء ولا تصاعر بالألف^(٣) يقال: صعر خده وصاعر إذا أمال وجهه وأعرض تكبراً يقول: لا تعرض عن الناس تكبراً عليهم، قال ابن عباس: لا تتعظم على خلق الله، وقال قتادة: هو الإعراض عن الناس يكلمك أخوك وأنت معرض متكبر أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن علي المثنى، أنا أبو همام إسحاق بن سليمان، نا جعفر ابن عون، نا أبو جعفر الرازي عن الربيع^(٤) عن أنس^(٥) في قوله ولا تصعر خدك للناس قال: يكون الغني والفقير عندك سواء وما بعد هذا مفسر فيما تقدم^(٦) إلى قوله ﴿واقصد في مشيك﴾ يقال قصد فلان في مشيه إذا مشى مشياً مستوياً، قال مقاتل لا تختل في مشيك، وقال عطاء امش بالوقار والسكينة كقوله: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾^(٧) وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴿قال مقاتل اخفض من صوتك وقال عطاء عن ابن عباس: واغضض من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك، وكذلك وصية الله عز وجل في الانجيل لعيسى ابن مريم: مر عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم ﴿إن أنكر الأصوات﴾ أقبحها ﴿لصوت الحمير﴾ قال قتادة: أقيح الأصوات صوت الحمير، أوله زفير وآخره شهيق وقال المبرد: تأويله: إن الجهر بالصوت ليس بمحمود وإنه داخل في باب المنكر، قال مقاتل يأمر لقمان ابنه بالاعتقاد في المشي والمنطق^(٨).

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٤﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ؕ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿١٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

(١) - فيما عدا هـ: أي

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - قراءة (ولا تصاعر) بالألف وتخفيف العين قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو عمرو وخلف ونافع انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٦.

(٤) - الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني ت سنة ١٣٩ هـ تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.

(٥) - في أ: عن

(٦) - أي في سورة النساء عند قوله ﴿إن الله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ﴾ النساء: ٣٦.

(٧) - الفرقان: ٦٣.

(٨) - وهذا هو الرأي الذي تصبو إليه النفس ويرتاح إليه القلب وهو الذي يتفق مع تنزيل الآية أما النهي عن رفع الصوت بالدعاء فلا يتفق مع

هذا التنزيل.

قوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿وما في الأرض﴾ يعني: الجبال والأنهار والبحار والأشجار والنبت عاماً^(١) بعام، قال الزجاج: ومعنى تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها ﴿وأسبغ عليكم﴾ أوسع وأكمل يقال: سبغت^(٢) النعمة إذا تمت وأسبغها الله وقوله «نعمة» وقرىء^(٣) نعمه جمعاً ومعنى القراءتين واحد لأن المفرد يدل على الكثرة كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٤) وقوله ﴿ظاهرة وباطنة﴾ أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال هذه من مخزوني الذي سألت عنها النبي ﷺ قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما فضل عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساويء عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس إن الله يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمنين ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له قلة ماله أكفر به عنه خطاياهم، والثالثة: سترت مساويء عمله فلم أفضح به شيء منه ولو أبديتها عليه لنبذ أهله فمن سواهم^(٥) وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: الظاهرة الإسلام والقرآن وبالباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك^(٦) بالنقمة وقال الضحاك: الباطنة المعرفة^(٧) والظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، وقوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ مفسر في سورة الحج والآية الثانية مفسرة في سورة البقرة وكذلك الثالثة، وقوله ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ فلا تهتم لكفره فإن رجوعهم إلينا وحسابهم علينا وهو قوله ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ نخبرهم بقبايح أعمالهم لأنها أثبتت عليهم ﴿نمتعهم قليلاً﴾ يعني أيام حياتهم إلى انقضاء آجالهم نمتعهم بما أعطوا من الدنيا ﴿ثم نضطرهم﴾ في الآخرة أي نلجئهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ هو عذاب النار لا يجدون عنها محيصاً ولا ملجأ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

(١) - في هـ: علماً

(٢) - في هـ: مسعت

(٣) - قراءة (نعمه) بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم، أما قراءة (نعمة) باسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والافراد فقد قرأ بها بقية القراء. انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٧.

(٤) - ابراهيم: ٣٤، النحل: ١٨

(٥) - حديث ضعيف من هذا الوجه وذلك لضعف جبير بن سعيد الأزدي فقد قال عنه ابن حجر يروي عن الضحاك أحاديث مقلوبة وبين الدارقطني في كتابه الضعفاء أنه متروك انظر تهذيب التهذيب ٢/١٢٤، الضعفاء والمتروكين ص ١٧١.

(٦) - في هـ: عليكم.

(٧) - في هـ: المعروفة

شُكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحَتْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ قال قتادة إن المشركين قالوا في القرآن يوشك أن ينفذ يوشك أن ينقطع فنزلت هذه الآية يقول: لو كان [ما] (١) في الأرض من شجرة برت أقلاماً وكان البحر مداداً ومعه سبعة أبحر مداداً مثله وهو قوله ﴿والبحر يمدده﴾ قرئ نصباً (٢) بالعطف على ما ورفعاً بالاستئناف كأنه كان قال: والبحر هذه حاله وهي أن تنصب (٣) فيه سبعة أبحر ونزيده بمائها فكتبت بتلك الأقلام لنفذ (٤) المداد قبل أن ينفذ علم الله وهو قوله ﴿ما نفذت كلمات الله﴾ قال جماعة المفسرين: يعني علم الله، والمعنى كلمات الله التي هي عبارة (٥) عن معلوماته ولما كان معلوم الله لا يتناهى (٦) فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عن معلومه لا تتناهى، والآية مختصرة ويكون تقدير الكلام فكتبت بهذه الأقلام البحور (٧) ما نفذت كلمات الله، قوله: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم﴾ الآية قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقمة مضغة فكيف يبعثنا الله خلقاً جديداً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية يقول ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم جميعاً إلا كبعث نفس واحدة [قال الزجاج: أي قدرة الله على بعث الخلق كلهم وعلى خلقهم كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة] (٨) ﴿إن الله سميع﴾ لما قالوا من أمر الخلق والبعث ﴿بصير﴾ به وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾ قال ابن عباس [يريد] (٩) أن ذلك كله من نعمة الله عليكم ﴿ليريك من آياته﴾ من صنعه وعجائبه في البحر وابتغاء الرزق ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لنعمه قال مقاتل: يعني المؤمن ﴿وإذا غشيهم﴾ يعني: الكفار يقول إذا علاهم ﴿موج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿كالظلل﴾ كالجبال أو السحاب التي تظل من تحتها خافوا الغرق والهلاك فـ ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهذا كقبوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (١٠) وكان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل هذا، وهو إخلاصهم الدعاء في البحر أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي رحمه الله أنا محمد بن الحسين [بن الحسن] (١١) بن الخليل، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا أحمد بن المفضل، نا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله (١٢) بن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعد بن أبي اليسر فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال أهل السفينة اخلصوا فإن ألهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا فقال عكرمة: لئن لم ينجيني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غير الله، اللهم إن لك علي إن أنت عافيتني مما أنا فيه

(١) - ساقط من هـ

(٢) - قراءة (والبحر) بفتح الراء قرأ بها أبو عمرو ويعقوب أما قراءة (والبحر) بضم الراء فقد قرأ بها بقية القراء انظر السبعة ص ٥١٣ والنشر

٣٤٧/٢

(٣) - فيما عدا ب: تنصب

(٤) - في هـ: فقد

(٥) - في هـ: عبارة

(٦) - في هـ: لا تنهى له كذلك

(٧) - فيما عدا هـ والبحور.

(٨) - ساقط من هـ

(٩) - عن ب: هـ

(١٠) - العنكبوت: ٦٥

(١١) - ساقط عن ج

(١٢) - عبد الله بن خطل أسلم وارتد وقتل يوم الفتح كافر الكامل لابن الأثير ٢٤٩/٢

أن أتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم (١) أخبرنا أبو نصر المهرجاني أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أنا أبو الربيع (٢) الزهراني، نا حماد بن زيد عن أيوب (٣) عن ابن أبي مليكة قال لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فخب بهم البحر فجعل الناس ومن في السفينة يدعون الله ويستغيثون به فقال: ما هذا؟ فقيل هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله فقال عكرمة وهذا إله محمد الذي كان يدعوننا إليه ارجعوا بنا فرجع فأسلم (٤) وقوله ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ أي من هول ما هم فيه نجاهم حتى أفضوا إلى البر ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: من ثبت على إيمانه ثم ذكر الذي ترك التوحيد في البر يقول ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ غادر بعهده والختر: سوء الغدر وأقبحه ﴿كفور﴾ لله في نعمه ثم خاطب كفار مكة فقال:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٣٣

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ قال ابن عباس كل امرئ يهيم نفسه، وقال مقاتل: لا يغني والد عن ولده شيئاً أي لا ينفعه، يعني: الكفار، وهذا كقوله ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ (٥) وقد تقدم ﴿إن وعد الله حق﴾ بالبعث ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الإسلام والتزود للأخرة ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ أي بحلم (٦) الله وإمهاله ﴿الغرور﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغر قوله:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ نزلت في رجل من محارب (٧) أتى النبي ﷺ فقال: ان أرضنا أجدبت فمتى الغيث وتركت امرأتي جبلى فماذا تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت وقد علمت ما عملت اليوم فما أعمل غدا ومتى الساعة فأنزل الله تعالى (٨) هذه الآية أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدركي، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، أنا محمد (٩) بن عثمان بن أبي سويد، أنا أبو حذيفة، نا سفيان عن

(١) - مغازي الواقدي ٨٢٥/٢

(٢) - أبو الربيع الزهراني: سليمان بن داود الزهراني العتكي البصري ت سنة ٢٣٤ هـ تاريخ بغداد ٣٨/٩، تذكرة الحفاظ ٤٦٨/٢، المعبر ٤١٧/١، طبقات الحفاظ (ص ٢١٣)

(٣) - أيوب بن ثابت المكي: تهذيب التهذيب ٣٩٩/١.

(٤) - الكامل لابن الأثير ٢٤٨/٢

(٥) - البقرة: ٤٨، ١٢٣

(٦) - في هـ فعلم

(٧) - قبيلة مضارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر جمهرة انساب العرب لابن حزم الأندلسي ط دار المعارف ص ٢٥٩.

(٨) - تفسير الطبري ٥٥/٢١

(٩) - محمد بن عثمان بن أبي سويد الذراع البصري الميزان ٦٤١/٣.

عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ولا يعلم متى (١) تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله» رواه (٢) البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان قال قتادة في هذه الآية خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم في أي سنة أو في أي شهر ليلاً أو نهاراً ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أم نهاراً ينزل ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أم أسود ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أخيراً أم شراً ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ يقول ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بر [أم في بحر] (٣) في سهل أم جبل تعالى ربنا وتبارك وقال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى قال الزجاج: فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه.

(١) - في هـ: ما

(٢) - البخاري كتاب التفسير سورة لقمان ١٤٤/٦ ط الشعب

- في هـ: ما.

(٣) - في هـ أو بحر

سورة السجدة

مكيّة وآياتها ثلاثون

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا أبو عمرو محمد بن جعفر الشروطي، نا أبو إسحاق الأسدي، نا أبو عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك فكأنما أحيا ليلة القدر»^(١)

حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء، نا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، نا عبد الله بن ناجية، نا نصر بن عبد الرحمن الوشاء، نا حفص بن عمر الإمام، نا الحسن بن صالح عن أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ «لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك»^(٢)^(٣)

﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ قال مقاتل: يعني لا شك فيه أنه تنزيل ﴿من رب العالمين أم يقولون﴾ [افتراه] بل يقولون^(٤)، يعني: المشركين افتراه محمد من تلقاء نفسه ﴿بل هو﴾ أي القرآن ﴿الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد عليه السلام ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يرشدوا من الضلالة.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ مفسر في سورة الأعراف إلى قوله ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يعني: الكفار يقول: ليس من دون عذابه من ولي: قريب ينفعكم فيرد عذابه عنكم ﴿ولا شفيع﴾ لكم ﴿أفلا﴾

(١) - حديث لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) - في النسخة ب: ويقول وهما تفضلان كل سورة من القرآن بسبعين حسنة

(٣) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/ ٣٤٠ ط بيروت وليس فيه وهما تفضلان.. الخ كما أن هذه الزيادة في النسخة (ب) فقط.

(٤) - ساقط من هـ

تذكرون ﴿ [افلا تتدبرون] ^(١) هذا فتؤمنوا، قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ يعني: أمر الدنيا يدبره الله عز وجل مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر ﴿من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ قال ابن عباس: يرجع إليه [والمعنى] ^(٢) يعود الأمر والتدبير حتى ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ قال ابن عباس: يريد أن يوماً من أيام الآخرة مثل ألف سنة ﴿مما تعدون﴾ من أيام الدنيا وأراد بهذا اليوم يوم القيامة وهذا كقوله ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ ^(٣) وقد مر ذلك ^(٤) ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن الخلق وعالم ما حضر ﴿العزیز﴾ المنيع في ملكه ﴿الرحیم﴾ بأهل طاعته.

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

﴿الذي أحسن﴾ كل شيء خلقه [يعني: أحسن خلق كل شيء] ^(٥) قال مقاتل: علم كيف تخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد، وقال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد والإحسان: العلم يقال: فلان يحسن كذا إذا علمه قال صاحب النظم: بيان ذلك: أنه لما طول رجل البهيمة والطائر طول عنقه لئلا يتعذر عليه ما لا بد له من قوته ^(٦) ولو تفاوت ذلك لم يكن له معاش وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدر لما يصلح به معاشه وقرىء خلقه بفتح اللام ^(٧) وهو صفة للنكرة التي هي شيء والمعنى: أتقن وأحكم كل شيء خلقه قال ذلك الكلبي ومجاهد ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني: آدم كان أوله طيناً ﴿ثم جعل نسله﴾ ولده وذريته ﴿من سلالة﴾ تقدم تفسيرهما ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف يعني: النطفة ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ثم سواه﴾ سوى خلقه ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ ثم عاد إلى ذريته فقال ﴿وجعل لكم﴾ [يعني من] ^(٨) بعد أن كتتم نطفاً ﴿السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ يعني: أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه.

وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿إذا ضللنا في الأرض﴾ هلكننا وصرنا تراباً فلم يبق شيء من خلقنا ومعنى الضلال في اللغة الغيبوبة يقال: ضل الماء في اللبن وضل الميت في التراب إذا بطل ﴿إننا لفي خلق جديد﴾ استفهام انكار أنكروا إعادتهم بعد الموت قال الله تعالى ﴿بل هم﴾ [يعني] ^(٩) ﴿بلىءاء ربهم كافرين﴾ ^(١٠) أي بالبعث. قوله ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين ﴿الذي وكل بكم﴾ قال ابن عباس وكل يقبض أرواحكم. أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر، نا ابن وهب، نا أبو صخر حميد بن زياد أن يزيد الرقاشي قال سمعت أنس بن مالك يقول: لقي جبريل ملك الموت بنهر بفارس فقال يا ملك الموت كيف

(١) - ساقط من هـ

(٧) - قراءة (خلقته) بفتح اللام، قرأ بها: نافع وعاصم وحمزة وخلف انظر: النشر ٣٤٧/٢.

(٣) - الحج: ٤٧

(٨) - ساقط من هـ

(٤) - مر ذلك في سورة الحج.

(٩) - ساقط من جميع النسخ عدا ب

(٥) - ساقط من هـ

(١٠) - في هـ / يعني

(٦) - ساقط من جـ

تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ها هنا عشرون ألف وها هنا كذا وكذا فقال له ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنها بين فخذي فالتقطهم بيدي أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن المفضل أخبرنا عبد المؤمن بن خلف أنا أبو عمارة البغدادي، أنا أحمد بن يونس بن سنان الرقي، ناعبد العزيز بن عبد الصمد العمي^(١) عن أيوب عن عكرمة^(٢) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسول الموت فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول [وكم بريد بعد بريد^(٣)] أنا المخبر^(٤) ليس بعد خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه تصارخوا عليه فقال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت رزقاً بل دعاه ربه فليكن الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحداً». وقوله ﴿ثم إنا نرجعون﴾ أي تصيرون إليه أحياء فيجزىكم بأعمالكم ثم أخبر عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال:

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ المجرمون﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ مطأطئوها حياءً وندماً ﴿يقولون ربنا أبصرنا﴾ ما كنا ننكر ﴿وسمعنا فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ نقول لا إله إلا الله ﴿إنا موقنون﴾ قال ابن عباس: اتقوا ذلك اليوم ما كانوا ينكرون في الدنيا، ثم أخبر أنه إنما يؤمن من قدر الله له الإيمان فقال ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ قال ابن عباس: رشدتها وبيانها وهذا كقوله ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾^(٥) وقوله: ﴿لو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾^(٦) ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني كفار الفريقين، قال ابن عباس: يقول هذا قضائي وقدري في ملكي وربوبيتي والقول الذي وجب من الله بملء جهنم قوله لابلis ﴿لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾^(٧) أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار نا سليمان بن أيوب اللخمي نا محمد بن يحيى بن زياد الابزاري الأعلى^(٨) بن حماد النبرسي نا

(١) - عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري أبو عبد الصمد ت سنة ١٨٧ هـ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٠، خلاصة تذهيب الكمال (٢٠٣) طبقات الحفاظ (١١٥).

(٢) - أيوب بن أبي تمبحة كيسان السخيتاني ولد سنة ٦٦ هـ وتوفي سنة ١٣١ ثقة تذهيب التهذيب ١/ ٣٩٧.

(٣) - ساقط من جـ

(٤) - فيما عدا ب المخبر وفي هـ الخبر الذي ليس بعدي.

(٥) - يونس: ٩٩

(٦) - الأنعام: ٣٥

(٧) - ص: ٨٥

(٨) - عبد الأعلى بن حماد بن نصر الترسى الباهلي أبو يحيى البصري ت سنة ٢٣٧ هـ جرية تاريخ بغداد ١١/ ٧٥ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٧

أبو عاصم^(١) العباداني نا الفضل^(٢) بن عيسى الرقاشي عن الحسن قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله يقول: ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أنني لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويقول الله عز وجل يا آدم اعلم أنني لا أدخل من ذريتك النار ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمي أنني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله عز وجل يا آدم قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجع خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنني لا أدخل منهم [النار] (٣) إلا ظالماً (٤) قوله ﴿فذوقوا بما نسيتم﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا العذاب بما نسيتم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ بما تركتم الإيمان بيومكم هذا وقال السدي: بما تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ الذي لا ينقطع ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والتكذيب ثم ذكر المؤمنين فقال:

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾
 نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا﴾ وعظوا ﴿بها خروا سجداً﴾ سقظوا على وجوههم ساجدين^(٥) ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ وقالوا^(٦) سبحان الله وبحمده ﴿وهم لا يستكبرون﴾ ان يعفروا وجوههم ساجدين قوله ﴿تتجافى جنوبهم﴾ [عن المضاجع] ﴿٧﴾ ترتفع جنوبهم يقال جفا الشيء عن الشيء وتجافى عنه إذا لم يلزمه ونبا عنه، والمضاجع: جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتجهدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وهو قول الحسن ومجاهد وعطاء ورواية معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب أنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبة، نا جرير عن الحكم وحيب بن أبي ثابت^(٨) عن ميمون بن أبي شبيب^(٩) عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك^(١٠) وقد أصابنا الحر فترق القوم فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال: لقد سألت عن عظيم

(١) - أبو عاصم: عبد الله بن عبيد الله العباداني. ميزان الاعتدال ٤/٤٣٠ هـ

(٢) - الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي أبو عيسى البصري. تهذيب التهذيب ٨/٢٨٣

(٣) - ساقط من ب

(٤) - رواه الطبراني في المعجم الصغير ٢/٣١

(٥) - فيما عدا أ: صاغرين

(٦) - فيما عدا ه: وقالوا

(٧) - ليست في ب، هـ.

(٨) حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي أبو يحيى الكوفي انظر تذكرة الحفاظ ١/١١٦، شذرات الذهب ١/١٥٦، طبقات الحفاظ

(ص ٤٤).

(٩) - ميمون بن أبي شبيب الربيعي أبو نصر الكوفي ت سنة ٨٣ هـ تهذيب التهذيب ١٠/٣٨٩

(١٠) - وتبوك موضع بين وادي القرى والشام وبينها وبين المدينة اثنا عشرة مرحلة حوالي ستة وثلاثون ميلاً معجم البلدان ٢/١٤

وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قلت بلى يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يتغني وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع»^(١) أخبرنا أبو منصور البغدادي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، نا عيسى^(٢) بن إبراهيم، نا عفيف^(٣) بن سالم الموصلي، نا بكر بن^(٤) حبش عن ربيعة^(٥) بن يزيد عن أبي إدريس^(٦) الخولاني، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى^(٧) الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده للداء عن الجسد^(٨) وقال رضي الله عنه ونزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالتنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ^(٩) وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر قالوا: هي ما بين المغرب وصلاة العشاء صلاة الأوابين، وقال آخرون: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وهو قول مجاهد وعطاء. وقوله ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمئناً﴾ قال ابن عباس: خوفاً من النار وطمئناً في الجنة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال الكلبي: في الواجب عليهم والتطوع قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ أي لا يعلم أحد [لا ملك مقرب ولا نبي مرسل]^(١٠) ما خبيء لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم، قال ابن عباس في هذه الآية هذا مما لا تفسير له والأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أنا حاجب بن أحمد، نا محمد بن يحيى نا يزيد بن هارون، أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»^(١١) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الخرك، أنا أبو الشيخ الأصبهاني، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال: وقال أبو هريرة: بله ما أطلعكم الله عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال: وكان أبو هريرة يقرأها من قرات أعين

- (١) - رواه الترمذي في أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث رقم (٢٧٤٩) وابن حنبل في المسند ٢٣١/٥، والحاكم في المستدرک في کتاب التفسیر سورة السجدة ٤١٢/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
- (٢) - عيسى بن إبراهيم الميزان ٣١٠/٣.
- (٣) - عفيف بن سالم الموصلي البجلي أبو عمرو سنة ١٨٣. تهذيب التهذيب ٢٣٥/٧
- (٤) - بكر بن حبش الكوفي العابد. تهذيب التهذيب ٤٨١/١
- (٥) - ربيعة بن يزيد الإباضي أبو شعيب الدمشقي ت سنة ١٢٣ هـ تهذيب التهذيب ٢٦٤/٣
- (٦) - أبو إدريس: عائذ الله بن عبد الله بن عمرو العوذی ولد يوم حنين وت سنة ٨٠ هـ تذكرة الحفاظ ٥٦/١، تهذيب التهذيب ٨٥/٥، طبقات الحفاظ (ص ١٨)
- (٧) - فيما عدا ب: من
- (٨) - قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن أبي الجون تكلم فيه مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب في صلاة الليل ٢٥١/٢، ورواه صاحب المسند ١٢٦/٦.
- (٩) - روى الترمذي نحوه عن أنس وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال صاحب تحفة الأحوذی قال العراقي وإسناده فيه نظر. انظر تحفة الأحوذی ٥٦/٩ كتاب التفسیر سورة مريم حديث رقم ٣٢٤٨.
- (١٠) - ساقط من هـ
- (١١) - رواه البخاري في كتاب التفسیر سورة السجدة ١٤٥/٦ ط الشعب

رواه البخاري^(١) عن إسحاق^(٢) بن نصر عن أبي أمامة، ورواه مسلم عن أبي كريب عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش، وقرأ حمزة ما أخفي باسكان الباء أي ما أخفي لهم، حجته قراءة عبد الله نخفي بالنون^(٣).

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن أبي معيط وذلك انه جرى بينهما تنازع وسباب فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق تقول الكذب فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقاً لما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال: قال الوليد [بن عقبة]^(٤) لعلي أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملاً للكتيبة منك فقال له علي اسكت فإنما أنت فاسق فنزلت أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً^(٥) قال: يعني بالمؤمن علي رضي الله عنه، وبالفاسق الوليد بن عقبة وقوله ﴿لا يستون﴾ قال [الزجاج: معنى الاثني جماعة لذلك]^(٦) قال: لا يستون قال قتادة: لا والله ما استونا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة، ثم أخبر عن منازل الفريقين فقال ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ الذي يأوي إليه المؤمنون ﴿نزلاً﴾ أي معدة لهم وقد سبق تفسيره ﴿بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا...﴾ مفسرة في سورة الحج ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ قال مقاتل: يعني ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين، وقال ابن مسعود: يعني القتل بيد وهو قول قتادة والسدي ﴿دون العذاب الأكبر﴾ يعني عذاب الآخرة ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى التوحيد والإيمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد الفتح ﴿ومن أظلم﴾ تقدم تفسيره في سورة الكهف ﴿ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ يعني الذين قتلوا بيد وعجلت أرواحهم إلى النار.

(١) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة السجدة ١٤٥/٦ ط الشعب

(٢) - إسحاق بن نصر البخاري أبو ابراهيم ت سنة ٢٤٢ هـ تهذيب التهذيب ٢٢٩/١.

(٣) - قراءة عبد الله بن مسعود ذكرها الفراء في معاني القرآن ٣٣٢/٢ وقرأ يعقوب وحمزة باسكان الباء وقرأ الباقون بفتحها السبعة (٥١٦)

والنشر ٣٤٧/٢

(٤) - ساقط من ب، ج

(٥) - رواه ابن جرير بسنده وفيه رجل لم يسم ٦٨/٢١ - وقال صاحب الدر المنثور رواه ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن جرير وابن أبي

حاتم الدر المنثور ١٧٤/٥ ط طهران.

(٦) - ساقط من ب

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا
 مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراه ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ قال المفسرون: وعد محمد ﷺ أنه سيلقى موسى قبل أن يموت ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين أسري به (١) وهذا قول مجاهد والكلبي والسدي ﴿وجعلناه﴾ يعني الكتاب وهو التوراه ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ من الضلالة ﴿وجعلنا منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿أمة﴾ قادة في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يدعون الناس إلى طاعة الله بأمر الله يعني الانبياء الذين كانوا فيهم، وقال قتادة: هم غير الانبياء ﴿لما صبروا﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، وقرىء لما صبروا (٢) أي لصبرهم ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ انها من الله ﴿إن ربك هو يفصل﴾ يقضي ويحكم ﴿بينهم﴾ يعني الذين كذبوا النبي ﷺ من بني إسرائيل ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين لأنهم اختلفوا فأمن بعضهم وكفر الآخرون، ثم خوف كفار مكة فقال:

أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا
 يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنعَمُهُمْ
 وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم﴾ إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴿٢٦﴾ أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ وهي التي لا تنبت في الشتاء حتى إذا جاء الماء أنبت ما يأكله الناس والانعام وهو قوله ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه...﴾ الآية ﴿ويقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ أي والقضاء بين الخلق (٣) وهو يوم البعث يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين فقال الله ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ لا ينفع الإيمان يوم القضاء بين الخلق ﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يؤخر العذاب عنهم ولا يمهلون لمعذرة أو توبة أخبرنا أبو القاسم بن عبدان، نا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، أنا محمد (٤) بن إسحاق الصفار، نا أحمد بن نصر اللباد، نا عمرو بن طلحة، نا إسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله متى هذا

(١) - لقاء موسى بمحمد ﷺ تم في ليلة الإسراء والمعراج في السماء وراجعته موسى عليه السلام عدة مرات في فريضة الصلاة حتى خفضت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم واللييلة. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء.

(٢) - قراءة (لما صبروا) بكسر اللام وتخفيف الميم قرأ بها: حمزة والكسائي ورويس انظر: النشر ٣٤٧/٢.

(٣) - (بين الخلق) عن هـ فقط

(٤) - محمد بن إسحاق الصفار. طبقات الحفاظ (٢٥٦)

الفتح إن كنتم صادقين. ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ قال: يوم بدر فتح للنبي ﷺ فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت^(١) ولا هم ينظرون فأعرض عنهم، قال ابن عباس: نسخته آية السيف ﴿وانتظر﴾ موعدي لك يعني نصره على أعدائه ﴿إنهم منتظرون﴾ بك حوادث الأزمان من موت أو قتل فيستريحوا منك^(٢).

(١) - هذا الخبر عن ابن عباس فيه مقال وذلك لأن السدي متروك الحديث.

(٢) - ساقط من هـ

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»^(١)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ اثبت على تقوى الله ودم عليه ﴿ولا تطع الكافرين﴾ يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعرور السلمي^(٢) وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة لمن عبدها ﴿والمنافقين﴾ عبد الله بن أبي^(٣) وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ﴿إن الله كان عليماً﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حكيماً﴾ فيما يخلقه ﴿واتبع ما يوحي إليك من ربك﴾ يعني القرآن ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ بالياء الكافرين والمنافقين وبالثناء^(٤) على المخاطبين ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ .

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا
أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان وقاداً ظريفاً [حكيماً]^(٥) لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد

(١) - حديث موضوع وتراجع أول مريم والحج

(٢) - أبو الأعرور السلمي: عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد السلمي مشهور بكنيته أسلم بعد حين أسد الغابة ١٥/٦، ٢٣٢/٤ .

(٣) - في هـ بعد ابن أبي: وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ ارفض ذكر المنافقين عبد الله بن سعد . الخ .

(٤) - قراءة (تعملون) بالثناء، قرأ بها جميع القراء عدا أبا عمرو فقد قرأ وحده (يعملون) بالياء، انظر السبعة ص ٥١٨ والنشر ٢/٢٤٦

(٥) - ساقط من ب، ج -

فكانت قريش تسميه ذا القلبين^(١) وكذبه الله تعالى في ذلك، واخبر أنه ما خلق لأحد قلبين^(٢) ﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون﴾^(٣) أمهاتكم﴾ يقال: ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته في سورة المجادلة فمن قرأ تظهرون بفتح التاء وتشديد الظاء أراد تظهرون فأدغم التاء في الظاء^(٤) وقرأ عاصم تظاهرون من المظاهرة وقرأ حمزة تظاهرون فحذف تاء تتفاعلون وأدغم ابن عامر هذه التاء التي حذفها حمزة وقرأ بفتح وتشديد الظاء﴾^(٥) أعلم الله أن الزوجة لا تكون أمًا فقال ﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾^(٦) أي ما جعل نساءكم اللاتي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في التحريم كما تقولون ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ الأديعاء: جمع الدعي وهو الذي يدعى ابناً لغير أبيه نزلت في زيد بن حارثة تبناه رسول الله ﷺ كالعبادة التي كانت للعرب في الجاهلية فلما تزوج زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه فأنزل الله هذه الآية^(٧) إبطالاً لما قالوا تكذيباً لهم أنه ابنه وإخباراً إن الدعي لا يكون ابناً، وقوله: ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي ادعاءكم نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة له ﴿والله يقول الحق﴾ وهو انه ما جعل الدعي ابناً ﴿وهو يهدي السبيل﴾ يدل على طريق الحق ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم ﴿هو أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله﴾ أخبرنا سعيد^(٨) بن محمد بن أحمد بن نعيم الاشكابي، أنا الحسن بن أحمد بن علي الشيباني، أنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أنا قتيبة بن سعيد، نا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن سالم^(٩) عن ابن عمر أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيد^(١٠) بن حارثة إلا زيد بن محمد عليه السلام حتى نزل في القرآن ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾^(١١) رواه البخاري عن معلى بن أسد عن عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم﴾ أي فهم إخوانكم ﴿في الدين﴾ يعني من أسلم منهم ﴿ومواليكم﴾ وبنو عمكم، قال الزجاج: ويجوز أن يكون ومواليكم وأولياؤكم في الدين ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ قال قتادة: ولو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الإثم من الذي تعمدت قلوبكم من دعائهم إلى غير آبائهم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رحيماً﴾ لكم، قوله:

(١) - أسد الغابة ٣٥١/١ وجميل: هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح اسلم عام الفتح نسب قريش (٣٩٤)، أسد الغابة ٣٥١/١ ط الشعب.

(٢) - رواه ابن جرير ٧٤/٢١ بدون تسمية لقول القائل

(٣) - ساقط من جـ

(٤) - قراءة (تظهرون) بفتح التاء وتشديد الظاء قرأ بها ابن عامر وانظر السبعة ص ٥١٩ والنشر ٣٤٧/٢ وفيهما أيضاً قراءة عاصم وحمزة التاليتين

(٥-٦) - ساقط من هـ

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ١٤٥/٦ ط الشعب ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل زيد بن حارثة ١٨٨٤ ط الحلبي

(٨) - سعيد بن أحمد بن نعيم بن اشكاب أبو عثمان العبار النيسابوري لسان الميزان ٢٣/٣

(٩) - سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله المدني ت سنة ١٠٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٨٨١، تهذيب التهذيب ٤٣٦٣، طبقات الحفاظ (٣٣)

(١٠) - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الصحابي استشهد سنة ٨ هـ الإصابة ٥٦٣/١، الروض الأنف ١٦٤/١

(١١) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب باختلاف يسير ١٤٥/٦ ط الشعب.

التِّي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي إذا حكم عليهم بشيء فقد نفذ حكمه ووجبت طاعته عليهم، قال ابن عباس: إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي أولى من طاعة أنفسهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ في حرمة نكاحهن فلا يحل لأحد التزوج بواحدة منهن كما لا يحل التزوج بالأُم وهذه الامومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من أحكام الامومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه: وأزواجه أمهاتهم في معنى دون معنى وهو أنهن محرمات على التأييد وما كن محارم في الخلوة والمسافرة^(١) وهذا معنى ما روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لها: يا أمه فقالت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بهذا أن معنى هذه الامومة تحريم نكاحهن فقط، وعلى هذا لا يجوز أن يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن أخوال المؤمنين وخالات المؤمنين ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه تزوج الزبير^(٢) أسماء^(٣) بنت أبي بكر رضي الله عنه وهي أخت أم المؤمنين^(٤) ولم يقل وهي خالة المؤمنين وقوله ﴿وأولو الأرحام﴾ بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ يعني أن ذوي القربات بعضهم أولى بمرثات بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان كما كانوا يفعلون قبل النسخ ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ استثناء ليس من الأول المعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح الوصية للمعاقدن فيوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه فمعنى المعروف هاهنا الوصية وقوله ﴿كان ذلك﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة ورده إلى ذوي الأرحام من القربات ﴿في الكتاب مسطوراً﴾ يريد في اللوح المحفوظ مكتوباً، قوله:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصِّدِّيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال قتادة أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين خصوصاً أن يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً [وقال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وأن يصدق بعضهم بعضاً]^(١) وأن ينصحوا لقومهم وقوله ﴿ومنك﴾ أخرجه والأربعة الذين ذكرهم من جملة النبيين تخصيصاً بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وقد ذكر النبي ﷺ معهم لما أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن عثمان البغدادي، نا محمد بن يعقوب بن يوسف، نا أبو عتبة أحمد بن الفرغ، نا بقر بن

(١) - الأم للإمام الشافعي ١٢٦/٥ باختلاف يسير

(٢) - الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة وت سنة ٣٦ هـ

(٣) - أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي ذات النطاقين ماتت بعد والدها بقليل الإصابة ٢٢٩/٤.

(٤) - الأم للشافعي ١٢٦/٥

(٥-٦) - ساقط من هـ

الوليد، نا محمد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله ومنك ومن نوح قال «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»^(١) قال الزجاج: وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم كالذر ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا، وذلك العهد الشديد هو اليمين بالله عز وجل ﴿ليسأله الصادقين عن صدقهم﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين هل بلغوا الرسالة، والمعنى ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم يوم القيامة وتأويل مسألة الرسل والله يعلم انهم لصادقون التبتيت للذين كفروا بهم وتم الكلام ثم أخبر عما أعد للكفار فقال ﴿وأعد للكافرين﴾ بالرسل ﴿عذاباً أليماً﴾، قوله:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ يذكرهم الله إنعامه عليهم في دفع الأحزاب عنهم من غير قتال ﴿إذ جاءكم جنود﴾ وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق عيينة بن حصن وأبو سفيان ومن معها من المشركين وقرظة ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ وهي الصبا أرسلت على الأحزاب حتى أكفأت قذورهم ونزعت فساطيطهم ﴿وجنوداً لم تروها﴾ يعني الملائكة أخبرنا عبد الرحمن [بن] ^(٢) محمد الزنجاري، أنا أبو عمرو ^(٣) بن ماسي، نا أبو مسلم الكجي، نا أبو عمر [الخرضي] ^(٤)، نا زياد ^(٥) بن عبد الله العامري عن محمد بن إسحاق عن يزيد ^(٦) بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال شاب لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله هل رأيت رسول الله ﷺ قال إي والله لقد رأيته قال: والله لو رأيته لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض فقال له حذيفة يا ابن أخي أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال بلى قال: والله لو رأيته يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله قام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع [ثم صلى ما شاء الله ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والخوف والجوع] ^(٧) فلما لم يبق أحد دعاني فلم أجد بداً من اجابته قلت لبيك قال: اذهب فجنني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده تفعل ^(٨) بهم ما تفعل ^(٩) ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله فقال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جلسه؟ قال أبو عمر: يخوفهم ^(١٠) أن يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت من

(١) - في مجمع الزوائد أحاديث تدور حول هذا المعنى ٢٢٣/٨ وقال صاحب الدر المنثور: رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل الدر ١٨٤/٥ طه طهران وقد بين الألباني بأن حديث كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد هو الصحيح سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤/٤/١

(٢) - ساقط من د

(٣) - فيما عدا أبو محمد

(٧) - ساقط من هـ

(٤) - ساقط من أ، ب، جـ

(٥) - زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري أبو محمد ت سنة ١٨٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/٣٧٥ (٨ - ٩) - في هـ: يفعل.

(١٠) - في هـ: ليخوفهم

(٦) - يزيد بن زياد وثقه النسائي. الميزان ٤/٤٢٣.

أنت؟ قال: أنا فلان ثم دعا أبو سفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر^(١) وخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن^(٢) قدر ثم عجل وركب راحلته وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجله فدخلت تحته وأرسل علي طائفة من مرطه^(٣) فرقع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته^(٤) [ثم أخبر الله عز وجل]^(٥) عن آل الأحزاب من أين جاءوا فقال ﴿إذ جاؤكم من فوقكم﴾ من فوق الوادي من قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان^(٦) ﴿ومن أسفل منكم﴾ من قبل المغرب من ناحية مكة أبو سفيان في قريش ومن تبعه ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ الحنجرة جوف الحلقوم قال قتادة شخصت عن مكانها فلولا أنه حنتق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت والمعنى ما ذكره الفراء: وهو أنهم جنود جزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلوب إلى الحنجرة^(٧) ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قلت يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال قولوا «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»^(٨) قال فقلناها فضرب الله وجوه أعدائه بالريح وهزموا ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ أي اختلفت الظنون فظن بعضهم بالله النصر ورجاء الظفر وبعضكم أيس وقنط قال الحسن: ظنوناً مختلفة ظن المنافقون أنه يستأصل محمد عليه السلام وظن المؤمنون أنه ينصر.

هَذَاكَ أُبْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۖ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۖ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْرَ وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۖ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ

(١) - يقصد بقوله: هلك الخف والحافر: خف الجمل وحافر الفرس والمعنى أنهم ذبحوا الجمال لأكلها وهلكت الفرسان لقلة المرعى ولوجودها في ساحة القتال

(٢) - في هـ: تطمئن قدر قال ثم عجل. الخ

(٣) - المرط: كساء من خبز أو صوف أو كتان. الصحاح للجوهري باب الميم فصل الطاء.

(٤) - رواه الحاكم في كتاب المغازي ٣/٣١ وابن هشام في السيرة ٢/٢٣١ ط الحلبي

(٥) - ساقط من هـ

(٦) - قبيلة غطفان بن سعد بن قيس بن مضر جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ص (٣٤٠) ط دار المعارف

(٧) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٣٦ بتصرف

(٨) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٣/٣ مسند أبي سعيد الخدري.

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿هنالك﴾ عند ذلك وفي تلك الحال ﴿ابتلي المؤمنون﴾ اختبروا ليتبين المخلص من المنافق ﴿وزلزلوا زلزلاً شديداً﴾ أزعجوا وحركوا ازعاجاً شديداً وذلك أن الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ قال ابن عباس: إن المنافقين قالوا يوم الخندق إن محمداً يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقال قتادة: قال أناس من المنافقين يعدنا محمد أن يفتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله وقال مقاتل: قالوا يعدنا محمد اليمن وفارس والروم ولا نستطيع أن نبرز إلى الخلاء هذا والله الغرور^(١) ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ قال مقاتل: هم بنو سالم^(٢) من المنافقين، وقال السدي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يا أهل يثرب﴾ قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض ومدينة الرسول عليه السلام في ناحية^(٣) منها ﴿لا مقام لكم﴾ لا مكان لكم تقيمون فيه، وقرأ عاصم بضم الميم^(٤) والمعنى: إقامة لكم يقال: أقمته إقامة ومقاماً ﴿فارجعوا﴾ إلى المدينة وذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٥) والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين ثبطوا الناس عن رسول الله ﷺ ليس لكم هاهنا موضع إقامة لكثرة العدو وغلبة الأحزاب ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة^(٦) وبنو سلمة^(٧) يقولون إن بيوتنا عورة﴾ ليست بحريزة قال مجاهد ومقاتل والحسن: قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، وقال قتادة: قالوا إن بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلينا^(٨) فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الهرب والفرار فقال تعالى ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ ما يريدون إلا فراراً من القتال^(٩) ومضرة للمؤمنين قال الزجاج: يقال: عور المكان يعور عوراً وعورة وهو عو وبيوت عورة وعورة وهي مصدر قال الله تعالى ﴿ولو دخلت المدينة﴾ عليهم﴾ يعني^(١٠) هؤلاء الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب ﴿من أقطارها﴾ نواحيها ﴿ثم سئلوا الفتنة لأتوها﴾ يعني الشرك في قول الجميع قال ابن عباس ومقاتل يقول الله تعالى لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا وهو قوله لأتوها أي لأعطوهم ما سألوا وقرأ الحجازيون^(١١) لأتوها بالقصر أي لفعلوها من

(١) - رواه ابن هشام عن ابن اسحاق سيرة ابن هشام ٢/٢٢٢ ط الحلبي الدر ٥/٨٦ طهران.

ورواه ابن سعد وابن جرير في تفسيره ٢١/٨٥ وابن أبي حاتم

(٢) - بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج جمهرة انساب العرب (ص ٣٥٣)

(٣) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٤) - قراءة عاصم في رواية حفص في السبعة ص ٥٢٠ والنشر ٢/٣٤٨ لأبي عبيدة ٢/١٣٤.

(٥) - في هامش هـ سلع: جبل المدينة.

(٦) - بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو. جمهرة انساب العرب (ص ٣٤٠)

(٧) - بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الجمهرة ص ٣٥٨.

(٨) - ابن جرير ٢١/٨٥، ابن هشام في السيرة ٣/٢٢٢ ط الحلبي

(٩) - في ب، ج، هـ ونصرة

(١٠) - في أ: من

(١١) - قراءة (لأتوها) بغير مد قرأ بها: نافع وابن كثير وابن عامر. انظر السبعة (ص ٥٢٠) والنشر ٢/٣٤٨.

قولك أتيت الخير أي فعلته ﴿وما تلبثوا بها يسيراً﴾^(١) قال قتادة وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، ثم ذكرهم الله تعالى عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ [من قبل الخندق] ^(٢) ﴿لا يولون الأدبار من قبل﴾ الخندق^(٣) لا ينهزمون ولا يولون العدو ظهورهم ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ يسألون عنه في الآخرة، ثم أخبر أن الفرار لا يزيدهم في آجالهم فقال: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ قال ابن عباس لأن من حضر أجله مات أو قتل ﴿وإذا لا تمتعون﴾ [إلا قليلاً] ^(٤) ﴿لا تمتعون﴾^(٥) بعد الفرار في الدنيا إلا مدة آجالكم، ثم أخبر أن ما قدر عليهم وأراده بهم لا يدفع عنهم بقوله ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ يجيركم منه ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ خيراً وهو النصر وهذا كله أمر للنبي ﷺ أن يخاطبهم بهذه الأشياء ثم أخبر [الله] ^(٥) أنه لا قريب لهم ينفعهم ولا ناصر ينصرهم من دون الله يقول ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾، قوله:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ﴾ ^(٦) ﴿أَشْحَةَ عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۗ﴾ ^(٧)

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ يقال عاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده، قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يشبطون أنصار النبي ﷺ وذلك أنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لالتهمهم^(٦) أبو سفيان وحزبه فخلوهم^(٧) وتعالوا إلينا وهو قوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس﴾ لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إلا قليلاً﴾ إلا رياءً وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة والمعنى: لا ينصرونكم ثم أخبر عن جبنهم فقال: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وهو الذي قرب حاله من الموت وغشيته أسبابه فيذهب ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم﴾ [لما يلحقهم] ^(٩) من الخوف ويقال للميت إذا شخص بصره دارت عينه ودارت حماليق عينه ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ وجاء الأمن والغنيمة ﴿سلقوكم بالسنة حداد﴾ قال الفراء: أذوكم بالكلام في الأمن بالسنة سليطة ذرية^(١٠) يقال سلق فلاناً بلسانه إذا أغلظ [له] ^(١١) في القول مجاهراً، قال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وأما عند القسمة فأشح قوم وهو قوله ﴿أشحة على الخير﴾ بخلاء بالغنيمة يشاحون^(١٢) المؤمنين عند القسمة، ثم أخبر أنهم غير

(١) - ساقط من هـ

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - ساقط من ب، ج، هـ

(٢) - ساقط من أ، د

(٦) - في هـ لآلتهم

(٣) - ساقط من د، هـ

(٧) رواه ابن جرير في تفسيره ٨٩/٢١٥ وابن أبي حاتم عن قتادة الدر المنثور ٥٨١/٦ ط دار الفكر

(٩) - ساقط من جـ

(٨) - ساقط من ب

(١٠) - الذرية الحدة والفحش في الكلام. الصحاح باب الذال فصل الباء والنص في معاني القرآن للفراء ٣٣٩/٢

(١٢) - في هـ يتشاحون

(١١) - ساقط من هـ

مؤمنين فقال : ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي هم أظهروا الإيمان [فقد] ^(١) نافقوا ليسوا بمؤمنين ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ قال مقاتل: أبطل الله جهادهم لأنه لم يكن في إيمان ﴿وكان ذلك﴾ الإحباط ﴿على الله يسيراً﴾ ثم أخبر بما دل على جنهم فقال:

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۚ

﴿يحبسون الأحزاب لم يذهبوا﴾ يحسب المنافقون أن الأحزاب معسكرون ^(٢) مقيمون من الخوف الذي نزل بهم يحسبون أنهم لم يذهبوا إلى مكة ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ يرجعون إليهم للقتال ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ يتمنوا لو كان في بادية الأعراب خارجون إليهم من الرهبة والبادون خلاف الحاضرين يقال بدأ [يبدو بداوة] ^(٣) وبدأوة إذا خرج إلى البادية ﴿يسألون عن أنباءكم﴾ أي ودوا لو أنهم بالبعد ^(٤) منكم يسألون عن أخباركم يقولون: ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ قال الكلبي: إلا رمياً بالحجارة وقال مقاتل: إلا رياء من غير احتساب ثم عاب من كان ^(٥) بالمدينة بقوله:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۚ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ قال المفسرون: قدوة صالحة ويقال لي في فلان ^(٦) أسوة حسنة. يقول: لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في تصرفه والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه ^(٨) فواسكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعل هو وقوله: ﴿لمن كان يرجوا الله﴾ بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين [يعني أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله] ^(٩) [واليوم الآخر] ^(١٠) قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم، وقال مقاتل: يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله ﴿واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [أي ذكراً كثيراً] ^(١١) وذلك إن ذاك الله متبع ^(١٢) لأمره بخلاف الغافل عن ذكره، ثم وصف [حال] ^(١٣) المؤمنين عند لقاء الأحزاب بقوله ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ وذلك أن الله تعالى كان قد وعدهم في سورة البقرة بقوله ﴿أم

(١) - ساقط من د

(٢) - الصواب معسكرين مقيمين على أنها مفعول ثاني لحسب

(٦) - في أ: بفلان

(٧) - في هـ: كان لم يكن برسول الله . . الخ

(٣) - ساقط من جميع النسخ عدا ب، هـ

(٨) - هذه العبارة جاءت في هـ مكررة بعد قوله من الثواب والنعيم

(٤) - في هـ: البعد

(٩) - ساقط من ج، د، هـ

(٥) - في هـ: من يخلف بالمدينة

(١٠) - حديث قتل عمه وكسر رباعيته وشج حاجبه رواه البخاري في كتاب المغازي باب قتل حمزة، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم

أحد ١٢٨/٥ ط الشعب ورباعية الإنسان: السن التي بين الثنية والثاب الصحاح للجوهري باب العين فصل الدال.

(١١) - ساقط من هـ

(١٣) - ساقط من هـ

(١٢) - في د كان متبع وليس لها موضع

حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾^(١) ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم فلما رأى المؤمنون الأحزاب وما أصابهم من الشدة والبلاء ﴿قالوا هذا ما وعد الله ورسوله ﴿وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً﴾ تصديقاً بوعده الله ﴿وتسليماً﴾ لأمره قوله:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يعني ليلة العقبة حين عاهدوا على الإسلام فأقاموا [عليه]^(٢) بخلاف من كذب في عهده وخان وهم المنافقون ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب، قال محمد بن إسحاق: فرغ من عمله ورجع إلى الله يعني من استشهد يوم أحد، وقال الحسن: قضى أجله على الوفاء والصدق، قال ابن قتيبة: قضى نحبه أي قتل وأصل النحب النذر كان قوم نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حين يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فليل فلان قد قضى نحبه إذا قتل^(٣) أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا الحاطب بن أحمد نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، نا حميد عن أنس أن عمه^(٤) غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ مع المشركين لئن أراني الله قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقبه سعد دون أحد فقال: أنا معك قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر رواه البخاري^(٥) عن محمد^(٦) بن سعد الخزاعي عن عبد الأعلى عن حميد، قال المفسرون هذا في حمزة وأصحابه الذين قتلوا بأحد قال ابن عباس: فمن قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر وأصحابه وقال محمد بن إسحاق فمنهم من قضى نحبه قال من استشهد يوم بدر ويوم أحد^(٧) ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ما وعد الله من نصره أو شهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ وما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أي صدق المؤمنون^(٨) في عهودهم ليجزيهم^(٩) بصدقهم ﴿ويعذب المنافقين﴾ بنفس العهد ﴿إن

(١) - البقرة: ٢١٤

(٢) ساقط من أ، ب. وهذا الوفاء بالعهد يشمل الذين بايعوا ليلة العقبة كما يشمل أيضاً الذين لم يبايعوا من المهاجرين والأنصار وينطبق على كل من صدق في الوفاء بالعهد والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

(٣) - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٩

(٤) - عم أنس: أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي انظر: أسد الغابة ١/١٦٢ ط الشعب.

(٥) - رواه البخاري في كتاب المغازي ٥/١٢٢ ط الشعب باختلاف سير، ومسلم في كتاب الإمامة. باب بيوت الجنة للشهيد ٣/١٥٠٩ ط

الحلبي

(٦) - محمد بن سعد بن الوليد الخزاعي أبو عمرو سنة ٢٣٠ تهذيب التهذيب ٩/١٩٠

(٧) - انظر تفسير ابن جرير ٢١/٩٢

(٨) - في هـ: المؤمنين

(٩) - في هـ: ليجزي الله

شاء ﴿ قال السدي: يميتهم على النفاق إن شاء فيوجب لهم العذاب فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين إمامتهم على النفاق إن شاء ثم يعذبهم ﴿ أو يتوب عليهم ﴾ فيغفر لهم ليس أنه يجوز أن لا يعذبهم إذا ماتوا على النفاق ﴿ إن الله كان غفوراً ﴾ لمن تاب ﴿ رحيماً ﴾ به، قوله:

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۚ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۚ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۚ

﴿ورد الله الذين كفروا﴾ أي صدهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين يعني الأحزاب ﴿بغيبظهم﴾ لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ردهم وفيهم غيبظهم على المسلمين ﴿لم ينالوا خيراً﴾ ما كانوا يريدون من الظفر والمال ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة التي أرسلت عليهم ﴿وكان الله قوياً﴾ في ملكه ﴿عزیزاً﴾ في قدرته، ثم ذكر ما فعل باليهود بني قريظة بقوله ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾^(١) أعانوا الأحزاب يعني قريظة، وذلك أنهم نقضوا [العهد]^(٢) وصاروا يداً واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ والمؤمنين فلما هزم الله المشركين بالريح والملائكة أمر رسول الله ﷺ بالمسير إلى قريظة فسار إليهم وحاصروهم عشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم^(٣) فذلك قوله ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم﴾ أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن خالد بن يحيى^(٤)، نا بشر بن شعيب عن أبيه^(٥) عن الزهري، أنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللامة^(٦) واغتسل واستجمر تبدي له جبريل فقال عُديرك^(٧) من محارب ألا أراك قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فرعاً فعزم على الناس أن يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة فليس الناس السلاح [فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا]^(٨) نصلي حتى تأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا إثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حتى جاؤا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين^(٩) وقوله: ﴿من صياصيبهم﴾ قال ابن عباس وقتادة ومقاتل: من حصونهم ﴿وقذف في قلوبهم﴾

(١) - في هـ: ظاهروهم من أهل الكتاب

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - روى ذلك البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب وفي سيرة ابن هشام ٢٣٩/٢ ط الحلبي وتفسير ابن جرير

٩٣/٢١

(٤) - فيما عدا ب: خلى

(٥) - شعيب بن أحمد بن أبي حمزة دينار الأموي أبو بشير الحمصي ت سنة ١٦٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢٢١/١ شذرات الذهب ٢٥٧/١ طبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٦) - في هـ: السلامة. واللامة: الدرع يتقي به المحارب ضربات السيوف للسان لام.

(٧) - فيما عدا ب: عديرك

(٨) - ساقط من هـ

(٩) - رواه البخاري في كتاب المغازي غزوة الخندق ١٤٣/٥ ط الشعب ومسلم في كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد ١٣٨٨/٣ =

الرعب ﴿ ألقى في قلوبهم الخوف ﴾ ﴿ فريقاً تقتلون ﴾ يعني المقاتلة ﴿ وتأسرون فريقاً ﴾ يعني الذراري ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم [وأموالهم] ﴾ ^(١) يعني عقارهم ونخلهم ومنازلهم وأموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء ﴿ وأرضاً لم تطؤوها ﴾ بأقدامكم بعد وهي مما سيفتحها الله عليكم يعني خيبر ^(٢) فتحها الله عليكم بعد بني قريظة، وقال قتادة: هي مكة وقال الحسن: هي فارس والروم، وقال عكرمة هي كل أرض يظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شيء عديماً ﴾ من القرى أن يفتحها ^(٣) على المسلمين ﴿ قديراً ﴾ .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۚ ۲٨ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۚ ۲٩

قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنك وأسرحنك سراحاً جميلاً ﴾ قال المفسرون إن أزواج النبي ﷺ سألته شيئاً من أعراض ^(٤) الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيره بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن ^(٥) شهراً وأنزل آية التخيير وهي قوله تعالى قل لأزواجك وكن يومئذ تسعاً عائشة رضي الله عنها وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وهؤلاء من قريش وصفية الخيرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الطوسي، أنا محمد بن ^(٦) محمد بن إسحاق الحافظ، أنا محمد بن معاذ الهمداني، نا ابن حميد، نا جرير عن اشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ جالساً مع حفصة ^(٧) فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً قالت نعم قال لها فأبوك إذا فأرسل إلى عمر ^(٨) فلما أن دخل عليها قال لها تكلمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً فرجع عمر يده فوجأ وجهها ثم رجع يده فوجأ وجهها ^(٩) فقال له النبي ﷺ: كف فقال عمر يا عدوة الله النبي ^(١٠) لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتين فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتعدى ويتعشى فيها فأنزل الله عز وجل عليه قوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله لطيفاً خبيراً ﴾ فنزل النبي ﷺ فعرضها عليهن كلهن فقلن نختر الله ورسوله وكان آخر من عرض [عليها] ^(١١) حفصة فقالت يا رسول الله مكان العائد بك من النار والله لا أعود إلى شيء تكرهه أبداً

= بالفاظ متقاربة والنص في مجمع الزوائد كتاب المغازي غزوة الخندق وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة ١٤٠/٦ .

- (١) - ساقط من هـ
(٢) - خيبر: مدينة اليهود التي غزاها النبي ﷺ - على بعد أميال من المدينة. معجم البلدان ٤٠٩/٢ (٤) - فيما عدا هـ: اعراض
(٥) - ايلاء الرسول ﷺ من أزواجه في البخاري كتاب التفسير سورة التحريم ١٩٦/٦ ومسلم في كتاب الطلاق باب الايلاء واعتزال النساء ١١١/٢
(٦) - محمد بن محمد بن إسحاق النيسابوري الحافظ أبو أحمد ت سنة ٣٧٨ هـ عن ثلاث وتسعين سنة تذكرة الحفاظ ٩٧٦/٣، طبقات الحفاظ ص ٣٨٨ تقريب التهذيب ٢٣٣/١ وفي النسخة هـ: محمد بن إسحاق الحافظ
(٧) - حفصة بنت عمر بن الخطاب ت سنة ٤٥ هـ الإصابة ٢٧٤/٤ ط أولى
(٨) - في هـ فكما
(٩) - الوجاء: الضرب والمعنى ضرب وجهها بيده اللسان: وجاء
(١٠) - في هـ: هل النبي
(١١) - ساقط عن هـ

بل اختار الله ورسوله فرضي عنها^(١) وقوله ﴿فتعالين أمتعن﴾ يعني متعة الطلاق وقد ذكرناها في سورة البقرة ﴿وأسرحكن﴾ يعني الطلاق ﴿سراحاً جميلاً﴾ من غير ضرار قال الحسن وقتادة: أمر الله رسوله أن يخير أزواجه بين الدنيا والآخرة والجنة والنار فأنزل الله قوله ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا والآية﴾ وقوله ﴿إن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن﴾ يعني اللاتي آثرن الآخرة ﴿أجراً عظيماً﴾ يعني الجنة فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم فعل سائر أزواجه مثل ما فعلت هي وقلن ما لنا وللدنيا إنما خلقت الدنيا دار فناء والآخرة الباقية والباقية أحب إلينا من الفانية أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الشيرازي، نا محمد بن عبد الله بن محمد بن حميدويه الهروي، أنا علي بن محمد الخزاعي، نا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري أنا أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت: فبدأ بي فقال: إني ذاك لك أمراً ولا عليك أن لا تستعجلي^(٢) حتى تستأمري أبويك قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، ثم قال: إن الله عز وجل قال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين﴾ إلى تمام الآيتين فقلت أي^(٣) هاتين استأمر أبوي فإني اخترت الله ورسوله والدار الآخرة^(٤) رواه البخاري عن أبي اليمان ورواه مسلم عن حرملة بن وهب عن يونس عن الزهري قال المفسرون فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقصر رسوله عليهن وأنزل عليه (لا يحل لك النساء من بعد... الآية)^(٥) ورفع منزلتهن على سائر النسوة بالتمييز عنهم في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة وهو قوله:

يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَاْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ وَمَنْ يَفْتِنْتِ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلَ صٰلِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١

﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، والمعنى زيد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ وإنما ضوعف عذابهن على الفاحشة لانهن يشاهدن من الزاجر ما يردع عن مواقع الذنوب ما لا يشاهد غيرهن فإذا لم يمتنع استحققن تضعيف العذاب وقوله ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ قال مقاتل: كان عذابها هيناً على الله ﴿ومن يفتنت منكن لله ورسوله﴾ يطع الله ورسوله ﴿وتعمل صالحاً﴾ وقرأ حمزة^(٦) بالياء حمل على المعنى وترك لفظه من ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال مقاتل: مكان كل حسنة ثبتت عشرون حسنة ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ حسناً وهو الجنة^(٧) ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء بقوله:

(١) - من سند هذا الحديث نستطيع أن نحكم عليه بأنه حديث ضعيف وذلك لضعف ابن حميد أحد رواة

(٢) - في هـ: أن تستعجلي

(٣) - في هـ: أن هذا

(٤) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الأحزاب ١٤٦/٦، وفي كتاب الطلاق باب من خير نساءه ٥٥/٧ ط الشعب باختلاف سير،

ومسلم في كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ١١٠٣/٢ ط الحلبي.

(٥) - انظر تفسير ابن جرير ١٠٠/٢١

(٦) - قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء السبعة (ص ٥٢١) وفي النسخة هـ قرأ حمزة بالياء

(٧) - فيما عدا هـ: وهو في الجنة

يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ ۳٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۚ ۳٣ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۚ ۳٤

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ قال الزجاج: لم يقل كواحدة نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وأنا بكن أرحم وثوابكن أعظم ﴿إن اتقيتن﴾ الله وشرط عليهن بالتقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ لا ترفقن بالقول ولا تلن الكلام^(١) ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ زنا وفجور، والمعنى لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى الطمع في موافقتك به^(٢)، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي ما يوجه الدين والإسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح وبيان ﴿وقرن في بيوتكن﴾ يقال: وقر يقر وقاراً إذا سكن والأمر منه قر وللنساء قرن مثل عدن وزن وقرأ عاصم بفتح القاف^(٣) وهو من قررت في المكان أقر كان الأصل أقرت ثم حذفت العين لثقل التضعيف وألقت حركتها على القاف كقوله ﴿فظلمت﴾^(٤)، قال أبو عبيدة: كان أشياخنا من أهل العربية يذكرون القراءة بالفتح وذلك لأن قررت في المكان أقر لا يجوزه كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر^(٥) ومعناه: الأشرف لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن وهو قوله ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ التبرج أن تبدي المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره مما يستدعي به شهوة الرجل وأراد بالجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والأولى المتقدمة وذلك أن أهل الجاهلية الأولى تقدموا أمة محمد ﷺ قال قتادة كانت لنساء الجاهلية^(٦) الأولى مشية تكسر وتغتنج فنهى هؤلاء عن ذلك وأمرن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في باقي الآية إلى قوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت]﴾^(٧) ليذهب عنكم الرجس قال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال مقاتل: يعني الإثم الذي يحصل مما نهاهن الله عنه وأمرهن بتركه، معنى الرجس السوء وما يوجب العقوبة والمراد بأهل البيت هاهنا نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو قول الكلبي ومقاتل وعكرمة وسعيد بن جبیر عن ابن عباس أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا الحسن^(٨) بن علي بن عفان، نا أبو يحيى الحماني عن صالح بن موسى القرشي عن خصيف عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال أنزلت

(٣) - انظر السبعة ص ٥٢١

(٤) - الواقعة: ٦٥

(١) - في أ، ب بالقول ولا تلن بالكلام

(٢) - في هـ: موافقن

(٥) - ليست في مجاز القرآن وما في المجاز: القاف مكسورة لأنها من وقرت تقر تقديره وزنت تزن ومعناه من الوقار ومن فتح فإن مجازها من (قرت تقر) تقديره قررت تقر فحذف الراء الثانية فخففها وقد تفعل العرب ذلك.

(٦) - في هـ: أهل الجاهلية انظر تفسير ابن جرير ٤/٢٢

(٧) - ساقط من هـ

(٨) - الحسن بن علي بن عفان العامري أبو محمد الكوفي ت سنة ٢٧٠ انظر تهذيب التهذيب ٣٠١/٢

هذه الآية في نساء النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أخبرنا أبو حليم عقيل بن محمد الجرجاني فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً أخبرنا المعافي^(١) بن زكريا القاضي، أنا محمد بن جرير، نا بن حميد، نا يحيى^(٢) بن واضح، نا الأصمغ بن^(٣) علقمة عن عكرمة في قوله ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال ليس الذي تذهبون إليه إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق^(٤) وهؤلاء الذين قالوا هذا القول احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر وهو قوله ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وكلاهما خطاب لأزواج النبي ﷺ وإنما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لأن رسول الله ﷺ كان فيهن فقلب للمذكر وقال آخرون: هذا خاص في النبي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين^(٥) وهو قول أبي سعيد الخدري أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ [أنا عبد الله بن محمد الحافظ]^(٦)، نا أحمد بن أبي عاصم، نا أبو الربيع الزهراني، نا عمار^(٧) بن محمد [الثوري]^(٨) عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال نزلت في خمسة في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين^(٩) ثم وعظهن ليتفكرن وامتن عليهن بقوله ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قال مقاتل: يعني أمره ونهيه في القرآن وقال قتادة: يعني القرآن والسنة^(١٠) وهذا حث لهن على حفظ القرآن والإخبار ومذاكرتهن بهما للإحاطة بحدود الشريعة والخطاب وإن اختص بهن فغيرهن داخل منه لأن مبنى الشريعة على هذين القرآن والسنة وبهما يؤقت على حدود الله ومفترضاته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥

قوله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية قال قتادة لما ذكر الله أزواج النبي ﷺ دخل نساء [من]^(١١)

(١) - المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد أبو الفرج النهرواني ت سنة ٣٩٠ هـ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٠

(٢) - يحيى بن واضح أبو سليمة الأنصاري تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣

(٣) - الأصمغ بن علقمة بن علي الحنظلي المروزي الجرح والتعديل ٣٢٠١ القسم الأول

(٤) - روى هذا الخبر ابن جرير عن عكرمة ٧/٢٢ وابن أبي حاتم وابن عساکر من طريق عكرمة عن ابن عباس الدر المنثور ٦/٦٠٢

والراجح أن المراد بأهل البيت رسول الله ﷺ وفاطمة والحسن والحسين لما سيأتي بعد ذلك في صحيح مسلم.

(٥) - الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي استشهد سنة ٦١ هـ انظر أسد الغابة ٢/١٨ تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥.

(٦) - ساقط من هـ

(٧) - عمار بن محمد الثوري أبو اليقظان الكوفي ت سنة ١٨٢ هـ تهذيب التهذيب ٧/٤٠٥

(٨) - ساقط من أ، جـ

(٩) - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ - ٤/١٨٨٨٣ ط الحلبي

(١٠) - فيما عدا هـ: وهذا حتهن.

(١١) - ساقط من جـ

المسلمات عليهن فقلن ذكرتن ولم نذكر فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء^(١) بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت^(٢) هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ يعني المخلصين والمخلصات ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ والمصدقين بالتوحيد والمصدقات ﴿والقانتين والقانتات﴾ المطيعين لله فيما أمر ونهى والمطيعات ﴿والصادقين والصادقات﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم ﴿والصابرين﴾ على أمر الله ﴿والصابرات﴾ ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ في الصلاة ﴿والمصدقين والمتصدقات﴾ بالأموال ومما رزقهم الله من الأموال والثمار والمواشي ﴿والصائمين والصائمات﴾ لله [بنية]^(٣) صادقة ويكون فطرهم من حلال ﴿والحافظين فروعهم والحافظات﴾ عما لا يحل لهم ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ قال ابن عباس يريد في أدبار الصلوات (وغدوا وعشياً وفي المضاجع) وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله وقال مجاهد: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسين بن علي التاجر، أنا أبو يعقوب يوسف^(٤) بن أحمد الصيدلاني بمكة، نا عبد الرحمن بن عبد الله المقرئ، نا عبد الله بن أبي المودة^(٥)، نا جعفر بن عون، نا مسعر بن كلام عن علي بن الأقرم^(٦) عن الأغر^(٧) عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا أيقظ الرجل أهله فتوضياً وصلياً كتبنا من الذاكرين الله كثيراً (والذاكرات)^(٨) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أنا القاسم بن غانم بن حمدية الأشقر، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا أبو أيوب سليمان بن النعمان، نا الحسين بن علوان الكوفي بن حنظلة التيمي عن الضحاك^(٩) بن مزاحم عن ابن عباس جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنه فعلم وملاء ما علم فإنه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل من ذكر الليل والنهار وكان له غرساً في الجنة وتحاتت عنه خطايا كما يتحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله إليه ومن ينظر الله إليه لم يعذبه قوله ﴿أعد الله لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجرأ عظيماً﴾ هو الجنة وقوله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية نزلت في عبد الله^(١٠) بن جحش وأخته زينب وكانا ابني عمه النبي ﷺ خطب النبي ﷺ زينب لزيد^(١١) بن حارثة مولاه وهي تظن أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد

(١) - أسماء بنت عميس بن معد بن حبيب أخت ميمونة بنت الحارث لأنها انظر الاصابة في تمييز الصحابة في ٢٣١/٤ ط أولى .

(٢) - رواه أحمد بن حنبل في المسند عن أم سلمة ٣٣٥/٦ وهي التي سألت رسول الله ﷺ

(٣) - ساقط من هـ

(٤) - في هـ ابن يوسف

(٥) - في هـ: بن أبي المودة الأنباري

(٦) - علي بن الأقرم بن الحارث بن معاوية بن عمرو بن الحارث الهمداني تهذيب التهذيب ٢٨٣/٧ .

(٧) - الأغر: سلمان الأغر أبو عبد الله المدني تهذيب التهذيب ١٣٩/٤

(٨) - رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل حديث ١٣٣/٥ ، ٤٢٣/١

حسين بن علوان: سئل بن يحيى بن معين فقال كان كذاباً وجرحه ابن حبان ٢٤٤/١

(٩) - في هـ: مجازم وهو تصحيف وتركه النسائي وأبو حاتم والدارقطني انظر الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي ٢٥١/١ .

ومن سند حديث جبريل هذا ترى بأنه حديث ضعيف

(١٠) - عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر ابن عمه النبي ﷺ استشهد يوم أحد أسد الغابة ١٩٤/٣ .

(١١) - رواه ابن جرير ٩/٢٢ والهيشمي في مجمع الزوائد وقال رواه الطبراني باسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح مجمع الزوائد كتاب =

كرهت ذلك وأخوها فلما نزلت الآية رضى مسلماً فزوجها رسول الله ﷺ من زيد وقوله:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني عبد الله ﴿ولا مؤمنة﴾ يعني أخته ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ حكماً به ﴿أن يكون لهم﴾ جمع الكناية لأن المراد بقوله المؤمنة كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا، والخيرة الاختيار، أعلم الله أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله، فلما زوجها رسول الله ﷺ من زيد مكثت عنده حيناً ثم إن النبي - ﷺ أتى زيداً فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش ف وقعت في قلبه فقال: سبحان مقلب القلوب، و فطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبراً تؤذي بلسانها فقال أمسك عليك زوجك واتق الله فأنزل الله ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ (١) أي بالهداية والإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بأن أعتقته من الرق وكان زيد من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ بعكاظ (٢) في الجاهلية وأعتقه (٣) وتبناه ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ في أمرها فلا تطلقها ﴿وتخفي في نفسك﴾ سراً وتضمري في قلبك من إرادة تزوجها ﴿ما الله مبديه﴾ مظهره لأصحابك والمعنى: أن النبي ﷺ كتم حبها وأراد تزوجها وأمر زيداً بإمسакها وفي قلبه خلاف ذلك فأظهر الله عليه ما أخفاه بأن قضى طلاقها وزوجها منه وأنزل في ذلك القرآن ولهذا قال ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المطوعي أنا محمد بن بشر بن العباس المصري، أنا محمد بن إدريس الشامي نا سويد بن سعيد، نا علي بن مسهر عن داود (٤) عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية (٥).

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِيَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزُوجِ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك﴾ إلى آخر الآية رواه مسلم عن محمد بن

- = التفسير سورة الأحزاب ٩١/٧ - زيد هو زيد بن شراحيل الكلبي أبو أسامة استشهد يوم مؤتة سنة ٨ هـ تهذيب التهذيب ٤٠٢/٣ .
- (١) - أفردت هذه النقطة بدراسة مستقلة ولكن أورد هنا ما قاله ابن كثير - ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ها هنا أثراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها تفسير ابن كثير ٤٢٠/٦ ط الشعب
- (٢) - عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانت قبائل العرب تجتمع فيه في شوال من كل سنة وهو بين نخلة والطائف وذي المجاز وخلف جبل عرفة معجم البلدان ١٤٢/٤ ط دار صادر
- (٣) - الصحيح أن الذي اشتراه حكيم بن حزام ثم اشتريته خديجة من سوق عكاظ فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمانين سنوات أسد الغابة ترجمة زيد بن حارثة ٢٨١/٢ ط الشعب .
- (٤) - داود بن عبد الله الأزدي الزعافري أبو العلاء الكوفي تهذيب التهذيب ١٩١/٣
- (٥) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء ١٥٢/٩ ط الشعب عن الحسن عن الطبراني وقال رجال بعضها رجال الصحيح مجمع الزوائد ٩١/٧

المثنى عن عبد^(١) الوهاب عن داود وقوله ﴿وتخشى الناس﴾ تخاف لائمهم أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها وذلك أنه كان يريد أن يطلقها من حيث ميل القلب ولكنه خاف قالة الناس، وقال عطاء عن ابن عباس المراد بالناس في هذه الآية اليهود خشى أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه وقوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي هو أولى بأن تخشاه في كل الأحوال وجميع الأمور ليس أنه لم يخش الله في شيء من هذه القصة ولكنه لما ذكر خشيته من الناس ذكر خشية الله وأنه أحق بالخشية منهم وروى عن علي بن الحسين رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال كان الله عز وجل قد أعلم نبيه أن زينب تكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها وعلى هذا يجوز أن يكون النبي عليه السلام معاتباً على قوله ﴿أمسك عليك زوجك﴾ مع علمه بإنها ستكون زوجته وكتمانه ما أخبره الله به ويكون قوله ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ أي في كتمان ما أخبرك وإنما كنتم النبي عليه السلام ذلك لأنه خشى أن يقول لزيد: زوجتك ستكون امرأتي وقوله ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ معنى قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما بالنفس من الشيء، يقال قضى وطراً منها إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها ومنه قول عمر بن^(٢) أبي ربيعة:

أيها الرابع المجد ابتكاراً قد قضى من تهامة الأوطار^(٣)

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه ثم صار عبارة عن الطلاق ولأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم تعد له فيها حاجة وروى ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشري أرسلني نبي الله عليه السلام - يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ - ودخل عليها بغير إذن لقوله تعالى^(٤) ﴿زوجناكها﴾ وهذا يدل على أن كل امرأة أراد رسول الله ﷺ نكاحها فهو مستغن عن الولي والشهود وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله عز وجل أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي أنا أبي، نا أبو أحمد^(٥) محمد بن عبد الوهاب، نا الحسن^(٦) بن الوليد عن عيسى^(٧) بن طهمان عن أنس بن مالك قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجني الله من السماء وأولم عليها ﷺ بخبز ولحم^(٨) رواه البخاري عن خلاد بن^(٩) يحيى عن عيسى بن طهمان. قال المفسرون: ذكر قضاء الوطر هاهنا بياناً أن امرأة المتبنى تحل وإن وطئها وهو قوله ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته

(١) - عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله أبو محمد البصري ولد سنة ١١٠ هـ وت سنة ١٩٤ هـ تهذيب التهذيب ٦/٤٥٠

(٢) - عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب ولد سنة ٢٣ هـ وت سنة ٩٣ هـ الأعلام ٥٢/٥ ط دار العلم، وفيات الأعيان ١/٣٥٣

(٣) - البيت في كتاب الكامل للمبرد قاله في أم عمر بنت مروان بن الحكم وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٣ قطعة ٣٧٩ - بشرح محمد محيي الدين

(٤) - رواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢/١٠٤٨ ط الحلبي.

(٥) - محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو أحمد الينسابوري ت سنة ٢٧٢ هـ تهذيب التهذيب ٩/٣٢٠.

(٦) - الحسين بن الوليد القرشي أبو علي الينسابوري ت سنة ٢٠٣ هـ تهذيب التهذيب ٢/٣٧٤

(٧) - عيسى بن طهمان بن رامة الجشمي أبو بكر البصري ت قبل الستين ومائة تهذيب التهذيب ٨/٢١٥

(٨) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ٩/١٥٢ ط دار الشعب بألفاظ متقاربة

(٩) - خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ تهذيب التهذيب ٣/١٧٤

لكيلا يظن أن امرأة المتبني لا يحل نكاحها^(١) والأدعياء جمع الدعي وهو الذي يدعى ابناً من غير ولادة قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني كحرمة الابن فبين الله أن حلالل الأدعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن وهو قوله تعالى ﴿إِذَا قُضُوا مِنْهُمْ وَطَرًا﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم بنفس القصد، وقوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يعني قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً، ثم بين أنه لم يكن عليه حرج في هذا النكاح بقوله ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال المفسرون: أحل الله له أي لا حرج عليه فيما أحل الله له ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ سن الله لمحمد عليه السلام في التوسعة عليه في باب النكاح كسنته في الانبياء الماضين عليهم يعني داود النبي حين هوي المرأة التي فتن بها جمع الله بينه وبينها كذلك جمع بين زينب ومحمد عليه السلام وهذا قول ابن عباس ومجاهد والكلبي والمقاتلين ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا﴾ قضاءً مقضياً قال مقاتل: أخبر الله تعالى أن أمر زينب من حكم الله وقدره ثم ذكر الأنبياء الماضين عليهم السلام وأثنى عليهم فقال:

الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿الذين يلغون رسالات الله ويخشونه﴾ تحول خشيتهم من الله بينهم وبين المعصية ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ مجازياً^(٢) لمن يخشاه، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال الناس إن محمداً ﷺ تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني أنه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته قال المفسرون: لم يكن أباً أحد لم يلد له وقد ولد له ذكور إبراهيم والقاسم^(٣) والطيب والمطهر ﴿ولكن رسول الله﴾ ولكن كان رسول الله ﴿وخاتم النبيين﴾ آخرهم فلا نبي بعده، قال ابن عباس [يريد]^(٤) لو لم أختم به النبيين لجعلت له ولداً يكون بعد نبياً، وقرأ عاصم بفتح التاء^(٥)، قال أبو عبيدة الوجه الكسر لأن التأويل أنه ختمهم فهو خاتمهم ولأنه قال: «أنا خاتم النبيين»^(٦) لم نسمع أحداً يروي [إلا]^(٧) بكسر التاء ووجه الفتح أن معناه آخر النبيين خاتم الشيء آخره ومنه قوله خاتمته مسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به أخبرنا أبو عبد الله بن [أبي]^(٨) إسحاق أنا عبد الملك بن الحسن بن يوسف بن المفضل، أنا يوسف بن يعقوب القاضي، نا عمر بن مرزوق، أنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة فكل من دخل فنظر إليها قال: ما أحسبها إلا موضع هذه اللبنة قال رسول الله ﷺ فأنا

(١) - ساقط من هـ

(٢) - في د: مجازياً لمن لا يخشاه

(٣) - إبراهيم ابن النبي ﷺ ولد له من سرته مارية القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هـ وتوفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً أسد الغابة ١/٦٠ أما القاسم والطيب والمطهر أو الطاهر كما في أسد الغابة فقد أنجبتهم له السيدة خديجة - رضي الله عنها - قبل البعثة وكلهم ماتوا قبل الإسلام وبالقاسم كان يكنى رسول الله ﷺ . أسد الغابة ٧/٨١ سيرة ابن هشام ١(١٨٧)، الاستيعاب ٤/ ١٨١٩ .

(٤) - ساقط من جـ

(٥) - قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها السبعة ص ٥٢٢ والنشر ٢/٣٤٨ .

(٦) - رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين - ﷺ - ٤/٢٢٦ بلفظ ختم بي الأنبياء

(٧) - في هـ: يروي بكسر التاء

(٨) - ساقط من جـ، د، هـ

موضع اللبنة ختم بي^(١) الأنبياء رواه البخاري عن محمد^(٢) بن سنان، ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن عبد الرحمن بن مهدي^(٣) كلاهما عن سليم بن حيان.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبداً، وقال الكلبي: [ويقال] ^(٤) ذكراً كثيراً بالصلوات الخمس، وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال: وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والمحدث أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز^(٥)، أنا أبو عمر محمد بن أحمد الحيري، أنا علي بن المثنى، نا عمرو بن الحصين نا عبد الله بن عبد الملك القرشي، نا عبد^(٦) الله بن زيد بن جابر سمعت إسماعيل بن عبيد^(٧) الله مؤذن مسلمة بن عبد الملك يحدث عن كريمة^(٨) بنت الحسحاس قالت: حدثنا أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقول ربكم «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٩) وقوله ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ صلوا لله بالغدوة والعشي، قال الكلبي: أما بكرة فصلاة الفجر وأما أصيلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي يرحمكم ويغفر لكم ﴿وملائكته﴾ قال ابن عباس: يدعون لكم، وقال المقاتلان: ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ﴿ويخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من الشرك والكفر إلى الإيمان يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ قال الكلبي: تجيبهم الملائكة على أبواب الجنة بالسلام فإذا دخلوها حيا بعضهم بعضاً بالسلام وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام، وقال مقاتل تسلم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب عز وجل [وروي]^(١٠) عن البراء بن عازب^(١١) أنه قال يوم يلقون ملك الموت لا

(١) - رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ ٢٢٦/٤ بألفاظ متقاربة ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ١٧٩/٤ باختلاف يسير.

(٢) - محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البصري ت سنة ٢٢٢ هـ تهذيب التهذيب ٢٠٥/٩

(٣) - عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦.

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - في هـ: في هـ: البزاز

(٦) - في هـ: عبد الرحمن بن يزيد

(٧) - إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر أقرم المخزومي مولاهم دمشقي ولد سنة ٦١ هـ وت سنة ١٣٢ هـ انظر تهذيب التهذيب ٣١٨/١ وهو في النسخة المطبوعة (بن عبد الله).

(٨) - كريمة بنت الحسحاس المزنية قال عنها ابن حجر قالت: ثنا أبو هريرة ونحن في بيت أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» قلت علق البخاري حديثها هذا عن أبي هريرة في كتاب التوحيد وهو أحد الأحاديث المرفوعة التي لم يوصلها في الجامع تهذيب التهذيب ٤٤٨/١٢.

(٩) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى لا تحرك به لسانك ١٨١/٩ (١٠) - ساقط من هـ

(١١) - البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي الأنصاري أبو عمر مات أيام مصعب بن الزبير انظر أسد الغابة ٢٠٦/١ ط الشعب.

يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه والمعنى على هذا: تحية المؤمنين ملك الموت يوم يلقونه أن تسلم عليهم وسبق ذكر ملك الموت [في ذكر الملائكة] ^(١) ﴿وَأَعَد لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ رزقاً حسناً في الجنة.

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۚ ﴿٤٦﴾ وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۚ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ ﴿٤٨﴾

قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ ^(٢) على أمتك وجميع الأمم بتبليغ الرسالة ﴿ومبشراً﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿ونذيراً﴾ ومنذراً بالنار لمن كذبك ﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى توحيده وطاعته ﴿بإذنه﴾ قال مقاتل بأمره يعني أنه أمرك بهذا لا أنك ^(٣) تفعله من قبلك قوله ﴿وسراجاً منيراً﴾ أي لمن اتبعك واهتدى بك كالسراج في الظلمة يستضاء به ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ قال مقاتل: يعني الجنة ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ ذكرنا تفسيره في أول السورة ﴿ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم، قال الزجاج: تأويله لا تجازهم عليه إلا أن تؤمر فيهم بأمر وهذا منسوخ بأية السيف ﴿وتوكل على الله﴾ في كفاية شرهم وأذاهم ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ كفى به إذا وكلت إليه الأمر، قوله:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۚ ﴿٤٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين، أنا جدي محمد بن الحسين، أنا عبد الله بن محمد النصر آبادي نا عبد الرحمن بن بشر، نا علي بن الحسين بن واقد نا أبي ^(٤)، نا يزيد ^(٥) النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود وإن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن. وروى طاووس عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية ثم قال: لا يكون طلاق حتى يكون نكاح، وقال سماك بن ^(٦) الفضل: إنما النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد قال معمر فصار بهذه الكلمة قاضياً على صنعاء ^(٧) ﴿من قبل أن تمسوهن﴾ أي تجامعوهن ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ أسقط الله العدة عن المطلقة قبل الدخول لبراءة رحمها، قال مقاتل إن

(١) - ساقط من هـ

(٢) - في هـ شاهداً ومبشراً وهي مكررة.

(٣) - في هـ لانك.

(٤) - الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله ت سنة ١٥٩ هـ تهذيب التهذيب ٢/٢٧٣

(٥) - يزيد بن أبي حبيب الأزدي أبو رجاء المصري ت سنة ١٢٨ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٢٩ تهذيب التهذيب ١١/٣١٨، طبقات

الحفاظ ص ٥٢.

(٦) - سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني تهذيب التهذيب ٤/٣٣٥ الجرح والتعديل ٢/٢٨٠

(٧) - فيما عدا هـ: بصنعاء.

شئت تزوجت من يومها، وقوله ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ أي تحصون عليها العدة بالأقراء أو الأشهر ﴿فتمتعوهن﴾ قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمي لها صداقاً فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه والمطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر فإذا لم يفرض لها صداقاً فإنها تستحق المتعة واجبة لها على قول أكثر الناس ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ من غير ضرار، قوله:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلْنِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾
 ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُتَوَى إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ أَبْنَعِيَّتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع الأنكحة التي أحلها للنبي ﷺ فقال ﴿أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي مهورهن يعني اللاتي يتزوجن بصداق ﴿وما ملكت يمينك﴾ يعني الجواري التي يملكها ﴿مما أفاء الله عليك﴾ رده عليك من الكفار بأن تسيبه فتملكه ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ يعني نساء قريش ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ فتملكهن يعني نساء بني زهره^(١) ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ أي وأحللنا لك امرأة ﴿مؤمنة﴾^(٢) مصدقة بتوحيد الله وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة لا تحل إن وهبت منه نفسها ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ إن أثار النبي نكاحها وأراد ذلك ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ خاصة لك دون غيرك، قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال، وهذا من خصائصه في النكاح وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه^(٣) وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود، ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ يقول ما أوجبنا عليهم أن لا يتزوجوا أكثر من أربع بمهر وولي وشهود فلا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ ممن يجوز سببه وحره فأما من كان له عهد فلا وقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ ضيق في أمر النكاح ومنع من شيء تريده وهذا فيه تقديم لأن

(١) - بنو زهرة: هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن من قريش نسب قريش ص ٢٥٧ عجلة المتبدي ص ٦٩

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - الأم للشافعي ٣٣/٥ ط الشعب.

المعنى خالصة لك من دون المؤمنين لكيلا يكون عليك حرج أي أحللنا لك ما ذكرنا ليرتفع عنك الحرج ﴿وكان الله غفوراً﴾ للنبي في التزوج بغير مهر ﴿رحيماً﴾ به في تحليل ذلك له .

قوله: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ نزلت في إباحة النبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تخصيصاً له وتفضيلاً له أباح له أن يجعل لمن أحب منهن يوماً أو أكثر ويعطل من شاء منهن فلا يأتيها فقولته ترجي من تشاء منهن أي تؤخر ثوبه من تشاء من نسائك من غير طلاق وتتركها فلا تأتيها ﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ تضمها إليك فتأتيها وكان القسم والتسوية واجباً عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا جدي، أنا محمد بن إسحاق، نا قتيبة، نا جرير عن منصور^(١) عن أبي رزين قال: فكان ممن أوى عائشة وأم سلمة^(٢) وزينب وحفصة رضي الله عنهن وكان قسمه من نفسه سواء بينهن وكان ممن أرجى سودة^(٣) وجويرية^(٤) وصفية^(٥) وأم حبيبة^(٦) وميمونة^(٧) وكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا نكون على حالنا^(٨) وقوله ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها إليك فلا لوم ولا عتب ﴿ذلك أدنى أن تفر أعينهن﴾ ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذ كان منزلاً من الله عليك ﴿ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ بما أعطيتهن من تقريب وإرجاء وإيواء، قال قتادة: إذا علمن إن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن أي إنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت منهن ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حليماً﴾ عن عقابهم^(٩) قوله ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قال مجاهد: لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ﴿ولا أن تبدل بهن﴾ يقول: لا تبدل^(١٠) الكتابيات بالمسلمات يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يعني ما ملكت يمينه من الكتابيات حل له أن يتسراهن، وقال معمر والشعبي: لما خيرهن النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك فقصره عليهن وأنزل هذه الآية، وعلى هذا القول معناه: لا يحل لك من النساء سوى هؤلاء اللاتي اخترنا لك وليس لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج بدلها قال الزهري: قبض النبي ﷺ وما نعلمه يتزوج النساء، وقالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء^(١١)، وقوله ﴿ولو أعجبتك﴾

(١) - منصور بن زاذان الواسطي أبو المغيرة الثقفي ت سنة ١٢٨ هـ تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٠ طبقات الحفاظ ص ٥٨ .

(٢) - أم سلمة: هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ت سنة ٥٩ هـ الاصابة ٤/ ٤٢٣ ط أولى .

(٣) - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية ت سنة ٥٤ هـ الاصابة ٤/ ٣٣٨

(٤) - جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة ت سنة ٥٦ هـ الاصابة ٤/ ٢٦٥

(٥) - صفية بنت حيي بن أخطب من ذرية هارون أم المؤمنين ت سنة ٥٠ هـ الاصابة ٤/ ٣٤٧

(٦) - أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأموية أم المؤمنين ت سنة ٤٤ هـ الاصابة ٤/ ٣٠٥ ط أولى

(٧) - ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين ت سنة ٥١ هـ الاصابة ٤/ ٤١١

(٨) - ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/ ١٨

(٩) - في هـ عقابهن .

(١٠) - في هـ لا تبدل

(١١) رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الأحزاب حديث رقم ٣٢٦٩ والشافعي في الأم وله رأي في قول عائشة ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء قال: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه في قول الله تبارك وتعالى: (لا يحل لك النساء من بعد... الآية) ثم قال وأحسب قول عائشة أحل له النساء لقول الله تبارك وتعالى: (إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله خالصة لك من دون المؤمنين) فذكر الله عز وجل ما أحل له فذكر أزواجه اللاتي أتى أجورهن وذكر بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها =

حسنهن ﴿ أي إن أعجبك جمالهن فليس لك أن تطلق من نسائك وتنكح بدلها امرأة أعجبت بجمالها ﴾ إلا ما ملكت يمينك ﴿ يعني الولائد، قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية^(١) ﴾ وكان الله على كل شيء ﴿ من أعمال العباد ﴾ رقيباً ﴿ حافظاً .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣١﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرُّكَ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٢﴾

قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي أنا الحسين بن علي بن محمد الدارمي أنا محمد بن المسيب^(٢) ، نا الحسين بن سيار الحراني ، نا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان قال عن ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بالحجاب لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش فدعا الناس لطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رجال بعدما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومشينا معه حتى بلغ باب حجرة عائشة رضي الله عنها ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس في مكانهم فأنزل الله آية الحجاب^(٣) رواه مسلم عن عمرو الناقد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه وقوله ﴿ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام ﴾ أي يدعو إليه ﴿ غير ناظرين ﴾ منتظرين ﴿ إنا ﴾ نضجه وادراكه يقال أنا يأتي إناءً إذا حان وقت إدراكه وكانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام فنهوا من ذلك وقوله ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ أي بعد أن تأكلوا كانوا يجلسون أيضاً بعد الطعام يتحدثون طويلاً وكان يؤذيه ذلك ويستحي أي وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا فذلك قوله ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ﴾ قال الزجاج: كان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرمًا منه ويصبر على الأذى في ذلك فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدبا لهم ولمن بعدهم وقوله

= للنبي قال: فدل ذلك على معنيين أحدهما أنه أحل له مع أزواجه من ليس له بزواج يوم أحل له وذلك أنه لم يكن عنده ﷺ من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خالاته امرأة وكان عنده عدد نسوة، وعلى أنه أباح له من العدد ما حظر على غيره. الأم للشافعي ١٢٥/٥ ط الشعب.

ساقط من هـ وفي د، هـ: عبد الله.

(١) - مارية القبطية: مولاة رسول الله ﷺ وسريته وأم ولده إبراهيم ت سنة ١٦ هـ وصلى عليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه انظر ابن سعد ١٥٣/٨. أسد الغابة ٢٦١/٧ في ج: الرازي

(٢) - في د، هـ سعيد وهو: محمد بن المسيب بن إسحاق بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله ت سنة ٣١٥ هـ عن اثنتين وتسعين سنة تذكرة الحفاظ ٧٨٩/٣، شذرات الذهب ٢٧١/٢ طبقات الحفاظ ص ٣٣١

(٣) - رواه البخاري في كتاب التفسير. سورة الأحزاب ١٤٩/٦ ورواه مسلم في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ١٠٤٨/٢.

﴿والله لا يستحي من الحق﴾ لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فأسألهن من وراء حجاب﴾ قال مقاتل أمر الله المؤمنين أن لا يكلموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد، نا عبد الرحيم بن منيب، نا يزيد بن هارون، نا حميد عن^(١) أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب^(٢) رواه البخاري^(٣) عن مسدد عن يحيى^(٤) عن حميد وقوله ﴿ذلكم﴾ أي سؤلكم إياهن من المتاع من وراء حجاب ﴿أظهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لو توفي^(٥) رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة رضي الله عنها فأنزل الله ما أنزل ﴿قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة^(٦) بن عبيد الله^(٧) قال الزجاج أعلم الله أن ذلك محرم بقوله ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ أي ذنباً عظيماً ثم أعلمهم أنه يعلم سرهم وعلايتهم بقوله ﴿إن تبدوا شيئاً﴾ أي تظهروا شيئاً من أمرهن يعني طلحة وذلك أنه لما نزل آية الحجاب قال طلحة يمنعنا محمد ﷺ من الدخول على بنات عمنا يعني عائشة رضي الله عنها وهما من بني تيم^(٨) بن مرة^(٩) وقوله ﴿أو تخفوه﴾ أي تسروه في أنفسكم وذلك أن نفسه حدثه بتزوج عائشة رضي الله عنها فذلك قوله ﴿فإن الله كان بكل شيء﴾ من السر والعلانية ﴿عليماً﴾ ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأقارب والأبناء لرسول الله ﷺ ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب^(١٠) فأنزل الله تعالى قوله ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾ أن يروهن ولا يحتجن عنهن ﴿ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾ قال ابن عباس: يريد نساء المؤمنين لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن نساء رسول الله ﷺ إن رأينهن ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ يعني العبيد والإماء وقد تقدم في سورة النور ذكر من يحل للمرأة أن يراها في قوله ﴿إلا لبعولتهن الآية﴾^(١١) ﴿واقفين الله﴾ أن يراكن غير هؤلاء ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من أعمال بني آدم ﴿شهيداً﴾ لم يغب عنه شيء. قوله تعالى:

(١) - في أ، ب: بن

(٢) - رواه البخاري في كتاب الصلاة ١١١/١، وفي كتاب التفسير سورة البقرة ٣٤/٦ وسورة الأحزاب ١٤٨/٦ ط الشعب، ورواه مسلم

في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب ١١٥/٧

(٣) - البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري البداية والنهاية ٢٤/١١ تاريخ بغداد ٤/٢، تذكرة الحفاظ

١٣٤/٢ طبقات المفسرين للداودي ١٠٠/٢

(٤) - يحيى بن سعيد القطان التميمي أبو سعيد البصري ت سنة ١٩٨ هـ تاريخ بغداد ١٤/١٣٥ تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨، طبقات الحفاظ ص ١٢٥.

(٥) - لفظة توفي بياض في هـ، وقد أورد الخبر ابن جرير تفسير الآية عن ابن زيد ٢٩/٢٢.

(٦) - طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التميمي أبو محمد المدني ت سنة ٣٦ هـ عن ستين سنة: تهذيب التهذيب ٢٢/٥

(٧) - روى البيهقي قول طلحة في السنن من غير تعيين لقائل السنن: كتاب النكاح باب ما خص به من أزواج أمهات المؤمنين ٦٩/٧ ورواه

ابن حاتم وابن مردويه الدر المنثور ٦/٦٤٣ ط الفكر.

(٨) - فيما عدا د قيم، وقبيلة تيم هم بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

الياس عجالة المبتدىء (٢٥)

(٩) رواه ابن أبي حاتم عن السدي الدر المنثور ٦/٦٤٣ ط دار الفكر

(١٠) رواه ابن جرير ٢٢/٣٠

(١١) النور: ٣١

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال ابن عباس: يريد إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له بالرحمة، وقال مقاتل: أما صلاة الرب بالمغفرة وأما صلاة الملائكة فالاستغفار له ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ ادعوا له بالمغفرة^(١) واستغفروا له ﴿وسلموا تسليماً﴾ قولوا السلام عليكم أيها النبي والحديث الصحيح الجامع لتفسير هذه الآية ما أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي أنا أبو النضر محمد بن^(٢) محمد بن يوسف الفقيه، نا الفضل بن عبد الله بن مسعود، نا مالك بن سليمان، أنا شعبة عن الحكم^(٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: قلنا يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك قال: «قولوا: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»^(٤) رواه البخاري عن آدم^(٥) بن [أبي] إياس ورواه مسلم عن بندار عن غندر كلاهما عن شعبة ومعنى قوله علمنا التسليم عليك ما تقوله في التشهد سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

أخبرنا أبو سعد بن أبي رشيد العدل أنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء، نا محمد بن يحيى الصوفي، نا محمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي^(٦) قال سمعت المهدي على منبر البصرة^(٧) يقول إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً أثره ﷺ بها من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم فقابلوا نعمة الله بالشكر. أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب نا سهل بن عمار العتكي، نا إبراهيم الزيات عن عبد الحكم عن أنس بن مالك عن أبي طلحة^(٨) قال: (دخلت على النبي ﷺ فلم أراه أشد استبشاراً منه يومئذ ولا أطيب نفساً قلت يا رسول الله ما رأيت قط أطيب نفساً ولا أشد استبشاراً منك اليوم فقال وما يمعني وقد خرج أنفأ جبريل من عندي قال: قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها [عليه]^(٩) عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات)^(١٠)

(١) - في ب، هـ: بالرحمة

(٢) - أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه ت سنة ٣٤٤ طبقات الحفاظ ص ٣٦٥ وفي ت أبو النضر بن محمد.

(٣) - الحكم بن عتيبة الكندي أبو عبد الله الكوفي ولد سنة ٥٠ هـ وتوفي سنة ١١٥ هـ تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تهذيب التهذيب ٢/٤٣٣، طبقات الحفاظ ص ٤٤

(٤) - رواه البخاري في كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٨/٩٥ ط الشعب وفي كتاب التفسير سورة الأحزاب ٦/١٥١ ط الشعب ومسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي - ﷺ - بعد التشهد بألفاظ متقاربة ١/٣٠٥ ط الحلبي.

(٥) - اسمه آدم بن أبي إياس عبد الرحمن بن محمد أبو الحسن العسقلاني ت سنة ٢٢٠ هـ تهذيب التهذيب ١/١٩٦

(٦) - الأصمعي: عبد الملك بن قريب الأصمعي ميزان الاعتدال ٢/٦٦٢.

(٧) - البصرة: بالعراق معروفة ومعنى البصرة الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض وسميت بالبصرة لأن أرضها التي بين العقيق وأعلى المرید حجارة رخوة معجم ما استعجم ١/٢٥٤

(٨) - أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ت سنة ٥١ هـ أسد الغابة ٢/٢٨٩

(٩) - ساقط من د

(١٠) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي - ﷺ - بعد التشهد بألفاظ متقاربة ونص الحديث رواه أحمد بن حنبل في المسند بلفظ أتاني آت من ربي عز وجل - المسند ٤/٢٩.

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال المفسرون: هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله [بالولد] (١) فقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا رسوله وشجوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا مجنون شاعر ساحر كذاب ويدل على صحة هذا التفسير ما روي أن النبي ﷺ قال: «ما أجد أصبر على أذى يسمعه من الله أنه يجعل له نذ ويجعل له ولد وهو على ذلك يعافهم ويعطيهم ويرزقهم» (٢) ومعنى يؤذون الله يخالفون أمره ويعصونه ويصفونه بما هو منزه عنه والله تعالى لا يلحقه أذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايداء خوطبنا بما نتعارفه وقوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يعني القتل والجلاء في الدنيا والعذاب بالنار في الآخرة وهو قوله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴿قال مجاهد: يقعون فيهم بغير ما عملوا يعني يرمونهم بما ليس فيهم، وروي أن رجلاً شتم علقمة فقرأ هذه الآية وقال قتادة والحسن إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يغضب له أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو والنيسابوري أنا حمزة بن شبيب المعمرى، أنا عمرو بن عبد الله البصري، أنا أحمد بن معاذ السلمي، نا خالد بن (٣) عبد الرحمن المخزومي، نا عمر بن ذر عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي ﷺ على أصحابه فقال: رأيت الليلة عجباً رأيت رجلاً يعلقون بالستهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال: «هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا» ﴿فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة قال المفسرون: يغطين رؤوسهن (٤) ووجوهن إلا عينا واحدة فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وهو قوله ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ قال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل وكانت النساء يخرجن بالليل لقضاء الحاجة وكان [فساق من فساق] (٥) المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذا حرة فتركونا وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا أمة فكابروها وقوله ﴿وكان الله غفورا﴾ أي لمن اتبع أمره ﴿رحيما﴾ به ثم أوعده هؤلاء الفساق فقال ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عن

(١) - من هنا مطموسة في النسخة هـ

(٢) - رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى أنا الرزاق ذو القوة المتين ١٤١/٩ طه الشعب باختلاف يسير ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ٢١٦٠/٤٠ طه الحلي باختلاف يسير.

(٣) - خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن مسلمة المخزومي المكي ت سنة ٢١٢ هـ تهذيب التهذيب ١٠٣/٣ متروك الحديث انظر التهذيب لابن حجر ٢١٥/١. ومن سند خالد هذا نستطيع أن نحكم بأن حديث جبريل هذا حديث ضعيف.

(٤) - إلى هنا ينتهي الطمس في النسخة هـ

(٥) - ساقط من د، هـ

نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ يعني الفجور وهم الزناة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ وهم قوم كانوا يوقعون الأخبار بما يكره المؤمنون يقولون قد أتاكم العدو ويقولون لسرايهم قد قتلوا وهزموا ﴿لنغرينك بهم﴾ قال ابن عباس: لنسلطنك عليهم والمعنى أمرناك بقتالهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وهو قوله ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾ أي لا يسكنوك في المدينة إلا يسيراً حتى يهلكوا ﴿ملعونين﴾ مطرودين مبعدين عن الرحمة ﴿أينما ثقفوا﴾ وجدوا وأدركوا ﴿أخذوا وقتلوا تفتيلاً﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ قال الزجاج: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيث ما ثقفوا ولا يبدل الله سنته فيهم وهو قوله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قال الكلبي: سأل أهل مكة النبي ﷺ عن الساعة وعن قيامها فقال الله ﴿قل إنما علمها عند الله وما يدريك﴾ أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها؟ أي أنت لا تعرفه ثم قال ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ وما بعد هذا ظاهر إلى قوله ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا﴾ أشرافنا وعظماءنا، قال مقاتل: هم المطعمون في غزوة بدر ﴿فأضلونا﴾ عن سبيل الهدى، يقرأ ساداتنا^(١) وكلاهما جمعان، وسادة أحسن، والعرب لا تكاد تقول سادات ثم قالوا: ﴿ربنا آتهم﴾ يعنون السادة ﴿ضعفين من العذاب﴾ عذبهم مثلي عذابنا ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ يعني اللعن على أثر اللعن أي مرة بعد مرة وقرأ بها عاصم بالياء^(٢) على وصف اللعن بالكبر، قال الكلبي: يقول عذبهم عذاباً كبيراً، قوله:

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّءَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آدوا موسى﴾ قال قتادة وعظ الله المؤمنين ألا تؤذوا محمداً ﷺ كما آذى بنو اسرائيل موسى وهو ما أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف، نا عبد الرزاق، نا معمر عن همام منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر^(٣) فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع موسى في أثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سواة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس قال: فقام الحجر بعدما نظر إليه بنو اسرائيل وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر^(٤) رواه

(١) - قرأ يعقوب وابن عامر (ساداتنا) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقون بالتوحيد ونصب التاء النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٩.

(٢) - قرأ عاصم بالياء الموحدة من تحت وعن هاشم روايتان، وقرأ الباقون بالتاء المثلثة النشر ٢/٣٤٩.

(٣) - الأدر المنتفخ الخصية. الصحاح للجوهري باب الرء فصل الألف.

(٤) - رواه البخاري في كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحده ١/٧٨٨ ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام

مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وهذا قول جميع المفسرين وروي آخر عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو ما أخبرنا أبو حليم الجرجاني فيما أجاز لي، أنا المعافى بن زكريا، أنا محمد بن جرير، نا علي بن مسلم الطوسي، نا عباد، نا سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال: صعد موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حسباً لنا منك وألين لنا منك وآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك^(٥) وقوله: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ يقال: وجه الرجل يوجهه وجهه فهو وجهه إذا كان ذا وجه وقدر قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه، وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ قال ابن عباس: صواباً، قال الحسن: صادقاً، يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله أمر الله المؤمنين بالتوحيد والتقوى ووعدهم أن يصلح أعمالهم فقال: ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ قال ابن عباس: يقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يزيك أعمالكم ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما يأمرانه ﴿فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ قال الخير كله وظفر به قوله:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض...﴾ الآية معنى الأمانة ها هنا في قول جميع المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وتبטיعها العقاب روى أبو بكر الهذلي عن الحسن في هذه الآية قال: عرضت الأمانة على السماوات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم فقيل لهن تأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا ثم عرضت على الجبال الشم الشوامخ البواذخ الصلاب الصعاب فقيل لهن: تأخذن الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قيل إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن قلن لا. فذلك قوله ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ وقال ابن جريج: قالت السماء: يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً وأجريت في الشمس والقمر والنجوم لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وقالت الأرض: جعلتني بساطاً ومهاداً وشققت في الأنهار وأنبت في الأشجار لا أتحمل فريضة ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وإنما كان العرض على أعيان هذه الأشياء بأن ركب الله تعالى فيهن العقل وأفهمهن خطابه حتى فهمن وأنطقهن بالجواب، ومعنى قوله ﴿أبين أن يحملنها﴾ أي مخافة وخشية لا معصية ومخالفة والعرض كان تخييراً لا إلزاماً، وقوله

﴿وأشفقن منها﴾ أي خفن من الأمانة أن لا يوفيناها فيلحقهن العقاب ﴿وحملها الإنسان﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد آدم عرض الله عليه أداء الفرائض الصلوات الخمس في مواعيتها وأداء الزكاة عند محلها وصيام رمضان وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب فقال: بين أذني وعاتقي، وقال مقاتل بن حيان قال الله: يا آدم أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال آدم ومالي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ووعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك قال: قد رضيت رب وتحملتها فقال الله تعالى: قد حملتها فذلك قوله ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ قال الكلبي: ظلمه حين عصى ربه فأخرج من الجنة وجهله حين احتملها وقال المقاتلان: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل أخبرنا أحمد بن يعقوب، نا الحسن بن علي بن عفان، نا أسامة عن النضر بن عدي أن رجلاً سأل مجاهداً عن قوله، انا عرضنا الأمانة الآية، فقال مجاهد لما خلق الله السماوات والأرض [والجبال] (١) عرض الأمانة عليها فلم تقبلها فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال يا رب وما هي؟ قال إن أحسنت جزيتك وإن أسأت عذبتك، قال قد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر - أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل العسكري، نا يعلى بن عبيد عن جويبر عن الضحاک عن ابن عباس، قال: إن الله قال لآدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطعها فهل أنت حاملها بما فيها قال إي رب وما فيها؟ قال إن حفظتها أجزت وإن ضيعتها عذبت، قال فقد حملتها بما فيها، قال فما غير في الجنة إلا كقدر ما بين الظهر والعصر حتى أخرجه منها ابليس، قال جويبر: فقلت للضحاک وما الأمانة قال الفرائض على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في قليل ولا كثير فمن انتقص شيئاً من الفرائض فقد خان أمانته. قوله ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ إلى قوله ﴿ويتوب﴾ قال المقاتلان: ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذين اقروا به حين اخرجوا من ظهر آدم، وقال الحسن وقتادة: هؤلاء خانوها وهم الذين ظلموها ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ هؤلاء أدوها، وقال ابن قتيبة أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن ويتوب الله عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة فدل أن المؤمن العاصي خارج من العذاب ﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾

(٢)

(١) - من هنا خرم في الأصل واعتمدت في موضعه على النسخ الأخرى.

(٢) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٣٨).

سورة سبأ

مكية وآياتها أربع وخمسون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن عبد الله، نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن ابيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «ومن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رقيقاً ومصافحاً»^(١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة فقالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾^(٢) و﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾^(٣) و﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾^(٤) ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بخلقه ﴿يعلم ما يليج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من مطر أو كنز أو ميت ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر أو رزق ﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿وهو الرحيم﴾ بأوليائه ﴿الغفور﴾ لذنوبهم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٤﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث ﴿لا تأتينا الساعة قل: بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب﴾ وقرأ حمزة^(٥) علام الغيب على المبالغة كقوله ﴿علام الغيوب﴾^(٦) وباقى الآية مفسرة في سورة

(٤) - فاطر: ٣٤

(٥) - السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٦)

(٦) - المائة: ١٠٩

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج

(٢) - الزمر: ٧٤

(٣) - الأعراف: ٤٣

يونس ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي لتأتينكم الساعة ليجزي الذين آمنوا، ثم بين جزاء الفريقين فقال ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن يعني في الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مفسر في سورة الحج ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ قرئ بالرفع^(١) على نعت العذاب وبالخفض على نعت الرجز والرجز العذاب ذكرنا ذلك ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ويعلم الذين أوتوا العلم بالله يعني مؤمني أهل الكتاب وقال قتادة يعني أصحاب رسول الله ﷺ ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ هو فضل عند المبصرين كقوله ﴿هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾ ﴿وَيَهْدِي﴾ يعني القرآن ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ دين ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ﴾ عند خلقه.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْتَبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأًا نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً وهو قوله ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع، والممزق ها هنا مصدر بمعنى التمزيق قال ابن عباس: إذا تمم وبليتم، وقال مقاتل: إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكتتم تراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي يجدد خلقكم بأن تبعثوا وتنشروا ﴿أفتري على الله كذباً﴾ هذا أيضاً من قول الكفار بعضهم لبعض قالوا: أفتري محمد على الله كذباً حين زعم أنا نبعث بعد الموت والألف في أفتري ألف الاستفهام وهو استفهام تعجب وانكار. وقوله ﴿أم به جنه﴾ يقولون أيزعم كذباً أم به جنه؟ فرد الله عليهم فقال ﴿بل﴾ ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هؤلاء الذي لا يؤمنون بالبعث ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا ثم وعظهم ليعتبروا فقال ﴿أولم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ وذلك أن الإنسان حيث نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والمعنى: أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسماي محيطة بهم وأنا القادر عليهم إن شئت خسفت الأرض بهم وإن شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائي وهو قوله ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ وأدغم الكسائي وحده الفاء في الباء^(٢) في قوله ﴿نخسف بهم الأرض﴾ قال أبو علي الفارسي: وذلك غير جائز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا فانحدر الصوت إلى الفم حيث اتصلت بمخرج الثاء ولهذا جاز ابدال الثاء بالفاء في نحو الحدث والجذف المقاربة بينهما فلم يجر ادغامه في الباء كما لا يجوز ادغام الباء فيه لزيادة صوت الفاء على صوت الباء، وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ترون من السماء والأرض ﴿آية﴾ تدل على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لكل عبد منيب﴾ أياب إلى الله وحده ورجع إلى طاعته وتأمل ما خلق.

(١) - قراءة (اليم) بالرفع قرأ بها: ابن كثير وعاصم في رواية حفص، أما قراءة (اليم) بالخفض فقد قرأ بها: بقية القراء وأبو عاصم. انظر

السبعة ص ٥٢٦ والنشر ٢/٣٤٠

(٢) - السبعة لابن مجاهد (ص ٥٢٧)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ ۚ إِنَّ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾

قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ يعني النبوة والكتاب وما أعطي من الملك في الدنيا ﴿يا جبال﴾ أي وقلنا يا جبال ﴿أوبي معه﴾ سبحي معه وكان إذا سبح داود سبحت الجبال معه^(١)، وقوله ﴿والطير﴾ عطف على موضع الجبال لأن كل منادى في موضع نصب، قال ابن عباس: وكانت الطير تسبح معه إذا سبح^(٢) ﴿والنار له الحديد﴾ حتى صار عنده مثل الشمع وكان يأخذ بيده فيصير كأنه عجينة فكان يعمل به ما يشاء من غير نار ولا قرع وهو قوله: ﴿أن اعمل سبغات﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض، قال قتادة: وكان أول من عملها وإنما كانت قبله صفائح من الحديد ﴿وقدر في السرد﴾ والسرد: نسج الدرود ومنه قيل لصانعها سراد وزراد بيدل من السين زابياً، والمعنى: لا يجعل المسامير دقاً فتفلق ولا غلاظاً فتكثر الحلق هذا قول أهل التأويل. أخبرني سعيد بن العباس القرشي فيما أجاز لي أخبرني العباس بن الفضل بن زكريا، أنا أحمد بن نجده القرشي، نا سعيد بن منصور، نا عبد الرزاق، نا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿وقدر في السرد﴾ قال: لا تدقق المسامير وتوسع الحلقة فتتقى ولا تغلظ المسامير وتضيق الحلق فينقصم اجعله قدراً^(٣)، قال مقاتل: ثم قال الله لآل داود ﴿اعملوا صالحاً﴾ قال ابن عباس: اشكروا الله بما هو أهله ﴿إني بما تعملون بصير﴾ ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة فقال:

وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَّرَوَاحِها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القَطْرِ ۖ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمُ عَن أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنِّي يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَّجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ۝

﴿ولسليمان الريح﴾ قال الفراء: نصب الريح على وسخرنا لسليمان الريح ورفع عاصم^(٤) لما لم يظهر التسخير على معنى: وله تسخير الريح فالرفع يؤول إلى معنى النصب وقوله ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أي سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ورواحها شهر، والمعنى: أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرية للراكب، قال الحسن: تعدو من دمشق^(٥) فتقيل باصطخر^(٦) وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم تروح من اصطخر فتبيت بكابل^(٧) وبينهما مسيرة شهر للمسرع ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أذنا له عين النحاس، قال المفسرون: اجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان، والقطر النحاس الذائب^(٨) ﴿ومن الجن من يعمل

(١) - ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وغيره ٤٦/٢٢، ٤٧.

(٤) - قراءة (الريح) بالرفع قرأ بها عاصم في رواية أبي بكر أما حفص فقد روي عنه الريح بالنصب كباقي القراءة. انظر السبعة ص ٥٢٧ ومعاني القرآن للفراء ٣٥٦/٢.

(٥) - دمشق: البلدة المشهورة قصبه الشام. معجم البلدان ٤٦٣/٢.

(٦) - اصطخر: بلدة من بلاد الفرس (إيران حالياً) معجم البلدان ٢١١/١ وانظر ابن جرير والطبري فقد روى هذه الأخبار في تفسيره

٤٩/٢٢

(٧) - كابل: اسم يشمل الناحية بين الهند ونواحي سجستان (هو كابول حالياً عاصمة أفغانستان) معجم البلدان ٤٢٦/٤

(٨) - انظر تفسير ابن جرير ٤٩/١٢

بين يديه بإذن ربه ﴿ أي بأمر ربه قال ابن عباس: سخرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴾ ومن يزغ ﴿ يعدل ﴾ منهم ﴿ من الجن ﴾ عن أمرنا ﴿ له بطاعة سليمان ﴾ نذقه من عذاب السعير ﴿ في الآخرة وهو أن الله تعالى وكل ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقتة، والمفسرون على أن هذه الإذابة من عذاب السعير في الآخرة ^(١) ﴾ يعملون له ﴿ لسليمان ﴾ ما يشاء من محاريب ﴿ من الأبنية الرفيعة والقصور، قال المفسرون فبنوا له الأبنية العجيبة باليمن صرواح ومرواح وقلثون ^(٢) وهندة وهنيدة وقلثوم وعمدان وبيتون وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين وقوله ﴿ وتمائيل ﴾ جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء يعني صوراً من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها قالوا: وهي صور الأنبياء والملائكة كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وهذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان ^(٣) ﴾ وجفان ﴿ جمع جفنة وهي القصة الكبيرة ﴾ كالجواهي ﴿ جمع الجببة وهي الحوض الكبير يجبي الماء أي يجمعه قال المفسرون: يعني قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصة الواحدة ألف رجل يأكلون ^(٤) منها ﴾ وقدور راسيات ﴿ ثابنت لها قوائم لا يخرجن عن أماكنها وكانت بأرض اليمن تتخذ من الجبال ثم قال: ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ أي وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم ﴾ وقليل من عبادي الشكور ﴿ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي، قوله:

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ قال المفسرون كانت الإنس في زمان سليمان تقول إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد فلما مات سليمان مكث على عصاه حولاً ميتاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً فعملوا بموته وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب فذلك قوله تعالى: ﴿ ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ﴾ يعني الأرضة ﴿ تأكل منسأته ﴾ يعني عصاه ^(٥) قال الزجاج: المنسأة التي ينسأ بها أي يطرد ويزجر وأكثر القراء على همزة المنسأة وقرأ أبو عمرو ^(٦) بغير همز قال المبرد بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً يقولون منسأة وأنشد:

إذا دببت على المنسأة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل ^(٧)
وقوله ﴿ فلما خر ﴾ ^(٨) أي سقط ميتاً ﴿ تبينت الجن ﴾ أي ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ولو كانوا

(١) - إلى هنا وينتهي الخرم في النسخة (أ) ويبدو أنها ورقة واحدة فقدت أثناء تداول النسخة.

(٢) - في هـ ويننون.

(٣) - يقصد بالتصوير هنا صنع التماثيل لا التصوير المعروف في زماننا هذا

(٤) - انظر تفسير ابن جرير ٥٠/٢٠

(٥) - انظر تفسير ابن جرير ٥١/٢٢

(٦) - قرأ أبو عمرو ونافع بغير همز السبعة (ص ٥٢٧)

(٧) - البيت في لسان العرب مادة نسا ١٦٤/١ ط بولاق وما في اللسان من هرم بدل من كبر وهو غير منسوب لقائل، وتفسير ابن جرير

الطبري ٥١/٢٢

(٨) - في هـ فلما خر المنسأة وليس لها موضع.

يعلمون به ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون أنه حي، قال مقاتل: العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكٰفِرُونَ ۝

قوله ﴿لقد كان لسبأ﴾ أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أنا أبو عمرو بن مطر، نا أبو خليفة، نا أبو همام، نا إبراهيم بن طهمان عن أبي حيان عن يحيى^(١) بن هانئ عن فروة^(٢) بن مسيك قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاء منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالأزد^(٣) وكندة^(٤) ومذحج^(٥) والاشعرون^(٦) وانمار^(٧) منهم بجيلة^(٨) وأما الذين تشاءموا فعاملة^(٩) وغسان^(١٠) ولخم^(١١) وجذام^(١٢) والمراد بسبأ ها هنا القبيلة الذين هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقوله ﴿في مساكنهم﴾ كانت مساكنهم بمأرب من اليمن ﴿آية﴾ أي علامة تدلهم على قدرة الله وأن المنعم عليهم هو الله ثم ذكر تلك الآية فقال ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ عن يمين وإد لهم وشماله كانت قد أحاطتا بذلك الوادي الذي بين مساكنهم وقيل لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ يعني ثمار الجنتين قال السدي ومقاتل: كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر فيمتلئ مكتلها من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئاً بيدها وقوله ﴿واشكروا له﴾ أي على ما رزقكم من النعمة، والمعنى: اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بما انعم ﴿بلدة طيبة﴾ [يعني أرض سبأ بلدة طيبة]^(١٣) لأنها أخرجت ثمارها ولم تكن سبخة، وقال ابن زيد: لم يكن فيها شيء مؤذ من بعوض أو ذباب ولا

(١) - يحيى بن هانئ بن عروة تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٣.

(٢) - فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث الصحابي انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٥، أسد الغابة ٤/ ٣٥٩.

(٣) - الأزد هم بنو دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان عجالة المبتدي وفضاله المنتهي في النسب لأبي بكر بن أبي عثمان الحازمي الهمداني ص ١٠.

(٤) - كندة: اسمه ثور بن غفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان سمي كندة لأنه كند أباه نعمته أي كفرها. عجالة المبتديء (ص ١٠٧).

(٥) - مذحج: واسمه مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان سمي مذحج لأنه ولد على أكمة باليمن يقال لها مذحج عجالة المبتديء (ص ١١١).

(٦) - الأشعرون: نسبة إلى الأشعر واسمه نبت بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ عجالة المبتديء (ص ١٦).

(٧) - هم بنو أنمار بن راس بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك عجالة المبتديء ص ١٩ بتحقيق عبد الله كنون.

(٨) - هم ولد انمار بن راس نسوا إلى أمهم بجيلة بنت صعاب بن سعد العشرة. عجالة المبتديء ص ٢٣.

(٩) - عاملة: اسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب. عجالة المبتديء ص ٨٨.

(١٠) - غسان هو مازن بن الأزرد بن الغوث عجالة المبتديء ص ٩٨.

(١١) - لحم: مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن يشجب سمي لحمًا لأنه لطم واللخمة اللطمة عجالة المبتديء ص ١٠٩.

(١٢) - جذام أمه واسمه عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد عجالة المبتديء ص ٣٩ وأخرج هذا الحديث الهيثمي وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن صالح الصائغ ولم أعرفه انظر مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة سبأ ٧/ ٩٤.

(١٣) - ساقط من هـ.

يرغوث ولا عقرب ويمر الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها ^(١) ﴿ورب غفور﴾ أي والله رب غفور، قال مقاتل: وربكم إن شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب ﴿فأعرضوا﴾ عن الحق وكذبوا انبياءهم ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك إن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن فرددوا ما بين جبلين وحبسوا الماء في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا رسولهم بعث الله تعالى جرذاً ^(٢) ثقتب ذلك الردم حتى انتفض فدخل الماء خيمهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ جمع عرمة وهي السكر الذي يجبس الماء، وقال ابن ^(٣) الأعرابي العرم السيل الذي لا يطاق، وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ ﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ اللتين يطعمان الفواكه ﴿جنتين ذواتي أكل خمط﴾ القراءة الجيدة بالإضافة ^(٤) لأن الخمط عند المفسرين اسم شجرة [قالوا هو الأراك وأكله جناه وهو البريد. قال أبو عبيدة الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة ^(٥)] قال الأخفش الأحسن في مثل هذه الإضافة مثل دار حر وثوب خز وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجر يقال له فسوة الضيع على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع ^(٦) به وقال المبرد والزجاج: ^(٧) يقال لكل نبت قد أخذ طعماً ^(٨) من المرارة حتى لا يمكن أكله خمط وعلى هذا يحسن التنوين في أكل إذا جعلت الخمط اسماً للمأكولات والأثل شجرة تشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه والسدر إذا كان برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للمغسول كما يكون ورق السدر الذي ينبت على الماء ومعنى قوله ﴿وشيء من سدر قليل﴾ يعني أن الأثل والخمط كانا أكثر في الجنتين المبدلتين من السدر ^(٩) قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر إذ صيره إليه من شر الشجر ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي جزيناهم ذلك التبدل لكفرهم ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ يعني أن المؤمن نكفر عنه ذنوبه بطاعته والكافر يجازى بكل سوء يعمله، قال مقاتل: وهل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في نعمه، وقال الفراء: المؤمن يجزى ولا يجازي أي يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ ^(١٠) بسيئاته.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا
ءَامِنِينَ ۚ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ

وقوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ عطف على قوله ﴿لقد كان لسبأ﴾ يعني وكان من قصتهم أنا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى قوله

(١) - انظر تفسير ابن جرير في هذه الأقوال ٥٣/٢٢

(٢) - أي فترناً.

(٣) - ابن الأعرابي محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي من موالي بني هاشم ت سنة ٢٣٠ هـ بغية الوعاء ١٠٥/١.

(٤) - قراءة (اكل خمط) بالإضافة من غير تنوين قرأ بها أبو عمرو انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٢/٣٥٠

(٥) - في هـ: طمعان

(٥) - ساقط من د

(٦) - في هـ: السدر

(٦) - مجازاة القرآن لأبي عبيدة ١٤٧/٢

(١٠) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٩

(٧) - تهذيب اللغة للأزهري ٧/٢٦٠

﴿لآيات﴾ لعبراً ودلالات ﴿لكل صبار﴾ عن معاصي الله ﴿شكور﴾ لأنعمه ، قال مقاتل: يعني المؤمنين من هذه الأمة صبور على البلاء شكور لله في نعمه قوله:

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ [قال الزجاج صدق في ظنه أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك فمن شدد^(١) نصب الظن لأنه^(٢) مفعول به ومن خفف^(٣) نصبه على معنى صدق عليهم في ظنه قال مجاهد: صدق ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله وهو قوله ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس^(٤) لك عليهم سلطان﴾^(٥) قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره قال لأغوينهم ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم ولم يكن في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيهم يتم وإنما قاله ظاناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم^(٦) قال الله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين يعني نعلمهم موجودين ظاهرين والمعنى: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمن ظاهراً وكفر الكافر ظاهراً وهو قوله ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك﴾ والعلم بهما موجودين هو الذي يقع به الجزاء وقوله ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ قال مقاتل على كل شيء من الإيمان والشك، قوله:

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دون الله﴾ قال مقاتل: يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم أخبر عنهم فقال ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ أي من خير وشر ونفع وضر ﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما ﴿وما لهم﴾ وما لله ﴿منهم﴾ من الآلهة ﴿من ظهير﴾ من معين على شيء قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أي لا تنفع شفاعة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى يؤذن له في الشفاعة، وقرئ بضم الهمزة^(٧) وفتحها^(٨) فمن فتح كان المعنى إلا لمن

(١) - قراءة (صدق) بتشديد يد الدال، قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/٣٥٠

(٢) - ساقط من هـ

(٣) - قراءة (صدق) بتخفيف الدال قرأ بها: أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب ونافع وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/٣٥٠.

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - الحجر: ٤٢

(٦) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٠

(٧) - قراءة (أذن) بضم الهمزة قرأ بها: أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/٣٥٠.

(٨) - قراءة (أذن) بفتح الهمزة قرأ بها: ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع وعاصم ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٩ والنشر ٢/٣٥٠.

أذن الله له في الشفاعة يعني الشافع، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله^(١) في أن يشفع له ومن ضم الهمزة كان المعنى كقول من فتح والآذن هو الله تعالى في القراءتين كقوله ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾^(٢) والمجازي هو الله تعالى في الوجهين قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن وحد الله كقوله ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٣) ثم أخبر عن خوف الملائكة فقال ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ أي كشف الفزع عن قلوبهم وقضى ﴿فزع﴾^(٤) كشف الله الفزع عن قلوبهم ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في آذن وأذن والتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتقرير وهذا دليل على أنه قد يصيهم فزع شديد من شيء قد يحدث من أقدار الله ولم يذكر ذلك الشيء لأن إخراج الفزع يدل على حصوله فكأنه قد ذكر، والمفسرون ذكروا ذلك الشيء، قال قتادة ومقاتل والكلبي لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبعث الله محمداً أنزل جبريل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ قال الحق^(٥) «يعني الوحي» وهو العلي الذي فوق خلقه بالقهر والافتقار ﴿الكبير﴾ العظيم والشيء أعظم منه.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٤ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ٢٦ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ٢٧ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٨﴾

قوله ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿من يرزقكم من السموات﴾ الرزق والمطر ومن ﴿الأرض﴾ النبات والثمر وإنما أمر بهذا السؤال احتجاجاً عليهم بأن الذي^(٦) يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره وذلك أنه إذا استفهمهم^(٧) عن الرازق لم يمكنهم أن يشبوا رازقاً غير الله ولهذا أمر النبي ﷺ بالجواب فقال ﴿قل الله﴾ لأنهم لا يصيبون أيضاً بغير الله من الرازقين وتم الكلام ثم أمره بأن يخبرهم بأنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ فذهب المفسرون أن الألف في أو صلة ومعناه واو العطف كأنه قبل وانا وإياكم، قال أبو عبيدة: معناه: إنا لعلى هدى وإنكم^(٨) لفي ضلال مبين ﴿قل﴾ لقومك ﴿لا تسألون عما أجرمنا﴾ قال ابن عباس: لا تؤاخذون بجرمنا ﴿ولا نسأل﴾

(١) - في هـ: له

(٢) - يقصد كما الفرق بين القراءتين في هذه الآية وقد قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (وهل نجازي) بالنون (إلا الكفور) بالنصب، وأدغم الكسائي اللام من (هل) في النون من (نجازي) ولم يدغمها غيره السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٣٥٠/٢.

(٣) - الأنبياء: ٨

(٤) - قرأ ابن عامر (حتى إذا فرغ) مفتوحة الفاء والزاي وقرأ الباقون (فزع) بضم الفاء وكسر الزاي السبعة (ص ٥٢٨) قراءة (فزع) بفتح الفاء والزاي قرأ بها ابن عامر ويعقوب انظر السبعة ص ٥٢٨ والنشر ٣٥١/٢.

(٥) - روى البخاري هذا الخبر مرفوعاً في كتاب التفسير سورة سبأ - ٢٨/٥ بألفاظ متقاربة.

(٦) - في هـ: الله

(٧) - في هـ: استفهم

(٨) - في هـ: وانكم اباكم وفي مجاز القرآن وإياكم انكن ١٤٨/٢

عن كفركم وتكذيبكم، وهذا على التبرؤ منهم ومن أعمالهم ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ [يعني^(١)] بعد البعث في الآخرة ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ ثم يقضي ويحكم بيننا بالعدل ﴿وهو الفتح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بما يقضي ﴿قل﴾ للكفار ﴿أروني﴾ أعلموني ﴿الذين﴾ ألحقتهم بالله في العبادة معه ﴿شركاء﴾ هل يرزقون ويخلقون ﴿كلا﴾ لا يرزقون ولا يخلقون ﴿بل﴾ أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من الحاق الشركاء به في العبادة الذي يخلق ويرزق ﴿وهو الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في أمره قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا
تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ قال ابن عباس: يريد لجميع الخلق وتقدير الكلام للناس كافة كقوله ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾^(٢) والمعنى: وما أرسلناك إلا للناس عامة كلهم أحمرهم وأسودهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾^(٣) يعنون بالوعد العذاب النازل لهم بعد الموت وإنما قالوا هذا لأنهم كانوا ينكرون البعث فقال الله تعالى ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ يعني يوم القيامة [وقال الضحاك: يعني يوم النزع والسباق وهو ميعاد عذاب الكافر]^(٤) ﴿لا تستأخرون عنه ساعة﴾ لا تتأخرون عن ذلك اليوم ﴿ولا تستقدمون﴾ ولا تتقدمون عليه بأن يزداد في آجالكم أو ينقص منه.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَخْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ
جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْنَاقَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: مشركي مكة^(٥) ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون التوراة والإنجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر أهل مكة بكتابنا ثم أخبر عن حالهم في الآخرة بقوله ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾^(٦) يعني مشركي مكة ﴿موقوفون عند ربهم﴾ محبوسون للحساب يوم القيامة ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ يرد بعضهم على بعض القول في الجدل ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم من الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿لولا أنتم لكاننا مؤمنين﴾ مصدقين بتوحيد الله

(٤) - ساقط من ج

(١) - ساقط من ج

(٥) - العبرة لعموم اللفظ فيصدق هذا القول على كفار مكة وكل من قال قولهم.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٦) - في هـ إذ الظالمون موقوفون والعبارة مكررة.

(٣) - ساقط من هـ

أي منعمونا عن الإيمان ثم أجابهم المتبوعون في الكفر بقوله ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي منعناكم عن الإيمان ﴿بل كنتم مجرمين﴾ بترك الإيمان وفي هذا تنبيه للكفار أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب عداوة في الآخرة كقوله ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا... الآية﴾^(١) فقال الاتباع مجيبين بل مكر الليل قال الأحفش: الليل والنهار لا يمكن بأحد ولكن يمكر فيهما وهذا كقوله ﴿من قريتك التي أخرجتك﴾^(٢) وهو من سعة العربية وقال المبرد: أي: بل مكرهم في الليل والنهار ﴿إذ تأمرونا أن نكفر بالله﴾ وهو أنهم يقولون لهم: إن ديننا هو الحق ومحمد ساحر كذاب ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ تقدم تفسيره في سورة يونس ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ قال ابن عباس غلوا بها في النيران ﴿هل يجزون إلا﴾ جزء ﴿ما كانوا يعملون﴾ من الشرك في الدنيا قوله:

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ٢٤ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٦ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ٢٧ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٢٨ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٢٩

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ نبي ينذر أهلها ﴿إلا قال مترفوها﴾ رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إنا بما أرسلتم به﴾ من التوحيد والإيمان ﴿كافرون﴾ وقالوا: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ افتخر^(٣) مشركو مكة على رسول الله ﷺ - والمؤمنين بأولادهم وأموالهم وظنوا أن الله إنما خولهم المال والولد كرامة لهم فقالوا ﴿وما نحن بمُعذَّبين﴾ أي إن الله أحسن إلينا بالمال والولد فلا يعذبنا فقال الله تعالى لنبيه ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعني إن بسط الرزق وتضييقه من الله يفعله ابتلاء وامتحاناً، لا يدل البسط على رضا الله، ولا يدل التضييق على سخطه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني أهل مكة لا يعلمون ذلك^(٤) حين ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة الله لهم، ثم صرح بهذا المعنى فقال: ﴿وما أموالكم وأولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى﴾ قال الأحفش: زلفى اسم المصدر كأنه أراد بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً ﴿إلا من آمن﴾ لكن من آمن ﴿وعمل صالحاً﴾، قال ابن عباس يريد أن إيمانه وعمله قربه مني ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ يضاعف الله له حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشراً إلى سبعمائة إلى ما زاد ﴿وهم في الغرفات﴾ يعني غرف الجنة وهي البيوت فوق الأنبية ﴿آمنون﴾ من الموت والغير^(٥) وقرأ حمزة^(٦) في الغرفة على واحدة كقوله ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾^(٧) واسم الجنس يجوز أن يراد

(١) - البقرة: ١٦٦. (٢) - محمد: ١٣. (٣) - في هـ: افتخروا (٤) - في هـ وذلك

(٥) - الغير: اسم من قولك غيرت الشيء فتغير ومن غير الزمان أي حوادث الزمان الصحاح للجوهري باب الرء فضل الغين والمعنى:

آمنون من الموت وحوادث الزمان

(٦) - انظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٥١، السبعة (٥٣٠)

(٧) - الفرقان: ٧٥

به الجمع، وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ أي يخلفه لكم أو عليكم يقال: أخلف الله له وعليه إذ أبدل له ما ذهب عنه، قال سعيد بن جبيرة: وما أنفقتم من شيء في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: وما أنفقتم في الخير والبر فهو يخلفه إما أن يعمله في الدنيا أو بدخوله في الآخرة أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا العباس^(١) الدوري نا خالد بن مخلد^(٢)، نا سليمان^(٣) بن بلال عن معاوية^(٤) بن أبي مزرد عن سعيد^(٥) بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مسكاً تلفاً»^(٦).

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونَهُمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يعني المشركين ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ للعابدين كقوله لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله﴾^(٧) فنزهت الملائكة ربها عن الشرك ف﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك مما أضافوه^(٨) إليك من الشرك ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ قال ابن عباس ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم ولسنا نريد غيرك ولياً ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ يعني الشياطين، قال مقاتل: اطاعوا الشياطين في عبادتهم إيانا ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يعني المصدقين بالشياطين والمطيعين لهم، ثم يقول الله تعالى ﴿فاليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿لا يملك بعضكم لبعض﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿نفعاً [ولا ضرراً]﴾^(٩) أي نفعاً بالشفاعة ولا ضرراً بالتعذيب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر يقول للذين ظلموا عبدوا غير الله ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ ثم أخبر أنهم يكذبون محمد^(١٠) وقال: القرآن فقال:

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ ءَابَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَانَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ

(١) - العباس بن محمد بن حاتم الدوري أبو الفضل البغدادي انظر تاريخ بغداد ١٤٤/٢، تذكرة الحفاظ ٥٧٩/٢ طبقات الحفاظ ص ٢٥٧.

(٢) - خالد بن مخلد السوائي أبو الهيثم الكوفي ت سنة ٢١٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٤٠٦/١ ابن سعد ٢٨٣/٦، تهذيب التهذيب ١١٦/٣.

(٣) - سليمان بن بلال التميمي ت سنة ١٧٢ هـ تذكرة الحفاظ ٢٣٤/١ شذرات الذهب ٢٨٠/١ طبقات الحفاظ ص ٩٩.

(٤) - معاوية بن أبي مزرد عبد الرحمن بن يسار المدني. تهذيب التهذيب ٢١٧/١٠.

(٥) - سعيد بن يسار أبو الحباب المدني سنة ١١٦ هـ تهذيب التهذيب ١٠٣/٤ الجرح والتعديل ٧٢/٢.

(٦) - رواه البخاري في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ١٤٢/٢ ط الحلبي ومسلم في كتاب الزكاة باب المنفق والممسك ٧٠٠/٢.

(٧) - آية (١١٦) سورة المائدة وما بين القوسين ساقط من هـ، ب، ج.

(٨) - في هـ: أضافوك إليك الشركاء.

(٩) - ساقط من هـ.

(١٠) في هـ: بمحمد.

يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۚ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات... الآية﴾ وهي الظاهرة التفسير ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة ولم يكذبوا محمداً عن ثبت عندهم فقال ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد - ﷺ - وقال الفراء: أي من [ابن] كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير^(٢) بهذا الذي فعلوه، ثم خوفهم وأخبر^(٣) عن عاقبة من كذب قبلهم فقال ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ يعني الأمم الكافرة ﴿وما بلغوا﴾ يعني أهل مكة ﴿[معشار] ما آتيناهم﴾^(٤) المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة، قال ابن عباس [يقول]^(٥) وما بلغ قومك معشار ما آتيناهم من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله وهو قوله: ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ يعني العذاب والعقوبة والنكير: اسم بمعنى الإنكار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفَكِرْهُمَا فَمَا يَصَاحِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

قوله ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي أمركم بخصلة واحدة وهي: ﴿أن تقوموا لله مثلي وفرادي﴾ أي تقوموا: منفردين ومجتمعين يعني أن الواحدة التي أعظكم بها هي قيامكم ونشركم لطلب الحق بالفكرة وهو قوله ﴿ثم تفكروا﴾ مجتمعين ومتفرقين، وليس معنى القيام ها هنا قيام على الرجلين بل هو قيام بالأمر الذي هو طلب الحق وتم الكلام عند قوله: ﴿ثم تفكروا﴾ وهو مختصر معناه: ثم تفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به، قال مقاتل: يقول ليتفكر^(٦) الرجل منك وحده ومع صاحبه فينظران في خلق السماوات والأرض دلالة^(٧) على أن خالقها واحد لا شريك له، ثم ابتداء فقال: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ وقال ابن قتيبة: تأويل الآية ان المشركين قالوا: إن محمداً مجنون وساحر، فقال الله تعالى لهم: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة وهي: أن تقوموا لله ولي ذاته مجتمعين وهو أن يقول الرجل لصاحبه فلنتصاقل هل رأينا بهذا الرجل جنة قط؟ أو جرينا عليه كذباً؟ ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر فإن في ذلك ما يدل^(٨) على أن محمداً - ﷺ - نذير^(٩) وهو قوله ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ يعني في الآخرة وعلى هذا القول الآية متصلة بعضها ببعض وهو قول الفراء^(١٠) والزجاج.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾

(٦) - في هـ: أن يتفكر

(٧) - في هـ: دليلاً

(٨) - في هـ: ما دل

(٩) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٤١)

(١٠) - قول الفراء موجود في كتابه المعاني

(١) - ساقط من هـ

(٢) - معاني القرآن للفراء، ٢/٣٦٤

(٣) - في هـ: واخبرهم

(٤) - ساقط من هـ

(٥) - ساقط من هـ

قوله ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ يقول: لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتهمونني، ومعنى ما سألتكم من أجر فهو لكم: أي^(١) ما أسألكم شيئاً كما يقول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك يريد: ليس لي فيه شيء، ثم ذكر أن أجره عند الله وهو قوله ﴿إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ قال ابن عباس: لم يرغب عنه شيء. قوله تعالى ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ القذف الرمي بالسهم والحصى والكلام، قال الكلبي: يرمي بالحق على معنى يأتي به، وقال مقاتل: يتكلم بالحق وهو القرآن والوحي^(٢) يعني أنه يلقيه إلى أنبيائه ﴿علام الغيوب﴾ علم ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قل جاء الحق﴾ الدين والإيمان والقرآن ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إقبال ولا ابتداء ولا إعادة، وقال قتادة: الباطل: هو الشيطان، أي ما يخلق ابتداءً ولا بعثاً^(٣) وهو قول مقاتل والكلبي ﴿قل إن ضللت﴾ كما تزعمون وذلك أن كفار مكة قالوا: لقد ضللت حين تركت دين آبائك ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ أي إثم^(٤) ضلالتني يكون على نفسي ﴿وإن اهتديت فيما يوحي إلي ربي﴾ من الحكمة والبيان ﴿إنه سميع﴾ الدعاء ﴿قريب﴾ مني، قوله:

وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَآ فَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ ؕ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا
يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۖ

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ فزعوا﴾ يعني عند البعث ﴿فلا فوت﴾ لا يفوتني أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يعدون عنه ولا يفوتونه ﴿وقالوا﴾ يعني في الآخرة ﴿أما به﴾ بمحمد والقرآن ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي التناول وهو تفاعل من النوش الذي هو التناول ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة^(٥) وكل واو ضممتها لازمة جاز ابدال همزة منها نحو أدور، والمعنى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعد يعني: في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو قوله ﴿وقد كفروا به من قبل﴾ أي كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل ما عاينوا من أهوال القيامة ﴿ويقدفون بالغيب من مكان بعيد﴾ قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين وهو قولهم له شاعر وساحر وكاهن، ومعنى الغيب على هذا: الظن وهو ما غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى: يرمون محمداً بما لا يعلمون [من حيث لا يعلمون]^(٦) ﴿وحيل بينهم﴾ منع بين هؤلاء الكفار ﴿وبين ما يشتهون﴾ قال ابن عباس: يعني الرجعة إلى الدنيا، قال الحسن: يعني الإيمان، وقال مقاتل: يعني من قبول التوبة منهم ﴿كما فعل بأشياءهم﴾ بنظرائهم [ومن كان على]^(٧) مثل حالهم من الكفار ﴿من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿إنهم كانوا في شك﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿مريب﴾ موقع لهم في الريبة والتهمة.

(١) - في هـ: لم أسألكم شيئاً (٢) - في هـ: ولا يبعث والمعنى لا يستطيع أن يحيي الموتى ولا أن يخلق شيئاً من العدم.

(٣) - في هـ: إنما

(٤) - في هـ: معنى

(٥) - قراءة (التناوش) بالمد والهمزة قرأ بها: حمزة وأبو عمرو والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم انظر: السبعة ص ٥٣٠ والنشر

٣٥١/٢

(٦) - ساقط من جـ

(٧) - ساقط من هـ

سورة فاطر

مكية وآياتها خمس وأربعون

أخبرنا محمد بن علي بن أحمد الحيري أنا محمد بن جعفر المؤذن، نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت) (١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ خالقها مبتدئاً على غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ يرسلهم إلى النبيين وإلى ما شاء من الأمور ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة﴾ جمع جناح ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ تقدم تفسيرها، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل وله ستمائة جناح (٢) وهذا القول اختيار الفراء والزجاج وروى خلود بن دعلج عن قتادة قال: هو الملاحه في العين وقال الزهري: هو حسن الصوت ﴿إن الله على كل شيء﴾ (٣) مما يريد أن يخلق ﴿قدير ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أحد أن يمسخها وما يمسخ من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله وهو قوله ﴿وما يمسخ فلا مرسل له من بعده﴾.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ ۚ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾

قوله ﴿يا أيها الناس﴾ يعني يا أهل مكة (٤) ﴿اذكروا نعمه الله عليكم﴾ إذ أسكنكم الحرم ومنعكم من الغارات

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج .

(٢) - فيض القدير ٩٨/١، وكنز العمال حديث (١٥١٦٢) ١٣٨/٦ ومعاني القرآن للفراء ٣٦٦/٢ بدون تحديد بعدد الأجنحة .

(٣) - في هـ: على كل شيء قدير وهي مكررة

(٤) - هذا على الرأي القائل بأن المكي من آيات القرآن ما وقع خطاباً لأهل مكة كيا أيها الناس والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدني كيا أيها الذين آمنوا ولكن هذا ليس بالرأي الراجح فالخطاب هنا وفيما يماثله في غير هذا الموطن يعم الناس جميعاً سواء كانوا من أهل مكة أو من غيرها ولأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

﴿هل من خالق غير الله﴾ استفهام توبيخ وتقرير أي لا خالق سواه، قال الزجاج: ورفع غير على معنى هل خالق غير الله لأن من زيادة مؤكدة ومن خفض جعله صفة على اللفظ^(١) ﴿يرزقكم من السماء﴾ المطر ومن ﴿الأرض﴾ النبات ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ [قال الزجاج: من أين يقع لكم الافك والتكذيب]^(٢) بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم ثم عزى نبيه عليه السلام بقوله:

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرِتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيجازي من كذب وينصر من كذب من رسله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق﴾ وباقى الآية مفسر في سورة لقمان ثم حذرهم الشيطان فقال ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا﴾ قال مقاتل: عادوه بطاعة الله، ثم بين عداوته فقال: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي شيعته إلى الكفر ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ثم ذكر ما للفريقين الكفار والمؤمنين بالآيتين بعد هذه الآية.

أَفَمَنْ زِينَ لَهُمْ سِوَى عَمَلِهِمْ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

قوله ﴿أفمن زين لهم سِوَى عَمَلِهِمْ﴾ قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير أنزلت في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى، والمعنى أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [قال ابن عباس: لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات]^(٣) على تركهم الإيمان^(٤) ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك ثم أخبر عن صنعه لتعتبروا فقال:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(١) - قراءة (غير) بكسر الراء قرأ بها: حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف انظر السبعة ص ٥٣٤ والنشر ٢/٣٥١. (٣) - ساقط من هـ

(٤) - في هـ الإسلام

(٢) - ساقط من هـ

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تزعجه من حيث هو ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ إلى مكان لا نبت فيه ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ أنبتنا فيها الزرع والكلأ بعدما لم يكن ﴿كذلك النشور﴾ البعث والإحياء. أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، نا أبو علي الفقيه، أنا الحسين بن محمد بن مصعب، نا يحيى بن حكيم، نا أبو داود، نا شعيب أخبرني يعلى^(١) بن عطاء سمعت وكيع^(٢) بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الموتى قال: أما مررت بواد ممحلاً ثم مررت به خضراء قلت: بلى قال: فكذلك يحيي الله الموتى وقال كذلك النشور^(٣). قوله ﴿من كان يريد العزة﴾ قال الفراء: معناه من كان يريد علم العزة لمن هي فإنها لله جميعاً^(٤)، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليعتز بطاعة الله يعني أن قوله ﴿فله العزة جميعاً﴾ معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة كما يقال: من أراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده، ويدل على صحة هذا ما روى ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز^(٥) وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ إلى الله يصعد كلمة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ومعنى يصعد أنه يعلم ذلك كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي وإلى السلطان أي علمه، ويجوز أن يكون معنى إليه إلى سمائه وهو المحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم فجعل صعوده إلى السماء صعود إليه، وقوله ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ قال الحسن: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله يعرض القول على الفعل فإن وافق القول الفعل وإن خالف رد، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبیر، وقال قتادة: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون هذا ابتداء إخبار لا يتعلق بما قبله، ثم ذكر من لا يوحد الله فقال: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أن يشركون بالله ويقولون الشرك وقال الكلبي: يعملون السيئات ﴿لهم عذاب شديد﴾، وقال أبو العالية يعني: الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة وهو قوله ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾^(٦) الآية ثم أخبر أن مكروهم يبطل فقال ﴿ومكر أولئك هو بيور﴾ يفسد ويهلك ولا يملكون شيئاً.

ثم دل على نفسه بصنعه فقال: ﴿والله خلقكم من تراب﴾ يعني: آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني نسله ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ ذكراناً وإناثاً ﴿وما يعمر من معمر﴾ ما يطول عمر أحد ﴿ولا ينقص من عمره﴾ قال الفراء: يريد آخر غير الأول فكأنه كانه^(٧) الأول لأن اللفظ الثاني لو ظهر كان الأول^(٨)، كأنه قيل ولا ينقص من عمر معمر ﴿إلا في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ، قال سعيد بن جبیر: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة حتى يأتي على آخر عمره^(٩) وقوله ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ إن كتابة الآجال والأعمال على الله هين.

(١) - يعلى بن عطاء العامري الطائفي خلاصة تهذيب الكمال ص ٤٣٨

(٢) - وكيع بن عدس أبو مصعب العقيلي الطائفي. تهذيب التهذيب ١١/١٣١

(٣) - رواه ابن ماجة في المقدمة حديث (١٨٠)، ٦٤/١ وابن حنبل في المسند ١١/٤

(٤) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٧

(٥) - رواه أحمد بن حنبل في المسند ٢/٧٢

(٦) - الأنفال: ٣٠

(٧) - في أ: كناية

(٨) - معاني القرآن للفراء

(٩) - رواه: عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٥/٣٤٧.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لِيَتَبَنَّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُؤَلِّجُ
الْبَدَلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ
مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾

قوله ﴿وما يستوي البحرين﴾ يعني: العذب والمالح ثم ذكرهما فقال: ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ جازئ في
الحلق ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير﴾ وهو القشرة الرفيعة التي على النواة كاللحافة لها ﴿إن تدعوهم﴾ لكشف خير ﴿لا يسمعون دعاءكم﴾ لأنها
جماد لا تنفع ولا تضر ﴿ولو سمعوا﴾ بأن يخلق الله لها سمعاً ﴿ما استجابوا لكم﴾ لم تكن عندهم إجابة ﴿ويوم القيامة
يكفرون بشرككم﴾ يتبرؤون من ^(١) عبادتكم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ولا ينبئك﴾ يا محمد ﴿مثل خير﴾ عالم
بالأشياء يعني نفسه تعالى لا أحد ^(٢) أخبر منه بأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام كائن فلا ينبئك مثله في عمله لأنه لا
مثل له في العلم وفي كل شيء قوله:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٤﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ
شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ المحتاجون إليه في رزقه ومغفرته ﴿والله هو الغني﴾ عن
عبادتكم ﴿الحميد﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ مفسر فيما تقدم إلى قوله ﴿وإن
تدع مثقلة﴾ أي نفس مثقلة بالذنوب ﴿إلى حملها﴾ إلى ما حملت من الخطايا والذنوب ﴿لا يحمل منه﴾ أي من حملها
﴿شيء ولو كان ذا قربي﴾ ولو كان الذي تدعوه ذا قرابة ما حمل عنها شيئاً، قال ابن عباس يقول الأب والأم: يا بني
احمل عني فيقول: حسبي ما علي ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ قال الزجاج: تأويله إن إنذارك إنما ينفع
الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار كقوله ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ ^(٣) ومعنى
يخشون ربهم بالغيب أي وهم غائبون عن أحكام الآخرة كقوله ﴿يؤمنون بالغيب﴾ ^(٤) ﴿ومن تزكى﴾ تطهر من الشرك
والفواحش ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي فصلاحه لنفسه ﴿وإلى الله المصير﴾ فيجزى بالأعمال في الآخرة قوله:

(٣) - النازعات: ٤٥ .

(٤) - البقرة: ٣ .

(١) - في ه: عن .

(٢) - في ه: والمعنى لا أحد أخبر... الخ .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٥﴾ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني المؤمن والمشرک ﴿ولا الظلمات﴾ الشرك والضلالات ﴿ولا النور﴾ الهدى والإيمان ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ قال الكلبي: يعني الجنة والنار، وقال عطاء يعني الظل بالليل والسموم^(١) بالنهار ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ يعني المؤمنين والكافرين، قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ﴿إن الله يسمع﴾ كلامه ﴿من يشاء﴾ حتى يتعظ ويهتدي قال عطاء: يعني أولياءه خلقهم لجنته ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يعني: الكفار شبههم بالموتى حين^(٢) صموا فلم يجيبوا ﴿إن أنت إلا نذير﴾ يقول: ما أنت إلا رسول [منذر]^(٣) تنذرهم النار وتخوفهم ولي عليك غير ذلك وهو قوله: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ سلف فيها نبي، قال مقاتل: ما من أمة إلا جاءهم رسول، وما بعد هذا ظاهر من تفسيره إلى قوله:

الَّذِينَ تَرَىٰ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

﴿ومن الجبال﴾ أي ومما خلقنا من الجبال ﴿جدد بيض﴾ قال الفراء: هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة^(٤) وقال المبرد: جدد طرائق وخطوط ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الجدد ﴿وغرابيب سود﴾ الغريب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب، قال الفراء: هذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال أسود غريب وقل ما يقال: غريب أسود^(٥) ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾ قال الفراء: أي خلق مختلف ألوانه^(٦) ﴿كذلك﴾ كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام ثم قال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقال مقاتل: أشد الناس لله خشية أعلمهم به، وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالإغترار^(٧) بالله جهلاً وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: من خشي الله فهو عالم ﴿إن الله عزيز﴾ في ملكه ﴿غفور﴾ لذنوب المؤمنين.

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي

(٤) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٩.

(١) - في هـ: ظل الليل وسموم النهار.

(٥) - (٦) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٩ بتصرف.

(٢) - في هـ: حيث.

(٧) - في هـ: بالاعتبار.

(٣) - ساقط من هـ.

أَوْحِينَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ يعني: قراءة القرآن أثنى الله عليهم بقراءة القرآن، وقوله ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ لن تفسد، ولن تكسد، ولن تهلك ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ جزاء أعمالهم بالثواب ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿إنه غفور شكور﴾ قال ابن عباس غفر العظيم من ذنوبهم وشكر اليسير من أعمالهم ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾ موافقاً لما قبله من الكتب ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ قال مقاتل: قرآن محمد ﷺ والمعنى ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، قاله عطاء عن ابن عباس وقال مقاتل: يعني: أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو الذي لم يصب كبيرة ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يعني: المقربين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة، قال الحسن: الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد التي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته، أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سلام الأصفهاني، نا محمد بن سعيد بن سابق، نا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن أسامة ابن زيد في قوله عز وجل - فمنهم ظالم نفسه ومنهم مقتصد قال: «قال رسول الله ﷺ: كلهم من هذه الأمة»^(١) أخبرنا عبد القاهر بن طاهر التميمي، أنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، نا محمد بن إبراهيم بن سعيد، نا عمرو بن الحصين، نا الفضل^(٢) بن عميرة، نا ميمون بن^(٣) سياه عن أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقرأ عمر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يؤذن^(٤) الله وقوله ﴿سابق﴾ أي إلى الجنة أو إلى رحمة الله ﴿بالخيرات﴾ بالأعمال الصالحة ﴿يؤذن الله﴾ بأمر الله وإرادته ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ يعني: إيراثهم الكتاب، ثم أخبرهم بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة فقال:

جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَآ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

(١) - قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سىء الحفظ.

انظر مجمع الزوائد ٩٦/٧ كتاب التفسير سورة فاطر.

(٢) - الفضل بن عميرة القيسي الطفاوي أبو قتيبة البصري تهذيب التهذيب ٢٨١/٨.

(٣) - ميمون بن سياه البصري أبو بحر تهذيب التهذيب ٣٨٨/١٠.

(٤) - ذكر الهيثمي نحوه عن الطبراني وابن مردويه والبيهقي مجمع الزوائد ٢٥/٧ ط دار الفكر.

﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قال مقاتل: يعني الأصناف الثلاثة والآية مفسرة في سورة الحج ولما دخلوها واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم على ما صنع بهم وهو قوله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ الحزن والحزن [واحد^(١)] كالبلخل والبخل، قال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء هو حزن النار، وقال مقاتل: لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم، وقال الكلبي: يعني: ما كان بحوزتهم في الدنيا من أمر يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا، وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد حدثنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد الأسفرائيني املاءً في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة، أنا الإمام أبو بكر أحمد^(٢) بن إبراهيم الإسماعيلي، نا أبو العباد أحمد بن محمد البراقى نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله قد خرجوا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن^(٣) قوله ﴿إِن رَّبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قال ابن عباس: غفر العظام من ذنوبهم وشكر اليسير من محاسن أعمالهم ﴿الَّذِي أَحْلَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود أقاموا فيها أن ألا يموتون ولا يتحولون عنها أبداً ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي ذلك بفضل لا بأعمالنا ﴿لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة ﴿وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ وهو الإعياء من التعب ثم قال في صفة الكفار:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمُرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ٣٧ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٣٨

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ أي لا يهلكون فيستريحوا مما هم فيه من العذاب وهو كقوله ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾^(٤) ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين ﴿كذلك﴾ كما ذكرنا ﴿نجزي كل كفور﴾ كل كافر ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون، وهو افتعال من الصراخ، قال مقاتل: هو أنهم ينادون ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس: نُقِلَ لا إله إلا الله ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ يعني: الشرك، فوبخهم الله تعالى فقال: ﴿أولم نمركم ما يتذكر فيه من تذكرك﴾ قال عطاء: يريد ثمانى عشرة سنة وهو قول قتادة، وقال الحسن: أربعين سنة، وقال ابن عباس في رواية مجاهد ستين سنة قال: وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أخبرنا اسماعيل بن إبراهيم بن محمود، أنا أحمد بن جعفر القطيعي، أنا بشير بن موسى، أنا عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب حدثني محمد بن عجلان عن بكير عن^(٥) العجلان أبي محمد

(١) - ساقط من هـ.

(٢) - أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني انظر تذكرة الحفاظ ٣/٩٣٧، شذرات الذهب ٣/٧٥.

(٣) - ابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير ٦/٥٣٧ ط الشعب، وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد كتاب البعث باب كيف يحشر الناس ١٠/٣٣٢.

(٤) - القصص: ١٥.

(٥) - بكر بن عبد الله الأشج القرشي أبو عبد الله ت سنة ١٢٢ هـ تهذيب التهذيب ١/٤٩٢.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر»^(١) وقوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال جمهور المفسرين: يريد النبي ﷺ، وروي عن عكرمة وسفيان بن عيينة: أن المراد بالنذير الشيب ومعناه: أولم يعمركم حتى شبتهم وقوله ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ قال مقاتل: فذوقوا العذاب فما للمشركين من مانع يمنعهم وما بعد هذا مفسر إلى قوله:

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي أمة آمنة خلفت من قبلها ورأت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ جزاء كفره ثم ذم كفرهم بباقي الآية ثم أمر نبيه بالاحتجاج عليهم بقوله:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

﴿قل أرايتم شركاءكم﴾ معناه أخبروني عن الذين اتخذتم وعبدتم من دوني شركاء بزعمكم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾^(٢) أي بأي شيء أوجبتم لهم شركة مع الله في العبادة لشيء خلقوه من الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ﴿أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه﴾ قال مقاتل: يقول: ثم أعطينا كفار مكة كتاباً فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً وهو قوله «فهم على بينة منه» يعني ما في الكتاب من ضروب البيان وقرأ أبو عمرو بينة^(٣) جعل ما في الكتاب بينة على لفظ الأفراد وإن كانت عدة أشياء ثم استأنف ﴿بل إن يعد الظالمون﴾ أي ما يعد ﴿بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ قال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا باطلاً وليس بشيء.

قوله ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ يمنعها من الزوال والذهاب والسقوط ﴿ولئن زالتا﴾ على تقدير ذلك لم يمسكها من أحد غير الله وهو قوله: ﴿إن أمسكها من أحد من بعده﴾ وهذا إخبار عن عظيم قدرة الله على حفظ السموات وأمسكها عن الزوال ﴿إنه كان حلماً﴾ عن الكفار إذ لم يعجل لهم العقوبة ﴿غفوراً﴾ إذ أخر العذاب عنهم، قوله:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ الْأُممِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ

(١) - رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة الخ ١١١/٨ ط الشعب.

(٢) - في هـ: خلقوني.

(٣) - قراءة (بينة) بالأفراد لم يقرأ بها أبو عمرو وحده وإنما قرأ معه بها أيضاً ابن كثير وحزمة وخلف وحفص عن عاصم انظر: السبعة ص - ٣٥٥

الْأُولَىٰ فَلَن نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ۚ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا ۚ ﴿٤٥﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: كفار مكة قال ابن عباس: حلفوا قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة ﴿لئن جاءهم نذير﴾ رسول ﴿ليكونن أهدى﴾ أصوب ديناً ﴿من إحدى الأمم﴾ يعني اليهود والنصارى والصابئين ﴿فلما جاءهم نذير﴾ محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ تباعداً عن الهدى ﴿استكباراً في الأرض﴾ عتواً على الله وتكبراً عن الإيمان به ﴿ومكراً السيئ﴾ يعني ومكروا مكر السيئ وهو عملهم القبيح من الشرك والمكر هو العمل القبيح وأضيف المكر إلى صفة قرأ حمزة بإسكان الهمزة^(١) والنحويون كلهم يزعمون أن هذا من الاضطراب في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب الله، وقال أبو علي الفارسي هو على اجراء الوصل مجرى الوقف كما حكى سيبويه من قولهم لملائه الأربعة فأجروا الوصل مجرى الوقف قال ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين كما خففوا الياء من ايل لتوالي الكسرتين ونزل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب، وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على ومكر السيئ فيترك الحركة وهو وقف حسن تام ثم غلط فيه الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل فتابع حمزة الغالط فقرأ في الادراج بترك الحركة، وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم ﴿فلن تجد لسنة الله﴾ في العذاب ﴿تبديلاً﴾ وإن تأخر ذلك ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم، وما بعد هذا مفسر فيما مضى إلى قوله ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بما كسبوا﴾ من الشرك والتكذيب لعجل^(٢) لهم [العذاب] والعقوبة وهو قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وهذا مفسر في سورة النحل وقوله ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

(١) - قرأ حمزة بإسكان الهمزة في الوصل لتوالي الحركات تخفيفاً السبعة (٥٣٥) والنشر ٣٥٢/٢.

وفي كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع ص (١٠٨): قرأ بها حمزة في الوصل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة، وإذا وقف حمزة أبدل الهمزة ووقف الباقون بهمزة ساكنة.

(٢) - فيما عداه: لعجل لهم العقوبة.

سورة يس

مكية وآياتها ثلاث وثمانون

أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل الجرجاني بها أنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، أنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، أنا أبو إبراهيم الترجماني، نا يوسف^(١) بن عطية الصفار، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم [عن أبيه]^(٢) عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت أو قريب عنده جاءه^(٣) خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاها إياه وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء»^(٤).

يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

«بسم الله الرحمن الرحيم»

[يس] ^(٥) قال ابن عباس والمفسرون: يريد يا إنسان^(٦): يعني محمداً ﷺ ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ أقسم الله بالقرآن المحكم من الباطل ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: لست مرسلًا وما أرسل الله إلينا رسولاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: دين الإسلام ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه، ومن قرأ بالنصب^(٧) فعلى معنى نزل الله ذلك تنزيلاً من العزيز الرحيم ثم اضيف المصدر فصار معرفة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متصل بقوله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ قال قتادة: لتنذر قوماً لم يأتهم نذير من قبلك لأنهم كانوا في الفترة وهو معنى قوله ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي عن حج التوحيد وأدلة البعث ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب العذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أكثر أهل مكة كقوله ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨) وهذا إشارة إلى الإرادة السابقة يكفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن الله منعهم عن الهدى، قوله:

(١) - يوسف بن عطية الصفار مولى الانصارت سنة ١٨٧ هـ قال عنه صاحب الميزان (متروك) انظر ميزان الاعتدال ٢٦٨/٤.

(٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ جاءه رضوان خازن الجنة . الخ .

(٤) - حديث لم اعثر له على أصل وتراجع أول سورة مريم والحج .

(٥) - ساقط من هـ.

(٦) - تفسير ابن جرير ٩٧/٢٢.

(٧) - قراءة: (تنزيل) بالنصب قرأ بها: ابن عامر وحزمة والكسائي ورواية حفص عن عاصم وخلف انظر السبعة ص ٥٣٩ والنشر ٢/٣٥٣.

(٨) - الزمر: ٧١.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغللاً﴾ قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل. قال الفراء: معناه حبسناهم عن الإنفاق في سبيل^(١) الله كقوله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾^(٢) معناه: لا تمسكها عن النفقة وقوله: ﴿فهى﴾ يعني: أيديهم كنى عنها ولم يذكرها لأن الأغلال والأعناق تدل عليها وذلك أن الغل إنما هو يجمع اليد إلى العنق وقوله ﴿فهم مقمحون﴾ قال الفراء والزجاج: المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه^(٣)، ومعنى الإقماح: رفع الرأس وغطى البصر يقال: أقمح البعير رأسه وقمح إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء، قال الأزهري: أراد الله أن أيديهم لما غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال اذناقتهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها، يدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون: مغلولون. قوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ يريد منعناهم عن الإيمان لمواقع^(٤) فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد^(٥) وهذا معنى قول ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمه عليهم، وقوله ﴿فأغشيناهم﴾ قال الفراء: ألبسنا ابصارهم غشاوة^(٦) أي عمى ﴿فهم لا يبصرون﴾ سبيل الهدى، ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم بعد هذا، بقوله: ﴿سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ قال الزجاج: ^(٧) أي من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ خاف الله في الدنيا ﴿فبشره بمغفرة﴾ لذنوبه ﴿وأجر كريم﴾ حسن وهو الجنة قوله ﴿إنا نحن نحي الموتى﴾ يعني البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ من خير أو شر عملوه في حياتهم ﴿وآثارهم﴾ خطاهم بأرجلهم.

أخبرنا الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد الطبري، أنا محمد بن الحسين، أنا عبد^(٨) الله بن محمد الشرقي، نا عبد الرحمن بن بشر، أنا الثوري عن سعيد^(٩) بن طريف عن أبي^(١٠) نصرته عن أبي سعيد قال: شكت بنو سلمة^(١١) إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فقال

(١) - معاني القرآن للفراء ٣٧٣/٢.

(٢) - الاسراء: ٢٩.

(٣) - معاني القرآن للفراء ٣٧٣/٢.

(٤) - في هـ: بمواقع.

(٥) - في هـ بالاصداد.

(٦) - معاني القرآن للفراء ٣٧٣/٢.

(٧) - ساقط من هـ.

(٨) - عبد الله بن محمد الشرقي أبو محمد الحافظ ميزان الاعتدال ٢٩٤/٢.

(٩) - سعيد بن طريف الاسكافي الحنظلي الكوفي. ميزان الاعتدال ١٢٢/٢، لسان الميزان ٣٤/٣.

(١٠) أبو نصرته: المنذر بن مالك أبو نصرته العبدي ت سنة ١٠٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١٨١/٤.

(١١) - بنو سلمة هم بنو سلمة بن علي بن أسد. انظر عجلة المتبديء ص ٧٤.

النبي ﷺ: «عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم»^(١) أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي نا محمد بن يعقوب نا عبد الله بن محمد الشاكر، نا أبو أسامة عن يزيد^(٢) عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «أن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها مشى فأبعدهم»^(٣) رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي كريب عن أبي أسامة ﴿وكل شيء﴾ من الأعمال ﴿أحصيناه﴾ بيناه وحفظناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

قوله ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ قال مقاتل: صف لهم يا محمد شبهاً، يعني: لأهل مكة ﴿أصحاب القرية﴾ يعني: أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية ليدعوا الناس إلى عبادة الله وهو قوله ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال ابن عباس: ضربوهما وسجنوهما^(٤) ﴿فعرزنا بثالث﴾ أي فقوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث، وقرىء بالتخفيف^(٥)، قال الفراء: عززنا وعززنا كقولك: شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيب^(٦) ونحو ذلك قال الزجاج ﴿فقالوا﴾ يعني: الرسل لأهل انطاكية ﴿إنا إليكم مرسلون قالوا﴾ لهم ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ما لكم علينا من فضل في شيء ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ أي لم يرسل رسولاً ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ ما أنتم إلا كاذبين فيما تزعمون ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وإن كذبتونا ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ ما علينا إلا أن نبلغ ونبين لكم فقال القوم للرسول:

قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لِرَجْمِنَاكُمْ وَلَيْمَسِّنَاكُمْ مِّنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿إنا تطيرنا﴾ تشاء منا ﴿بكم﴾ وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا الشر من قبلكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ لئن لم تسكتوا عنا ﴿لنرجمنكم﴾ لنفتنكم كقوله ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾^(٧) فتوعدهم بالقتل والتعذيب وهو قوله ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائرکم معکم﴾ شؤمکم بکفرکم وتکذیبکم، یعنی أصابکم الشؤم من قبلكم ﴿أئن ذکرتم﴾ وعظمت بالله وخوفتم، وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره: أئن ذکرتم تطيرتم بنا (بل أنتم قوم مسرفون) مشرکون، قوله:

(١) - رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/٤٦٠ بلفظ دياركم تكتب آثاركم.

(٢) - يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ت سنة ١٠٤ هـ تهذيب التهذيب ١/٤٣٢ والتقريب ٢/٣٩٤.

(٣) - رواه مسلم في كتاب المساجد باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/٤٦٠ ط الحلي.

(٤) - ابن جرير الطبري ٢٢/١٠١.

(٥) - قرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل عن عاصم (فعرزناه) بالتخفيف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (فعرزناه) بالتشديد السبعة ٥٣٩.

(٦) - معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٤.

(٧) - هود: ٩١.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ وهو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسول عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم (١) جاءهم و﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يستلکم أجراً﴾ لا يستلونكم أموالكم على ما جاءكم به من الهدى ﴿وهم مهتدون﴾ يعني الرسل فلما قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون عند البعث فيجزئكم ثم أنكروا اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال ﴿أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍ بسوءٍ ومكروه﴾ لا تغن عني ﴿لا ترفع ولا تمنع﴾ شفاعتهم شيئاً ﴿يعني لا شفاعة لها فتغني﴾ ولا ينقدون ﴿ولا يخلصوني من ذلك المكروه﴾ ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ إن أنا فعلت ذلك ﴿إني آمنت بربكم﴾ الذي كفرتم به ﴿فاسمعون﴾ فاسمعوا قولي، فلما قال هذا وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزقه (٢) وذلك قوله:

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿قيل ادخل الجنة﴾ فلما دخلها ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي﴾ يعني أن يعلموا أن الله غفر له ليرغبوا في دين الرسل، والمعنى: بغفران ربي لي، وما مع الفعل بمنزلة المصدر ﴿وجعلني من المكرمين﴾ من المدخلين الجنة فلما قتلوه غضب الله لقتلهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئاً وعجل لهم العذاب وهو قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ يعني قوم حبيب ﴿من بعده﴾ من بعد قتله ﴿من جند من السماء﴾ يعني الملائكة أي لم تستنصر (٣) منهم بجند من السماء ﴿وما كنا منزلين﴾ أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين (٤) بما كانت عقوبتهم فقال: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفت وهو قوله ﴿فإذا هم خامدون﴾ أي ساكتون قد ماتوا، قوله:

يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ

(١) - تفسير ابن جرير ١٠٣/٢٢.

(٢) - تفسير ابن جرير ١٠٤/٢٢.

(٣) - في هـ تنتصر.

(٤) - في هـ: بايش.

الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿يا حسرة على العباد﴾ قال مجاهد ومقاتل: يا ندامة عليهم في الآخرة باستهزائهم بالرسول في الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال: ﴿ما يأتيهم من رسول﴾ أي في الدنيا ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ ثم خوف كفار مكة فقال ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يروا أن القرون التي أهلكناها ﴿لا يرجعون﴾ إليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا تعتبرون بهم ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ يعني: أن الأمم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا^(١) ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فقال:

وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ أي يدهم على قدرتنا على البعث احياء الأرض بالنبات بعد أن كانت ميتة لا تنبت شيئاً وهو قوله ﴿أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾ يعني: ما يقتات من الحبوب ﴿وجعلنا فيها﴾ في^(٢) الأرض ﴿جنت من نخيل وأعناب وفجرتنا فيها﴾ في الأرض ﴿من العيون﴾ يعني: عيون الماء ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ يعني: من ثمرة النخيل وهو في اللفظ مذكر ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي ومن ثمرة ما عملت أيديهم يعني الغروس والحروث التي قاسوا حرارتها ومن قرأ عملته بالهاء جعلها عائدة إلى ما التي هي بمعنى الذي، ومن قرأ بحذف الهاء فلأن هذه الهاء الراجعة إلى الموصول تجيء محذوفة في أكثر القرآن كقوله ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾^(٣) ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾^(٤) وتكون هذه القراءة كقراءة عملته^(٥) لأن الهاء مرادة وإن حذف في اللفظ، ويجوز أن يكون ما في وما عملته نفياً وهو معنى قول الضحاك ومقاتل. قال الضحاك: أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها، وقال مقاتل: يقول لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكن من فعلنا وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ أي رب هذه النعم فيوجدونه، ثم نزه نفسه فقال ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: اجناس الفواكه والحبوب وأصنافها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ يعني الذكران والإناث ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خلق الله من جميع الأنواع والأشياء مما لا تقف عليه^(٦) من داوب البر والبحر.

وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ

(١) - في هـ حملوا.

(٢) - في هـ: يعني في الارض.

(٣) - الفرقان: ٤١.

(٤) - النمل: ٥٩.

(٥) - قرأ حمزة والكسائي ورواية عن عاصم (وما عملت أيديهم) بغير هاء وقرأ الباقون بالهاء السبعة ٥٤٠

قراءة (عملته) بالهاء قرأ بها جميع القراء عدا حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم فقد قرءوا (عملت) بدون هاء انظر السبعة صـ ٥٤٠

والنشر ٣٥٣/٢.

(٦) - في هـ: مما تقف عليه.

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وآية لهم﴾ تدل على قدرتنا ﴿الليل نسلخ منه النهار﴾ قال الفراء: نرمي بالنهار على الليل فنأتي بالظلمة^(١) وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل [أي نزع]^(٢) فتظهر الظلمة وهو قوله ﴿إذا هم مظلومون﴾ داخلون في ظلام الليل، قوله ﴿والشمس تجري﴾ وآية لهم ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ يعني انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وقال ابن قتيبة: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربيها ثم ترجع فذلك^(٣) مستقرها لأنها لا تجاوزه^(٤) وعلى هذا القول يكون التقدير لمستقر لسيرها حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج املاء، نا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أحمد بن^(٥) سلمة، نا اسحاق بن ابراهيم، أنا وكيع، نا الأعمش عن إبراهيم^(٦) التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال مستقرها تحت العرش^(٧) رواه البخاري عن الحميدي عن وكيع، ورواه مسلم عن أبي سعيد الأشج عن اسحاق، وقوله ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي ذكر من أمر الليل والنهار والشمس والقمر ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بما قدر من أمرها، قوله ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر فإذا صار إلى آخر منازلها دق وذلك قوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ ومن قرأ والقمر نصباً^(٨) فلأن المعنى: وقدرنا القمر قدرناه كما تقول: زيداً ضربته، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ وإذا جف وقدم يشبه الهلال ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي هما يتعاقبان بحساب معلوم ولا يجيء أحدهما قبل وقته ﴿وكل﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلک يسبحون﴾ يسرون فيه.

وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

﴿وآية لهم﴾ وعلامة لأهل مكة على قدرتنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ يعني: آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم ﴿في الفلك المشحون﴾ يعني: سفينة نوح لأن من حمل مع نوح كان هؤلاء من نسلهم والذرية تقع على الآباء كما تقع على الأولاد والمشحون المملوء ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ يعني: السفن التي عملت بعد سفينة نوح

(١) - في معاني القرآن: نرمي النهار عنه فتأتي الظلمة ٣٧٨/٢.

(٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ: فذلك.

(٤) - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٤٣ تحقيق أحمد صقر.

(٥) - أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النيسابوري الجرح والتعديل ٥٤/١.

(٦) - إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي ت سنة ٩٢ هـ تهذيب التهذيب ١٧٦/١.

(٧) - رواه البخاري في كتاب التفسير سورة يس ١٥٤/٦ ط الشعب.

(٨) - قراءة (والقمر) بالنصب، قرأ بها ابن عامر وحمة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو جعفر وعاصم انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر

مثلها على هيئتها وصورتها، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر منته بأن خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارات ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو شاء أغرقهم فلم يغثهم أحد ولم ينقذهم من الغرق وهو قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ ولا مغيث لهم والصريخ ها هنا بمعنى المصرخ ﴿ولا هم ينقذون﴾^(١) يقال: أنقذه واستنقذه إذا خلصه من مكروهه، قال ابن عباس: ولا ينقذهم من عذابي ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ أي إلا أن نرحمهم ونمتعهم إلى آجالهم وذلك أن الكافر متعه الله في الدنيا ورزقه فيها فإذا ركب السفينة سلمه حتى يموت بأجله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ هؤلاء الكفار ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وما فيها من زهرتها ﴿لعلكم ترحمون﴾ لتكونوا على رجاء الرحمة من الله وجواب إذا محذوف على تقدير وإذا قيل لهم هذا أعرضوا يدل على المحذوف قوله ﴿وما تأتيتهم من آية﴾ أي عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ ﴿إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ قال مقاتل: إن المؤمنين قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم انه الله وهو ما جعلوه من حروثهم وانعامهم لله قالت الكفار ﴿أنطعم﴾ أنرزق ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ رزقه أي نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضها ليلو الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر وقوله ﴿إن أنتم إلا في ضلالٍ مبين﴾ هذا من قول الكفار للمؤمنين يقولون لهم إن أنتم في اتباعكم محمداً وترك ديننا إلا في خطأ بين.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهَمٌّ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به يا محمد من القيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك أنت وأصحابك قال الله تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى يعني أن القيامة تأتيهم بغتة ﴿تأخذهم﴾ الصيحة ﴿وهم يخصمون﴾ أي يختصمون في البيع والشراء ويتكلمون في الأسواق والمجالس أعز ما كانوا متشاغلين في متصرفاتهم وأجود القراءة فتح الخاء مع تشدد الصاد^(٢) لأن الأصل يختصمون فألقيت حركة الحرف المدغم وهو التاء على الساكن الذي قبله وهو الخاء. ومن قرأ بكسر الخاء حركه بالكسر لالتقاء الساكنين^(٣)، وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين^(٤) قال الزجاج: وهو أفسد الوجوه وأردأها، وقرأ حمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد وهو يفعلون [من]^(٥) الخصومة كأنه قال وهم يتكلمون. والمعنى: تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً، وأراد

(١) - ساقط من هـ.

(٢) - قراءة (يخصمون) بفتح الباء والخاء وتشديد الصاد، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو انظر السبعة ص ٥٤٠.

(٣) - قراءة (يخصمون) بفتح الباء وكسر الخاء، قرأ بها عاصم وابن عامر والكسائي انظر السبعة ص ٥٤٠.

(٤) - انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر ٢/٣٥٤ في قراءة الجمع بين الساكنين في (يخصمون) فقد قرأ بها أبو جعفر.

(٥) - انظر السبعة ص ٥٤٠ والنشر ٢/٣٥٤.

أن الكفار الذين تقوم عليهم الساعة تأخذهم الصيحة وهم يختصمون والقوم إذا كانوا على أمر واحد كان الخبر عن بعضهم كالخبر عن جميعهم، ثم ذكر أن الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الارتقاء بشيء فقال: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ وإلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عما يلقون في النفخة الأولى، ثم أخبر عما يلقونه في النفخة الثانية إذا بعثوا بعد الموت فقال:

وَيُنْفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا نَوِيلَانَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ نَفْسًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث﴾ يعني القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ يخرجون من قبورهم أحياء، يقال: نسل في العد وينسل نسلاناً ﴿قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المفسرون: إنما يقولون هذا لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون فلما بعثوا في النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل فقالت الملائكة: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ على السنة الرسل أنه يبعثكم بعد الموت ﴿وصدق المرسلون﴾ في وعد البعث، وقال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين، قال الكافرون ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ وقال المسلم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ ثم ذكر النفخة الثانية فقال ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ يقول الله تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ثم ذكر أولياءه فقال:

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني في الآخرة ﴿في شغل﴾ وقرئ شغل^(١) وهما لغتان، قال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى من أهل النار فلا يذكر ونهم ولا يهتمون لهم، وهذا قول جماعة المفسرين^(٢) وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب ﴿فاكهون﴾ ناعمون معجبون بما هم فيه، قال أبو زيد: الفكه الطيب النفس الضحوك يقال رجل فكه وفاكه ولم يسمع لهذا أفعل في الثلاثي ﴿هم وأزواجهم﴾ يعني حلاتهم ﴿في ظلال﴾ قال مقاتل في أكنان القصور، وقرئ في ظلل^(٣) وهي جمع ظلة ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر عليها الحجال قال أحمد بن يحيى: الأريكة لا تكون إلا سريراً في قبة عليه سواره ومتاعه ﴿لهم فيها﴾ في الجنة ﴿فاكهة﴾ وهم ما يدعون ﴿يتمنون ويشتهون﴾ قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء والمعنى: كل ما يدعوه أهل الجنة يأتيهم ثم بين ما يشتهون فقال: ﴿سلام قولاً﴾ وهو بدل من ما المعنى [لهم]^(٤) ما يتمنون سلام^(٥) ومن أهل الجنة أن يسلم الله عليهم وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله

(١) - قراءة (في شغل) بضم فسكون، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو، أما قراءة (في شغل) فقد قرأ بها بقية القراء انظر السبعة ص ٥٤١ والنشر ٣٥٤/٢.

(٢) - انظر: تفسير ابن جرير ١٨/٢٢.

(٣) - قراءة (في ظلل) بضم الظاء من غير ألف، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف انظر السبعة ص ٥٤١ والنشر ٣٥٥/٢.

(٤) - ساقط من هـ.

(٥) - فيما عدا هـ وتمنى.

الله قولاً. أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا عبد^(١) الخالق بن علي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى اللخمي، نا الحسن^(٢) بن أبي علي الزعفراني، نا ابن^(٣) أبي الشوارب، نا أبو عاصم، نا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قول الله تعالى ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ فينظر الله إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»^(٤) وقال ابن عباس: يرسل الرحيم إليهم بالسلام، وقال مقاتل: إن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم.

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿لَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله: ﴿وامتازوا اليوم﴾ يقال مزت الشيء من شيء إذا عزلته وتحيته فامتاز، قال: مقاتل اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي: كونوا على حدة، قال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين ﴿ألم أعهد إليكم﴾ ألم آمركم وأوص إليكم، وقال الزجاج: ألم اتقدم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم قال مقاتل: يعني الذين أمروا بالاعتزال ﴿ألا تعبدوا الشيطان﴾ لا تطيعوا ابليس في الشرك ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة أخرج أبيكم من الجنة ﴿وأن اعبدوني﴾ أطيعوني ووجدوني ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يعني دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، ثم ذكر عداوته لبني آدم فقال ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ يعني خلقاً كثيراً وفيه لغات جبلاً وجبلاً وهذه الأوجه قرىء بها^(٥) ومعناها الخلق والجماعة ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ ما رأيتم من الأمم قبلكم إذ أطاعوا ابليس وعصوا الرسول فاهلكوا ويقال لهم لما دنوا من النار:

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٣﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصِرُّوكَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾

(١) - عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أبو القاسم المؤذن ت سنة ٤٠٥ هـ انظر تاريخ الإسلام.

(٢) - الحسن بن أبي علي الفضل بن السمح أبو علي الزعفراني. تاريخ بغداد ٤٠٢/٧ ص ٧٣.

(٣) - ساقط من هـ.

(٤) - رواه ابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية حديث ١٨٤: ٦٥/١، وقال عنه الهيثمي:

رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف. مجمع الزوائد كتاب التفسير سورة يس ٩٨/٧.

(٥) - قراءة: (جبلاً) بضم الجيم والباء مخففة اللام، قرأ بها: ابن كثير وحزمة والكسائي وخلف ورويس أما قراءة جبلاً بضم الجيم وتسكين

الباء وتخفيف اللام قرأ بها أبو عمرو وابن عامر. وقرأ بها نافع وعاصم ويعقوب وأبو جعفر. انظر السبعة ص ٥٤٢ والنشر ٣٥٥/٢

وقرأ نافع وعاصم (جبلاً) بكسر الجيم والباء مشددة اللام السبعة: ٥٤٢.

﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في الدنيا ﴿أصلوها﴾ قاسوا حرها ﴿اليوم﴾ يعني : يوم القيامة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم بها في الدنيا ﴿اليوم نختم﴾ الآية قال المفسرون : إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل وقالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فحتم الله على أفواههم وتكلمت جوارحهم بإذن الله لها في الكلام فشهدت عليهم بما عملوا قوله : ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن يهددهم الله بهذا كقوله : ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾^(١) يقول : كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿فأني يبصرون﴾ فكيف يبصرون وقد أعمينا أبصارهم^(٢) ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم﴾ على مكائهم الذي هم فيه قعود يقول : لو شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواح ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ لا يقدرن على ذهاب ولا مجيء .

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ومن نعمره نكسه في الخلق﴾ بالتشديد^(٣) والتخفيف يقال نكسته وأنكسته ونكسته وأنكسته وذكرنا معنى النكس في قوله ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾^(٤) قال الزجاج : من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ﴿أفلا يعقلون﴾ أليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت ومن قرأ بالتاء^(٥) فهو مخاطبة للكفار ، قوله : ﴿وما علمناه الشعر﴾ قال الكلبي : إن كفار مكة قالوا : إن القرآن شعر وإن محمداً شاعر فقال الله تكديباً لهم : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ الشعر أي ما يستهل له ذلك وما يتزن له بيت شعر حتى إذا مثل له بيت شعر جرى عل لسانه منكسراً ، أخبرني أبو نعيم^(٦) أحمد بن عبد الله بن إسحاق إجازة ، نا أبو محمد الحسن بن محمد بن كيسان ، نا إسماعيل القاضي ، نا سليمان بن حرب ، نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد^(٧) أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت (كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً) فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر : (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً)^(٨) أشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر وما ينبغي لك^(٩) ، وقالت عائشة : كان رسول الله يتمثل ببيت أخي بني قيس^(١٠) :

(١) - البقرة: ٢٠. (٢) - في هـ : اعينهم.

(٣) - قراءة (نكسه) بالتشديد قرأ بها : حمزة ورواية عن عاصم ، أما قراءة (نكسه) بالتخفيف فقد قرأ بها باقي القراء رواية عن عاصم انظر السبعة ص ٥٩٣ والنشر ٢/٣٥٥.

(٤) - الانبياء: ٦٥.

(٥) - قراءة (تعقلون) بتاء الخطاب ، قرأ بها : نافع وأبو جعفر ويعقوب ورواية عن ابن عامر انظر السبعة ص ٥٩٣ والنشر ٢/٢٥٦.

(٦) - أبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الاصبهاني ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ انظر : البداية والنهاية ١٢/٤٥ ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٢ ، طبقات الحفاظ ص ٤٢٣.

(٧) - علي بن زيد بن زهير بن عبد الله المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب إلى جده ت سنة ١٣١ هـ قال عنه ابن حجر في التقريب ضعيف من الطبقة الرابعة ٣٢٢/٧ وقال عنه ابن أبي حاتم في كتابه المجروحين ترك الاحتجاج به «المجروحين ٢/١٠٣» .

(٨) - البيت لسحيم عبد بني الحسحاس وهو في ديوانه ص ١٦ بتحقيق عبد العزيز الميمني وصدرة «عميرة ودع إن تجهزت غازيا» البيان والتبيين للجاحظ: ٧١/١ ، والكامل للمبرد ٢٨٥ وفي ديوانه (١٦) والخزانة ١/٢٧٣ ، شرح شواهد المغني ١/٣٢٥

(٩) - رواه الطبري في تفسيره: ١٩/٢٣ وابن سعد في طبقاته: ٣٨٢/١ ومن سند هذا الاثر نرى انه اثر ضعيف وذلك لضعف علي بن زيد.

(١٠) - وأخو بني قيس طرفة بن العبد له ترجمة وافية في كتاب شرح المعلقات السبع للزوزني والبيت في معلقة طرفة ص ٧٢.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي^(١) وقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ قال مقاتل: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْآنٌ مِّبِينٌ﴾ فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿لِيُنذِرَ﴾ أي القرآن ومن قرأ بالثناء^(٢) لتنذر يا محمد بما في القرآن ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعني مؤمناً حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر ﴿وَيُحِقُّ الْقَوْلَ﴾ وتجب الحججة بالقرآن ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ثم ذكرهم قدرته فقال:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهَلُمَّ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ مما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين وذكر الأيدي ها هنا يدل على انفراده بما خلق والواحد منا إذا قال عملت هذا بيدي دل ذلك على انفراده بعمله وإنما تخاطب العرب بما يستعملون من مخاطباتهم وقوله ﴿أنعاماً﴾ يريد: الإبل والبقر والغنم ﴿فهم لها مالكون﴾ ضابطون قاهرون، أي لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهو قوله ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ ما يركبون يعني: الإبل، وقال مقاتل: يعني حملتهم الإبل والبقر ﴿ومنها يأكلون﴾ يعني: الغنم ﴿ولهـم فيها منافع﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل ﴿ومشارب﴾ من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ رب هذه النعم فيوحدونه ثم ذكر جهلهم وغرتهم فقال:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون من العذاب ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرتهم، وقال مقاتل: لا تقدر آلهة أن تمنعهم من العذاب ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ يعني الكفار جند الأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا قال قتادة: يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً، وقال الزجاج: ينتصرون للأصنام وهي لا تستطيع نصرهم، ثم عزى نبيه فقال ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك ﴿إننا نعلم ما يسرون﴾ في ضمائرهم من تكذيبك ﴿وما يعلنون﴾ بالسنتهم والمعنى: إننا نثيبك ونجازيمهم قوله ﴿أولم ير الإنسان﴾ يعني أبي بن خلف خاصم النبي ﷺ في انكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال: أيجبي الله هذا بعدما رم فأنزل الله: ﴿أولم ير الإنسان﴾

(١) - رواه الترمذي في أبواب الأدب ما جاء في إنشاء الشعر حديث ٣٠٠٦٠ وابن حنبل في المسند: ٣١/٦، ١٤٦، وقال الهيثمي: رواه

البيزار والطبراني في أثناء حديث ورجالها رجال الصحيح. مجمع الزوائد: كتاب الأدب باب جواز الشعر: ١٢٨/٨.

(٢) - قراءة (لتنذر) بالثناء قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب انظر: السبعة ص ٥٤٤ والنشر ٢/٣٥٥.

يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُنْتَمَ مِنْهُ تُوْقِدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾^(١) يعني ألا يرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم وهذا تعجيب من جهله وانكار عليه خصومته أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته، ثم أكد الإنكار عليه بقوله ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي يفته بيده ويتعجب ممن يقول إن الله يحييه ﴿ونسي خلقه﴾ قال مقاتل: وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة ثم بين ذلك المثل بقوله ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ قاس قدرة الله بقدرة الخلق فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور الخلق يقال رم العظم يرم رمًا إذا بلي وهو رميم والعظام رميم ولا يقال بالهاء لأنه مصروف إلى فعيل قال الله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾ ابتدأها وخلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق﴾ من الابتداء والإعادة ﴿عليم﴾ ثم زاد في البيان وأخبر عن عجب صنعه فقال ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ يعني ما جعل من النار في المرخ والقفار وهما شجرتان تتخذ الأعراب زنودها منها وهو قوله ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ تقدحون النار وتوقدون منها ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان فقال:

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض﴾ في عظمها وكثرة أجزائها يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله ﴿بلى﴾ أي هو قادر على ذلك ﴿وهو الخلاق﴾ يخلق خلقاً بعد خلق ﴿العليم﴾ بجميع ما خلق، ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء فقال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٢) وقد تقدم تفسيرها ثم نزه نفسه من أن يوصف بغير القدرة فقال ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ أي ملك كل شيء والقدرة على كل شيء. ﴿وإليه ترجعون﴾ تردون بعد الموت.

(١) - رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث وابن أبي حاتم الدر المنثور ٧/٧٥ وابن جرير في تفسيره ٢٣/٢١.

(٢) - النحل: ٤٠.

سورة الصافات

مكية وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

أخبرنا أبو عثمان بن أبي بكر الحيري، أنا أبو عمرو بن أبي الفضل المؤذن، أبو اسحاق الأسدي، نا عبد الله اليربوعي، نا المدائني، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبريء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين^(١)».

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝
(بسم الله الرحمن الرحيم).

﴿والصافات صفا﴾ هذا قسم أقسم الله بالملائكة التي تصف أنفسها في السماء كصفوف الخلق في الدنيا، قال ابن عباس: يريد الملائكة صفوفاً صفوفاً لا يعرف كل ملك منهم من إلى جانبه لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل ﴿فالزاجرات زجراً﴾ يعني الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونه في سوقه وتأليفه، وقال قتادة: يعني زواجر القرآن وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح^(٢) ﴿فالتاليات ذكراً﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله، وقال الكلبي: هم قراء الكتاب ﴿إن الهكم لواحد﴾ جواب القسم أقسم الله تعالى بهذه الأقسام أنه واحد ليس له شريك ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ من شيء ﴿ورب المشارق﴾ مطلع الشمس.

إِنَّا زِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا ۝ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَن خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝

﴿إننا زينا السماء الدنيا﴾ يعني التي تلي الأرض فهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿بزينة الكواكب﴾ بحسنها وضوئها، وقرأ حمزة بزينة منونة وخفض الكواكب^(٣)، قال الزجاج: الكواكب بدل من الزينة لأنها هي كما تقول: مررت بأبي عبد الله زيد، وقرأ عاصم بالتنوين ونصب^(٤) الكواكب أعمل الزينة وهي مصدر في الكواكب والمعنى بأننا زينا الكواكب فيها حين ألفناها في منازلها وجعلناها ذات نور ﴿وحفظاً﴾

(١) - لم يعثر له على أصل وتراجع أول مريم والحج . تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣ .

(٢) - انظر: تفسير ابن جرير ٢٣/٢٣ .

(٣) - انظر: السبعة صـ (٥٤٦) والنشر ٢/٣٥٦ .

(٤) - السبعة: صـ ٥٤٦ والنشر ٢/٣٥٦ .

للسماء بالكواكب ﴿من كل شيطان مارد﴾ متمرد يرمون بها فلا تخطئهم قوله ﴿لا يسمعون إلى الملا الأعلى﴾ قال الكلبي: لكي لا يسمعون إلى الكتبة من الملائكة، والملا الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء، وقرىء يسمعون بالشديد^(١) وأصله: يتسمعون فأدغم التاء في السين ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ ويرمون من كل ناحية بالشهب ﴿دحوراً﴾ يقال دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وابعده والمعنى: يدحرون دحوراً فيبعدون عن تلك المجالس التي يسترقون فيها السمع ﴿ولهم عذاب واصب﴾ قال مقاتل: يعني دائماً إلى النفخة الأولى فهم يخرجون ويكبلون ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ﴿فأتبعه﴾ لحقه وأصابه ﴿شهاب ثاقب﴾ نار مضيئة تحرقه، والثاقب: النير المضيء كقوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾^(٢).

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَءَاؤُنَا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا آءَانَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾

قوله ﴿فاستفتهم﴾ قال الزجاج: سلهم سؤال تقرير عن ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أحكم صنعة ﴿أم من خلقنا﴾ قبلهم من الأمم السالفة يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بالتكذيب فما الذي يؤمنهم من العذاب، ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ لاصق جيد، يقال لزب يلزب لزوباً إذا لصق، والمعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا اخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق.

قوله ﴿بل عجبك ويسخرون﴾ بل معناه: ترك الكلام الأول والأخذ في الكلام الآخر^(٣) كأنه قال: دع يا محمد ما مضى عجبك من كفار مكة حين أوحى إليك القرآن ولم يؤمنوا به وهو قوله ﴿ويسخرون﴾ لأن سخريتهم بالقرآن وبه من ترك الإيمان، قال قتادة: عجب نبي الله من هذا القرآن حين انزل عليه وخلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع منه القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه وتركوا الإيمان به عجب من ذلك - ﷺ - فقال الله: عجبك يا محمد من نزول الوحي عليك وتركهم الإيمان وقرأ ابن مسعود بضم التاء^(٤) أخبرناه أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا إبراهيم^(٥) بن عبد الله الأصفهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبة^(٦)، نا جرير، عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأ عبد الله: بل عجبك، فقال شريح: إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم، قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم فقال: إن شريحاً كان معجباً برأية إن عبد الله قرأ: بل عجبك ويسخرون وعبد الله أعلم من

(١) - قراءة (يسمعون) بالشديد، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر السبعة ص ٥٤٧ والنشر ٢/٣٥٦.

(٢) - الحجر: ١٨.

(٣) - في هـ: كلام آخر.

(٤) - قراءة ابن مسعود هي قراءة حمزة والكسائي (بل عجبك) بضم التاء أما باقي القراء فقراءتهم بفتح التاء. السبعة (ص ٥٤٧) والنشر

٢/٣٥٦.

(٥) - إبراهيم بن عبد الله بن حاتم العمري أبو إسحاق الأصفهاني نـ ٢٢٤ هـ طبقات الحفاظ (٢٠٩).

(٦) - قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف البلخي ت ٢٤٠ هـ. تذكرة الحفاظ ٢١/٤٤٦.

شريح، وإضافة العجب إلى الله تعالى ورد به الخبر كقوله - ﷺ: «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة»^(١) و «عجب ربكم من إلكم»^(٢) و «عجب الله البارحة من فلان وفلانة»^(٣) ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى، ومعناه: الاستحسان والخبر عن تمام الرضا وعجب مما يكره ومعناه: الإنكار والذم له، وتأويل الآية أن الله تعالى ذكر الكفار وما هم فيه من الكفر والتكذيب وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهوون ولا يتفكرون، قوله ﴿وَإِذَا ذَكَرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ قال ابن عباس ومقاتل يعني: انشقاق القمر^(٤) ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يسخرون ويستهوون ويقولون: هذا عمل السحرة وهو قوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ جعلوا ما يدل على التوحيد مما يعجزون عنه سحراً، ثم ذكر انكارهم البعث بقوله ﴿أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وقد مضت في مواضع، وقوله: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ ألفت الاستفهام دخلت على حرف العطف كقوله: ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَى﴾^(٥) قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ نَعْمٌ﴾ يعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون، والدخور: أشد الصغار، ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي فإنما قضية البعث صحيحة واحدة من إسرافيل يعني: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إلى البعث الذي كذبوا به فلما عينوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا إن البعث حق فدعوا بالويل.

وَقَالُوا يَتَوَلَّوْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ هَذَا يَوْمَ الفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^{٢٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوْهُمُ عَلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَيُّومٍ مُّسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وقالوا: يا ويلنا﴾ من العذاب ﴿هذا يوم الدين﴾ الحساب الجزاء نجازى فيه ما عملنا، فقالت الملائكة ﴿هذا يوم الفصل﴾ يوم القضاء ﴿الذي كتتم به تكذبون﴾ يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويقال في ذلك اليوم ﴿أحشروا الذين ظلموا﴾ اجمعوهم من حيث بعثوا إلى الموقف والحساب والمراد بالذين ظلموا الذين أشركوا من بني آدم، وقوله ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن: يعني: المشركات كأنه قال: أحشروا المشركين والمشركات، وقال جماعة المفسرين: أشباههم وأمثالهم وأتباعهم ونظراءهم وضرباءهم وعلى هذا القول يحمل الذين ظلموا على القادة والرؤساء وأزواجهم^(٦) أتباعهم ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ يعني: الأوثان والطواغيت، وقال مقاتل: يعني: إبليس وجنده واحتج بقوله ﴿ألا يعبدوا الشيطان﴾^(٧) ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ دلوهم عليها أي اذهبوا بهم إلى الجحيم،

(١) - قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد كتاب الزهد. باب فيمن لا صبوة له ٢٧٠/١٠.

(٢) - الال: الحلف والأيمان ولقد روى ابن ماجه هذا الخبر بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره...» ابن ماجه. المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٣) - الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب المناقب. باب مناقب الانصار ٤٣/٥ ط الشعب.

(٤) - يقصد على عهد رسول الله ﷺ: انشق قمر فلقتين حتى رأوا حراء بينهما روى ذلك البخاري في كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة ١٧٨/٦ ط الشعب.

(٥) - الاعراف: ٩٨.

(٦) - ساقط من هـ.

(٧) - سورة يس: ٦٠.

قوله: ﴿وقفوههم﴾ قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط فليل وقفوههم ﴿إنهم مستولون﴾ قال ابن عباس: عن أعمالهم في الدنيا وأقوابيلهم، وقال مقاتل سألتهم خزنة جهنم ﴿ألم يأتكم نذير﴾^(١) ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾^(٢) ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد وهو قوله: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أي أنهم يستولون تويخاً لهم فيقال: ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر^(٣) فليل لهم ذلك ما لكم غير متناصرين قال الله تعالى: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ آيِنَا لَتَارِكُوآءِ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ تَجْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني: الرؤساء والأتباع ﴿يتساءلون﴾ تويخ وتأنيب يقول الأتباع للرؤساء: لم غررتمونا؟ ويقولون لهم: لم قبلتم منا؟ وهو قوله ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أي من قبل الحق والدين والطاعة فتضلوننا عنها، قال الزجاج: كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الدين الحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله إخباراً عن إبليس ﴿ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم﴾^(٤) فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين فقد أتاه من قبل الدين فليس عليه الحق.

وقال بعض أهل المعاني: [إن الرؤساء]^(٥) كانوا قد جعلوا لهؤلاء أن ما بدعوتهم إليه هو الحق فوقفوا بأيمنهم فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فتفتنون بها، والمفسرون على القول الأول فقال لهم الرؤساء ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ لم تكونوا على الحق فضلكم عنه أي إنما الكفر من قبلكم ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ من قدرة وقوة فتقهركم ونكرهكم على متابعتنا ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ ضالين ﴿فحق علينا﴾ فوجب علينا جميعاً ﴿قول ربنا﴾ يعني كلمة العذاب وهو قوله ﴿لأملأن جهنم...﴾^(٦) الآية ﴿إننا لذائقون﴾ العذاب الأليم، قال الزجاج: أي إن المضل والضال في النار ﴿فأعوبناكم﴾ أضللناكم عن الهدى ودعونناكم إلى ما كنا عليه وهو قوله ﴿إننا كنا غاوين﴾ يقول الله ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ الرؤساء والذين أطاعوهم ﴿إننا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يتكبرون عن الهدى وتوحيد

(١) - سورة الملك: ٨.

(٢) - الزمر: ٧١.

(٣) روى ذلك ابن جرير في تفسيره على أنه قول لكفار مكة يوم بدر انظر تفسير ابن جرير ٢٧/٦٥.

(٤) - الاعراف: ١٧.

(٥) - ساقط من هـ.

(٦) - ص: ٨٥.

الله ﴿ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا﴾ أترك عبادتها ﴿لشاعر مجنون﴾ يعنون النبي ﷺ فرد الله عليهم بقوله ﴿بل﴾ أي ليس الامر [ما] ^(١) على ما قالوه ﴿جاء﴾ محمد ﴿بالحق﴾ ^(٢) بالقرآن والتوحيد ﴿وصدق المرسلين﴾ ^(٣) الذين كانوا قبله أي إنما ^(٤) أتى بما أتى به من قبله من الرسل.

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَاكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۝٤٥ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۝٤٧ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩

﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون﴾ في الآخرة ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ على مقدار غدوة وعشية، قال قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقال غيره هو ما ذكره في قوله ﴿فواكه﴾ وهي جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ﴿وهم مكرمون﴾ بثواب الله ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ويطاف عليهم بكأس﴾ وهي الإناء بما فيه ﴿من معين﴾ من خمر ظاهر تراه العيون في الأنهار ﴿بيضاء﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن ﴿لذذة﴾ لذيدة يقال شراب لذ ولذيد.

﴿للشاربين﴾ الذين يشربونها ﴿لا فيها غول﴾ لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدي إلى الهلاك ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا يسكرون يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ومن كسر الزاي ^(٥) فقال الزجاج ^(١): له معنيان يقال: أنزف الرجل إذا فنيته خمره وأنزف إذا ذهب عقله من السكر فتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي نساء قصرن طرفهن على أزواجهن فلا تردن غيرهم والقصر: معناه الحبس ﴿عين﴾ حسان الأعين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مصون مستور، قال الحسن وابن زيد: شبهن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها أبيض في صفة وهذا أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة، قال المبرد: والعرب تشبه المرأة الناعمة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعام.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَعَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ قَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَأَلَّهَ إِن كُدَّتْ لَرُدِّينَ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوَئِدَنَا الْأُولَىٰ

(١ - ٢) - ساقط من هـ.

(٣) - في هـ: المرسلون.

(٤) - فيما عدا هـ: إنه.

(٥) - قراءة (ينزفون) بكسر الزاي، قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف. انظر السبعة ص ٥٤٧ والنشر ٣٥٧/٢.

(٦) - في هـ: الفراء.

وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿فأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني : أهل الجنة ﴿يتساءلون﴾ يسأل هذا ذاك وذاك هذا عن أحوالهم كانت في الدنيا [يدل] ^(١) على هذا ما ذكر الله عن بعضهم أنه أخبر عن حال قرينه معه كيف كانت في الدنيا وهو قوله ﴿قال قائل منهم﴾ يعني : من أهل الجنة ﴿إني كان لي قرين﴾ يعني : أخاً له في الدنيا كان ينكر البعث [وهو قوله] ^(٢) ﴿يقول﴾ أي يقول لي ﴿أنتك لمن المصدقين﴾ بالبعث ﴿أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً﴾ إنا لمدينون ﴿مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار ثم ﴿قال﴾ المؤمن لاخوانه في الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى الناس لننظر كيف منزلة أخي فقال أهل الجنة : إنك أعرف به منا فاطلع أنت فطلع فرأى أخاه ﴿في سواء الجحيم﴾ في وسطها قال الزجاج : وسواء كل شيء وسطه و﴿قال﴾ له ﴿تالله إن كدت لتردين﴾ قال مقاتل : والله لقد كدت أن تغويني فأنزل منزلتك . والارداء الاهلاك ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه ﴿ولولا نعمة ربي﴾ لولا إنعامه علي بالإسلام ﴿لكنك من المحضرين﴾ معك في النار . قال الكلبي : ثم يؤتى بالموت فيذبح فإذا أمن أهل الجنة الموت فرحوا وقالوا : ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعدين﴾ فليل لهم لا فعند ذلك قالوا ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ قال الله تعالى : ﴿لمثل هذا﴾ النعيم يعني ما ذكره من قوله ﴿لهم رزق معلوم﴾ إلى قوله ﴿بيض مكنون﴾ ﴿فليعمل العاملون﴾ وهذا ترغيب في طلب ثواب الله بطاعته .

أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

قوله : ﴿أذلك﴾ الذي ذكره ﴿خير نزلاً﴾ : قال الزجاج : أذلك خير في باب الأنزال التي يتقوت ^(٣) بها أم نزل أهل النار وهو قوله ﴿أم شجرة الزقوم﴾ وهو ما يكره تناوله والذي أراد الله هوشية مكرهه يكره تناوله ، وأهل النار يكرهون على تناوله فهم يتزقمون على أشد كراهة ، قال قتادة : لما ذكر الله هذه الشجرة بها الظلمة فقالوا : كيف تكون في النار شجرة والنار تأكلها فأنزل الله : ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ .

قال الزجاج : خبره لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ قال الحسن : أصلها في قعر جهنم وأعضاؤها ترفع إلى دركاتها ﴿طلعها﴾ ثمرها ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ لقبحة والشياطين موصوفة بالقبح وإن كانت لا ترى والشيء إذا استقبح شبه بها فيقال كأنه شيطان ﴿فإنهم لا ياكلون منها﴾ أي ثمرها ﴿فما لؤن منها البطون﴾ وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ لخلطاً ومزاجاً ﴿من حميم﴾ يعني : أنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليها الحميم وهو الماء الحار فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد شرب الحميم وأكل الزقوم ﴿لإلى الجحيم﴾ وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم

(١) - ساقط من هـ .

(٣) - في هـ : يتقرب .

كما تورد الإبل الماء ثم يردون إلى الجحيم ويدل على صحة ما ذكرنا قوله ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾^(١) ﴿إنهم ألفوا﴾ وجدوا ﴿آباءهم ضالين﴾ عن الهدى ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يسعون في مثل أعمال آبائهم، قال الكلبي: يعملون مثل عملهم، وقال ابن عباس وقتادة: يسرعون. قال الزجاج: يتبعون آباءهم اتباعاً في سرعة كأنهم يزعمون إلى اتباع آبائهم يقال: هرع الرجل وأهرع إذا استحث فأسرع.

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿ولقد ضل قبلهم﴾ قبل هؤلاء المشركين ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم الخالية ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ رسلاً ﴿منذرين﴾ يندرونهم العذاب على ترك الإيمان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الذين أنذروا بالعذاب.

قال مقاتل: يقول: كأن عاقبتهم العذاب يحذر كفسار مكة ثم استثنى المؤمنين منهم فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين الذين نجوا من العذاب.

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ دعا ربه على قومه فقال: ﴿إني مغلوب فانتصر﴾^(٢) ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن يعني: أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه الكافرين ﴿ونجينا وأهله من الكرب﴾ الغم ﴿العظيم﴾ الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك انه لم يبق من نسل من كان معه في السفينة إلا من ولد نوح يدل على هذا ما أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد، أنا أبو علي بن أحمد الفقيه، أنا إبراهيم بن عبد الله الزيني، نا بندار^(٣)، نا محمد بن خالد بن (٤) عثمة، نا سعيد بن بشير^(٥) عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال: سام وحام ويافث^(٦) فسر الذرية الباقية بهؤلاء الثلاثة فسام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ في الذين يجيئون بعده إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومقاتل: تركنا عليه ثناء حسناً وهو قوله ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ يعني بالسلام الثناء الحسن قال الزجاج: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله ﴿سلام على نوح﴾ أي تركنا عليه ﴿في الآخرين﴾ أن يصلى عليه إلى يوم القيامة ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

(٢) - القمر: ١٠.

(١) - الرحمن: ٤٤.

(٣) - بندار بن محمد بن بشار بن عثمان العبدي أبو بكر البصري الحافظ ت ٢٥٢ هـ عن خمس وثمانين سنة انظر طبقات الحفاظ (٢٢٢)، تذكرة الحفاظ ٥١١/٢، العبر ٣/٢.

(٤) - محمد بن خالد بن عثمة الحنفي البصري. تهذيب التهذيب ١٤٢/٩.

(٥) - سعيد بن بشير الأزدي ت ١٦٨. تهذيب ٩/٤، الجرح والتعديل ٦/٢.

(٦) - رواه الترمذي في كتاب التفسير. سورة الصافات حديث (٣٢٨٤) وقال حسن غريب ٣٦٥/٥ ط الحلبي.

﴿وَأَن مِّن شَيْعَةٍ لَّا تَرْهِيْمَ ٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ٨٥﴾ أَيَفْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٧﴾

قوله: ﴿وإن من شيعته﴾ أي من أهل ملة نوح وعلى دينه ﴿لإبراهيم إذ جاء ربه﴾ يعني: صدق الله وآمن به ﴿بقلب سليم﴾ خالص من الشرك يعني أنه سلم قلبه من الشرك فلم يشرك بالله ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ هذا استفهام توبيخ كأنه وبخهم على عبادة غير الله فقال ﴿أفكأ آلهة دون الله تريدون﴾ أي أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره كأنه قال: ما ظنكم أنه يصنع بكم.

فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ٨٩﴾ فَنُؤَلِّوْا عَنْهُ مُدْرِبِينَ ٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُا لِمُؤْنِنًا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ٩٨﴾

قوله: ﴿نظر نظرة في النجوم﴾ قال المفسرون: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لثلاً ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكأيدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد يوم يخرجون إليه فأراد أن يتخلف عنهم فاعتل بالسقم ﴿فقال إني سقيم﴾ وذلك أنهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم فنظر في النجوم يريد أنه مستدل بها على حاله فلما نظر إليها (قال إني سقيم) أي سأسقم. قال مقاتل: إني وجع غداً واعتل بذلك ليخلفوه (١) ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ تركوه وذهبوا إلى عيدهم ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ مال إليها ميلة في خفية سراً ﴿فقال ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي كان بين أيديهم أتوهم بطعامهم لتبارك فيه آلهتهم كما - زعموا - وإنما يقول هذا إبراهيم استهزاءً بها وكذلك قوله ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ ثم أقبل عليهم ضرباً كما قال الله تعالى ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ مال عليهم بالضرب، قال المفسرون: يعني: بيده اليمنى يضربهم بها، وقال السدي بالقوة والقدرة ﴿فأقبلوا إليه﴾ من عيدهم ﴿يزفون﴾ يسرعون من زفيف النعمة وهو أول عدوها يقال جاء يزف زفيف النعمة أي يسرع، وقرأ حمزة بضم الباء (٢) أي يحملون دوابهم وظهورهم على الجدد الاسراع في المشي وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذه فلما انتهوا إليه ﴿قال﴾ لهم إبراهيم محتجاً عليهم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ بأيديكم من الاصنام ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ بأيديكم يعني: ما تنحتون أي فاعبدوا الله الذي خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم من الاصنام التي تعملونها من الخشب والحديد فلما لزمتهم الحجة ﴿قالوا﴾ أبناؤ له بنياناً ﴿قال ابن عباس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله ﴿فألقوه في الجحيم﴾ وهي النار العظيمة.

قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم ﴿فأرادوا به كيداً﴾ شراً وهو أن يحرقوه بالنار ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ لأن إبراهيم علاهم بالحجة حين سلمه الله ورد كيدهم عنه ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله (٣)

(١) - انظر تفسير ابن جرير ٤٥/٢٣ .

(٢) - السبعة لابن مجاهد (٥٤٦) والنشر ٣٥٧/٢ .

(٣) - انظر تفسير ابن جرير ٤٩/٢٣ .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَّبِعُكَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ قال ابن عباس: مهاجر إلى ربي والمعنى: أهاجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني الله كما قال إخباراً عنه أيضاً: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾^(١) ﴿سهيدين﴾ إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ أي ولدًا صالحًا من الصالحين فاستجاب الله له بقوله: ﴿فبشرناه بغلام حلِيم﴾ قال الزجاج: وهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابتدائه وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، قوله: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال قتادة: لما مشى معه، وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه، قالوا: وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، وقال الكلبي: يعني: العمل لله وهو قول الحسن ومقاتل وابن زيد قالوا: هو العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة وهو ما بعد البلوغ وقوله ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليالٍ متتابعات، وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحى وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً فعلوه.

واختلفوا في الذبيح من هو: فالأكثر على أنه إسحاق وهو قول علي وابن مسعود وكعب ومقاتل وعكرمة والسدي. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا أبو عمرو بن مطر، نا الحسن بن سفيان، نا شيان، نا مبارك^(٢) عن الحسن بن الأحنف بن قيس^(٣) سمعت العباس بن عبد المطلب يقول: الذي أمر إبراهيم بذبحه هو إسحاق عليهما السلام وهؤلاء قالوا كانت هذه القصة بالشام. وقال آخرون الذي أمر بذبحه إسماعيل وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد وابن عباس في رواية عطاء، سمعت أبا عثمان الحيري الزاهد سمعت أبا الحسن بن مقسم سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: [الله]^(٤) أعلم أيهما الذبيح وسياق هذه الآيات يدل على أنه إسحاق لأنه قال: ﴿فبشرناه بغلام حلِيم﴾ ولا خلاف أن هذا إسحاق ثم قال: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ فعطف بقضية الذبيح على ذكر إسحاق، وقوله ﴿فانظر ماذا ترى﴾ أي من الرأي فيما ألقى إليك وما الذي تذهب إليه هل تستسلم له وتنقاد أو تأتي غير ذلك، وقرأ حمزة^(٥) ترى بضم التاء وكسر الراء ومعناه: ما تشير، قال الفراء: ماذا تريني من

(١) - العنكبوت: ٢٦.

(٢) - مبارك بن فضالة أبو فضالة القرشي تـ ١٦٤ تذكرة الحفاظ ١/٢٠٠.

(٣) - الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري أبو بكر ولد سنة ٣ قبل الهجرة وتوفي ١٩٧٢ هـ ابن سعد ٦٦/٧ ابن خلكان ١/٢٣٠،

تاريخ الإسلام ٣/١٢٩.

(٤) - ساقط من هـ.

(٥) - قرأ حمزة والكسائي (ترى) بضم التاء وكسر الراء. السبعة (٥٤٨).

صبرك أو جزعك^(١) ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ قال ابن عباس ما أوحى إليك من ذبحي . ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلائه . ﴿فلما أسلما﴾ أي استسلما لأمر الله وأطاعا ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على أحد جبنيه ، قال ابن عباس : أضجعه على جبينه على الأرض وللوجه جبينان والوجه بينهما ، قال السدي : ضرب الله على عنقه صحيفة نحاس فجعل إبراهيم ينحر ولا يقطع شيئاً ونودي من الجبل : يا إبراهيم^(٢) فهو قوله ﴿وناديه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ لأن الله قد عرف منهما الصدق حيث قصد إبراهيم الذبح [بما أمكنه وطاوع الابن بالتمكين من الذبح ففعل كل واحد منهما ما أمكنه وإن لم يتحقق]^(٣) الذبح وكان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم ففعل في اليقظة ما رأى في النوم لذلك قيل له : قد صدقت الرؤيا وتم الكلام ثم قال ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ هذا ابتداء إخبار من الله تعالى وليس يتصل بما قبله من الكلام الذي يؤدي به إبراهيم والمعنى : إنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا ، قال مقاتل : جزاه الله تعالى بأحسنه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر حيث اختبر بذبح بكره ووحيده وقال مقاتل : البلاء هاهنا النعمة وهو أن فدى ابنه بالكبش وهو قوله ﴿وفديناه بذبح﴾ بكبش ﴿عظيم﴾ .

أخبرنا المؤمل بن أحمد بن الحسين ، أنا محمد بن عبد الله بن نعيم ، نا محمد عن عبد الله الصفار^(٤) ، نا الحسن بن الجهم ، نا الحسين بن الفرج ، نا أبو عبد الله الواقي حدثني ابن أبي سبرة عن ابن مالك وكان مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه عن عطاء^(٥) بن يسار قال سألت خوات بن جبير^(٦) ذبيح الله أيهما كان ؟ فقال : إسماعيل لما بلغ إسماعيل ابن سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أنه يذبح إسماعيل فركب إليه^(٧) البراق حتى جاءه فوجده عند أمه فأخذ بيده ومضى به إلى حيث أمر حتى انتهى إلى منحر البدن اليوم فقال : يا بني إن الله أمرني أن أذبحك قال إسماعيل : فأطع ربك فإن في طاعة ربك كل خير ، ثم قال إسماعيل : هل علمت أمي بذلك؟ قال : لا قال : أصبت إني أخاف أن تحزن ولكن إذا قربت السكين من حلقي فأعرض عني فإنه أحرى أن تصبر ولا تراني ففعل إبراهيم فجعل يحز في حلقة فإذا هو يحز في نحاس ما تحيك [فيه]^(٨) الشفرة فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع قال إبراهيم : إن هذا الأمر من الله فرفع رأسه فإذا هو بوعل واقف بين يديه ، فقال إبراهيم : قم يا بني فقد نزل فداؤك فذبحه هناك .

ومعنى الآية : جعلنا الذبح فداءً له وخلصناه به من الذبح ؛ والذبح : ما ذبح ، قال أكثر المفسرين : أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً ، وقال الحسن : ما فدى إلا بتيس من الأروى قد أهبط عليه من ثبير^(٩) فذبحه

(١) - معاني القرآن للفراء : ٣٩٠ / ٢ .

(٢) - من المعروف أن السدي متهم بالكذب فلا يفيد بقوله هذا وهل يعجز الله - سبحانه عن حماية إسماعيل من حد السكين من غير أن يضرب على عنقه صحيفة من نحاس كيف؟ وقد سلب من النار خاصة الاحراق فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم فمن الجائز أيضاً أن تتكرر نفس المعجزة مع إسماعيل فيسلب السكين خاصة القطع والجز فتصير هي وقطعة من الخشب سواء بسواء .

(٣) - ساقط من هـ .

(٤) - في هـ ، نا محمد بن عبد الله الصفار ، نا محمد بن عبد الله بن نعيم بتقديم وتأخير .

(٥) - عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاضي ت ٩٣ هـ تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠ خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٦) ابن سعد ٥ / ١٢٩ .

(٦) - خوات بن جبير بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوس ت ٤٠ هـ عن أربع وتسعين سنة . أسد الغابة ٢ / ١٤٩ .

(٧) - في هـ على البراق .

(٨) - ثبير : جبل بمكة يشرف على منى . معجم البلدان ٢ / ٧٣ .

(٩) - ساقط من هـ .

إبراهيم فداءً عن ابنه، وما بعد هذا معنى ظاهر إلى قوله ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ من جعل الذبيح إسماعيل قال: بشر الله إبراهيم بولد نبي بعد هذه القصة جزاءً لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنوة إسحاق وأثيب إسحاق بصبره بالنبوة وهذا قول عكرمة عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يعني كثرة ولدهما وذريتهما وهم الأسباط كلهم ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أي مؤمن (محسن) ^(١) بإيمانه وكافر ظلم نفسه بكفره.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَرُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ ﴿١١٦﴾ وَأَعْيَيْنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء.

وإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ إلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل وقصته مشهورة مع قومه وقرأ ابن عامر (وإن إلياس) ^(٢) بغير همز جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف التي تصحب الهمزة العامة لأن الهمزة تابعة في هذا الاسم وليست للتعريف يقوي ذلك قوله ﴿سلام على إلياسين﴾ فهذا يدل على أن الهمزة ثابتة في إلياس ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ ألا تخافون الله فتعبدهونه وتوحدونه ^(٤) ﴿أدعون بعلاً﴾ قال عطاء: يعني صنماً كان لهم يعبدونه وكان من ذهب، والمفسرون يقولون: رباً وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل ﴿وتذرون﴾ عبادة ﴿أحسن الخالقين﴾ ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

قرىء بالرفع على الاستئناف ^(٥) لتتمام الكلام الاول والمعنى: انه خالقكم وخالق من كان ^(٦) قبلكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة وقرىء بالنصب ^(٧) على صفة أحسن الخالقين ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ النار ﴿إلا عباد الله﴾

(٣) - الانعام: ٨٦.

(٤) - في النسخ المخطوطة: فتعبدهونه وتوحدونه.

(١) - في هـ: أحسن نفسه.

(٢) - القراءة في السبعة لابن مجاهد ص (٥٤٨).

(٥) - قراءة (الله ربكم ورب آبائكم) بالرفع قرأ بها: أبو عمرو وابن عامر ونافع وأبو جعفر.

(٦) - ساقط من هـ.

(٧) - قراءة: (الله ربكم ورب آبائكم) بالنصب قرأ بها: حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر: السبعة ص ٥٤٩ والنشر

المخلصين ﴿ الذين لم يكذبوه فإنهم لا يحضرون النار قوله ﴿سلام على إياسين﴾ قال ابن عباس: يريد اليأس ومن آمن معه قال الفراء: يذهب بالياسين إلى أن يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين في اسمه كما تقول في (١) القوم رئيسهم المهلب قال قد جاءكم المهالبة فتكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف (٢)، قال أبو علي الفارسي: تقديره: الياسين إلا أن اليائين للنسبة حذفنا كما حذفنا في الأشعرين والأعجمين وقرأ نافع (٣): على آل ياسين (٤) وحجته: انها في المصحف مفصولة من ياسين (٥) وذلك دليل على أنه «آل» وهذه القراءة بعيدة، قال الفراء وأبو عبيدة: الوجه قراءة العامة لأنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان إنما جاء بالاسم كذلك إياسين لأنه إنما هو بمعنى إياس أو بمعنى إياس وأتباعه (٦) وذكر الكلبي في تفسيره: «سلام على آل ياسين» يقول: سلام على آل محمد وهذا بعيد لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه.

وَإِنْ لَوْطًا لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَجَّيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾
وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

ثم ذكر لوطا فقال ﴿وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه﴾ إذ لا يتعلق بما قبله لأنه لم يرسل إذ نجى ولكنه يتعلق بمحذوف كأنه قيل: واذكر يا محمد إذ نجيناه. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم إلى قوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ أي تمرن في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على قراهم ومنازلهم وآثارهم ﴿مصبحين﴾ أي نهراً ﴿وبالليل﴾ وعشيا ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعتبرون بهم.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾. قال المفسرون: كان يونس عليه السلام قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمشهور عنهم فقصده البحر وركب السفينة وكان بذهابه إلى الفلك كالقار من مولاه فوصف بالإباق، ﴿فساهم﴾ فقارع ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلويين والمقروعين وذلك أن السفينة

(١) - في هـ: للقوم.

(٢) - معاني القرآن للفراء ٣٩١/٢.

(٣) - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللثمي مولاهم أحد القراء السبعة ت سنة ١٦٩ هـ النهاية ٣٣٠/٢، ابن خلكان ١٥١/٢.

(٤) - قرأ نافع وابن عامر (على آل ياسين) السبعة (٥٤٨).

قراءة (آل ياسين) قرأ بها نافع وابن عامر ويعقوب. انظر السبعة ص ٥٤٨ والنشر ٣٦٠/٢.

(٥) - في هـ: ياس.

(٦) - ليست في مجاز القرآن بهذا النص ١٧٢/٢.

احتبست فوقفت فقال الملاحون: ها هنا عبد آبق من سيده وهذا رسم السفينة إذا كان فيها عبد آبق لا تجري فأقرعوا فوقعت القرعة على يونس فقال: أنا الآبق وزج نفسه في الماء.

قال سعيد بن جبير: لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه حتى إذا القي نفسه في الماء أخذته الحوت^(١) فذلك قوله: ﴿فالتقمه الحوت﴾ يقال: لقمتم اللقمة والتقمتمها إذا ابتلعتمها ﴿وهو مليم﴾ مستحق اللوم لأنه أتى ما يلام عليه حين خرج إلى السفينة قبل أن يأمره الله فاستحق بذلك اللوم والتأديب ﴿فلولا أنه كان﴾ قبل أن التقمه الحوت ﴿من المسبحين﴾ المصلين، وكان كثير الصلاة والذكر ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة.

قال سعيد بن جبير: شكر الله قد يمسه، وقال الضحاك^(٢) بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الآيتين وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً ذكر الله فلما ادركه الغرق (قال: آمنت بالذي آمنت به بنوا إسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل)^(٣) قال ابن جريج والسدي: لبث يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً^(٤) وقال الضحاك: عشرين يوماً، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال مقاتل: ثلاثة أيام، وقال الشعبي: التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية فذلك قوله ﴿فنبذناه بالعراء﴾ يعني: المكان الخالي من الشجر والبناء، قال مقاتل: بالبراز وقال الكلبي: يعني: وجه الأرض، ﴿وهو سقيم﴾: قد بلي لحمه مثل الصبي المولود، قال ابن مسعود: كهية الفرخ ليس عليه ريش ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ كل شجرة لا تقوم على ساق إنما تمتد على وجه الأرض فهو يقطين مثل الدباء والحنظل والبطيخ، قال مقاتل: يعني القرع وهو قول الجميع، قالوا: كان يستظل بظلها من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشياً فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك وهو قوله ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى^(٥) من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وقوله: ﴿أو يزيدون﴾ أو بمعنى الواو كقوله ﴿عذراً أو نذراً﴾^(٦) المعنى: ويزيدون على مائة ألف، قال الفراء: أو هاهنا بمعنى: بل^(٧) وهو قول مقاتل والكلبي، وقال الزجاج: أو هاهنا على أصله ومعناه أو يزيدون في تقديركم إذا رأهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك إنما دخل في حكاية قول المخلوقين، قال مقاتل والكلبي: كانوا يزيدون على عشرين ألفاً، وقال الحسن: بضعة وثلاثين ألفاً، وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً^(٨) ﴿فآمنوا﴾ يعني الذين أرسل إليهم يونس ﴿فمتمناهم﴾ في الدنيا ﴿إلى حين﴾ إلى منتهى آجالهم.

(١) - رواه ابن جرير في تفسيره ٦٣/٢٣ وابن أبي حاتم الدر المنثور ٢٨٧/٥.

(٢) - الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري القرشي أبو انيس ت سنة ٦٤ هـ تهذيب التهذيب ٤/٤٤٩.

(٣) - يونس: ٩٠، ٩١.

(٤) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٠١/٢٣.

(٥) - نينوى بأرض الموصل، والموصل مدينة على طرف دجلة معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٣٣٩.

(٦) - المرسلات: ٦.

(٧) - معاني القرآن للفراء: ٢/٢٩٣.

(٨) - انظر تفسير ابن جرير ٢٣/١٠٤.

فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله ﴿فاستفتهم﴾ قال ابن عباس: فسل أهل مكة سؤال توبيخ ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك أن قريشاً وقبائل من العرب قالوا للملائكة بنات الله وهذا كقوله ﴿الكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾^(١) ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إناثاً ﴿وهم شاهدون﴾ حاضررون خلقنا إياهم أي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم، ثم أخبر عن كذبهم فقال ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله﴾ حين زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ قراءة العامة بفتح الهمزة على الاستفهام الذي معناه التوبيخ، وقرأ نافع بغير استفهام على وجه الخبر^(٢) كأنه قال اصطفى البنات في زعمكم وفيما تقولون، وقال الفراء: أراد الاستفهام وحذف حرف الاستفهام كقوله ﴿أذهبتم طياتكم﴾^(٣) ثم ويخهم فقال: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون فنتهون عن هذا القول ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة بينة على ما تقولون ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه الحجة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قال قتادة: قالوا صاهرا الجن والملائكة من الجن وقال الكلبي: قالوا عنهم الله - تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، وقال مجاهد: لما قالت قريش الملائكة بنات الله قال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن^(٤) قال الله تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي علموا أن هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون في النار ويعذبون على ما قالوا، ثم نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال ﴿سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين﴾ يعني: الموحدين الذين استخلصهم الله لتوحيده وعبادته وهذا استثناء من المحضرين يقول: علموا أنهم محضرون النار إلا من أخلص العبادة له ووحدته ثم خاطب كفار مكة بقوله:

فَأَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَسْتَرْ عَلَيْهِ يَفْتَنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿فإنكم وما تعبدون﴾ قال ابن عباس: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله ﴿ما أنتم عليه﴾ على ما تعبدون ﴿بفاتنين﴾ بمضلين، يقال فنتت الرجل وافنتته ويقال: فنتته على الشيء وبالشيء كما يقال: أضله على الشيء وأضله به وقال مقاتل: يقول ما أنتم بمضلين أحداً بالهتكم إلا من قدر الله له أن

(١) - النجم: ٢٢/٢١ .

(٢) - هذه رواية عن نافع وبقية الروايات عنه وعن القراء جميعاً (اصطفى) بفتح الهمزة والاستفهام . السبعة (٥٤٩) .

(٣) - الاحقاف: ٢٠ . والنص في معاني القرآن للفراء بتصرف ٣٩٤/٢ .

(٤) - تفسير ابن جرير عن مجاهد ١٠٨/٢٣ .

يصلى الجحيم وهو قوله ﴿إِلا من هو صال الجحيم﴾ يعني أن قضاءه سبق في قوم بالشقاوة وأنهم يصلون النار فهم الذين يصلون في الدنيا ويعبدون الأصنام، ثم قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وما منا﴾ يا معاشر الملائكة ﴿إلا له مقام معلوم﴾ في السموات يعبد الله فيه قال الزجاج: هذا قول الملائكة وفيه مضمرة، المعنى: وما منا ملك إلا له مقام معلوم ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم، وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المصلون لله المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل النبي عليهما السلام أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبدين ولا بنات الله كما زعمت الكفار ثم عاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال: ﴿وإن كانوا ليقولون: لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين وذلك أنهم قالوا لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾^(١) قال تعالى ﴿فكفروا به﴾ المعنى: نجاهم ما طلبوا به ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم، ثم ذكر العاقبة للأنبياء بالنصر وإن كذبهم قومهم فقال:

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ أي تقدم الوعد بأن الله ينصرهم بالحجة والظفر بعدوهم، قال مقاتل: عنى بالكلمة: قوله «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»^(٢) فهذه الكلمة التي سبقت ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة لأنهم ينجون من عذاب الدنيا والآخرة ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نامرك بالقتال ﴿وأبصرهم﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك فقالوا متى هذا العذاب فأنزل ﴿أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم﴾ قال مقاتل: بحضرتهم، وقال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك^(٣) والساحة: متسع الدار ﴿فساء صباح المنذرين﴾ بش صباح الذين أُنذروا بالعذاب وذلك أنهم يصبحون في العذاب معذبين، ثم كرر ما سبق تأكيداً لوعده العذاب فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر﴾ العذاب إذا نزل بهم ﴿فسوف يبصرون﴾ تهديد لهم، ثم نزه^(٤) نفسه عن بهتهم ووصفهم بقوله:

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿سبحان ربك رب العزة﴾ العزة: الغلبة والقوة ﴿عما يصفون﴾ من اتخاذ البنات والنساء ﴿وسلام على المرسلين﴾ الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على هلاك المشركين ونصرة الأنبياء والأولياء. أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أنا إبراهيم بن علي، نا يحيى بن يحيى، نا هشيم عن

(١) - الانعام: ١٥٧.

(٢) - المجادلة: ٢١.

(٣) - معاني القرآن للفراء ٣٩٦/٢، وعقوة الدار ساحتها وما حولها.

(٤) - ساقط من هـ.

هارون^(١) العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولأمر تبين يقول فى آخر صلواته أو حين ينصرف (سبحان ربك رب العزة.. إلى آخر السورة)^(٢) وأخبرنا محمد، نا أبو عمرو بن نجاد، نا محمد بن موسى الحلوانى، نا هارون بن إسحاق، نا وكيع عن ثابت بن أبى صفية عن الأصمغ^(٣) بن نباتة عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين^(٤).

(١) - فى هـ أبو هارون.

(٢) - رواه أبو يعلى وقال ابن كثير اسناده ضعيف. تفسير ابن كثير ٤١/٧ ط الشعب.

(٣) - الأصمغ بن نباتة التميمى الحنظلى أبو القاسم الكوفى. تهذيب التهذيب ١/٣٦٢.

(٤) - أخرجه ابن حاتم عن الشعبي مرفوعاً والبغوى موقوفاً وحميد بن زنجويه من طريق الأصمغ بن نباتة. انظر: الدر المنثور ٥/١٩٥.

تفسير (١)

سورة ص

[وهي ثمانون وخمس (٢) آيات مكية] (٣)

أخبرنا أبو سعد [محمد بن] (٤) علي الخفاف (٥) أنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس (٦)، نا سلام بن سليم، نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ (٧):

«ومن (٨) قرأ سورة «ص» أعطي من الأجر بوزن كل (٩) جبل سخره الله لداود (١٠) حسنات وعصمه الله تعالى (١١) أن يصير على ذنب صغيراً أو كبيراً (١٢)» (١٣).

(١) في (أ) بتر من أول سورة «ص» إلى قوله تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾.

(٢) في المصحف وثمان.

(٣) ما بين المعقوفين من (ج).
(٤) ساقط من (ه).

(٥) أبو سعد محمد بن علي الخفاف: هو أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري الخفاف عن أبي عمرو بن مطر وعنه أبو الحسن الواحدي. (انظر الإكمال ٤٤/٣)

(٦) أحمد بن يونس: هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي. وثقه أبو حاتم والنسائي وابن سعد

والعجلي وابن قانع وابن حبان. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وتوفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائتين من الهجرة. (انظر تهذيب

التهذيب ٥٠/١).

(٧) ساقطة من (ب، ج).

(٨) في (ب، ج، د، هـ): من.

(٩) من (ج).

(١٠) من (ج).

(١١) من (ج).

(١٢) ساقطة من (ج).

(١٣) من ترجمة هارون بن كثير يتضح لنا أن الأحاديث الواردة في فضائل سور القرآن الكريم سورة سورة موضوعة، ولا أساس لها من

الصحة، وقد نبه على ذلك الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في كتابه «الموضوعات» حيث قال بعد ذكره هذه الأحاديث: «وقد

فوق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب

منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود، كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن

وهو يعلم أنه حديث محال ولكن شده جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنميق حديثهم ولو بالأباطيل، وهذا قبيح منهم؛ لأنه قد صح

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه الإمام أحمد في ٢٥٥/٤، ٢٠/٥ وحديث

فضائل السور هذا مصنوع بلا شك ثم يقول: ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفذ السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها

من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ -، وقد روى في فضائل السور ميسرة بن عبد ربه قال

عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. وقال

الخليلي في الإرشاد: روى نوح بن أبي مريم الجامع في فضائل القرآن سورة سورة عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس فقيل له: من

أين لك هذا؟ قال: لأن الناس قد اشتغلوا بمغازي ابن إسحاق وغيره فحرضتهم على قراءة القرآن، وجاء بسنده عن محمود بن غيلان

قال: سمعت مؤملاً يقول: حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب، فقلت للشيخ: من حدثك؟ فقال: حدثني

رجل بالمدائن «وهو حي» فسرت إليه فقلت: من حدثك؟ قال: شيخ بواسط «وهو حي» فسرت إليه، فقال: حدثني شيخ بالبصرة،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّ أَهْلُكُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينٍ

مَنَاصٍ ﴿٣﴾

﴿ص﴾ قال الضحاك: صدق الله^(١)، وقال عطاء عن ابن عباس: «صدق محمد ﷺ»^(٢)»^(٣)

﴿والقرآن ذي الذكر﴾ ذي^(٤) الشرف كقوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾^(٥) وجواب القسم قد تقدم أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً [صلى الله عليه وسلم]^(٦) قد صدق: كما تقول: فعل والله، وقام والله^(٧)، وقال أهل المعاني: جواب القسم محذوف بتقدير والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار^(٨)، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى^(٩) ﴿بل الذين كفروا﴾ «قال مقاتل: [كفروا بالتوحيد، من أهل مكة^(١٠)]»^(١١) ﴿في عزة﴾ حمية^(١٢) وتكبر عن الحق ﴿وشقاق﴾ خلاف وعداوة لمحمد - ﷺ. ثم خوفهم فقال ﴿كم أهلكننا من قبلهم من قرن﴾^(١٣) يعني الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل ﴿فنادوا﴾ عند وقوع الهلاك بهم باستغاثة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ساعة لا منجى^(١٤) ولا فوت.

قال ابن عباس: ليس حين نَزُّوا^(١٥) ولا فرار^(١٦). وقال قتادة: نادى القوم على غير حين النداء^(١٧). والمناص: مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر. ﴿ولات﴾ بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي «لا» زيدت فيها

= فسرت إليه فقال: حدثني شيخ بعبادان، فسرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة، ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ، فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

(انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٣٩: ٢٤٢ - واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١: ٢٢٦: ٢٢٨ بتصرف).

(١) انظر جامع البيان ٧٥/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٧/٤ وفتح القدير ٤١٩/٤.

(٢) من (ج).

(٥) سورة الزخرف: آية رقم ٤٤.

(٦) ساقطة من (ب).

(٣) انظر جامع البيان ٧٥/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٧/٤ وفتح القدير ٤١٩/٤.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٤) في (د): ذكر.

(٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات للعكبري ١٠٨/٢، والكشاف للزمخشري ٣٥٨/٣.

(٩) من (د).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١١) انظر جامع البيان ٧٦/٢٣.

(١٢) الحمية: هي ما يعبر بها عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت. قال الراغب الأصبهاني في المفردات: وحميا الكأس سورتها وحرارتها وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت، وكثرت بالحمية فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه. قال تعالى ﴿حمية الجاهلية﴾ (مفردات غريب القرآن للأصبهاني مادة «حمي» ص ١٣٢).

(١٣) القرن: القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون قال: «ولقد أهلكننا القرون من قبلكم - وكم أهلكننا من القرون - وكم أهلكننا قبلهم من قرن» وقال «وقرونا بين ذلك كثيراً»، «ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» - «قرونا آخرين» (انظر المفردات مادة قرن ص ٤٠١).

(١٤) في (د) منجاة.

(١٥) النزو: الوثبان. انظر لسان العرب مادة «نزا».

(١٦) انظر تفسير الثوري ص ٢٥٦ وتفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٥ وجامع البيان ٢٣/٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦.

(١٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٤ وجامع البيان ٢٣/٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٦، والدر المنثور ٥/٢٩٦.

التاء، كما قالوا: ثم وثمت ورب وربت، وأصلها هاء وصلت «بلا» فقالوا لا لغير معنى حادث كما زادوا (١) هاء (٢) في ثمة فلما وصلوها جعلوها تاء (٣). والوقف عليها بالتاء عند الزجاج (٤) وأبي علي (٥). وعند الكسائي الوقف عليها بالهاء نحو قاعدة وضاربة. وعند أبي عبيد الوقف على ثم يتبدى: تحين مناصر؛ لأن عنده أن هذه التاء تزداد مع حين فيقال: كان هذا تحين كان ذلك (٦).

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ^٥ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كٰذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّجِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَا مِنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوْا عَلٰى اَلِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يَّرٰدُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اَخْتِلٰقٌ ﴿٧﴾ اَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِيْ بَلْ لَمَّا يَدُوْفُوْا عَذَابٍ ﴿٨﴾

قوله ﴿وعجبوا﴾ يعني الكفار الذين ذكروهم [الله تعالى] (٧) في قوله «بل الذين كفروا» ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم النار ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ حين زعم (٨) أنه رسول ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ وذلك أن النبي ﷺ (٩) أبطل عبادة ما كانوا يعبدون من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا (١٠) من ذلك وقالوا (١١): كيف جعل لنا إلها واحدا بعد ما كنا نعبد آلهة كثيرة (١٢) قوله (١٣) ﴿إن هذا﴾ الذي يقول محمد من أن الإله واحد ﴿لشيء عجاب﴾ لأمر عجيب (١٤). وهذا كما يقال كبير وكبار وطويل وطوال. وقوله (١٥) ﴿وانطلق الملا منهم﴾ قال المفسرون (١٦) إن أشرف قريش أتوا أبا طالب واجتمعوا عنده وشكوا إليه النبي ﷺ

(١) في (د): (وزادوا).

(٢) في (هـ): (ها).

(٣) إعراب القرآن للعكبري ١٠٨/٢

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦/٠١ ومعاني القرآن للفراء ٣٩٨/٢ والزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. انظر شذرات الذهب ٢٥٩/٢ وطبقات الزبيدي ١١١، أنباه الرواة ١٥٩/١.

(٥) أبو علي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي النحوي الفارسي الأصل ولد سنة ٢٨٨ وتوفي سنة ٣٧٧.

انظر وفيات الأعيان ١٣١/١، وتاريخ بغداد ٧/٢٧٥ وأنباه الرواة ١/٢٧٣. وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٦، ومفاتيح

الغيب ٢٦/١٧٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٩٨.

(٦) قال صاحب الكشاف: وأما قول أبي عبيدة إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام فلا متشبه به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن القياس الخطي. (انظر الكشاف ٣/٣٥٩).

(٧) من (ج).

(٨) في (د): (فقالوا).

(٩) في (أ، ج، د، هـ)، يزعم.

(١٠) من (ج، د).

(١١) ساقطة من (ب).

(١٢) ساقطة من (ج، د).

(١٣) في (أ، ب، ج) (فعبجوا).

(١٤) قال الفراء: وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (لَشَيْءٌ عَجَابٌ) والعرب تقول: هذا رجل كريم وكُرَامٌ وكُرَامٌ والمعنى كله واحد مثل قوله تعالى ﴿مَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا﴾ (سورة نوح) معناه: كبيراً قَسْدًا. انظر معاني القرآن ٢/٣٩٨، وقال صاحب الكشاف: قرئ عَجَابٌ بالتحديد كقوله تعالى ﴿مَكْرًا كِبَارًا﴾ وهو أبلغ من التخفيف ونظيره كريم وكُرَامٌ. انظر تفسير الكشاف ٣/٣٦٠.

(١٥) ساقطة من (د، هـ).

(١٦) رواه صاحب جامع البيان ٧٧/٢٣ وسنن الترمذي ١٥٥/٢ وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والمستدرک کتاب

التفسير، تفسير سورة «ص» ٤٣٢/٢ وضححه ووافقه الذهبي. ومسنند الإمام أحمد ١/٣٦٢، والدر المنثور ٥/٢٩٥.

وقالوا: إنه [سفه أحلامنا وسب آلهتنا]^(١) وعاب ديننا. فعاتب أبو طالب النبي - ﷺ وقال: ما تريد من قولك يا ابن أخي^(٢)؟ فقال: أَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. قال: وما هي؟ قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. فنفروا من ذلك وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾^(٣) فذلك^(٤) قوله ﴿وانطلق الملائمة منهم﴾ أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب^(٥) وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم ﴿إن هذا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لشيء يراد﴾ [لأمر يراد بنا]^(٦) ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقول محمد أي من التوحيد ﴿في الملة الآخرة﴾ يعني النصرانية؛ لأنها آخر الملل، والنصارى لا يوحدون؛ لأنهم يقولون: ثالث ثلاثة وقال قتادة: يعنون^(٧) دينهم الذي [هم عليه^(٨)]^(٩). ﴿إن هذا﴾ ما هذا الذي جاء به محمد من التوحيد والقرآن ﴿إلا اختلاق﴾ كذب^(١٠) وافتهال، ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة فقالوا: ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾ قال الزجاج: قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا^(١١) [ونحن أكبر سنًا وأعظم شرفًا منه]^(١٢)!!! فقال^(١٣) الله تعالى^(١٤): ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾ يعني حين قالوا ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ والمراد بالذكر القرآن ﴿بل لما يدوقوا عذاب﴾ تهديد لهم أي أنهم سيدوقونه، ثم أجاب^(١٥) عن إنكارهم نبوته بقوله:

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يقول^(١٦) بأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ أي أنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿العزیز﴾ في ملكه ﴿الوهاب﴾ وهب النبوة لمحمد (ﷺ)^(١٧)، ثم أخبر أن الملك له يصطفي من يشاء، وهو قوله: ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾ أي إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا^(١٨) في الأسباب التي توصلهم إلى السماء. قال قتادة ومقاتل: يعني الأبواب التي في السماء^(١٩). وقال الكلبي: يقول في

(١) في (ب، ج، د، هـ) سب آلهتنا وسفه أحلامنا.

(٢) في ب (أخ).

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح عن معمر عن الكلبي ٨/٨٤٥ وليراجع جامع البيان ٢٣/٨٠ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٥٩٥.

(٤) في (د): (وذلك).

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي عم رسول الله - ﷺ - شقيق أبيه توفي قبل الهجرة. انظر الإصابة ١١٥/٤: ١١٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (يعني).

(٨) في (ب): (الذي عليهم).

(٩) انظر جامع البيان ٢٣/٨٠ وصحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص» وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٨.

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة «ص».

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧.

(١٢) ما بين المعقوفين ليس من كلام الزجاج - انظر معاني القرآن ص ٣.

(١٣) في (ج) قال.

(١٤) من (ج).

(١٥) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٥٦ وجامع البيان ٢٣/٨٢ وفتح الباري ٨/٥٤٥، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩.

طرفها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب وطريق فهو سببه^(١). ثم أخبر عن هزيمتهم بيدر^(٢) وهو قوله ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾. قال قتادة: أخبر الله تعالى^(٣) وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها [يوم بدر. (٤)] و«جند» خبر ابتداء^(٥) محذوف بتقدير: هم جند و﴿ما﴾ زائدة و﴿هنالك﴾ إشارة إلى بدر ومصارعهم بها، والأحزاب سائر^(٦) من^(٧) تقدمهم^(٨) من الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء.

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٧﴾ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾
 إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يدل على^(٩) هذا قوله ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾^(١٠) قال المفسرون^(١١): كانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشددون ملكه كما يقوي الوتد الشيء^(١٢): وقيل^(١٣) ذو^(١٤) الملك الشديد الثابت^(١٥) كما قال الأسود^(١٦):

في ظل ملك ثابت الأوتاد^(١٧)

(١) انظر معالم التنزيل ٤٩/٤.

(٢) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر، ليلة، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة ٢ هـ. (انظر معجم البلدان للحموي ٣٥٧/١، ٣٥٨).

(٣) من (ج).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٥٦/٣ وجامع البيان ٨٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٩/٤ وفتح الباري ٥٤٥/٨ والدر المنثور ٥٤٥/٥.

(٥) ذكر الواحدي أن (جند) خبر ابتداء والصواب أن يقال: إنها خير مبتدأ محذوف لأن ابتداء مصدر ابتداء [والابتداء لا يخبر عنه فهل سيقول ابتداء جند؟ أو هل يقول هم ابتداء؟ أم هم مبتدأ؟ لأن الابتداء حدث والحدث لا يخبر عنه أما الأخبار تكون عن الذوات] والجند ذوات فكيف يخبر بالذات عن الحدث.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ). (٧) في (د): ما. (٨) في (ج) تقدم. (٩) في (هـ): عليه.

(١٠) الوتد بالكسر والوتد والود: ما رز في الحائط أو في الأرض من الخشب والجمع أوتاد قال تعالى: ﴿والجبال أوتاد﴾ قوله عز وجل ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ جاء في التفسير أنه كانت له جبال وأوتاد يلعب له بها. (انظر اللسان مادة (وتد)). وقال الفخر الرازي في

تفسيره. أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب بأوتاده ثم استعير لإثبات العز والملك كما قال الشاعر:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد

قال القاضي حمل الكلام على الوجه أولى؛ لأنه لما وصف بتكذيب الرسل: فيجب فيما وصف به أن يكون تفضيماً لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ. انظر مفاتيح الغيب ١٨١/٢٦.

(١١) انظر جامع البيان ٨٣/٢٣ ومفاتيح الغيب ١٨٢/٢٦ وفتح القدير ٤٢٣/٤.

(١٢) انظر معالم التنزيل ٥٠/٤٠ وفتح القدير ٤٢٣/٤ وروح المعاني للألوسي ١٧١/٢٣.

(١٣) في د: وقال قيل ذو الملك. (١٤) في (ج): ذي. (١٥) انظر جامع البيان ٨٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٤٩/٤.

(١٦) الأسود: هو الأسود بن يعفر وهو شاعر جاهلي من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم وكنيته أبو الجراح. انظر الشعر

والشعر رقم ٢٠ ص ٢٥٥ لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ١٩٦٦.

(١٧) البيت في غريب القرآن ٣٧٧ والبحر المحيط ٣٨٦/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٥ والمفضليات ٢١٧ والكشاف ٣٦٢/٣

ومعالم التنزيل ٤٩/٤.

ولما ذكر هؤلاء المكذبين قال: ﴿أولئك الأحزاب﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب. ﴿إن كل﴾ ما كل منهم ﴿إلا كذب الرسل﴾ فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني كفار مكة أي ما ينتظرون^(١) لوقوع العذاب بهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني النفخة الأخيرة^(٢) ﴿ما لها من فواق﴾ وقرئ^(٣) بالضم قال الزجاج^(٤): فُواق وفَواق بضم الفاء وفتحها أي ما لها من رجوع^(٥) والفواق ما بين حلتي الناقة وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة، قال مجاهد: ما لها من فواق رجوع^(٦). أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون^(٧) له رجوع وهو معنى قول مقاتل من مرد ولا^(٨) رجعة^(٩).

وقال قتادة والضحاك: ليس لها مثوية^(١٠) أي صرف ورد، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف حتى يبعثوا وينجز لهم ميعاد العذاب. قوله تعالى^(١١) ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ معنى القط في اللغة: النصيب، من القط بمعنى القطع، والنصيب إنما هو القطعة من الشيء وتسمى^(١٢) كتب الجوائز قوطاً لأنهم كانوا يكتبون الأنصاء من العطايا في الصحائف يقال: أخذ فلان قطة إذا أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته وصلته، ثم سميت الكتب قوطاً وإن لم تكن للصلة، والمفسرون مختلفون على هذين القولين فقال ابن عباس: قطنا حظنا من العذاب والعقوبة^(١٣) وقال قتادة: نصيبنا من العذاب^(١٤) يقولون ذلك استهزاء وقال سعيد بن جبير والسدي: لما ذكر لهم ما في الجنة ﴿قالوا ربنا عجل لنا﴾^(١٥) نصيبنا منها في الدنيا^(١٦).

(١) في (هـ): [ينظرون].

(٢) قال ابن كثير: وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع. إلا من استثنى الله عز وجل. (انظر تفسير القرآن العظيم ٢٩/٤).

(٣) اختلف في (فواق) فحمزة والكسائي وخلف بضم الفاء وهي لغة تميم وأسد وقيس وافقه الأعمش، والباقون بفتحها لغة الحجاز وهو الزمان بين حلتي الحالب ورضعتي الراضع. (انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢، والنشر في القراءات العشر ص ٣٦١، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة ص ١٧١).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ص ١٧٧.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة (ص).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٥٤٨/٢، وجامع البيان ٨٤/٢٣، وفتح القدير ٤٢٤/٤.

(٧) في (ج) يكون.

(٨) ساقطة من (ج).

(٩) انظر جامع البيان ٨٤/٢٣ والجامع لأحكام القرآن ١٥٣/١٥ وفتح الباري ٥٤٥/٨ وتفسير الثوري ص ٢٥٦ وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٧ والدر المنثور ٢٩٧/٥.

(١٠) مثوية: أي رجوع وارتداد كما في جامع البيان ٨٤/٢٣.

(١١) من (ج).

(١٢) في (ب) وسمى وفي (د، هـ) وسمى.

(١٣) في صحيح البخاري القط: العذاب. انظر التفسير تفسير سورة (ص) وجامع البيان ٨٥/٢٣.

(١٤) انظر جامع البيان ٨٥/٢٣ وليراجع تفسير الثوري ٢٥٧ ومعالم التنزيل ٥٠/٤ والجامع لأحكام القرآن ٥٦٠١/٧ وفتح الباري ٥٤٥/٨ ومعاني القرآن للفراء ٤٠٠/٢.

(١٥) ساقطة من (ج، هـ).

(١٦) انظر جامع البيان ٨٥/٢٣.

وقال أبو العالية^(١) والكلبي ومقاتل: لما نزلت^(٢) ﴿فَأَمَّا مَنْ أوتي كتابه بيمينه﴾^(٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أوتي كتابه بشماله﴾^(٤) قالت قریش: زعمت يا محمد أنا نؤتي كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطننا قبل يوم الحساب يقولون ذلك تكذيباً^(٥) له^(٦) فقال^(٧) الله [عز وجل]^(٨):

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾

﴿اصبر﴾ يا محمد ﴿على ما يقولون﴾ من تكذيبك ﴿واذكر عبدنا داود﴾ لكي تتقوى على الصبر بذكر قوته على العبادة وهو قوله ﴿ذا الأيد﴾ أي ذا القوة على العبادة [وفي طاعة الله قال الزجاج: وكانت قوة داود على العبادة]^(٩) أتم قوة، كان^(١٠) يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان يصلي نصف الليل^(١١) ﴿إنه أواب﴾ رجاء^(١٢) عن كل ما يكره الله [إلى ما يحب الله]^(١٣).

قوله^(١٤) تعالى^(١٥): ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ [هذا كقوله ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾]^(١٦) وقد مر تفسيره^(١٧) وقوله: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال الكلبي: غدوة^(١٨) وعشية^(١٩) يقال: أشرفت الشمس إذا أضاءت، وروي عن ابن عباس [رضي الله عنه]^(٢٠) بطرق: أنه فسر التسبيح بالإشراق في هذه الآية بصلاة

(١) في (ج) أبو عالية: وأبو العالية هو البراء البصري اسمه زياد وقيل: كلثوم، وقيل: أذينة، وقيل: ابن أذينة، ثقة من الرابعة مات في شوال سنة تسعين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٤٤٣/٢).

(٢) في (د، هـ) نزل.

(٣) سورة الحاقة/ آية رقم ١٩.

(٤) سورة الحاقة/ آية رقم ٢٥.

(٥) انظر معالم التنزيل ٥٠/٤، ٥١.

(٦) في (أ، ب، ج، هـ) به.

(٧) في (أ، ب، د، هـ) قال.

(٨) من (د) وفي (ج) تعالى.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٠) في (ج) وكان.

(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧. وقول الزجاج هذا مقتبس من قول رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ - قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً» انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب من نام عند السحر. وكتاب الأنبياء باب أحب الصلاة صلاة داود وصحيح مسلم كتاب الصيام باب النهي عنه صوم الدهر.

(١٢) في (ج، د، هـ) راجع.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(١٤) ساقط من (د، هـ).

(١٥) من (ج).

(١٦) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) والآية من سورة الأنبياء/ آية رقم ٧٩.

(١٧) من (ج) عند قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾

(١٨) الغدوة. الغدوة والغداة من أول النهار، وقول في القرآن الغدو بالأصل نحو قوله ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ وقول الغداة بالعشي قال «بالغدوة والعشي. غدوها شهر ورواحها شهر» مفردات غريب القرآن مادة (غدا) ص ٥٣٨.

(١٩) العشي: من زوال الشمس إلى الصباح قال: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ المفردات مادة (عشا) ص ٣٣٥.

(٢٠) من (د).

الضحى، أخبرنا أبو إسحاق الواعظ أنا الحسين بن محمد بن (١) الحسين نا عبيد الله بن محمد بن شيبه (٢) [نا الحسين بن بختويه نا أبو أمية محمد بن إبراهيم (٣) نا الحجاج بن نصير (٤) نا] (٥) أبو بكر الهذلي (٦) عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس [رضي الله عنه] (٧) في قوله: ﴿بالعشي والإشراق﴾ قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثني أم هانئ بنت أبي طالب (٨) أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق» (٩) ﴿والطير﴾ معطوفة على الجبال، كأنه قال: وسخرنا الطير ﴿محشورة﴾ مجموعة إليه تسبح لله (١٠) معه قال ابن عباس: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه (١١) وهو قوله ﴿كل له أواب﴾ رجاء إلى طاعته وأمره أي كل له مطيع بالتسبيح معه ﴿وشددنا ملكه﴾ قوينا ملكه بالحرس والجنود. قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون (١٢) ألف رجل فإذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وهذا قول جماعة المفسرين (١٣) أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (١٤) فيما (١٥) أجاز لي أن أبا الفضل الحدادي (٦) أخبرهم عن أبي يزيد الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا داود بن أبي

(١) من (ج).

(٢) في (هـ) الشيبه.

(٣) أبو أمية محمد بن إبراهيم هو محمد بن إبراهيم بن مسلم، الخراعي، أبو أمية الطرسوسي، بغدادى الأصل، مشهور بكنيته، صدوق صاحب حديث، يهيم، من الحادية عشرة، مات سنة ثلاث وسبعين (تقريب التهذيب ١٤١/٢).

(٤) الحجاج بن نصير - الفساطيطي القيسي - أبو محمد البصري ضعيف كان يقبل التلقين، من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة (انظر تقريب التهذيب ١٥٤/١)

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٦) أبو بكر الهذلي البصري اسمه: سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء، وفي موضع آخر قال: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: كان ضعيفاً. وقال أبو حاتم: لين الحديث. مات سنة سبع وستين ومائة هجرية، انظر تهذيب التهذيب ٤٥/١٢، ٤٦ وميزان الاعتدال ٤٩٧/٤.

(٧) من (ج).

(٨) في (ب) بنت أبي صالح، وأم هانئ بنت أبي طالب الهاشمية اسمها: فاختة وقيل هند، لها صحبة ماتت في خلافة معاوية (تقريب التهذيب ٦٢٥/٢).

(٩) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد ٩٩/٧ كتاب التفسير تفسير سورة (ص)، وجامع البيان ٨٧/٢٣. والإشراق: يقال شرقت الشمس شروقاً طلعت، وقيل: لا أفعل ذلك ما دَرَّ شارقُ، وأشرقت أضاءت قال: (بالعشي والإشراق) أي وقت الإشراق. (انظر المفردات مادة شروق، ص ٢٥٩).

(١٠) في (د) الله.

(١١) انظر جامع البيان ٨٧/٢٣ وتفسير الكشاف ٣٦٥/٤ والتفسير الكبير ١٨٦/٢٦.

(١٢) في (د) ثمانون.

(١٣) انظر مفاتيح الغيب ١٨٧/٢٦ نقلاً عن الواحدى ومعالم التنزيل ٥١/٤.

(١٤) أبو عمرو محمد بن عبد العزيز: هو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة واسمه غزوان الشكري مولا هم أبو عمرو المروزي قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي والدارقطني: ثقة. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين هجرية وذكره ابن حبان في الثقات (انظر تهذيب التهذيب ٣١٢/٩، ٣١٣).

(١٥) ساقطة من (ج).

(١٦) أبو الفضل الحدادي: هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي، قال الحاكم: كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا، مات سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ٣٧٠/١٦).

الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى^(١) علي رجل من عظمائهم عند داود^(٢) فقال: إن هذا غصبني بقرآني فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البيئنة فلم تكن له بيئنة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده^(٣) فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي^(٤) استعدى عليه. فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى^(٥) أثبت. فأوحى الله إليه في منامه أن يقتله، فلم يفعل، فأوحى الله إليه^(٦) الثالثة [أن يقتله]^(٧) أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال له: إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال الرجل: تقتلني بغير بيئنة؟ فقال^(٨) داود: نعم والله لأنفذن أمر الله فيك. فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: لا تعجل علي حتى أخبرك وإني^(٩) والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكنني كنت اغتلت أبا^(١٠) هذا فقتلته فبذلك أخذت. فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل لداود [عليه السلام]^(١١) عند ذلك وشدد به ملكه وهو^(١٢) قوله [وشددنا ملكه]^(١٣)»^(١٤).

وقوله ﴿وآتيناه الحكمة﴾ قال ابن عباس: النبوة والمعرفة بكل ما حكم، وقال مقاتل [الفهم والعلم]^(١٥). ﴿وفصل الخطاب﴾ يعني الشهود^(١٦) والأيمان البيئنة^(١٧) على المدعي واليمين على من أنكر^(١٨)؛ لأن خطاب^(١٩) الخصوم^(٢٠) إنما ينقطع وينفصل بهذا وهذا^(٢١) قول [أكثر المفسرين]^(٢٢) وقال ابن مسعود ومقاتل وقتادة: هو العلم بالقضاء والفهم فيه^(٢٣). قوله تعالى^(٢٤):

- (١) استعدى: يقال استعديت الأمير على الظالم طلبت منه النصرة، فأعداني عليه: أعانني ونصرني، فالاستعداد: طلب التقوية والنصرة. انظر المصباح مادة (عدي).
- (٢) في (ج) داود عليه.
- (٣) في (هـ) عند.
- (٤) من (د)، (هـ).
- (٥) ساقطة من (هـ).
- (٦) ساقطة من (د).
- (٧) في (د)، (هـ) أن يفعل.
- (٨) في (ج)، (د)، (هـ) قال.
- (٩) في (د)، (هـ) إني.
- (١٠) في (د)، (هـ) أب.
- (١١) من (ج).
- (١٢) ساقطة من (د).
- (١٣) ما بين المعقوفين ساقط من د.

(١٤) انظر جامع البيان ٨٨/٢٣، والدر المنثور وقال: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ٢٩٩/٦ ومعاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٧ ومعالم التنزيل ٥١/٤ والبداية والنهاية ١٢/٢. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره ٨٨/٢٣ أن يقال: [إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجمعها ولا قول أولى ذلك بالصحة من قول الله إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له].

- (١٥) في (ح) العلم والفهم.
- (١٦) في (د) المشهود.
- (١٧) في (ج) والبيئنة.
- (١٨) هذا نص حديث عن رسول الله ﷺ رواه الترمذي في سننه كتاب الأحكام باب ما جاء في أن البيئنة على المدعي واليمين على المدعي عليه ٦١٧/٣ عن ابن عباس وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وانظر جامع البيان ٨٨/٢٣، ٨٩، ومعالم التنزيل ٥٢/٤ وتفسير القرآن العظيم ٣٠/٤.

- (١٩) ساقطة من (ج).
- (٢٠) في (ج) الخصومة.
- (٢١) انظر جامع البيان ٨٨/٢٣ ورواه ابن عباس والحسن والكلبي ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وليراجع تفسير الثوري ص ٢١٧ ومعالم التنزيل ٥٢/٤، والدر وعزاه إلى البيهقي عن قتادة ٣٠٠/٥ وفتح القدير ٤٢٥/٤.
- (٢٢) في (د)، (هـ) الأكثرين.
- (٢٣) انظر جامع البيان ٨٨/٢٣ ورواه ابن عباس والحسن والكلبي ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وليراجع تفسير الثوري ص ٢١٧ ومعالم التنزيل ٥٢/٤، والدر وعزاه إلى البيهقي عن قتادة ٣٠٠/٥ وفتح القدير ٤٢٥/٤.
- (٢٤) من (ج).

﴿وَهَلْ أُنْتَكِ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِيَّاكَ نِعَاجِيهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ (١) قال مقاتل : بعث الله تعالى (٢) إلى داود [عليه السلام] (٣) ملكين جبريل وميكائيل (٤) لينبهه على التوبة فأتياه في المحراب .

وهو (٥) قوله ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ (٦) يقال : تسورت الحائط والسور إذا علوته . وإنما قال : ﴿تسوروا﴾ والخصم (٧) ها هنا اثنان ؛ لأنه على مذهب من يجعل الاثنین جماعة (٨) ، والمحراب (٩) ها هنا كالغرفة قال محمد بن إسحق : بعث الله [تعالى إليه] (١٠) ملكين يختصمان إليه مثلاً ضربه الله له وأصحابه فلم يُرِعْ داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال : ما أدخلكما علي؟ قالوا : لا تخف (١١) .

(١) الخصم : مصدر خصمته أي نازعته خصماً يقال : خصمته وخصمته مخاصمة وخصاماً قال تعالى : ﴿وهو ألد الخصام﴾ (وهو في الخصام غير مبين) ثم سُمي المخاصم خصماً واستعمل للواحد والجمع وربما نثي ، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوارق من جانب وروي نسيت في خصم فراشي ، والجمع خصوم وأخصام وقوله «خصمان اختصموا» أي فريقان ولذلك قال : اختصموا وقال : «لا تختصموا» وقال «وهم فيها يختصمون» . انظر المفردات في غريب القرآن مادة (خصم) ص ١٤٩ .

(٤) ساقطة من (د) .

(٢) من (ج) .

(٥) ساقطة من (هـ) .

(٣) من (ج) .

(٦) جاء «الخصم» هنا ولفظه لفظ الواحد و«تسوروا» ولفظه لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنین والجماعة والذكر والأنثى يقال : هذا خصم وهي خصم وهما خصم وهم خصم وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر تقول : خصمته أخصمه خصماً المعنى : هما ذوا خصم وهم ذوو خصم وإن قلت خصوم جاز كما تقول : هما عدل ، وهما ذوا عدل وقال «وأشهدوا ذوي عدل منكم» فمعنى هما عدل هما ذوا عدل ، فما كان من المصادر قد وصفت به الأسماء فتوحيدة جائز وإن وصفت به الجماعة ، وتذكيره جائز وإن وصفت به الأنثى ، هو رضى وهما رضى وكذلك هذه رضى . انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٨ .

(٧) في (هـ) الخصم . (٨) انظر وجوه الإعراب والقراءات ١٠٩/٢ .

(٩) محراب المسجد قيل سمي بذلك : لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى وقيل سمي بذلك : لكون حق الإنسان فيه أن يكون حربياً من أشغال الدنيا ومن نوازع الخواطر وقيل : الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم اتخذت المساجد فسمي صدره به . وقيل : بل المحراب أصله في المسجد . وهو اسم خص به صدر المجلس ، فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكان هذا أصح . قال عز وجل ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ انظر المفردات مادة (حرب) ص ١١٢ .

(١٠) انظر جامع البيان ٩٥/٢٣ ، ٩٦ .

(١١) من (ج ، د) .

وهو قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ ففَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي﴾^(١) ﴿١﴾ أي نحن ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾^(٢) ﴿٢﴾ فجنائك لتقضي بيننا وهو قوله: ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يقال شط الرجل وأشط شططاً وإشطاطاً إذا جار في حكمه وقضيته. قال المفسرون لا تجر علينا ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ احملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره. فقال داود: تكلما فقال أحد الملكين ﴿إن هذا أخي له﴾^(٤) ﴿٤﴾ أي^(٥) على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ يعني امرأة. والنعجة البقرة الوحشية، والعرب تكني بها عن المرأة وتشبه النساء بالنساء بالنعاج من البقر وإنما عنى (بهذا داود)^(٦)، لأنه كانت له تسع وتسعون امرأة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ امرأة واحدة ﴿فقال أكفلنيها﴾ ضعها إلي واجعلني كافلها^(٧) وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها ﴿وعزني في الخطاب﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي، لأنه كان الملك. والمعنى أنه كان أقدر على الخطاب بعزة ملكه. وهذه القصة تمثيل لأمر داود^(٨) مع «أوريا» زوج المرأة التي أراد أن يتزوج بها^(٩) قال داود ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ أي بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه أي^(١١) إن كان الأمر على ما تقول^(١١) فقد ظلمك أخوك بما كلفك من تحولك عن امرأتك ليتزوجها هو. ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال. يريد أن الشركاء كثير منهم يظلم بعضهم بعضاً وهو قوله: ﴿ليغني بعضهم على بعض﴾ وظن داود أنهما شريكان فلذلك قال: ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي^(١٢) فإنهم لا يظلمون أحداً ﴿وقليل ما هم﴾ أي هم قليل يعني الصالحين الذين لا يظلمون^(١٣) قال المفسرون: فلما قضى بينهما داود (عليه السلام)^(١٤) نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه، وأن ما ذكر^(١٥) من القصة تمثيل لقصته هو. وقوله:

(١) الفرع: الخوف. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٩٩ - قال ابن كثير في تفسيره وقوله تعالى ﴿ففزع منهم﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألونه عن شأنهما اهـ. ٣١/٤.

(٢) من (ج).

(٣) بغى: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحري تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارة تعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب وابتغيت كذلك قال عز وجل ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾، والبغي على حزبين أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام «الحق بين والباطل بين وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» ولأن البغي قد يكون محموداً ومذموماً قال تعالى ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق﴾ فخص العقوبة ببغيه بغير الحق. انظر المفردات مادة (بغى) ص ٥٥.

(٤) من (هـ).

(٦) في (ج) داود بهذا.

(٥) من (د، هـ).

(٧) كافلها: الكفالة الضمان وتقول تكفلت بكذا وكفلته فلانا وقرىء «وكفلها زكريا» أي كفلها الله تعالى، ومن خفف جعل الفعل لذكرها، المعنى تضمنها، قال تعالى ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفل بأمره، نحو قوله تعالى ﴿فقال أكفلنيها﴾ أي اجعلني كفاً لها.

انظر المفردات مادة (كفل) ص ٤٣٦.

(١٢) ساقطة من (هـ).

(٨) في (ج) داود (عليه).

(١٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (هـ).

(٩) ساقطة من (ج).

(١٤) من (ج).

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (ج) ذكراه.

(١١) في (د) تقوله وفي (هـ) يقول.

﴿وظن داوود أنما فتناه﴾ (أي أيقن وعلم) ^(١) أنا ابتليناه بما وقع له من القصة ونظره إلى المرأة وافتتانه بها (وكان قد) ^(٢) أعجب بعبادته فلما ابتلي بها هويها ^(٣) وقال لزوجها تحول لي عنها فعبت على محبة امرأة من له امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة فكان ^(٤) ذلك ذنباً من ذنوب الأنبياء التي يعاتبون عليها وذلك قوله: ﴿فاستغفر ربه﴾ سأل ربه غفران ذلك الذنب ^(٥)

(١) في (د) أي علم وأيقن.

(٢) في (د) وقد كان.

(٥) انظر جامع البيان ٢٣/٩٤ - ٩٦ ولباب التأويل للخازن ٤٥/٦: ٤٩ والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٨٨ والدر المنثور ٣٠١/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن. وهذه الرواية وغيرها من الروايات التي ذكرها الواحدي وغيره من المفسرين في كتبهم عن ابتلاء نبي الله داود ما ورد منها «مرفوعاً» فهو ضعيف، وما ورد منها «موقوفاً» فهو من الإسرائيليات كما قال ابن كثير في تفسيره، يقول: وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. انظر تفسير القرآن العظيم ٣١/٤ فهي إذاً روايات لا أساس لها من الصحة لأنه من المعلوم كما يقول الخازن في تفسيره: أن من خصه الله تعالى بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرقه على كثير من خلقه، واثمنه على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأئمة ذلك!!!؟، روى ابن سعيد بن المسيب والحاثر الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء، وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه الله في قصة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بني محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الإمام فخر الدين: حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعامل أن يظن بدوود عليه الصلاة والسلام هذا. وقال غيره: إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحهم ذم؟ ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت في مدح شخص، كيف تجري ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزّه عن مثل هذا في كلامه القديم. (انظر لباب التأويل للخازن ٤٩/٦، ٥٠)

وبعد إثبات بطلان ما ورد في فتنة سيدنا داود فإن التفسير المقبول لهذه الآيات هو ما ذكره ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) حيث يقول في تفسير قول الله: «وهل أتاك نبأ الخصم»: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة لأن الله تعالى يقول ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ فقال هم لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للأخر نعجة واحدة ولا قال له: أكفلنيها، ثم يقول: وأما استغفاره وخروجه ساجداً ومغفرة الله تعالى له فالأنبياء - عليهم السلام - أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذب ولا من غير مذب، فالنبي يستغفر الله لمذنبه أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾، وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وقوله تعالى: ﴿ففغفرنا له ذلك﴾ فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة ١٨/٤، ١٩.

وهذا كلام وجيه من الإمام ابن حزم فالكلام في الآيات على الحقيقة فالخصمان من بني آدم والنجاج حقيقة وإذا كانت العرب تكتفي بالنعجة عن المرأة فلا ينبغي اللجوء إلى الكناية ما دامت الحقيقة ممكنة أما قول الله تعالى ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ فاستغفر ربه ﴿فيمكن حمله على ما ذكره ابن حزم، أو على ما ذكره الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبه في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات»: من أن =

﴿وآخر ركعاً﴾^(١) قال ابن عباس ساجداً^(٢) وعبر عن السجود بالركوع لأن كليهما^(٣) بمعنى الانحناء
 ﴿وأتاب﴾ راجع [إلى ما]^(٤) يحب الله من التوبة والاستغفار أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى (رضي الله)^(٥) عنه أنا
 محمد بن يعقوب الأموي أنا الربيع قال: قال الشافعي (رضي الله عنه)^(٦): أخبرني^(٧) ابن عيينة عن عبدة^(٨) عن زر
 عن ابن مسعود^(٩): أنه كان لا يسجد في ﴿ص﴾ ويقول: إنما هي توبة نبي^(١٠) ﴿فغفرنا له ذلك﴾ قال ابن عباس: غفر
 له ذلك الذنب^(١١). ﴿وإن له عندنا لزلقى﴾ لقربة ومكانة ومنزلة حسنة. أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا (أبو علي
 الفقيه)^(١٢) أنا إبراهيم بن عبد الله العسكري أنا محمد بن صالح حدثني محمد بن منصور البرداني عن جعفر بن سليمان
 عن مالك بن دينار في قوله: ﴿وإن له عندنا لزلقى﴾^(١٣) قال يقول الله (عز وجل)^(١٤) لداود وهو قائم بساق العرش: يا
 داود مجدني^(١٥) بذلك الصوت الرخيم^(١٦) اللين^(١٧) فيقول: كيف وقد سلبتني في الدنيا فيقول: إني أردت عليك، قال:
 فيرفع داود صوته بالزبور^(١٨) فيستفرغ نعيم أهل الجنة^(١٩) قوله ﴿وحسن مثاب﴾^(٢٠) يعني الجنة التي هي مآب^(٢١) الأنبياء
 والأولياء. قوله: ﴿يا داود﴾ (أي قلنا له يا داود)^(٢٢) ﴿إنا جعلناك﴾ صيرناك ﴿خليفة في الأرض﴾ تدبر أمور العباد من
 قبلنا بأمرنا ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بالعدل الذي هو حكم الله بين خلقه ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾
 قال مقاتل: لا يستزلنك الهوى عن طاعة الله ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

= داود لما دخل عليه الخصمان ارتاع منهما وفرغ فرغاً لا يليق بمثله من المؤمنين فضلاً عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل
 الواثقين بحفظه ورعايته وظن بهما سوءاً وأنهما جاءا ليقطلاه أو يبيغيا به شراً ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنهما خصمان
 جاءا يحتكمان إليه فلما قضى بينهما وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما استغفر ربه وخرَّ ساجداً لله تعالى. ص ٣٧٦.

- (١) في (ج) ركعاً.
 (٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١/٤.
 (٣) في (هـ) كلاهما وفي (ج) كلاهما.
 (٤) في (ب، ج، د، هـ) بما.
 (٥) من (ج).
 (٦) من (هـ).
 (٧) في (ج) أخبرنا.
 (٨) عبدة: هو عبدة بن أبي لبابة الأسدي أبو القاسم البزار الكوفي نزيل دمشق ثقة من الرابعة - أخرج له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
 وابن ماجه وثقه أبو حاتم والنسائي وابن خراش (انظر تهذيب التهذيب ٤٦٢/٦ والتقريب ٥٣٠/١).
 (٩) سبقت ترجمته.
 (١٠) قال الإمام ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد في مذهب الشافعي رضي الله عنه
 أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن
 عباس رضي الله عنهما أنه قال: السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ - يسجد فيها رواه البخاري في
 أبواب سجود القرآن وسنها باب سجدة «ص» وأبو داود في سننه ٥٩/٢، وتحفة الأحوذى ١٧٦/٣، وتفسير القرآن العظيم ٣١/٤.
 (١١) انظر جامع البيان للطبري ٩٧/٢٣. (١٤) في (ب) تعالى.
 (١٢) في (د) أبو علي ناهر بن أحمد الفقيه. (١٥) مجدني: أي شرفني وعظمي (انظر النهاية لابن الأثير ٧٩/٤)
 (١٣) ساقطة من (د). (١٦) الرخيم: هو الرقيق الشجي الطيب النغمة. انظر النهاية ٧٥/٢.
 (١٧) من (أ) ومعناها السكون والوقار والخشوع (انظر النهاية ٧٣/٤).
 (١٨) الزبور: الكتاب الذي نزل على سيدنا داود.
 (١٩) رواه ابن أبي حاتم انظر تفسير القرآن العظيم ٣٢/٤ والدر المنثور ٣٥٥/٥.
 (٢٠) من (د، هـ).
 (٢١) مآب: أي مرجع ومنقلب إليه يوم القيامة. انظر جامع البيان ٩٧/٢٣.
 (٢٢) في (د) أي يا داود قلنا له.

الحساب ﴿ قال عكرمة (١) والسدي (٢) في الآية تقديم وتأخير على تقدير ولهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل، وقال الزجاج (٣) أي بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وإن كانوا يندرون ويذكرون.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِيلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ (٤) قال ابن عباس: لا للثواب والعقاب (٥) ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ (٦) يعني أهل مكة ﴿فويل للذين كفروا﴾ (٨) هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء وأنه لا قيامة ولا حساب قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة من الخير (ما تعطون) (٩) فأنزل الله تعالى (١٠) ﴿أم نجعل الذين آمنوا [وعمِلوا الصالحات]﴾ (١١) ﴿أي صدقوا بي﴾ (١٢) ﴿وعمِلوا الصالحات﴾ (١٣) ﴿عملوا بفرائض﴾ (١٤) ﴿كالمفسدين في الأرض﴾ (١٥) بالمعاصي ﴿أم نجعل المتقين﴾ يريد به (١٦) أصحاب النبي ﷺ ﴿كالفجار﴾ (١٧) وهم الكفار كقوله ﴿أم حسب الذين اجترحو السيئات﴾ (١٨) الآية وقوله (١٩): ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾: وهم الكفار لقوله (٢٠) ﴿كتاب﴾ أي (٢١)

(١) انظر جامع البيان ٩٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٥٩/٤.

(٢) انظر معالم التنزيل ٥٩/٤ وتفسير القرآن العظيم ٣٢/٤.

(٣) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.

(٤) الباطل: نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه. المفردات مادة (بطل) ص ٥٠ والمعنى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثاً ولعباً، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهي إلى أمرنا ونهيها (انظر جامع البيان ٩٧/٢٣).

(٥) انظر معالم التنزيل ٥٩/٤.

(٦) في (د) ولكن.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) من (د).

(٩) في (هـ) يعطون.

(١٥) الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويزاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فسد فساداً وفسوداً وأفسده غيره. انظر المفردات مادة (فسد) ص ٣٧٩.

(١٦) من (ج).

(١٧) الفجار: الفجور شق ستر الديانة، يقال: فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعه فجار وفجرة قال: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ (المطففين آية ٧) ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ (الانفطار ١٤) ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ (عيسى ٤٣) وقوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ (القيامة ٥) أي يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل: معناه ليذنب فيها وقيل: معناه يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به، وسمى الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور. (انظر المفردات مادة (فجر) ص ٣٧٣).

(١٨) سورة الجاثية / آية رقم ٢١.

(١٩) سورة القلم / آية ٣٥.

(٢٠) من (د).

(٢١) من (د).

هذا كتاب يعني القرآن ﴿أنزلناه إليك مبارك﴾ كثير خيره ونفعه ﴿ليدبروا﴾ ليتدبروا^(١) ﴿آياته﴾ وليتفكروا^(٢) فيها فيقرروا عندهم صحتها ﴿وليتذكروا﴾ بما فيه من المواعظ أهل اللب^(٣) والعقل. قوله^(٤):

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيَنَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَنُفِخَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ يعني ولدًا، ثم مدح سليمان بقوله^(٥): ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ راجع عما يكره الله إلى ما يحب ﴿إذ عرض عليه بالعشي﴾ بعد العصر ﴿الصفينات﴾ يقال: صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاث، وقلب أحد حوافره. و﴿الجياد﴾ جمع جواد وهو الشديد الحضرة^(٦) من الخيل. قال ابن عباس: يريد الخيل السوابق^(٧) إذا وقفت صفتت على أطراف حوافرها عرضت عليه حتى شغلته عن صلاة العصر إلى أن غابت الشمس^(٨)، فذلك قوله تعالى^(٩) ﴿فقال إني أحببت حب الخير﴾ يعني الخيل والخيل مال، والخير بمعنى المال كثير في التنزيل. قال الزجاج: الخير هنا الخيل^(١٠) والنبي ﷺ^(١١) سمي زيد الخيل زيد الخير، وسميت الخيل خيراً، لأن الخير معقود بنواصيها الأجر والمغرم^(١٢). قال الفراء: يقول آثرت حب الخير^(١٣) وكل من أحب شيئاً فقد آثره. وقوله ﴿عن ذكر ربي﴾ أي على ذكر ربي يعني صلاة العصر. ﴿حتى توارت﴾

(١) ساقطة من (ح).

(٢) في (أ، ب، ج، د) يتفكروا.

(٣) اللب: العقل الخاص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه كاللباب واللبن من الشيء، وقيل: هو ما زكي من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لباً. ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدرکہا إلا العقول الزكية بأولي الألباب، نحو قوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ إلى قوله: ﴿أولوا الألباب﴾ (البقرة ٢٦٩) ونحو ذلك من الآيات (انظر المفردات مادة «لب» ص ٤٤٦).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (هـ) بقول.

(٦) الحضرة: الحضرة بالضم العدو وأحضر فهو محضر إذا عدا.

(٧) انظر معالم التنزيل ٦٠/٤.

(٨) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به: أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد المغرب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه. ويحتمل أنه كان سائغاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر، والأول أقرب، لأنه قال بعدها: «ردوها علي فنفخ مسحاً بالسوق والأعناق» وذهب ابن جرير إلى أنه ذهب يسمح عراقيب الخيل وأعرافها لأنه لم يكن له أن يعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك ما له لغير سبب. وخالفه ابن كثير لاحتمال أن يكون مثل هذا جائزاً في شرعهم ولا سيما إذا كان غضبا لله، ولذلك عوضه الله بما هو خير منها من الريح التي هي أسرع من الخيل (اهـ) ملخصاً (انظر تفسير القرآن العظيم ٣٤/٤).

(٩) من (ج).

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٧٩.

(١١) في (أ، ب، ج) أسمى.

(١٢) هذا الكلام مقتبس من قول رسول الله ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب

حدثني محمد بن المشي عن أنس.

(١٣) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢.

بالحجاب ﴿^(١) حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار. قال الحسن^(٢) إن سليمان [عليه السلام] ﴿^(٣) لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله تعالى ﴿^(٤) فقال ﴿ردوها علي﴾ أي أعيدوها علي ﴿فطفق﴾ قال أبو عبيدة^(٥): طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو [مثل ظل] ﴿^(٦) وبات، يقال: طفق يطفق طففاً وطفوقاً وقوله: ﴿مسحاً﴾ أي يمسح مسحاً أي يضرب، يقال: مسح علاوته أي ضرب عنقه، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة^(٧). قال الفراء: والمسح ها هنا القطع. والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها، لأنها كانت سبب فوت صلاته^(٨). وهذا قول ابن عباس ومقاتل قالا: «يريد قطع السوق والأعناق» ﴿^(٩)﴾^(١٠).

وقال الحسن: كسّف^(١١) أعراقها وقطع أعناقها وقال: لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى. قال الزجاج: ولم يكن ليفعل ذلك إلا وقد أباح الله له ذلك^(١٢). وجائز أن (يباح ذلك لسليمان)^(١٣) ويحظر في هذا الوقت^(١٤). والسوق

(١) الحجاب: الحجب والحجاب المنع من الوصول يقال: حجه حجياً وحجاباً وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد وقوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب﴾ (الأعراف ٤٦) ليس يعني به ما يحجب البصر، وإنما يعني ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة كقوله عز وجل ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ (الحديد ١٣) وقال عز وجل ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ (الشورى ٥١) أي من حيث ما لا يراه مكلمه ومبلغه وقوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ يعني الشمس إذا استترت بالمغيب. (انظر المفردات مادة (حجب) ص ١٠٨).

(٢) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤.

(٣) من (ج).

(٤) من (د).

(٥) انظر معالم التنزيل ٤/٦١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٣.

(٦) في (هـ) بجمع ظل.

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٣.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٥.

(٩) الأعناق: جمع عنق وهي الرقاب. النهاية ٣/١٣٣.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤.

(١١) كسّف عروق الإبل: أي قطعه بالسيف. انظر النهاية في غريب الحديث ٤/٢٠ والمفردات مادة كسّف ص ٤٣١.

(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٧٩.

(١٣) في (هـ) يباح له ذلك.

(١٤) ما سبق من روايات تفيد أن سيدنا سليمان عليه السلام قد ضيع فرضاً من فروض الله وارتكب ذنباً وهو عقر الخيل، لتفسيرها قول الحق تبارك وتعالى ﴿عن ذكر ربي﴾ بصلاة العصر وتفسيرها قوله تعالى ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ بضرب سوقها وأعناقها بالسيف وتفسيرها قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ بأن الشمس استترت بما يحجبها عن الأبصار «تفسيراً» والله أعلم لا يستند على خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه، كما يقول علماؤنا الأجلاء، بعد ذكرهم بعض هذه الروايات «وليس في هذا شيء من الاستبعاد، ولذا لم يلتفت إلى الأخبار في ذلك، إذ ليس فيها خبر صحيح مرفوع أو ما في حكمه يعول عليه فيما أعلم» (انظر روح المعاني للالوسي ٢٣/١٩١: ١٩٤ بتصرف).

ويقول ابن جرير الطبري عن ابن عباس قوله «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقبيها حيالها. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. (انظر جامع البيان للطبري ٢٣/١٠٠)

وقال صاحب تفسير الميزان: وأما عقره عليه السلام الخيل وضربه أعناقها بالسيف فقد روي في ذلك عدة روايات من طرق أهل السنة وأورده القمي في تفسيره، وكلها تنتهي إلى كعب، وكيف كان فلا يعبا بها. الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ٧/٢٠٦ بتصرف.

جمع ساق مثل لَابٍ^(١) ولُوبٍ.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾
وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ لِّحُسْنٍ
مَّآبٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى^(١): ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي^(٢) ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه. قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان (عليه السلام)^(٤) امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته^(٥) كانت عن ذلك. قال ابن عباس^(٦) في رواية عطاء ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ يريد^(٧) بصخر الشيطان الذي لم يكن سخر له، وكان شيطاناً مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين، وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف^(٨) بخاتمه، فجاء سخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه وأقام أربعين يوماً في مكانه وسليمان هارب^(٩). وقال مجاهد: إن شيطاناً^(١٠) قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن، وكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني؟ أطعموني. فيكذبونه حتى أعطته امرأته^(١١) يوماً حوتاً^(١٢) فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه. فرجع إليه

= ويعتبر الإمام ابن حزم رواية تضييع الصلاة وعقر الخيل من الخرافات والأكاذيب الموضوعه، ثم يبين لنا التفسير المقبول للآيات فيقول: وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من القول، والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف نبي مرسل!!، ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده براً بها وإكراماً لها، وهذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكره من قتل الخيل وتعطيل الصلاة، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف؟ ولا حجة في قوله أحد دون رسول الله ﷺ (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٢٠/٤).

(١) في أ، ب، ح، هـ، الآية.

(٤) من (ج).

(٢) من (ج).

(٥) ساقطة من (ج).

(٣) ساقطة من (د، هـ).

(٦) انظر تفسير مجاهد ٥٤/٢، ٥٥ وجامع البيان ١٠٠/٢٣، ١٠١ وتفسير القرآن العظيم ٣٥/٤.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) الكنيف هو الساتر فكل ما ستر من بناء أو حفيرة فهو كنيف وهو هنا بمعنى الخلاء. انظر النهاية ٣٦/٤ ولسان العرب مادة (كنف).

(٩) انظر جامع البيان ١٠١/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٧/٤ وتفسير القرآن العظيم ٣٥/٤.

(١٠) في (ب، ج، د، هـ) شيطان.

(١١) في (ب، د) امرأة.

(١٢) الحوت: هو السمك العظيم قال تعالى ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ (الأعراف ١٦٣) انظر المفردات مادة (حوت)

ملكه^(١)»^(٢) فذلك قوله: ﴿وَأَلْقِينَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ يعني الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس ﴿ثم أناب﴾ رجع بعد أربعين يوماً إلى ملكه .

(١) في (أ، ب، ج) ماله .

(٢) هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون في فتنة سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، بل هي مروية عن اشتهر بمثل تلك التفاصيل الدخيلة وهو «وهب بن منبه»، و«السدي» فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على عدم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها . أما عن التناقضات في تلك الروايات التي معنا فنرى الواحد يذکر في الرواية الأولى أن سبب فتنة سليمان ما حدث في بيته من عبادة زوجته لصنم دون علمه، وفي الرواية الثانية يذکر فيها أن صخرًا المارد تمثل بصورة سليمان وأخذ الخاتم من زوجته، وفي الرواية الثالثة يذکر فيها أن الشيطان ضحك على سليمان وأخذ خاتمه وألقاه في البحر فذهب ملك سليمان . فتلک وغيرها مما ذكره بعض المفسرين أقوال متناقضة ومن ثم لا يعتد بها جميعاً، كما أن فيها مخالفات لا تتمشى مع روح الآيات ولا مع نزاهة الأنبياء وقُدسيّتهم .

لذلك فإن المحققين قد أبطلوا هذه الروايات . يقول الإمام الفخر الرازي : واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه : الأول : أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس في صورة عيسى وموسى عليهما السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية، الثاني : أن الشيطان لو قدر على أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق آحاد الناس فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء بل أولى .

الثالث : كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلب الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح .

الرابع : لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة (ذلك الصنم) فهذا كفر منه ولم يأذن فيه البتة، فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه؟ (انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٦/٢٠٨) . ويقول الإمام ابن كثير معقباً على الروايات السابقة : وأرى هذه الروايات كلها من الإسرائيليات ومن أنكروها ما قاله ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا : حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَأَلْقِينَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ ثم أناب ﴿ قال : أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه . . . إلى آخره كما ذكره الواحدي ، ثم يقول ابن كثير : إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٥، ٣٦ بتصرف) .

ويقول الشيخ أبو شهبة : ونحن لا نشك في ان هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب لكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص وأبعد غوراً من البعض الآخر فلم يتورط فيما تورط فيه البعض من ذكر تسلط الشيطان على نساء سليمان عليه السلام، وذلك حتى يكون لما لفته وافتراه بعض القبول عند الناس، أما البعض الآخر فكان ساذجاً في كذبه مغضلاً في تليفه فترك آثار بينة واضحة . وبذلك اشتمل ما لفته على دليل كذبه، والحق أن نسج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلب الله الشيطان على نساء نبيه وهو أكرم على الله من ذلك؟ وأي ملك أو نبوة يتوقف امرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله؟ وما عهدنا في التاريخ البشري شيئاً من ذلك . وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ولم يذكره بكلمة؟ وهل غير الله خلقه سليمان في لحظة حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته جرادة؟ الحق أن نسج القصة مهلهل لا يصمد أمام النقد وإن آثار الكذب والاختلاق بادية عليه (انظر الإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبو شهبة ص ٣٨٠ - ٣٨٣ بتصرف)

وبعد فإذا ثبت بطلان تلك الروايات السابقة فما التفسير الصحيح إذاً للفتنة؟ نقول : إن التفسير الصحيح للفتنة هو ما ذهب إليه =

فلما رجع ﴿قال رب [اغفر لي و]﴾^(١) هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴿﴾^(٢) قال مقاتل^(٣) وأبو عبيدة^(٤): لا يكون، فاستجاب الله له^(٥) ذلك فلم يكن لأحد بعده من^(٦) الملك ما كان له. أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا الحسين بن إسماعيل المحاملي أنا زياد بن أيوب أنا شابة أنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي يفسد علي الصلاة فأمكنني الله منه فدعته^(٧) ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتظنوا وإليه أجمعين فذكرت قول سليمان (عليه السلام)^(٨) ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾^(٩) فرده الله خاسئاً أو خائباً رواه البخاري^(١٠) عن إسحق بن

= المحققون من أن سبب فتنه سليمان عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال الملك: قل: إن شاء الله. فلم يقل، ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهم إلا امرأة نصف إنسان قال النبي ﷺ لو قال إن شاء الله لم يحث وكان أرجى لحاجته. (انظر صحيح البخاري كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه). (١) ساقطة من (ج، ه).

(٢) قد يقول قائل: ما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك وهو نبي من الأنبياء وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه إذ سأله ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكة يعطي ذلك من يعطاه؟ أم حسد للناس؟ كما ذكر عن الحجاج بن يوسف فإنه ذكر أنه قرأ قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» فقال: إن كان لحسوداً فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء. قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك فلم تكن به رغبة في الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما يرغب إليه فيه وقبوله توبته وإجابته دعاءه. وأما مسألته ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فإننا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك هب لي ملكاً لا أسلبه كما سلبته قبل، وإنما معناه عند هؤلاء هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعد أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني فيكون حجة وعلماً على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من اعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضاً لأن يكون معناه هب لي ملكاً تخصني به لا تعطيه أحداً غيري تشريفاً منك لي بذلك وتكرمه لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء. انظر جامع البيان ١٠٥/٢٣، ١٠٦.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٣/٢.

(٣) انظر معالم التنزيل ٦٤/٤.

قال عنه الحافظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة مات سنة عشر ومائتين وقيل سنة تسع (انظر تذكرة الحفاظ ١/٣٧١، ٣٧٢).

(٧) فدعته: أي خنقته.

(٥) ساقطة من (ج).

(٨) من (ج).

(٦) ساقطة من (ه).

(٩) قال ابن حجر في الفتح: وقوله «فذكرت دعوة أخي سليمان» أي قوله «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» قال: وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك إلا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في القدر فقط قال: واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيتهم حال تصرفهم قال: وأما قوله تعالى ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف ٢٧) فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم. قال: ونعقب بأن رؤية الإنس للجن على هيتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا قال: وينبغي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة قال: ويحتمل العموم وهو الذي فهمه العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن ابطلنا شهادته واستدل بهذه الآية (انظر فتح الباري لابن حجر ٤٥٩/٦).

(١٠) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة (ص).

والإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا ثقة الحديث من الحادية عشرة مات سنة ست وخمسين ومائتين هجرية في شوال وله اثنان وستون سنة (انظر التقريب ١٤٤/٢).

إبراهيم عن روح وغندر ورواه مسلم^(١) عن إسحاق بن منصور عن النضر بن شميل كلهم عن شعبة ويدل على^(٢) ما ذكرنا قوله ﴿فسخرنا له الريح﴾^(٣) ولم نسخرها لأحد بعده ولا ملكها سواه ﴿تجري بأمره رخاء﴾ لينة الهبوب ليست بالعاصفة^(٤). ﴿حيث أصاب﴾ أراد من النواحي قال الزجاج: [إجماع أهل اللغة والمفسرين]^(٥) حيث أصاب أي^(٦) حيث أراد^(٧) [من النواحي قال الزجاج]^(٨): وحقيقته حيث قصد^(٩). وقال الأصمعي: العرب تقول: أصاب فلان الصواب فأخطأ الجواب معناه: أنه قصد الصواب وأراد^(١٠) فأخطأ مراده ولم يتعمد الخطأ^(١١) ﴿والشياطين﴾ أي وسخرنا له الشياطين ﴿كل بناء﴾ يبنون له ما يشاء من محاريب وتمائيل ﴿وغواص﴾ يغوصون في البحار يستخرجون له الدر^(١٢) من البحار^(١٣) ﴿وءاخرين﴾ أي^(١٤) [وسخرنا له آخرين]^(١٥) يعني مردة الشياطين سخرها له حتى قرنهم في الأصفاد وهو قوله ﴿مقرنين في الأصفاد﴾^(١٦) يقال: قرنهم في الحبال إذا كانوا جماعة كثيرة والأصفاد الأغلال واحدها صفد. قال الزجاج: هي السلاسل من الحديد وكل ما شدته شداً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صفدته^(١٧). قال أبو عبيد: يقال^(١٨) صفدت الرجل فهو مصفود وأصفدته^(١٩) فهو مصفد^(٢٠) ﴿هذا عطاؤنا﴾ أي قلنا له: هذا الملك يعني ما سأل من قوله هب لي ملكاً ﴿فامن﴾ المن الإحسان إلى من لا تستثيه. قال عطاء عن ابن عباس: أعط من شئت وأمسك عمن شئت^(٢١) ﴿بغير حساب﴾ لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت^(٢٢). قال الحسن: ما أنعم الله على أحد^(٢٣) نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان (فإن الله تعالى^(٢٤) قال^(٢٥)): «هذا عطاؤنا» الآية. إن أعطي أجر^(٢٦) وإن لم يعط لم يكن عليه

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة والإمام مسلم هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ قال عنه مسلم بن قاسم: جليل القدر من الأئمة وقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وكان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث ولد سنة أربع ومائتين ومات لخمسة بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة (انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) التسخير: السياقة إلى الأرض قهراً (انظر المفردات مادة (سخر) ص ٢٢٧).

(٤) العاصفة تكسر الشيء فتجعله كعصف وعصفت بهم الريح تشبهاً بذلك: انظر المفردات مادة (عصف) ص ٣٣٦.

(٥) في (ج) إجماع المفسرين وأهل اللغة.

(٦) من (ج).

(٧) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٦٦ وجامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨ والمفردات ١٩٢ والبحر المحيط ٧/٣٩٨ ولسان العرب مادة «صوب».

(٨) من (ج، هـ).

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١٠) في (ج) فأراداه.

(١١) انظر لسان العرب مادة «صوب».

(١٢) الدر: أي الحلى: انظر معاني القرآن ورقة رقم ١٨٠.

(١٣) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٣ ومعالم التنزيل ٤/٦٠ والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٨.

(١٤) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة رقم ١٨٠.

(١٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩.

(١٦) في (د) صفدته وفي (هـ) وصدفته.

(١٧) من ب، ج.

(١٨) انظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/٣٢٣.

(١٩) ساقط من (هـ).

(١٣) في (أ، ب، ج، هـ) البحر.

(١٤) ساقطة من (ب، ج).

(١٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(١٦) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٨.

(٢٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩.

(٢٣) في (د) عبد.

(٢٤) من (هـ).

(٢٥) في (هـ) قال الله تعالى.

(٢٦) في (ب) أجرى.

تبعه^(١) قال الزجاج: قوله ﴿بغير حساب﴾ أي بغير جزاء^(٢) يعني أعطيناك^(٣) تفضلاً لا مجازاة. ثم أخبره بمنزلته في الآخرة فقال ﴿وإن له﴾^(٤) عندنا لزلفى^(٥) وحسن مثاب^(٦).

وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

قوله^(٧) ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى﴾ ربه أي مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴿النصب والنصب كالحزن والحزن والعدم والعدم وهو الضر والمكروه والشدة يعني ما ابتلاه الله به [حين]^(٨) سلط عليه الشيطان^(٩) قاله ابن عباس.

قال قتادة^(١٠): بضر في الجسد وعذاب في المال. وقال السدي: النصب ما أنصب الجسد والعذاب أهلك المال ثم^(١١) فرج الله عنه وهو قوله ﴿اركض برجلك﴾ [أي قلنا له اركض برجلك]^(١٢) قال ابن عباس: اضرب الأرض برجلك فركض فنبعت بركضته عين ماء وهو قوله: ﴿هذا مغتسل﴾ وهو ما اغتسل به^(١٣) من الماء ﴿بارد وشراب﴾^(١٤) شرب^(١٥) منه. قال مقاتل: انفجرت له عين فاغتسل منها^(١٦) فخرج منها صحيحاً ثم مشى أربعين خطوة فدفع الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماءً عذباً بارداً^(١٧) فذلك^(١٨) قوله ﴿هذامغتسل بارداً﴾^(١٩) يعني الذي اغتسل فيه ﴿وشراب﴾

(١) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٥ ومعالم التنزيل ٤/٦٥.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٠.

(٣) الزلفة والزلفى المنزلة والحظوة. انظر المفردات مادة (زلف) ص ٢١٤.

(٤) من (ب، ح).

(٥) مأب: أي مصير قاله قتادة. انظر جامع البيان ٢٣/١٠٥.

(٦) من (ج).

(٧) يذكر كثير من المفسرين ههنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله وهو ما أشار له التنزيل الكريم لأنه المتيقن، وهو أنه عليه الصلاة والسلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله وأنه صبر على ذلك صبراً صار يضرب به المثل، كتاباته وسعة صدره وشجاعته وأنه جوزي بحسنة صبره أضعافها المضاعفة.

والرأي الحق في هذا الموضوع والله أعلم ما ذكره ابن حيان في تفسيره البحر المحيط حيث يقول: قال الزمخشري: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبة إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه وردده بالصبر الجميل، وذكر في سبب بلائه أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يفته، وقيل: كانت مواثبه في ناحية ملك كافر فداهته ولم يفده، وقيل: أعجب بكثرة ماله. انتهى.

ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وإن ذلك كان سبباً لما مسه الله به من النصب والعذاب ولا أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يفته، ولا أنه داهن كافر، ولا أنه أعجب بكثرة ماله، وكذلك ما روي أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله ولا يمكن أن يصح ولا قدرة له على البشر إلا بالقاء الوسوس الفاسدة لغير المعصوم.

والذي نقوله أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ما روي في الأخبار. (انظر البحر المحيط ٧/٤٠٠).

(١٠) انظر جامع التنزيل ٢٣/١٠٦، ١٠٧ وتفسير الثوري ٢٦٠ ومعالم التنزيل ٤/٦٥ والزهد للإمام أحمد ص ٤٢.

(١١) ساقطة من (هـ). (١٤) ساقطة من (ج، د، هـ). (١٧) انظر جامع البيان ٢٣/١٠٧ ومعالم التنزيل ٤/٦٥.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ). (١٥) في (أ، د، هـ)، يشرب. (١٨) في (هـ) فهذا.

(١٣) ساقطة من (هـ). (١٦) في (أ، ب، ج، د) فيها. (١٩) من (ب، د، هـ).

أراد الذي شرب منه . وقال الحسن ركض ركضة أخرى^(١) [فإذا عين تنبع حتى غمرته فرد الله إليه جسده فركض ركضة أخرى]^(٢) فإذا عين أخرى فشرب منها فطهرت جوفه وغسلت كل قدر كان فيه .^(٣) وما بعد هذا مفسر في سورة الأنبياء إلى قوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ ، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة . قال سعيد بن المسيب : اتهمها أنها قارفت شيئاً من الخيانة ، لأنها آتته يوماً بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز^(٤) . وقال قتادة^(٥) : عرض لها إبليس وأراد أن تحمل زوجها على شيء ، فقالت لأيوب : لو تقربت إلى الشيطان بشيء^(٦) فذبحت له عناقاً ، فحلف أيوب^(٧) لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة . فأمر أن يأخذ عيداناً رطبة من تمام مائة عود فيضرب^(٨) به كما أمره الله تعالى^(٩) وهو قوله ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ فكان^(١٠) ذلك تحلة ليمينه وتخفيفاً عن امرأته^(١١) ثم أثنى على أيوب فقال ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ أي على البلاء الذي ابتليناه به ﴿نعم العبد﴾ هو^(١٢) ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ما يحب الله^(١٣) من طاعته قوله^(١٤) :

(١) من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) انظر جامع البيان ١٠٧/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٥/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢١١/١٥ والدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن .

والأندر : البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام والأندر أيضاً صبرة من الطعام وهمزة الكلمة زائدة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦/١ .

(٤) رواه صاحب الدر المنثور ٣١٦/٥ وعزاه إلى الإمام أحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٥) انظر جامع البيان ١٠٨/٢٣ .

(٦) من (ج) .

(٧) من (ب، ج) .

(٨) من (ج) .

(٩) من (ب، ج) .

(١١) هاتان الروايتان وغيرهما من الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء في سبب حلف سيدنا أيوب على زوجته لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة كلها روايات متعارضة ومتناقضة اللهم إلا إذا تعددت اللقاءات وهو يحتاج إلى دليل من القرآن أو السنة المرفوعة .

والمهم أن يعلم بأن أيوب عليه السلام وقع منه يمين على زوجته إن شفاه الله جلدها مائة جلدة وأراد الله سبحانه وتعالى أن يحلله من يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد يرت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى واناب إليه . انظر أحكام

القرآن لابن العربي ١٦٥٢/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ والبحر المحيط ٤٠١/٧ بتصرف وهذا الحكم قيل : إنه خص به أيوب عليه السلام قال مجاهد وغيره : وهو مذهب مالك وغيره من أهل المدينة ، وقيل : هذا الحكم منسوخ بكفارة اليمين ، وجعله الشافعي

حكماً عاماً معمولاً به ، وهو قول عطاء ، وهذا مذهب يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينقل عنه بنص ، وهذا مذهب يتناقض ، لأن الشرائع قبلنا مختلفة في كثير من أحكامها ، ولا تقدر على تحريم شيء وتحليله في آن واحد ولا تقدر على العمل بها كلها

لاختلافها . وأما قوله تعالى ﴿فبهدهم اقتده﴾ (الأنعام ٩٠) فإنما ذلك في الإيمان بالله ورسوله ، وما لا يختلفون فيه وغير جائز أن يكون المراد بشرائعهم . . (اقتده) فإن ادعى مدع أن هذا الذي يرب به أيوب يمينه من شرائع الأنبياء فيلزمنا فعله ، سئل عن الدليل على ذلك ولا

يجد إليه سبيلاً أبداً (انظر الإيضاح ص ٣٤٣ ، ٣٤٤) . وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه لا نعرف الحد إلا حداً واحداً والصحيح والزمن فيه سواء قالوا : ولو جاز هذا لجاز مثله في الحامل أن تضرب بشماريخ النخل ونحوه ، فلما أجمعوا أنه لا يجزىء ذلك في الحامل كان

الزمن مثل ذلك . اهـ (انظر هامش أبي داود ٦١٦/٤) .

(١٢) في (ج) قوله .

(١٣) ساقطة من (د) .

(١٤) من (ب، ج) .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾

﴿واذكر عبدنا﴾ وقرأ ابن كثير^(١) ﴿عبدنا﴾^(٢) على الواحد^(٣) اختصاصاً بالإضافة إلى الله على وجه^(٤) المكرمة^(٥)، وهو قراءة ابن عباس^(٦)، يقول: إنما ذكر إبراهيم ثم ذكر^(٧) ولده بعده^(٨) قال مقاتل واذكر يا محمد صبر عبدنا^(٩) إبراهيم حين ألقى في النار. وصبر إسحاق للذبح^(١٠)، وصبر يعقوب

(١) ابن كثير هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القاريء أحد الأئمة صدوق من السادسة مات سنة عشرين ومائة هجرية (التقريب ٤٤٢/١).

(٢) قرأ ابن كثير (عبدنا) بغير ألف على التوحيد والمراد الجنس، أو الخليل وإبراهيم بدل أو عطف بيان، وافقه ابن محيصة. والباقون بالجمع على إرادة الثلاثة وإبراهيم وما عطف عليه بدل أو بيان. (انظر النشر ٣٦١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢ وتحرير التيسير ص ١٧١. ومعاني القرآن للفراء ٤٠٦/٢).

(٣) في (ج) واحد.

(٤) في (د) إلى وجه.

(٥) في (ب) التكرمة.

(٦) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣ ومعاني القرآن للفراء ٤٠٦/٢.

(٧) من (ج).

(٨) في (د) بعد ذلك.

(٩) في (أ، ب، ج، هـ) عبادنا.

(١٠) يشير القرآن الكريم والتوراة إلى ان الله أراد أن يمتحن سيدنا إبراهيم فأمر في منامه أن يذبح ولده فأخذ إبراهيم الغلام وألقاه على جبينه وهم يذبحه امتثالاً لأمر الله، فافتداه الله بذبح عظيم. وقد اختلف العلماء حول الذي تعرض للذبح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فبعضهم يرى انه إسماعيل وهو الرأي الصحيح المختار كما سنبين إن شاء الله.

والبعض الآخر يرى أنه إسحاق ومنهم الواحدي الذي ادعى أن هذا رأي الأكثرين واستدل أصحاب هذا الرأي ببعض الروايات الضعيفة التي دسها اليهود في الفكر الإسلامي وبتحريفهم للتوراة ذاتها، وذلك لعداوتهم المتأصلة للعرب ولكي لا يكون للجد الأعلى للنبي الأمي فضل أو مزية حتى لا ينجر هذا الفضل إلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وبالتالي إلى الجنس العربي.

وقد اعتمد اليهود في دعواهم هذه على عدة عوامل منها (أولاً) ما جاء في التوراة التي حرفوها «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى الأرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك» سفر التكوين ٢٢: ٢. ومنها (ثاني) «ما جاء في الإنجيل» بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد وحيد، الذي قيل له إنه إسحاق يدعي لك النسل، إذ حسب أن الله على الإقامة من الأموات أيضاً «الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١٧ - ١٩» ومنها (ثالثاً) إن إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة، وأنه قد أعطي اسماً قبل أن تحمل به أمه. حبيب سعيد ص ٩٣، تكوين ١٨: ٩ - ١٥، ومنها (خامساً) بعض الروايات الإسلامية عن كعب الأحبار من أن الذي أمر إبراهيم بذبحه إنما كان إسحاق. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٦٥/١ وتفسير القرآن العظيم ١٥٩/١، ١٦٠ والكامل لابن الأثير ١٠٩/١ وجامع البيان ٧٧/٢٣: ٨٨.

وإذا أردنا مناقشة حجج اليهود والنصارى هذه فإننا نلاحظ عليها عدة نقاط كما يقول الأستاذ الدكتور/ محمد بيومي مهران في كتابه دراسات تاريخية: أولاً: أنها تصف الذبيح بأنه ابن إبراهيم الوحيد وهو وصف لا يمكن بحال من الأحوال ان ينطبق على غير إسماعيل وحده في السنوات الأربع عشرة الأولى من عمره، والتي سبقت مولد إسحاق، وانطلاقاً من هذا، فإن إسحاق لم يكتب له في يوم من الأيام أن يكون وحيد إبراهيم، ذلك لأن إسماعيل قد عاش حتى وفاة إبراهيم ثم اشترك مع إسحاق في دفنه بمغارة الكفيلة كنص التوراة نفسها، سفر التكوين ١٦: ١٦، ٢٥: ٩ وهكذا لم يكن إسحاق أبداً وحيداً مع وجود إسماعيل، أما إسماعيل فقد كان وحيداً =

حين ذهب بصره ولم يذكر إسماعيل لأنه لم يتبل بشيء ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ [قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة

= قبل مولد إسحاق ومن هنا كانت لفظة إسحاق في نص التوراة «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق» تكوين ٢٢: ٢ مقحمة لأنه لم يكن وحيداً ولا بكرًا وإنما ذلك هو إسماعيل ولعل الذي حمل اليهود على ذلك هو حسد العرب. ابن كثير ١٥٩/١ راجع فتاوى ابن تيمية ٤/٣٢٦ - ٣٣٢ وحرصاً منهم على أن يكون أبوه إسحاق هو الذبيح الذي جاء بنفسه في طاعة ربه، وهو في حالة صغره، هذا فضلاً عن أن ذلك إنما يتعارض ونصوص أخرى في التوراة.

ومنها (ثانياً) ان ما جاء في الإنجيل - في الرسالة إلى العبرانيين - فقد كان الحل الذي ارتضاه فقهاء المسيحية للخروج من مشكلة: كيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق، وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه الشعب المختار، طبقاً لرواية التوراة: بإسحاق يدعى لك نسل تكوين ٢١: ١٢ إذ لو كان إسحاق قد كبر وصار له ابن يحافظ على النسل في الأجيال القادمة لزال العقبة ولكن كيف يتفق ان يموت إسحاق الذي لم يكن له ابن بعد، وأن يتحقق الوعد الذي أعطي لإبراهيم بأن يكون له من إسحاق نسل كرمل البحر ونجوم السماء. ومنها (ثالثاً) ان حجته من أن إسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة وانه قد أعطي اسمه قبل أن تحمل به أمه ولعل قصدهم بولادته الخارقة للعادة أنه ولد ووالده شيخ في المائة وأمه عجوز في التسعين من عمرها فإذا كان ذلك كذلك فهو صحيح ولكن صحيح كذلك أن سيدنا إسماعيل قد كانت ولادته شبيهة بولادة إسحاق أو قريبة منها لأنه قد ولد وإبراهيم في السادسة والثمانين من عمره بل من الروايات التي جاءت في التوراة وروايات إسلامية كذلك تفيد أنه تزوج وهو في السابعة والثلاثين بعد المائة وفي الخامسة والسبعين بعد المائة وأنجب من الأولى ستة بنين ومن الثانية خمسة بنين هذا بالإضافة إلى أن ولادة إسحاق ليست فريدة من نوعها فهناك ولادة يحيى عليه السلام الذي ولد وقد بلغ أبوه من الكبر عتياً فضلاً عن أن أمه كانت عاقراً كما تفيد الروايات المسيحية كما أن سيدنا عيسى ولد بدون أب بل إن سيدنا آدم وجد بدون أب ولا حتى أم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ ومنها (رابعاً) أن حجته بأن إسحاق قد أعطي اسماً قبل أن يولد مردود عليها بأن إسماعيل وبنص التوراة - قد أعطي اسماً قبل أن يولد فإذا كان ذلك كرامة لإسحاق ففيه كرامة لإسماعيل بل إن إسماعيل قد سبق إسحاق بالشارة باسمه بل إن التوراة نفسها إنما تتحدث عن البشارة بإسماعيل قبل أن تتحدث عن البشارة بإسحاق، بل إن سيدنا يحيى وسيدنا عيسى قد أعطا اسميهما قبل أن يولدا كما في قوله تعالى عن سيدنا يحيى ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ وعن سيدنا عيسى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

ومنها (خامساً) ان ما جاء في الروايات الإسلامية، نقلاً عن كعب الأحبار وغيره فذلك يرجع إلى ان المسلمين إنما يؤمنون بنبوته إسحاق ويعقوب ويوسف ومن هنا فقد استغل ذلك بعض اليهود الذين أسلموا ومنهم كعب الأحبار ووهب بن منبه - ونقلوا أمثال هذه الروايات التي لم يبت القرآن فيها، تحقيقاً لأغراض خاصة بهم، ثم إن هذه الروايات الإسلامية مضطربة فيمنها ينسبها أصحابها إلى ابن عباس، فإنهم يروون رواية أخرى - عن ابن عباس كذلك - يذهبون فيها إلى ان الذبيح إنما هو إسماعيل عليه السلام.

انظر الآية ٤٥ من سورة آل عمران، ٥٩ وجامع البيان ٢٣/٨١: ٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ١/٣٠٩: ٣١١ والكمال لابن الأثير ١/١٢٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١ وجامع الأحكام القرآن ١٥/٩٩، ١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ١/١٧٥ والتوراة سفر التكوين ٢/٧ بتصرف، ١٦: ١١، ١٦، ٢٣/١، ٢، ٤١، وإنجيل لوقا ١/١١: ٨٠ ودراسات تاريخية من القرآن الكريم ١/١٦١: ١٧٠ بتصرف.

أما الرأي الصحيح فهو أن الذبيح سيدنا إسماعيل لما سبق من ردود على القائلين بأن الذبيح إسحاق، واعتماداً على رواية ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ (الصفات آية ١٠٧) على أنه إسماعيل، وعلى أننا نجد في كتاب الله - عز وجل ما يشير إلى ذلك في قصة الخبر عن إبراهيم وما به من ذبح ابنه إسماعيل. وذلك أن الله سبحانه وتعالى، حين فرغ من قصة المذبوح فإنه يقول ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصفات آية ١١٢) فالآيتان البشري بعد ذكر القصة صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلى الله إبراهيم بذبحه وعودة الضمير إلى الغلام الذبيح. ثم ذكر إسحاق معه صريحاً، يقتضي التغاير بين إسحاق والذبيح. انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ١٠٢ وفتاوى لابن تيمية ٤/٣٣٢ - ٣٣٣.

ويضيف الإمام ابن تيمية إلى ذلك: أن قصة الذبيح المذكورة في سورة الصفات تدل على أنه إسماعيل، إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿وبشرناه بغلام حليم﴾ فقد انطوت هنا على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وعلى انه لم يبلغ الحلم، وعلى أنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من أن يعرض عليه أبوه الذبيح، فيقول «ستجدني إن شاء الله من الصابرين»؟ ثم إنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن =

= الكريم، إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة. كما في سورة هود آية ٧١ - ٧٢، ثم إنه ذكر في البشارة في الصافات، بأنه غلام حلیم، وحين ذكر البشارة بإسحاق، وصفه بأنه غلام حلیم «الحجر ٥٣ والذاريات ٢٨». والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين والحلم هنا مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح، وهذا فضلاً عن أن إسماعيل قد وصف بالصبر دون إسحاق قوله تعالى ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ (الأنبياء آية ٨٥) وبصدق الوعد ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ (مريم ٥٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به، نعم إن البشارة بإسحاق كانت معجزة لأن العجوز عقيم، وأنها كانت مشتركة بين إبراهيم وامرأته، بينما البشارة بالذبيح فقد كانت لإبراهيم، ثم امتحاناً له دون الأم المبشرة به. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٣١/٤: ٣٣٥. وانظر روح المعاني ١٣٤/٢٣ وجامع البيان ٨٥/٢٣، أضف إلى ذلك: أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصافات ١١٢) فكيف يأمره الله بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً. القرطبي ٥٥٤٥/٧ ط. الشعب، ثم إن البشارة بإسحاق إنما كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً، روح المعاني ١٣٤/٢٣ وتاريخ الخميس ١٠٨. ومن هنا استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل، وليس إسحاق، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود ٧١) وانظر جامع البيان ٣٨٩/١٥، ٣٩٧ ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٠. فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق، وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون، لأنه يناقض البشارة المتقدمة. وهناك ما روى من أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي، سأل رجلاً من علماء اليهود، كان قد أسلم وحسن إسلامه: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا امير المؤمنين وإن يهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، انظر جامع البيان ٨٤/٢٣، ٨٥ والجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥ والكامل لابن الأثير ١١٠/١ - ١١١، ومقدمة ابن خلدون ٣٨/٢ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٩٧/٢ والبداية والنهاية ١٥٩/١، ١٠٦ وقصص الأنبياء لابن كثير ٢١٥/١: ٢١٧ وروح المعاني ١٣٣/٢٣: ١٣٥.

وهناك ما جاء في (إنجيل برنابا) على لسان «المسيح» عليه السلام الحق أقول لكم، أنكم إذا أمعتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال يا إبراهيم: سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، فأجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً «خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه بذبيحة» فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين. محمد حسني عبد الحميد: أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ص ٨٦ وعلي عبد الواحد وما في: الأسفار المقدسة ص ٨٧، ٨٨ مع ملاحظة مخالفة هذا النص التوراة (تكويين ١٦: ١٦، ١٧: ٣).

ثم أليس في شعائر الحج عند المسلمين كثير من الأدلة على أن الحادث إنما كان في مكة وليس في فلسطين؟ وأنه مع إسماعيل - وليس مع أسحاق؟. وان المسلمين، بعكس اليهود، كانوا - ولا يزالون وسوف يظلون أبد الدهر - يحيون ذكرى الفداء الفذ هذا في كل عام، عند حجهم إلى بيت الله الحرام، في الأضحية يوم النحر، وفي السعي بين الصفا والمروة، وفي رمي الجمار، وكل تلك أمور لا توجد عند اليهود؟ فإذا ما تذكرنا أن إسماعيل وأمه - وليس إسحاق وأمه - هما اللذان كانا بمكة، وأن إسماعيل وليس إسحاق، وهو الذي شارك أباه الخليل في بناء البيت الحرام، وان النحر في منى - وليس في فلسطين - في يوم عيد الأضحى المبارك، إنما هو من تمام سنن الحج إلى هذا البيت المعمور، ومن هنا يبدو لنا بوضوح أن الذين زعموا من يهود - ومن تابعهم في زعمهم هذا من نصارى ومسلمين - أن الفداء إنما كان في الشام، قد أخطأوا كثيراً، إذ لو كان الأمر كما يزعمون، لكانت كل الشعائر التي تتصل بعملية الفداء هذه في الشام، وليست بمكة: انظر دراسات تاريخية - محمد بيومي مهران ج ١ ص ١٧٣، ١٧٤ أضف إلى ذلك كله: ان الآية الكريمة ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ تفيد أنه دعاء وقع من إبراهيم قبل أن يرزق بواحد من أبنائه، إذ لو كان له ولد ما طلب الولد الواحد، ومن ثم فإن قوله تعالى من الصالحين لا تفيد إلا طلب الواحد، وبهذا يكون الدعاء في وقت لم يكن للخليل فيه شيء من الذرية، ومن المعروف أن هناك إجماعاً بين علماء المسلمين - فضلاً عن كتب اليهود والنصارى - أن إسماعيل إنما هو ولد إبراهيم البكر، ومن ثم فإن الدعاء إنما يراد به إسماعيل.

وحيث إن رؤيا بشرى ثم رؤيا الذبح إنما جاءت بعد ذلك، فالذبيح إذن هو إسماعيل. انظر مفاتيح الغيب ١٥٤/٢٦.

الله^(١) والأبصار^(٢) في المعرفة بالله^(٣). فالأيدي^(٤) في هذه الآية جمع اليد التي هي^(٥) بمعنى القدرة والقوة. قال قتادة: أعطوا قوة في العبادة وصبراً في الدين^(٦). وهو قول مجاهد^(٧) وسعيد بن جبير والمفسرين^(٨).

قوله^(٩): ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ قال مجاهد: اصطفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها.

وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله^(١٠). وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة^(١١). فمن قرأ بالتنوين في بخالصة^(١٢) كان المعنى: جعلناهم لناخالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار. والخالصة مصدر بمعنى الخلو، والذكرى بمعنى التذكير، أي خلص لهم تذكير الدار وهو أنهم يذكرون بالتأهب لها^(١٣) ويزهدون في الدنيا وذلك شأن الأنبياء صلوات الله عليهم وأما^(١٤) من أضاف فالمعنى أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل، قال ابن عباس: أخلصوا بذكر الدار الآخرة، وأن يعملوا لها^(١٥). والذكرى على هذا بمعنى^(١٦) الذكر. ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾. قال ابن عباس: يريد اصطفيتهم واحترتهم ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي اذكرهم بصبرهم وفضلهم لتسلك طريقهم، ﴿وكل من الأخيار﴾ اختارهم الله للنبوة. ﴿هذا ذكر﴾^(١٧) شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله. ثم بين حسن ذلك المرجع فقال:

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتٌ

(١) انظر صحيح البخاري ١٥٥/٦، وجامع البيان ١٠٩/٢٣، وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ ومعالم التنزيل ٦٦/٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٣) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣.

(٤) في (جـ) والأيدي.

(٥) من (أ، د).

(٦) انظر جامع البيان ١٠٩/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤.

(٧) انظر المراجع السابقة.

(٨) في (هـ) والمفسرون.

(٩) من (ب، جـ).

(١٠) انظر مصنف عبد الرزاق ٩٧٠/٣ وجامع البيان ١١٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٢٨/١٥ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤ والدر المنثور ٣١٨/٥.

(١١) انظر جامع البيان ١١٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤٠/٤.

(١٢) اختلف في [خالصة ذكرى] فنافع والحلواني عن هشام وأبي جعفر بغير تنوين مضافاً للبيان لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى كما في «بشهاب قبس» - النمل ٢٧، ويجوز أن تكون مصدراً كالعاقبة بمعنى الإخلاص وأضيف لفاعله، أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار الآخرة، أو لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن أخلصوا ذكرى الدار وتناسوا ذكرى الدنيا. والباقون بالتنوين وعدم الإضافة وذكرى بدل فهو جر أي خصصناهم بذكر معادهم أو بأن يشئ عليهم في الدنيا وعلى جعل خالصة مصدراً يكون ذكرى منصوباً به أو خبر المحذوف أو منصوباً بأعني وبذلك قرأ الواجوني عن هشام. وأما «ذكرى الدار» وصل السوسي بخلفه وأما «الدار» و«الأخيار» أبو عمرو وابن ذكوان بخلفه والدوري عن الكسائي وقللها الأزرق. انظر النشر ٣٦١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٢ وتحبير التيسير ص ١٧١، والبحر المحيط ٤٠٢/٧.

(١٣) في (أ) لنا.

(١٤) في (د) فأما.

(١٦) في (أ، جـ، د، هـ) المعنى.

(١٧) في (هـ) وهذا.

(١٥) انظر جامع البيان ١١٠/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٣٧/٤.

الطَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾

﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ قال الفراء: المعنى مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة^(١).

وقال الزجاج: المعنى مفتحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف لا للبدل^(٢). ﴿متكئين فيها﴾ في الجنات. ﴿يدعون فيها﴾ تقدير الآية: يدعون في الجنات متكئين فيها. ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ باللوان الفاكهة وألوان الشراب. والمعنى: وشراب كثير، فحذف للدلالة عليه. ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾^(٣) تقدم تفسيره.

﴿أتراب﴾^(٤) أقران أسنانهن واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا﴾ يعني ما ذكر^(٥) فيما تقدم ما يوعد به المتقون على لسان النبي ﷺ، ومن قرأ^(٦) بالتاء فالمعنى: قل للمتقين: ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ ليوم الجزاء ثم أعلم [أن ذلك غير منقطع]^(٧) فقال: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي انقطاع وفناء. قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاد وما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها^(٨) عاد مكانه حياً^(٩).

هَذَا وَإِذَا لِلطَّاغِينَ لَشْرٌّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُهَا إِلَيْهِمْ هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٦﴾ وَآخِرُ مِنْ سُكَّالِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا فَيَنْسِفُ الْفَرَارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

«هذا» [أي الأمر]^(١٠) هذا الذي ذكرناه. ثم ذكر ما للكفار فقال ﴿وإن للطاغين [لشراً مآباً]﴾^(١١) للذين طغوا على الله وكذبوا الرسل ﴿لشراً مآباً﴾ شر^(١٢) مرجع ومصير. ثم أخبر بذلك فقال: ﴿جهنم يصلونها فبئس المهاد﴾ قال ابن عباس: بئس المسكن وبئس المههد^(١٣) ﴿هذا فليذوقوه حميم وغميم﴾ قال الفراء والزجاج: تقدير الآية: هذا حميم غساق فليذوقوه^(١٤)، أي يقال لهم في ذلك اليوم: هذا حميم وغميم فليذوقوه، [وعادت الكناية إلى أحدهما اكتفاء به عن

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٨/٢.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١.

(٣) الآية (٤٨).

(٤) أتراب: أي لدات تشآن معاً، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على الأرض، وقيل: لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً. انظر المفردات في غريب القرآن مادة (ترب).

(٥) في (ب، ج) وذكرنا.

(٦) اختلف في (هذا ما توعدون) هنا و(ق): فابن كثير بالياء من تحت فيهما على الغيب، وافقه ابن محيصن وقرأ أبو عمرو بالغيب هنا فقط، وافقه اليزيدي والباقون بالخطاب فيهما وبه قرأ أبو عمرو وفي (ق) وافقه اليزيدي. انظر النشر في القراءات العشر ص ٣٦ وتعبير

التيسير ١٧١ وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٧) في (ج، هـ) أن غير ذلك غير منقطع.

(٨) ساقطة من (ج، هـ).

(٩) انظر جامع البيان ١١٢/٢٣.

(١٠) في (ج) أي هذا الأمر.

(١١) من (ج، هـ).

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) انظر جامع البيان ١١٣/٢٣.

(١٤) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨١ والفراء ٤١٠/٢.

الثاني كقوله ﴿يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾^(١) ومثله كثيراً^(٢)، والحميم الحار الذي قد انتهى حره، والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد من قولهم غسقت عينه^(٣) إذا انصبت، الغسق الانصباب، والوجه التخفيف في غساق، لأنه اسم موضوع قال: ومن شدد ذهب به إلى غسق يغسق فهو غساق^(٤) ﴿وآخر﴾ وعذاب آخر ﴿من شكله﴾ من مثل ذلك الأول، والشكل المثل ويريد ضرباً من العذاب على شكل الحميم والغساق في الكراهة. قال المفسرون: هو^(٥) الزمهرير^(٦)، ومن قرأ وأخر فالمعنى وأنواع آخر من شكله^(٧). وقوله ﴿أزواج﴾ أي ألوان وأنواع وأشباه. ﴿هذا فوج﴾ قال صاحب النظم: هذا من^(٨) قول الملائكة، يقولونه لأهل النار إذا جاءهم بفوج سواهم من أهل النار. والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج. والمقتحم الداخل في الشيء رمياً بنفسه فيه^(٩).

قال الكلبي: «إنهم يضربون بالمقامع حتى يثبوا في النار خوفاً من تلك المقامع^(١٠)»^(١١)، ويوقعوا^(١٢) أنفسهم فيها، فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار قالوا: ﴿لا مرحباً بهم﴾ المرحب والرحب معناه^(١٣) السعة، أي لا اتسعت بهم مساكنهم، والمعنى لا كرامة لهم. هذا إخبار أن مودتهم تنقطع وتصير عداوة. ﴿إنهم صالوا النار﴾ داخلوها كما دخلنا ومقاسون حرها. فأجابهم الفوج فقالوا ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ هؤلاء الأتباع يقولون ذلك للقادة وقد سبقوهم إلى النار يقولون لهم^(١٤) ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أنتم بدأتكم بالكفر قبلنا ﴿فبئس القرار﴾ بئس المستقر والمسكن جهنم. ثم قالت الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ من شرع وسن لنا هذا الكفر ﴿فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي^(١٥) مضاعفاً أي زدهم على^(١٥) عذابهم عذاباً آخر ﴿في النار﴾.

(١) سورة التوبة / جزء من الآية رقم ٣٤.

(٢) في (ج) عليه.

(٣) ما بين المعقوفين (من ب، د).

(٤) واختلف في (غساق)، فحفص وحمزة والكسائي وخلف بتشديد السين صفة كالضراب مبالغة لأن فعالاً في الصفات أغلب منه في الأسماء كالعذاب أغلب منه في الصفات وهو الزمهرير أو صديد أهل النار أو القيح يسيل فيسقونه وعن الحسن عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى إذ الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى﴾ الخ وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٧٣.

(٥) في (ب، هـ) وهو.

(٦) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٢٧/٣ وجامع البيان ١١٤/٢٣ وتفسير الثوري ٢٦٠ - ٢٦١ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٥ والبحر

المحيط ٤٠٦/٧ وفي الدر المنثور وعزاه إلى عبد الرزاق والفريايبي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٣١٨/٥.

وقال الشوكاني في فتح القدير: لا يتم هذا إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج ٤٤١/٤

والزمهرير شدة البرد. والزمهرير هو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في الآخرة. انظر اللسان مادة (زمهر).

(٧) اختلف في (آخر) فأبو عمرو ويعقوب بضم الهمزة مقصورة جمع أخرى كالكبرى والكبر لا يتصرف للعدل عن قياسه والوصف وهو

مبتدأ، ومن شكله في موضع الصفة، وأزواج بمعنى أجناس خيراً وصفة، والخبر محذوف أي لهم، أو أزواج مبتدأ ومن شكله خبره

والجملة خبر آخر. وافقهما الزبيدي، والباقون بالفتح على الأفراد لا يتصرف أيضاً للوزن الغالب والصفة. (انظر إتحاف فضلاء البشر

٣٧٣. والنشر في القراءات العشر ٣٦١/٢ - وتحبير التفسير ١٧١).

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٠) والمقامع: جمع مقمع وهو ما يضرب به ويدلل لذلك يقال: قمعته فانقمع أي كفته فكف انظر المفردات مادة قمع ص ٤١٣.

(١١) انظر معالم التنزيل ٦٧/٤.

(١٢) من (د).

(١٣) ساقطة من (ب).

(١٤) من (د).

(١٥) ساقطة من (أ).

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٦﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٧﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٩﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْعَفْوُ ﴿٧٠﴾

قال الكلبي: ثم ينظرون في النار^(١) فلا يرون من كان يخالفهم معهم، وهم المؤمنون. فعند ذلك قالوا: ﴿وما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾ في الدنيا ﴿من الأشرار﴾ «يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً^(٢) وسلمان^(٣)»^(٤) ثم ذكروا^(٥) أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء وهو قوله: ﴿أخذناهم سحرياً﴾ ومن قرأ بفتح الألف على الاستفهام فهو بعيد^(٦)، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سحرياً، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن ذلك وقد علموه؟ ووجهه: أنه على اللفظ لا على المعنى، وذلك لتعادل^(٧) أم في قوله: ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ قال مقاتل: أم زاغت أبصارنا عنهم، فهم معنا في النار ولا نراهم^(٨). وقال^(٩) قتادة: زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم حين دخلوا النار^(١٠) قال الله تعالى^(١١): ﴿إن ذلك لحق﴾^(١٢) يعني ما ذكرنا^(١٣) قبل هذا لحق. ثم بين ما هو فقال: ﴿تخاصم أهل النار﴾ يعني تخاصم القادة والأتباع على ما أخبر به عنهم. «قل لهم»^(١٤) يا محمد لأهل مكة: ﴿إنما أنا منذر﴾ أنذركم وأحذركم عقوبة الله. ﴿وما من إله﴾ وقل لهم أيضاً: ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ خلقه. ﴿رب السموات والأرض﴾^(١٥) الآية.

(١) في (د) ولا.

(٢) من السابقين الأولين، شهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقيل سنة عشرين من الهجرة، وله بضع وستون سنة: انظر التقريب ١١٠/١.

(٣) في (أ، هـ) سالمًا. وسلمان هو: سليمان الفارسي أبو عبد الله، ويقال له: سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل: من «وامهرمز» من أول مشاهدته الخندق مات سنة أربع وثلاثين هجرية يقال: بلغ ثلاثمائة سنة (انظر تقريب التهذيب ٣١٩/١) أو لعله سالم بن عبيد الأشجعي صحابي من أهل الصفة (انظر التقريب ٢٨٠/١).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٢/٤.

(٥) في (د) كروا وفي (هـ) ذكر.

(٦) اختلف في (أخذناهم) فأبو عمرو وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف بوصل الهمزة بما قبلها، ويتبدأ لهم بكسر همزة على الخبر، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالاً، وأم منقطعة أي بل أزاعت كقولك: إنها لا بل أم شاء أي بل شاء، وافقهم الأعمش واليزيدي. والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وصلًا وابتداءً على الاستفهام وأم متصلة لتقدم الهمزة. وقرأ (سحرياً) بضم السين نافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر وخلف، والباقون بكسرها.
(انظر الإنحاف ٣٧٣، والتحجير ١٧١، والبحر المحيط ٤٠٧/٧).

(٧) في (ب، ج، هـ) ليعادل.

(٨) انظر جامع البيان ١١٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٦٨/٤.

(٩) في (هـ) قال.

(١٠) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧١/٣ وجامع البيان ١١٦/٢٣، ١١٧ والدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر ٣١٩/٥ ومعالم التنزيل ٦٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٢/٤ وفتح الباري ٥٤٦/٨.

(١١) ساقطة من (هـ).

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) في (أ، د، هـ) ذكر.

(١٤) من (ج، هـ).

(١٥) في (أ) ورب.

أخبرنا أبو منصور البغدادي ^(١)، أنا محمد بن عبد الله بن زياد أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، أنا يوسف بن عدي ^(٢)، أنا غثام ^(٣) بن علي، [عن] ^(٤) هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة [رضي الله عنها] ^(٥): كان رسول الله ﷺ إذا تضور ^(٦) من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار» ^(٧).

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَأَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

وقوله ^(٨) ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ ^(٩) يعني القرآن ^(١٠) في قوله الجميع ^(١١). قال مقاتل: القرآن حديث عظيم، لأنه كلام الله [عز وجل] ^(١٢). وقال الزجاج: قل: النبا الذي أنبأكم به عن الله نبأ عظيم. يعني ما أنبأهم به من قصص الأولين، وذلك دليل على صدقه ونبوته، لأنه لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله تعالى ^(١٣) ﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه فتعلموا صدقي في نبوتي. يدل على صحة ^(١٤) هذا المعنى قوله: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ يعني الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ يعني ما ذكر [في قوله] ^(١٥) ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ إلى آخر القصة ﴿إن يوحى إلي﴾ ^(١٦)، ما يوحى إلي ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾ ^(١٧) قال الفراء: المعنى ما يوحى إلي [إلا لأنني] ^(١٨) نبي ونذير ^(١٩) ﴿مبين﴾ أبين لكم ما تأتون به ^(٢٠) من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية. ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ متصل بقوله ﴿إذ يختصمون﴾ ^(٢١) فاعترض ^(٢٢) بينهما كلام، وما بعد هذا مفسر فيما مضى ^(٢٣) من سورة الحجر ^(٢٤).

(١) أبو منصور البغدادي هو الصدر الأنبل الرئيس القدوة أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف البغدادي سبط الإمام أبي الحسين أحمد بن عبد الله السوسنجردي وكان يلقب بالشيخ الأجل مات سنة ستين وأربع مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٣).

(٢) يوسف بن عدي بن رزيق التيمي مولاهم الكوفي نزيل مصر ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين هجرية وقيل غير ذلك. انظر تقريب التقريب ٣٨١/٢.

(٣) في (ب) عثمان، في (ج، د، هـ) عثام.

(٤) في (هـ) ابن. (٥) من (ج).

(٦) تضور: التضور: التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع، وتضور الذئب والكلب والأسد والثعلب: صاح عند الجوع انظر اللسان مادة (ضور).

(٧) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي خ. م انظر المستدرک کتاب الدعاء ١/٥٤٠.

(٨) ساقطة من (هـ).

(٩) في (ج) نبأ.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/١١٧ ومعالم التنزيل ٤/٦٨ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٢.

(١١) في (ج): في قول جميع المفسرين.

(١٢) من (ج).

(١٣) في (د) وهذا، وذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن ورقة ١٨٢.

(١٤) ساقطة من (د).

(١٥) ساقطة من (د).

(١٦) ساقطة من (ج، هـ).

(١٧) من (ج، هـ).

(٢٤) من (ج).

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا أَيْلَيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾

﴿لما خلقت بيدي﴾ أي لما^(١) توليت خلقه كما قال: «مما عملت أيدينا»^(٢) وقد مر ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾ استفهام توبيخ وانكار، يقول استكبرت بنفسك حين أبيت السجود لآدم؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون [فتكبرت عن السجود بكونك من قوم يتكبرون]^(٣)؟ وما بعد هذا مفسر فيما تقدم. قوله^(٤):

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعٰنَ رَجِيمًا ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿قال فالحق والحق أقول﴾ انتصب الحق الأول على تقدير فبالحق حذف الخافض^(٥) ونصب كما تقول: والله لأفعلن، والحق الثاني: يجوز أن يكون الأول وكرره للتأكيد، ويجوز أن يكون الحق^(٦) منصوباً بأقول كأنه قال^(٧): وأقول الحق، وقرأ الكوفيون^(٨) والحق^(٩) رفعاً وهو مبتدأ وخبره محذوف على تقدير الحق مني كما قال ﴿الحق من ربك﴾^(١٠) وهذا قول مجاهد، قال^(١١): يقول الله: الحق مني وأنا^(١٢) أقول^(١٣) الحق، أقسم الله تعالى أن يملأ جهنم من إبليس وأتباعه وهو قوله:

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) سورة يس) آية ٧١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ب) الحافظ.

(٦) من (جـ).

(٧) من (أ).

(٨) اختلف في (قال فالحق) فعاصم وحمزة وخلف على الابتداء ولأملأن خبره أو مني أو قسم أو يمين، أو على الخبرية أي أن الحق أو قولي الحق (وعن) المطوعي رفعهما فالأول على ما مر والثاني بالابتداء وخبره الجملة بعده على غير التقدير الأول، وقولي أو نحوه عليه وحذف العائد على الأول كقراءة ابن عامر: وكل وعد الله الحسنى والباقون بنصهما فالأول أما مفعول مطلق أي أحق الحق أو مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب ولأملأن جواب القسم ويكون قوله: والحق أقول معترضاً أو على الإغراء أي الزموا الحق والثاني منصوب بأقول بعده (وسهل الهمزة الثانية من «لأملأن» الأصبهاني ووقف عليه حمزة بتخفيف الأولى وتسهيلها مع تسهيل الثانية). انظر النشر ٣٦٣/٢ والإتحاف ص ٣٧٤.

(٩) في (ب، ج، د، هـ) فالحق.

(١٠) سورة البقرة/ آية ١٤٧، وآل عمران/ آية ٦٠.

(١١) في (هـ) كما.

(١٢) في (هـ) وأن.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ٥٥٣/٢ وجامع البيان ١٢٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٠/٤، وتفسير القرآن العظيم ٤٤/٤.

﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿قل﴾ لكفار مكة: ﴿ما أسئلكم عليه﴾ على تبليغ الوحي والقرآن ﴿من أجر﴾ مال تعطونه^(١) ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي^(٢) ما أتيتكم^(٣) رسولاً من قبل نفسي، ولم أتكلف^(٤) هذا الإتيان بل أمرت به. أخبرنا أبو عثمان الحيري الزاهد^(٥) أنا عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمدي^(٦)، أنا [المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي، نا^(٧) علي بن زياد]^(٨) اللخمي، نا أبو قرّة قال: ذكر سفيان عن منصور والأعمش أنها حدثاه عن أبي الضحى^(٩) عن مسروق أنه قال: قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنيبهِ ﷺ ﴿قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ رواه البخاري^(١٠) عن قتيبة عن جرير عن الأعمش. ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين. ﴿ولتعلمن﴾ أنتم^(١١) يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت^(١٢)، وقال عكرمة: يعني يوم القيامة^(١٣)، وقال الكلبي: من بقي علم ذلك لما ظهر^(١٤) أمره وعلا، ومن مات علمه بعد الموت^(١٥)، وقال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين^(١٦).

(١) في (د) تعطونه.

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ، ب، ج) ايتكم

(٤) في (هـ) أكلف.

(٥) أبو عثمان الحيري الزاهد هو الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي ولد سنة ثلاثين ومئتين هجرية وتوفي سنة ثمان وتسعين هجرية. انظر سير أعلام النبلاء ٦٢/١٤: ٦٦.

(٦) في (ج) السدي.

(٧) في (د) أنا.

(٨) في (د) المفضل بن محمد بن علي بن زياد إبراهيم الجندي.

(٩) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني أبو الضحى الكوفي القطار ثقة فاضل أخرج له الستة وثقة ابن معين وأبو زرة وابن سعد والنسائي مات سنة ١٠٠ هـ (انظر التهذيب ١٠/١٣٢، التقریب ٢/٢٤٥)

(١٠) رواه البخاري في تفسير سورة (ص) كتاب التفسير، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٨/١٣١ حديث ٥٠ وكتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٣٩ ط الحلبي

(١١) في (هـ) يا أنتم.

(١٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٣/٩٧٢ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ والدر المنثور ٥/٣٢٢.

(١٣) قال ابن كثير ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤.

(١٤) في (هـ) أظهر.

(١٥) انظر جامع البيان ٢٣/١٢١ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٤ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

(١٦) انظر تفسير القرآن ٤/٤٤ وجامع البيان ٢٣/١٢١ ومعالم التنزيل ٤/٧٠.

تفسير (١)

سورة الزمر

مكية وهي (٢) [سبعون وخمس (٣) آيات مكية] (٤)

«أخبرنا أبو سعيد (٥) محمد بن علي الحيري، أنا أبو عمرو (٦) بن مطر، نا [إبراهيم بن شريك] (٧)، نا أحمد بن يونس، نا سلام بن سليم، [نا هرون بن كثير عن زيد بن أسلم - عن أبيه عن أبي أمامة] (٨) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا [الله عز وجل]» (٩)» (١٠).

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿تنزيل الكتاب﴾ مبتدأ، وخبره ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أي ان تنزيل الكتاب من الله (العزيز الحكيم) (١١) لا من غيره. كما تقول في الكلام: استقامة الناس من الأنبياء، أي انها (١٢) لا تكون إلا من الأنبياء. ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ قال مقاتل: يقول (١٣): لم تنزله باطلاً لغير شيء (١٤) ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ موحداً له لا تشرك به شيئاً (١٥). والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله (١٦) إلى خالقه، لا يجعل ذلك لعرض الدنيا. ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني أن الدين الخالص من الشرك هو الله تعالى (١٧) وما سواه من الأديان، فليس بدين الله الذي أمر به.

(١) ساقطة من (أ).

(٢) من (ج).

(٣) في (ج) وآيتان والصواب المثبت في الأصل لموافقته ما ورد في المصحف الشريف.

(٤) ما بين المعقوفين من (أ، ج).

(٥) في (أ، ج، هـ) سعد.

(٦) في (أ) أبو عمر.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) في (هـ) باسناده.

(٩) من (د).

(١٠) لم يعثر له على أصل وليراجع أول سورة (ص).

(١١) من (ج).

(١٢) في (أ) إنما.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) انظر معالم التنزيل ٧١/٤.

(١٥) ساقطة من (د).

(١٦) ساقطة من (ب).

(١٧) من (د).

وقال ^(١) قتادة: الدين ^(٢) الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ^(٣) ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ ^(٤) يعني الآلهة والأصنام، يقولون: ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (إلا ليشفعوا) ^(٥) لنا إلى الله وذلك التقريب هو الشفاعة في قول المفسرين ^(٦)، والزلفى القريب ^(٧) وهو ^(٨) اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال: ﴿إلا ليقربونا إلى الله﴾ تقريباً. ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ [بين أهل ^(٩) الأديان وهم الذين اتخذوا من دونه أولياء يحكم الله بينهم] ^(١٠) يوم القيامة ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ^(١١) كل يقول: الحق ديني، فهم مختلفون، وحكم الله بينهم أن ^(١٢) يعذب كلًّا على قدر استحقاقه. ثم أخبر أن هؤلاء ^(١٣) لا يهديهم الله فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ لا يرشد لدينه ^(١٤) من كذب (في زعمه) ^(١٥) أن الآلهة تشفع وكفر في اتخاذ الآلهة دونه، وهذا فيمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية. ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ ^(١٦) على ما يزعم من ينسب الله تعالى ^(١٧) إلى اتخاذ الولد، ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ ^(١٨) يعني الملائكة كما قال (الله تعالى) ^(١٩) ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا﴾ ^(٢٠) ثم أعلم أنه منزّه عن اتخاذ الولد فقال: ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿هو الله الواحد﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ^(٢١). ﴿القهار﴾ خلقه فهر ما خلق بالموت ^(٢٢) وهو ^(٢٣) حي لا يموت.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزَوْجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي لم يخلقهما باطلاً لغير شيء. ﴿يكور الليل على النهار﴾ يدخل هذا على هذا، والتكوير: طرح الشيء بعضه على بعض. يقال: كور المتاع إذا ألقى

(١) في (ب) قال.

(٢) في (هـ) والدين.

(٣) انظر جامع البيان ١٢٢/٢٣ وتفسير عبد الرزاق ٩٧٣/٣ ومعالم التنزيل ٧١/٤، والكشاف للزمخشري ٨٥/٤ والدر المنثور ٣٢٢/٥ وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، وفتح القدير ٤٤٩/٤.

(٤) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ج) إلا لنا ليشفعوا.

(٦) انظر جامع البيان ١٢٣/٢٣ ومعالم التنزيل ٧١/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٥/٤.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) في (ب، ج، د) وهي. وفي (هـ) وهم.

(٩) ساقطة من (هـ).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(١١) في (هـ) الدنيا.

(١٢) ساقطة من (هـ).

(١٣) في (د) هو.

(١٤) ساقطة من (هـ).

(١٥) في (د) لزعمه وفي (هـ) وفي زعمه.

(١٦) في (د) لو.

(١٧) ساقطة من (ب، هـ).

(١٨) ساقطة من (هـ).

(١٩) من (ج).

(٢٠) سورة الأنبياء / آية رقم ١٧.

(٢١) في (هـ) ولداً.

(٢٢) في (هـ) الموت.

(٢٣) في (هـ) وهي.

بعضه على بعض. قال قتادة^(١): يغشي هذا على^(٢) هذا^(٣) كما قال: ﴿يغشي الليل النهار﴾^(٤) و﴿يولج الليل [في النهار]﴾^(٥) ﴿٦﴾^(٧) و﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلكهما للمسير في بروجهما على ما قدر وأراد ﴿كل﴾ منهما ﴿يجري﴾^(٨) لأجل مسمى أي^(٩) إلى الأجل الذي وقت الله الدنيا إليه وهو انقضاؤها وفناؤها. ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب في ملكه ﴿الغفار﴾ لأوليائه وأهل طاعته. ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم [قال الفراء والزجاج]^(١١): المعنى «خلقكم من نفس خلقها واحدة»^(١٢) ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ لأن خلقها كان بعد خلق الزوج يعني حواء^(١٣) خلقت من قصيري آدم. ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ معنى الإنزال ها هنا: الإنشاء والإحداث كقوله: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾^(١٤) ﴿١٥﴾ ولم ينزل اللباس ولكنه أنزل الماء الذي هو سبب والقطن والصوف واللباس منهما، كذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء، وقوله^(١٦) ﴿ثمانية أزواج﴾ مفسر في سورة الأنعام^(١٧)، ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ نطفاً ثم علقاً^(١٨) إلى أن يخرج من بطن أمه ﴿في ظلمات ثلاث﴾ ظلمة المشيمة^(١٩)، وظلمة البطن، وظلمة الرحم، ﴿ذلكم الله﴾ الذي خلق هذه الأشياء ربكم^(٢٠) ﴿لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ عن^(٢١) طريق الحق بعد هذا^(٢٢) البيان؟! مثل قوله ﴿فأنى توفكون﴾^(٢٣).

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا

(١) من (هـ).

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧٣/٣ وجامع البيان ١٢٣/٢٣ وتفسير القرآن العظيم ٤٧/٤ ومعالم التنزيل ٧٢/٤ والكشاف ١٠٦/٤ والبحر المحيط ٤١٦/٧ وتفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٥ وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٣) ساقطة من (جـ).

(١٠) في (هـ) في.

(١١) في (د) قال الزجاج والفراء.

(٤) سورة الأعراف / آية ٥٤.

(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٥/٢ والزجاج ورقة ١٨٢.

(٥) في (جـ) على.

(١٣) في (ب) والحواء.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط عن (ب).

(١٤) من (جـ).

(٧) سورة لقمان / آية ٩ وفاطر آية/١٣، والحديد / آية رقم ٦.

(١٥) سورة الأعراف / آية ٢٦.

(٨) في (ب) كل يجري منهما.

(١٦) في (د) وهو قوله.

(٩) من (د).

(١٧) قال الواحدي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام: «ثمانية أزواج» وهي الضأن والمعز والإبل والبقر، وجعلها ثمانية وهي أربعة لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج والأنثى زوج، قال الله تعالى: «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى». (تفسير الوسيط ج ٢ ص ١٠٥١) تحقيق دكتور / أحمد صيرة.

(١٨) في (هـ) علقه.

(١٩) المشيمة: غشاء ولد الإنسان قال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف (انظر المصباح مادة شيم).

(٢٠) ساقطة من (أ).

(٢١) في (هـ) من.

(٢٢) في (هـ) هذه.

(٢٣) سورة الأنعام / آية ٩٥ وسورة يونس / آية ٣٤، وسورة فاطر / آية ٣.

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلٌّ تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ

قوله ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ يا أهل مكة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ ولا يرضى لعباده الكفر ﴿قال عطاء عن ابن عباس: يريد ولا﴾ (٣) أرضى لأوليائي وأهل طاعتي الكفر﴾ (٤)، وقال في رواية الوالبي: يعني عباده المخلصين الذين قال فيهم ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ فألزهم شهادة أن لا إله إلا الله، وحببها إليهم (٥)، وقال السدي: لا يرضى لعباده المؤمنين (٦) أن يكفروا (٧). وهذا طريق من قال بالتخصيص في هذه الآية (٨). ومن أجزاها على العموم قال إن (٩) الله تعالى لا يرضى الكفر لأحد وكفر الكافر غير مرضي لله، وإن كان يراذته. والله تعالى مريد لكفر (١٠) الكافر غير راض به، لأنه لا يمدحه ولا يثني عليه، قال قتادة: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها (١١). ﴿وإن تشكروا﴾ ما أنعم عليكم من التوحيد ﴿يرضه لكم﴾ يرضى ذلك الشكر لكم بأن يثيبكم عليه وباقي الآية تقدم تفسيره (١٢). قوله (١٣) ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ قال عطاء: يريد عتبة بن ربيعة (١٤)، وقال مقاتل: يريد (١٥) أبا حذيفة بن المغيرة ﴿ضُرٌّ﴾ بلاء وشدة وفقر، أو مرض. ﴿دَعَا رَبَّهُ مَنِيئًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه من شركه، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوْلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾ يعني أغناه وأنعم عليه بالصحة ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (١٦) نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا﴾ (رجع إلى) (١٧) عبادة الأوثان ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١٨) ليزل عن دين الله (١٩) الإسلام ﴿قُلٌّ﴾ لهذا الكافر ﴿تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى أجلك. قال الزجاج: لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد (٢٠) والوعيد (٢١). ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي (٢٢) إن (٢٣) مصيرك إلى النار. قوله:

- (١) من (ب، ج، د). (٦) في (ب) أي قدره المؤمنين.
- (٢) من (ج، د، هـ). (٧) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤.
- (٣) من (ج). (٨) في (د) الأمة.
- (٤) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. (٩) ساقطة من (د).
- (٥) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. (١٠) في (ب) الكفر.
- (١١) انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٢/٤. والصواب من القول في ذلك كما قال ابن جرير الطبري: هو ما قاله الله جل وعز (إن تكفروا بالله أيها الكفار به فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال: لست أحب الظلم وإن أحببت أن يظلم فلان فلاناً فيعاقب. انظر جامع البيان ١٢٦/٢٣).
- (١٢) قال الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ آية ١٥ من سورة الإسراء: «قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. قال الزجاج: أي إن الأثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره (الوسيط د ص ١٧٣) وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من سورة يونس آية ٢٢، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة «فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» نخبركم بأعمالكم لأننا أثبتناها عليكم (الوسيط د/٨١).
- (١٣) ساقطة من (هـ).
- (١٤) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل كافرأ يوم بدر. انظر نسب قريش ١٥٢.
- (١٥) ساقطة من (أ، هـ).
- (١٦) في (د) لشيء.
- (١٧) في (ب، ج، د، هـ) راجع عبادة الأوثان.
- (١٨) الضلال: العدول عن الطريق المستقيم وبيضاده الهداية انظر المفردات مادة ضل ص ٢٩٧.
- (١٩) ساقطة من (هـ).
- (٢٠) في (ج) للتهديد وفي (د) التهديد والصواب ما في الأصل لأنه الموجود في معاني القرآن للزجاج.
- (٢١) انظر معاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٣.
- (٢٢) من (ب، ج).
- (٢٣) ساقطة من (ب، ج).

أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

﴿أمن هو قانت﴾^(١) الجملة التي عادت أم قد حذفت كما يقال: أهذا أم هذا؟ والتقدير: الجاحد الكافر يعني: الذي ذكره^(٢) في قوله ﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾^(٣) خير^(٤) ﴿أمن هو قانت﴾ والأصل أم من هو^(٥) فأدغمت الميم في الميم، ومن قرأ بالتخفيف^(٦) فهي ألف الاستفهام دخلت على من، وهو استفهام إنكار والمعنى^(٧) أمن هو قانت كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر؟ قال الزجاج: أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل لله أنداداً^(٨)؟. والقانت: المقيم على الطاعة القائم بما يجب عليه من أمر الله. قال ابن عباس في رواية عطاء^(٩) وهو أبو بكر الصديق^(١٠) رضي الله عنه. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ^(١١) أنا^(١٢) الوليد بن أبان، نا محمد بن إدريس^(١٣)، نا عمر بن أبي معاذ النميري^(١٤)، نا عبد الله بن عيسى عن يحيى البكاء عن ابن عمر في قوله تعالى^(١٥): ﴿أمن هو قانت [آناء الليل]﴾^(١٧) الآية^(١٨) قال: نزلت في عثمان بن عفان (رضي الله

(١) في (د) أمن.

(٤) من (د).

(٢) في (ج) ذكر.

(٥) من (ب).

(٣) ساقطة من (ب، ج، هـ).

(٦) اختلف في (أمن هو) فنافع وابن كثير وحزمة بتخفيف الميم على أنها موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقريبي، ويقدر معادل دل عليه هل يستوي أي أمن هو قانت الخ كمن جعل لله أنداداً؟ وافهم الأعمش. والباقون بالتشديد فهي أم المتصلة دخلت على من الموصولة أيضاً والمعادل محذوف قبلها أي هذا الكافر خير أم الذي هو قانت لكن تعقبه أبو حيان: بأن حذف المعادل الأول يحتاج إلى سماع ولذا قيل: إنها منقطعة والتقدير بل أم من هو قانت كغيره (انظر الإتحاف ص ٣٧٥ والنشر ٣٦٢/٢ وتحرير التيسير ١٧١ والبحر المحيط ٤١٨/٧ ومعاني القرآن للفراء ٤١٧/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج صحيفة ١٨٣، وجامع البيان ١٢٨/٢٣).

(٧) في (ب، د) المعنى.

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ورقة ١٨٣.

(٩) في (هـ) الوالبي.

(١٠) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١٥ والدر المنثور ٣٢٣/٥.

(١١) أبو الشيخ الحافظ هو الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين وميتين قال أبو نعيم: كان أحد الأعلام. وقال أبو بكر الخطيب: كان أبو الشيخ حافظاً ثبناً متقناً وقال ابن مردويه: ثقة مأمون. توفي سنة تسع وستين وثلاث مئة هجرية (انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٦: ٢٨٠).

(١٢) في (ح) نا.

(١٣) محمد بن إدريس الشامي السرخسي توفي سنة ٣١٣ هـ (انظر العبر ١٥٧/٢).

(١٤) عمر بن أبي معاذ النميري هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن رائلة النميري أبو زيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق صاحب عربية وأدب ووثقه الدارقطني وابن حبان ثم قال ابن حبان: مستقيم الحديث وصاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس وقال الخطيب: كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس وله تصانيف كثيرة. انظر تهذيب التهذيب ٤٠٤/٧ - ٤٠٥.

(١٥) من (ج).

(١٦) في (د) أم من.

(١٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٨) في (ب، ج، هـ) والآية.

عنه (١) « (٢) وقال مقاتل (٣): نزلت في عمار بن ياسر (٤) وتفسير (٥) ﴿آناء الليل﴾ قد مضى (٦). وقوله ﴿ساجداً وقائماً﴾ يعني في الصلاة ﴿يحذر الآخرة﴾ قال مقاتل: يحذر عذاب الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني الجنة كمن لا يفعل ذلك؟ ليسا سواء. وهو قوله ﴿قل هو يستوي الذين يعلمون﴾ أن ما وعد الله من الثواب والعقاب حق ﴿والذين لا يعلمون﴾ ذلك؟ ﴿إنما يتذكر أولو الالباب﴾ إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين، فأما الجاهل الكافر فإنه لا يتعظ.

قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾ (٧) صدقوا بتوحيد الله ﴿اتقوا ربكم﴾ بطاعته واجتناب معاصيه وتم الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ وحدوا الله وأحسنوا (٨) العمل ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ يعني الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال ابن عباس: يريد ارحلوا من مكة (٩). وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون. كقوله تعالى (١٠) ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ (١١) ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ على دينهم فلا يتركونه لمشقة (١٢) تلحقهم. وهذه الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين لم يتركوا (١٣) دينهم ولما (١٤) اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا (١٥) وقوله ﴿أجرهم بغير حساب﴾ [قال عطاء: بما لا يهتدي إليه عقل ولا وصف، وقال مقاتل: أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب] (١٦) قوله (١٧) ﴿قل إنني أمرت أن أعبد الله﴾ قال مقاتل (١٨): (إن كفار قريش قالوا للنبي) (١٩) ﷺ: ما يحملك على الذي أتيتنا به؟ ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها فأنزل الله ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنني﴾

(١) من (ج، هـ).

(٢) - (٣) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٨ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٥ وقال أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساکر عن ابن عمر.

(٤) عمار بن ياسر هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدرى قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين هجرية (انظر تقريب التهذيب ٤٨/٢).

(٥) من (ب).

(٦) الآية ١١٣ من سورة آل عمران.

(٧) في (ب، ج، د، هـ) يا عبادي.

(٨) في (د) وحسنوا.

(٩) انظر جامع البيان ١٣٠/٢٣ ومعالم التنزيل ٧٣/٤ وتفسير القرآن العظيم ٤٧/٤، ٤٨.

(١٠) من (د).

(١١) سورة النساء / آية ٩٧.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(١٣) من (أ).

(١٤) في (ج، د) بمشقة.

(١٥) انظر معالم التنزيل ٧٤/٤ والدر المنثور ٣٢٣/٥.

(١٦) من (د).

(١٧) انظر لباب التأويل ٧٠/٦ وزاد المسير ١٩٨/٧، ١٩٩.

(١٨) في (ج) قال كفار قريش للنبي.

(١٩) في (د) فلما.

أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴿ أمرت أن أعبد على التوحيد والإخلاص لا^(١) يشوب عبادتي شرك ﴾ [وأمرت ﴿ بهذا ﴾ لأن أكون أول المسلمين ﴿^(٢) من هذه الأمة ﴿ قل إنني أخاف إن عصيت ربي ﴾ بالرجوع إلى دين آبائي ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ بالتوحيد لا أشرك به شيئاً ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ أمر تهديد. ﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ﴾: بأن صاروا إلى النار ﴿ وأهلهم ﴾ من الأزواج والخدم^(٣) في الجنة. قال الزجاج: وهذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهلهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم^(٤) أهل في^(٥) الجنة قوله^(٦):

لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ يعني أطباقاً من النار تلتهب عليهم كقوله^(٧) تعالى ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ﴾^(٨) الآية^(٩) ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾^(١٠) مهاد من النار. قال^(١١) السدي: وهي لمن تحتهم ظلل وهكذا حتى^(١٢) تنتهي إلى القعر^(١٣) ذلك ﴿ الذي وصف من العذاب ﴾ يخوف الله به عباده ﴿ المؤمنين يعني أن^(١٤) ما ذكر من العذاب معد للكفار^(١٥) وهو تخويف للمؤمنين ليخافوا فيتقوه^(١٦) بالطاعة والتوحيد. ثم أمرهم بذلك فقال: ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ قوله^(١٧) ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ يعني الأوثان والشيطان^(١٨) ﴿ وأنابوا إلى الله ﴾ رجعوا إليه بالطاعة ﴿ لهم البشرى ﴾ بالجنة ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول ﴾^(١٩) يعني القرآن ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ قال السدي: يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملونه^(٢٠). وقال عطاء عن ابن عباس إن أبا بكر الصديق^(٢١) رضي الله عنه آمن بالنبي ﷺ وصدقه فجاءه عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعيد^(٢٢) بن زيد، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهم)^(٢٣) فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا ونزلت فيهم ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول ﴾^(٢٤) (يعني من أبي

(١) في (د) ولا.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ه).

(٣) ساقطة من (ج).

(٤) في (أ، د) هم.

(٥) من (ه).

(٦) من (ج، ه).

(٧) في (د) لقوله.

(٨) سورة العنكبوت/ آية ٥٥

(٩) في (د) العذاب.

(١٠) ساقطة من (د)

(١١) في (ج) وقال.

(١٢) ساقطة من (د).

(١٣) انظر معالم التنزيل ٧٤/٤.

(٢٤) انظر جامع البيان ١٢٣/٢٣ وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٧٥/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٥.

(١٤) ساقطة من (ه).

(١٥) في (ه) للكافرين.

(١٦) في (ه) فيتقوا.

(١٧) ساقطة من (ج، د).

(١٨) في (د) والشياطين.

(١٩) في (أ، ه) عبادي.

(٢٠) انظر جامع البيان ١٣٢/٢٣.

(٢١) ساقطة من (ج، ه).

(٢٢) في (د) وسعيد بن وقاص زيد.

(٢٣) من (ج)

بكر^(١) «فيتبعون أحسنه^(٢)» أي حسنه وكله حسن. ثم أثنى عليهم بباقي الآية ووصفهم بالهداية والفضل، ثم ذكر من سبقت له^(٣) من الله الشقاوة فقال:

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾^(٤) قال ابن عباس: من سبق في علم الله أنه في النار أفأنت تنقذه فتجعله مؤمناً يعني^(٥) لا تقدر على ذلك قال عطاء: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان به^(٦) ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ بالإيمان والطاعة ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها. وعدمهم الله تلك (الغرف والمنازل)^(٧) وعداً لا يخلفه وهو قوله ﴿وعد الله﴾ [٨] ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾، ثم ذكر ما يدل على توحيد الله وهو قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع في الأرض﴾ جمع ينبوع وهو يفعل من نبع الماء^(٩) ينبع والينابيع الأمكنة التي^(١٠) ينبع منها الماء. قال مقاتل: فجعله عيوناً وركاباً في الأرض^(١١) (ثم يخرج بذلك الماء (من الأرض زرعاً)^(١٢) مختلفاً ألوانه من أصفر وأحمر^(١٣) وأخضر^(١٤) وأبيض، ﴿ثم يهيج﴾^(١٥) يجف^(١٦) يقال: هاج النبات يهيج هيجاً إذا تم جفافه. ﴿فتراه﴾ بعد الخضرة ﴿مصفرّاً ثم يجعله حطاماً﴾ دقاً متكسراً متفتتاً ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب﴾ تفكر لذوي العقول يذكرون به ما لهم فيه من الدلالة على توحيد الله وقدرته. وقوله^(١٧):

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾

أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سِوَىٰ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) ساقطة من (هـ).

(٣) ساقطة من (هـ).

(٤) في (هـ) حقت.

(٥) ساقطة من (هـ) وفي (د) لا معنى.

(٦) انظر أسباب النزول للواحدى ٣٨٩ ومعالم التنزيل ٧٥/٤.

(٧) في (ب، ج، د) المنازل والفرق.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من هـ.

(٩) في (ج) بالماء.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر معالم التنزيل ٧٥/٤.

(١٢) في (ج) زرعاً من الأرض.

(١٣) ساقطة من (ج، د، هـ).

(١٤) ساقطة من (ب).

(١٥) ساقطة من (ج).

(١٦) في (ج) فيجف.

(١٧) في (ج، د، هـ) قوله.

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي^(١) وسعه لقبول الحق . روي عن^(٢) ابن مسعود أنه قال : تلا^(٣) رسول الله ﷺ هذه الآية فقالوا: يا رسول الله وما هذا الشرح؟ قال^(٤): نور يقذفه الله في القلب فينفسح^(٥) له^(٦) القلب فقيل له: فهل لذلك من^(٧) أمارة؟ قال: نعم . قيل: وما هي؟ قال: الإنابة^(٨) إلى دار الخلود، والتجافي^(٩) عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت^(١٠) . وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ قال قتادة: النور كتاب الله (عز وجل)^(١١) به^(١٢) يأخذ وإليه ينتهي . وقال^(١٣) عطاء عن ابن عباس: فهو على يقين من ربه . وقال الزجاج^(١٤): تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته؟ ودل على هذا المحذوف قوله ﴿فويل للقاسية^(١٥) قلوبهم (من ذكر الله)﴾^(١٦) قال مقاتل^(١٧): نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل^(١٨) (لعنه الله)^(١٩) وقال عطاء: نزلت في علي وحزمة^(٢٠) وأبي لهب^(٢١) وولده^(٢٢)

(١) من (د) .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) في (هـ) قال .

(٤) ساقطة من (هـ) .

(٥) في (ب، ج) فينفسح وفي (د) فينسخ وفي (هـ) فيفسح ومعنى يفسح: يتسع انظر المفردات في غريب القرآن مادة (فسح) ص ٣٧٩ .

(٦) ساقطة من (ب، ج، د، هـ) .

(٧) ساقطة من (د) .

(٨) الإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص والعمل . انظر المفردات مادة (ناب) ص ٥٠٨ .

(٩) التجافي: البعد عن الشيء . يقال: جفاه إذا بعد عنه وأجفاه إذا أبعدته . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠/١٦٨ .

(١٠) ذكره ابن كثير في التفسير مُرْسَلًا ومُتَّصَلًا ثم قال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة ليشد بعضها بعضاً . انظر تفسير القرآن العظيم ٢/١٧٤ ، وقال عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ٤/٩٥ رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وفي سننه رجل ضعيف اهـ . وذكره البغوي ٤/٧٦ ورواه الحاكم بألفاظ قريبة ولم يحكم عليه . انظر المستدرک للحاكم كتاب الرقاق ٢/٣٣١ ورواه صاحب العلل المتناهية ٢/٨٠٣ وقال: تفرد به عبد الله بن محمد بن المغيرة وروي من طرق كلها وهم، وهو الصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ - كذا قاله الثوري، وابن المسور متروك ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/٢٢١، ٢٢٢ عن أبي جعفر وابن مسعود والدر المنثور ٣/٤٤، ٤٥ وعيون الأخبار ٢/٣٢٨ عن عمرو بن مرة .

(١١) ساقطة من (ب) .

(١٢) ساقطة من (د) .

(١٣) في (أ، ب، د، هـ) قال

(١٤) انظر معاني القرآن ورقة ١٨٤ .

(١٥) القسوة: غلظة القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك . انظر المفردات مادة (قسو) ص ٤٠٤ .

(١٦) من (ب، ج) .

(١٧) انظر لباب التأويل ٦/٧٢ .

(١٨) أبو جهل هو أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قتل يوم بدر كافرًا (انظر الكامل لابن الأثير ١/٢٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/٣٢٢ والأعلام للزركلي ٥/٨٧) .

(١٩) من (ج) .

(٢٠) حزمة بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ استشهد يوم أحد (انظر أسد الغابة ٢/٥١) .

(٢١) أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكني أبا لهب لإشراق وجهه (انظر سيرة ابن هشام ١/٩٩) .

(٢٢) انظر أسباب النزول للواحدي ٣٨٩ وزاد المسير ٧/١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٦٩١ ولباب التأويل ٦/٧٢ .

وقوله ^(١) ﴿من ذكر الله﴾ قال الفراء والزجاج: عن ذكر الله كما تقول أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته سواء ^(٢) والمعنى: «أنه غلظ قلبه وصفا عن قبول ذكر الله تعالى ^(٣)» ^(٤). ﴿أولئك﴾ أي القاسية قلوبهم ﴿في ضلال مبين﴾ (قوله تعالى) ^(٥) ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعني القرآن وسمي حديثاً لأن النبي ﷺ كان يحدث قومه ويخبرهم بما نزل عليه منه. وقوله: ﴿كتاباً متشابهاً﴾ أي ^(٦) يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف ولا تناقض. ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ خوفاً مما في القرآن من الوعيد. ومعنى تقشعر تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث ^(٧) في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، أخبرنا أبو سعد ^(٨) عبد الرحمن بن حمدان العدل، نا ^(٩) علي بن سعيد بن العباس الرزاز نا أبو شعيب الحراني ^(١٠)، نا يحيى بن عبد الحميد الحماني، نا عبد العزيز بن محمد ^(١١)، عن يزيد بن الهاد ^(١٢)، عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت العباس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت ^(١٣) عنه ذنوبه كما يتحات ^(١٤) عن الشجرة اليابسة ورقها ^(١٥)». قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين الله ^(١٦) تعالى ^(١٧). ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾ ^(١٨) إذا ذكرت آيات الرحمة. وهذا معنى ^(١٩) قول جميع المفسرين ^(٢٠) وقوله ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم﴾ أي تطمئن ^(٢١) وتسكن ﴿إلى ذكر الله﴾ الجنة والثواب، فحذف مفعول الذكر للعلم به ^(٢٢) قال قتادة: هذا نعت أولياء الله تعالى ^(٢٣) نعتهم

(١) في أ، هـ قوله.

(٢) ساقطة من (ج، د).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) في (هـ) تحدث.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) من (ج).

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ ومعاني القرآن للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٨) في (د) أنا.

(٩) من (ج).

(١٠) أبو شعيب الحراني هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الأموي المؤدب عاش تسعين سنة وكان ثقة توفي سنة خمس وتسعين ومائتين من الهجرة رحمه الله (انظر العبر ١٠١/٢).

(١١) عبد العزيز بن محمد الدراوردي، أبو محمد الجهني، مولا هم، المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطيء، قال عنه النسائي: حديثه عن عبد الله العمري منكر، من الثامنة، مات سنة ست أو سبع وثمانين. انظر (التقريب ٥١٢/١).

(١٢) يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أبو عبد الله المدني ثقة من الخامسة مات سنة ٣٩ قال أحمد: ليس به بأس، وقال ابن معين والنسائي: ثقة (تهذيب التهذيب ٣٤٠/١١، التقريب ٣٦٧/٢).

(١٣) تحاتت أي تساقطت. انظر النهاية لابن الأثير ٢٠٠/١.

(١٤) في (هـ) تتحات.

(١٥) رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس قال صاحب مجمع الزوائد: لم أعرفها وبقيت رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ٣١٠/١٠ وذكره صاحب السراج المنير ١٠٥/١ وقال: قال الشيخ: حديث ضعيف وانظر لباب التأويل ٧٣/٦.

(١٦) انظر معاني القرآن وعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(١٧) من (ب).

(١٨) اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني فيقال: فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع واللين في هذه الآية الكريمة إشارة إلى إذعانهم للحق وقبولهم له وتأيبهم منه وإنكارهم إياه (المفردات مادة لين ص ٤٥٧).

(١٩) من (د).

(٢٠) من (د).

(٢١) انظر معالم التنزيل ٧٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٠/٤، ٥١.

(٢٢) من (ب).

(٢٣) في (د) تطمئنان.

الله بأنهم تشعرون جلودهم وتطمئن^(١) قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان^(٢) عليهم، إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان^(٣). ﴿ذلك﴾. يعني أحسن الحديث وهو القرآن ﴿هدى الله﴾ الآية قوله^(٤): ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾^(٥) نزلت في أبي جهل، قال الكلبي: ينطلق به إلى النار مغلولاً^(٦)، فإذا رمت به الخزنة فيها لم يتقها بأول من وجهه^(٧). قال الزجاج: المعنى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة^(٨). وتم الكلام. ثم أخبر عما تقول^(٩) الخزنة للكفار بقوله: ﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ قال عطاء: يريد جزاء ما كنتم تعملون.

كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْغُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿كذب الذين من قبلهم﴾ من قبل^(١٠)، كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب إذ لم يؤمنوا ﴿فأناهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني وهم^(١١) آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب. ﴿فأذاقهم الله الغري﴾ الهوان والعذاب ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر﴾^(١٢) مما أصابهم في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لكنهم لم يعلموا ذلك قوله^(١٣):

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ
يَنْفَقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ولقد ضربنا للناس﴾ لأهل^(١٤) مكة ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾ بينا لهم ما يشبه حالهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون فيعتبرون ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ حال من القرآن في قوله «في هذا القرآن» ﴿غير ذي عوج﴾ مستقيم ليس بمختلف. أخبرنا الحسن بن أحمد العدل، أنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي نا محمد بن حمدون بن خالد^(١٥)، نا (أبو هارون

(١) في (د) وتطئان وفي (هـ) فتطمئن.

(٢) الغشيان: الإغماء. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٦٣/٣.

(٣) من (هـ).

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٧٥/٣ ومعالم التنزيل ٧٧/٤ وتفسير القرآن ٥١/٤ وفتح القدير ٤٥٩/٤

(٥) من (ج).

(٦) غل: الغلل أصله تدرع الشيء وتوسطه ومنه الغلل للماء الجاري بين الشجر وقد يقال له الغيل وانغل فيما بين الشجر دخل فيه، فالغل

مختص بما يقيد به فيجعل الأعضء وسطه وجمعه أغلال وغل فلان قيد به (المفردات مادة غل ص ٣٦٣)

(٧) المراد ألا يقابل النار بجزء من جسده قبل وجهه.

(٨) انظر معاني القرآن وعرابه للزجاج صحيفة رقم ١٨٤.

(٩) في (د) يقول.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) من (ج).

(١٢) ساقطة من (ب).

(١٣) في (ج) من أهل.

(١٤) في (د) الحياة.

(١٥) محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد هو الحافظ الكبير أبو بكر النيسابوري أحد الأئمة قال الحاكم كان من الثقات الأئمة الجوالين في

الأقطار عاش سبعة وثمانين سنة توفي سنة عشرين وثلاث مائة وقال الخليلي حافظ كبير (تذكرة الحفاظ ٨٠٧/٣).

إسماعيل بن محمد، نا أبو صالح^(١) نا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «غير ذي عوج»^(٢) قال: غير مخلوق^(٣).

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿ضرب الله مثلاً﴾ ثم بينه فقال: ﴿رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ متنازعون مختلفون ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ سلم له من غير منازع، ومن قرأ سلماً فهو مصدر وصف به على معنى ورجلاً ذا سلم لرجل من قولهم هو لك سلم أي مسلم لا منازع لك فيه^(٤) قال الزجاج «وهذا المثل ضرب لمن وحد الله (عز وجل)^(٥) ولمن جعل معه شركاء^(٦)»^(٧) قال مقاتل: يقول هل يستوي عبد (يشترك فيه)^(٨) نفر مختلفون يملكونه جميعاً ورجل^(٩) خالص لرجل [لا شركة فيه]^(١٠) لأحد؟ ثم قال: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي يستوي من يعبد آلهة شتى مختلفة يعني الكافر والذي يعبد رباً واحداً يعني المؤمن؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، أي لا يستويان، وذلك أن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه [ما لا يستحقه]^(١١) صاحب الشركاء [المتعاشرين المختلفين]^(١٢) في أمره، وتم الكلام. ثم قال: ﴿الحمد لله﴾ أي له الحمد كله دون غيره من المعبودين ﴿بل﴾ أي دع الكلام الأول ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه من العقاب، والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه ﷺ^(١٣)، بأنه يموت، وأن هؤلاء الذين يكذبونه^(١٤) يموتون ويجتمعون للخصومة عند الله، وهو قوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال ابن عباس: يعني^(١٥) الحق والمبطل والظالم والمظلوم^(١٦). أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان، أنا أحمد بن جعفر بن مالك، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي نا ابن نمير، نا محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: أي يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟

(١) في (ج) أبو هارون إسماعيل بن محمد بن صالح.

(٢) عوج: يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف نقاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش (المفردات مادة (عوج) ص ٣٥١)

(٣) انظر معالم التنزيل ٧٨/٤ وزاد المسير ١٧٩/٧.

(٤) اختلف في (رجلاً سلماً) فابن كثير وأبو عمر ويعقوب بالالف وكسر اللام اسم فاعل أي خالصاً من الشركة، وافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن والباقون بفتح السين واللام بلا ألف مصدر وصف به مبالغة في الخلوص في الشركة (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥ والبحر المحيط ٧/٤٢٤).

(٥) في (ب) تعالى.

(١٢) في (أ) المتعاشرون المختلفون.

(٦) في (د) شريكاً.

(١٣) من (ج، د، هـ).

(٧) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج صحيفة ١٨٤

(١٤) في (أ) يكذبون به.

(٨) في (د) يشارك وفي (هـ) مشترك فيه وفي (أ) شرك فيه.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(٩) في (أ، ب، ج) ورجل.

(١٦) انظر جامع البيان ٢/٢٤ ومعالم التنزيل ٧٨/٤.

(١٠) في (ج) لا يشركه فيه.

(١٧) ساقطة من (هـ).

(١١) في (أ، ج، د) يستحق وفي (هـ) ولا يستحقه.

قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا^(١) إلى كل ذي حق حقه. قال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٢) قوله^(٣):

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٣٢)
 وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٔئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ بأن له ولداً وشريكاً، ﴿وكذب بالصدق﴾ أي^(٤) بالتوحيد والقرآن ﴿إذ جاءه﴾ ليس في جهنم مثنوى للكافرين^(٥) مقام للجاحدين؟ وهو استفهام تقرير، يعني أنه كذلك. ﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمد ﷺ، ﴿وصدق به﴾ أبو بكر [رضي الله عنه]^(٦) وأصحابه وهم المؤمنون الذين صدقوا محمداً ﷺ بما جاء به من الإسلام، ﴿أولئك هم المتقون﴾ الذين اتقوا الشرك. ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ لهم عند الله من الجزاء والكرامة ما يشاءون. ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ في أقوالهم وأعمالهم. ﴿ليكفر الله عنهم﴾، أي أعطاهم ما شاءوا ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾. يسترها عنهم^(٧) بالمغفرة. ﴿ويجزئهم أجرهم﴾^(٨) بأحسن الذي كانوا يعملون ﴿قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي﴾^(٩). قوله^(١٠):

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني محمداً ﷺ يفيءه عداوة^(١١) من يعاديه ومن قرأ «عباده» فالمراد بالعباد الأنبياء^(١٢)، وذلك أن الأمم [قصدهم بالسوء]^(١٣) وهو قوله: ﴿وهمت كل أمة برسولهم﴾^(١٤)

(١) في (د، هـ) تردوا.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١/١٦٤، ١٦٧) والترمذي في سننه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٣٧٠/٥ وقال عنه أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انظر تحفة الأحوذى ٩/١١٠ - ١١١ والطبراني ورجاله وثقات. انظر مجمع الزوائد ٧/١٠٠ والحاكم في مستدركه وقال عنه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي: رواه مسلم. كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ٢/٤٣٥ والطبري في جامع البيان ١/٢٤.

(٣) من (ب، ج). (٤) ساقطة من (أ). (٥) ساقطة من (ب، ج). (٦) في (أ) عليهم. (٧) ساقطة من (ب، هـ). (٨) ساقطة من (أ). (٩) ساقطة من (أ). (١٠) ساقطة من (أ).

(١١) اختلف في (بكاف عبده) فحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «عباده» بألف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين، وافقه الأعمش والباقون بغير ألف أي كافيك يا محمد أمر الكفار فالمفعول الثاني فيهما محذوف. (إتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٥، ٣٧٦، والنشر ٢/٣٦٢، ٣٦٣، وجامع البيان ٥/٢٤ والبحر المحيط ٧/٤٢٩ وتحرير التيسير ١٧٣).

(١٢) في (د) قصدهما بسوء.

(١٤) في (ج) طائفة.

فكفاهم (١) الله تعالى (٢) شر من عاداهم . يعني انه كافيكم (٣) كما كفى هؤلاء الرسل قبلك . ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أي بالذين (٤) يعبدون من دونه (وهم الأصنام) (٥) وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ [إنا نخاف] (٦) أن يصيبك من آلهتنا جنون أو خبل (٧) . ثم ذكر سبب ضلالهم ، فقال ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ (٩) من تولى الله هدايته لم يضل أحد . ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب لا يمتنع عليه شيء ﴿ذي انتقام﴾ ممن عصاه وكفر به . ثم أعلم (١٠) أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون (١١) بأن الله خالق السموات والأرض ، فقال :

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ولئن سألتهم [من خلق السموات والأرض] ليقولن الله﴾ (١٢) . ثم أمره أن (١٣) يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله [لا يملك] (١٤) كشف ضر فقال : ﴿قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر﴾ قال ابن عباس ومقاتل : بمرض أو فقر [أو بلاء] (١٥) أو شدة . ﴿هل هن كاشفات [ضره] هل تقدر الآلهة (١٦) أن تكشف ما ينزل بي (١٧) من ضر﴾ (١٨) ﴿أو أرادني برحمة﴾ [بخير وصحة] (١٩) ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ (٢٠) هل تقدر الآلهة (٢١) أن تحبس عني تلك الرحمة ، وقرىء ﴿كاشفات﴾ و﴿ممسكات﴾ بالتثنية وبغيره (٢٢) فمن نون فلأنه غير واقع وما لم يقع من أسماء الفاعلين فالوجه فيه التثنية ، ومن أضاف فعلى الاستخفاف (٢٣)

(١) في (ج) وكفاهم .

(٢) من (ج) .

(٥) في (ج) وهي الأصنام

(٦) في (د) أما تخاف .

(٣) في (ج ، د) كافيك .

(٧) في (د) وخبل .

(٤) في (ج) بالذي .

قال الحافظ السيوطي في الدر ٣٢٨/٥ أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال : قال لي رجل : قالوا للنبي ﷺ : لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنا أمرنا فلتخيلنا . فنزلت ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ وذكره عبد الرزاق في تفسيره ٩٧٨/٣ والطبري في جامع البيان ٦/٢٤ والبعوي في معالم التنزيل ٨٠/٤ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٥/٤ وفتح الباري ٥٤٨/٨ وفتح القدير للشوكاني ٤٦٧/٤ .

(١٦) ساقطة من (هـ) وفي (د) أحد

(٨) في (هـ) يهدي

(١٧) في (ج) به .

(٩) من (هـ) .

(١٨) في (أ ، ج ، د ، هـ) الضر

(١٠) في (د) أخبر .

(١٩) في (ب ، ج) خيراً وصحة .

(١١) في (هـ) يقرون .

(٢٠) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) .

(١٢) في (هـ) الآية .

(٢١) من (أ) وفي (ج) أحد .

(١٣) في (د) بأن

(٢٢) ساقطة من (أ) وفي (ب) وغيره .

(١٤) في (ج) لا يملكون .

(٢٣) في ب الاستحقاق .

(١٥) في (ب ، د) أو بلاء .

وحذف التنوين، والمعنى على التنوين، وكلا الوجهين حسن^(١). قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ (عن ذلك)^(٢) فسكتوا، ولم يجيبوه^(٣) فقال الله^(٤) تعالى^(٥) للنبي ﷺ: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ بالله يثق الواثقون^(٦) وما بعد هذا مفسر فيما سبق إلى قوله:

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ
جَمِيعًا ۖ لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَظِيمًا ۖ وَاللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿للناس﴾. قال ابن عباس: لجميع الخلق ﴿بالحق﴾ أي ليس فيه شيء من الباطل ﴿فمن اهتدى﴾ بالقرآن ﴿فلنفسه﴾. وهذه الآية مفسرة^(٧) في آخر سورة يونس^(٨). ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ لم يوكلك بهم ولا تؤخذ بهم. قال مقاتل: وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. قوله ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ (حين موتها)^(٩) يعني^(١٠) الأرواح ﴿حين موتها﴾^(١١) عند أجلها. والمعنى حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف ﴿والتي لم تمت﴾ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿في منامها﴾ والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز. قال الزجاج: لكل إنسان نفسان أحدهما^(١٢) نفس التمييز وهي التي^(١٣) تفارقه إذا نام فلا يعقل، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس^(١٤). وقوله ﴿فيمسك﴾ أي عن الجسد الروح التي قبضها حتى لا تعود^(١٥) إليه. وهو قوله ﴿التي قضى عليها الموت﴾، وقرئ ﴿قضى عليها الموت﴾، والوجه القراءة الأولى^(١٦) لقوله ﴿الله يتوفى﴾. قوله^(١٧) ﴿ويرسل﴾ يعني^(١٨) ويرسل ﴿الأخرى﴾ أي^(١٩) إلى الجسد ﴿إلى

(١) واختلف في (كاشفات ضره) و (مسكات رحمته) فأبو عمرو ويعقوب بتنين كاشفات و مسكات ونصب ضره ورحمته اسم فاعل بشرطه فيعمل عمل فعله ويتعدى لواحد بنفسه وإلى آخر بعن أي عني. وافقهم البيهقي والحسن وابن محيصن من المفردة والباقون بغير تنوين فيهما وجر ضره ورحمته على الإضافة اللفظية. (إتحاف فضلاء البشر ٣٧٦، النشر ٣٦٣/٢، التجميع ١٧٣، والبحر المحيط ٤٢٩/٧-٤٣٠).

(٢) ساقطة من (ج). (٣) في (ج) يجيبوا. (٤) ساقطة من (هـ). (٥) من (ج).

(٦) انظر معالم التنزيل ٨٠/٤ ولباب التأويل ٧٧/٦ الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٧) في (د) مفسر

(٨) الآية ١٠٨

(٩) من (ج، هـ).

(١٠) في (هـ) تتوفى الأنفس يعني.

(١١) في (هـ) عنده.

(١٦) اختلف في (قضى عليها الموت) فحمزة والكسائي وخلف بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء مبنياً للمفعول والموت بالرفع نائب الفاعل وافقهم الأعمش والباقون بفتح القاف والضاد مبنياً للفاعل والموت بالنصب مفعوله وللأزرق فيه الفتح والتقليل (انظر الإتحاف ٣٧٦ والنشر ٣٢٣/٢ وتجميع التيسير ١٧٣ والبحر المحيط ٤٣١/٧)

(١٧) في (ب، هـ) وقوله. (١٨) في (ب، ج، د) معناه. (١٩) ساقطة من (ج).

أجل مسمى ﴿ إلى انقضاء الأجل . قال سعيد بن جبير: يقبض أنفس الأحياء والأموات فيمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء فلا يغلط ^(١) ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. وقال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي ^(٢) نفس النائم وإرسالها بعد (التوفي) ^(٣) دليل على البعث ^(٤)، وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة ^(٥): يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث. قوله: ﴿ أم اتخذوا (من دون الله شفعاء) ﴾ ^(٦) نزلت في أهل مكة، زعموا أن الأصنام شفعاءهم عند الله تعالى ^(٧) فقال الله منكرًا عليهم: [أم اتخذوا] أي بل اتخذوا ^(٨) «من دون الله» آلهة شفعاء ﴿ قل ﴾ يا محمد: ﴿ أولو كانوا ﴾ يعني الآلهة ﴿ لا يملكون شيئاً ﴾ من الشفاعة ﴿ ولا يعقلون ﴾ أنكم تعبدونهم، وجواب هذا الاستفهام محذوف تقدير: أولو ^(٩) كانوا بهذه الصفة تتخذونهم. ثم أخبر أنه ^(١٠) لا شفاعة إلا بإذنه فقال: ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ قال مجاهد: لا يشفع أحد ^(١١) إلا بإذنه ^(١٢) والمعنى لا يملك أحد الشفاعة إلا بتخليكه كما قال: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ^(١٣)، وفي هذا إبطال لشفاعة من ^(١٤) ادعت له الشفاعة من الآلهة. قوله:

وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَدَّاهُمْ سِيَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ^(١٥) معنى ^(١٦) الاشتمزاز في اللغة: النفور والاستكبار. قال ابن عباس ومجاهد: اشمازت انقبضت عن التوحيد ^(١٧). وقال قتادة: استكبرت ^(١٨)، وقال أبو عبيدة ^(١٩): نفرت ^(٢٠). وكان المشركون ^(٢١) إذا سمعوا «لا إله إلا الله وحده

(١) انظر جامع البيان ٧/٢٤ تفسير القرآن العظيم ٥/٤.

(٢) في (ب) تتوفى.

(٣) في (هـ) النوم.

(٤) انظر معالم التنزيل ٨١/٤.

(٥) التوراة: الكتاب المنزل على سيدنا موسى من عند الله تبارك وتعالى.

(٦) من (د).

(٧) انظر جامع البيان ٨/٢٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤ وزاد المسير ١٨٧/٧.

(٨) سورة البقرة/ آية رقم ٢٥٥.

(٩) ساقطة من (هـ) وفي (ج) لمن.

(١٥) قال البخاري: اشمازت نفرت. صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر ١٥٧/٦.

(١٦) ساقطة من (هـ).

(١٧) انظر تفسير مجاهد ٥٥٩/٢ وجامع البيان ٨/٢٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٥/٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤.

(١٨) انظر جامع البيان ٨/٢٤ ومعالم التنزيل ٨١/٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٥/٤، ٥٦.

(١٩) في (أ) أبو عبيد. (٢٠) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٠/٢. (٢١) في (أ، ب، ج، هـ) المشركين.

لا شريك له ﴿ نفرأ من هذا، لأنهم كانوا يقولون: الأوثان آلهة ﴾ وإذا ذكر الذين من دونه ﴿ يعني الأصنام التي ﴾^(١) عبدوها من دونه ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ يفرحون^(٢). قال مجاهد ومقاتل: يعني^(٣) حين قرأ النبي ﷺ بمكة^(٤) سورة النجم. فقال تلك الغرائق العلى. فرح (كفار مكة بذلك)^(٥) حين سمعوا أن لها شفاعة. وما بعد هذا مفسر فيما تقدم^(٦) إلى قوله: ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة^(٧). والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها^(٨) بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا. وقد ظهر هذا في^(٩) قوله: ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي من^(١٠) مساوئ أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله، ﴿ وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ (أنزل)^(١١) بهم (كل ما)^(١٢) أنذرهم النبي ﷺ به^(١٣) مما كانوا ينكرونه ويكذبون به قوله^(١٤).

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَتُولَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ فإذا مس الإنسان ﴾ يعني^(١٥) الكافر ﴿ ضرر دعانا ثم إذا خولناه ﴾ أعطيناه نعمة منا^(١٦) من عندنا ﴿ قال إنما أوتيته ﴾ ذكر الكناية، لأن المراد بالنعمة الإنعام^(١٧) وقوله: ﴿ على علم ﴾. قال مقاتل: على خير

- (١) في (د) والتي .
 (٢) في (د) يفرحون بها .
 (٣) ساقطة من (هـ) .
 (٤) مكة: بيت الله الحرام وقال الشرفي: روي أن مكة اسم القرية ومكة مغزى. وقال آخرون بمكة موضع البيت . وما حول البيت مكة . انظر معجم البلدان ١٨٢/٥ .
 (٥) في (د) فرح بذلك كفار مكة حين .
 (٦) عند تفسيره لقوله تعالى: «فاطر السموات والأرض» الآية ١٤ من سورة الأنعام: وباقي الآية مفسر في الآية ٣ من سورة الزمر . وقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ﴾ إلخ الآية ٣٦ من سورة المائدة: أخبرنا الله تعالى أن الكافر يوم القيامة لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم فدا بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ثم أخبر أنهم خالدون في النار (الوسيط ٨٦٢/٢) .
 (٧) انظر معالم التنزيل ٨٢/٤ .
 (٨) من (ج، د) .
 (٩) في (هـ) من
 (١٠) من (ب، ج) .
 (١١) ساقطة من (أ، هـ) .
 (١٢) في (د) نزل
 (١٣) ساقطة من (ب، ج، د، هـ) .
 (١٤) في (هـ) والآنعام .
 (١٥) من (ج، د) .
 (١٦) في (هـ) من
 (١٧) ساقطة من (أ، هـ) .
 (١٨) في (د) نزل
 (١٩) في (أ، ب، ج، هـ) كلما .

علمه الله عندي^(١)»^(٢) وقال غيره: على علم من الله بأني له أهل^(٣) «قال الله تعالى»^(٤) بل هي^(٥) فتنة أي بلوى يتلى بها العبد ليشكر أو ليكفر^(٦) «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أن ذلك استدراج من الله لهم^(٧) وامتحان «قد قالها» أي قال تلك الكلمة وهي^(٨) قوله «إنما أوتيته على علم» قال مقاتل: يعني «قارون» حين قال إنما أوتيته على علم عندي^(٩) «الذين من قبلهم» يعني الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً. والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك، لأنهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئاً. وهو قوله: «فأصابهم سيئات ما كسبوا» أي جزاؤها^(١٠) يعني العذاب. ثم أوعد كفار مكة فقال: «والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين» لأن مرجعهم إلى الله فهم لا يعجزونه ولا يفوتونه فيجازيهم بأعمالهم «أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء» قال مقاتل: وعظهم ليعتبروا في توحيد، وذلك حين أمطروا^(١١) بعد سبع سنين فقال: (أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء)^(١٢) ويقتصر على من يشاء. قوله

﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايُتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبي ﷺ، والقتال ضده^(١٣) والزنا. فأنزل الله تعالى^(١٤) هذه الآية وفرح النبي ﷺ بهذه الآية. ورآها أصحابه من أوسع الآيات

(١) ساقطة من (هـ).

(٢) انظر جامع البيان ٩/٢٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٥ وتفسير القرآن العظيم ٥٧/٤ ومعالم التنزيل ٨٢/٤ والبحر المحيط ٤٣٣/٧.

(٣) انظر معالم التنزيل ٨٢/٤ وزاد المسير ١٨٨/٧ وتفسير القرآن العظيم ٥٧/٤.

(٤) (جـ، د).

(٥) في (د) هو.

(٦) في (د) أو يكفر.

(٧) ساقطة من (جـ).

(٨) في (أ، ج، هـ) وهو.

(٩) في (د) أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق يوسع الرزق.

(١٠) من (د).

(١١) في (أ، ج، هـ) وهو.

(١٢) من (د).

(١٣) في الأصل معه، والصواب: ضده، كي يستقيم المعنى حيث إن القتال معه ليس منكراً.

(١٤) من (د).

في مغفرة الذنوب^(١). أخبرنا [أبو القاسم السراج]^(٢) أنا^(٣) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن^(٤)، أنا علي بن عبد العزيز، أنا القاسم بن سلام، حجاج علي بن جريح، حدثني يعلي بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن^(٥) لو تخبرنا أن لما^(٦) عملناه كفارة فنزلت هذه الآية^(٧) ومعنى ﴿أسرفوا على أنفسهم﴾^(٨) أي بالشرك والزنا وإراقة الدماء. ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾^(٩). وذلك أنهم ظنوا أنه لا توبة لهم ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وعد بغفران الذنوب وإن كثرت. أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم النصراباذي، أنا أبو حامد^(١٠) أحمد بن محمد بن شارك^(١١)، أنا^(١٢) زكريا بن يحيى الساجي، نا عبد الأعلى (ابن حماد)^(١٣)، ناد حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد^(١٤) أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ^(١٥): ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾^(١٦) ولا يبالي به^(١٧) ﴿إنه^(١٨) هو الغفور الرحيم﴾^(١٩) أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن

(١) انظر جامع البيان ١٠/٢٤، ١١ ومعالَم التنزيل ٨٣/٤ والبخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الفرقان والجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/١٥.

(٢) في (أ) أبو القاسم الزجاج. وأبو القاسم السراج هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القرشي النيسابوري الفقيه توفي سنة ٤١٨ هـ (شذرات الذهب ٢١٠/٣ وتذكرة الحفاظ ١٠٨٣/٣، ١٠٨٤).

(٣) في (أ) نا.

(٤) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازوكي النيسابوري (اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) في (د) ما.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير تفسير سورة الزمر ومسلم كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وجامع البيان ٦٤/٢٤ وتفسير القرآن العظيم ٥٨/٤.

(٨) أسرفوا: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر (المفردات في غريب القرآن مادة سرف ص ٢٣٠، ٢٣١).

(٩) القنوط اليأس من الخير يقال يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة (قنط) ص ٤١٣).

(١٠) أبو حامد أحمد بن محمد بن شارك الفقيه الشافعي مفتي هراة ومحدثها ومفسرها توفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة هجرية (شذرات الذهب ٣/٣٦).

(١١) في (ب، ج) شادان.

(١٢) في (د) نا.

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٤) أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية من المبايعات المجاهدات روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث وقتلت بعمود خباتها يوم اليرموك وقيل عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية (الاستيعاب ١٧٨٧/٤ - وأسد الغابة ١٨/٧ وتهذيب الكمال ١٦٧٧

وتهذيب التهذيب ١٢/٣٩٩ وسير أعلام النبلاء ٢/٢٩٦، ٢٩٧ وتهذيب الكمال ٤٨٨).

(١٥) وفي (د) يقول.

(١٦) القنوط: اليأس من الخير يقال قنط يقنط قنوطاً وقنط يقنط (المفردات مادة قنط ص ٤١٣)

(١٧) ساقطة من (ج، هـ، د).

(١٨) من (هـ).

(١٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٥٤/٦ والترمذي في سننه وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن =

حشيش العدل نا^(١) أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي^(٢). نا محمد بن منصور^(٣) نا حجاج بن محمد، نا ابن لهيعة عن أبي قبيل^(٤) قال^(٥): سمعت أبا عبد الرحمن المقرئ يقول: حدثني أبو عبد الله الجبلائي أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ [٦] قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم [لا تقنطوا من رحمة الله]»^(٧)^(٨). ثم دعاهم إلى التوبة فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أي^(٩) ارجعوا من الشرك والذنوب إلى الله تعالى^(١٠) فوحده ﴿وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ وأخلصوا^(١١) له التوحيد^(١٢) ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ لا تمنعون من عذاب الله ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن. يقول أحلوا حلاله وحرّموا حرامه. وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه^(١٣) ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ يريد الموت، وذلك أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب وهو قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أن تقول نفس ﴿قال المبرد: أي بادروا خوف أن تقول وحذراً من أن تقول نفس^(١٤)﴾. وقال^(١٥) الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول^(١٦). ﴿يا حسرتا^(١٧)﴾ على ما فرطت^(١٨) في جنب^(١٩) الله ﴿قال الفراء: الجنب القرب، أي في قرب الله وجواره^(٢٠)﴾ والجنب

= شهر بن حوشب قال وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد. الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر ٣٧٠/٥
(١) في (د) أنا.

(٢) أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي. محدث بغداد في وقته توفي سنة ٣٢١ هـ وله نيف وتسعون سنة (العبر ١٨٨/٢، تاريخ بغداد ٣٥٨/٣، ٣٥٩).

(٣) محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم الطوسي أبو جعفر العباد وثقة النسائي وقال في موضع آخر لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال مسلمة: ثقة توفي رحمه الله سنة ست وخمسين ومائتين هجرية. (تهذيب التهذيب ٤٧٢/٩).

(٤) أبو قبيل هو حي بن هانيء بن ناصر أبو قبيل المعافري المصري مات سنة ١٢٨ هـ (التهذيب ٧٣/٣، ٣٧٨/٥).
(٥) أ، جـ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (د) وفي هـ انه قال ﷺ.
(٧) من (أ).

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٥/٥ والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن. انظر مجمع الزوائد ١٠٠/٧.
كتاب التفسير تفسير سورة غافر.

(٩) ساقطة من (هـ).

(١٠) من (د).

(١١) في (د) أخلصوا.

(١٢) في (هـ) للتوحيد.

(١٣) انظر جامع البيان ١٢/٢٤، ١٣ ومعالم التنزيل ٨٥/٤.

(١٤) انظر معالم التنزيل ٨٠/٤ وزاد المسير ١٩٢/٧ وفتح القدير ٤٧١/٤.

(١٥) في (د) قال.

(١٦) انظر معاني القرآن للزجاج ورقة ١٨٦.

(١٧) الحسرة معناها: الغم على ما فاته والندم عليه وكأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غم، أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه (المفردات مادة (حسر) ص ١١٨)

(١٨) فرط: قَصُرَ يقال: ما فرطت في كذا ما قَصُرْتَ. (المفردات مادة «فرط» ص ٣٧٦، ٣٧٧).

(١٩) جنب الله أي أمره وحده الذي حده لنا. (المفردات مادة جنب ص ٩٩).

(٢٠) انظر زاد المسير ١٩٢/٧ وفتح القدير ٤٧١/٤.

بمعنى القرب كثير في الكلام يقال: فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره، ومنه قوله تعالى ^(١) ﴿والصاحب بالجنب﴾ ^(٢) والمعنى على هذا القول: على ^(٣) ما فرطت في طلب ^(٤) جنب الله، أي في طلب جواره وقربه وهو الجنة ^(٥). وهذا معنى قول ابن الأعرابي ^(٦) في قرب الله من الجنة وقال الزجاج: أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والإقرار بنبوة رسوله ^(٧) [صلى الله عليه وسلم] ^(٨) وعلى هذا: الجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى ^(٩) رضا الله عز وجل ^(١٠). والمفسرون ذكروا هذه المعاني، فقال عطاء عن ابن عباس: ضيعت في ثواب الله، وقال مجاهد والسدي: في أمر الله ^(١١)، وقال الحسن: في طاعة الله ^(١٢). ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي ^(١٣) وما كنت إلا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين ^(١٤) في الدنيا، أو تقول ﴿لو أن الله هداني﴾ أرشدني إلى دينه ﴿لكنك من المتقين﴾ الشرك ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ مشاهدة وعياناً ﴿لو أن لي كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ الموحدين. ثم يقال لهذا القائل: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ يعني القرآن ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ ^(١٥) قلت: إنها ليست من الله تعالى ^(١٦) ﴿واستكبرت﴾ ^(١٧) تكبرت عن الإيمان بها ^(١٨) قوله:

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ فزعموا أن له ولداً أو ^(١٩) شريكاً ﴿وجوههم مسودة﴾ أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا ^(٢٠) عبد الله قحطبة، نا محمد بن الصباح، نا عمرو بن الأزهر عن أبي الربيع، عن كثير بن زياد قال: سئل الحسن عن هذه الآية ﴿يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ ^(٢١)

(١) ساقطة من (ب، هـ).

(٢) سورة النساء/ آية رقم ٣٦.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) فتح القدير للشوكاني ٤/٤٧١.

(٦) ابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي اللغوي المعروف توفي سنة ٢٣١ هـ. نزهة الأولياء ١٢١.

(٧) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٨٦.

(٨) من (د).

(٩) في (د) في.

(١٠) من (د).

(١١) أنظر تفسير مجاهد ٥٥٩/٢ وجامع البيان ١٣/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٥/٤.

(١٢) انظر جامع البيان ١٣/٢٤، ١٤ ومعالم التنزيل ٨٥/٤.

(١٣) ساقطة من (أ).

(١٧) ساقطة من (ب).

(١٨) ساقطة من (هـ).

(١٩) في (د) و.

(٢٠) في (د) أنا.

(٢١) ساقطة من (د).

(١٤) في الأصل والمؤمنين والأفضل وبالمؤمنين لأن إعادة العامل (حرف الجر) أبلغ.

(١٥) من (هـ).

(١٦) ساقطة من (أ).

فقال: هم الذين يقولون: الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل^(١)، وباقى الآية مفسر في هذه السورة^(٢).

قوله: ﴿وينجي الله﴾ أي من جهنم ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك ﴿بمفازتهم﴾ المفازة^(٣) الفوز هو الظفر بالخير، والنجاة من الشر. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وإن جمع فحسن^(٤) كقولك: السعادة والسعادات^(٥) والمعنى ينجيهم الله بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة ﴿لا يمسهم سوء﴾ لا يصيبهم العذاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ لأنهم رضوا بالثواب.

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِأَعْبَادِهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿الله خالق كل شيء﴾ أي إن^(٦) ما في الدنيا والآخرة فهو خالقه. ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾^(٧) أي الأشياء كلها موكولة إليه، فهو القائم بحفظها والتصرف فيها. ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ واحدا مقلد^(٨) ومقلاد.

(١) انظر زاد المسير ١٩٣/٧.

(٢) عند الآية رقم ٣٢ من نفس هذه السورة الكريمة.

(٣) في (د) والمغازا.

(٤) في (هـ) فهو حسن.

(٥) انظر معالم التنزيل ٨٦/٤

(٦) ساقطة من أ، جـ

(٧) في (أ، ب، ج، هـ) قدير.

(٨) في المعرب للجواليقي ص ٣٦٢ المقلد (بكسر الميم) المفتاح فارسي معرب لغة في الإقليد والجمع مقاليد. قال ابن قتيبة: «له مقاليد السموات والأرض» أي مفاتيحها وخزائنها لأن مالك المفاتيح مالك الخزائن واحدا مقلد وجمع على غير واحد كما قالوا: مذاكير جمع ذكر ويقال: هو فارسي معرب وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد، المفتاح، فارسي معرب. والمقلد لغة في الإقليد والجمع مقاليد. وانظر زاد المسير ١٩٤/٧. هذا ويجرنا هذا الكلام للحديث عن آراء العلماء في وجود بعض الكلمات غير العربية في القرآن الكريم أو عدم وجود ذلك. فنقول وبالله التوفيق:

«اختلف العلماء والأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم، فالأكثر من يقول الإمام السيوطي في كتابه الإتيان - ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس - على عدم وقوعه فيه. لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول. وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد وقال غيره بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعد مخالطة لسائر اللسان في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.

وقال آخرون فكل هذه الألفاظ عربية صرفة ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة وقد خفي على ابن عباس:

قال ابن عباس^(١) ومقاتل: يريد مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة^(٢)، وهو قول قتادة^(٣) وقال الليث:

= معنى فاطر وفتاح قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي.

وقال أبو المعالي عزيز بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ.

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه. وأجابوا عن قوله تعالى ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى ﴿أعجمي وعربي﴾ بأن المعنى من السياق أكلام أعجمي ومخاطب عربي. واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمة. ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف. فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس وأقوى ما رأيت للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان (وروي) مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لئتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم. والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى.

وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو (وقد) رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن استبرق ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الويل لا يكون حثه على وجه الحكمة فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة، ثم المآكل الشهية، ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناجح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطبايع فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ولو تركه لقال من أمر بالعبادة وعد عليها بالأكل والمشرب أن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كربة، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها وأرفع الملابس في الدنيا الحرير وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقل الوزن وأما الحرير فكلمة كان ثوبه أثقل كان أرفع فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الموعد لئلا يقصر في الحث والدعاء. ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك استبرق فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للدبياج الثمين اسم وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أدخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل فعلم بهذا أن لفظ استبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنهما وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون.

(انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٣٦: ١٣٨).

(١) انظر جامع البيان ١٦/٢٤ وزاد المسير ٧/١٩٤.

(٢) انظر معالم التنزيل ٨٦/٤ وفتح القدير ٤/٤٧٤.

(٣) انظر جامع البيان ١٦/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٦/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦١/٤ وفتح القدير ٤/٤٧٤.

المقلاد الخزانة ومقاليد [السموات والأرض] ^(١)، خزائنها ^(٢)، وهو قول الضحاك.

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ يعني القرآن ﴿وأولئك﴾ ^(٣) ﴿هم الخاسرون﴾ خسروا حين صاروا إلى النار. ثم أعلم أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده فقال: قل ^(٤) لهم ^(٥) ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾. قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى ^(٦) دين آبائه ^(٧). وفي ﴿تأمروني﴾ وجوه من القراءة: «تأمروني» بنونين وهو الأصل، «وتأمروني» بنون مشددة على إسكان الأولى، وإدغامها في الثانية، «وتأمروني» بنون خفيفة ^(٨) على حذف إحدى النونين ^(٩) وقوله ﴿أيها الجاهلون﴾ أي ^(١٠) فيما تأمروني. ثم حذره أن يتبع دينهم فقال: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ ^(١١) قال ابن عباس: هذا أدب من الله تعالى ^(١٢) لنبية ﷺ، وتهديد لغيره لأن الله تعالى ^(١٣) قد عصمه من الشرك ومداهنة ^(١٤) الكفار ^(١٥). ثم أمره ^(١٦) بتوحيده فقال: ﴿بل الله فاعبد﴾ قال [عطاء ومقاتل] ^(١٧): وحده ^(١٨)؛ لأن عبادته لا تصح إلا بتوحيده ﴿وكن من الشاكرين﴾ لإنعامه عليك. قوله ^(١٩):

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

- (١) في (ج) الأرض والسموات. (٢) ساقطة من (ج).
 (٣) انظر فتح القدير ٤/٤٧٤. (٤) في (د) إذا.
 (٥) في (ب) وأولئك. (٦) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦١ والبحر المحيط ٧/٤٣٨.
 (٧) ساقطة من (ج، هـ). (٨) في (هـ) مخففة.
 (٩) اختلف في (تأمروني) فنافع وأبو جعفر بنون خفيفة على حذف إحدى النونين والمختار مذهب سيبويه أنها نون الرفع، وقيل نون الوقاية، وكلاهما فتح الباء وقرأ ابن عامر يخلف عن ابن ذكوان بنونين خفيفتين مفتوحة فمكسورة على الأصل وهو الذي عليه أكثر الرواة عن ابن ذكوان من طريقه. ورواه ابن شاذان عن زيد عن الرملي عن الصوري عن ابن ذكوان بنون واحدة مخففة كنافع. وكذا رواه ابن هارون عن الأخفش وتقدم لابن عامر سكون الباء، والباقون بنون مشددة أدغمت نون الرفع في نون الوقاية وفتح الباء منهم ابن كثير (اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٦ - ٣٧٧ والنشر ٢/٣٦٣، ٣٦٤ تحبير التيسير ١٧٣، البحر المحيط ٧/٤٣٩).
 (١٠) ساقطة من (ب، هـ).
 (١١) حبط العمل على أوجه: أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية فلا تغني في القيامة غناء كما قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ والثاني: أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى، والثالث: أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزائها سيئات ترفي عليها وذلك المشار إليه بخفة الميزان، وأصل الحبط من الحبط وهو أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها (انظر المفردات مادة حبط ص ١٠٦).

- (١٢) من (أ).
 (١٣) من (د).
 (١٤) الإدهان في الأصل: مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة وترك الجد كما جعل التفرية وهو نزع الفراء عن البعير عبارة عن ذلك قال: (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال الشاعر:

الحزم والقوة خير من الـ إدهان والقلة والهاع

وداهنت فلاناً مداهنة قال «ودوا لو تدهن فيدهنون» المفردات مادة دهن (ص ١٧٣، ١٧٤).

- (١٥) انظر معالم التنزيل ٤/٨٦.
 (١٦) في (ج) أمر.
 (١٧) في (هـ) مقاتل وعطاء.
 (١٨) انظر زاد المسير ٧/١٩٥ وفتح القدير ٤/٤٧٥.
 (١٩) في (د) وقوله.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالتَّائِبِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي (١) ما عظموه؛ إذ عبدوا غيره، وأمروا النبي ﷺ بعبادة غيره. ثم أُنحِت عن عظمته فقال: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك. وأخبر (٢) الله عن قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمتها (٣) وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه. فذكر القبضة وإن كان لا يقبض عليها تفهيماً لنا على عادة التخاطب فيما بيننا (٤)، لأننا نقول: هو في يد فلان وفي قبضته لشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه. وكذا (٥) قوله تعالى (٦): ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار، يعني أنه يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه. قال الأخفش: بيمينه، يقول: أي (٧) في قدرته نحو قوله ﴿وما ملكت أيما نكم﴾ (٨) أي ما (٩) كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد (١٠) ثم نزه نفسه عن شركهم فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الآية (١١) [قال المفسرون] (١٢): مات من الفزع وشدة الصوت [أهل السماء والأرض] (١٣) ﴿إلا من شاء الله﴾ أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي الصوفي (١٤)، أنا أبو الحسن علي بن الحسن التميمي، نا محمد بن إسحاق الرملي، نا هشام بن عمار، نا إسماعيل بن عياش، عن عمر (١٥) بن محمد (١٦)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي هريرة [رضي الله عنه] (١٧) عن رسول الله ﷺ أنه: سأله (١٨) جبريل عن هذه الآية ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ من الذين (١٩) لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: «هم الشهداء متقلدون أسياهم حول العرش» (٢٠) وهذا قول

(١) من (ج)

(٢) في: (ب، ج، د، هـ) أخبر.

(٣) في (د) عظمها.

(٤) في (ب) بينها.

(٥) في (د) وكذلك.

(٦) من (د).

(٧) من في السموات ومن في الأرض، وفي (د) أهل السموات وأهل الأرض، في (هـ) أهل السموات والأرض.

(٨) ساقطة من (د).

(٩) في (د) عمرو.

(١٠) عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب نزيل عسقلان وثقه ابن سعد وأحمد وابن معين والمجلي وأبو داود وقال النسائي

ليس به بأس مات بعسقلان مرابطاً بها سنة خمس وأربعين ومائة هجرية (تهذيب التهذيب ٧/٤٩٥).

(١١) من (ج).

(١٢) في (أ) سئل.

(١٣) في (أ، ج، د، هـ) الذي.

(١٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٢٠ والحاكم في المستدرک كتاب التفسير باب القراءة ٢٥٣/٢ وقال عنه: حديث صحيح الإسناد

ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفردوس الأخبار بألفاظ قريبة ٢٤٢/٢، ٣١٢، ٣١٣ وتفسير القرآن العظيم ٤/٦٤.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ ج ٣/ ٣٨٣

سعيد بن جبيرة وعطاء عن ابن عباس^(١)، وقال مقاتل والسدي والكلبي: هو جبريل^(٢) وميكائيل وإسرافيل وملاك الموت^(٣) ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ يعني نفخة البعث ﴿فإذا هم قيام﴾ [يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم ﴿ينظرون﴾ ينتظرون]^(٤) ما يقال لهم، وما يؤمرون به ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وهو أن الله (عز وجل)^(٥) يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق به^(٦) من غير شمس ولا قمر ﴿ووضع الكتاب﴾ قال مقاتل: يعني كتب الأعمال^(٧) ﴿وجيء بالبين والشهداء﴾ وهم الذين يشهدون للرسول بالتبليغ، وهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس^(٨). وقال عطاء^(٩): يعني الحفظة كقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾^(١٠) ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم. وهو قوله ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أي ثواب ما عملت ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ قال عطاء: يريد أني عالم بفعلهم لا أحتاج إلى كاتب^(١١) ولا شاهد^(١٢) قوله^(١٣):

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ أفواجاً كفاراً كل أمة على حدة. والزمر جماعات^(١٤) في تفرقة بعضها على إثر بعض، واحدها زمرة.

وقوله: ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم ﴿أي^(١٥) من أنفسكم﴾ يتلون عليكم آيات ربكم ﴿يعني ما أنزل الله على الأنبياء. ﴿قالوا بلى﴾، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وهو قوله «لأملأن جهنم منك﴾ (ومن تبعك)^(١٦) (منهم أجمعين) ﴿^(١٧)﴾^(١٨).

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ

(١) انظر تفسير عبد الرزاق ٩٨١/٣ وجامع البيان ٢٠/٢٤ وفي الدر وعزاه إلى سعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبيرة ٣٣٦/٥.

(٢) في (هـ) جبرئيل.

(٣) انظر جامع البيان ٢٠/٢٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ).

(٥) انظر جامع البيان ٢٢/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦٤/٤.

(٦) انظر جامع البيان ٢٢/٢٤، ٢٣، ومعالم التنزيل ٨٨/٤.

(٧) انظر معالم التنزيل ٨٨/٤ وتفسير القرآن العظيم ٦٤/٤.

(٨) سورة (ق) آية رقم ٢١.

(٩) في (ب)، (د) كتاب.

(١٠) انظر جامع البيان ٢٣/٢٤ ومعالم التنزيل ٨٨/٤.

(١١) من (ج)، (د).

(١٢) في (د) تعالى.

(١٣) في (أ)، (ج)، (د)، (هـ) الأرض.

(١٤) في (هـ) جماعة.

(١٥) ساقطة من (هـ).

(١٦) ساقطة من (هـ).

(١٧) من (ب).

(١٨) سورة (ص) آية ٨٥.

مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَاتٍ مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله (١) ﴿وسيق الذين اتقوا (ربهم إلى الجنة)﴾ (١) (إلى قوله) (٢) ﴿وفتحت أبوابها﴾ «هذه السواو زيادة» عند الأخفش (٤) والكوفيين (٥)، والمعنى فتحت حتى يكون جواباً لقوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾ كالذي في قصة سوق الكفار. وقال الزجاج (٦): القول عندي أن الجواب محذوف على تقدير حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأشياء التي ذكرت إلى قوله ﴿فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب دخلوها (٧) حذف (٨)؛ لأن في هذا (٩) الكلام دليلاً عليه. وقوله ﴿سلام عليكم﴾ أخبر الله تعالى (١٠) أن خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين ويخبرونهم بطيب مقامهم فيها. قال ابن عباس: ﴿طبتم﴾ طاب لكم المقام (١١). وقال قتادة: إنهم قد طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم (١٢) من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة: ﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾ (١٣). فلما دخلوها قالوا: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أرض الجنة ﴿نتبوا﴾ (من الجنة) حيث نشاء (١٤) تتخذ (١٥) فيها من المنازل ما نشاء يقول الله تعالى (١٦): ﴿فنعلم أجر العاملين﴾ نعم ثواب المحسنين الجنة ﴿وترى الملائكة﴾ يومئذ ﴿حافين من حول العرش﴾ (١٧) محيطين محققين به، يقال حفَّ القوم بفلان إذا أطافوا (١٨) به ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يحمدون الله (١٩) حيث أدخل (٢٠) الموحدون الجنة ﴿وقضى بينهم﴾ بين الخلائق ﴿بالحق﴾ بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أهل الجنة يقولون ذلك شكراً لله على إنجاز وعده حين تم وعد الله لهم.

(١) في (د) قول.

(٢) ساقطة من (ج، هـ).

(٣) في (د) زمراً حتى إذا جاؤها.

(٤) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٧٣/٢ ومغني اللبيب ٣٦٢/٢ والبحر المحيط ٤٤٣/٧.

(٥) انظر وجوه الإعراب والقراءات ١١٣/٢ ومغني اللبيب ٣٦٢/٢ والبحر المحيط ٤٤٣/٧.

(٦) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ورقة ١٨٧.

(٧) في (أ) دخلوها.

(٨) في (ب) وحزفت.

(٩) من (أ).

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر معالم التنزيل ٨٩/٤ وزاد المسير ٢٠١/٧، ٢٠٢.

(١٢) في (أ، ج، هـ) بعضهم.

(١٣) انظر معالم التنزيل ٨٩/٤.

(١٤) في الأصل: الموحدون، والصواب: الموحدين، لأنها في مقام المفعول به المنصوب بالياء.

(١٥) في (ج) وأهل.

(١٤) في (أ، ج، هـ) منها وساقطة من (ب).

(١٥) في (ج) فتتخذ.

(١٦) من (د).

(١٧) في (د) الحافين.

(١٨) في (ب) طافوا.

(١٩) ساقطة من (د).

(٢٠) في (د، ج) دخل.

فهرس محتويات
الجزء الثالث
من تفسير الوسيط

فهرس الجزء الثالث

٤٤	الآيات : ٣٢ - ٤٨	تفسير سورة الرعد
٤٦	الآيات : ٤٩ - ٦٠	٣	الآيات : ١ - ٤
٤٨	الآيات : ٦١ - ٧٧	٥	الآيات : ٥ - ٨
٥٠	الآيات : ٧٨ - ٨٤	٧	الآيات : ٩ - ١١
٥١	الآيات : ٨٥ - ٩٩	٩	الآيات : ١٢ - ١٥
		تفسير سورة النحل	١١	الآيات : ١٦ - ١٨
٥٥	الآيتان : ١ ، ٢	١٣	الآيات : ١٩ - ٢٦
٥٦	الآيات : ٣ - ٨	١٤	الآيات : ٢٧ - ٣٢
٥٧	الآيات : ٩ - ١٣	١٨	الآيات : ٣٣ - ٣٧
٥٨	الآيات : ١٤ - ١٦	١٩	الآيات : ٣٨ - ٤٠
٥٩	الآيات : ١٧ - ٢٩	٢٠	الآيات : ٤١ - ٤٣
٦١	الآيات : ٣٠ - ٣٤		تفسير سورة إبراهيم	
٦٢	الآيات : ٣٥ - ٤٢	٢٢	الآيات : ١ - ٨
٦٣	الآيتان : ٤٣ ، ٤٤	٢٤	الآيات : ٩ - ١٧
٦٤	الآيات : ٤٥ - ٥٠	٢٧	الآية : ١٨
٦٦	الآيات : ٥١ - ٥٩	٢٨	الآيات : ١٩ - ٢٣
٦٨	الآيات : ٦٠ - ٦٤	٢٩	الآيات : ٢٤ - ٢٧
٦٩	الآيات : ٦٥ - ٧٠	٣١	الآيات : ٢٨ - ٣٠
٧٣	الآيات : ٧١ - ٧٤	٣٢	الآيات : ٣١ - ٣٤
٧٤	الآيتان : ٧٥ ، ٧٦	٣٣	الآيات : ٣٥ - ٤٢
٧٥	الآيات : ٧٧ - ٨٠	٣٥	الآية : ٤٣
٧٦	الآية : ٨١	٣٦	الآيات : ٤٤ - ٥١
٧٧	الآيات : ٨٢ - ٨٨		تفسير سورة الحجر	
٧٨	الآية : ٨٩	٣٨	الآيات : ١ - ٥
٧٩	الآيات : ٩٠ - ٩٣	٣٩	الآيات : ٦ - ٩
٨٠	الآية : ٩٤	٤٠	الآيات : ١٠ - ١٥
٨١	الآيات : ٩٥ - ٩٧	٤١	الآيات : ١٦ - ٢٥
٨٢	الآيات : ٩٨ - ١٠٢	٤٣	الآيات : ٢٦ - ٣١

١٣٧ الآيات : ٩ - ١٢	٨٤ الآيات : ١٠٣ - ١٠٥
١٣٨ الآيات : ١٣ - ١٨	٨٦ الآيات : ١٠٦ - ١٠٩
١٤٠ الآيات : ١٩ - ٢١	٨٧ الآيات : ١١٠ ، ١١١
١٤٢ الآية : ٢٢	٨٨ الآيات : ١١٢ - ١١٤
١٤٣ الآيات : ٢٣ ، ٢٤	٨٩ الآيات : ١١٥ - ١٢٤
١٤٤ الآيات : ٢٥ - ٢٨	٩١ الآيات : ١٢٥ - ١٢٨
١٤٥ الآيات : ٢٩ - ٣١	تفسير سورة الإسراء	
١٤٧ الآيات : ٣٢ - ٣٧	٩٣ الآية : ١
١٤٨ الآيات : ٣٨ - ٤٤	٩٦ الآيات : ٢ - ٨
١٥٠ الآيات : ٤٥ ، ٤٦	٩٨ الآيات : ٩ - ١٤
١٥١ الآيات : ٤٧ - ٤٩	١٠٠ الآيات : ١٥ - ١٧
١٥٢ الآيات : ٥٠ - ٥٣	١٠١ الآيات : ١٨ - ٢١
١٥٤ الآيات : ٥٤ - ٥٩	١٠٢ الآيات : ٢٢ - ٢٥
١٥٥ الآيات : ٦٠ - ٧٠	١٠٤ الآيات : ٢٦ - ٢٨
١٥٨ الآيات : ٧١ - ٧٦	١٠٥ الآيات : ٢٩ - ٣٣
١٥٩ الآيات : ٧٧ - ٨٠	١٠٧ الآيات : ٣٤ - ٣٨
١٦٠ الآيات : ٨١ ، ٨٢	١٠٨ الآيات : ٣٩ - ٤٤
١٦٣ الآيات : ٨٣ - ٩١	١٠٩ الآيات : ٤٥ - ٥٣
١٦٥ الآيات : ٩٢ - ٩٨	١١٠ الآيات : ٥٤ ، ٥٥
١٦٩ الآيات : ٩٩ - ١٠٢	١١٢ الآيات : ٥٦ ، ٥٧
١٧٠ الآيات : ١٠٣ - ١٠٨	١١٣ الآيات : ٥٨ - ٦٠
١٧١ الآية : ١٠٩	١١٥ الآيات : ٦١ - ٦٥
١٧٢ الآية : ١١٠	١١٧ الآيات : ٦٦ - ٧٢
تفسير سورة مريم		١١٩ الآيات : ٧٣ - ٧٧
١٧٤ الآيات : ١ - ٤	١٢٠ الآيات : ٧٨ - ٨٢
١٧٥ الآيات : ٥ - ٧	١٢٤ الآيات : ٨٣ - ٨٧
١٧٧ الآيات : ٨ ، ٩	١٢٦ الآيات : ٨٨ - ٩٠
١٧٨ الآيات : ١٠ - ١٥	١٢٧ الآيات : ٩١ - ٩٣
١٧٩ الآيات : ١٦ - ٢١	١٢٨ الآيات : ٩٤ - ٩٩
١٨٠ الآيات : ٢٢ - ٢٤	١٣٠ الآيات : ١٠٠ - ١٠٤
١٨١ الآيات : ٢٥ ، ٢٦	١٣٢ الآيات : ١٠٥ - ١٠٩
١٨٢ الآيات : ٢٧ - ٣٣	١٣٣ الآيات : ١١٠ ، ١١١
١٨٣ الآيات : ٣٤ - ٣٧	تفسير سورة الكهف	
١٨٤ الآيات : ٣٨ - ٤٠	١٣٥ الآيات : ١ - ٨

٢٢٦ الآيات: ١٢٧ - ١٣٠	١٨٥ الآيات: ٤١ - ٤٨
٢٢٧ الآيتان: ١٣١، ١٣٢	١٨٦ الآيات: ٤٩ - ٥٥
٢٢٨ الآيات: ١٣٣ - ١٣٥	١٨٧ الآيات: ٥٦ - ٦٠
	تفسير سورة الأنبياء	١٨٨ الآيات: ٦١ - ٦٣
٢٢٩ الآيات: ١ - ٦	١٨٩ الآيتان: ٦٤، ٦٥
٢٣٠ الآيات: ٧ - ٩	١٩٠ الآيات: ٦٦ - ٧٢
٢٣١ الآيات: ١٠ - ١٥	١٩٢ الآيتان: ٧٣، ٧٤
٢٣٢ الآيات: ١٦ - ٢٠	١٩٣ الآيتان: ٧٥، ٧٦
٢٣٣ الآيات: ٢١ - ٢٣	١٩٤ الآيات: ٧٧ - ٨٠
٢٣٥ الآيات: ٢٤ - ٣١	١٩٥ الآيات: ٨١ - ٨٧
٢٣٦ الآيات: ٣٢ - ٣٥	١٩٦ الآيات: ٨٨ - ٩٥
٢٣٧ الآيتان: ٣٦، ٣٧	١٩٧ الآيات: ٩٦ - ٩٨
٢٣٨ الآيات: ٣٨ - ٤٣		تفسير سورة طه
٢٣٩ الآيات: ٤٤ - ٤٧	١٩٩ الآيات: ١ - ٨
٢٤١ الآيات: ٤٨ - ٥٦	٢٠١ الآيتان: ٩، ١٠
٢٤٢ الآيات: ٥٧ - ٦٣	٢٠٢ الآيات: ١١ - ١٦
٢٤٣ الآيات: ٦٤ - ٧٠	٢٠٣ الآيات: ١٧ - ٢١
٢٤٤ الآيات: ٧١ - ٧٥	٢٠٤ الآيات: ٢٢ - ٣٥
٢٤٥ الآيات: ٧٦ - ٨٢	٢٠٥ الآيات: ٣٦ - ٤٤
٢٤٧ الآيتان: ٨٣، ٨٤	٢٠٨ الآيات: ٤٥ - ٤٨
٢٤٨ الآيات: ٨٥ - ٨٨	٢٠٩ الآيات: ٤٩ - ٥٥
٢٥٠ الآيات: ٨٩ - ٩١	٢١٠ الآيات: ٥٦ - ٦٢
٢٥١ الآيات: ٩٢ - ٩٧	٢١١ الآيتان: ٦٣، ٦٤
٢٥٢ الآيات: ٩٨ - ١٠٣	٢١٣ الآيات: ٦٥ - ٧٠
٢٥٣ الآية: ١٠٤	٢١٤ الآيات: ٧١ - ٧٣
٢٥٤ الآيات: ١٠٥ - ١٠٧	٢١٥ الآيات: ٧٤ - ٧٧
٢٥٥ الآيات: ١٠٨ - ١١٢	٢١٦ الآيات: ٧٨ - ٨٢
	تفسير سورة الحج	٢١٧ الآيات: ٨٣ - ٨٩
٢٥٧ الآيتان: ١، ٢	٢١٩ الآيات: ٩٠ - ٩٦
٢٥٨ الآيتان: ٣، ٤	٢٢٠ الآيات: ٩٧ - ١٠١
٢٥٩ الآيات: ٥ - ٧	٢٢١ الآيات: ١٠٢ - ١٠٨
٢٦٠ الآيات: ٨ - ١٠	٢٢٢ الآيات: ١٠٩ - ١١٢
٢٦١ الآيات: ١١ - ١٣	٢٢٣ الآيات: ١١٣ - ١٢٢
٢٦٢ الآيات: ١٤ - ١٨	٢٢٥ الآيات: ١٢٣ - ١٢٦

٣٠١ الآيات: ١١٨، ١١٧	٢٦٣ الآيات: ١٩ - ٢٢
	تفسير سورة النور	٢٦٤ الآيات: ٢٣، ٢٤
٣٠٢ الآيات: ١، ٢	٢٦٥ الآية: ٢٥
٣٠٤ الآية: ٣	٢٦٦ الآيات: ٢٦ - ٢٩
٣٠٥ الآيات: ٤، ٥	٢٦٩ الآيات: ٣٠، ٣١
٣٠٦ الآيات: ٦ - ١٠	٢٧٠ الآيات: ٣٢، ٣٣
٣٠٧ الآية: ١١	٢٧١ الآيات: ٣٤ - ٣٦
٣١١ الآيات: ١٢ - ١٥	٢٧٢ الآيات: ٣٧، ٣٨
٣١٢ الآيات: ١٦ - ٢١	٢٧٣ الآيات: ٣٩، ٤٠
٣١٣ الآيات: ٢٢ - ٢٥	٢٧٤ الآيات: ٤١ - ٤٦
٣١٤ الآية: ٢٦	٢٧٥ الآيات: ٤٧، ٤٨
٣١٥ الآيات: ٢٧ - ٣٠	٢٧٦ الآيات: ٤٩ - ٥٤
٣١٦ الآية: ٣١	٢٧٧ الآيات: ٥٥ - ٦٠
٣١٧ الآية: ٣٢	٢٧٨ الآيات: ٦١ - ٦٦
٣١٨ الآيات: ٣٣، ٣٤	٢٧٩ الآيات: ٦٧ - ٧١
٣٢٠ الآية: ٣٥	٢٨٠ الآيات: ٧٢ - ٧٦
٣٢١ الآيات: ٣٦ - ٣٨	٢٨١ الآيات: ٧٧، ٧٨
٣٢٢ الآيات: ٣٩، ٤٠		تفسير سورة المؤمنون
٣٢٣ الآيات: ٤١ - ٤٤	٢٨٣ الآيات: ١ - ١١
٣٢٤ الآيات: ٤٥ - ٥٠	٢٨٥ الآيات: ١٢ - ١٦
٣٢٥ الآيات: ٥١، ٥٢	٢٨٦ الآيات: ١٧ - ٢٢
٣٢٦ الآيات: ٥٣ - ٥٥	٢٨٨ الآيات: ٢٣ - ٣٠
٣٢٧ الآيات: ٥٦ - ٦٠	٢٨٩ الآيات: ٣١ - ٤٣
٣٢٩ الآية: ٦١	٢٩٠ الآيات: ٤٤ - ٤٨
٣٣١ الآيات: ٦٢، ٦٣	٢٩١ الآيات: ٤٩ - ٥٦
٣٣٢ الآية: ٦٤	٢٩٢ الآيات: ٥٧ - ٦١
	تفسير سورة الفرقان	٢٩٣ الآيات: ٦٢ - ٦٧
٣٣٣ الآيات: ١ - ٣	٢٩٤ الآيات: ٦٨ - ٧٥
٣٣٤ الآيات: ٤ - ١٤	٢٩٥ الآيات: ٧٦ - ٨٣
٣٣٦ الآيات: ١٥ - ١٩	٢٩٦ الآيات: ٨٤ - ٩٢
٣٣٧ الآيات: ٢٠ - ٢٤	٢٩٧ الآيات: ٩٣ - ١٠٠
٣٣٨ الآيات: ٢٥ - ٢٩	٢٩٨ الآيات: ١٠١ - ١٠٤
٣٣٩ الآيات: ٣٠ - ٣٤	٢٩٩ الآيات: ١٠٥ - ١١١
٣٤٠ الآيات: ٣٥ - ٤٠	٣٠٠ الآيات: ١١٢ - ١١٦

٣٨٠ الآيات: ٤٥ - ٥٣	٣٤١ الآيات: ٤١ - ٤٤
٣٨١ الآيات: ٥٤ - ٦٠	٣٤٢ الآيات: ٤٥ - ٥٠
٣٨٢ الآيات: ٦١ - ٦٣	٣٤٣ الآيات: ٥١ - ٥٧
٣٨٣ الآيات: ٦٤ - ٧٢	٣٤٤ الآيات: ٥٨ - ٦٢
٣٨٤ الآيات: ٧٣ - ٨١	٣٤٥ الآيات: ٦٣ - ٦٧
٣٨٥ الآية: ٨٢	٣٤٦ الآيات: ٦٨ - ٧١
٣٨٦ الآيات: ٨٣ - ٩٠	٣٤٨ الآيات: ٧٢ - ٧٤
٣٨٧ الآيات: ٩١ - ٩٣	٣٤٩ الآيات: ٧٥ - ٧٧
تفسير سورة القصص		تفسير سورة الشعراء	
٣٨٩ الآيات: ١ - ٦	٣٥٠ الآيات: ١ - ٩
٣٩٠ الآيات: ٧ - ٩	٣٥١ الآيات: ١٠ - ٢٢
٣٩٢ الآيات: ١٠ - ١٥	٣٥٢ الآيات: ٢٣ - ٣٥
٣٩٣ الآيات: ١٦ - ١٩	٣٥٣ الآيات: ٣٦ - ٥٩
٣٩٤ الآيات: ٢٠ - ٢٤	٣٥٤ الآيات: ٦٠ - ٦٨
٣٩٥ الآيات: ٢٥ - ٢٨	٣٥٥ الآيات: ٦٩ - ٨٢
٣٩٧ الآيات: ٢٩ - ٣٢	٣٥٦ الآيات: ٨٣ - ١٠٤
٣٩٨ الآيات: ٣٣ - ٣٥	٣٥٧ الآيات: ١٠٥ - ١١٥
٣٩٩ الآيات: ٣٦ - ٤٢	٣٥٨ الآيات: ١١٦ - ١٣٥
٤٠٠ الآيات: ٤٣ - ٤٥	٣٥٩ الآيات: ١٣٦ - ١٤٥
٤٠١ الآيات: ٤٦ - ٥١	٣٦٠ الآيات: ١٤٦ - ١٦٤
٤٠٢ الآيات: ٥٢ - ٥٥	٣٦١ الآيات: ١٦٥ - ١٨٥
٤٠٣ الآيتان: ٥٦، ٥٧	٣٦٢ الآيات: ١٨٦ - ١٩٩
٤٠٤ الآيات: ٥٨ - ٦١	٣٦٣ الآيات: ٢٠٠ - ٢١٢
٤٠٥ الآيات: ٦٢ - ٦٧	٣٦٤ الآيات: ٢١٣ - ٢٢٠
٤٠٦ الآيات: ٦٨ - ٧٤	٣٦٥ الآيات: ٢٢١ - ٢٢٧
٤٠٧ الآيات: ٧٥ - ٧٧	تفسير سورة النمل	
٤٠٨ الآيات: ٧٨ - ٨٠	٣٦٨ الآيات: ١ - ١٠
٤٠٩ الآيتان: ٨١، ٨٢	٣٦٩ الآيات: ١١ - ١٤
٤١٠ الآيتان: ٨٣، ٨٤	٣٧٠ الآيات: ١٥ - ١٩
٤١١ الآيات: ٨٥ - ٨٨	٣٧٣ الآيتان: ٢٠، ٢١
تفسير سورة العنكبوت		٣٧٤ الآيات: ٢٢ - ٢٦
٤١٢ الآيات: ١ - ٤	٣٧٦ الآيات: ٢٧ - ٣٣
٤١٣ الآيات: ٥ - ٩	٣٧٧ الآيات: ٣٤ - ٤٠
٤١٤ الآيتان: ١٠، ١١	٣٧٩ الآيات: ٤١ - ٤٤

تفسير سورة السجدة		٤١٥	الآيات: ١٢ - ١٥
٤٤٩	الآيات: ١ - ٣	٤١٦	الآيات: ١٦ - ٢٣
٤٥٠	الآيات: ٧ - ١١	٤١٧	الآيات: ٢٤ - ٢٧
٤٥١	الآيات: ١٢ - ١٤	٤١٨	الآيات: ٢٨ - ٣٠
٤٥٢	الآيات: ١٥ - ١٧	٤١٩	الآيات: ٣١ - ٤٠
٤٥٤	الآيات: ١٨ - ٢٣	٤٢٠	الآيات: ٤١ - ٤٣
٤٥٥	الآيات: ٢٤ - ٢٨	٤٢١	الآيتان: ٤٤ ، ٤٥
٤٥٦	الآيتان: ٢٩ ، ٣٠	٤٢٢	الآيتان: ٤٦ ، ٤٧
تفسير سورة الأحزاب		٤٢٣	الآيات: ٤٨ - ٥٢
٤٥٧	الآيات: ١ - ٥	٤٢٤	الآيات: ٥٣ - ٦٠
٤٥٩	الآيات: ٦ - ٨	٤٢٥	الآيات: ٦١ - ٦٦
٤٦٠	الآيات: ٩ - ١٠	٤٢٦	الآيات: ٦٧ - ٦٩
٤٦١	الآيات: ١١ - ١٦	تفسير سورة الروم	
٤٦٢	الآية: ١٧	٤٢٧	الآيات: ١ - ٧
٤٦٣	الآيتان: ١٨ ، ١٩	٤٢٨	الآية: ٨
٤٦٤	الآيات: ٢٠ - ٢٢	٤٢٩	الآيتان: ٩ ، ١٠
٤٦٥	الآيتان: ٢٣ ، ٢٤	٤٣٠	الآيات: ١١ - ١٩
٤٦٦	الآيات: ٢٥ - ٢٧	٤٣١	الآيات: ٢٠ - ٢٥
٤٦٧	الآيتان: ٢٨ ، ٢٩	٤٣٢	الآيات: ٢٦ - ٢٩
٤٦٨	الآيتان: ٣٠ ، ٣١	٤٣٣	الآيات: ٣٠ - ٣٢
٤٦٩	الآيات: ٣٢ - ٣٤	٤٣٤	الآيات: ٣٣ - ٤٠
٤٧٠	الآية: ٣٥	٤٣٥	الآيتان: ٤١ ، ٤٢
٤٧٢	الآيات: ٣٦ - ٣٨	٤٣٦	الآيات: ٤٣ - ٤٨
٤٧٤	الآيتان: ٣٩ ، ٤٠	٤٣٧	الآيات: ٤٩ - ٥٣
٤٧٥	الآيات: ٤١ - ٤٤	٤٣٨	الآيات: ٥٤ - ٥٧
٤٧٦	الآيات: ٤٥ - ٤٩	٤٣٩	الآيات: ٥٨ - ٦٠
٤٧٧	الآيات: ٥٠ - ٥٢	تفسير سورة لقمان	
٤٧٩	الآيات: ٥٣ - ٥٥	٤٤٠	الآيات: ١ - ١١
٤٨١	الآية: ٥٦	٤٤٢	الآيات: ١٢ - ١٩
٤٨٢	الآيات: ٥٧ - ٦٢	٤٤٤	الآيات: ٢٠ - ٢٦
٤٨٣	الآيات: ٦٣ - ٦٩	٤٤٥	الآيات: ٢٧ - ٣٠
٤٨٤	الآيات: ٧٠ - ٧٣	٤٤٦	الآيتان: ٣١ ، ٣٢
تفسير سورة سبأ		٤٤٧	الآيتان: ٣٣ ، ٣٤
٤٨٦	الآيات: ١ - ٦		

	تفسير سورة الصافات	٤٨٧	الآيات: ٧-٩
٥٢١	الآيات: ١-١٠	٤٨٨	الآيات: ١٠-١٣
٥٢٢	الآيات: ١١-١٩	٤٨٩	الآية: ١٤
٥٢٣	الآيات: ٢٠-٢٦	٤٩٠	الآيات: ١٥-١٧
٥٢٤	الآيات: ٢٧-٣٧	٤٩١	الآيتان: ١٨، ١٩
٥٢٥	الآيات: ٣٨-٥٨	٤٩٣	الآيات: ٢٠-٢٣
٥٢٦	الآيات: ٥٩-٧٠	٤٩٤	الآيات: ٢٤-٢٧
٥٢٧	الآيات: ٧١-٨٢	٤٩٥	الآيات: ٢٨-٣٣
٥٢٨	الآيات: ٨٣-٩٨	٤٩٦	الآيات: ٣٤-٣٩
٥٢٩	الآيات: ٩٩-١١٣	٤٩٧	الآيات: ٤٠-٤٣
٥٣١	الآيات: ١١٤-١٣٢	٤٩٨	الآيات: ٤٤-٥٠
٥٣٢	الآيات: ١٣٣-١٤٨	٤٩٩	الآيات: ٥١-٥٤
٥٣٤	الآيات: ١٤٩-١٧٠		تفسير سورة فاطر
٥٣٥	الآيات: ١٧١-١٨٢	٥٠٠	الآيات: ١-٣
	تفسير سورة ص	٥٠١	الآيات: ٤-١١
٥٣٨	الآيات: ١-٣	٥٠٣	الآيات: ١٢-١٨
٥٣٩	الآيات: ٤-٨	٥٠٤	الآيات: ١٩-٣٠
٥٤٠	الآيات: ٩-١١	٥٠٥	الآيات: ٣١-٣٥
٥٤١	الآيات: ١٢-١٦	٥٠٦	الآيات: ٣٦-٣٨
٥٤٣	الآيات: ١٧-٢٠	٥٠٧	الآيات: ٣٩-٤٢
٥٤٦	الآيات: ٢١-٢٦	٥٠٨	الآيات: ٤٣-٤٥
٥٥٠	الآيات: ٢٧-٢٩		تفسير سورة يس
٥٥١	الآيات: ٣٠-٣٣	٥٠٩	الآيات: ١-٧
٥٥٢	الآيات: ٣٤-٤٠	٥١٠	الآيات: ٨-١٢
٥٥٧	الآيات: ٤١-٤٤	٥١١	الآيات: ١٣-١٩
٥٥٩	الآيات: ٤٥-٤٩	٥١٣	الآيات: ٢٠-٣٠
٥٦٢	الآيتان: ٥٠، ٥١	٥١٤	الآيات: ٣١-٣٧
٥٦٣	الآيات: ٥٢-٦١	٥١٤	الآيات: ٣٨-٤٤
٥٦٥	الآيات: ٦٢-٦٦	٥١٥	الآيات: ٤٥-٥٠
٥٦٦	الآيات: ٦٧-٧٠	٥١٦	الآيات: ٥١-٥٨
٥٦٧	الآيات: ٧١-٨١	٥١٧	الآيات: ٥٩-٦٧
	تفسير سورة الزمر	٥١٨	الآيات: ٦٨-٧٠
٥٦٩	الآيات: ١-٤	٥١٩	الآيات: ٧١-٧٧
٥٧٠	الآيتان: ٥، ٦	٥٢٠	الآيات: ٧٨-٨٣

٥٨٣	الآيات : ٤١ - ٤٤	٥٧١	الآية : ٧
٥٨٤	الآيات : ٤٥ - ٤٨	٥٧٢	الآية : ٨
٥٨٥	الآيات : ٤٩ - ٥٢	٥٧٣	الآية : ٩
٥٨٦	الآيات : ٥٣ - ٥٩	٥٧٤	الآيات : ١٠ - ١٥
٥٨٩	الآيتان : ٦٠ ، ٦١	٥٧٥	الآيات : ١٦ - ١٨
٥٩٠	الآيات : ٦٢ - ٦٦	٥٧٦	الآيات : ١٩ - ٢٤
٥٩٣	الآيات : ٦٧ - ٧٠	٥٧٩	الآيات : ٢٥ - ٢٨
٥٩٤	الآيات : ٧١ - ٧٣	٥٨٠	الآيات : ٢٩ - ٣١
٥٩٥	الآيتان : ٧٤ ، ٧٥	٥٨١	الآيات : ٣٢ - ٣٧
			٥٨٢	الآيات : ٣٨ - ٤٠